

الجلد الثالث من التفسيرين السبعين

المسوك عليها سطور الذهب سبك اللعين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لتشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام
الحبر العربر حاوي فضيلتي البيان والنان في التقرر والتحرير كاشف قناع المنكلمات
وموضع دلائل المضلات مظهر الكنانيات والاشارات منبع العلي أفضل الوري
علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة
شيخ ديار الجهم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره الثاني
ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة
(٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة
والائمة ناصر الشريعة ومحى السنة علاه الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البنادى الصوفى الشافعي المعروف بالحازن فرغ من تأليفه
سنة (٧٢٥) تقمده الله برجته آمين

قد حلّ هامش هذا الكتاب بالتفسيرين الثيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن
محمود التنسي الحنفي المتوفى سنة (٧٠١) عليه صحائب الرحمة والرضوان
الثاني تزوير المفسر ابن عباس لابي طاهر محمد بن يعقوب الفدروز آبادي
الشافعي المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يعول الموصل الى الله احمد رعت بن عثمان حامى السره حصارى المصحح مدار الطباغة العامره
اعانه الله على متاق هذه الصاعه ودمت انوار البريل فوق الصحفه ولباب التأويل
تحبها مفصولا بينهما محمول وكذلك وصمت مدارك البريل فوق
الهامس وتورا! ما س تحه مفصولا بينهما تحدوله

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٧ هجرية



- ٤- فهرست الجلد الثالث من التفسيرين الجليلين * الاول *
- ٥- المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل * الثاني المسمى *
- ٦- بلباب التأويل في معاني التنزيل *

٧- تفسير سورة الانفال *

- ٨- تفسير قوله عز وجل (اعلموا ان الله اذا ذكر الله وجات قلوبهم) الآية
- ٩- عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان سبع وسبعون شعبة الحديث
- ١٠- بين اختلاف العلماء على نحو ان يقول المؤمن حديثه لا يابن استدل الله
- ١١- عن ابى هريرة ان في حبة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام الحديث
- ١٢- عن ابى سعيد ان في احد مائة درجتين اربعين اجتمعوا الحديث
- ١٣- تفسير قوله عز وجل (واذا علمكم الله احدي الضالقتين انهما لكم) الآية
- ١٤- عن انس بن مالك عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
- ١٥- تفسير قوله عز وجل (اذ تسفلون ربكم فاستجاب لكم اني مدمكم) الآية
- ١٦- عن ابى عبد الله في ابى صبيح عليه وسار قال يوم بدر عند جبريل الحديث
- ١٧- تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفوا) الآية
- ١٨- فصل في حكم هذه الآية *

١٩- تفسير قوله عز وجل (وما رهيت اذ رميت ولكن الله رمى) الآية

- ٢٠- عن عبد الرحمن بن عوف اني لما وقف في نصف يوم بدر فظفرت الخ
- ٢١- عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يظفر ما صنع ابو جهل الخ
- ٢٢- عن عبد الله بن مسعود حررت فذا ابو جهل صرغ قد ضربت الخ
- ٢٣- عن خباب بن الارت قال شكوت لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد الخ
- ٢٤- تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وبالرسول اذا دعاكم) الآية
- ٢٥- عن ابى سعيد بن اعلى قال كنت اصلى في مسجد فمدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٦- تفسير قوله عز وجل (واعلموا ان الله يخول بين المرء وقبده) الآية
- ٢٧- عن عبد الله بن عمرو بن ميمون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب الحديث
- ٢٨- عن ابى هريرة ستكون في احد يوم بدر من لحم الحديث
- ٢٩- تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية
- ٣٠- تفسير قوله عز وجل (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنه) الآية
- ٣١- تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تحققوا الله يجعل لكم فرقا) الآية
- ٣٢- بيان حجة لى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة
- ٣٣- تفسير قوله عز وجل (واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا نونشاه لقنا مثل هذا) الآية
- ٣٤- تفسير قوله عز وجل (وما كان الله ليهنهم وانت فيهم) الآية

٣٥- الجزء العاشر *

- ٥٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم فئة فابتنوا واذكروا الله كثيرا) الآية
- ٥٣ عن عبدالله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه الحج
- ٥٤ تفسير قوله عز وجل (واذرين لهم الشيطان اعمالهم) الآية
- ٥٦ تفسير قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الآية
- ٦١ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يحجزون) الآية

❖ وههنا نضع امارات ❖

- ٠٠ الاول : عن ابي اسيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الحج
- ٦٢ الثاني : عن عتبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح الحديث
- ٠٠ الثالث : عن فقيم اللحى فلت لعنبة بن عامر تخلف بين هذين العرضين الحج
- ٠٠ الرابع : عن ابي نجيح السلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ الحديث
- ٠٠ الخامس : عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم الحج
- ٦٣ السادس : عن عروة بن الحعد الباري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخليل الحديث
- ٠٠ السابع : عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخليل معوفى نواصيها الحديث
- ٠٠ الثامن : عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احسن في سائر الله الحديث
- ٠٠ التاسع : عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال الخليل ثلاثة هي لرجل الحديث
- ٦٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الآية
- ٦٨ تفسير قوله عز وجل (ما كان لبي ان تكون له اسرى) الآية

❖ فصل ❖

٧٠ هذا بدل بهذه الآية من يفتح في عصبة الانبياء الحج

- ٧٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى) الآية
- ٧٥ تفسير قوله عز وجل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الآية
- ❖ تفسير سورة التوبة ❖

❖ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية ❖

❖ في اول هذه السورة ❖

❖ فصل ❖

- ٨١ قد نوهوه . و هو ان في ع على بن ابي طالب براءة اول براءة على ابي بكر الحج
- ٨٣ تفسير قوله عز وجل (ان الله برئ من المشركين ورسوله) الآية
- ٨٨ تفسير قوله عز وجل (فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) الآية
- ٠٠ عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابي بكر الحج
- ٩٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله) الآية
- ٩٣ تفسير قوله عز وجل (انا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية
- ٩٤ عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى السجدة الحديث

- ٠٠ عن عثمان بن عفان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته مسجدا الحديث
 ٠٠ عن النعمان بن بشير كنت عند منتر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالي الخ
 ٩٥ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى الخ
 ٠٠ عن بكر بن عبدالله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة الخ
 ٩٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم و اخوانكم اولياء) الآية
 ٩٨ تفسير قوله عز وجل (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين)

✽- تفصيل قصة حنين ✽-

- ١٠٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) الآية
 ١٠٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن الحديث
 ٠٠٠ عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد تبس الحديث
 ١٠٥ تفسير قوله عز وجل (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) الآية
 ١٠٦ ✽- فصل في بيان احكام الآية ✽-

- ١٠٨ تفسير قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية
 ١١٢ تفسير قوله عز وجل (ويا ايها الله الان تم نوره و لو كره الكافرون) الآية
 ٠٠٠ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار الحديث
 ١١٣ تفسير قوله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية
 ١١٤ عن زيد بن وهب قال مررت بزيدة فاذا باني ذرقت ما تراك الخ
 ١١٥ عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلا يدركه الحديث
 ١١٦ عن ابي ذر قال انتهت الى النبي صلى الله عليه وسلم وعوجاس في حل الكعبة الخ
 ١١٧ تفسير قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية
 ١١٨ عن ابي بكره اعاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الحديث
 ١١٩ تفسير قوله عز وجل (وقاتلوا المشركين كافة كما قاتلوا نكم كافة) الآية
 ١٢١ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) الآية
 ١٢٣ تفسير قوله عز وجل (ألا انصرفوا فقل نصره الله اذا خرجوه الذين كفروا
 ثاني اثنين) الآية

١٢٤ عن ابي بكر الصديق قال نصرت في دعاء المسلمين وحن في العراج

- ١٢٥ ✽- ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري ✽-
 ١٢٧ ✽- شرح غريب الفاظ الحديث ✽-

- ١٢٩ ✽- فصل في الوجود المستنبط من هذه الآية الدالة على ✽-
 ✽- فضل سيدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه ✽-

- ١٣١ تفسير قوله عز وجل (وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) الآية
 ١٣٢ تفسير قوله عز وجل (عذ الله عنك لم اذنت اهم) الآية

﴿ فصل ﴾

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الأنبياء وبيانه

١٣٦ تفسير قوله عز وجل (ان تصيبك حسنة فاعلم ان تصيبك مصيبة) الآية

١٣٩ تفسير قوله عز وجل (انما يراد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية

١٤٠ عن ابي سعيد الخدرى قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ

١٤١ تفسير قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية

٠٠٠ ﴿ فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ﴾

في بيان وجه الحكمة في اجواب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس الخ

١٤٢ ﴿ المسئلة الثانية ﴾ في ان الآتدل على انه لاحق لاحد في الصدقات الخ

٠٠٠ ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ في بيان الاصناف الثمانية الاول الفقراء والثاني المساكين الخ

١٤٤ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعالمين عليها)

٠٠٠ الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤمنة لمؤمنهم)

١٤٥ الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب)

١٤٦ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين)

٠٠٠ الصنف السابع قوله سبحانه وتعالى (وفي سبل الله)

٠٠٠ الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل)

١٤٧ ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ في احكام مفرقة تتعلق بالزكاة الخ

١٤٨ تفسير قوله عز وجل (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) الآية

١٥٠ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا انه من محاد الله ورسوله فان له نار جهنم) الآية

١٥٣ تفسير قوله عز وجل (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر) الآية

١٥٦ تفسير قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) الآية

١٥٧ تفسير قوله عز وجل (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) الآية

٠٠٠ عن عمران بن حصين . ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الخ

٠٠٠ عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله الحديث

١٥٨ عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنان من فضة الحديث

٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)

٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول الحديث

٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي جاهدا لكثر المنافقين) الآية

١٦٢ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية

وبيان امتناع التعلية من الزكاة

١٦٤ عن ابي هريرة انه المنافق ثلاث اذا حدث كذب واداعى الخلف واذان من جان

٠٠٠ عن عبد الله بن عمرو ازيع من كذب كان نافعا خالصا الحديث

١٦٥ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية

٠٠٠ عن ابي سعود البدرى قال لما نزل آية الصدقة كنا نحامل الخ

١٦٦ تفسير قوله عز وجل (استغفر لهم أو لا يستغفر لهم ان استغفر لهم سبعين مرة) الآية

١٦٧ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابي بن سؤل جاء به الخ

١٦٨ تفسير قوله عز وجل (فرح المؤمنون بمآتهم خلاف رسول الله) الآية

١٦٩ عن ابى هريرة لم يعمون ...

٢٠٠ عن انس بن مالك ...

٢٠٠ تفسير قوله عز وجل (ولا تحمل على احد منهم مات ابدا) الآية

١٧٠ عن عمر بن الخطاب ما مات عبد الله بن ابي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم اح

— ﴿ فصل ﴾ —

٢٠٠ قد وقع في هذه الاحاديث التي تضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

— ﴿ الجزء الحادى عشر ﴾ —

١٨٣ تفسير قوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار)

وبيان اختلاف العلماء في السابقين الاولين اح

١٨٥ تفسير قوله عز وجل (والذين اتبعوهم باحسان)

٢٠٠ عن عمران بن حصين خير الناس هزلى ثم الذين يلونهم الحديث

٢٠٠ عن ابى سعيد الخدرى لانسوا صحبى فوان احدا الحديث

١٨٩ تفسير قوله عز وجل (خدمن اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) الآية

وبيان سب نزلها على جهل

١٩١ عن ابى هريرة ما صدق ...

١٩٣ تفسير قوله عز وجل (والذين اخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) الآية

١٩٦ تفسير قوله عز وجل (مسجدا ميسرا على التقوى من اول يوم) الآية

٢٠٠ عن ابى هريرة ما بين ابى ...

٢٠٠ عن عبد الله بن زيد ما بين ابى ...

٢٠٠ عن ام سلمة ان فواتى ...

١٩٩ تفسير قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم) الآية

٢٠٠ تفسير قوله عز وجل (التائبون) الآية

٢٠٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان لابي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو

كانوا الولى قربى) الآية

وبيان اختلاف المفسرين في سب نزلها قوله قوم نزلت في شأن ابى طالب عمر النبي صلى الله

عليه وسلم والله على وفيه ذكر احاديث في وعده ايمانه والله اعلم بحقيقة اصل

٢٠٧ تفسير قوله عز وجل (لقد تاب على النبي والمهاجرين والانصار) الآية

٢٠٩ بين حديث تهبة كعب بن مالك وصاحبه

— ﴿ شرح غريب هذا الحديث ﴾ —

٢١٤ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الآية

٢١٦ تفسير قوله عز وجل (ولا يفتقون نفضة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) الآية

٢٠٠ عن سهل بن سعد ...

٢١٧ عن ابى هريرة تضمن ...

- ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى انى رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل الخ
 ٠٠٠ عن ابن هزيمة من احذس فرسا فى سبيل الله ايماننا بالله الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس ما عبرت قدام عبد فى سبيل الله فتسمة النار
 ٠٠٠ عن ابي سعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقى مطومة الخ
 ٠٠٠ عن خريم بن فانك من اتق نقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف
 ٢١٨ تفسير قوله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) الآية
 عن معاوية من يراد الله خير ايقفه فى الدين الحديث
 ٢٢٠ عن ابي هريرة تحدثون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس فقيه واحد اشده على الشيطان الحديث
 ٠٠٠ عن ابي امامة فضل العالم على العابد كفضل على ادناكم الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث
 ٠٠٠ عن انس من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع الحديث
 ٠٠٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل الحديث
 ٢٢٣ تفسير قوله عز وجل (لقد جاءكم رسول من انفسكم) الآية
 عن ابي هريرة بعثت من حبر قرون بنى آدم قرنا فقرنا الحديث
 ٠٠٠ عن وائلة بن الاسقع ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل الحديث
 ٠٠٠ عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول الله ان قرينا سلسوا يتذاكون الخ
 ٢٢٤ ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾
 ٢٣١ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم باعمالهم) الآية
 عن ابي هريرة الهم انى اتخذت عندك عهدا ان تخلفني فاتما اناصر الحديث
 ٢٣٥ عن ابي سعيد الخدرى ان الدنيا حلوة حاضرة وان الله مستخلفكم فيها الحديث
 ٢٣٦ تفسير قوله عز وجل (قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم ولا دراكم) الآية
 عن ابن عباس انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة الخ
 ٠٠٠ عن عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة
 ٠٠٠ عن انس قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابوبكر الخ
 ٠٠٠ عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن سمعت انس بن مالك يعف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 وبيان اختلاف العلماء فى عمره صلى الله عليه وسلم
 ٢٣٩ تفسير قوله عز وجل (وما كان الناس الاممة واحدة فاختلفوا) الآية
 ٢٣٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس اتقوا الله انما بعثتكم على انفسكم) الآية
 ٢٤٥ تفسير قوله عز وجل (والله يدعوا الى دار السلام) الآية
 عن جابر جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعوثهم فقال بعضهم الخ
 ٠٠٠ عن النواس بن سمعان ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما الحديث
 ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) الآية
 ٠٠٠ بيان اختلاف العلماء فى معنى هذه الحسنى . هذه الزيادة على اقوال
 القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجهه الكريم
 ونقل الدليل المنقول . المعقول على صحة هذا القول الخ
 ٢٤٨ القول الثانى فى معنى هذه الزيادة ما روى عن ابي طالب الخ
 ٠٠٠ القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسب والزيادة الضعف الخ

٢٠٠ قول العزيم بن عيسى - ج ١ - ح ١

٢٥١ تفسير قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) الآية

٢٥٣ تفسير قوله عز وجل (قل لله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق احق) الآية

٢٥٦ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به وهم من لا يؤمن به وربنا عبدالمفسدين) الآية

٢٦٣ تفسير قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لمن الصدور) الآية

٢٦٦ تفسير قوله عز وجل (أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية

٢٦٨ بيان اختلاف العلماء فيمن ينسحق عبد لاسم الح

٢٦٨ تفسير قوله عز وجل (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) الآية

وبين معنى البشرى بين سفي والغن على وجه التصيل

٢٧٢ تفسير قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ نوح) الآية

٢٧٥ تفسير قوله عز وجل (ثم آتينا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) الآية

٢٧٨ تفسير قوله عز وجل (واوحينا الى موسى واخيه ان تروا القوم كما تبصر سيوتنا) الآية

٢٨١ تفسير قوله عز وجل (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبهم فرعون وجنوده) الآية

٢٨٢ تفسير قوله عز وجل (الآن وقد عصيت قبل وقد كنت من المفسدين) الآية

٢٨٣ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما غرق القفرعون قال آمنت الحديث

﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر ﴾

﴿ مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح ﴾

﴿ فصل : ووجه اشكاله ، عترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ﴾

٢٨٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد يوأنا بنى اسرائيل مبوا صدق) الآية

٢٨٩ تفسير قوله عز وجل (فولوا كانت قرية آمنت فنقمها ايمانها الا قوم يونس) الآية

٢٩٠ ﴿ ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود ﴾

﴿ وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم ﴾

٢٩٥ تفسير قوله عز وجل (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الآية

٢٩٦ ﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾

٣٠٢ ﴿ الجزء الثاني عشر ﴾

٣٠٣ عن عمران بن حصين قال دخلت على ابي صلى الله عليه وسلم وعقلت ففتى الخ

٣٠٤ عن ابن رزق العنقل قال مات بارسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خاتمه الخ

٣٠٤ عن عبد بن عمرو بن ابي سفيان كذب مذبذب الخ

٣٠٩ تفسير قوله عز وجل (من كان يريد الحيوة الدنيا فليؤن بها نوف اليهم اعمالهم فيها) الآية

٣١٠ عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغني حديث

٣١٠ عن ابن عمر من تعلم علمي بعدت الله اوزادته غير الله الحديث

٣١٠ عن ابي هريرة من تعلم علمي بعدت الله اوزادته غير الله الحديث

- ٣١١ عن أبي هريرة لم يذوقوا باقعة من جب الحزن الحديث
 ٠٠٠ قال الباقون وروى ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاضمر الحديث
- ٣١٣ تفسير قوله عز وجل (ومن اظلم ممن اقترى على الله كذبا) الآية
 ٣١٤ عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يملوف بالبيت الح
- ٣١٥ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم) الآية
 ٣١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) الآية
- ٣١٩ فصل
- استدل بعضهم بهذه الآية بين (ولا اعلم النبي ولا قول ابي ملك) على تفضيل
 الملائكة على الانبياء الح
- ٣٣١ فصل
- وذا استدعا هذه الآية يعني (فلا استلن مالمس لك به علم) من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان
 قوله (ان لم يصح) المراد منه السؤال وهو محذور فلماذا نهاه عنه الح
- ٣٣٣ تفسير قوله عز وجل (والى ناد اخاهم هوذا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٤٣٧ تفسير قوله عز وجل (والى قوم اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) الآية
 ٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطاسى بهم وضاق بهم ذرعا) الآية
 ٣٥٠ تفسير قوله عز وجل (والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم) الآية
 ٣٥٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين) الآية
 ٣٦٢ تفسير قوله عز وجل (فاما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية
- ﴿ في إعادة اماريت فليراجع ﴾
- ٣٦٦ تفسير قوله عز وجل (فاستم كما امرت) الآية
 ٣٦٧ عن سفيان بن عبدالله الثقفى قلت يا رسول الله قل لي فى الاسلام قول الخ
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان الذين يبرون ينادون ابا هريرة احدا الحديث
- ٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (واقم الصلوة طرقي النهار) الآية
 ٠٠٠ عن عبدالله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة فبلة
 ٠٠٠ عن معاذ بن جبل قال اى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارأيت رجلا الخ
 ٣٦٩ عن ابي هريرة الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ارأيت لو ان نهر اصاب احدكم يمتسل فيه كل يوم خمس مرات الحديث
 ٠٠٠ عن جابر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عمر الحديث
- ٣٧١ تفسير قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجلل الناس امة واحدة) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة فترق اليهود على احدى وسبعين فرقة الحديث
 ٠٠٠ عن معاوية الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افتروا الحديث
- ٣٧٢ تفسير قوله عز وجل (وتمت كلمة ربك لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) الآية
- ٣٧٤ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام
- ٣٧٧ تفسير قوله عز وجل (قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك) الآية

- ٣٧٨ عن ابي قتادة قال كنت اري الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخ
 ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدري اذا رأى احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله الحديث
 ٠٠٠ عن جابر اذا رأى احدكم الرؤيا يكرها فليصدق الحديث
 ٠٠٠ عن ابي رزين القيلي رؤيا المؤمن جزء من اربعين الحديث
- ٣٨٤ - ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام -
- ٣٨٨ تفسير قوله عز وجل (وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه) الآية
 ٣٩٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) الآية
 والكلام عليها في مقامين * الاول في ذكر اقوال التفسيرين في هذه الآية
 ٣٩٤ المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرديئة الخ
 ٤٠٠ تفسير قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) الآية
 ٤٠٥ تفسير قوله عز وجل (ودخل معه السجن قتيان ظالماتهما) الآية
 ٤١١ تفسير قوله عز وجل (فلبث في السجن بضع سنين) الآية
- ٤٢٠ - الجزء الثالث عشر -
- ٤٢١ تفسير قوله عز وجل (وقال الملك اشوفى به استخامه لنفسى) الآية
 ٤٣١ تفسير قوله عز وجل (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق
 ٠٠٠ عن ابن عباس العين حق ولو كان شيء سابق القدر الحديث
 ٠٠٠ عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيؤتم مسلسل الحديث
- ٤٣٣ تفسير قوله عز وجل (ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه) الآية
 ٤٣٩ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا) الآية
 ٤٤٧ تفسير قوله عز وجل (يا بنى اذهبوا فكم مسوا من يوسف واخيه) الآية
 ٤٥٣ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا ظالمين) الآية
 ٤٦١ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) الآية
- ٤٦٥ - تفسير سورة الرعد -
- ٤٧٣ تفسير قوله عز وجل (سواء منكم من اسر القول) ومن جهريد ومن هو مستخف بالليل) الآية
 ٤٧٤ عن ابي هريرة يتمايون فكم ملائكة بالليل وملائكة النهار الحديث
 ٤٧٥ تفسير قوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) الآية
- ٤٨١ - فصل -
- وهذه السجدة من عزائم سجود اللادة الخ
 ٤٨٣ عن ابي موسى الاشعري ان مثل ما يثني الله به من الهدى والعلم الحديث
 ٤٨٦ تفسير قوله عز وجل (للذين استجابوا لرحم الحسى والدين لم يستجيبوا لله) الآية
 ٤٨٧ تفسير قوله عز وجل الذين يوفون بعهدهم الله ولا يفتنون ايشاق) الآية
- ٠٠٠ الاول : عن عبد الرحمن بن عوف قال تبارك وتعالى اما الله وانا الرحمن الحديث

- ٥٠٠ الثاني: عن عائشة الرحم مطلة بالمرحى تقول من وصلني وصله الله الحديث
- ٥٠٠ الثالث: عن أبي هريرة من سرمان يبسط في رزقه وان ينسأه في اثره الحديث
- ٥٠٠ الرابع: عن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة طامع
- ٥٠٠ الخامس: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليس الواصل بالمكافى الحديث
- ٥٠٠ السادس: عن أبي هريرة تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم الحديث
- ٤٨٩ تفسير قوله عز وجل (ويدروون بالحسنة السيئة) الآية
- ﴿ وفي حديث فليرا مع ﴾
- ٤٩٢ تفسير قوله عز وجل (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) الآية
- ﴿ وفي عدة اماريت فليرا مع ﴾
- ٥٠٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية) الآية
- ٥٠١ عن حذيفة بن اسد اذا امر بالطفة ثمان واربعون ليلة الحديث
- ٥٠٢ عن ابن مسعود ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اظفار اربعين يوماً الحديث
- ٥٠٣ عن ابي الدرداء ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل الحديث
- ٥٠٣ ﴿ فصل ﴾
- ٥٠٤ اسمت الرافضة على مذهبهم في النداء بهذه الآية يعني (معوا لله ما يشاء) الآية
- ٥٠٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص اذا قل لا يبصص النمام انزاعاً الحديث
- ٥٠٦ ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾
- ٥٠٨ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من رسول الا باسان قومه) الآية
- ٥١٥ تفسير قوله عز وجل (وقال الذين كفروا لرساهم لنخرجنكم من ارضنا) الآية
- ٥٢٠ ته. يرقوله عز وجل (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعمدكم وعد الحق) الآية
- ٥٢٢ ته. يرقوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) الآية
- ٥٢٢ عن ابن عمر كما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احبروني عن شجرة الخ
- ٥٢٤ تفسير قوله عز وجل (يبيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) الآية
- ﴿ وفي عدة اماريت ﴾
- ٥٢٥ الاول: عن اس عازب ان المسلم اذا سئل في العير شهده الحديث
- ٥٢٦ الثاني: عن اس ان العمد اذا وسع في فيه رتول عنه الحديث
- ٥٢٦ الثالث: عن ابي هريرة اذا مر بالمس اقامه ملكان الحديث
- ٥٢٦ الرابع: عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حازه رجل من الاوصار الخ
- ٥٢٧ الخامس: عن ثمان بن عمار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرع من دفن الميت الخ
- ٥٢٧ السادس: عن عدا الرحمن بن نمامه قال حصرنا عمرو بن العاص وهو في ساق الموت الخ
- ٥٢٧ تفسير قوله عز وجل (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) الآية
- ٥٢٨ تفسير قوله عز وجل (قل لعبادي الذين آمنوا بقموا الصلوة وينفقوا ما
- رزقناهم) الآية
- ٥٣٠ تفسير قوله عز وجل (وان آمنوا نعمت الله لا تحسوها ان الانسان لظلم
- كفار) الآية

- ٥٣٢ تفسير قوله عز وجل (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) الآية
- ٥٣٣ عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المطق من قبل ام اسمعيل الخ
- ٥٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الله خافلا عما يعمل الظالمون) الآية
- ٥٤١ تفسير قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) الآية
- ﴿ فيه بحث فى معنى هذا التبديل ﴾
- ٥٤٣ تفسير قوله عز وجل (وترى الجرمين يومئذ مقرنين فى الاسفاد) الآية
- ٥٤٦ ﴿ الجزء الرابع عشر ﴾
- ﴿ تفسير سورة الحجر ﴾
- ٥٤٩ تفسير قوله عز وجل (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) الآية
- ٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) الآية
- ٥٥٢ تفسير قوله عز وجل (ولقد جمنا فى السماء بروحاً وزبناها للناظرين) الآية
- ٥٥٣ عن ابى هريره اذا قضى الله الامر فى السماء صربت الملائكة باجحتها الحديث
- ... ﴿ فصل ﴾ ...
- ٥٥٥ اخلف العلماء هل كان الكاظمين نرى بالنعوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ٥٥٥ تفسير قوله عز وجل (والارض مددناها واوقينا فيها رواسى) الآية
- ٥٥٧ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عسف الخ قال اللهم انى اسألك الحديث
- ٥٥٨ تفسير قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الآية
- ٥٥٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد خاقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الآية
- ٥٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) الآية
- ٥٦٥ تفسير قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات وعيون) الآية
- ٥٦٦ تفسير قوله عز وجل (نبى عبادى انى انا القفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) الآية
- ... عن ابى هريره سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وسالى خلق الرحمه يوم خلقها الحديث
- ٥٧٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا) الآية
- ٥٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) الآية
- وبيان اقوال الصحابه فى المثانى وسرد دللهم على وجه العصيل
- ٥٧٦ تفسير قوله عز وجل (لا تمدن عينيك الى ما متناهى ازواجاً منهم) الآية
- ... عن ابى هريره لاسبطن فاحرا بنعمه مالك لا تدرى ما هو لاق الحديث
- ... عن ابى هريره اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فليظر الى اسفل منه
- ٥٧٨ تفسير قوله عز وجل (الذين جعلوا القرآن عضين) الآية

- ٥٧٩ تفسير قوله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واحرض عن المشركين) الآية
- ٥٨١ ﴿ تفسير سورة النحل ﴾
- ٥٨٥ تفسير قوله عز وجل (وانخيل والبنال والحير لتركبوها) الآية
- ﴿ فصل ﴾
- احضج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل الخ
- ٥٨٩ تفسير قوله عز وجل (وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحططرابا) الآية
- ٥٩١ تفسير قوله عز وجل (أفن يخلق كمن لا يخلق) الآية
- ٥٩٢ تفسير قوله عز وجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الآية
- ٥٩٣ تفسير قوله عز وجل (اللهم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) الآية
- ٥٩٤ عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر الحديث
- ٥٩٥ عن أبي هريرة من دما الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه الحديث
- ٥٩٧ تفسير قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) الآية
- ٦٠٣ تفسير قوله عز وجل (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) الآية
- ٦٠٥ تفسير قوله عز وجل (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) الآية
- ٦٠٩ ﴿ فصل ﴾
- وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن الخ
- ٦١٢ تفسير قوله عز وجل (واذا بشر احدكم بالاثى ظل وجهه) الآية
- ٦١٣ تفسير قوله عز وجل (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها) الآية
- ٦١٤ تفسير قوله عز وجل (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) الآية
- ٦١٧ تفسير قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكر او رزقا حسنا) الآية
- ٦١٨ تفسير قوله عز وجل (واوحى ربك الى النخل) الآية
- ٦٢٠ تفسير قوله عز وجل (فيه شفاء للناس) الآية
- وبيان اخلاف العلماء في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص الخ
- ٦٢٢ تفسير قوله عز وجل (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارض العمر) الآية
- ٠٠٠ عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعود بك من العجز والكسل الحديث
- ٦٢٣ تفسير قوله عز وجل (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) الآية
- ٦٢٥ تفسير قوله عز وجل (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منارزقا حسنا) الآية
- ٦٢٧ تفسير قوله عز وجل (والله اخرجكم من بطون امماتكم لاتهمون شيا) الآية
- ٦٣١ تفسير قوله عز وجل (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) الآية
- ٦٣٤ تفسير قوله عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاءذى القربى) الآية
- ٦٣٥ تفسير قوله عز وجل (واوفوا بعهدهم اذا طاهدتم) الآية

- ٦٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تأخذوا إيمانكم دخلاً بينكم فتؤذونهم بعد ثبوتها) الآية
- ٦٣٨ تفسير قوله عز وجل (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية
- ٦٣٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الآية
- ٠٠٠ من جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل صلاة الخ
- ٦٤٣ تفسير قوله عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية
- ٦٤٤ **فصل في حكم الآية**
- ٦٤٦ تفسير قوله عز وجل (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا) الآية
- ٦٤٧ تفسير قوله عز وجل (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) الآية
- ٠٠ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة الخ
- ٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) الآية
- ٦٥٤ تفسير قوله عز وجل (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) الآية
- ٦٥٦ تفسير قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية
- ٥٦٧ تفسير قوله عز وجل (وان ما قبلتم فما قبلوا بتل ما عوقبتم به) الآية
- ٦٥٨ **فصل**
- اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا الخ

معارف نظارت جليد-نك (٢٥٣) و (٦٣٣) نور و ليني ماری

رضعتنا سيد مطبعة عامر ده

طبع اول نشر

الاسم بقصرنا آخر الناصرين

سورة الانفال مدنية وآياتها تسعة وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يستأنف عن الانفال في أي العام بين حكمها وانما حبت العيلة فلا يحد من الله وفصل كما هي في ما شرطه الامام بقصرنا بقوله في قوله على

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزات مكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا ذكرتك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزات بالمدينة وان كانت الوافة بمكة وهي خمس وسبعون آية وأربع وخمسة وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى يستأنف عن الانفال (ق) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزات في بدر واختلت أهل التفسير وسبب نزوها اقول ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا وكذا فبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جازا يطلون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الا شئخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأروا به علينا فانا كنا نردكم لو انكفتم انكفتم التنازعوا فانزل الله عز وجل يستأنف عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمر والانصارى أخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت أن من قتل قتيلا

سورة الانفال

مدنية وهي خمس

أوسب

وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يستأنف عن الانفال

في أي العام

بين حكمها

وانما حبت العيلة

فلا يحد من الله

وفصل كما هي

في ما شرطه الامام

بقصرنا بقوله

في قوله على

(قوله) في قوله تعالى يستأنف عن الانفال يقول بسألك أصحابك العام يوم بدر وعن صلة

يدرو في قسمتها فسألو رسول { الجزء التاسع } الله كيف ﴿ ٤ ﴾ تقسم ولين الحكم في قسمتها للمهاجرين أم

﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما أمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غنائه ان ينقله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سببين وامروا سببين ثم طردوا فقامهم وكان المال قليلا فنقل الشيوخ والوجوه الذين كانوا عبد الرايات كنا رعاكم ودية تهازون اليها فبزت تقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يبا وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قل لما كان يوم بدر قل اخي عير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فانت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبرض فطرحته وبى ما لا يملكه الا الله من قل اخي واخذ سابي فاجاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأثنى السيف ولبس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذوه وقرئ يستلونك عنقال بمحذف الهمزة والهاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها . ويستلونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم ﴿ فاتقوا الله ﴾ فى الاختلاف والمشاجرة ﴿ واصطخوا ذات بينكم ﴾ الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله

وسلم يصع فيه ما شاء ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاء واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس فى قوله واعلموا ان ما عنتم من شئ فان الله نجسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخه من وجه وذلك بالغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا فى شرائع ابيائهم فاباحها الله لهذه الامم هذه الآية وجماعها ناسخة من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيدانها محكمة وهى احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا التول هل الانفال لله والرسول نضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها فى قوله واعلموا ان ما عنتم من شئ فان الله نجسه وللرسول الآية وصح من حدث ابن عمر قال بسنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فغنما ابلا فاصاب كل واحد منا لى عشر بعبرا ونقما بعبير اعبير أخرجاه فى الصحبين فلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن ينقل من شاء من الجيش مائة فى التخميس ﴿ فاتقوا الله ﴾ بمعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واركوا المازعة والحاصية فى الغنائم ﴿ واصطخوا ذات بينكم ﴾ أى اصطخوا الحال فى ما بينكم بترك المازعة والمخالفة وبسليم أمر الغنائم الى الله رسول

للالنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم بها خاصة بحكم فيها ما شاء ايس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله بأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مقوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) فى الاختلاف والنخاصم وكونوا آخين فى الله (واصلخوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصاكم والبين الوصل أى قاتنوا الله وكونوا محتتمين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فىنا يا محمد أصحاب بدر حين اختلفنا فى القل وساءت فيه أخلاقنا فترعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المسلمين على

(قل) يا محمد لهم (الانفال لله والرسول) الغنائم يوم بدر لله وللرسول ليس لكم فدهش وقال الله وأمر الرسول فيه حائز (واطيعوا) (فاتقوا الله) فى أخذ الغنائم (واصطخوا ذات بينكم) ما بينكم من المخالفة قليلا التى الى الفقير والفوى الى الضمير والنار

وتسلم امره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾
 فان الايمان يقتضى ذلك أو ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة
 الاوامر والالتقاء عن الماصى واصلاح ذات اليبين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾
 أى الكاملون فى الايمان ﴿الذين اذا ذكروا الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره
 استغماما له وتبها من جلاله وقيل هو الرجل يهيم بمصيبة فيقال له اتق الله فيتزع
 عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفقرت أى خافت ﴿واذا
 تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين
 بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص
 ﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيما يامر انكم به ونهى انكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ معنى ان كنتم
 مصدقين بوعد الله ووعيده ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكروا الله
 وجلت قلوبهم﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآبة المتقدمة
 ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين هذه الآبة المتقدمة
 المؤمنى وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولقطة انما تعيد الحصر والمعنى
 ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين
 اذا ذكروا الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقل اذا خوفوا الله
 انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو
 خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله
 عز وجل فمخافته أسد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وحل
 قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآبة
 وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع
 بينهما فات لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان
 يكون من لمح اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف
 والركاء وقد جمعا فى آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين
 يخشون ربهم ثم تلتين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من
 خوف عقاب الله ثم تلتين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورحاء نوابه وهذا حاصل
 فى قاب المؤمنين ﴿ثم قال تعالى﴾ ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ معنى واذا
 قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم سئ
 من عند الله آمنوا به فزادوا بذاك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان زيادة
 التصديق وذلك على وجهين * الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على
 ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكبر وأقوى كان ايمانه أزيد لان
 عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين مكون معرفته بالله
 اقوى فزاد ايمانه * الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله

السواء (واطيعوا الله
 ورسوله) فيما أمرتم به
 فى التناهى وغيرها (ان
 كنتم مؤمنين) كمالى
 الايمان (انما المؤمنون)
 انما الكاملون فى الايمان
 (الذين اذا ذكروا الله وجلت
 قلوبهم) فزعت لذكره
 استغماما له وتبها من
 جلاله وعزه وسلطانه (واذا
 تليت عليهم آياته) أى
 القرآن (زادتهم ايمانا)
 اذدادوا بايقينا وطمأينة
 لان نظاهر الادلة أقوى
 الى الشيخ (واطيعوا الله
 ورسوله) فى أمر الصلح
 (ان كنتم) اذ كنتم
 (مؤمنين) بالله والرسول
 (انما المؤمنون الذين اذا
 ذكروا الله) اذا أمروا بالصلح
 من قبل الله مثل أمر الصلح
 وغيره (وجات) خافت
 (قلوبهم واذا تليت)
 قرئت (عليهم آياته)
 فى الصلح (زادتهم ايمانا)
 يقينا بقول الله ويقال صدقا

للمدلول عليه وأثبت تقدمه (الجزء التاسع) أوزادتهم إيماناً ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ تلك الآيات لانهم لم يؤمنوا

بالمصية بناء على ان العمل بداخل فيه ﴿﴾ وعلى ربهم يتوكلون ﴿﴾ يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الاياه ﴿﴾ الذين يقومون الصلوة وعمار زقاهم يخفون اولئك هم المؤمنون حقا ﴿﴾

ولما كانت الكايف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكنا مجرد تكليف صدقوا به فبزيادة ذلك الافرار تصدياً وابعاء ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيتين كان اكر من بمسده في شئ واحد بقوله تعالى واذا نجايت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة او باقرار جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في ايمانهم واخذت الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق التام قالوا لا يقبل الزيادة لاجاع أهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتناء بالسلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والافرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فتدائل على ذلك بهذا الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا مسح في ان الايمان يقبل الزيادة وان كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد دل القصة الوجه الثاني انه ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان تلك الأوصاف داخلة في معنى الأيمان وروى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اطمائة الأذى عن الطريق والحياة متعبة من الايمان أخرجا في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان يبدأ على وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكان له حجة ان للايمان زيادة ونقصا فدل عليه فما ياتد قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغمانا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد بن عدي ان للايمان فراغاً ونقصاً وجملاً وحدوداً وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله سبحانه وتعالى ﴿﴾ وعلى ربهم يتوكلون ﴿﴾ معناه يفوضون جمع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواء واثم ان المؤمن اذا كان واتقاً بوعده الله ووعده كل من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبطة شريفة لان الانسان يصبر بحيث لا يبقى له اعتماد في شئ من أموره الا الى الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث أعنى الوجع عند ذكر الله وزيادة الايمان عند الاوالة القرآنة والتوكل على الله من أعمال القلوب ﴿﴾ ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى ﴿﴾ الذين يقومون الصلوة وعمار زقاهم ينفقون ﴿﴾ يعني يقومون الصلوة المفروضة بحدودها وأركانها وأوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيدو ويدخل في الدققة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والتقربات ﴿﴾ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿﴾ أولئك ﴿﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿﴾ هم المؤمنون حقا ﴿﴾ يعني قسالاتك في اعنائهم قال ابن عباس رضي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ابن عباس رضي عنهما قال قال ابن عباس رضي عنهما قال قال ابن عباس رضي عنهما قال قال ابن عباس رضي عنهما قال

باحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يتوكلون (يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الاياه) الذين يقومون الصلوة وعمار زقاهم ينفقون (بين أعمال القلوب من الوجع والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلوة والصدقة) أولئك هم المؤمنون حقا (هو صفة لمصدر مخدوف أي أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا وهو مصدر مؤكدة للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله المؤمن أنت قال ان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألني عن قواها ما أنا المؤمنون الا بقلبي لا أرى أماناً من أم لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا

ويقال تكررا (وعلى ربهم يتوكلون) لاعل القنائم (الذين يقومون الصلوة) يقومون الصلوات الخس بوضوحها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها (وعمار زقاهم) أعطيناهم من الاموال

(ينفقون) (يتصدقون في إعانتهم) قال الثوري زكاة أموالهم (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقاتنا (قناعة)

والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا **لهم** درجات عند ربهم ﴿ كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿ ومغفرة ﴿ لمسافرط منهم ﴿ وورزق كريم ﴿ أعد لهم في الجنة لا ينقطع صدده ولا ينهي أمده ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴿ خبر مبتدأ محذوف

سألني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فقلت ادري انهم أم لا وقال عاتمة كنا في سفر فلقبنا قوم قتلنا من الغوم قتالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما ردتم عليهم قلنا لم ترد عليهم شيئا قال هلا قاتم لهم أمن أهل الجنة أتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عبد الله ثم لم يسهده في الجنة فقد آمن نصف الآية دون النصف الآخر الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وأنا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له الايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم اصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز أن يقول أما متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان ينوقم حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بذلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أنوا بذلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر أحد ان أنى بذلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أنى بذلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والى ما علم عماده وأسرار كراهه * قوله عز وجل ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾؛ يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع ان أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضرا الفرس المضمهر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الزمذمي * وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجرة وا في احديةن لو سعنهم مائة مرة مرة ﴿ يعني لهم مغفرة لذنوبهم ﴿ وورزق كريم ﴿ يعني ما أعد لهم في الجنة ودية كونه كريلا الار مذاقة حاصلة لهم دائمة عابهم ممترونة بالاكرام راتك لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ اخذوا في الجباب

تستثنى (لهم درجات)
مراتب بعضها فوق بعض
على قدر الاعمال (عند ربهم
ومغفرة) وتجاوز لسياتهم
(ورزق كريم) صاف
عن كد لاكتساب وخوف
الحساب الكاف في (كما
أخرجك ربك) في محل
التعصب على الصفة مصدر
الفعل المقدر والتقدير
قل الاتفال استغرت لله
والرسول وثبت مع
كراهتهم نباتا مثل نبات
اخراج ربك اياك من بيتك
وهم كارهون (من بيتك)
يريد بيته بالمدينة والمدينة
نفسها لانها مهاجرة ومسكنه
فهي في اختصاصها
كاختصاص البيت لسكانه
(بالحق) اخرا حاما لئلا

(لهم درجات)
فضائل (عند ربهم)
في الآخرة (ومغفرة)
لذنوب في الدنيا (ورزق
كريم) نواب حسن
في الجنة (كما أخرجك
ربك) امض يا محمد على
ما أخرجك ربك (من
بيتك) من المدينة
(بالحق) بالقرآن ويتال

بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أي أخرجك في حاك كراحتهم وذلك ان صير قريش
 أقبلت من الشام فيما تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه
 فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو
 التفير في المثل السائر لافي العير ولا في التفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت قابي وسار بمن معه الى بدر
 وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدي
 الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار ﴿ ٩ ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم (سورة الانفال) عليه وسلم أصحابه وقال

العير أحب اليكم أم التفير
 قالوا بل العير أحب الينا
 من لقاء العدو فتغير وجه
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم ردد عليهم فقال
 ان العير قدمت على ساحل
 البحر وهذا أبو جهل قد
 أقبل فقالوا يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو
 فقام عند غضب النبي
 صلى الله عليه وسلم أبو بكر
 وعمر رضي الله عنهما
 فاحسنا ثم قام سعد بن عباد
 فقال انظر أمرك فامض
 فوالله لو سرت الى عدن
 ابن ما تخلف عنك رجل
 من الابصار ثم قال المقداد
 ابن عمرو امض لأمرك الله
 فانامك حيث أحببت
 لانقول لك كما قال بنو
 اسرائيل لموسى اذهب
 أنت وربك فقاتلا إنا ههنا

تقديره هذه الحال في كراحتهم ايها كحال اخراجك للهرب في كراحتهم له أو صفة
 مصدر الفعل المقدر في قوله الله والرسول أي الاغال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه
 وسلم مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها
 مهاجرة ومسكنه أو بيته فيها مع كراحتهم ﴿ ٩ ﴾ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴿ ٩ ﴾
 في موقع الحال أي اخرجك في حال كراحتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام

لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال الله والرسول وان كرهوا كما
 أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال
 وان كرهوا كما مضت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون
 وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحو اذات بينكم فان ذلك خير لكم كان اخراج محمد صلى
 الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى
 قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق
 حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر
 وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق
 منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على
 الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره
 والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى
 اذ تقديره واذا ذكر يا محمد اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج
 الخروج من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو
 خروجه من المدينة الى بدر ومضاه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة
 بالحق يعني بالوحي لطلب المتركين ﴿ ٩ ﴾ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴿ ٩ ﴾
 يعني للقتال وانما كرهوه قلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم

قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما (قا و خا ٢ لث) مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي يمك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
 معك ما تخلف منا رجل واحد فسرنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
 أبشروا فان الله وعدني احدي الطائفتين وانه لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
 وان فريقاً من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أو منصور رجه الله يحتمل أنهم مناققون كرهوا ذلك اعتقاداً ويحتمل أن يكونوا
 مخلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له

بالحرب (وأن فريقاً) طائفة (من المؤمنين لكارهون) للقتال

وفيهما تجارة عظيمة ومنها اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمر وبن العاص ومخرمة ابن نوفل وعمر بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاجبهم تلقيا لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة يا اهل مكة انجاء انجاء هل كل صعب وذلول غيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تظفروا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث مائة بنت عبدالمطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ حضرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقتل ما ترضى رجالهم ان يتبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دقران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما المير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للمير فرد عليهم وقال ان المير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالمير ودع العدو فنضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضوا الله تعالى عنهما وقالوا فاحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانامك حيث ما احببت لانا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين ياموه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالمير فداه عباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعده احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ في ايسارك الجهاد باظهار

﴿ يجادلونك في الحق ﴾ وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا اننا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما اخرجنا لطلب المير فذلك جدالهم

(يجادلونك في الحق) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى التغير لا يبارهم عليه تلقى العير (يجادلونك) يخاصمونك (في الحق) في الحرب

الحق لا يثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ما تبين ﴾ انهم ينصرون انما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأننا يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسيلبه وكان ذلك لقلبة عددهم وعدم تأهيم اذروى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الافارسان وفيه اعاء الى ان يجادلهم انما كانت لفرط فزعهم وورعهم ﴿ واذ يدعكم الله احدى الطائفتين ﴾ على اخمار اذكر واحدى تانى مفعولى يدكم وقد ابدل منها ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتمال

﴿ بعد ما تبين ﴾ يعنى تبين لهم انك لا تصنع شيأ الا بإمر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد ﴿ كأننا يساقون الى الموت ﴾ يعنى لشدة كراحتهم القتال ﴿ وهم ينظرون ﴾ يعنى الى الموت شبه حالهم فى فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ يدعكم الله احدى الطائفتين ﴿ يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النضير ﴿ انها لكم ﴾ يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومجد بن اسحق والسدى اقبل أبوسفيان ابن حرب من الشام فى عير قريش فى أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعهم تجارة كبيرة وهى الطييمة يريد بالطييمة الجبال التى تحمل المطر والنزغير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبی صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخصم بعضهم وقتل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبوسفيان بعسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأسرته أن يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سرىا الى مكة وكانت مائة بنت عبدالمطلب قد رأته رؤيا قبل قدوم ضمضم مائة وثلاثمائة أيام أفزعها فبعثت الى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعنى وخشيت أن يدخل على قومك منها سر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابق بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاودخلها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فطيمة فاكتمها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا مائة وثلاثمائة واستكتمها ايها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحددت به قريش بمكة قال العباس فصدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدون

(بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلاقت لنا لئستمد وذلك لكراحتهم القتال (كأننا يساقون الى الموت) وهم ينظرون (شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يمتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها و قيل كان خوفهم لقلبة العدو وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الافارسان (واذ يدعكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذكروا احدى مفعول ثان (انها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنضير والتقدير واذ يدعكم الله أن احدى الطائفتين لكم

(بعد ما تبين) لهم انك لا تصنع ولا تأمر الا ما أمرك ربك (كأننا يساقون الى الموت) وهم ينظرون (اليه) واذ يدعكم الله احدى الطائفتين (الفتيين الصير أو السكر) انها لكم (غنيمة)

برؤيا طائفة فعدوت اطوف فلما رأى أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جاست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التي رأيت طائفة قلت وما رأيت قال يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم لقد زعمت طائفة في رؤياها أنه قال انظروا في ثلاث فستربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قلت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم أكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني سمعت ذلك وأنكرت أن تكون طائفة رأيت شيئا ثم تقرقنا فلما أمسبت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب الا أتتني فقلن أقررت لهذا الفاسق الحديث أن يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانتم تسمع ولم يكن عندك غير ذلك مما سمعت قال قلت قد والله فعات ما كان مني اليه من شيء وايم الله لا تعرضن له فان مادلا كفيكته قل فعدوت في اليوم الثالث من رؤيا طائفة وانا حديد مفضب أرى اني قد فاتني شيء أحب أن أدركه منه قل فدخات المسجد فرأيت فوالله اني لا امر نحوه أمره ليعودوا. ض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديدا الوجه حديدا اللسان حديدا النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقات في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقامني ان أشاتم قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقف على بيده وقد جددع بعيره وحول رحله وشدق قيصه وهو يقول يا معشر قريش الاطيمة الاطيمة هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها القوث القوث قال فشقني عنه وشغله عنى ما جاء من الامراء قال فجهز الناس سراطا ولم تخاف من أشراف قريش أحدا الا أن ابالهب قد تخلف وبث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبدمناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان نأبونا من خلفنا فكاد ذلك ان ينهم قبيدي لهم ابابس في صورة سرافة بن مالك بن جهنم وكان من أشراف بني بكر فقال أنا جار لكم من ان تأتيتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراطا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليل مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذا قرد فأتاه الخبر عن مسير قريش لينموا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت المبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدهم احدي الطائفتين أنما لكم اما المير واما قريش فكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب المير وحرب الفير فقام أبو بكر فقال وأحسن وفام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فمخن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد

﴿وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربون فارسا ولذلك يمتنونها ويكرهون ملاقة النغير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستارة من واحدة الشوك ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ ان يثبته وويليه ﴿بكلماته﴾ الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالامداده وقرئ بكلمته ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ ويستأصلهم والمصنف انكم تريدون ان تصيوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلام الدين واطهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

يعنى مدينة الحبشة لجادتنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعاه بجير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أي الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عددوا الناس وانهم حين بايوه بالعقبه قالوا يا رسول الله انما آراء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فتمنعك مما تمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنت تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدونا وموثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بشك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انما لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بشك بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاجعلوا في أثر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا ارواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يمدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم يعنى طائفة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النغير ﴿وتودون﴾ أى وتريدون وتمنون مؤان غير ذات الشوكة تكون لكم والمعنى وتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ أى يطهر الحق وويليه ﴿بكلماته﴾ يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بمداته التي سبقت لكم من اطهار الدين واعزازه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى ويستأصلهم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النغير لمددهم وعدتهم أى تمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التي لاسلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله ان يحق الحق) أى يثبته وويليه (بكلماته) أى ياتيه المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبأمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبعاقضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر قاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون القائمه

(وتودون) تمنون (ان غير ذات الشوكه) الشدة والحرب (تكون لكم) غنمية يعنى غنمة العير (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) ان يظهر دينه الاسلام بنصرته وتحقيقه (ويقطع دابر الكافرين) اصل الكافرين وأمرهم

﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ أي فعل ما فعل وليس بشكرير لان الاول ليسان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى جل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ ذلك ﴿ اذ تستغيثون ربكم ﴾ بدل من اذ يدعكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اخبار اذ كر واستغاثتم انهم لما علموا ان لا يحص عن القتال اخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك اغثنا ياغيث المستغيثين • وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض فزال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ﴿ فاستجاب لكم اني ممدكم ﴾ بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول

حتى لا يبقى منهم أحد ﴿ ليحق الحق ﴾ يعنى ليثبت الاسلام ﴿ ويبطل الباطل ﴾ يعنى وينفي الكفر ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ يعنى المشركون وفي الآية سؤالان الاول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعهه ليحق الحق تكرير لما مضاه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدت في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعتزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذي هو الشرك • السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ تستغيثون ربكم ﴿ أي واذكرا محمد اذ تستغيثون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الفوث والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم اعطني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الارض فما زال يهتف بربه ما دايديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فاخذ رداه فالتقاء على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم ﴿ فاستجاب لكم اني ممدكم

وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسرت قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليقيد الاختصاص أي ما فضله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفو وعقده وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذابيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يدعكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتم انهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي ربنا انصرنا على عدوك ياغيث المستغيثين اغثنا وهي طلب الفوث وهو التخلص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (اني ممدكم) بأنى (ليحق الحق) ليظهر دينه الاسلام بمكة (ويبطل الباطل) يهلك الشرك وأهله (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون أن يكون

﴿ بالء من الملائكة مردفين ﴾ متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضاً من اردفته انا اذا جئت بعده
 أو متبعين بعضهم بعضاً المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ فافع
 وهم قلوب مردفين يقع الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
 أو ساقهم ووقرى مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدين بمعنى مترادفين فادغمت
 التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع
 ووقرى بالآف من الملائكة ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين
 المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم واعيانهم
 أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقدروى اخبار تدل عليها ﴿ وما جعله الله ﴾
 أي الامداد ﴿ الا بشرى لكم ﴾ الاشارة لكم بالنصر ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

مدمك فحذف الجار و سبط
 عليه استجاب فنصب محله
 (بالء من الملائكة
 مردفين) مدنى غيره بكسر
 الدال وفتحها فالكسر على
 أنهم أردفوا غيهم والفتح
 على أنه أردف كل ملك
 مدناً آخر يقال ردفه اذا
 تبعه وأردفته اياه اذا تبعته
 (وما جعله الله) أي الامداد
 الذي دل عليه محمدكم
 (الا بشرى) الاشارة لكم
 بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم)
 يعني انكم استنتم وتضرعتم
 لقتلكم فكان الامداد
 بالملائكة بشارة لكم
 بالنصر وتسكيناً منكم
 (بالء من الملائكة مردفين)
 متابعين بالنصرة لكم
 (وما جعله الله) يعني المدد
 (الا بشرى) لكم بالنصرة
 (ولتطمئن به) بالمدد
 (قلوبكم)

بالء من الملائكة مردفين ﴿ فامده الله بالملائكة قال سماك نخدثي ابن عباس قال
 بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة
 بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حينوم اذ نظر الى المشرك امامه خر
 مستلقياً فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك
 أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء
 الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعني
 فاجاب دعاءكم أي مدكم أصله بأنى مدكم أي مرسل اليكم مدداً ورداً لكم بالء من
 الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضاً بمعنى يتبع بعضهم بعضاً روى انه نزل
 جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على
 خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا اذا نابها بين أكتافهم وروى ان النبي
 صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابوبكر ان الله نجزلك ما وعدك خفق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حفقة وهو في العرش ثم اتبه فقال يا أبكر أذاك نصر الله هذا
 جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثنياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عيه أداة الحرب
 يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيم الملائكة يوم بدر عامهم بعض ويوم حنين
 عامهم خضر ولم تقابل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه
 عدداً ومدداً وروى عن أنى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد
 ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذي خرجت
 منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح
 انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فحطم
 انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مدداً وعوناً وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا
 ليكثرُوا سواد المسلمين ويشبثوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما جعله الله الا
 بشرى ﴾ يعني وما جعل الله الارداً بالملائكة الا بشرى ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم والله الملائكة أو وما الله من الملائكة وغيرهم من { الجزء التاسع } الاسباب الامن ﴿ ١٦ ﴾ عند الله والمنصور من نصره

فيقول ما بها من الوحل لقتلكم وذلكم ﴿ وما النصر الا من عند الله أن الله عزيز حكيم ﴾ وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأمير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تأسوا منه بفقدها ﴿ اذ يفشيكم الناس ﴾ بدل ثان من اذ يمدكم لاظهار نعمة تامة أو متعلق بالنصر أو عا في عند الله من معنى القفل أو يحمل أو باضمار اذ كره وقرأ نافع يفشيكم بالتحفيف من اغشيتة الشيء اذا غشيتة اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابوعمر و يفساكم الناس بالرفع ﴿ أمنة ﴾ منه ﴿ أمنة من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يفشيكم الناس متضمن معنى تمسون و يفساكم بمناء والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المثنى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل للناس على الجواز لانها لا صحابه او لانه كان من حقه ان لا يفساهم لشدة الخوف فلما غشيتهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يفساهم كقوله

ياب النوم ان يفسى عيوننا * تهابك فهو نفار شرود

وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما النصر الا من عند الله ﴿ يعنى ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ﴿ أن الله عزيز ﴾ يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يظلمه ظالم بل هو يقهر كل شيء ويظلمه ﴿ حكيم ﴾ يعنى في تدييره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ يفساكم الناس أمنة منه ﴿ أى واذكروا اذ بلى عليكم الناس وهو النوم الخفيف أمنة منه أى أمانة من الله لكم من عدوكم أن يظلمكم قال عبد الله بن مسعود الناس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون الناس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وقلّة المسلمين وقلّة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لم عرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم الناس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول الناس لهذا الجمع النظم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج

واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المدينة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمام بيض قد أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يا أيننا الضرب ولا ترى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لانهم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكرزون السواد ويتبتون المؤمنين والا فلك واحدكاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) ينصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يفساكم) بدل ثان من اذ يمدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذ كره يفشيكم مدنى (الناس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يفساكم الناس مكى وأبو عمرو (امنة) مفعول له أى اذ تمسون أمنة بمعنى

أمن أى لا تمتكم أو مصدر أى فامتم أمنة فالنوم يزج الرعب ويرج النفس (منه) سفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (عن)

وما النصر) بالملائكة (الامن عند الله ان الله عزيز) بالقمة من أعدائه (حكيم) حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والغنمية (اذ يفسىكم الناس) ألقى عليكم النوم (أمنة) لكم (منه) من الله من العدو وهو

(و ينزل) بالتخفيف مكي

وبصري وبالتشديد غيرهم
 (عليكم من السماء ماء) مطرا
 (ليظهركم به) بالماء من
 الحدث والجنابة (وينهب
 عنكم رجز الشيطان)
 وسوسته اليهم وتخوفه
 اليهم من العطش أو
 الجنابة من الاحتلام لانه
 من الشيطان وقد وسوس
 اليهم ان لانصرة مع الجنابة
 (ويربط على قلوبكم)
 بالصبر (ويثبت به الاقدام)
 أي بالماء اذا الاقدام كانت
 تسوخ في الرمل أو بالربط
 لان القلب اذا تمكن فيه
 الصبر يثبت القدم في مواطن
 القتال (اذ يوحى) بدل
 ثالث من اذ يصدكم أو منصوب
 يثبت (ربك الى الملائكة
 أني معكم) بالنصر

منة من الله لكم (وينزل
 عليكم من السماء ماء) مطرا
 (ليظهركم به) بالمطر من
 الاحداث والجنابة
 (وينهب عنكم رجز
 الشيطان) وسوسة
 الشيطان (ويربط على
 قلوبكم) ويحفظ قلوبكم
 بالصبر (ويثبت به) بالمطر
 (الاقدام) على الرمل
 أي يشد الرمل حتى يثبت
 عليه الاقدام (اذ يوحى ربك
 الى الملائكة) ألهم ربك
 ويقال أمر ربك (اني معكم)

وقرى أمنة كرجة وهي لعنة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به ﴾ من الحدث والجنابة
 ﴿ وينهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني الجنابة لانها من تخييلها أو وسوسته وتخوفه أيهم
 من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ما وناموا فاحتمل أكثرهم
 وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
 على الماء وأنتم تصلون محدثين عجيبين وتزعون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
 فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
 الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
 الاقدام وزالت الوسوسة ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم
 ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى
 تثبت في المعركة ﴿ اذ يوحى ربك ﴾ بدل ثالث أو متعلق بثبت ﴿ الى الملائكة اني
 معكم ﴾ في اطاعتهم وتبئتهم وهو مقبول يوحى وقرى بالكسر على ارادة القول

عن العادة فهذا السبب قيل ان ذلك الناس كان في حكم المجزة لانه أمر خارق للعادة
 ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وينزل عليكم من السماء ماء ﴿ يعني المطر ﴾ ليظهركم به ﴿
 وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام
 وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون
 على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان
 وقال تزعون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء
 وأنتم تصلون محدثين وعجيبين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه
 وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب
 وملؤا الاسقية واطفا الفبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
 الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول
 النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به يعني
 من الاحداث والجنابة ﴿ وينهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعني وسوسته التي ألقاها
 في قلوبكم ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر
 على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظه على صلة والمعنى ويربط
 قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظه على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء
 فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها
 ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه
 الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون
 ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ يوحى
 ربك الى الملائكة أني معكم ﴿ يعني ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين أمد
 بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة

أواجرام الوحي مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالباشارة أو بتكثير سوادهم أو بصاربة أعدائهم فيكون قوله ﴿ سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله أتى معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين أما على تبيير الخطاب أو على أن قوله سألتني إلى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قواوا لهم قولي هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ أي أطراف التي هي المذابح أو الرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ أصابع أي حزوا رقابهم

﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أي قواوا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالنسبة كذلك للملاك قوة في القاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملاك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أي يثبوتهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عليهم ﴿ سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعني الحوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث أتى الرعب والحوف في قلوب الكافرين ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف قتال نبي آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لأنها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق ونوق صلوة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الأطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لأن لها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وإنما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف لاجل أن الإنسان نهايقاتل وبها يمكس السلاح في الحرب وقيل أنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أسرف الأعضاء وضرب البنان وهو أضف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الإنسان ويضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لأن البنان يتمكن من مسك السلاح ووجهه والضرب به فإذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبي داود المازني وكان شهيد بدر قال أتى لاتباع رجلا من المشركين لا ضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتلته غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فبقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإسلام قد دخل علينا أهل البيت فأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه وبكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذامال كبير متفرق في قومه وكان عدو الله أبولهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المنيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب

(فثبتوا الذين آمنوا) بالبصري وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم (سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الحوف والرعب شامى وعلى (فاضربوا) أمر المؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فوق الاعناق) أي أطراف الاعناق التي هي المذابح تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لأنها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هي الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب أما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاسرهم أن يجمعوا

معيكم (فثبتوا الذين آمنوا) في الحرب ويقال فبشروا الذين آمنوا بالنصرة (سألتني) سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب الخفاة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فاضربوا فوق الاعناق) رؤسهم (واضربوا منهم كل بنان)

واقطعوا اطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أو الامس به والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل احد من المخاطبين قبل ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاقم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أو وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ﴿ ذلكم ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات وعمله الرفع أي الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أو غيره

عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة وخصم أي جانب وذا في عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل احد وفي ذلكم لا كفرة على طريقة الالتفات وعمله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم) فذوقوه) والواو في

بدر كبتة الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعز اقل أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً عمل القداح وأحتتها في حجرة زمنم فوالله اني لجالس أحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طيب الحجر فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخي فمئذ الحرايقين فجالس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمئذناهم أكتافنا يقتلوننا وأسرورنا كيف شاؤا وایم الله مالت الناس لقينا رجلاً بيضاء على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته فاحتملتني فضرب بي الارض ثم رك على صدرى وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت اليه أم الفضل بعمود من عهد الحجر فضربت به ضربة فلقت رأسه شهية منكورة وقالت تستصفه أن غاب عنده سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسرت العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وأخو بن سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجوعاً وكان العباس رجلاً جسيماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أتاني عليه رجل ما رأيت قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أتاني عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك ﴿ يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبة كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ذلكم ﴿ اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم ﴿ فذوقوه ﴾ يعني ما حاق في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة

مفصل (ذلك) القتال لهم (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) في الدين (ومن يشاقق الله) يخالف الله (ورسوله) في الدين (فان الله شديد العقاب) اذا عاقب (ذلكم) العذاب لكم (فذوقوه) في الدنيا

(وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير
(بأيها الذين آمنوا إذا { الجزء التاسع } لقيم الذين كفروا ﴿ ٢٠ ﴾ زحفا) حال من الذين كفروا

مثل باثروا أو عليكم تكون الفاء ماطفة ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما آجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما = وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقدمه قليلا قليلا سمى به وجع على زحوف وانتصابه على الحال ﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾ بالانهزام فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والظاهر أنها محكمة مخصوصة بقوله حررض المؤمنين على القتال الآية ويجوز أن ينصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول أي إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون أشعرا عما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ﴾ يريد الكفر بعد القرو تقرير العدو فانه من مكابد الحرب ﴿ أو متحيزا إلى فئة ﴾ أو منحازا إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا إلى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فتكم وانتصاب متحرفا و متحيزا على الحال والالتفوعا لعل له أو الاستثناء من المولين أي الأرجلا متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفعل لا متفعل والالكان متعوزا لانه من حاز يجوز ﴿ فقد باء بغضب من الله

والزحف الجيشي الذي يرى لكثرتهم كأنه يزحف أي يدب ديبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر (فلا تولوهم الأدبار) فلا تصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تقروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساوهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) وهو الكفر بعد القرو يحيل عدوه انه منهزم ثم يطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فقد باء بغضب من الله

من العذاب وهو قوله ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالمير ليس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض والتزاحف التدانى في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل أن يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها تمشى كل طائفة إلى صاحبها مشيا رويدا وذلك قبل التدانى للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا إلى الشيء ﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾ يعني فلا تولوهم ظهرهم منكم ظهرهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال ﴿ الا متحرفا لقتال ﴾ يعني الانقطاع إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصد طلب الكرة على العدو والسود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخذعها ومكائدها ﴿ قوله عز وجل ﴿ أو متحيزا إلى فئة ﴾ يعني أو منضما وصائرا إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال ﴿ فقد باء بغضب من الله ﴾ يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا

(وأن للكافرين) في الآخرة (عذاب النار) بأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا) يوم بدر (زحفا) متزاحفة (فلا تولوهم) أي فلا تولوهم (الأدبار)

منهزمين (ومن يولهم) يتول عنهم (يومئذ) يوم بدر (دبره) ظهره منهزما (الا متحرفا لقتال) (في) مستطردا للقتال ويقال للكرة (أو متحيزا) أو منحاز (إلى فئة) ينصرونه ويعتونه (فقد باء بغضب من الله) فقد رجع واستوجب

ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿ هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة

في هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتميز الى فئة من المسلمين فقد رجع بنضب من الله ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾

فصل في حكم هذه الآية ﴿ ﴿ ﴿

ومأواه جهنم وبئس المصير) ووزن تمهيز متفعل لامتنعل لانه من حازي بحوز فبناء متفعل منه تمحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا واسروا وكان القتال منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والقاء جواب لشرط محذوف تقديره ان اقتحرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهدت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بينه فانهم موا قبل بسخط من الله (ومأواه) مصيره (جهنم وبئس المصير) صار اليه (فلم تقتلوهم) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بجبرائيل

اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا في أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يميزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا وانحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار تميزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقناة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عق الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم ولتيم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله ابن عمر كنا في جيش بمشاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهم قتلنا يارسول الله نحن الفرارون قال لابل أتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فخاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة أئامنة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى ظهره مبرر لم يدل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن المرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبار الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس تقوم أن يضروا من مثلهم فنسخت بذلك الا في هذه المرة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يضروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المسلمين جاز لهم أن يضروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفرو ومن فر من اثنين فقد فر ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انه لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخرا انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان اقتحرتم بقتلهم

هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فأناه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى الجمعان تناول
كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه
فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر
فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفساء جواب شرط محذوف تقديره ان
اقتحرتهم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت﴾ يا محمد رميا توصله الى
اعينهم ولم تقدر عليه ﴿اذ رميت﴾ أي آتيت بصورة الرمي ﴿ولكن الله رمى﴾
اتي عاهاو غايته الرمي فواصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم

فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال أهل التفسير
والمغازي لما تدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزولوا بدر او وردت
عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد
فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم أين قريش قالاهم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب المنقل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا اندري قال كم
ينحرون كل يوم قالوا يوم مائة ويوم مائة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين
التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وأبو الجحدي بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدى والنضر بن حارث
وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قريش ورآها
رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من المنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادي
فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك
الذي وعدتني فأناه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى
الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم
وقال شامت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفهد ومنخره من
ذلك التراب شي فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكرنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في مينة القوم
وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهزموا فذلك قوله
عز وجل وما رميت اذ رميت لكن الله رمى اذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمى كفا
من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شي فصوره الرمي صدرت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى
صح النبي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله باغ رميك
وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم

(وما رميت) يا محمد
(اذ رميت ولكن الله رمى)
يعني ان الرمية التي رميتها
أنت لم ترمها أنت على الحقيقة
لانك لو رميتها لما بلغ أثرها
الا ما يبلغه أثر رمي البشر
ولكنها كانت رمية الله
حيث أثرت ذلك الأثر
العظيم وفي الآية بيان ان
فصل البعد مضاف اليه
كبا والى الله تعالى خاقا
لا كما تقول الجبرية والمعتزلة
لانها أثبت الفعل من البعد
بقوله اذ رميت ثم نفاء عنه
وأثبت الله تعالى بقوله
ولكن الله رمى ولكن الله
قتلهم واكن الله رمى
بتخفيف لكن شامى وجزء
والملائكة (وما رميت)
ما بلغت التراب الى وجوه
المشركين (اذ رميت ولكن
الله رمى) بلغ

علي (وليلي المؤمنين) ويعطيهم (منه) ﴿٢٣﴾ (بلاء حسنا) ﴿سورة الانفال﴾ عطاه جيلا والمعنى

والاحسان الى المؤمنين
فل ما قبل وما قبل الا لذلك
(ان الله سميع) لدعائهم
(عليم) باحوالهم
(ذلكم) اشارة الى البلاء
الحسن ومجمله الرفع أي
الامر ذلكم (وان الله
موهن كيد الكافرين)
مطوف على ذلكم أي
المراد ابلاء المؤمنين وتوهين
كيد الكافرين موهن كيد
شاي وكوفي غير حفص
موهن كيد حفص موهن
غيرهم (ان تستقوا فقد
جاءكم الفتح) ان تستصروا
فقد جاءكم النصر عليكم
وهو خطاب لاهل مكة
لانهم حين اردوا ان
ينفروا تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم ان
كان محمد على حق فانصره
وان كنا على الحق فانصرنا
وقيل ان تستقوا خطاب
للمؤمنين وان تنهوا
للكافرين أي

(وليلي المؤمنين) ليصنع
بالمؤمنين (منه) من رمى التراب
(بلاء) صنفا (حسنا)
بالنصرة والفتنة (ان الله سميع)
لدعائكم (عليم) بنصرتكم
(ذلكم) النصر والفتنة لكم
(وان الله) بان الله (موهن)
مضعف (كيد الكافرين)
صنيع الكافرين (ان تستقوا)

وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كاله والمقصود منه وقيل مضاه
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصبة ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل
في طعنة طعن بهالبي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات
أورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ ولينم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والفتنة ومشاهدة الآيات ﴿ان الله سميع﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿عليم﴾ بنيتهم
واحوالهم ﴿ذلكم﴾ اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومجمله الرفع أي
المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿وان الله موهن كيد الكافرين﴾ مطوف عليه
أي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير
ونافع وابوعرو وموهن بالتشديد وحفص موهن كيدا بالاضافة والتخفيف ﴿ان تستقوا
فقد جاءكم الفتح﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهل الجنتين واهدى الفتنين واكرم الحزبين

حق انهزموا ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ يعني ولينم على المؤمنين نعمة عظيمة
بالنصر والفتنة والاجر والثواب فقد اجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة
﴿ان الله سميع﴾ يعني لدعائكم ﴿عليم﴾ يعني باحوالكم ﴿ذلكم﴾ يعني
الذي ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فلنا
ذلك الذي فعلنا ﴿وان الله﴾ يعني واعلموا ان الله مع ذلك ﴿موهن﴾ أي مضعف ﴿كيد
الكافرين﴾ يعني مكروهم وكيدهم ﴿قوله عز وجل﴾ ان تستقوا فقد جاءكم الفتح ﴿هذا
خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان
أبا جهل قال يوم بدر لما اتى الجمعان اللهم أينا كان أجزر يعني نفسه ومحمدا صلى الله
عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينا كان خيرا عندك فانصره
وقيل قال اللهم انصر اهدى الفتنين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان
أجزر وأقطع لرحه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستقوا ومعنى الآية ان
تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفتنين فينصر المظلوم على الظالم فقد
جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والحق على المبطل
والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال اني لواقف في الصف
يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بخلايين من الانصار حديثا أستانها
فتنيت ان أكون بين أصابع منهنما فغمزني أحدهما فقال أي عم هل تعرف
أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخي قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت

ستصروا (فقد جاءكم الفتح) النصر لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة
نال اللهم انصر أفضل الدينين واكرم الدينين واحبهما اليك فاستجاب الله دعاه ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه عليهم

الأجل منا فتعجبت لذلك قال وعزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يحول في الناس فقلت لأتريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنما قتله فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجالن معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء رضى الله عنهما (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فالطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل وفي كتاب البخارى أنت يا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفي رواية فقال أبو جهل فلو غيراً كان قتلنى ~~عن~~ عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أيا جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم ين شيئاً حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود وأخرجه البخارى مختصراً قال انه أتى أبا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فاقمع بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستفتحوا فقد جاءكم القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفتيين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى الفتيين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثنى عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أسرابى جهل بن هشام ان يلمس في القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعته جعلته من شأنى فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربى ابنه عكرمة على طاقى فطرح يدي فتعلقت بجلدة واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت طامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذنى جعلت عليها قدمى ثم تحطيت بها حتى طرحتها ثم سرابى جهل وهو عفير معاذ بن عفراء فضربه حتى أهدته وتركه وبه رمق فريه عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخر رمق فعرفته فوضعف رجلى على عنقه فقلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما ذا أخزانى اعمد من رجل قتلتموه اخبرنى لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لى أبو جهل لقد ارتقيت يا روىي الغنم مراتى صعباً ثم احتزرت رأسه ثم جثت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال آله الذى لا اله غيره فقلت نعم والذى لا اله غيره ثم ألقيته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال أبى بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الله)

(وان تنهوا) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) { سورة الانفال } ٢٥ عليه وسلم (فهو) { سورة الانفال } ٢٥

أي الاتهاء (خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربتهم (نعد) لنصرته عليكم (ولن تقى عنكم فتكم) جهكم (شياً ولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدنى وشأى وحفص أى ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ورؤيته قراءة عبدالله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسوله الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقواك الاحسان والاجال لا ينفع

(وان تنهوا) عن الكفر والقتال (فهو خير لكم) من الكفر والقتال (وان تعودوا) الى قتال محمد عليه السلام (نعد) الى قتالكم وهزيمتكم مثل يوم بدر (ولن تقى عنكم فتكم) جاعتكم (شياً) من عذاب الله (واوكرت) فى الله (وان الله مع المؤمنين) معين المؤمنين بالصبر (ولا تولوا عنه)

عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فهو خير لكم ﴾ لنضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿ وان تعودوا ﴾ لمحاربتهم ﴿ نعد ﴾ لنصرته عليكم ﴿ ولن تقى ﴾ ولن تدفع ﴿ عنكم فتكم ﴾ جاعتكم ﴿ شياً ﴾ من الاغناء أو المضار ﴿ ولو كثرت ﴾ فتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة . وقرأ نافع وابن حاصر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنهوا عن التكاسل فى القتال والرجبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهيج العدو ولن تقى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤكده ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ﴾ أى

الله عز وجل للمسلمين ان تستقموا أى تستنصروا فقد جاءكم الفتح أى النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا ألا تدعوننا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفره فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجمل تصفيق وعشيط بأمشاط الحديد مادون لجمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستجلبون قلت استدلت بغوى بهذا الحديث على ما فسره أبى بن كعب الآيد وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة فى الحديث كانت بحكمة والآية مدنية فلا تعاق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله بيده وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين وألح فى الدعاء والمستئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان تستقموا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فتمت جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يلىق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالتصاه والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان تنهوا فهو خير لكم ﴾ فهو خطاب للكفار يعنى وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم فى الدين والدنيا أما فى الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم ذلك الفوز بالثواب والخلص من العقاب وأما فى الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر ﴿ وان تعودوا نعد ﴾ يعنى وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ﴿ ولن تقى عنكم فتكم ﴾ يعنى جاعتكم ﴿ شياً ﴾ يعنى لا تقى عنكم شياً ﴿ ولو كثرت ﴾ يعنى جاعتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ يعنى بالنصر لهم عليكم بأعشر الكفار من قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ يعنى فى أمر الجهاد لان فيه بذل المالى والنفس ﴿ ولا تولوا عنه ﴾ يعنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان النبوى لا يصح الا فى حق الرسول

المؤمنين بالصبر (يا أيها الذين آمنوا) (قا و خا ع لث) اطيعوا الله ورسوله (فى أمر الصلح) (ولا تولوا عنه)

في فلان أو يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامثاله وأصله ولا تولوا الخذف احدى
 التساين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أي وأنتم سمعونه أو ولا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون
 أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع
 وهم المنافقون وأهل { الجز التاسع } الكتاب (وهم) ﴿ ٢٦ ﴾ لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم

ولا تولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر
 طاعة الله للتوطئة والتثنية على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع
 الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد والامر الذي دل عليه الطاعة ﴿ وأنتم
 تسمعون ﴾ أقرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾
 كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع ﴿ وهم لا يسمعون ﴾ سماعا يتفقون به فكأنهم
 لا يسمعون رأسا ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ شر ما يدب على الارض أو شر البهائم
 ﴿ الصم ﴾ عن الحق ﴿ اليكم الذين لا يعقلون ﴾ اياه عنهم من البهائم ثم جعلهم شرها
 لا يبطالهم ماميزوا به وقضوا لاجله ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا ﴾ سعادة كتبت لهم
 أو انتقاها بالآيات ﴿ لا سمعهم ﴾ سماع تفهم ﴿ ولو اسمعهم ﴾ وقد علم ان لاخير فيهم
 ﴿ لتولوا ﴾ ولم يتفقوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿ وهم معرضون ﴾

صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معاونته ونصرته في الجهاد
 ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ يعنى القرآن يتلى عليكم ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا ﴾ بالنتهم ﴿ سمعنا وهم
 لا يسمعون ﴾ يعنى وهم لا يتعظون ولا يتفقون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين
 ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ يعنى ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله
 ﴿ الصم ﴾ عن سماع الحق ﴿ البكم ﴾ عن النطق به فلا يقولونه ﴿ الذين لا يعقلون ﴾
 يعنى لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه وانما سمعوا دواب لقللة انتفاعهم بقولهم
 قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد
 صلى الله عليه وسلم قتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان
 مصعب بن عمير وسويبت بن حرملة ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم ﴾ يعنى سماع تفهم
 وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه
 الله فقدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التصير عن عدمه في نفسه بدم
 علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لا سمعهم الله الحمع والمواعظ سماع
 تعليم وتفهم ﴿ واوا سمعهم ﴾ يعنى بعد ان علم انه لاخير فيهم لم يتفقوا بما سمعوا من المواعظ
 والدلائل لقوله تعالى ﴿ لتولوا وهم معرضون ﴾ يعنى تولوا عن سماع الحق وهم معرضون
 عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
 احى لنا قصيافانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك بالنبوة فتؤمن لك فقال الله سبحانه

غير سامعين والمعنى انكم
 تصدقون بالقرآن والنبوة
 فاذا توليتهم عن طاعة الرسول
 في بعض الامور من قسمة
 الغنائم وغيرها أشبه سماعكم
 سماع من لا يؤمن ثم قال
 (ان شر الدواب عند الله
 الصم البكم الذين لا يعقلون)
 أي ان شر من يدب على وجه
 الارض البهائم وان شر
 البهائم الذين هم صم عن الحق
 لا يعقلونه جعلهم من جنس
 البهائم ثم جعلهم شرها لانهم
 طاندوا بعد الفهم وكابروا
 بعد العقل (ولو
 علم الله فيهم) في هؤلاء
 الصم البكم (خيرا) صدق
 ورغبة (لا سمعهم) جعلهم
 سامعين حتى يسموا سماع
 المصدقين (ولو اسمعهم
 لتولوا) عنه أي ولو اسمعهم
 وصدقوا ارتدوا بعد ذلك
 ولم يستقيموا (وهم معرضون)
 عن الايمان

عن أمر الله ورسوله (وأنتم
 تسمعون) مواعظ القرآن
 وأمر الصلح (ولا تكونوا)
 في المعصية ويقال في الطاعة

(كالذين قالوا سمعنا) اطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحرث وأصحابه (وهم لا يسمعون) لا يطيعون (وتعالى)
 وذل فيهم أيضا (ان شر الدواب) الحلق والحليقة (عند الله الصم) عن الحق (البكم) الذين لا يعقلون (لا يفقهون امر الله وتوجيهه) ولو علم الله فيهم (في بنى عبد الدار) خيرا (سعادة) لا سمعهم (لا كرمهم بالايمان) ولو اسمعهم
 أكبرهم بالايمان (لتولوا عنه) عن الايمان لعلم الله فيهم (وهم معرضون) مكذبون به

لننادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم احيى لاقصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك فنؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول ﴾ بالطاعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلى فدناه فجعل في صلاته ثم جاء فقال ما منتك عن اجابتي قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لاسر لا يمتثل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿ لما يحيبكم ﴾ من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهد موته وقال

لا تجبن الجهول حلته فذلك ميت وثوبه كفن

أوما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبيهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون

وتعالى ولو احياءهم قصيا وسموا كلامه لتلوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ يعنى أجيئوهما بالطاعة والالتقاد لاسرهما ﴿ اذا دعاكم ﴾ يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (ح) عن ابي سعيد بن المولى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي ولم يجبه وصلى ابي وحفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام ما منعتك يا ابي أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم ألم تجد فيما أوحى الله الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيبكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الزمى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاه أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لاسر مهم لا يمتثل التأخير فله ان يقطع صلاته ﴿ قوله عز وجل ﴿ لما يحيبكم ﴾ يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال مجاهد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء

(يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالذعوة البعث والتعريض (لما يحيبكم) من علوم البيانات والشرائع لان العلم حياة كأن الجهل موت قال الشاعر

لا تجبن الجهول حلته

فذلك ميت وثوبه كفن
أو لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبيهم وتناوهم
أول للشهادة لقوله تعالى بل

(يا ايها الذين آمنوا) يعنى اصحاب محمد عليه السلام (استجيبوا لله) اجيئوا الله (وللرسول اذا دعاكم) الى ما يكرمكم ويعزكم ويصلحكم من القتال

هو واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيه تمثيل لقاية قربه من الصديق كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتبينه على أنه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصور وتخييل لتملكه على الصديق قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته وقرئ بين المرء والتشديد على حذف الهجزة والقادر حركتها على الرأى وأجره الوصل مجرى الوصف على لغة من شدد فيه ﴿ والله إليه تحشرون ﴾ فيجاز بكم بأعمالكم ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ اتقوا ذنبا يمسكم أثره كأقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وإفتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إلا جواب الأمر على معنى أن أصابتكم لا تصيب الظالمين

عند ربهم يرزقون ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ياقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك فقلبا يا رسول الله قد آمنت بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزيه الله تعالى عن الجارحه والجسم وقيل في معنى الآية أن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يقل شيئا وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلته خافت قلوبهم وضاعت صدورهم فقبل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الحوقل أمنوا الحين جراءة ﴿ فوله عز وجل ﴾ وأنه إليه تحشرون ﴿ يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بمعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة أن نزلت بكم لم تنصروا على الظالم خاصة بل تصدقوا اليكم جيا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة أن لم تنهوها أصابتكم جمعا للظالم وغير

أحياء عندهم (واعلموا) أن الله يحول بين المرء وقلبه أي عيته فتقوته الفرصة التي هو واجدها وهي تمكن من إخلاص القلب فافتتموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمنه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائم (وأنه إليه تحشرون) وإعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للأمر أي أن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تمسكم وجزاء تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر لأن فسه معنى النهي كما إذا قلت أنزل عن الدابة لا تطرحك وجزاء لا تطرحك ومن في منكم

وغیره (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول) يحفظ (بين المرء وقلبه) بين المؤمن بأن يحفظ قلب المؤمن على الإيمان حتى لا يكفر ويحفظ قلب الكافر على الكفر حتى لا يؤمن (وأنه إليه) إلى الله في الآخرة (تحشرون) فيجزى بكم أعمالكم (واتقوا فتنة) كل فتنة تكون (لا تصيبن الظالم والمظلوم) (الظالم)

أعمالكم (واتقوا فتنة) كل فتنة تكون (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولكن تصيب الظالم والمظلوم (الظالم)

منكم خاصة بل تممكم وفيه ان جواب الشرط متدرج فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى انتهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة الفتحة والالتفي وفيه شدوذ لان النون لا تدخل المنى في غير القسم اولتهى على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلفت جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتعيين وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذئب عن التعرض للظلم فان وبالله يصيب الظلم خاصة ويسود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبويض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته النهي على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ اتم قليل مستضعفون في الارض ﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين

الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطحمة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعنى ما كان منهم في يوم الجمل وقال سدي ومجاهد والضحاك وقادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسا اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم بروى البغوى بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثني مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا علمت الحطيثة في الارض كان من شهدا فانكروها كن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كن شهدا أخرجه أبو دود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زبير اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من المائى والمعانى خير من الساعى من تشرف لها تشرف فهو من وجد ملجأ أو معاذا فليعذبه فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الحاق وهم عبيده وفي ذلك يتصرف فيهم كيف يشاء لاسل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية اولانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها وقوله عز وجل ﴿ واذكروا اذ اتم قليل مستضعفون في الارض ﴾

للتبويض (واعلموا ان الله شديد العقاب) اذا قاب (واذكروا اذ اتم قليل) اذ مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقله أذلة (مستضعفون في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم (واعلموا ان الله شديد العقاب) اذا قاب (واذكروا) يا مشر المهاجرين (اذ اتم قليل) في العدة (مستضعفون) مهجورون (في الارض) أرض مكة

وقيل للعرب كافة فانه كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم ﴿ تخافون ان يتخطفكم الناس ﴾ كفار قريش أو من عداهم فانه كانوا جميعا معادين مضادين لهم ﴿ قآواكم ﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون به من اعدائكم ﴿ وايدكم بنصره ﴾ على الكفار أو بمظاهرة الانصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من الغنائم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضربوا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في الغنائم وروى انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسأله الصلح كما صالح

قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم اعداء مضادين (قآواكم) الى المدينة (وايدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وإمداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحصل لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بأن تعطلو فرائضه (والرسول) بأن

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في أرض مكة في ابتداء الاسلام ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم ﴿ قآواكم ﴾ يعني الى المدينة ﴿ وايدكم بنصره ﴾ يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعني تشكرون الله على نعمه عليكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فمألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسروا الى اخوانهم الى أذرع وأريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل ابنا ابالبابة بن عبد المنذر وكان مناصحاهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابالبابة ما ترى أن نزل على حكم سعد بن معاذ فإشار ابالبابة بيده الى حلقه يعني انه الذي لا تفعلوا قال ابوبالبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرمشيا عايه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابالبابة قد تيب عايبك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي حلني فجاهه فحله بيده ثم قال ابوبالبابة ان تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمون السر

(تخافون أن يتخطفكم الناس) أن يطردكم أهل مكة أو يأسروكم (قآواكم) بالمدينة (وايدكم بنصره) يعني أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته بالصرة والغنيمة يوم بدر (يا أيها الذين آمنوا) يعني سروان و ابالبابة بن عبد المنذر (لا تخونوا الله) في الاشارة الى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ

اخوانهم بنى الضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعوات وارجحاء بارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا بابا لباية وكان مناصحهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذي قال ابولباية فزالا قدامى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طصاما ولا شرابا حتى اموت أو توب الله على فكث سبعة ايام حتى خر مضيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يحزبك الثلث ان تصدق به واصل الحون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستماله في ضد الامانة لتضمنه اياه ﴿ وتحنونوا اماناتكم ﴾ فبما بينكم وهو مجزوم بالمطف على الاول أو منصوب على الجواب بالواو ﴿ وانتم تعلمون ﴾ انكم تحنونون أو انتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب أو محنة من الله

من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يباغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبدالله ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتفوا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمد اريدكم فخذوا حذرکم فانزل الله عز وجل لا تحنونوا الله والرسول ﴿ وتحنونوا اماناتكم ﴾ ومعنى الآية لا تحنونوا الله والرسول ولا تحنونوا اماناتكم ﴿ وانتم تعلمون ﴾ يعنى انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة وأصل الخيانة من اخون وهو النقص لان من خان شيأ فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل معنى الآية لا تحنونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تحنونوا الله بترك فرائضه ولا تحنونوا الرسول بترك سنته ولا تحنونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التى ائتمن عايبها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمن عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ﴿ قيل هذا مما نزل في ابي لباية وذلك لان امواله واولاده كانت في بنى قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حجب المال والولد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل

لا تستنوا به (وتحنونوا) جزم عطف على لا تحنونوا أى ولا تحنونوا (أماناتكم) فيما بينكم بان لا تحفظوها (وانتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله أو وانتم تعلمون انكم تحنونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن عمد لا عن سهواً وانتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الحون النقص كان معنى الابقاء التمام ومنه تحنونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شىء فقال ادخلت عليه النقصان فيه (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) أى سبب الوقوع في الفتنة وهى الاثم والعذاب أو محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على (وتحنونوا اماناتكم) ولا تحنونوا في فرائض الله وهى امانة عليكم (وانتم تعلمون) تلك الخيانة (واعلموا) يعنى به ابا لباية (انما اموالكم واولادكم) انى في بنى قريظة (فتنة)

حدوده (وأن الله عنده { الجزء التاسع } أجر عظيم) ﴿ ٣٢ ﴾ فليكن ان تحرصوا على طلب

تعالى ليلوكم فيهم فلا يحملنكم حبه على الخيانة كابي لباية ﴿ وان الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن آثر رضى الله عابهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا همكم بما وذبكم اليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر اسمكم ويثبت صيتكم من قولهم بتأفل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ويسترها ﴿ ويفرلکم ﴾ بالجواز والرفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبار وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انما على عمل ﴿ واذ يكرهك

أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويعيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوى بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قبله وقال اما انهم محملة بحبته وانهم لمن ربحان الله وأخرج الترمذى عن عمر بن عبدالمزى قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبخلون وتجنون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذى لانعرف لمر بن عبدالمزى سما عن خولة قوله لمن ربحان الله أى لمن رزق الله والربحان فى اللغة الرزق ﴿ وقوله تعالى ﴾ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ﴿ وقوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله ﴾ يعنى بطاعته وترك معاصيه ﴿ يجعل لكم فرقا ﴾ يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا فى قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشينين لكنه أباع من أصله لانه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من الشبهات وقال بكرمة نجاة أى يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حكمه ويطفى باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويطلبه ويبطل الكفر ويوهنه ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يعنى ويحج عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿ ويفرلکم ﴾ يعنى ويستر عليكم بان لا يفضحكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ لانه هو الذى يفضل ذلك بكم فله الله نيل العظيم عليكم وعلى غيركم من خاتمه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ رفى به قيل انه يتفضل على الطائمين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغيران الآت وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذ يكرهك

وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا) نصر لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزيه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر اسمكم ويثبت صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى الصغائر (ويفرلکم) ذنوبكم أى الكبار (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يكرهك

بليدة لكم (وأن الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر فى الجنة بالجهد يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله (فيما أمركم ونهاكم) يجعل لكم فرقا (نصره ونجاة) (ويكفر عنكم سيئاتكم) دون الكبار (ويفرلکم) سائر الذنوب (والله ذو الفضل) ذوالمن

(الدين)

(العظيم) على عباده بالمغفرة والجنة (واذ يكرهك)

الذين كفروا ﴿ لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمته في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكروا بكمركون بك وذلك ان قريشا لما أسلت الانصار فرقوا ان يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس ﴿ ٣٣ ﴾ في صورة ﴿ سورة الانفال ﴾ شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم

فأردت ان أحضركم وان تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو الجحدي رأيت ان محبسه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غيركوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بشس الرأي ياتكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيت ان تحملوه على حمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع واسترحتم فقال ابليس بشس الرأي بقصد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجدكم رأيا فتفرقوا على رأي أي جهل مجتعبين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت

الذين كفروا ﴿ تذكروا لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمته في خلاصه الذين كفروا ﴿ لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكركم على الله وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يكرهك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جيما ان قريشا فرقوا لما أسلت الانصار ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفيان وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو الجحدي بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأميه بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت ان أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو الجحدي أما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا ومحبسه في بيت مقيد او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غيركوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كاهلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدى وقال بشس الرأي رأيت ان حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمرو من بين يمين لؤي فقال أما أنا فأرى ان تحملوه على بسير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأي تعدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى جلاوة منطلقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فطمتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال أبو جهل والله لا سيرون عليكم برأي ما أرى غيره انى أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيا وسطا فتيا ثم تعطى كل فتى سيفا صارم ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش دينه فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجدكم رأيا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتعمون عليه فأتى جبريل

في مضجعه وأذن له الله في العجزة فامر عليا (قا وخا لث) فنام في مضجعه وقال له انشع يردنى فانه لن يخلص اليك أمر تكررهدوا توامترصدن فلما اصبحوا صاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبتهوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم

في دار الندوة (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا ذكر اذ يعكرون بك ﴿ ليثبتوك ﴾ بالوفاق أو الحليس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاجراك به ولا براح، وقرى ليثبتوك بالتشديد ولييتوك من الليات وليقيدوك ﴿ أو يقتلوك ﴾ بسيفهم ﴿ أو يخرجوك ﴾ من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرغوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو الجحزي رأيت ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بثس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيت ان تحملوه على جل فخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بثس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا اري ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا القتل عقلتاه فقال صدق هذا الفقي فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابى بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ﴿ ويعكرون ويعكر الله ﴾ بردمكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين

(ليثبتوك) ليحبسوك
ويوثقوك (أو يقتلوك)
بسيفهم (أو يخرجوك)
من مكة (ويعكرون) ويخفون
المكائله (ويعكر الله) ويخفي
الله ما عدلهم حتى يأتيهم

صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت في مضجعه وقال له اتشح بيدى فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكروه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أما جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى العار من ثورهو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأما نته قالوا وبات المشركون يجرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فأرأوه عليا فقالوا اله أين صاحبك قال لا أدري فافتقوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا الودخله لم يكن النسج العنكبوت على بابه أترفكت في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يعركرك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا وأوثقه فقد أثبته لانه لا يقدر على الحركة هو أو يقتلوك ﴿ يعنى كما أشار اليهم أبو جهل ﴾ أو يخرجوك ﴿ يعنى من مكة ﴾ ويعكرون ﴿ يعنى ويحتالون ويدبرون في أمرك ﴾ ويعكر الله ﴿ يعنى ويجازيمهم الله جزاء مكرهم ﴾ فسمى الجزء مكرالانه في مقابله وقيل معناه ويعامهم الله معاملة مكرهم والمكروه التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه

(ليثبتوك) ليحبسوك سبنا
وهو ما قال عمرو بن هشام
(أو يقتلوك) جيما وهو
ما قال أبو جهل بن هشام
(أو يخرجوك) طردا وهو
ما قال أبو الجحزي بن هشام
(ويعكرون) يربدون قاتك
وهلاكك يا محمد (ويعكر الله)
يريد الله قتلهم وهلاكهم

بنته (والله خير الماكرين) أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأييداً كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قرأته فقال التضربن الحرث لوشثت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رسم وأحاديث الجهم فنزل (وإذا تلى عليهم ﴿ ٣٥ ﴾ آياتنا) أي { سورة الانفال } القرآن (قالوا قد سمعنا

لوشنا لقلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) وهذا صلص منهم ووقاحة دعوا الى أن يأتي سورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتيوا به (وإذا قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان التضربن لما قال ان هذا الأساطير الاولين قال له انسى عليه السلام وبك هذا كلام الله فرقع التضرب رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فأمطر علينا جارة من السماء) أي ان كان القرآن هو الحق فأتينا على انكاره بالجيل كاضلت باصحاب القيل (أو أتينا بذب أليم) نوع آخر من جنس الذباب الاليم قتل يوم بدر صبرا يوم بدر (والله خير الماكرين) اقوى المهلكين (وإذا تلى) تقرأ (عليهم) على التضربن الحرث وأصحابه (آياتنا) بالاسم والنهي (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد عليه السلام

معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حلوا عليهم فقتلوا ﴿ والله خير الماكرين ﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الهم ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لوشنا لقلنا مثل هذا ﴾ هو قول التضربن الحرث واسناده الى الجميع اسناد ما نقله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصمهم أو قول الذين اتهموا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فامتهم ان يشاؤا وقد تمدهم وقرعهم بالجزع عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يصارضوا سواء مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يظلبوا خصوصا في باب البيان ﴿ ان هذا الاساطير الاولين ﴾ ماسطره الاولون من القصص ﴿ وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا جارة من السماء أو أتينا بذب أليم ﴾ هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال التضربن هذا الاساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعالى اظهره وقواه والنصره فضاع فعلهم وتديدهم وظهر فعل الله وتديده ﴿ والله خير الماكرين ﴾ فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم في خبير بزعهم فقال سبحانه وتعالى في مقابله والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لوشنا لقلنا مثل هذا ﴿ نزلت في التضربن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسمه واسفنديار وأحداث الصميم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلي فقال التضربن الحرث قد سمعنا يفي مثل هذا الذي جاء به محمد لوشنا لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لاشبهه فيه بادائهم الباطل بقولهم لوشنا لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لوشنا لقلنا مثل هذا ﴿ ان هذا الاساطير الاولين ﴾ يعني أخبار الماضين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا جارة من السماء أو أتينا بذب أليم ﴿ نزلت في التضربن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال التضربن الحرث لوشثت لقلت مثل

(لوشنا لقلنا مثل هذا) مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الا أساطير) أحاديث (الاولين) وأخبارهم (وإذا قالوا) قال ذلك التضرب (اللهم ان كان هذا) الذين يقول محمد عليه السلام (هو الحق من عندك) أن ليس لك ولد ولا شريك (فأمطر علينا) على التضرب (جارة من السماء أو أتينا بذب أليم) وجميع قتل يوم بدر

وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بشت رحمة الملائين وسته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبينهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم صرعدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو على كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفروهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صبرا (وما كان الله ليعذبهم) ليهلكهم أيا جهل وأصحابه (وأنت فيهم) مقيم (وما كان الله معذبهم) مهلكهم (وهم يستغفرون) يريدون أن

ويك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا متزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو اثنتا بعذاب اليم سواء والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان الملق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيهه لالحق مطلقا لتجوزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴿ بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال

هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعنى الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعنى القرآن الذى جاء به محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى ان كان الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعنى كما أمطرتها على قوم لوط أو اثنتا بعذاب اليم يعنى مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي الضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاه لقد نزل في الضر بن الحرث بضع عشرة آية فحقق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير كل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قریش صبرا طعيمة بن عدى وعقبة بن أبي مسيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذى قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت ومالههم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿ قوله عز وجل ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها وهى حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفروا ليعذبنا أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وضرهم واستفاحتهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ثم قال تعالى ردا عليهم ومالههم الا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في قح مكة فهو العذاب

والتي عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم خارج عن مادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستفجارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر غفرا تبارك أو فرضه على منى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلطون ﴿ وما لهم الا يعذبهم الله ﴾ ومالهم مما ينعت تمذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويطلق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم ومالهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرا تبارك وغفرا تبارك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ججارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرا تبارك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقرروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دطاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبد له لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة هو يستغفرون أي يسألون يعني لو أسلوا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العنايته أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما بانوا وقالوا ان كان محمد محققا قوله فامطر علينا ججارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محقق في قوله وانه مع ذلك لا يعطر على اعدائه ومنكرى نبوته ججارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مائة من نزول العذاب بهم فكيف كل في غير هذه الآية قائلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذي ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما لهم الا يعذبهم الله ﴾ يعني أي شيء يمنعهم من ان يعذبهم يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين في الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين في هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب

من المستضعفين (ومالهم
الا يعذبهم الله) أي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو
معذبهم اذا فارقتهم ومالهم
الا يعذبهم الله

يؤمنوا (ومالهم الا يعذبهم
الله) ان لا يهلكهم الله بعدما

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية { الجزء التاسع } واخراجهم ﴿ ٣٨ ﴾ رسول الله والمؤمنين من الصدوقا

﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ وحالهم ذلك ومن صدمه عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياؤه ﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهورحلا كانوا يقولون نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ ان اولياؤه الامتقون ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان الله ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان لا ولاية لهم عليه كانه نبيه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند أو اراد به الكل كما اراد بالقلة المدم ﴿ وما كان صلاتهم عندالبيت ﴾ أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ﴿ الامكاه ﴾ صغيرافعال من مكاء اذا صفره وقرئ بالقصر كالمكاه وتصديفة ﴿ تصفيقا تفضلة من الصدى أو من الصد على ابدال احد حر فى التضعبن بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه اهلبرالمقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الثانى المذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين مالا جله يعذبهم فقال تعالى ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ يعنى وهم يتعنون المؤمنون عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياءه ﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فردالله عليهم بقوله وما كانوا اولياؤه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام ﴿ ان اولياؤه الامتقون ﴾ يعنى المؤمنون الذين يتقون الشرك ﴿ ولكن اكثرهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك ﴿ قوله عزوجل ﴾ ﴿ وما كان صلاتهم عندالبيت الامكاه وتصديفة ﴾ لما ذكرالله عزوجل ان الكفار ليسوا باولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهوان صلاتهم عنده كانت مكاه وتصديفة والمكاه فى اللغة الصفير يقال مكاء الطير يمكو اذا صفر والمكاه اسم طير أبيض يكون بالحجازله صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكانه يعنى صفيره والتصديفة التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجيب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاه والتصديفة ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر انهم جعلوا مكان الصلاة اتى أمروابها المكاه والتصديفة قال حسان بن ثابت • صلاتهم التصديفة والمكاه • قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون

يقولون نحن ولاية البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء قبيلى (وما كانوا اولياؤه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاية أسرارالحرم (ان اولياؤه الامتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثرالجميع كما اراد بالقلة المدم (وما كان صلاتهم عندالبيت الامكاه) صغيرا كصوت المكاه وهو طائر ملبج الصوت وهو فعال من مكاء صفر (وتصفيقا تفضلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله

خرجت من بين أظهرهم (وهم يصدون) محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه (عن المسجد الحرام) ويطوفون حوله عام الحديبية (وما كانوا اولياؤه) اولياء المسجد

(ان اولياؤه) ما وولياؤه (الامتقون) الكفر والشرك والقوا حش محمدا عليه السلام وأصحابه (ولكن أكثرهم) (وقال) كلهم (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون به (وما كان صلواتهم) لم تكن عبادتهم (عندالبيت الامكاه) صغيرا كصفير المكاه (وتصديفة) تصف

ان يصلى يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون ايضا ﴿ فذوقوا العذاب ﴾
يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد
والمعهود اثنا بئذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ اعتقادا وعملا ﴿ ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ نزلت في المطمئنين يوم بدر وكانوا اثني
عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جذرا وفي ابي سفيان
استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب واففق عليهم اربعين

عليه وسلم في صلته يخلطون
عليه (فذوقوا العذاب)
عذاب القتل والاسر يوم
بدر (بما كنتم تكفرون)
بسبب كفركم ونزل
في المطمئنين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا وكلهم
من قريش وكان يطعم كل
واحد منهم كل يوم عشر
جذورا (ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله) اي كان غرضهم
في الاتفاق الصد عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وهو

(فذوقوا العذاب يوم بدر)
(بما كنتم تكفرون) بمحمد
عليه السلام والقرآن (ان
الذين كفروا) وهم المطمئنين
يوم بدر أبو جهل وأصحابه
وكانوا ثلاثة عشر رجلا
(ينفقون اموالهم ليصدوا)
ليصرفوا الناس (عن سبيل
الله) عن دين الله وطاعته

وقال مجاهد كان نفر من بني عبدالدار يمارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
ويستهزؤن به ويدخلون أصابهم في أفواههم ويصفرون فالكاه جعل الاصابع في الشدق
والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن قوله الاكاه
وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم صلته وهم من بني عبدالدار فعلى قول ابن عباس كان
الكاه والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم
وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها
صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك الكاه والتصدية
صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو ان من كان الكاه والتصدية
صلاته فلا صلته فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن
جبير التصدية صدمه المؤمن من المسجد الحرام وعن الدين والصلوة فعلى هذا التصدية
من الصد وهو المنع ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعنى عذاب القتل
والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى
بسبب كفركم في الدنيا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى الكاه والتصدية
ذكر عقبها عبادتهم المسالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت
في المطمئنين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن
عبدشمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو الجحترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن
حزام وأبي بن خلف وزعمة بن الاسود والحرث بن طامر بن نوفل والعباس بن عبد
المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزرا وأسلم
من هؤلاء العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال
الحكم بن عتبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد اربعين
أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبى سفيان استأجر أبو سفيان يوم أحد الفين
ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر
يوم أحد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل

سبيل الله (فسينفقونها) ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يظنون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة يحشرون ليميز حزة وعلى (ويحمل الخبيث) الفريق الخبيث (بمضه على بعض فيركه جيما) فيجمعه (فيجمله في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (فسينفقونها) في الدنيا (ثم تكون عليهم حسرة) ندامة في الآخرة (ثم يظنون) يقتلون ويهزمون يوم بدر (والذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والطاق من الصالح (ويحمل الخبيث بمضه على بعض)

اوقية أو في اصحاب العير فانه لما اسيب قريش بيذر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله ﴿ فسينفقونها ﴾ بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ﴿ ثم تكون عليهم حسرة ﴾ ندما ونما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ﴿ ثم يظنون ﴾ آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجلا قبل ذلك ﴿ والذين كفروا ﴾ أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم الى جهنم يحشرون ﴿ يساقون ﴾ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴿ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة يحشرون أو يظنون أو ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حزة والكسائي ويقوب ليميز من التميز وهو ابلغ من الميز ﴿ ويحمل الخبيث بمضه على بعض فيركه جيما ﴾ فيجمعه ويضم بمضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازحامهم أو يضم الى الكافر ما انفقه ليزيده به عذابه كما للكافرين ﴿ فيجمله في جهنم ﴾ كله ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث

لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بيده الى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آياؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد تركم وقتل خباركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعنا ندرك منه ثارنا عن أصيب منا ففهم نزلت ان الذين كفروا يتفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليحرقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ فسينفقونها ﴾ يعني أموالهم في ذلك الوجه ﴿ ثم تكون عليهم حسرة ثم يظنون ﴾ يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويظنون ولا يظفرون بما يؤملون ﴿ والذين كفروا ﴾ يعني منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المذقة من أموالهم ﴿ الى جهنم يحشرون ﴾ يعني يساقون الى النار ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله ﴿ ويحمل الخبيث بمضه على بعض ﴾ يعني بمضه فوق بعض ﴿ فيركه جيما ﴾ يعني فيجمعه جيما ويضم بمضه الى بعض حتى يتراكم ﴿ فيجمله في جهنم ﴾ يعني الخبيث ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث

(هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفیان وأصحابه (ان يتنوها) عما هم عليه من هدَاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يهودا) لقاتله (قد مضت سنت الاولين) بالاهلاك ﴿ ٤١ ﴾ في الدنيا { سورة الانفال } والمذاب في العقبي أو سناه

ان الكفار اذا تنوها عن الكفر وأسلوا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المنزوعة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى ان لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الذين كلفه الله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فهم دين الاسلام وحده (فان اتنوها) عن الكفر وأسلوا (فان الله بما يعملون بصير) يشيهم على اسلامهم

(هم الخاسرون) المنبوتون بالعقوبة (قل) يا محمد (للذين كفروا) أبى سفیان وأصحابه (ان يتنوها) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (وان يهودا) الى قتال محمد صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنت الاولين) خات سيرة الاولين بالنعرة لا لولياؤه على أعدائه مثل يوم بدر

أو الى المتقين ﴿ هم الخاسرون ﴾ الكاملون في الحسran لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم ﴿ قل للذين كفروا ﴾ يعنى أبى سفیان وأصحابه والمعنى قل لا جلهم ﴿ ان يتنوها ﴾ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ من ذنوبهم وقرى بالهاء والكاف على انه خطايبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وان يهودا ﴾ الى قتاله ﴿ قد مضت سنة الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الذين كلفه الله ﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان اتنوها ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيهم على انتهاهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالهاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تطيقه بانتهاهم دلالة على انه كما يستدعى اثابهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب

﴿ هم الخاسرون ﴾ يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد ﴿ للذين كفروا ان يتنوها ﴾ يعنى عن الشرك ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ يعنى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام ﴿ وان يهودا ﴾ فقد مضت سنت الاولين ﴿ يعنى في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان اتنوها عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتموا شرائع غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فارجوا أن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ﴿ ويكون الذين كلفه الله ﴾ يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهادعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الذين كلفه الله يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الأنداد والشركاء ﴿ فان اتنوها ﴾ يعنى الشرك واقتان المؤمنين وايدأهم ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ يعنى فان الله لا يخفى عليه شئ

(وقاتلوهم) يعنى كفسار أهل مكة (حتى) (قا و خا ٦ لث) لا تكون فتنة (الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد عليه السلام في الحرم (ويكون الدين) في الحرم والعبادة (كله الله) حتى لا يبقى الا دين الاسلام (فان اتنوها) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (فان الله بما يعملون) من الخير والشرك (بصير

﴿وَأَنْ تُولُوا﴾ ولم يتبها ﴿فَاعْلُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم فتقوا به ولا تبالوا
بماداتهم ﴿نعم المولى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾
لا يقلب من نصره

من أعمال العباد ونياتهم حتى يصل اليهم ثوابهم ﴿وَأَنْ تُولُوا﴾ يعني وان أرضوا عن الايمان
وأصروا على الكفر وطادوا الى قتال المؤمنين وابتأهم ﴿فَاعْلُوا﴾ يعني أيها المؤمنون
﴿أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم ﴿نعم المولى﴾
ونعم النصير ﴿يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فن كن
في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له
نعم المولى ونعم النصير

(وان تولوا) أرضوا عن
الايمان ولم يتبها (فاعلوا
ان الله مولاكم) ناصركم
ومعينكم فتقوا بولايته
وتصرتة (نعم المولى)
لا يضيع من تولاه (ونعم
النصير) لا يقلب من نصره
والخصوص بالمدح محذوف
وان تولوا) عن الايمان
(فاعلوا) يا معشر
المؤمنين (ان الله مولاكم)
حافظكم وناصركم
عليهم (نعم المولى) المولى
بالحفظ والنصرة (ونعم
النصير) المانع

الجزء العاشر

اللهم ايدنا بالمالكة القربين

﴿واعلموا ان ما غنمتم﴾ أى الذى اخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شئ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الحيط ﴿فان لله خسه﴾ مبتدأ خبره محذوف أى ثابت ان لله خسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كافي قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخس على خمسة المطوفين ﴿وللرسول﴾

﴿قوله عز وجل﴾ واعلموا ان ما غنمتم من شئ فان لله خسه وللرسول ﴿الغنم القوز بالنى﴾ يقال غنم غنم غنما فهو غنم واختلف العلماء هل الغنمية والنى اسمان لمسمى واحد أم يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنمية ما ظهر المسلمون عايه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهي فى موقال سفیان الثوري الغنمية ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخس وأربعة أخاسه لمن شهد الواقعة والنى ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خس فهو لمن سمي الله وقيل الغنمية ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والنى ما لم يوجب عليه بخيل ولا ركاب كالمشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان النى والغنمية معناهما واحد وهما اسمان لشئ واحد والصحيح انهما يختلفان فالنى ما أخذ من أموال الكفار بغير ايجاب خيل ولا ركاب والغنمية ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاب خيل عايه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنمية فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شئ يعنى من أى شئ كان حتى الحيط والحيط فان لله خسه وللرسول وقد ذكر أكبر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافته لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهماً منه لله مفرداً لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنمية تقسم

(خسة)

(واعلموا ان ما غنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز ان يكتب الا مقصولا اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة و غنم صلته والماند محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الحيط والحيط (فان لله خسه) والفاء اتماء دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وان وما علمت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم ان لله خسه (وللرسول)

(واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان ما غنمتم من شئ) من الاموال (فان لله خسه) يخرج خس الغنمية لقبول الله (وللرسول) لقبول

ولدى القربى

خمسۃ أجناس أربعة أجناسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى خمسة أصناف
 كما ذكر الله عز وجل للرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف إلى
 الكعبة والقول الأول أصح أى ان خمس الغنمية يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام
 وهذا قول الشافعى وأحد وروى الأعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى
 الله تعالى عنهما يحملان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والصلاح وقال قتادة
 هو للخصيفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس
 فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولدى القربى ﴾ يبنى ان سهمها
 من خمس الخمس لذوى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا
 فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحمل لهم الصدقة وقال مجاهد
 وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب
 وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شئ وان كانوا اخوة وبدل عليه ما روى
 عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
 يا رسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اعما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفي رواية أعطيت بنى
 المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه
 وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شئاً أخرجه البخارى وفي رواية أبي داود ان جبير
 بن مطعم جاءه هو وعمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس
 بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا
 وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد
 وفي رواية النسائى قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى
 في بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت أنا وعمان بن عفان حتى أتينا
 النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لانكر فضلهم للموضع الذى وضعك
 الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم ونزكتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لانفترق في جاهلية ولا اسلام وانا نحن وهم شئ
 واحد وشبك بين أصابعه وأختلف أهل العلم في سهم ذوى القربى هل هو ثابت
 اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس
 للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعى وذهب أبو حنيفة وأصحاب الراى
 الى انه غير ثابت قالوا سهم النسب صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود

ولدى القربى

الرسول (ولدى القربى)
 وقبيل قرابة النبي صلى الله
 عليه وسلم

والتياهي والمساكين وابن السبيل ﴿ فكأنه قال فان الله نجسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بمد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيطان رضي الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذبح ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما

في الخمس فيقسم خمس الغنمية على ثلاثة اصناف التياهي والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم ووجه الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ والتياهي ﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الحس للتياهي واليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له يعطى مع الحاجة اليه ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنمية ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الفاعين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنمية فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهمه وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين وللرجل سهما وفى رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفى رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهمه وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم ويرضخ للسيد والتسوان والصبيان اذا حضر والقتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمقول وعند أبى حنيفة يقضيه الامام فى العقارين ان يقسمه بينهم وبين أن يحصله وقفاً على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين منركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنمية لما روى عن أبى قتادة أن رسول الله

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنو المطلب دون بنى عبد شمس وبنو نوفل استحقوه حينئذ النصر لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم للتياهي والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه اساقط جوتة وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقيرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على التياهي والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه

(والتياهي) ولقبيل التياهي غير يتياهي بنى عبد المطلب (والمساكين) ولقبيل المساكين غير مساكين بنى عبد المطلب (وابن السبيل) ولقبيل الضيف والمحتاج كأثا من كان وكان يقسم الخمس فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبي عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبي عليه السلام كان يعطى قرابته لقبيل الله وسهم للتياهي وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم سقط سهم

فقاله عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنوهاشم لا تشكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم رأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصحابه وقيل بنوهاشم وحدهم وقيل جميع قريش والنسب والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والطف باليتامى والآية نزلت بيذر وقيل الخمس كان في عزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من

صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينقل بعض الجيش من الغنمية لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنمية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل بعض من يبيت من سرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداية والثالث في الرجعة أخرجه أبو داود اختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من حنبل يعير فقال أيها الناس انه لا يحمل لي مما آفاه الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الا الخمس بعد افراز الخمس كسهم النزاة وهو قول أحمد واسحق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنمية قل الغنيميس كالسلب للقتال وأما النبي وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان سهمهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله في مال النبي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمر ان الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النبي بشئ لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمر وما آفاه الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان يتفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما تبقى يجمعه مجمل مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف النبي بيدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأمة بعده وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين أبت أسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارباب العدو والقول الثاني انه لصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم

كان على ستة لله والرسول
سهمان وسهم لاقر به
فأجرى أبو بكر رضي الله
عنه الخمس على ثلاثة وكذا
عمر ومن بعده من الخلفاء
رضي الله عنهم ومعنى الله
والرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله أحق أن يرسوه

أكل نبي طعمة في حياته فاذا
مات سقطت فلم يكن بمده
لاحد وكان يقسم أبو بكر
وعمر وعثمان وعلي في خلاتهم
الخمس على ثلاثة أسهم سهم
للنبي غير يتامى نبي عبد
المطلب وسهم للمساكين
غير مساكين نبي عبدالمطلب
وسهم لابن السبيل للضيف
والمحتاج

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا به القسمة فلا يمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) مطوف على يا
أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل { الجز العاشر } (على عيدنا يوم الفرقان) ﴿ ٤٨ ﴾ يوم بدر (يوم التقي الجمعان) الفرقان

شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿ أن كنتم آمنتم بالله ﴾ متعلق بمحذوف دل
عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخس لهم لئلا يفسلوه اليهم واقتنوا
بالأخاس الأربعة الباقية فان العلم العمل إذا أمر بلم يرد من العالم الجرد لانه مقصود بالمرض
والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرى
عبدنا بضمين أي الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فإنه فرق فيه
بين الحق والباطل ﴿ يوم التقي الجمعان ﴾ المسلمون والكفار ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر
على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذا تم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقرى بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدي من المدينة تأييث
الاقصى وكان قياسه

من المسلمين والكافرين والمراد
ما أزل عليه من الآيات
والملائكة والفتح يومئذ
وهو بدل من يوم الفرقان
(والله على كل شيء قدير)
يقدر على ان ينصر
القليل على الكثير كما فعل
بكم يوم بدر (اذا تم) بدل
من يوم الفرقان والتقدير
اذكروا اذا تم (بالعدوة)
شط الوادي وبالكسر فيهما
سكى وأبو عمرو (الدنيا)
القربى الى جهة المدينة
تأييث الاذى (وهم بالعدوة
القصوى) البعدي عن

فالا هم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس التقي فذهب الامام الشافعي رضى
الله تعالى عنه الى أنه يخمس وخسه لاهل الخس من الغنمية على خمسة أسهم وأربعة
أخاسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف جميعه
مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق . عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما التقي
فقال ما أنا أحق بهذا التقي منكم وما أحدنا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا
من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه
والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي بسنده عنه انه
سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا التقي حق الا ما ملكت
أيانكم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ يعني واعلموا أيها المؤمنون
ان خمس الغنمية مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عند أطعامكم واقنوا
بأربعة أخاس الغنمية ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدايته ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ يعني
وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه
وسلم والذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن الانفال الآية ﴿ يوم الفرقان ﴾
يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل
﴿ يوم التقي الجمعان ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا
يوم الجمعة لتسع عشرة أولسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسمائة فهزم الله
المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك ﴿ والله على كل شيء
قدير ﴾ يعني على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ اذا تم ﴾ أي اذكروا نعمة الله عليكم يا مشر المسلمين اذا تم ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ يعني بشفير
الوادي الاذى من المدينة والدنيا هنا تأييث الاذى ﴿ وهم ﴾ يعني المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾

(ان كنتم) اذ كنتم
(آمنتم بالله وما أنزلنا)
وبما أنزلنا (على عبدنا)
محمد عليه السلام (يوم
الفرقان) ويوم الدولة
والنصرة لمحمد وأصحابه
ويقال يوم الفرقان يوم
فرق بين الحق والباطل
وهو يوم بدر حكم بالنصرة
والغنمية للنبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه والقتل
والهزيمة لابي جهل
وأصحابه (يوم التقي
الجمعان) جمع محمد عليه
السلام وجمع أبي سفيان
(والله على كل شيء)
من النصر والغنمية للنبي

صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (قديرا اذا تم) يا مشر المؤمنين (يعني)
(بالعدوة الدنيا) القربى الى المدينة دون الوادي (وهم) يعني أبا جهل وأصحابه (بالعدوة القصوى) البعدي مر

المدينة تأييد الاقصى وكلناهما فعل من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالطيا تأييد الاعلى وأما القصوى فكانت قود في مجيئه على الاصل (والركب) أى الدير وهو جمع ركب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو من نوسع المحل لانه خراب المبتدأ (ولتواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فبسطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وبسطهم ما فى قلوبهم من توب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سورة الانفال ﴾ والمسلمين فلم يتفق لكم من

التلاقى ما وفق الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمرا كان يبنى ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعداءه بذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم انه يكون كأنما أوليتم أمرا كان قد اراده وما اراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو

عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه وينعلق بيقضى (لهلاك من هلك عن بينة) ويحى من حى عن بينة) حى نافع وأبوعرو فالادغام لاتقاء المثابن والاظهار لان حركة الثانى غير

المدينة من خام الوادى (والركب) العير أبو سفيان وأصحابه (أسفل

قلب الواو ياء كالدينا والطياء تفرقة بين الاسم والصيغة فجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصياة (والركب) أى الدير أو قوادها (أسفل منكم) فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجللة حال من الظرف قبله وقادتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا سراكرهم ويبدلوا منتهى جهدهم وضرب شأن المسلمين والبيات امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر سراكر الفريقين فان العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله ﴿ ولتواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ أى اتواعدتم انتم وهم القتال ثم علمت حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هبة منهم وبأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الاضما من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ﴿ ولكن ﴾ جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) حتميقابان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ﴿ لهلاك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ﴾ بدل منه أو متعلق بقوله

يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة مما لى مكة والقصوى تأييد الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى بأسفيان وأصحابه وهم غير قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولتواعدتم) يعنى أنتم والمنركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا المير وخرج الكفار لينموها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولتواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقتلكم وكثرة عدوكم ﴿ ولكن ﴾ يعنى ولكن الله حكمكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه وأعداء دينه ﴿ لهلاك من هلك عن بينة ﴾ يعنى يموت من مات عن بينة وآها وعبرة عاجها ووجهة قامت عليه ﴿ ويحيى من حى عن بينة ﴾ يعنى ويعيش من عاش عن بينة وآها وعبرة شاهدها ووجهة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق

منكم) على شط البحر بثلاثة أميال (ولو) (قا و خا و ث) تواعدتم) فى المدينة للقتال (لاختلفتم فى الميعاد) فى المدينة ذلك (ولكن ليقضى الله) ليقضى الله (أمرا كان مفعولا) كأنما بالصرة والغنمية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (لهلاك من هلك) يقول لهلاك على الكفر من أراد الله ان يهلك (عن بينة) بدالبيان بالصرة لمحمد عليه السلام ويثبت على اليمان (من حى) من أراد الله ان يثبت (عن بينة) بدالبيان بالنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال لهلاك ليكفر من هلك من أراد الله ان يكفر عن بينة بدالبيان بالنصرة لمحمد

لازمة لانك تقول في المستقبل محي والادغام كذا استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى يصدر كفر من كفر صن وضوح بينة لاعن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطاهولهدنا ذكر فيها سائر الكافرين وان العير { الجزء العاشر } كانت أسفل ﴿ ٥٠ ﴾ منهم مع انهم قد عملوا ذلك كله مشاهدة لعلم

مفعولا والمعنى ليوت من يموت عن بينة يمينها ويميش من يميش عن حجة شاهدها لتلا يكون له حجة ومعدرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة وأليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد عن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالقبح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حى بك الادغام للعمل على المستقبل ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الاسمين على القول والاعتقاد ﴿ اذ يريكم الله في منامك قليلا ﴾ مقدر باذ كر أو بدل نان من يوم القرعان أو متعلق بيلم أى يعلم المسالح اذ بقالهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تبييتهم وتشجيما على عدوهم ﴿ ولو اراكم كثيرا لفتنتم ﴾ ليجنتم ﴿ ولتتزعتم في الامر ﴾ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم ﴾

معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ يريكم الله ﴿ يعنى واذا ذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين ﴿ في منامك ﴾ يعنى في نومك ﴿ قليلا ﴾ قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان ذلك تبييتا وقال محمد بن اسحق فكان ما اراد الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بهما تخوف عليهم من ضعفهم لعلهم يفتهم وقيل لما ارى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه قالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجهادهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الارادة كانت في البقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ﴿ ولو اراكم كثيرا لفتنتم ﴾ يعنى ليجنتم والفتل ضعف مع حبن والمعنى ولو اراكم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفتلوا وجنبوا عنهم ﴿ ولتتزعتم في الامر ﴾ يعنى اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه خصامة ومجادلة ومجادبة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب امركم واختلفت كلمكم ﴿ ولكن الله سلم ﴾ يعنى ولكن الله سلم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله

الخلق ان النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل الله تعالى وذلك ان المدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالمدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمتنى فيها الا بتب ومشفة وكان العير وراء ظهور المدومع كثرة عدوهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان (وان الله لسميع) لا قولهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه (اذ يريكم الله) نصب باخبار اذ كر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ بقالهم في عينك (في منامك قليلا) أى في رؤياك وذلك ان الله تعالى اراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تشجيما لهم على عدوهم (واو اراكم كثيرا لفتنتم) ليجنتم وفتنتم الاقدام (ولتتزعتم في الامر)

(الامر) امر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفتل (سلم)

صلى الله عليه وسلم ويؤمن من أراد الله ان يؤمن من بعد البيان (وان الله لسميع) لدعائكم (علم) باجابتم ونصرتكم (اذ يريكم الله في منامك) يا محمد قبل يوم بدر (قليلا ولو اراكم كثيرا لفتنتم) ليجنتم (ولتتزعتم في الامر) لاختلفتم في امر الحرب (ولكن الله سلم) قضى

والتنازع والاختلاف (انه علم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجليل والصبر والجزع (واذير يكومهم) الضميران مفعولان أي واذير صرتم ﴿٥١﴾ الإهم (اذ { سورة الانفال } التقيم) وقت القضاء (في

أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللمهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجحدوا ويشبوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أترام سبعين قال أترام مائة وكانوا ألفا (ويقللهم في أعينهم) حتى قال قائل منهم اتعاهم أكلة جزور قيل قد قللمهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرت فيها بعده ليجتروا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يسترا الله بعضهم بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يده ديك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أسرا كان مفعولا

(انه علم بذات الصدور) بما في القلوب (واذير يكومهم) يوم بدر (اذ التقيم)

لقيم (في أعينكم قليلا) حتى أجرأكم عليهم (ويقللهم في أعينهم) حتى اجبروا سليمان (ليقضى الله أسرا) ليقضى الله أسرا بالنصرة والنية لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (كان مفعولا) كـ ١٠

انهم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿انه علم بذات الصدور﴾ يعلم ما سيكون فيها وما يغير من احوالها ﴿واذير يكومهم اذ التقيم في أعينكم قليلا﴾ الضميران مفعولان يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللمهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبيه أترام سبعين فقال أترام مائة تقيتاهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ويقللهم في أعينهم﴾ حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور وقللمهم في أعينهم قبل التمام القتال ليجتروا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرت حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لاعلى هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ﴿ليقضى الله أسرا كان مفعولا﴾ كره لاختلاف الفعل المثلل به أولان المراد بالاسر

سلمكم من الهزيمة والفشل ﴿انه علم بذات الصدور﴾ يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجليل والصبر والجزع وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه انه علم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل ﴿واذير يكومهم اذ التقيم في أعينكم قليلا﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في القلظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أترام سبعين قال أترام مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا ﴿ويقللهم في أعينهم﴾ يعني ويقللهم يا مشركي المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجموا فقال أبو جهل الآن اذبرز لكم محمدا واصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمدا واصحابه أكلة جزور يعني قلتم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لتلاهبروا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالقوا في الاستعداد ولتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ﴿ليقضى الله أسرا كان مفعولا﴾ يعني أسرا كأننا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أسرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضى الله أسرا كان مفعولا

لقيم (في أعينكم قليلا) حتى أجرأكم عليهم (ويقللهم في أعينهم) حتى اجبروا سليمان (ليقضى الله أسرا) ليقضى الله أسرا بالنصرة والنية لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (كان مفعولا) كـ ١٠

والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحزبه وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذالقيم فنة) اذا حاربتم ح من الكفار وترك وصفها { الجزء العاشر } لان المؤمنين ﴿ ٥٢ ﴾ ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم ظا

ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا احراز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه ﴿ والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذالقيم فنة ﴾ حارتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء بما غاب في القتال ﴿ فآبتوا ﴾ للقاءهم ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ في مواطن الحرب داعين له مستظهريين بذكره مترقبين لنصره ﴿ لعلمكم تظفون ﴾ تظفرون بمرادكم من النصر والثبوت وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ من ذكر الله وان ياتجى اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشرائمه فارغ البال وانقباظ لطفه لا يبتك عنه في شئ من الاحوال ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا ﴾ باختلاف الآراء كما قلتم بيدرا واحدا ﴿ تفشلوا ﴾ جواب النهى وقبل عطف عليه ولذلك قرئ ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ بالجزم والريح مستعارة

فما في هذا التكرارات المتصودة من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والقلبة ليكون ذلك حجة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في آيتين بعضهم بعضا للحكمة التي تضاهها فلذلك قل ليضى الله أمرا كان مفعولا ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ يعنى في الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسانه والمسى باسائه أو ينفق ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا اذالقيم فنة ﴿ يعنى جماعة كافرة ﴿ فآبتوا ﴾ يعنى لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولى ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ يعنى كونوا ذاكرين لله عند لقاءه عدوكم ذكرا كثيرا بقاوبكم وأستكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بان يذكره في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الهدى بالنصر على العدو وذلك ليحصل الاعانة لله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسأوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قل تعالى ﴿ لعلمكم تظفون ﴾ يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قات ظاهرا الآية بوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتهيز قات المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتهيز لا تندح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتهيز ثم قل تعالى ﴿ وكذا لذلك ﴾ وأطيعوا الله ورسوله ﴿ يعنى في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ﴿ ولا تنازعوا ﴾ تفشلوا ﴿ يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف بوجب الفشل والضعف والجبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ يعنى توتكم وقول مجاهد نصرتكم قل وذبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقول السدى جراتكم وجدكم

للقنال (فآبتوا) لقتالهم ولا تقروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهريين بذكره مستصيرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلمكم تظفون) تظفرون بمرادكم من النصر والثبوت وفيه اشار بان على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) في الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا) تفشلوا (قبحبوا) وهو منصوب باضماران ويدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دوتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة وتفتأ سره شبت في نفوذ (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (اذالقيم فنة) جماعة من الكفار يوم بيدرا (فآبتوا) مع نبيكم في الحرب (واذكروا الله كثيرا) بالقلب

واللسان بالليل والتكبير (لعلمكم تظفون) لكي نجوا من السخط والعذاب وتنصروا (وأطيعوا الله) (وقال) ورسوله في أمر الحرب (ولا تنازعوا) لا تختلفوا في أمر الحرب (تفشلوا) قبحبوا (وتذهب ريحكم) شدتكم والريح النصر

أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقبل لم يكن ﴿ ٥٣ ﴾ نصر قطف { سورة الانفال } الأبرج يمشي الله وفي الحديث

نصرت بالصبا وأهلك
طاد بالدبور (واصبوا) في
القتال مع العدو وغيره
(ان الله مع الصابرين)
أى ميمهم وحافظهم (ولا
تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورثاء
الناس) هم أهل مكة حين
نقروا الحياية العير فأتاهم
رسول أبي سفيان ان
ارجعوا فقد سلمت عيركم
فأبى أبو جهل وقال حتى
تقدم بدرا ونشرب بها
الخجور ونفخر الجزور وتعزف
علينا القيان ونطعمهم بالعرب
فذلك بطرهم وريأؤهم
الناس باطعامهم فوافوها
فسقوا كؤس المنايا مكان
الخجور وناحت عليهم النوائح
مكان القيان فهامهم أن يكونوا
مثلهم بطرين طريين
سرايين بأعمالهم وأن يكونوا
من أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشة الله
مخلصين أعما لهم الله والبطر
ان تشغله كثرة النعمة عن
شكرها (ويصدون عن
سبيل الله) دين الله

(واصبوا) في القتال مع
نبيكم (ان الله مع الصابرين)
معين الصابرين في الحرب
(ولا تكونوا) في المعصية
(كالذين خرجوا من

لدولة من حيث انها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها
الحقيقة فان النصر لا تكون الأبرج يمشي الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلك
طاد بالدبور ﴿ واصبروا أن الله مع الصابرين ﴾ بالكلاعة والنصر ﴿ ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم ﴾ يعنى أهل مكة حين خرجوا منها لحياية العير ﴿ بطرا ﴾
فخرنا وأشرنا ﴿ ورثاء الناس ﴾ ليثوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا
الجحفة واتفقوا رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى
تقدم بدرا ونشرب بها الخجور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم
بطرين سرايين واسرهم بان يكونوا أهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن النسي
اسرىضه ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ ممتطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع

وقال مقاتل حدثكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولكم والريح هنا كناية عن نفاذ
الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد
وقال قتادة وابن زيدى ريح النصر ولم يكن نصر قطف الأبرج يمشي الله تعالى تضرب
وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك طاد بالدبور
وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقابل
من أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرج
أبو داود ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (واصبوا) يعنى عند لقاء عدوكم ولا تمزموا
عنهم ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة (ق) عن عبدالله بن أبي أوفى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقي فيها العدو انتظر حتى اذا
مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا
لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا
عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو
فاذا لقيتموهم فاصبروا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا) يعنى فخرنا وأشرنا وقيل البطر الطغيان فى النعمة وذلك أن النعم اذا كبرت
من الله تعالى على العبد فان صرفها فى المفاخرة على الاقران وكأثرها أبناء الزمان
وأنفقها فى غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر فى العمة وان صرفها فى طاعة الله وابتغاء
مرصاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها
﴿ ورثاء الناس ﴾ الرياء اظهار الجليل لبراء الناس مع ابطان القبيح والفرق بين
الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع
ابطان المعصية ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى ويمنعون الناس عن الدخول
فى دين الله نزلت هذه الآية فى كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبنى

ديارهم) مكة (بطرا) (أشرنا) (ورثاء الناس) سمعة الناس (ويصدون عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

الحال وكذا ان جعل مفعولاه لكن على تأويل المصدر ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾
 فيجازيكم عليه ﴿ واذين لهم الشيطان ﴾ مقدر باذكر ﴿ أعمالهم ﴾ في مادة
 الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿ وقال لا غالب لكم اليوم
 من الناس واني جار لكم ﴾ مقالة نفسانية والمعنى انه اتى في روعهم وخيل اليهم انهم
 لا يفلتون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها
 قربات مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفتنين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب

(والله بما يعملون محيط) عالم
 وهو وعيد (واذين لهم
 الشيطان أعمالهم وقال
 لا غالب لكم اليوم من
 الناس) واذكر اذ زين
 لهم الشيطان أعمالهم
 التي علوها في مادة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 ووسوس اليهم انهم لا يفلتون
 وغالب مبنى نحو لارجل
 ولكم في موضع رفع خبر
 لا تقديره لا غالب كأن
 لكم (واني جار لكم) أى
 (والله بما يعملون) في الخروج
 على النبي صلى الله عليه وسلم
 والحرب (محيط) عالم
 (واذين لهم الشيطان
 أعمالهم) ابليس خروجهم
 (وقال لا غالب لكم) عليكم
 (اليوم من الناس) محمد
 صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 (واني جار لكم) معين لكم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبات بخيلائها وفخرها تجادل
 وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أباسفيان لما
 رأى انه قد أحرز غيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتقتلوا غيركم
 ورجالكم وأموالكم فقد نجحها الله فارجموا فقال أبو جهل والله لا ترجع حتى نرد
 بدر او كان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بهاسوق في كل عام قال فنقم عليها
 ثلاثا ونهر الجزور ونظم الطعام ونسقى الخجور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب
 فلا يزالون يهابوننا أبدأ ما مضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدر اسقوا كأس الحمام عوضا
 عن الخجور وناحت عليهم النوائح فكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثاهم والمعنى
 لا يكونن أسركم أيها المؤمنون رياء وسمة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله
 عز وجل النية وقاتلوا حسة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا
 الا لذلك ولا تطلبوا غيره ﴿ قوله تعالى ﴾ والله بما يعملون محيط ﴿ فيه وعيد وتهديد يعنى
 انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شئ لانه محيط بأعمال الابد كلها فيجازى المحسنين
 وبما قب المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذين لهم الشيطان أعمالهم ﴿ يعنى اذكروا
 أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين أعمالهم الخبيثة ﴿ وقال
 لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ قال بعضهم كان تزينه وسوسة ألقاها في قلوبهم
 من غير أن تتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه
 بن مالك بن جهم وكان تزينه ان قريشا لما أجمت على السير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين
 بن بكر بن الحرث من الحروب فكان ذلك أن ينهيم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك
 بن جهم المدلجى وكان من أشرف بنى كنانة فقال أبا جار لكم من أن بأيتكم من كنانة شئ
 تكرهونه فخر حواسرا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايت
 في صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقه بن مالك بن جهم فقال للمشركين
 لا غالب ليكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اسطف الداس أخذ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قبضة من الزاب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل
 جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين
 انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل بأسراقه أتزعم انك جار لنا فقال
 انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة

مخير لكم أو همهم ان طاعة الشيطان مما يحيرهم ﴿٥٥﴾ (فلما ترامت سورة الانفال)

(نكص) الشيطان هاربا
(على عقبيه) أى رجح
القهقرى (وقال أنى برى
منكم) أى رجحت عما
ضمنت لكم من الامان روى
ان ابليس يمثل لهم فى صورة
سراقة بن مالك بن جشم
فى جند من الشياطين معه
راية فلما رأى الملائكة
تنزل نكص فقال له الحرث
ابن هشام أنخذلنا فى هذه
الحالة فقال (انى أرى مالا
تروون) أى الملائكة
وانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله
ماشعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيتكم فلما أسلوا
علموا انه الشيطان (انى
أخاف الله) أى عقوبته
(والله شديد العقاب)

(فلما ترامت الفتان) الجحان
جمع المؤمنين وجمع الكافرين
ورأى ابليس جبريل مع
الملائكة (نكص على عقبيه)
رجع الى خلفه (وقال) لهم
(انى برى منكم) ومن قتالكم
(انى أرى مالا تروون) أرى
جبريل ولم تروه (انى أخاف
الله والله شديد العقاب)
إذا عاقب خاف ان يأخذه
جبريل فيعرفه اليهم

أوصفته وليس صلته والالاتصب كقولك لا ضارباً يداعندنا ﴿ فلما ترامت الفتان ﴾
أى تلاقى الفريقان ﴿ نكص على عقبيه ﴾ رجح القهقرى أى بطل كيدى وعاد ما خيل
اليهم انه يحيرهم بسبب هلاكهم ﴿ وقال انى برى ﴾ منكم انى أرى مالا تروون انى أخاف الله ﴿
أى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما
اجتمعت قریش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كسانته من الاحنة وكان ذلك يتنبههم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا ظالب لكم اليوم وانى محيركم
من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى بياض الحارث بن هشام فقال له الى
اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالا تروون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهمزوا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيتكم فلما أسلوا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى
أخاف الله انى أخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ رأى ما لم يرقبه والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿ والله شديد العقاب ﴾

وقوله انى حارلكم يعنى محيركم من كنانة ﴿ فلما ترامت الفتان ﴾ أى التقي الجحان رأى
ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم ﴿ نكص على عقبيه ﴾
وقال انى برى منكم ﴿ يعنى رجح القهقرى وولى مدبراً هاربا على عقبه وقال
الكلى لما التقي الجحان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه
فقال له الحرث أفرارا من غير قتال وجعل يمسه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم
الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى
هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيتكم فقالوا أما أيتنا فى يوم كذا وكذا
فخلف لهم فلما أسلوا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله ﴿ انى أرى مالا
تروون ﴾ قال رأى ابليس جبريل عليه السلام متعباً يريد يعنى بين يدي النبى
صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس
انى أرى مالا تروون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب ما به خفاة الله ولكن
علم انه لا قوت له ولا منعة فاوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذا
التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فمن هلك وقيل
خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطعموه وقيل معناه ﴿ انى أخاف الله ﴾
أعلم صدق وعده لا وليا له لانه كان على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد
نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة ﴿ والله شديد العقاب ﴾ قيل معناه انى أخاف
الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله
انى أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى
والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به ﴿ عن طلحة بن عبيد الله بن كروان

اذكروا (اذ يقول المناقون) الجزء العاشر بالمدنية (والدين) ٥٦ ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ هو من صفة المناقون

يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا ﴿ اذ يقول المناقون والدين في قلوبهم مرض ﴾ والدين لم يطمثوا الى الايمان بسد وفي قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المناقون والمطف لتغاير الوصفين ﴿ غر هؤلاء ﴾ يسنون المؤمنين ﴿ دينهم ﴾ حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ جواب لهم ﴿ فان الله عزيز ﴾ غالب لا يذل من استجار به وان قل ﴿ حكيم ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما يستعده العقل ويميز عن ادراكه ﴿ ولو ترى ﴾ ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ﴿ اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ بيدر واذا ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن ماسر بالياء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصفر ولا أدهر ولا أحقر ولا أغبط منه في يوم عرفه وما ذاك الا لما برى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قدر أى جبريل يزع الملائكة أخرجهما لك في الموطأ وقوله ولا أدهر هو بالدال والهاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرده مع الاهانة وقوله يزع الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لتلاخيمهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابايس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن تشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ يقول المناقون ﴿ يعنى من أهل المدينة ﴾ والدين في قلوبهم مرض ﴿ أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يبقوا الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقتلون أضغاثهم فقد ضرم دينهم الاسلام على ذلك وجلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فتنة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحريث بن زمة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والماص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويشق بفضله ويعول على احسانه ﴿ فان الله ﴾ حافظه وناصره لانه ﴿ عزيز ﴾ لا يظلمه شئ ﴿ حكيم ﴾ فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴿ يعنى ولو طابت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيما وعذابا شديدا ينالهم فى

أو أريد والدين هم على حرف ليسوا بثنائي الاقدام فى الاسلام (غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل اليه أمره (فان الله عزيز) غالب يسلب القليل الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لا يسوى بين ولم وعدوه (ولو ترى) ولو طابت وشاهدت لان لو نزل المضارع الى معنى الماضى كما تردان الماضى الى معنى الاستقبال (اذ) نصب على الظرف (يتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

فلا يطعموه بعد ذلك (اذ يقول المناقون) الذين ارتدوا بيدر) والدين فى قلوبهم مرض) شك وخلاف وسائر الكفار (غر هؤلاء) محمد عليه السلام وأصحابه (دينهم) توحيدهم (ومن يتوكل على الله) فى النصرة (فان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر (ولو ترى) لورأيت يا محمد

(ذلك)

(اذ يتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

فاعل (يضربون) حال منهم (وجوههم) إذا أفلوا (وأديهم) ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عند الأقدام وأديهم عند الأقدام وقبل في توفى ضمير الله تعالى ﴿ ٥٧ ﴾ والملائكة { سورة الانتقال } رفوعه بالابتداء ويضربون

خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيقهم بلا واسطة دليله قراءة ابن ماسر توفى بالهاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا جواب لو محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفعه بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذب الكفار من العدل وقيل ظلام لانكثير لاجل العبيد أو لثني أنواع الظلم الكاف في (كذاب آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعماهم الذي دأبوا فيه أي يوم بدر (يضربون وجوههم) على وجوههم (وأديهم) على أديهم (وذوقوا عذاب الحريق) الشديد

يضربون وجوههم ﴿ والجملته حال من الذين كفروا واستثنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتقائه على الضميرين ﴿ وأديهم ﴿ ظهورهم واستاههم ولعل المراد تميم الضرب أي يضربون ما قبل منهم وما ادبر ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ عطف على يضربون بأخبار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها وجواب لو محذوف لتفطير الامر وتحويله ﴿ ذلك ﴿ الضرب والعذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴿ عطف على ما دلالة على ان السببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولا لا يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرما ولا عقلا حتى يتنهض في الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ أي دأب هؤلاء مثل دأب آل

ذلك الوقت ﴿ يضربون وجوههم وأديهم ﴿ اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأديهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأديهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أفلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا أديهم ضربت الملائكة أديهم وقال ابن جرير يريد ما قبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محيية بالنار يضربون بها الكفار فتلهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ ذلك ﴿ يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحرق ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محالا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآفة يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك تمتع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة ﴿ وقوله عز وجل ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما في الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لانه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحالة نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتمذيبه عليه ظالم فهذا قال الله سبحانه وتعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ يعني ان عادة هؤلاء

(ذلك) العذاب (بما قدمت) عملت (أيديكم) (قا و خا لث) في الشرك (وان الله ليس بظلام للعبيد) ان يأخذهم بلا جرم

داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب
(ذلك) العذاب أو الانتقام { الجزء العاشر } (ان الله لم يك **﴿ ٥٨ ﴾** مغيرا لشيء مما عملوا على قوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم) بسبب ان الله لم يصرح
في حكمته ان يغير نعمته عند
قوم حتى يغيروا ما بهم من الخلال
نعم لم يكن لآل فرعون
ومشركي مكة حال مرضية
فيغيروها الى حال مسخوطة
لكن لما تغيرت الحال المرضية
الى المسخوطة تغيرت الحال
المسخوطة الى أسخط منها
وأولئك كانوا قبل بعثة
الرسول اليهم كفرة عبدة
أصنام فبأبث اليهم بالآيات
فكذبوه وسعوا في اراقة
دمه غيروا حالهم الى أسوأ
ما كانت فغير الله ما أنعم
بدها عليهم من الامهال وجاههم
بالعذاب (وان الله سمع)
لما يقول مكذبوا الرسل
(عليهم) بما يفعلون (كذاب
آل فرعون) تكرر لانا كيد
أولان في الاولى الاخذ
بالتنوب بلا بيان ذلك
وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك
والاستئصال (والذين
من قبلهم

فرعون وهو علمهم وطريقهم الذي داؤوا فيه أي داهوا عليه والذين من قبلهم
من قبل آل فرعون ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ تفسير لدأب بهم ﴿ فاخذهم الله بذنوبهم ﴾
كما اخذ هؤلاء ﴿ ان الله قوى شديد العقاب ﴾ لا يغيبه في نفسه شيء ﴿ ذلك ﴾ إشارة
الى ما حل بهم ﴿ بان الله ﴾ بسبب ان الله ﴿ لم يك مغيرا لشيء مما عملوا على قوم ﴾ مبدلا
اياها بالنعمة ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كغير
قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعريض الآيات والرسل بمعادة الرسول
ومن تبسه منهم والسعي في اراقة دماهم والتكذيب بالآيات والاستهزام بها الى غير
ذالك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا
حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغير وا حالهم
واصل يك يكون مخذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه
بالحروف اللينة تخفيفا ﴿ وان الله سمع ﴾ لما يقولون ﴿ عليهم ﴾ بما يفعلون ﴿ كذاب
آل فرعون والذين من قبلهم

الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسير يوم بدر كما جوزى
آل فرعون بالاعراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدأوم
عليه ويتعب تنسديه في سميت المادة دأ بالان الانسان يدأوم على عادته ويواظب عليها قال ابن
عباس مناه ان آل فرعون أيقنوا ان ما سى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء
لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال فرعون
﴿ والذين من قبلهم ﴾ يعني من ذل آل فرعون ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ يعني ان عادة الامم السالفة
هو كفرهم بآيات الله ﴿ فاخذهم الله بذنوبهم ﴾ يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ﴿ ان الله قوى ﴾
يعني في اخذه وانه قاد من كفر به وكذب رسله ﴿ شديد العقاب ﴾ يعني لمن كفر به وكذب
رسله ﴿ ذلك بان الله لم يك مغيرا لشيء مما عملوا على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ يعني ان الله
سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا
صلى الله عليه وسلم فضاوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه
وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي
نعمة الله ومحمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فقال الله تعالى الى
الانصار ﴿ وان الله سمع ﴾ يعني لا قول خاقه لا يعني بله شيء من كلامهم ﴿ عليهم ﴾ يعني بما
في صدورهم من خيوسر فيجازي كل واحد على عمله ﴿ كذاب آل فرعون ﴾ يعني ان هؤلاء
الكفار الذين تناهوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كما نزع آل فرعون ﴿ والذين من قبلهم

(كذاب آل فرعون)
كصنيع آل فرعون (والذين
من قبلهم كفروا بآيات الله)
بكتاب الله ورسوله يقول
كفار مكة كفروا بمحمد

عائده السلام والقرآن كما ذكر مرعون ونوره والذين من قبلهم بال... (بأخذهم الله بذنوبهم) (كذبهم) (وا)
(ان الله قوى) (بالاخذ) (شديدا العقاب) (ذالك) (النعمة بان الله لم يك مغيرا لشيء مما عملوا على قوم حتى يغيروا ما
(حتى يغيروا ما بأنفسهم) (ترك الشكر) (وان الله سمع) (بدها لكم) (عليهم) (باجابكم) (كذاب آل فرعون) (كصنيع آل فرعون) (والذين

كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ﴿ ٥٩ ﴾ ربهم زيادة دلالة على { سورة الانفال } كفران النعم وجمود الحق

(فاهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون)
بماء البحر (وكل) وكلهم
من غرق في القبط وقتل قريش
(كانوا ظالمين) أنفسهم
بالكفر والمعاصي (ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون) أي أصروا
على الكفر فلا يتوقع منهم
الايان (الذين عاهدت منهم)
بدل من الذين كفروا أي الذين
عاهدتهم من الذين كفروا
او جعلهم شر الدواب لان شر
الناس الكفار وشر الكفار
المصريون وشر المصريين
الساكنون لاسهود (ثم
يتقضون عهدهم في كل مرة)
في كل معاهدة (وهم
لا يتقون) لا يخافون عاقبة
القدر ولا يسألون بما فيه
من قبلهم كذبوا بآيات
ربهم) بالكتب والرسل
كما كذب أهل مكة (فاهلكناهم
بذنوبهم) بتكذيبهم
(وأغرقنا آل فرعون)
وقومه (وكل) كل هؤلاء
(كانوا ظالمين) كافرين
(ان شر الدواب) الخلق
والخائفة) عند الله الذين
كفروا) بنو قريظة وغيرهم
(فهم لا يؤمنون) بمحمد
عليه السلام والقرآن ثم

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون ﴿ تكثيراً للتأكيد ولما تيط به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبين ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه
الكفر والاخذ به والثاني لتسوية التغيير في النعمة بسبب تسييرهم ما بانفسهم ﴿ وكل ﴾ من الفرق
المكذبة أو من غرق في القبط وقتل قريش ﴿ كانوا ظالمين ﴾ انفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا ﴾ اسروا على الكفرور سخوافيه ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾
فلا يتوقع منهم ايمان ولما اخبر عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء المعطية
والثنية على ان تحقق المطوف عليه يستدعي تحقق المطوف وقوله ﴿ الذين
عاهدت منهم ﴾ ثم يتقضون عهدهم في كل مرة ﴿ بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلح وقالوا نسينا ما عاهدناهم فكنشوا وما لؤهم عليه
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فخالفهم ومن تضمن المعاهدة معنى
الاخذ والمراد بالمرّة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿ وهم لا يتقون ﴾ سبة القدر ومغبتها

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم ﴿ يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف
وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف
﴿ وأغرقنا آل فرعون وكل ﴾ كانوا ظالمين ﴿ يعني الاولين والآخرين فان
قات ما للفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام
الثاني مجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية
الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى
انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى
اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وجمدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا
بها مع جمودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله
كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجمود الحق وفي ذكر الاغراق بيان
للاخذ بالذنوب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان شر الدواب عند الله ﴿ يعني في علمه وحكمه
﴿ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ ، والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصريون
على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف الذين عاهدت منهم ﴿
قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وتيل هي للبيض لان المعاهدة مع بعض التوم
وهم الرساء والاشراف ﴿ ثم يتقضون عهدهم في كل مرة ﴾ قال المنسرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ناعسي يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه
نذعوا العهد وأعانوا مشرك مكة بالسلح على قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ﴿ ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعايدهم الائمة فمقتوا العهد أبغنا وما اثرا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فوافق على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يتقون ﴾ يعني لا يخافون الله

منهم ﴿ ال (الذين عاهدت) عهدهم بنو قريظة (ثم يتقضون) يدس في كل مرة) حين (وهم لا يتقون) عن نقض العهد

من العار والنار (فاماتقنهم) فاماتصادقهم
 في الحرب (فاماتصادقهم) وتظفرون بهم (فمترد بهم من
 خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرقتة
 ومانصبتك بقتلهم شرقتة والنكابة فيهم من وراهم
 من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا
 بهم واتماظا بحالهم وقال الزجاج افعالهم ما تفرق
 به جمعهم وتطرد به من عداهم (للمهم يذكرون)
 لعل المتردين من وراهم يتعظون (واما تخافن من
 قوم) معاهدين (خيانة) نكتا بأمارات تلوح لك
 (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على
 استواء منك ومنهم في العلم ينقض العهد وهو حال من
 السابذ والمنبوذ اليهم أي حاصلين على استواء في العلم
 (ان الله لا يحب الخائنين)

(فاماتقنهم) تأسرنهم (في الحرب فمترد بهم) فنكل بهم (من خلفهم) لكي يكونوا عبرة لمن خلفهم (للمهم يذكرون) يتعظون فيجتنبون نقض العهد (واما تخافن) تعلن (من قوم) من بني قريظة (خيانة) بنقض العهد (فانبذ اليهم على سواء) فنانبذهم على بيان (ان الله لا يحب الخائنين)

الخائنين) بنقض العهد وغيره من بني قريظة وغيرهم

أولا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم (فاماتقنهم) فاماتصادقهم وتظفرون بهم (في الحرب فمترد بهم) تفرق عن مناصبتك وتكل عنها بقتلهم والنكابة فيهم (من خافهم) من وراهم من الكفرة والتشريد تفرق على اضطراب عوقري شرذ بالذال المجهمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمضى واحد فانه اذا شرذ من وراهم فقد فعل التشريد في الورا (اعلمهم يذكرون) لعل المتردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من التابذ على الوجه الاول أي تابنا على طريق سوى او منه أو من المنبذ اليهم أو منه ما على غيره وقوله (ان الله لا يحب الخائنين) تعليل الاسم بالتبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف

في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يبقى نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله وينقون بكلامه فيبين الله عز وجل ان من جع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاماتقنهم في الحرب) يعني فاماتجندن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرون بهم في الحرب (فمترد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفرق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فاضل بهم فعلا من القتل والتسكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراهم من أهل مكة واليمن (للمهم يذكرون) يعني لعل ذلك النكال عنهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني واما تعلن يا محمد (من قوم) يعني معاهدين (خيانة) يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار العذر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) أي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستو يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من جبير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو ابن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا شد عقدة ولا يحاها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من جبير وعنده الله أكبر مرة واحدة

(وفيه)

الناقضين لليهود (ولا يحسن) بالياء وقم السين شامى وحزرة يزيد وحفص وبالهاء وقم السين أبو بكر وبالهاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وأقتلوا من ﴿٦١﴾ أن يظفروهم (انهم لا يجزون) {سورة الانفال} انهم لا يفوتون ولا يجدون

طالبهم طجرا عن ادراكهم
انهم شامى اى لانهم وكل
واحدة من المكسورة
والمقتوحة تعليل غيران
المكسورة على طريقة
الاستئناف والمقتوحة
تعليل صريح فمن قرأ
بالياء فالذين كفروا
مفعول أول والثانى سبقوا
ومن قرأ بالياء فالذين
كفروا فاعل وسبقوا مفعول
تقدير ان سبقوا فحذف ان
وان مخففة من الثقيلة اى
انهم سبقوا فسد مسد
المفعولين أو يكون الفاعل
مضمرا اى ولا يحسن محمد
الكافرين سابقين ومن
ادعى تفرد حجة بالقراءة
ففيه نظر لما يتنا من عدم
تفرد بها وعن الزهرى
انها نزلت فيمن أقات من
فل المشركين (وأعدوا)
أيها المؤمنون (لهم) لناقضى
المهدأ ولجميع الكفار (ما
استطعتم من قوة) من
كل ما يتقوى به فى الحرب
من عددها وفى الحديث الا
ان القوة الرمي قالها ثلاثا
على المنبر وقيل هى

(ولا تحسبن) لا تظنن يا محمد
(الذين كفروا) بى
قربطة وغيرهم (سبقوا)

﴿ولا تحسبن﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾
مفعولاه وقرأ ابن ماسر وحزرة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احداً ومن خلفهم
او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير ان سبقوا وهو
ضميف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع القيل على ﴿انهم
لا يجزون﴾ بالفتح على قراءة ابن ماسر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى
مفلتين والاظهر انه تعليل للتهى اى لا تحسبنهم سبقوا فالتوا لانهم لا يفوتون الله أو
لا يجدون طالبهم طجرا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل
الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذره من نبذ العهد وايقاظ المدو وقيل نزلت
فيمن اقلت من فل المشركين ﴿واعدوا﴾ ايها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد
أو للكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبه بن ماسر

وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض
العهد بمن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ
العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتضغ له من غير أمر
مستفيض فينتدب على الامام ان يبذلهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قرينة كانوا
قد ناهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا بأبسيان ومن معه من المشركين الى مظاهر تم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه
فهنا يجب على الامام ان يبذلهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا
مقبوضا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة
لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة ﴿وقوله تعالى
﴿ولا تحسبن﴾ قرئ بالياء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد ﴿الذين
كفروا سبقوا﴾ بى فاتوا وانهم موا يوم بدر وقرئ بالياء على النبية ومعناه ولا يحسن الذين
كفروا سبقوا بى خصوصا من القتل والاسرى يوم بدر ﴿انهم لا يجزون﴾ بى انهم بهذا السبق
لا يجزون الله من الانتقام منهم اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة بعذاب النار وقيه سلبية لاننى
صلى الله عليه وسلم فيمن فانه من المشركين ولم يذمهم فاعلم الله انهم لا يجزون بى قوله عز وجل
﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ بى الاعداد انما ذالنى لوقت الحاجة اليه وفى المراد
بالقوة أقوال * أحدها أنها جميع أنواع الأسلحة والآلات التى تكون لكم قوة فى الحرب
على قتال عدوكم * الثانى انها الحصون والمعقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فمارواه عقبه بن ماسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي نالما أخرجه مسلا (خ)
عن أبي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صفوا القريش اذا كذبكم

فاتوا من عذابنا ما قالوا وصنعوا (انهم لا يجزون) لا يفوتون من عذابنا (وأعدوا لهم) بى قربطة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

سمته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ولله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لأنه اقواء ﴿ومن رباط الخيل﴾ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فقال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط رباطاً ورباطاً ورباطاً ورباطة ورباطاً ووجع ربيط كفصيل وفصال ووقرى رباط الخيل بضم الباء وسكونها

يعنى عشوكم وفي رواية أكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية إذا كشوكم فطليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يصحز أحدكم أن يلهو باسمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين القرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اطانه قال قلت وما ذلك قال سمته بقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصي عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فيبلغت يومئذ عشرة أشهر قال وسمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمي بسهم في سبيل الله فهو عدل محرراً أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضاً عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل ليدخان بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والمحدثه وفي رواية ومنه يلهو فارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من الله محمود إلا ثلاثة ناديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أي نبله فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصراً إلى نبله (خ) عن سامة بن الأكوع قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بني ملان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم والقول الرابع إن المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو وكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جلة القوة للمأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم إلا إن القوة الرمي لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم ارموا عرفة وقوله التدم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا هنا يحمل معنى الآفة على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعايم القروسية كل ذلك مأمور به إلا أنه من فروض الكفايات * وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل﴾ يعني اقتناءها وربطها للفرز في سبيل الله والربط سد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي ينحصر بإقامته حفظه فيه رباطاً والمرابطة إقامة المسابن بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به

الحصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل من سلاح (ومن رباط الخيل) من الخيل الروابط

جمع رباط وعطفها على القوة كمطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ ترهبون به ﴾ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطتم أو للاعداد ﴿ عدوا لله وعدوكم ﴾ يعني كفار مكة

روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلاث ماله لخصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالانثية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقله صهيلها وعن ابن عبيد قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقيل ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والمدو فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عمرو بن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل مقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً لله وتصديقاً بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاث هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطل لها في سرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المريج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرقاً أو شرفين كانت له آثارها وأرواها حسنات ولو أنها صرت بنهر فشربت منه ولم يزدان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنياً وتمقفاً ولم ينسحق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواها لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف قال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفادة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره الطيل الحبل الذي يشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف النوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنياً يعني استثناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الحبل عاها فصر بالرقبة عن الذات وقوله نواها لاهل الاسلام النواها المعادة يقال نأوت الرجل مناواة اذا عاديته * وقوله تعالى ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزنون به عدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان اسابن متأبون للجهاد مستعدون له

وميكال (ترهبون به) بما استطتم (عدو الله وعدوكم) الاناث (ترهبون به) تخوفون بالخيل (عدو الله) في الدين (عدوكم) بالقتل

﴿ وآخرين من دونهم ﴾ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس ﴿ لا تعلمونهم ﴾ لا تعرفونهم باعيانهم ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعرفهم ﴿ وما تنفقوا من شيء ﴾ في سبيل الله يوف اليكم ﴿ جزاؤه ﴾ وانتم لا تظلمون ﴿ بتضييع العمل أو تقضى الثواب ﴾ وان جنحوا ﴿ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى ﴾ ﴿ للسلح ﴾ للصالح والاستسلام ﴿ وقرأ أبو بكر بالكسر ﴾ فاجنح لها ﴿ وطاهد معهم وتأبث الضمير لجلس السلم على نقيضها نية قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاها جرع

مستكمون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل سر بطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل بصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ﴿ وقوله تعالى ﴾ وآخرين من دونهم ﴿ يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيه فقال مجاهد بن قنيفة وقال السدي هم فارس وقال ابن زبده المنافقون لقوله تعالى ﴿ لا تعلمونهم ﴾ لانهم معكم يقولون بالسنتهم لاله الا الله ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقايلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا اليراد ان المنافقين انا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلتهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا المسلمين بعدوا قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم وبعض هذا القول ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يتجمل احد في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله ﴿ قبل أراد به نفقة الجهاد والنزو وقل هو أسوأ من كل وجه الخبر والطاعة فيدخل منه نفقة الجهاد وغيره ﴿ يوف اليكم ﴾ يعني أجره في الآخرة ويتجمل لكم عرضة في الدنيا ﴿ وانتم لا تظلمون ﴾ يعني وانتم لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا ﴿ قوله تبارك وتعالى ﴾ وان جنحوا لاسلم فاجنح لها ﴿ لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد النوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا لاسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم خمس سنين ولا يجوز الزيادة عداها ابتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قاله صاحب أدب مكة مدة عشر سنين ثم انقضوا اليه قبل انقضائه مدة ﴿ وقوله تعالى

من دونهم) غيرهم وهم اليهود والمنافقون وأهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم يوف عليكم جزاؤه (وانتم لا تظلمون) في الجزاء بل تعطون على التام (وان جنحوا مالوا جنح له واليه مال (للسلم) للصالح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأبث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) قبل اليها

(وآخرين من دونهم) من دون بني قريظة وسائر العرب ويقال كفار الجن (لا تعلمونهم) لا تعلمون عدتهم (الله يعلمهم) يعلم عدتهم (وما تنفقوا من شيء) من مال (في سبيل الله) في طاعة الله على السلاح والخيل (يوف اليكم) يوف لكم ثوابه لا ينقص (وانتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثوابكم (وان جنحوا لاسلم) ان مال بنو قريظة الى الصلح فارادوا الصلح (فاجنح لها) مل اليها

(وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم ﴿ ٦٥ ﴾ المكرفى { سورة الانفال } جنوحهم الى السلم فان الله

وقرى فاجمع بالضم ﴿ وتوكل على الله ﴾ ولا تخف من ابطانهم خداما فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحققه بهم ﴿ انه هو السميع ﴾ لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ بذياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة لسختها آية السيف ﴿ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ﴾ فان حسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم • ان تلبسوا حرا الثياب وتشبعوا

﴿ هو الذى ابدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جيما ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ مع ما فهم من العصية والضعينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عايه وسلم وبيانه ﴿ لو انفقت ما فى الارض جيما ما لفت بين قلوبهم ﴾ أى تناهى عدوانهم الى حد لو انفق متفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب

﴿ وتوكل على الله ﴾ يعنى فوض أمرك الى الله فيما عقده معهم ليكون عونك فى جميع أحوالك ﴿ انه هو السميع ﴾ يعنى لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ يعنى باحوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وان يريدوا ان يخدعوك ﴾ يعنى يفندوا بك قال مجاهد يعنى بنى قرىظة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديتك لتكف عنهم ﴿ فان حسبك الله ﴾ يعنى فان الله كافيك بنصره ومعوته ﴿ هو الذى ابدك بنصره ﴾ يعنى هو الذى قواك وأعانك نصره يوم بدر وفى سائر أيامك ﴿ وبالمؤمنين ﴾ يعنى وأيدك بالمؤمنين يعنى الانصار قال قلت اذا كان الله قد أيد بنصره فأى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وأسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى ابدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف أيد به بالمؤمنين فقال تعالى ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جيما ما لفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وذلك ان العرب كانت فىهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصية والانطواء على الضعينة من أدنى شئ حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأره لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فىهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فأتلفت قلوبهم واستجمعت كلمهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتماسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت فى الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا عمالا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله

بن قلوبهم جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالاسلام (لو أنفقت (قواخا ٩ لث) ما فى الارض جيما) من الذهب والفضة (ما لفت بين قلوبهم)

كافيك هو صمك من مكرهم (انه هو السميع) لا قوالك (العليم) باحوالك (وان يريدوا ان يخدعوك) يمحروا ويضدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذى ابدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جيما (او بالانصار) (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت ما فى الارض جيما ما لفت بين قلوبهم) أى بلغت عدوانهم مبلغا لو أنفق متفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضله ورحته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التبغض والتحاقت

واردها (وتوكل على الله) فى تقضهم ووفائهم (انه هو السميع) لقاتلهم (العليم) بتقضهم ووفائهم (وان يريدوا) بنو قرىظة (أن يخدعوك) بالصلح (فان حسبك الله) الله حسبك وكافيك (هو الذى ابدك) قواك وأعانك (بنصره) يوم بدر (وبالمؤمنين) بالاوس والخزرج (وألف

(انه عزيز) يقهر من
يخضعونك (حكيم) ينصر
من يتبعونك (يا أيها النبي
حسبك الله ومن أتبعك
من المؤمنين) الواو بمعنى مع
وما يهدى منصوب والمعنى
كفالك وكفى أتباعك
من المؤمنين الله ناصر
ويجوز أن يكون في محل
الرفع أي كفالك الله وكفالك
أتباعك من المؤمنين قيل
أسلم مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا
وست نسوة ثم أسلم عمر
فنزلت (يا أيها النبي حرض
المؤمنين على القتال)
التحريض المبالغة في الحث
على الأمر من الحرض وهو
أن ينهكه المرض حتى
يشقى على الموت (ان يكن
منكم عشرون صابرون
ينلبوا مائين

وكانهم) ولكن الله الب بينهم
بين قلوبهم بالامان (انه
عزيز) في ما كنهه وسلطانه
(حكيم) في أمره وقضائه
(يا أيها النبي حسبك الله)
الله حسبك (ومن أتبعك
من المؤمنين) الاوس
والخزرج (يا أيها النبي
حرض المؤمنين) حرض
وحث المؤمنين (على القتال)
يوم بدر (ان يكن منكم
عشرون صابرون)
في الحرب محتسبون (ينلبوا
مائين) يقاتلوا مائين من المشركين

يقبلها كيف يشاء ﴿انه عزيز﴾ تام القدرة والظبة لا يصح عليه ما يريد ﴿حكيم﴾
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لا امداءها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والى بينهم بالاسلام حتى
تصافوا وصاروا انصارا ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ كافيك ﴿ومن أتبعك من المؤمنين﴾
اما في محل النصب على المفعول منه كقوله

اذا كانت الهجاء واشتمير القناه فحسبك والضهاك سيف مهند
أو الجبر عطفًا على المكثي عند الكوفيين أو الرفع عطفًا على اسم الله أي كفالك الله
والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾
بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشقى على الموت وقرئ حرض
من الحرض ﴿ان يكن منكم عشرون صابرون يطلبوا مائين

عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الانصار لم أجدكم ضلالا فهذا كم الله بي وكنتم متفرقين فالقكم الله بوعاله فاعناكم الله بي
وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك
الالفة والحجة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه
سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله ﴿انه عزيز حكيم﴾ يعنى أنه تعالى قادر قاهر
يمكنه التصرف في القلوب فيقلها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل
ذلك على وجه الحكمة والصواب ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿يا أيها النبي حسبك الله
ومن أتبعك من المؤمنين﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت
في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فلى هذا القول تكون
الآية مكية كتبت في سورة مدنية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت
بالبيداء في غزوة بدر وقبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن أتبعك من
المؤمنين يعنى الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن أتبعك من المؤمنين الانصار
وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها
النبي حسبك الله وحسب من أتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من
المؤمنين ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ يعنى حثهم
على قتال عدوهم والتحريض فى اللغة الحث على الشئ بكثرة التزير وتسهل الخطب
فيه كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ﴿ان يكن منكم عشرون﴾ يعنى رجلا
﴿صابرون﴾ يعنى عند اللقاء محتسبين أنفسهم ﴿يا أيها النبي﴾ يعنى من عدوهم
وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكأنه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا
عشرة أمثالهم من الكفار بمون الله وتأيدہ ﴿ ٦٧ ﴾ (بأنهم ﴿ سورة الانفال ﴾ قوم لا يفقهون) بسبب ان

الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقتل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفرروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فتسخط وخفف عنهم مقاومة الواحد الاثنى بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا حاصم وحجة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي واقصد البصرى في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا ماثنين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله

(وان يكن منكم مائة يغلبوا) يقاتلوا (ألفا من الذين كفروا) بأنهم قوم لا يفقهون أمر الله وتوحيده (الآن) بعد يوم بدر (خفف الله عنكم) هون الله عليكم (وعلم ان فيكم ضعفا) بالقتال (فان يكن منكم مائة صابرة) محتسبة (يغلبوا) يقاتلوا (ماثنين وان يكن منكم ألف يغلبوا) ألفين باذن الله

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴿ شرط في معنى امر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم ان صبروا غلبوا بمون الله وتأيدہ وقرأ ابن كثير ونافع وابن حاصر تكن بالنساء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة صابرة ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وصولا للدجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ماثنين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنى وقيل كان فيهم قلة فاسروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد يذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لفتان الفتح وهو قراءة حاصم

وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا ماثنين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يعنى ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حية فاذا صدق قوتهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا ماثنين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا ماثنين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من ماثنين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من ماثنين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا ماثنين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعنى في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا ماثنين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنى فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرؤا فاما رجل فر من

ألف يغلبوا (ألفين باذن الله

وحزة والضم وهو قرارة الباقين ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والموتة فكيف لا يظنون ﴿ ما كان لنبي ﴾ وقرئ للنبي على العهد ﴿ ان يكون له اسرى ﴾ وقرأ البصريان بالثاء

من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر ﴿ والله مع الصابرين ﴾ يعني بالنصر والموتة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ ما كان لنبي أن تكون له أسرى ﴾ روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجي بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واسأر بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نار ا فقال له العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فن تبني فانه مني ومن عصاني فانك خفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أتمم الله فدايتن أحد منهن الا فداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأرأيتني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الفدجت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لبكائكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر ماترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو اعم والمشيخة

(والله مع الصابرين)
وتكرير مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل
التخفيف وبهذه للدلالة
على ان الحال مع القلة
والكثرة لا تتفاوت اذا الحال
قد تتفاوت بين مقاومة
العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف
الالفين (ما كان لنبي)
ماصح له ولا استقام (ان
يكون له اسرى) ان تكون
(الفين باذن الله والله
مع الصابرين) معين
الصابرين في الحرب
بالنصرة (ما كان لنبي)
ما ينبغي لنبي (أن يكون له
أسرى) اسارى من الكفار

بصري (حقى يثخن في الاض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى النلط والكثافة يعنى حتى ينزل الكفر بإشاعة القتل
في أهله ويمز الاسلام بالاستيلاء ﴿ ٦٩ ﴾ والقهر ثم الاسر { سورة الاحال } بذلك. وى ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين
أسيراً فهم العباس عم وعقيل
فاستشار النبي عليه السلام
أبا بكر فيهم فقال قومك
وأهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوى بها أصحابك
وقال عمر رضى الله عنه
كذبوك وأخرجوك
فقدمهم واضرب أعناقهم
فان هؤلاء أئمة الكفر وان
الله اغناك عن الفداء مكن
عليما من عقيل وحزة من
العباس ومكنى من فلان
لنسيب له فلنضرب أعناقهم
فقال عليه السلام مثلك
يا أبا بكر كمثل ابراهيم
حيث قال ومن عصاني فأتك
غفور رحيم ومثلك
يا عمر كمثل نوح حيث
قال رب لا تدبر على الارض
من الكافرين ديارهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم ان دنتم قتلتموه وان
شتمتم فادتموه واشتشهد
منكم بعدتهم فقا لو ابل
تأخذ الفداء فاستشهدوا
باحد فلما اخذوا الفداء
نزلت الآية (تريدون عرض
الدنيا) متاعها يعنى الفداء
سماء عرضاً لقلبة بقائه
وسرعة فناءه (والله يريد

﴿ حتى يثخن في الارض ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى ينزل الكفر ويقل حزبه ويمز
الاسلام ويستولى أهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالثشديد
للمبالغة ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذكم الفداء ﴿ والله يريد الآخرة ﴾
يريد لكم ثواب الآخرة وأسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه ووقع اعدائه « وقرئ يجر
الآخرة على اضممار المضاف كبقوله

اكل امرئ تحسين اسراء و نار تو قد بالليل نارا

﴿ والله عزيز ﴾ يقلب اوليائه على اعدائه ﴿ حكيم ﴾ يعلم ما يلقى بكل حال ويخصه

أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فسمى الله أن يهديهم الى الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله
ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى ان تمكنتنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من
عقيل فيضرب عنقه وتمكن خزيمة من العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيب
لعمري فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من القديت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر بيكان فقلت يا رسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك
فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لبيك كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أذى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى أن يكون
له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما عظم حلالاً طيباً فاحل الله الغنيمة
لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير
الآية فقوله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى
وقال أبو عبيدة معنم لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبى ان يجبس
كافراً قدر عليه وصار فى يده أسيراً للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى
جمع الجع ﴿ حتى يثخن في الارض ﴾ الاثخان فى كل شئ عبارة عن قوته وشدته يقال
أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويظلمهم ويظهرهم
فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾
الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا
ياخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضاً لانه لا يثبت لها ولا دوام
فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائماً لا انقطاع لها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى
﴿ والله يريد الآخرة ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين
ونصركم الدين لانها دائماً بلا زوال ولا انقطاع ﴿ والله عزيز ﴾ لا يقهر ولا يظلم ﴿ حكيم ﴾

الآخرة) اى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) فى عتاب الاولياء
(حتى يثخن) يظلم (فى الارض) بالقتال (تريدون عرض الدنيا) بفداء أسارى يوم بدر والله يريد الآخرة
(والله عزيز) بالقيمة من اعدائه (حكيم) النصره لاوليائه

بها كما سر بالأثخان ومنع عن الاقتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت القلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخدمتهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغتالك عن الفداء مكفى من فلان لتسيب له ومكن عليا وحزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يوه ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليأين قلوب رجال حتى تكون الين من الابن وان الله ليشدد قابوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تجفى فانه منى ومن عصانى فانتك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فاما ما بعد واما فداء فقبل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالحياران شاؤا قتلهم وان شاؤا استعبدهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يومه ان قوله فاما ما بعد واما فداء يزيل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها تدلان على انه لا بد من تقديم الأثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لى أن يكون له أسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا ببيكان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروطا ولكن بشرط الأثخان فى الارض وقد حصل لان العصابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الأثخان فى الارض قتل جميع الناس فدللت الآية على جواز الاسر بعد الأثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالعصابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى

(لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لا يعذب احد على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهاد منهم لانهم نظروا في ان استيقاظهم ربما كان سببا في اسلامهم ﴿ ٧١ ﴾ وان فداءهم { سورة الانفال } يتقوى به على الجهاد وخفى

عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم او ما كتب الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر وكان لاواخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته اى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المتدأ محذوف اى لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز ان يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها ابدأ (لمسكم) نسالكم واصابكم (فما اخذتم) من فداء لاسرى (عذاب عظيم) روى ان عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابوبكر بيكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده اولا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه اوان الفدية التي اخذوها ستمل لهم ﴿ لمسكم ﴾ نسالكم ﴿ فيما اخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ روى انه عليه السلام

الله عليه وسلم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لانسلم ان اخذ الفداء كان محرما واما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فيه عتاب لطيف على اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يبدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابطا بكر قديما بيكيان يحتفل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك القتل العذاب فبكي النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك القتل وهو الاسر واخذ الفداء والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ﴿ قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنا جعلوه للفرسان فكانت النار تنزل من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المؤمنون في اخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا من شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لو كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين احد ممن حضر بدر الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الانحاز في القتل احب الي من استيقاظ الرحال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء

لولا كتاب من الله سبق) اولا حكم من الله بما اهل الغنائم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال بالسعادة لاهل بدر (المسكم) لاصابكم (فما اخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) شديد

ان لو نزل العذاب لما نجته غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالانحياز فكلوا
 مما غنمتم ﴿ من القدية فانها من جملة الغنم وميل امسكوا عن الغنم فنزلت والقاء
 للتسبب والسبب محذوف تقديره اجبت لكم الغنم فكلوا وبنيوه تثبت من زعم
 ان الامر الوارد بمد الحظر للاباحة ﴿ حلالا ﴾ حال من المنوم أو صفة للمصدر أي
 اكل حلالا وفائدته اذاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبه أو حرمتها على
 الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿ طيبا واتقوا الله ﴾ في مخالفته ﴿ ان الله غفور ﴾
 غفر لكم ذنوبكم ﴿ رحيم ﴾ اياح لكم ما اخذتم ﴿ يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ﴾
 ما نجمته غير عمر وسعد بن معاذ ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴿
 يعني فقد احدث لكم الغنم واخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت
 الآية الاولى كم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايدهم عما اخذوا من الفداء
 فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل
 ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال واحلت لي الغنم ولم تحل لاحد قبلي ﴿ ق ﴾ عن ابي هريرة ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنم وذلك
 بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واتقوا الله ان الله
 غفور رحيم ﴾ يعني وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل انفسكم قبل ان تؤمروا به
 واعلموا ان الله قد غفر لكم ما تقدمت عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قولهم واتقوا
 الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ﴿ قوله
 سبحانه وتعالى ﴿ يا ايها النبي قل لمن في ايديكم ﴾ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين
 خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عسرون أوقية من ذهب ليطعم بها
 اذا حامت نوبته فكانت نوبته يوم الوضة ببدر فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتسوا
 فلم يطعم شيئا وبقيت العسرون أوقية معه فلما اسرا اخذت منه فكلهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان يحسب العسرين أوقية من فدائه فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 أما شيء خرجت به لتستعين به عليا فلا تركه لك وكلم فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب
 ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكف فريشا ما بقيت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذي دفنته أم الفضل وفت خروجك من مكة وقلت
 لها اني لأدرى ما يصنعني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولبيد الله
 ولبيد الله وللفضل وفهم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني
 به ربي قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
 لم يطلع عبدا حدا الا الله وأسر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فاسلمنا فذلك قوله
 سبحانه وتعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم ﴿ من الاسرى ﴾ يعني الذين اسرتهم

(واحد)

معاذ لقوله كان الانحياز
 في لقتل أصحابي (فكلوا
 مما غنمتم) روى انهم
 امسكوا عن الغنم ولم
 يدوا ايديهم اليها فنزلت
 وقيل هو اباحة الفداء
 لانه من جملة الغنم والقاء
 للتسبب والسبب محذوف
 ومضاه قد احدث لكم
 الغنم فكلوا (حلالا)
 مطلقا عن التاب والعقاب
 من حل العقاب وهو نصب
 على الحال من المنوم أو
 صفة للمصدر أي اكل
 حلالا (طيبا) لذينا هنا
 أو حلالا بالسر طيبا
 بالطبع (واتقوا الله) فلا
 تقدموا على شيء لم يهد
 اليكم فيه (ان الله غفور)
 لما قلتم من قبل (رحيم)
 باحلال ما غنمتم (يا ايها
 النبي قل لمن في ايديكم) في
 ملكتم كان ايديكم قابضة
 عليهم (من الاسرى) جمع
 اسير من الاسارى أبو عمرو
 (فكلوا مما غنمتم) من الغنم
 غنم بدر (حلالا طيبا
 واتقوا الله) اخشوا الله في
 القول (ان الله غفور) مجازا
 (رحيم) بما كان منكم
 يوم بدر من الفداء (يا ايها
 النبي قل لمن في ايديكم من
 الاسرى) يعني

جمع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان و محبة تية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من القداء اما ان يظنكم في الدنيا اصنافا و يتيسر في الآخرة (ويفرلکم والله غفور رحيم) روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفاقتوصلا لصلاة الظهر وما صلى ﴿ ٧٣ ﴾ حتى فرقه وأمر بـ سورة الانفال | العباس ان يأخذ منه فاخذته ما

قدر على حله وكان يقول هذا خيرا مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدانهم ليخبر في عشرين ألفا وكان يقول أجزأ الله أحد الوعدين وأما على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكت ما يابىوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوا من القداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل ماقل من ميثاقه .

(فامكن منهم) فامكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيت يوم بدر فسيكن منهم ان دادوا الى الحيانة (والله عليم) بالمال (حكيم) فيما أمر فى الحلال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حيا لله ورسوله (وجاهدوا

عباسا) ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا (تصديقا و اخلاصا) (يؤتكم) يعطكم (خيرا) أفضل (مما أخذ منكم) من القداء (ويفرلکم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله

وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا و اخلاصا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ من القداء روى الهانزلى فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركنى اتركف قريش ما بقيت فقال ابن الذهب الذى دفتته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادري ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبد الله والفضل وقم فقال العباس وما يدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطع عليه احد الا الله ولقد دفعت اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلتنى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرين عبدا ان ادانهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم وما احب انى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويفرلکم والله غفور رحيم وان يريدوا ﴾ يعنى الاسرى ﴿ خيانتك ﴾ نقض ما اهادوك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿ من قبل فامكن منهم ﴾ اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان ادادوا الحيانة فسيكنك منهم ﴿ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴾ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حيا لله ورسوله ﴿ وجاهدوا

وأخذتم منهم القداء ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ يعنى ايمانا وتصديقا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ يعنى من القداء ﴿ ويفرلکم ﴾ يعنى ما سلمت منكم قبل الايمان ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿ رحيم ﴾ يعنى باهل طاعته قال العباس فابدلتنى الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدانهم يضرب بسنين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب انى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى ﴿ وان يريدوا ﴾ يعنى الاسارى ﴿ خيانتك ﴾ يعنى أن يكفروا بك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ يعنى فقد كفروا بالله ﴿ من قبل ﴾ وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك ﴿ فامكن ﴾ يعنى فامكن الله المؤمنين ﴿ منهم ﴾ بدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد ﴿ حكيم ﴾ يعنى حكم بانه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

غفور) مجاوز (رحيم) لمن آمن به (وان يريدوا) (قا و خا ١٠ لث) خيانتك) بالايمان يا محمد (فقد خانوا الله من قبل) أى من قبل هذا بترك الايمان والمعصية (فامكن منهم) أظهرك عليهم يوم بدر (والله عليم) بما فى قلوبهم من الحيانة وغيرها (حكيم) فيما حكم عليهم (ان الذين آمنوا) (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالحجرة وبالنصرة دون ذوى القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة والذين آمنوا ولم يهاجروا (من مكة) (مالكم من ولايتهم) من توليتهم في الميراث ولايتهم حصة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث { الجزء العاشر } المؤمن الذي ﴿ ٧٤ ﴾ لم يهاجر من آمن وهاجر ولما أتى

بأموالهم ﴿ فصر فوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحايير ﴾ وانفسهم في سبيل الله ﴿ بمباشرة القتال ﴾ والذين آووا ونصروا ﴿ هم الانصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴾ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴿ في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالحجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴿ أي من توليتهم في الميراث وقرأ جزء ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه يتولى صاحبه نزولاً وعلا ﴿ وان استنصروكم في الدين فليكن النصر ﴾ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ﴿ الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ في الميراث او الموازرة وهو عهدهم يدل على منع التوارث

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿ يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاه رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى وبذلوا انفسهم في سبيل الله يعنى في طاعة الله وابتغاه رضوانه ﴾ والذين آووا ونصروا يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار ﴿ أولئك ﴾ يعنى المهاجرين والانصار ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يعنى في العون والنصر دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالحجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الحجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ وقوله عز وجل ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿ يعنى آمنوا وأقاموا بمكة ﴾ مالكم من ولايتهم من شئ ﴿ يعنى من الميراث ﴾ حتى يهاجروا ﴿ يعنى إلى المدينة ﴾ وان استنصروكم في الدين ﴿ يعنى ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴾ فليكن النصر ﴿ يعنى فليكن نصرهم واعانتهم ﴾ الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ أى عهد فلا تنصروهم عليهم ﴾ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ يعنى في النصرة والمونة وذلك ان كفار

الذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الحجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) أى من أسلم ولم يهاجر (في الدين فليكن النصر) أى ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات المواالاة بينهم ومعناه

بأموالهم وانفسهم في سبيل الله (في طاعة الله) والذين آووا (وطنوا) محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بالمدينة (ونصروا)

محمد عليه السلام يوم بدر (أولئك بعضهم أولياء بعض) في الميراث (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام (قريش) والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ولايتهم) من ميراثهم (من شئ) (وما من ميراثكم) من شئ (حتى يهاجروا) من مكة إلى المدينة (وان استنصروكم في الدين) استعانوكم على عدوهم في الدين (فليكن النصر) على عدوهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) فلا تعينوهم عليهم ولكن أصلحو ايمنهم (والله بما تعملون) من الصلح وغيره (بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث

نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثهم وإيجاب مبادئهم ومصارفهم وإن كانوا أقارب وإن يذكروا يتوارثون بعضهم بعضهم
قال (الاتفلوه) أى ان لاتفلوا ما ﴿ ٧٥ ﴾ أمرتكم به من { سورة الانفال } توأصل المسلمين وتولى

بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على
نسبة القرابة ولم تجملوا
قرابة الكفار كلا قرابة
(تكن فتنة في الارض وفساد
كبير) تحصل فتنة في الارض
ومفسدة عظيمة لان المسلمين
مالم يصيروا يدا واحدة
على الشرك كان الشرك
ظاهرا والفساد زائدا
(والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا
أولئك هم المؤمنون حقا)
لانهم صدقوا ايمانهم
وحققوه بتحصيل مقتضياته
من هجرة الوطن ومفارقة
الاهل والسكن والانسلاخ
من المال والدنيا لاجل
الدين والعقبي (لهم مغفرة
ورزق كريم) لائمة فيه

(الاتفلوه) قسمة الموارث
كابين لكم لذوى القرابة
(تكن فتنة في الارض)
بالشرك والارتداد (وفساد
كبير) بالقتل والمعصية
(والذين آمنوا) بمحمد
عليه السلام والقرآن
(وهاجروا) من مكة الى
المدينة (وجاهدوا في سبيل
الله) في طاعة الله (والذين
آووا) وطوا مجداصل
الله عليه وسل وأصحابه
بالمدينة (ونصروا) محمد

او الموازنة بينهم وبين المسلمين ﴿ الاتفلوه ﴾ ان لاتفلوا ما همتم به من التواصل بينكم وتولى
بعضكم بعض حتى في التوارث وقطع الملائق بينكم وبين الكفار ﴿ تكن فتنة في الارض ﴾
تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر ﴿ وفساد كبير ﴾ في الدين وقرى
كثير ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين
حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعدهم
الموعود الكريم فقال ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لاتبعله ولائمة فيدم الحق بهم

قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا
قال ابن عباس يعنى في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض ﴿ الاتفلوه تكن
فتنة في الارض وفساد كبير ﴾ قال ابن عباس الاتخاذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال
ابن جريج الاتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار
أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال
سبحانه وتعالى الاتفلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة
في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف
المسلمين ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا ﴾ يعنى لاشك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالحجرة والجهاد
وبذل النفس والمال في نصرة الدين ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾
يعنى في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى
ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه
الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد اخرى
تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولا ثم أعاد ذكرهم فأيادى ذلك على تعظيم
شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية
من وجوه المدح ثلاثة أنواع * أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد
الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق
الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان
مؤمن حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتشكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم
مغفرة وأى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سارة لجميع ذنوبهم النوع
الثاني قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في يده قيل له كريم والمعنى
ان لهم في الجنة رزقا لا تحقهم فيه غصاصة ولا تب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات
فمنهم من هاجر أولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض
الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب العجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل

عيد السلام يوم بدر (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقنا (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة

بالتواصل (والذين آمنوا مع بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأنتك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالحجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وفي اللوح أو في القرآن وهو آية الموارث وهو دليل لتأعلى توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم)

(والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (من بعد) من بعد المهاجرين الاولين (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا معكم) العدو (فأنتك منكم) معكم في السر والعلانية (وأولو الارحام) ذوى القرابة في النسب الاول فالاول (بعضهم أولى ببعض) في الميراث (في كتاب الله) في اللوح المحفوظ نسخ بهذه الآية الآية الاولى (ان الله بكل شئ) من قسمة الموارث وصلاحيكم وغيرهما (علم)

في الامرين من سيطر عليهم ويسم بسيتهم فقال ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ اي من جانتكم ايها المهاجرون والانصار ﴿وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض﴾ في التوارث من الاجانب ﴿في كتاب الله﴾ في حكمه وفي اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ من الموارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ﴿عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنشفع له يوم القيامة وشاهدانه يرى من التفاق واعطى عشر حسنات بعد كل منافق ومنافقة وكان المرش وحلته يستغفرون له ايام حياته

قع مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ﴿اختلفوا في قوله من بعد قيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد عزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد قمع مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبطل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في العجمين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويحاج عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة وأما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه ﴿وقوله تعالى﴾ فأولئك منكم ﴿يعنى انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالحجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض﴾ قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالحجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولو الارحام بعضهم أولى بعض أى في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث المذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتحسك اصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقى فلعصبات ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ان الله بكل شئ عليم ﴿يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

فيقضى بين عباده بما شاء من ﴿ ٧٧ ﴾ أحكامه قسم { سورة براءة } الناس أربعة أقسام قسم

آمنوا وهاجروا وقسم
آمنوا ونصروا وقسم
آمنوا ولم يهاجروا وقسم
كفروا ولم يؤمنوا

﴿ سورة التوبة مدينة
وهي مائة وتسع
وعشرون آية كوفي
ومائة وثلاثون غيره ﴾

لها أسماء براءة التوبة
المقشقة المبعثرة المشردة
الخزية الفاضحة المثيرة
الحافرة المنكلة المدممة
لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشقش من النفاق
أى تبرئ منه وتبمتر عن
أسرار المنافقين وتبمتر
عنها وتبرها وتحفر عنها
وتفضهم وتنكلهم
وتشردهم وتخزيم وتدمم
عليهم وفي ترك التسمية في
ابتدائها أقوال فعن علي
وابن عباس رضى الله عنهم
ان بسم الله أمان وبراءة
نزلت لرفع الامان وعن
عثمان رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزلت عليه سورة
أو آية قال اجعلوها في
الموضع الذى يذكر فيه كذا
يعلم نقض عهد المشركين
والله أعلم بأسرار كتابه
﴿ ومن السورة التى يذكر
فيها التوبة وهي كلها مدينة

﴿ سورة براءة ﴾

مدينة وقيل الآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمقشقة والبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة
من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين وانارتها والحفر عنها وما يخزيم
ويفضهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمم عليهم ويذكر عذابهم وآياها مائة وثلاثون

﴿ تفسير سورة التوبة ﴾

وهي مدينة بإجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من
أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية
وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا
ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران
وهي المقشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وهي
المبعثرة لانها تبمتر عن أخبار المنافقين وتبمتر عنها وتبرها والفاضحة قاله ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي الخزية لان فيها خزي
المنافقين وهي المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت
بذلك لانها سردت جوع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها أثارت غمازي
المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى
أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل
سورة بنى النضير أخرجاه في الصحيحين

﴿ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة ﴾

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمكم على ان عدتم الى الانفال وهي من المثاني والى
براءة وهي من المثاني فقرتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعوها
في السبع الطوال ما حكمكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض
من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت
عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال
من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة
بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من
غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع

قد قيل الا لايتين في آخرها فانها مكيتان وكلاهما ألفان وأربعمائة وسبع وستون وحروفها عشرة آلاف ﴿

وكذا وتوفي رسول الله ﷺ الجزء العاشر ﷺ صلى الله عليه وسلم ﴿ ٧٨ ﴾ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت

وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامار وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها شابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة تبذرها فقصت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿ الى الذين هادتهم من المشركين ﴾ وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله برآ من العهد الذي هادتهم به المشركين وانما علقتم البراءة بالله ورسوله والمعاهدة

الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر اليهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لا يبغي على بن أبي طالب لم يكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابن ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رجة والرجة امان وهذه السورة نزلت في المناققين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخيروا اول هذه السورة وعيد ونقض عهدو قل ذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا أن في سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلتا في القتال ومجموعهما مما ماثان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تبيينها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تبيينها على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علة وقيل معناها التباعد عما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهدا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهدهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به وبذالهم عهدهم قال الزجاج أى قد برى الله ورسوله من اعطائهم العهد والوفاء بها اذا تكثروا ﴿ الى الذى هادتهم من المشركين ﴾ الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى هادهم وعاقدهم الا أنه هو الذى عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكانت لهم عقودا وعاهدوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى

قصتها شابه قصة الانفال لان فيها ذكر اليهود وفي براءة نبذ اليهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا متعينين القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين هادتهم من المشركين) من لا ابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين هادتهم كما قولك من فلان

وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (براءة) هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين هادتهم من المشركين) ثم نقضوا والبراءة هي نقض العهد يقول من كان بينه وبين رسول الله صلى

(فسبحوا)

الله عليه وسلم عهد فقد نقضه منهم فمنهم من كان عهده أربعة أشهر ومنهم

الى فلان أو مبتدأ التخصيصها بصفتها وانظر ﴿ ٧٩ ﴾ الى الذين { سورة براءة } عاهدتم كقولك رجل من

بنى تميم في الدار والمعنى ان
الله ورسوله قد برأ من العهد
الذي عاهدتم به المشركين
وانه منبوذ اليهم (فسيحوا
في الارض أربعة أشهر)
فسيروا في الارض كيف
شئتم والسع السريع على مهل
روى أنهم عاهدوا المشركين
من أهل مكة وغيرهم من
العرب فنكثوا الا اناس منهم
وهم بنو ضمرة وبنو كنانة
فبذ العهد الى الناكثين
وأمروا أن يسيحوا في
الارض أربعة أشهر آمنين
من كان عهده فوق أربعة
أشهر ومنهم من كان عهده
دون أربعة أشهر ومنهم
من كان عهده تسعة أشهر
ومنهم من لم يكن بينه وبين
رسول الله عهد فقضوا
كلهم الا من كان عهده
تسعة أشهر وهم بنو كنانة
فن كان عهده فوق أربعة
أشهر ودون أربعة أشهر
جعل عهده أربعة أشهر
بعد التفص من يوم النحر
ومن كان عهده أربعة أشهر
جعل عهده بعد القضاء
أربعة أشهر من يوم النحر
من كان عهده تسعة أشهر
بقي على ذلك من كان
له عهد جعل عهده تسعة
يوم من يوم النحر الى نحو وج

بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نيل عهد المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن
الله تعالى واتفاق الرسول فانها برآ منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب
فنكثوا الا اناسا من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم ببذ العهد الى الناكثين وامهل
المشركين أربعة أشهر ليسيروا ابن شاة فقال ﴿ فسيحوا في الارض أربعة أشهر ﴾
شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من
ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم
النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضي الله
تعالى عنه راكب الغنم ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابوبكر رضي الله عنه
اميرا على الموسم فقبل له لوبعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل مني فلما
دنا على رضي الله تعالى عنه سمع ابوبكر رضي الله تعالى عنه الرغاء فوقه وقال هذا
رغاء ناقه رسول الله

﴿ فسيحوا في الارض ﴾ أي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين
أحد من المشركين وأصل السياحة الضرب في الارض والانتاع فيها والبعد عن مواضع
المصاراة قال ابن الانباري قوله فسيحوا فيه مضمرا أي قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر
بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيجوا
في الارض وأتم آمنون من القتل والقتال ﴿ أربعة أشهر ﴾ يعني مدة أربعة أشهر واختلف
العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين يرى الله ورسوله اليهم من اليهود التي كانت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فن كانت مدة عهده أقل
من أربعة أشهر رفته الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن
كان عهده بشراجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ورسوله
يقتل حيث أدرك ويؤسر الا أن يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا
التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام
أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى القدر
ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاحل يوم الحج الاكبر وانقضاه الى عشر من ربيع
الآخر فأما من لم يكن له عهد فاما اجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك بخون يوم ما قال
الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآيات نزلت
في شوال والقول الاول أصوب وعليه الاكثرون وقيل الكلبي انما كانت الأربعة أشهر
عهدا لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فأنتم له الأربعة أشهر فأما من كان عهده أكثر من
أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأنتم اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان
ابتداءها في العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاخر لا الحج في تلك
السنة كان في العاشر من ذى القعدة سبب النحر ثم صار في السنة المقبلة اما سار
من ذى الحجة تر فيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الرمان قد استدار الحدوث
وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قتله من المشركين

الحرم فقال لهم (فسيحوا في الارض) فامضوا في الارض من يوم النحر (أربعة أشهر) آمنين من القتل بالعهد

أين شأوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فاذا سلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة ووقع مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر على { الجزء العاشر } موسم سنة تسع ﴿ ٨٠ ﴾ ثم أتبعه عليا ركب المضياء ليقراها

صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التزوية خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس أتى رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الارجل منى ليس على العموم فانه

فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فليكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجسيم أربعة أشهر وأحل دماء جيعهم من أهل السوداء وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجد قريشا عام الحديبية على أن يضوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى نأشد محمدا • حلف أيتنا وأبيه الاتلدا
كنت لنا أبواكنا ولدا • نمت أسلنا ولم نذرع يدا
فانصر هداك الله نصرأبدا • وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا • في فيلق كالبحر يجرى حزبا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا • ان شيم خطب وجهه تربدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقتك المؤكدا
وزعموا أن لست تجبى أحدا • وهم أذل وأقل عددا
هم يتوننا بالخطيم هجدا • وقتلونا ركما وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبوبكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث به عليا على ناقته المضياء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة منى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم

على أهل الموسم فقيل له لوبشت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدى عنى الارجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرضاء فوقه وقال هذارفاء ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التزوية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس أتى رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابليغ ابن عمك اننا قد نبذنا العهد واه ظهورنا وانه ليس بنسا وبند عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم أو عنده من ذى الحجة

والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرمانهم أو منوافيها وحرم قتلهم (وسلم) وتسالهم أو على التغليب لان ذى الحجة والحرم منها والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

صلى الله عليه وسلم بمثلان يؤدي عنه كثير الم يكونوا من عترته بل هو مخصوص باليهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عمر بن فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهل أما ترضى يا أبى بكر انك كنت معى فى الفار وانك معى على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أمبرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب يؤذن براءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أسرار الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألت اعليا بى شئ بمث فى الحجفة قال بمث باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد ما هم هذا فى حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبى هريرة ان أبى بكر سنة فى الحجفة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذون فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فأمره ان يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معنا فى أهل منى براءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للمرة الحج الاصغر قال فنبذ أبو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يا أيها الذين آمنوا انما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد ما هم هذا وان ختم عبلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل

قديتوهم متوهم ان فى بمث على بن أبى طالب براءة أول براءة عزك أبى بكر عن الامارة وتفضيله على أبى بكر وذلك جهل من هذا المنوهم ويدل على ان أبى بكر لم يزل أمير على الموسم فى تلك السنة أول حدث أبى هريرة المتقدم ان أبى بكر بمثه فى رهط يؤذون فى الناس الحديث وفى لفظ أبى داود والنسائى قال بمثى أبو بكر فبين يؤذن فى يوم النحر عنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بمثى أبو بكر فيه دليل على أن أبى بكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بمث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ليؤذن فى الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبرها أو رجل من أقاربها وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه

(واعلوا أنكم غير معجزى الجزء العاشر) الله لا تقوتونه ﴿ ٨٢ ﴾ وان أمهلكم (وان الله محزى الكافرين

في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الارجل من اهل ﴿ واعلوا انكم غير معجزى الله ﴾ لا تقوتونه وان أمهلكم ﴿ وان الله محزى الكافرين ﴾ بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿ وأذان من الله ورسوله الى الناس ﴾ أى اعلام فقال بمعنى الافعال كالامان والعتاء ورقعه كرفع براءة على الوجهين ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقت يوم النحر عند الجمرات في جهة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمنسركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه

ومن رهطه فبعثه النى صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما عرفه من مادتنا في عقد اليهود وتقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذا الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف ابي بكر ويكون حاريا مجرى التنيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النى صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر امير اعلى الحاج وولاه الموسم وسث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان اوبكر الامام وعلى المؤتم وكان اوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان اوبكر المتولى امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لئلا يدل ذلك على تقديم ابي بكر على على وفضله عليه والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ واعلوا أنكم غير معجزى الله ﴾ سنى ار هذا الامهال لس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب قائم وقيل معاه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وبأخذكم لانكم في ملكه وقبضته ونحت قهره وسلطانه وقيل معاه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف القسوت ولا يعجزه شئ ﴿ وأن الله محزى الكافرين ﴾ يعنى بالقتل والعذاب في الآخرة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ وأذان من الله ورسوله ﴾ الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل بحوالى الناس يوم الحج الاكبر ﴿ اختافوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن على بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت يوم الخميس الجمرات في الجمحة التى حجج فيها فقال أى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبدالله بن أبى أوى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدى

مذلمهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الناس) ارتقاعه كارتفاع رامة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كان الامان والعتاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بنبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علفت البراءة بالذين عوهدوا من المسركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مخصصة بالمعاهدين والناسكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من تاهد ومن لم يسهده ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج

(واعلوا) يا مسرك الكفار (انكم غير معجزى الله) غير قائمين من عذاب الله بالقتل بعد أربعة أشهر (وان الله محزى الكافرين) معذب الكافرين بعد أربعة أشهر

بالقتل (وأذان من الله) وهذا اعلام من الله (ورسوله الى الناس) للناس (يوم الحج الاكبر) يوم النحر (وروى)

الاصغر (أن الله برى من المشركين) ﴿ ٨٣ ﴾ أي بان الله { سورة براءة } حذف صلة الاثنان تخفيفا

ورسوله عطفت على المنوى
في برى أوعلى الابتداء
وحذف الخبر أي ورسوله
برى وقرى بالنصب
عطفا على اسم ان والخبر
على الجوار أوعلى القسم
كقوله لعرك وحكي
ان اعرابيا سمع رجلا
يقرؤها فقال ان كان الله
بريثا من رسوله فانامنه
برى قلبه الرجل الى عمر
فحكي الاعرابي قرأته
فصندا أمر عمر يتعلم
العربية (فان تبتم) من
الكفر والنذر (فهو)
أي التوبة (خير لكم)
من الاصرار على الكفر
(وان توليتم) عن التوبة
أوبتم على التولى والاعراض
عن الاسلام (فاعلموا أنكم
غير معجزى الله) غير
سابقين الله ولا فاشين أخذه
وعقابه (وبشر الذين
كفروا بعذاب أليم) مكان

(أن الله برى من المشركين)
ودينهم وعهدهم الذي
نقضوا (ورسوله) أيضا
برى من ذلك (فان تبتم)
من الشرك وآمنتم بالله
وعمحمد عليه السلام
والقرآن (فهو خير لكم)
من الشرك (وان توليتم)
عن الايمان والتوبة (فاعلموا)

ظهر فيه عن المسلمين وذل المشركين ﴿ ان الله ﴾ اي بان الله ﴿ برى من المشركين ﴾
اي من عهدهم ﴿ ورسوله ﴾ عطفت على المستكن في برى أوعلى محل ان واسمها
في قراءة من كسرهما اجراء للاذان مجرى القول وقرى بالنصب عطفا على اسم ان
اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بنبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿ فان تبتم ﴾
من الكفر والنذر ﴿ فهو ﴾ فالتوب ﴿ خير لكم ﴾ وان توليتم ﴿ عن التوبة او تبتم على
التولى عن الاسلام والوفاء ﴾ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴿ لان فتوته طلبا ولا تجزونه
هرا في الدنيا ﴾ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴿ في الآخرة ﴾

وروى ابن جرير عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول
يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك
يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال
عبدالله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد انصارى وعيد
المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين
قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج
الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لهما الاصغر لثقتان أعمالهما عن الحج وقيل سمي
الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار
وأبطل النسي وججع أحكام الجاهلية ﴿ قوله عز وجل سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أن الله برى من
من المشركين ورسوله ﴾ ﴿ فحذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله برى من المشركين
وانما حذف الباء دلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره
مضمر والتقدير ان الله برى من المشركين ورسوله ايضا برى من المشركين برى الله ورسوله
من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء وبرى خبره ورسوله عطفت على المبتدأ
فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان
الله برى من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآفة الاولى البراءة
من العهد ومن الآفة الثانية البراءة التي هي تقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد
والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في أولها براءة من الله ورسوله الى منى برى اليهم
وفي الثانية برى منهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فان تبتم ﴾ يعني فان رجعت عن شرككم وكفركم
﴿ فهو خير لكم ﴾ يعني من الاقامة على الشرك وهذا رغيب من الله في التوبة والاقلاع
عن الشرك الموجب لدخول النار ﴿ وان توليتم ﴾ يعني أعرضتم عن الايمان والتوبة من
الشرك ﴿ فاعلموا أنكم غير معجزى الله ﴾ فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه
وتعالى قادر على انزال المذاب بهم وهو قوله تعالى ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾

يا معشر المشركين (انكم غير معجزى الله) غير ما شئتم من عذاب الله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعني القتل بعد أربعة اشهر

بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الالذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسبحوا في الارض والمعنى براءة من الله وسو
الى الذين عاهدتم من { الجزء العاشر } المشركين تقولوا ﴿ ٨٤ ﴾ لهم سبحوا الالذين عاهدتم منهم ثم

﴿ الالذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل
لهم بعد ان امروا ببذال الهدى الى التاكثير ولكن الذين اهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم
شيئاً ﴾ من شروط الهدى لم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضرروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم
احداً ﴾ من اعدائكم ﴿ فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى
الناكثين ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعديل وتبيينه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
﴿ فاذا انسلك ﴾ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لا يسده من سطح الشاة
﴿ الاشهر الحرم ﴾ التي ابيع للساكنين ان يسبحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة
وذو الحجة والحرم وهذا عمل بالنظم مخالف للاجتماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيها نزل بعد ما ينسبها ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

يعنى في الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستثناء كما يقال تحيتم الضرب
واكرامهم الشتم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الالذين عاهدتم من المشركين ﴿ هذا الاستثناء راجع
الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الشتم الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الامن
عهدهم من المشركين وهم بنو نصرته حتى من كثرة اعرالله رسوله صلى الله
عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان تدنى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه
انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئاً ﴾ يعنى من عهدهم التي
عاهدتموهم عليها ﴿ ولم يظاهروا ﴾ يعنى ولم يماونوا ﴿ عليكم احداً ﴾ يعنى من
عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسبحوا في الارض
لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سبحوا في الارض الالذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم ﴿ فأتوا اليهم عهدهم
الى مدتهم ﴾ والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا في الناكثين
لكن الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا يجعلوا الوفي كالغادر
﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعنى ان تقضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبيلتين يعنى
الوفاى بالهدى والناكث له والغادر فيه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فاذا انسلك الاشهر
الحرم ﴿ يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة
والحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهرة الهدى سميت حرماً لحرمة نقض العهد
فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك
لخسونة يوم وقيل اعاقيل لاسا حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء
المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخسونة يوم بعض
الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلك الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر
من الاشهر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي
يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم ﴿ فاقتلوا المشركين

ينقصوكم شيئاً) من شروط
الهدى وقوا بالهدى ولم
ينقضوه وقري لم ينقصوكم
أى عهدكم وهو أليق لكن
المشهورة أبلغ لانه في
مقالة التمام (ولم يظاهروا
عليكم أحداً) ولم يماونوا
عليكم عدواً (فأتوا اليهم
عهدهم) فأدوه اليهم تاماً
كاملاً (الى مدتهم) الى تمام
مدتهم والاستثناء بمعنى
الاستدراك كانه قيل بعد
ان امروا في الناكثين لكن
الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم
عهدهم ولا تجروهم مجراهم
ولا يجعلوا الوفي كالغادر
(ان الله يحب المتقين) يعنى
ان تقضية التقوى ان لا يسوى
بين الفريقين فاتقوا الله
في ذلك (فاذا انسلك) مضى
أخرج (الاشهر الحرم)
التي أبيع فيها لناكثين
أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين)
الذين نقضوكم وظاهروا

(الالذين عاهدتم من
المشركين) يعنى بنى كنانة
بسدطام الحديبية (ثم لم
ينقصوكم شيئاً) لم ينقضوا
عهدهم مما كان لهم تسعة
أشهر (ولم يظاهروا) ولم

يماونوا (عليكم احداً) من عدوكم (فأتوا اليهم) لهم (عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر (حيث)
(ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (فاذا انسلك الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر الحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

عليكم (حيث وجدتموهم) من حل او حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذالاسر (واحصروهم) وقيدوهم وانتموهم
من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عمر ومجاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا)
عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) ﴿٨٥﴾ فخلوا {سورة برائة} سيلهم) فاطلقوا عنهم

بسدالاسر والحصر أو
فكفوا عنهم ولا تعرضوا
لهم (ان الله غفور) يستر
الكفر والفسق بالاسلام
(رحيم) برفع القتل قبل
الاداء بالالتزام (وان
أحد من المشركين استجارك
فاجره) أحد مر تقع بفعل
شرط مضمير يفسره الظاهر
أى وان استجارك أحد
استجارك والمعنى وان
جارك أحد من المشركين
بعد انقضاء الاشهر لاعهد
بينك وبينه واستأمنك
ليسمع ما تدعو اليه من
التوحيد والقرآن فأمته
(حتى يسمع كلام الله)
ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر (ثم أبلغه) بمد ذلك
(مأمنه) داره التي يأمن
فيها ان لم يسلم ثم قتله ان
شئت وفيه دليل على ان
المؤمن لا يؤذى وليس
له الاقامة في دارنا ويمكن
من العود (ذلك) أى الامر
بالاجارة في قوله فاجره (بانهم
قوم لا يعلمون) بسبب
من كان عهدهم خسين
يوما (حيث وجدتموهم)
في الحل والحرم والاشهر

الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذالاسير
﴿واحصروهم﴾ واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿واقعدوا لهم كل
مرصد﴾ كل عمر لا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف ﴿فان تابوا﴾ عن الشرك
بالايمان ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ تصديقات التوبتهم واياماتهم ﴿فخلوا سيلهم﴾
فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة
لا يخلى سيله ﴿ان الله غفور رحيم﴾ تليل للاسر أى فخلوهم لان الله غفور رحيم
غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة ﴿وان احد من المشركين﴾ المأمور
بالتعرض لهم ﴿استجارك﴾ استأمنك وطلب منك جوارك ﴿فاجره﴾ فأمته ﴿حتى
يسمع كلام الله﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ موضع امته ان
لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ﴿ذلك﴾
الامن او الامر ﴿بانهم قوم لا يعلمون﴾ ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا يد

حيث وجدتموهم (بمعنى في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعنى اقلوهم في أى وقت أى مكان
وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس
يريدان تحصنوا فاحصروهم امنوهم من الخروج وقيل امنوهم من دخول مكة والتصرف
في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد
فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من أى
وجه توجهوا وقيل معناه اعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها ﴿فان تابوا﴾ يعنى
من الشرك ورجعوا الى الايمان ﴿واقاموا الصلوة﴾ يعنى وأتموا أركان الصلاة المفروضة
﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة عليهم طيبة بما أنفسم ﴿فخلوا سيلهم﴾ يعنى الى الدخول
الى مكة والتصرف في بلادهم ﴿ان الله غفور﴾ يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى
الايمان ومن المصيبة الى الطاعة ﴿رحيم﴾ يعنى باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن
الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى
الاعداء ﴿قوله تعالى﴾ وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ﴿
يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتكم بقتالهم وقتلهم بعد ان سلاخ
الاشهر الحرم ليمسح كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله
ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾
يعنى ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بمد ذلك وقدرت
عليه فآتله ﴿ذلك بانهم قوم لا يعلمون﴾ أى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون

الحرام (وخذوهم) أو أسروهم (احبسوهم) عن البيت (واقعدوا لهم كل مرصد) على كل طريق يذهبون ويحيون فيدللتجارة
(فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) اقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اقرؤا باداء الزكاة (فخلوا سيلهم)
الى البيت (ان الله غفور) متجاوز لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (وان احد من المشركين استجارك) استأمنك (فاجره)
فأمته حتى يسمع كلام الله قراءتك لكلام الله (ثم أبلغه مأمنه) وطنه الى حيثما جاء ان لم يؤمن (ذلك) الذى ذكرت (بانهم قوم لا يعلمون)

الجزء العاشر { ما الاسلام } ٨٦ ◀ وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطاء

من اما لهم ريثما يسمعون ويتدبرون ﴿ كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ﴾ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وطنة صدورهم اولان في الله ورسوله بالهدوهم نكثوه ونخبر يكون كيف وقدم للاستفهام اول المشركون او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد والمشركون ان لم يكن خبرا قتيبين ﴿ الا الذين اهدت عند المسجد الحرام ﴾ هم المستنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين اهدت عند المسجد الحرام ﴿ فااستقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ اي قدر بصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ سبق بيانه ﴿ كيف ﴾ تكرر لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التثنية على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبر تاني انما الموت بالقرى * فكيف * وهانا هضبة وقلب

اي فكيف مات

الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿ كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يفترون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى ﴿ الا الذين اهدت عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين اهدتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو الدئل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة ﴿ فااستقاموا لكم ﴾ يعني على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة فغضب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلقوا بأي بلاد شاؤا فأسلوا بعد أربعة الا شهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني بكر وهم خزاعة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قدمضي فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين اهدت من المشركون ثم لم تنقضوا شيئا كما تنقض قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا اهدوا ويتقون نقضه ﴿ كيف

الهم قوم جهلة لا يعلمون الامان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به تفوسكم ولا تفكروا في قاتهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين اهدتكم) أي ولكن الذين اهدتكم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كيف كنانة وبني ضمرة قريصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فا استقاموا لكم) ولما يظهر منهم نكث أي فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أي فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعني ان التريص بهم من أعمال المتقين (كيف أمر الله وتوحيده) (كيف) على وجه التعجب (يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله الا الذين اهدتكم عند المسجد الحرام) بعد عام الحديبية وهم بنو كنانة (فاستقاموا لكم) بالوفاء (فاستقيموا لهم) بالتمام (ان الله يحب المتقين)

(وان)

عن نقض العهد (كيف) على وجه التعجب يكون بينكم وبينهم عهد

ان يظهر واعليكم) تكرار لاستبعاد ﴿ ٨٧ ﴾ ثبات المشركين (سورة براءة) على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي

﴿وان يظهر واعليكم﴾ أي وحالهم أنهم ان يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يراعاوا فيكم
﴿الا﴾ حلقا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان لك من قريش • كال السقب من رأل النعام

وقيل ربوية ولعله اشتق لظلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تعالوا رفقوا
به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تمقد بين الاقارب مالا يقده الحلف ثم
للربوية والتربية وقيل اشتقاقه من الل التي اذا حده او من ال البرق اذا لمع
وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئيل وجبرئيل ﴿ولا ذمة﴾ عهدا او حقا
يعاب على اغفاله ﴿يرضونكم بافواههم﴾ استئناف لبيان حالهم المتأنية لثباتهم على العهد
المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جملة حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد
ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعده الايمان والطاعة والوفاء
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية
تأنيه ﴿وتأني قلوبهم﴾ ما يتقوه به افواههم ﴿واكثرهم فاسقون﴾ مقردون
لا عقيدة تزعمهم ولا سرورة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن القدر والتعفف عما يجري الى احدوثة السوء ﴿اشترى بايات الله﴾ استبدلوا بالقرآن
﴿ثمنا قليلا﴾ عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات

وان يظهر واعليكم﴾ قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون
لهم عهد وان يظهر واعليكم﴾ ﴿لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة﴾ وقال الاخفش منناه
كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويظلموك ويطلوا عليكم لا يرقبوا
أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعاوا فيكم الا قال ابن عباس يعني
قرابة وقيل رجا وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي
هو العهد وكذلك الذمة واعاكرر للتأكيد ولا اختلاف للفظين وقال أبو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب
ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون
الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة بيني ولا يحفظون عهدا ﴿يرضونكم بافواههم
وتأني قلوبهم﴾ يعني يطمئنونكم بالسنة بخلاف ما في قلوبهم ﴿واكثرهم فاسقون﴾
فان قات ان الموصوفين بهذه الصفة كفاروا الكفر أخبت وأقيم من الفسق فكيف وصفهم
بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون
قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا حيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم
بكونهم فاسقين أنهم تقضوا العهد وبالنوا في المداوة فوقفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم
فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم
ينقضه وأكثرهم تقضوا العهد قلنا قل سبحانه وتمالي وأكثرهم فاسقون ﴿وقوله
تعالى ﴿اشترى بايات الله ثمنا قليلا﴾ يعني استبدلوا بايات القرآن والايمان بهاعراضا
قايلا من متاع الدنيا وذلك انهم تقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله

كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهر واعليكم أي
يظفروا بكم بعدما سبق لهم من
تأكيد الايمان والمواثيق
(لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعاوا
حلقا والاقرباة (ولا ذمة)
عهدا (يرضونكم بافواههم)
بالوعد بالايمان والوفاء
بالعهد وهو كلام مبتدأ
في وصف حالهم من
مخالفة الظاهر والباطن
ومقرر لاستبعاد الثبات منهم
على العهد (وتأني
قلوبهم) الايمان الوفاء
بالعهد (واكثرهم
فاسقون) ناقضون العهد
أو مقردون في الكفر
لا سرورة تمنعهم عن الكذب
ولا شمائل تردعهم عن
التكث كما يوجد ذلك في
بعض الكفرة من التفادي
عنهما (اشترى بايات الله)
(ثمنا قليلا) عوضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات

وان يظهر واعليكم
لا يرقبوا فيكم) لا يحفظونكم
(الا) لقبيل القرابة ويقال
لقبيل الله (ولا ذمة) لا لقبيل
العهد (يرضونكم بافواههم)
بالاستئتم (وتأني)
(قلوبهم وأكثرهم) كلهم
فاسقون (ناقضون العهد) اشترى بايات الله) محمد عليه السلام وقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا

(وان يظهر واعليكم)
لا يرقبوا فيكم) لا يحفظونكم
(الا) لقبيل القرابة ويقال
لقبيل الله (ولا ذمة) لا لقبيل
العهد (يرضونكم بافواههم)
بالاستئتم (وتأني)
(قلوبهم وأكثرهم) كلهم
فاسقون (ناقضون العهد) اشترى بايات الله) محمد عليه السلام وقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا

(فصدوا عن سبيله) فعدلوا { الجزء العاشر } عنه وصرفوا غيرهم ﴿ ٨٨ ﴾ (انهم ساء ما كانوا يعملون) أ

﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل اليه او سبيل يثته بخصر الحجاب والعمار والقاد
للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ علمهم هذا وما دل عليه
قوله ﴿لا يرقبون في مؤمن الا واذمة﴾ فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقذين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم ﴿واولئك
هم المعتدون﴾ في الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة
فاخوانكم﴾ فهم اخوانكم ﴿في الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم ﴿ونفصل الآيات
لقوم يعملون﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين

عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ايها ابوسفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد
أطعم ابوسفيان حلفاء وترله حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصدوا عن
سبيله﴾ يعني منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل
الطائف أمدوهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعني من الشرك وتقضهم الصهد ومنعهم الناس
عن الدخول في دين الاسلام ﴿لا يرقبون في مؤمن الا واذمة﴾ يعني ان هؤلاء
المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا يتبعوا أنهم عليهم
كالم يتقوا عليكم اذا ظهروا عليكم ﴿واولئك هم المعتدون﴾ يعني في نقض العهد
﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فان تابوا﴾ يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن
تقض العهد الى الوفاء به ﴿واقاموا الصلوة﴾ يعني بالمفروضة عليهم بجميع حدودها
وأركانها ﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم
﴿فاخوانكم في الدين﴾ يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم
﴿ونفصل الآيات لقوم يعملون﴾ يعني ونبين جميع أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم
ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود
أمرتم بالصلاة والزكاة فن لم يرك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة
جميعا لم يفرق بينهما وأبي أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان
أقتهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين
شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفى النبي صلى
الله عليه وسلم واستخلم أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي
بكر كيف تقابل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه
على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة
حق المال والله لو منعوني عاقا كانوا يؤدونها في رواية عقلا كانوا يؤدونه الى رسول الله
وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبي بكر للقتال

بئس الصنيع صنيعهم
(لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة) ولا تكرار لان
الاول على الخصوص حيث
قال فيكم والثاني على العموم
لانما قال في مؤمن (وأولئك
هم المعتدون) المجاوزون
القاية في الظلم والشرارة
(فان تابوا) عن الكفر
(واقاموا الصلوة وآتوا
الزكاة فاخوانكم) فهم
اخوانكم على حذف المبتدأ
(في الدين) لافي النسب
(ونفصل الآيات) ونيها
(لقوم يعملون) يفهمون
فيتفكرون فيها وهذا
اعتراض كأنه قيل وان
من تأمل تفصيلها فهو
العالم بتحريضا على تأمل
ما فصل من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها

(فصدوا عن سبيله) عن دينه
وطاعته (انهم ساء ما كانوا
يعملون) بئس ما كانوا
يصنعون من الكتمان
وغيره ويقال نزلت هذه
الآية في شأن اليهود
(لا يرقبون) لا يحفظون
(في مؤمن الا) قرابا ويقال
الاهو الله (ولا ذمة) لا لقل
العهد (وأولئك هم المعتدون)
من الحلال الى الحرام

بقض الصهد وغيره (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) أقرأوا بالصلوات (وآتوا الزكاة) (فصرفت)
أقرأوا بالزكاة (فاخوانكم في الدين) في اذسلام (ونفصل الآيات) تبين القرآن بالامر والنهي (لقوم يعملون) ويصدقو

(وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) أي نقضوا العهد المؤكدة بالايان (وطمنوا في دينكم) وطجوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر ﴿ ٨٩ ﴾ موضع ضميرهم { سورة براءة } وهم رؤساء الشرك أو

زعما قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يبلعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهزتين كوفي وشامي الباكون بهزة واحدة غير ممدودة بسدها ياء مكسورة أصلها أئمة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركات الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى

﴿ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ﴾ وان نكثوا ما يابسا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود ﴿ وطمنوا في دينكم ﴾ تصرخ النكذيب وتبجح الاحكام ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ أي فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والتقدم في الكفر احقاه بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتمحيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به أولئذ من مساقبتهم وقراً عامم وابن عامر وحزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بنعمتي الهمزين على الاصل والنصرع الياء لحن ﴿ انهم لا ايمان لهم ﴾ أي لا ايمان لهم على الحقيقة والاملا طمنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهده الحنفية على ان بين الكافر ليست يمينا وهو ضميم لان المراد نفي الوتوق عليها لانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقراً ان عامر لا ايمان بمعنى لا امان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضميم لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخير عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ﴿ لهممهم يتبون ﴾ متعلق بقاتلوا أي

فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا ايمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم لانه أراد ايمانهم التي أظمر وهائهم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل على أن بين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند السامعي رجة الله أنهم لا وفون بها لان عينهم عين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أي لا اسلام (لهممهم يتبون)

ففرقت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبالتنا وأكل ذبحنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله حج وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وان نكثوا ايمانهم ﴾ يعني وان نقضوا عهدهم ﴿ من بعد عهدهم ﴾ يعني من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ﴿ وطمنوا في دينكم ﴾ يعني وطجوا دينكم الذي أنتم عليه وقد حوا فيه ونلبوه وفي هذا دليل على ان الذي اذا طعن في دين الاسلام وطجوا ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ يعني رؤس المشركين ونادتهم قال ابن عباس نزلت في أنى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل واندعكمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهو ما اخرج ارسول رقتل أاد جمع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والمادة في تساهم فثان الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قتل أهل هذه الآفة بعد ولم مات أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجاج من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى ﴿ انهم لا ايمان لهم ﴾ جمع بين أي لاعهدهم وقيل معناه انهم لا وفاءهم باليهود وقري لا ايمان لهم كسر الهمزة وساء لادين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم ﴿ ان نكثوا ايمانهم ﴾ أي نكثوا عهدهم من ايمانهم ورجعوا عن الايمان من بين المؤمنين على

(وان نكثوا) أهل مكة

(أي ايمانهم) - يهودهم الى دكم وينهم (ا و خا ١٢ م) (من - م - م وطع - م - م) (انكم - م - م) (فقاتلوا أئمة الكفر) عادة الكفر بأيمانهم وأصحابه (انهم لا ايمان لهم) لاعهدهم لهم (لهممهم يتبون) لكي يتبونوا

متعلق بفقائوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أي ليكن عرضكم في مقاتلتهم اتساهم عماهم عليه بعدما وجد منهم من الظالم وهما من غاية كرهه على المسئ ثم حرض على القتال فقال (ألاقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة { الجزء العاشر } (وهو باخراج) ﴿ ٩٠ ﴾ (الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول

ليكن عرضكم في المقاتلة ان يتهاونوا عماهم عليه لا يواصل الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين ﴿ الاقاتلون قوما ﴾ تحريض على القتال لان الهمة دخلت على النبي للاشكار فافادت المبالغة في الفعل ﴿ نكثوا ايمانهم ﴾ التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يماونوا عليهم فماونوا بنى بكر على خزاعة ﴿ وهو باخراج الرسول ﴾ حين تشاوروا في اسره بنار الندوة على ما سر ذكره في قوله واذا يمكركم الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو باخراجه من المدينة ﴿ وهم بدؤكم أول مرة ﴾ بالمعادة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والرام الحجة بالكتاب والتهدى به فعدلوا عن معارسته الى المعادات والمقاتلة فاعتصم ان تمارضوهم وتصادموهم ﴿ اتخشونهم ﴾ أتزكون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم ﴿ قاله حق ان تخشوه ﴾ فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا اسره ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه ﴿ قاتلوهم ﴾ امر بالقتال بديان موجبيه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه ﴿ يذنبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ﴾ وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم

جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى ﴿ الاقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ﴾ يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأطانوا بنى بكر على خزاعة ﴿ وهو باخراج الرسول ﴾ يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿ وهم بدؤكم ﴾ يعني بالقتال ﴿ أول مرة ﴾ يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا نصرف حق نستأصل محمدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اتخشونهم ﴾ يعني اتخافونهم أيها المؤمنون فتزكون قتالهم ﴿ قاله أحق أن تخشوه ﴾ يعني في ترك القتال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قاتلوهم يذنبهم الله بايديكم يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يذنبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالمذاب جيما وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله بنه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المحالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويخزهم يعني يذنبهم بالقهر والاسم ويتزل بهم الذل والهوان ﴿ وينصركم عليهم ﴾ يعني بان يظفركم بهم

مرة) بالقتال والبادى أعظم فما يعتصم من أن تقتلوهم ويخضعهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الخس عليه ان نكث المهدوا باخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبخ على الخشية منهم (قاله أحق أن تخشوه) بان تخشوه فقاتلوا اعداءه (ان كنتم مؤمنين) فاختشوه أي ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الاسره بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يذنبهم الله بايديكم) قتل (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم) عن نقض العهد (ألا قاتلون قوما) ما لكم لا قاتلون قوما يعني أهل مكة (نكثوا ايمانهم) نقضوا عهودهم التي يتكروا وينهم (وهو باخراج الرسول) أرادوا قتل

الرسول حيث دخلوا دار الندوة (وهم بدؤكم أول مرة) ينقض العهد منهم حيث أطانوا بنى بكر (ويشف) حلفاءهم على بنى خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (اتخشونهم) يا معشر المؤمنين اتخشون قتالهم (قاله أحق أن تخشوه) في ترك أسره (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين قاتلوهم يذنبهم الله بايديكم) يسوقكم بالقتل (ويخزهم) يذنبهم بالمهزيمة (وينصركم عليهم)

يفلبكم عليهم) ويشف صدور قوم مؤمنين (طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله ﴿ ٩١ ﴾ هذه المواعيد { سورة براءة } كلها فكان دليلا على صحة

نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واختبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابن سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم بما يكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطع والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركوا على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا

بالغلبة) ويشف صدور قوم مؤمنين) يفرح قلوب نبي خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم فتح مكة ساعة في الحرم (ويذهب غيظ قلوبهم) حنق قلوبهم (ويتوب الله على من يشاء) على من تاب منهم (والله

اعلم) بمن تاب ومن لم يتب منهم (حكيم) فيما حكم عليهم ويقال حكم بقتلهم وهزيتهم (أم حسبتم) أظننتم يا معشر مؤمنين (أن تتركوا) أن تهملوا وان لا تؤمروا بالجهاد (وما يعلم الله) ولم ير الله (الذين جاهدوا منكم) في سبيل الله

والتكن من قتلهم واذلالهم ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلوا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المجزات ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ﴿ ويتوب بالانصب على اضمحار ان على انه من جملة ما اجيب به الاسر فان القتال كان سبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿ والله اعلم ﴾ بما كان وما سيكون ﴿ حكيم ﴾ لا يفعل ولا يحكم الاعلى وفق الحكمة ﴿ أم حسبتم ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمناقضين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿ ان تتركوا ﴾ وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴿ ولم يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم في العلم وارادني المعلوم للبيعة فانه كالبهتان عايد من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه

﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني ويرى داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال اذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا للقوة اليقين وثبات المزجة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا بائناهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ يعني ويذهب وجد قلوبهم عانا لوه من بنى بكر روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى المصر ذكره البغوي بشير سند ﴿ ثم قال تعالى ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المنكرين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا ﴿ والله اعلم ﴾ يعني بسراير عبادهم ومن سبقت له العنابة الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام ﴿ حكيم ﴾ يعني في جميع أفعاله ﴿ قوله عز وجل ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ﴾ هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفريق بينه وبين الاستفهام المتبدأ والمعنى أظننتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تتحنوا يظهر الصادق من الكاذب ﴿ وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ اراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معاوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج

في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما { الجزء المأثور } معناها التوقع ﴿ ٩٢ ﴾ وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع

﴿ ولم يتخذوا ﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصلوة ﴿ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ بطانة بالونهم وبفسشون اليهم اسرارهم وما في لسان من معنى التوقع منه على أن تبين ذلك متوقع ﴿ والله خير بما تعلمون ﴾ بما عرضكم منه وهو كالترج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ ما كان للمشركين ﴾ ما صح لهم ﴿ أن يعمرُوا مساجد الله ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقبل هو المراد وإنما جمع لانه قلة المساجد وامامها فصار الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى أي العلم الذي يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ قال الفراء الواجبة البطانة من المشركين يتخذونهم بفسشون اليهم اسرارهم وقول حمادة وليجة يفتى خيانة وقول الضحاك خدعة وقال عطاء أولياء يعنى لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقول أبو عبيدة كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الواجج فولجة الرجل من يختصه بدخلة أمره دون الناس وقال الراغب الواجج كل ما يتخذة الانسان معدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذاهي المؤمنين عن موالاته المشركين وان يفسشوا اليهم اسرارهم ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ يعنى من موالاته المشركين واخلاص العمل لله وحده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ما كان للمشركين ان يعمرُوا مساجد الله ﴾ يعنى به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضاً وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل على بن أبي طالب يوخ العباس بسبب تماثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكفون محاسننا نقيبل له وهل لكم من محاسن قل نعم نحن أفضل مكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجج ونفك العاني يعنى الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أى ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله أو جب الله على المسلمين منهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فن كان كافراً بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشيدها وصرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول

كأن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلوة كأنه قبل ولما يعلم الله المجاهد منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله معنى ما قيل في تريدها وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعلمون) من خير أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمرُوا مساجد الله) مساجد الله مكي وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فصاره كما صرح جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمرُوا اجنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمرُوا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو أكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى اقراءته القرآن من تصريحك بذلك

(ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) المتخاصين (وليجة) بطانة من الكفار (الكافر) يتعاملون (من الخير والشر في الجهاد وغيره) (ما كان للمشركين) ما ينبغي للمشركين (أن يعمرُوا مساجد الله)

عمر ويقتوب بالتوحيد ﴿شاهدين على انفسهم بالكفر﴾ باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الوار والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متناقضين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عمه المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون عماسنا انالتم المسجد الحرام وبحجب الكعبة ونسقى الحجاج ونفك العاقى فنزلت ﴿اولئك حبطت اعمالهم﴾ التى يقفرون بها بما قرنها من الشرك ﴿وفى النارهم خالدون﴾ لاجله ﴿انما يصر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اقال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ﴿ قوله عز وجل ﴿شاهدين على انفسهم بالكفر﴾ يعنى لا يدخلون المساجد فى حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس رضى الله عنه شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عمارة كل طائفوا طوفة سجودوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصرانى يسئل من أنت فيقول نصرانى واليهودى يقول يهودى والمشرى يقول مشرك وقال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم ﴿ اولئك حبطت اعمالهم﴾ يعنى الاعمال التى علوها فى حال الكفر من اعمال البرملى قرى الضرب وسقى الحاج وفك العاقى لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر ﴿ وفى النارهم خالدون﴾ يعنى من مات منهم على كفره ﴿ قوله عز وجل ﴿انما يصر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يصر مساجد الله بين فى هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فحين يصر المسجد لان المسجد عمارة عن الموضع الذى يعبده الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يصر موضعا يعبده الله فيه واليوم الآخر يعنى وآمن باليوم الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون فى الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبده الله ولم يصر له مسجدا فان قلت لم يذكرا الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط فى صحة الايمان قات ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل فى الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الذى اعادى الى ذلك وتيل ان المسركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم اعادى الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يصر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك

(شاهدين على انفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الوار فى يعمزوا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متضادين عمارة متضادات الله مع الكفر بالله وعبادته (اولئك حبطت اعمالهم وفى النارهم خالدون) دائمون (انما يصر مساجد الله) عمارتها رم ما استمر منها وقيامها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها عالم تبين له المساجد من أحاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاقتراهما فى الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أو دل

(شاهدين على انفسهم بالكفر) بالكفر أو انك حبطت اعمالهم) بطلت حسناتهم فى الكفر (وفى النارهم خالدون) لا يعوتون ولا يخرجون منها (انما يصر مساجد الله) المسجد الحرام (من آمن بالله واليوم الآخر)

عليه بقوله (واقم الصلوة وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع خوف اذ لم من قد يخفى المحاذير ولا يتأكد ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاردني تلك الخشية عنهم (فسي أولئك ان يكونوا من المهتدين) تبييد للمشركين عن مواضع الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان صسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون مستدابها عند الله دون من سواهم (أجملت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

بالبحث بعد الموت) واقام الصلوة) أتم الصلوات الخمس (وآتى الزكوة) أدى الزكاة المفروضة (ولم يخش) ولم يعبد (الا الله فسي أولئك ان يكونوا من المهتدين) بدين الله ووجهه وعسى من الله واجب ثم نزلت في رجل من المشركين أسر يوم بدر فأنخر على على أو على رجل من أهل بدر فقال نحن نسقي الحاج ونعمره المسجد الحرام وننعل

واقام الصلوة وآتى الزكوة) أي انما تستقيم عمارتها هؤلاء الجامعين للكمالات العلية والعملية و من عمارتها تزينها بالقرى وتنويرها بالسراج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عامل تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتى في ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لبعد تطهر في بيته ثم زارنى في بيتى فحق على المزور ان يكرم زائرهم وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قريبه وتعامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ﴿ ولم يخش الا الله ﴾ أى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبيلة لا يكاد الرجل الماقل يتمالك عنها ﴿ فسي أولئك ان يكونوا من المهتدين ﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعاً لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كالمهم اذا كان اهتداهم دأثراً بين عسى ولعل فاطنك باضدادهم ومنعاً للمؤمنين ان يفترخوا باحوالهم ويتكلموا عليها ﴿ أجملت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر ﴿ واقام الصلوة وآتى الزكوة ﴾ وكان ذلك محاماً به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمّر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجداً نازم لاقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤد بالزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال التريضة الواجبة عليه ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولم يخش الا الله ﴾ يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم ترك أمر الله لخشية الناس ﴿ فسي أولئك ان يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله واجب يعنى وأولئك هم المهتدون المتسكون بطاعة الله التى تؤدى الى الجنة عن أبى سعيد الحدردى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما نسمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذى وقال حدث حسن (ق) عن أبى هريرة ان الى صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أورا ح أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أورا ح النزل ما يربأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجداً بنى به وجهه الله تعالى بنى الله له بيتاً فى الجنة وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً صغيراً كان او كبيراً بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه الترمذى عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً يذكرك الله به بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه النسائى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أجملت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴾ الآية (م) عن العمان بن بشر قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رحل ما أبالى أن لأعمل عملاً بعد الاسلام الا أن أعمّر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما فتم فزجرهم

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد ﴿ ٩٥ ﴾ من مضاف { سورة برائة } محذوف تقديره أجمعتم

أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمصنف انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعها نزلت جواباً لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساويتنا وتدع محاسننا فقل أولكم محاسن فقال نعم المسجد ونسئ الحاج ونفك العاني وقيل اقتخر العباس بالسقاية وشيئة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى علياً

كن آمن بالله كمايمان من آمن بالله يعنى البدرى (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (رجاهد في سبيل الله) في طاعته

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ السقاية والعمارة مصدران سقى وعمر فلا يشبهان بالبعث بل لا بد من اضممار تقديره أجمعتم أهل سقاية الحاج كن آمن أو أجمعتم سقاية الحاج كمايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لا يستون عند الله ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاودة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون في الضلالة

عمر وقال لا رفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستغفرت فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر ثلث كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينضمهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبي شيبة اقتفروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عالياً وقال على ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أجمعتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بده سقاية الحاج وكان نبيها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشيدته وسمرته ﴿ كن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيه حذف تقديره كمايمان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجاهد في سبيل الله ﴾ أى وجاهد من حاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أجمعتم ساقى الحاج وعمار المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ لا يستون عند الله ﴾ يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمره المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملاً الايمان به ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب شراب من عندها فقال اسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها قال اعلموا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تقبلوا انزلت حتى أصع الجبل على هذا يعنى عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت حاضراً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي أرى نبي يحكم سقون العسل والابن رأيتهم تسفون اليه من حافية بكم أم من نخل فقال ابن عباس الحمد لله ما لنا

يوم بدر (لا يستون عند الله) فى الطاعة والثواب (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) المسركين من لم يكن اهلاً لذلك

الذين آمنوا وجاهدوا وسبيل الله يأمروا لهم وأنفسهم) أولئك (اعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم { الجزء العاشر } الفائزون) لا أتم ﴿ ٩٦ ﴾ والخصمون بالفوز دونكم ﴿ يشهرهم

فكيف يساؤون الذين هداهم الله ووقفهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿الذين آمنوا وجاهدوا وسبيل الله يأمروا لهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله﴾ أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿ وأولئك هم الفائزون ﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿ يشهرهم ربهم برجة منه ورضوان وجنات لهم فيها ﴾ في الجنات ﴿ نعيم مقيم ﴾ دائم وقرأ حجة يشهرهم بالخفيف وتشكير المبتشره اشعار بأنه وراء التعيين والتعريف ﴿خالدين فيها أبدا﴾ أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿وان الله عنده اجر عظيم﴾ يستحقرونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء﴾ نزلت في المهاجرين

من حاجة ولا يخل أنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحته وخلفه أسامة فاستسقى فأيناه باناء من يبيد فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجلتكم كذا فاصنعوا فلا تريد تعبير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم البيد تمر يتقع في الماء عدوة ويشرب عشاءاً وينقع عشاءاً ويشرب عدوة وهذا حلال فإن غلى وحض حرم ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين آمنوا وجاهدوا وسبيل الله يأمروا لهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله ﴾ يعني ان من كان موصوفاً بهذه الصفات يعني الايمان والحجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام واتكلم بكثرة القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة ﴿ وأولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ هم الفائزون ﴾ يعني بسعادة الدنيا والآخرة ﴿ يشهرهم ربهم ﴾ يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ﴿ بهم ذكر الخبر الذي يشهرهم به فقال تعالى ﴾ برجته منه ورضوان ﴿ وهذا أعظم البسارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على البدين سامة مقصودة ﴿ وجنات لهم فها نعيم مقيم ﴾ يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا ﴿ خالدين فيها ﴾ يعني في الجنان وفي النعيم ﴿ أبدا ﴾ يعني لا انقطاع له ﴿ وان الله عنده اجر عظيم ﴾ يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ﴿ قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتاعهما من الحجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالحجرة الى المدينة فتم من تعلق به أهله وأولاده يتواون تشدك الله أن لاتصعبا فبرق لهم فقيم عليهم ويدع الحجرة فانزل الله هذا الآية وقال مقاتل نزلت في اتسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن ذلك ﴿ انهم رانزل يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ﴾ يعني بطاعة

ربهم) يشهرهم حجة (برجة منه ورضوان وجنات) تشكير المبتشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا) ان الله عنده اجر عظيم) لا ينقطع للمأسر الله اني عنده السلام بالحجرة جصل الرجل يقول لابنه ولاخيه وقرابته انانق أسرنا بالحجرة فتم من يسرع الى ذلك وبجبهه ومنهم من تعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيق فيجلس معهم ويدع الحجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء

(الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وجاهدوا) من سكة الى المدينة (وجاهدوا في سبيل الله) في طاعة الله (بأموالهم وأنفسهم) بنفقة أموالهم وبخروج أنفسهم (اعظم درجة) فضيلة (مد الله) نغرمهم (وأولئك هم الفائزون) نازرا بالجنة ونجوا من النار

(يشهرهم ربهم برجة) بنجاة (منه) من الله من الدواب (وإخوان) برضوانهم عنهم (وجنات) (واصدقاء) جنات (لهم فيها نعيم مقيم) دائم لا ينقطع (خالدين فيها أبدا) يعمونون ولا يخرجون (ان الله عنده اجر عظيم) ثواب وافر لمن آمن به (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم وأخوانكم) الذين بمكة من الكفار (أولياء) في الدين

ان استحبوا الكفر على الايمان (اي آتروه واختاروه) (ومن يتولهم منكم) أي ومن يتول الكافرين (فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقاربكم وعشيرتكم أبو بكر (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت ﴿ ٩٧ ﴾ نفاقها (وما كن { سورة براءة } ترزونها أحب اليكم من

الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأسره) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو قبح

(ان استحبوا الكفر على الايمان) اختاروا الكفر على الايمان (ومن يتولهم منكم) في الدين (فاولئك هم الظالمون)

الكافرون مثلهم ويقال يا ايها الذين آمنوا لا تخذوا آباءكم واخوانكم من المؤمنين

الذين بمكة الذين منعوكم عن الحجارة وأولياء في المون والنصرة ان استحبوا الكفر

اختاروا دار الكفر يعني مكة على الايمان على دار الاسلام يعني المدينة ومن يتولهم منكم في المون والنصرة فاولئك هم

الظالمون الضارون بأنفسهم (قل) يا محمد (ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم

وأزواجكم وعشيرتكم قومكم الذين هم بمكة (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) أن

لا تنفق بالمدينة (وما كن) منازل (ترزونها) شتون لجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) ومن الهجرة الى رسوله (وجهاد) ومن جهاد (في سبيله) في طاعته (فتربصوا) فانظروا (حتى ياتي الله بأسره) جهاد به يعني القتل يوم قبح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابنائنا وعشائرنا وذهبنا تجارتنا وبقينا ضالين وقيل نزلت لنها عن موالاته التهمة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تخذوهم اولياء يمتنونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ ان اختاروه وحرصوا عليه ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ بوضعهم الموالاته في غير موضعها ﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيرتكم وقرئ وعشائركم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ وما كن ترزونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾ الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿ فتربصوا حتى ياتي الله بأسره ﴾ جواب ووعد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل قبح مكة

وأصدقاء تفضون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولا والا قرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالي الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبنا تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ وقرئ على الجمع وعشيرتكم المشيرة هم الاذنون من أهل الانسان الذين يشارونه دون غيرهم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ يعني اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ يعني بفراركم لها ﴿ وما كن ترزونها ﴾ يعني تستوطنونها راضين بسكانها ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله ﴾ يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وهو جهاد في سبيله ﴿ فيبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليقى الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله ﴿ فتربصوا ﴾ أي فانظروا ﴿ حتى ياتي الله بأسره ﴾ يعني بقضائه وهذا

الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) ومن الهجرة الى رسوله (وجهاد) ومن جهاد (في سبيله) في طاعته (فتربصوا) فانظروا (حتى ياتي الله بأسره) جهاد به يعني القتل يوم قبح مكة ثم هاجروا بعد ذلك

﴿ والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ لا يرشدكم الله في مواطن كثيرة ﴿ يعني مواطن الحرب هي مواطنها ﴾ ويوم حنين ﴿ وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر المواطن بالوقت كقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله

أمرته يدون تخوف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة ﴿ والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ يعني الخارحين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴿ لقد نصركم الله النصر الموعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم ﴾ في مواطن كثيرة ﴿ يعني أما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴿ ويوم حنين ﴾ يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم وادقرب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشرة ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قمع مكة وقديت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في احدى عشر الفاعشرة آلاف من المهاجرين والانصار والافان من الطلقاء وقال عطاه كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قطف وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلمهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاند هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما أتى من عند الله عز وجل من النصر والموعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الدراري ثم نادوا يا حياة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انهجفوا يومئذ بالناس فلما انهجفل القوم هربوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولي ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفیان بن الحرث يقود به بذلته فقتل ودعا

مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا نجد عند أروع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والانساء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرظبة والنضير والحديبية وخير وقع مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنون ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم حنين) أى واذكروا يوم حنين) وادبين مكة والطائف كانت فيداوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فسأت رسول الله عليه الصلاة والسلام

(والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من لم يكن أهلا لدينه (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) في مشاهد كثيرة عند القتال (ويوم حنين) خاصة وهو وادبين مكة والطائف

واستنصر وهو يقول أما النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خبيثة ثم صفهم قال البراء كنا والله إذا اجر البأس نتقى به وان الشجاع منالذي يحاذي بدمي النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤه حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبقي نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بئته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب يقود به فتزل ودما واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم جلنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يضر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحس جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبدالمطلب وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو اسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبدالمطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه ورسول الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداه له فروة بن نفاثة الجذامي فلما اتى المسلمون والكفارولى المسلمون مدبرين فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بئته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بئته رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبوسفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيئا فقلت باعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا ليك ليك قال فاقمتوا الكفار والدعوة في الانصار يقولون يامشرا الانصار يامشرا الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بداته كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فما!

أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بمحسباته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم
مدبراً قوله حتى الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها
النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التور وقوله
حدهم كليل يعني لا يقطع شيئاً (م) عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيننا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من
تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فاخلق الله منهم السنانا لاملأ عينيه
ترايا تلك القبضة قولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجهم
مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وروى ان رجلاً من بني نضير قال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال ابن الخليل
البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا
الا بأبيهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً
من المشركين قال يوم حنين لما اتقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فينا
نحن نسوقهم حتى اتينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فتلقتنا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا
قال فانهزمتنا وركبوا أكثافنا فكانت اياها واختفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على
قولين والصحيح أنهم لم يقاتلوا الا يوم بدر واما كانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكروا
البعوى أن الزهري قال بلغني أن شيبه بن عثمان قال استدرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وبن أبي طلحة وكانا قد قتلا يوم
أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الى وضرب في صدري
وقال أعينك بالله يا شيبه فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب الي من سمعي وبصري
فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما
هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الاشرعيين يقال له أبو طاس وأمره على الجيش
فسار الى أوطاس فاقتلواها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال
المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأنى الطائف فحصن بها وأخذماله
وأهله فبين أخذ وقتل أبو طاس أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم
أصابوا يوم ثدستة آلاف صبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم
بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم
منها بعرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتأنف أناس منهم أبو سفيان بن حرب
والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك
ان ناساً من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاءه
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجلاً من قريش المائة من الابل فقالوا يا نضر الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشاً ويتركننا وسيفنا تقطر من دماهم قال أنس
(فحدث)

فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث يلتقى عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئاً وأما أناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاني أعطى رجلا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر حيننا قال فانكم سيجدون بعدى اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا انصبرنا في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن حاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يسط الانصار شيئاً فكانهم وجدوا اذ لم يصمهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي واطال فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله آمن قال فامتنعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله آمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أن ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شطار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتهمل نبي ونهب الصيد • بين عينة والاقرع

فاكان حصن ولاحابس • يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما • ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور وحمروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقته فاختاروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأثيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدي الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فآثى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندرى من أذن منكم عن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع اليتاعر فاؤمكم أمركم فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ قلمهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذاً بالجمام دابته { الجزء العاشر } وأبوسفيان بن ﴿ ١٠٢ ﴾ الحارث ابن عمه آخذاً بركابه فقال

﴿ اذ اعجبتكم كثرتكم ﴾ منه ان يطغى على موضع في مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المصطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اليهم في جميع المواطن وحينئذ وادبين مكة والطائف حارب في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا وقع مكة والغان انضموا اليهم من الطلقاء هو اوازن وتقيف وكانوا اربعة آلاف فلما اتقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابوبكر رضى الله عنه او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ قلمهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذاً بالجمامه وابن عمه ابوسفيان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صمغ بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين جرى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماه ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿ فلم تفن عنكم ﴾ اى الكثرة ﴿ شيئا ﴾ من الاغناء او من امر العدو ﴿ وضاعت عليكم الارض بما رحبت ﴾ برحبها اى سمعها لا تجدون فيها مقرا تطمئن فيه نفوسكم من شدة الرعب اولاً لتبتون فيها كمن لا يسمع مكانه ﴿ ثم وليتم ﴾ الكفار ظهوركم ﴿ مدبرين ﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ ثم انزل الله سكينته ﴾ رجته التى سكنوا بها وآمنوا ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ الذين انهزموا واعادة الجبار

فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذ الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل فى قصة حينئذ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين ﴿ اذ اعجبتكم كثرتكم ﴾ يعنى حين قلم لن تغلب اليوم من قلة ﴿ فلم تفن عنكم ﴾ يعنى كثرتكم ﴿ شيئا ﴾ يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته ﴿ وضاعت عليكم الارض بما رحبت ﴾ يعنى بسعتها وقضائها ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ يعنى منهزمين ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ يعنى بمد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فصلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجب فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن ﴿ وقوله عز وجل ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب فى هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجسوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر

لعباس صمغ بالناس وكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة وعليهم الثياب البيض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزم وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر ﴿ فلم تفن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ﴾ ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجبار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه ثياب السقراى ملتبسها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ ثم انهزمتم ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ التى سكنوا بها وآمنوا ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾

(اذ) اعجبتكم كثرتكم كثرة جموعكم وكانوا عشرة آلاف

رجل ﴿ فلم تفن عنكم ﴾ كثرتكم من الهزيمة ﴿ شيئا ﴾ وضاعت عليكم الارض ﴿ بما رحبت ﴾ من الخوف ﴿ بما رحبت ﴾ (وانزل) ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ منهزمين من العدو وكان عددهم اربعة آلاف رجل ﴿ ثم انزل الله سكينته ﴾ طمأنينته ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾

وأُنزل جنوداً لم تروها) يعني الملائكة ﴿١٠٣﴾ وكانوا غائبين { سورة براءة } آلاف أو خمسة آلاف أو ستة

عشر ألفاً (وعذب
الذين كفروا) بالقتل
والأسر وسى النساء
والذراري (وذلك جزاء
الكافرين ثم يتوب الله من
بمد ذلك على من يشاء) وهم
الذين أسلموا منهم (والله
غفور) بستر كفر المدعو
بالاسلام (رحيم) بصر
الولي بعد الانهزام (يا أيها
الذين آمنوا إنما المشركون
نجس) أي ذو نجس وهو
مصدر يقال نجس نجساً
وقدر قدرالان معهم الشرك
الذي هو بمنزلة الحس ولاهم
لا يتطهرون ولا يتقاسون
ولا يجتنبون النجاسات فهي
ملاسة لهم أوجأوا كأنهم
النجاسة بينها مبالغة في
وصفهم بها (فلا يقربوا
المسجد الحرام) فلا يحجروا
ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون

وأُنزل جنوداً) من السماء (لم
تروها) يعني الملائكة بالنصرة
لكم (وعذب الذين كفروا)
بالقتل والهزيمة يعني قوم
مالك بن عوف الدهماني
وقوم كنانة بن عبد ياليل
الثقفي (وذلك جزاء
الكافرين) في الدنيا (ثم
يتوب الله من بعد ذلك)
القتال والهزيمة (على
من يشاء) على من تاب منهم
(والله غفور) متجاوز (رحيم)
(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) قدر (فلا يقربوا المسجد الحرام) بالحج

للتبنيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام
ولم يفروا ﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف
أو ثمانية أو ستة عشر الفاعلى اختلاف الأقوال ﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ بالقتل والأسر
والسبي ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ أي ما قل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ﴿ ثم
يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ منهم بالتوفيق للإسلام ﴿ والله غفور رحيم ﴾
يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى أن ناساً منهم جاؤا إلى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وإبرهم وقديسي أهلونا وأولادنا
واخذت أموالنا وقديسي يوثد ستة آلاف نفس واخذ من الأبل والغنم ما لا
يحصي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا أما سباً يأكم وأما أموالكم فقالوا ما كنا
نعدل بالأحساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاؤا
مسلمين وأنا خيرناهم بين الدراري والأموال فلم يدلوا بالأحساب شيئاً فن كان
بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فثأته ومن لا فيطعنا وليكن قرصاً علينا حتى نصيب
شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال أنى لا أدري لعل فيكم من لا يرضى ففروا
عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا أتم قدرضوا ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ﴾
نخبث باطنهم أولاده يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أولانهم لا يتطهرون
ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرى نجس بالسكون
وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعاً لرجم ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾

﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين
وتجنيبهم للقتال لأن الملائكة تقاتل الأيوم بدر ﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ يعني
بالأسر والقتل وسى العيال والأموال ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ يعني في الدنيا ثم
إذا أمضوا إلى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم ﴿ ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ يعني فيهديه إلى الإسلام كما فعل بمن بقي من هوازن
حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأبين فن عابهم وأطلق سبيهم
﴿ والله غفور ﴾ لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ بعباده ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا
إنما المشركون نجس ﴾ قيل أراد بالمشركين عبدة الأصنام دون غيرهم من أصناف
الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى
والنجس الشيء القدر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة
نجاسة الحكم لأن نجاسة العين سموا نجساً على الذم لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم
وقبلهم أن نجس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركاً
فأبوضاً روى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الأول أصح وتال قسادة سمهاهم
نجس لأنهم سمون فلا ية لحن ومحدثون فلا يتوضؤون مؤفلا يقربوا المسجد الحرام ﴿

(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) قدر (فلا يقربوا المسجد الحرام) بالحج

لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبانة اول المنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النبي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس
مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالقروع ﴿ بعد تامهم هذا ﴾ يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة
حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منهم من الحرم

المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قروا من المسجد الحرام ويؤكد
هذا قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلامن المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى
به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار
ثلاثة أقسام • أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأنا للظاهر
هذه الآية وبه قال الشافعي وأجد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم
فلا يأذنه في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج
الحرم وجوز ابو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم • القسم الثاني من بلاد
الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهاهي
ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طى
وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسرارة
وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحرابي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار
دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة
أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود
والنصارى من جزيرة العرب فلا تترك فيها الاسلام زاد في رواية لغير مسلم وأوصى
فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر
في خلافته وأجل لمن يقدم تاجر اثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسلا (م) عن جابر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد عيش ان يعبده المصلون
في جزيرة العرب ولكن في التمريش بينهم قال سعيد بن عبدالعزيز جزيرة العرب
ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة
العرب من أقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل
البحر الى أطراف الشام عرضا • والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافرين
يقوم فيها بعمد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم ﴿ قوله عز وجل
﴿ بعد تامهم هذا ﴾ يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نأدي
على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ يعني
فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة
الطعام وتجرون فلما نموا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا

في الجاهلية (بعد تامهم
هذا) وهو عام تسع من
الهجرة حين أسرا أبو بكر
رضي الله عنه على الموسم
ويكون المراد من نهي
القرآن النبي عن الحج
والعمرة وهو مذهبنا
ولا يعمون من دخول الحرم
والمسجد الحرام وسائر
المساجد عندنا وعند
الشافعي رحمه الله يعمون
من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يعمون منه ومن
غيره وقيل نهي المشركين
أن يقربوه راجع الى
نهي المسلمين عن تمكينهم
منه (وان خفتم عيلة) أي
فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم في
قدومهم عليكم من الارقاق

والطواف (بعد تامهم هذا)
عام البراة يوم النحر (وان
خفتم عيلة) الفقرو الحاجة

والمكاسب) فسوف يغنيكم
 الله من فضله) من الثنائم
 أو المطر والنبات أو من
 متاجر جميع الاسلام (ان
 شاء) هو تعليم لتعليق
 الامور بمشيئة الله تعالى
 لتقطع الآمال اليه (ان
 الله عليهم) باحوالكم
 (حكيم) في تحقيق آمالكم
 أو علم بمصالح العباد حكيم
 فيما حكم وأراد ونزل في
 أهل الكتاب (قاتلوا الذين
 لا يؤمنون بالله) لان اليهود
 متنية والنصارى مائة (ولا
 باليوم الآخر) لانهم فيه
 على خلاف ما يجب حيث
 يزعمون ان لا أكل في الجنة
 ولا شرب (ولا يحرمون
 ما حرم الله ورسوله) لانهم
 لا يحرمون ما حرم في الكتاب
 والسنة أو لا يعملون بما في
 (فسوف يغنيكم الله من
 فضله) من رزقه من وجه
 آخر (ان شاء) حيث شاء
 ويغنيكم عن تجارة بكرين
 وائل (ان الله عليهم) بأرزاقكم
 (حكيم) فيما حكم عليكم
 (قاتلوا الذين لا يؤمنون
 بالله ولا باليوم الآخر)
 ولا ينعم الجنة (ولا يحرمون)
 في التوراة (ما حرم الله
 ورسوله

وانقطع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق ﴿ فسوف يغنيكم الله من
 فضله ﴾ من عطائه أو بفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم
 مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والقتائم
 وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرى مائة على انها مصدر كالمائة او حال
 ﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة ليقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل
 في ذلك وان التقى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿ ان الله علم ﴾
 باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعلو ويتسع ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر ﴾ اي لا يؤمنون بهما على ما ينسبني كما ينسب في اول البقرة فايمانهم كلا ايمان
 ولا يحيون ما حرم الله ورسوله ﴿ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقبل رسوله

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان ختم عيلة ﴿ فسوف يغنيكم الله
 من فضله ﴾ قال عكرمة فاشناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خبرهم وقال مقاتل أ-لم
 أهل جدة وصنماء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا
 يخافون وقال الضمك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ﴿ ان شاء ﴾ قيل انما
 شرط المشيئة في التقى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى
 في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع البداهمه من كل أحد الامن الله عز وجل فانه
 هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعامير رعاية الادب كما
 في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴿ ان الله علم ﴾ بمعنى بما
 يصلحكم ﴿ حكيم ﴾ يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع
 المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال
 تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال مجاهد نزلت الآية حين
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزلها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت
 في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابها اهل الاسلام وأول ذل
 أصاب اهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 المؤمنين والمعنى قاتلوا أي المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان
 قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم
 أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كما ايمان المؤمنين وذلك
 ان اليهود يمتدنون النجوم والتشبيه والنصارى يمتدنون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس
 بمؤمن بالله وفيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو
 مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى
 يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كما ايمان المؤمنين
 وذلك انهم يمتدنون بعثة الارواح دون الاجساد ويمتدنون ان أهل الجنة لا يأكلون
 فيه أو لا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كما ايمان المؤمنين وان زعم انه
 مؤمن بالله وقوله تعالى ﴿ لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴾ يعني ولا يحرمون الحجر والخنزير
 ونبي مائة أم يحرمون ما حرم الله في التوراة ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه

التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذته دينه ومعتقده (من الذين { الجزء العاشر } أوتوا الكتاب) ﴿ ١٠٦ ﴾ بيان للذين قبله وأما الجبوس

هو الذي يزعمون آباءه والمعنى انهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعلا
﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها ﴿ من الذين أوتوا
الكتاب ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ما تقرّر عليهم ان يعطوه
مشتق من جزي دينه اذا قضاه ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير أي عن يد معاتبة
بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثن بأيدي غيرهم ولذلك منع
من التوكيل فبه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم
بمعنى اذلاء عاجزين او عن انعام عليهم فان ابتاهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى
تقدرا مسلمة عن يد الى يد ﴿ وهم صاغرون ﴾ اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تؤخذ

لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرقوها وأتوا بحكام من قبل أنفسهم ﴿ ولا
يدينون دين الحق ﴾ يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق
هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو توله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم
﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعنى اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا
الجزية ﴾ وهى ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهى الحراج المضروب على رقابهم
سميت جزية الاجتراء بها فى حقن دماهم ﴿ عن يد ﴾ يعنى عن تبر وغلبة يقال اكل من أعطى
شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون
بها على يد غيرهم وقيل يعطونها تقدا لانبيئته وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم
بقولها منهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية
وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قاعون والقابض جالس وقال
ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكافى اذا أعطى بصفع قفاه وقيل
هو ان يؤخذ بليته ويضرب فى لهزمته ويقال له أدحق الله باعد والله وقال الامام
الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جربان أحكام المسلمين عليهم

فصل فى بيان أحكام الآية

اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا
لم يكونوا عربا واختافوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار الأمم
فذهب الشافعى الى ان الجزية على الاذيان لاعلى الانساب تؤخذ من أهل الكتاب
عربا كانوا أو عجميا ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبى
صلى الله عليه وسلم بمث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فاخذته فأتوا به فحقن دمه وصالحه
على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب نالاه من غسان
وأخذته من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك الارزاعى الى ان الجزية تؤخذ

مطلقون ياهل الكتاب فى
قبول الجزية وكذا الترك
والهنود وغيرهما بخلاف
مشركي العرب لما روى
الزهري أن النبى عليه
السلام صالح عبدة الاوثان
على الجزية الامن كان من
العرب (حتى يعطوا
الجزية) الى ان يقبلوها
وسميت جزية لانها يجب على
على أهلها أن يجزوه أى
يقضوه أو هى جزاء على
الكفر على التحميل فى
تذليل (عن يد) أى عن يد
مواتية غير محتمة ولذا قالوا
أعطى بيده اذا اتقاد وقالوا
نزع يده عن الطاعة أو حتى
يعطوها عن يد الى يد
نقدا غير نسيئة لا مبعوثا
على يد أحد ولكن عن يد
المعطى الى بد الآخذ (وهم
صاغرون) أى تؤخذ منهم
على الصغار والذل وهو أن
يأتى بها بنفسه ماشيا غير
راكب ويسلمها وهو قائم
والمسلم جالس وان يتل
تلتة ويؤخذ بتلييه
ويقال له اذ الجزية يا ذى
وان كان يؤدها ويترخ
فى قفاه وتسقط بالاسلام

ولا يدينون دين الحق)
لا يخضعون لله بالنوحيد منهم بين
منهم فقال (من الذين أوتوا
الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يدي يد (وهم صاغرون) ذليلون (من)

من جمع الكفار الا لم يرد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على يوم نزل

الجزية من الذي ونوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من الجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابين واما سائر الكفرة فلان تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رجه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشرك العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رجه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واكلها في كل سنة دينار سواء فيه الفقى والقير وقال ابو حنيفة رجه الله تعالى على الفقى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شىء على الفقير غير الكسوب

من مشركي الجهم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأما الجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم وبدل عليه ماروى عن بحالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من الجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجرأ أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر الجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من الجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن الجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرقع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم بقرون بالجزية ونحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخاوا فيه بعد النسخ عجبى محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعتهم فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في أمرهم هل دخاوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبراء وبني تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبيلهم سبيل أهل الكتاب فهم في أهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الفقى والقير والمتوسط وبدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت اليهود بنزير ابن الله ﴿ انما قاله بعضهم من متقدمهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقصة نجت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياء الله بعد مائة عام الى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهاكهم على التكذيب وقرأ طاصم والكسائي ويعقوب عزيز بالتورين على انه صربي مخبر عنه باين غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما نافع صرفه للعجمة والتعريف اول لقاء الساكنين تشبها للثون بحرف اللين اولان الابن وصف واظهر محذوف مثل مبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤمى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصرى المسيح ابن الله ﴿ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد لاباب اولان يفعل ما فعله من ابراء الاكده والابرس واحياء الموتى من ام يكن الها

(وقالت اليهود) كلهم
او بعضهم (عزير ابن الله)
مبتدا وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم أعجمي
ولعجمته وتعريفه امتنع
صرفه ومن نون وهو عاصم
وعلى فقد جعله عربيا
(وقالت النصرى المسيح
ابن الله

ماوجه الى اليمين امره ان يأخذ من كل حالم أى محتمل دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون باليمين أخرجه أبو داود قالني صلى الله عليه وسلم أمره ان يأخذ من كل محتمل وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين النقي والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا يؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الرأي وبدل عايه ماروى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال أصحاب الشافعي أقل الجزية دينارا ليزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى النقي أربعة دنانير قال العلماء انما قرأ أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك حرمة لا بأثم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل مثل النسخ والتبديل وايضا فان بأيديهم كتب قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وحمية نبوته فأمهاوا لهذا المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دماهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذ رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصرى المسيح ابن الله ﴿ الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أن اليهود والنصرى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية فاخبر عنهم انهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنفا وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعالمهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان

(وقالت اليهود) يهود
أهل المدينة (عزير ابن
الله وقالت النصرى)
نصرى أهل نجران (المسيح
ابن الله

ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف تبك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عيرانما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فخصاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على طادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأتساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرده اليه التوراة فيبينما هو يصلى مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فصادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فلحقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله وقال الكلبي ان بختصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك بآباء فيهماء فشرب مندفتات له النوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فصارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه فادرجوا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانتكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى الفيلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بواص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بواص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فمن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني احتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنائم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من انت قال أنا عدوكم بواص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تنصر وقد تبيت وأتيتكم فادخاوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور

ذلك قولهم بافواههم) أي قول لا يعتمد برهان ولا يستند إلى بيان فها هو اللفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألة
المحملة) يضاهون قول الدين { الجزء العاشر } كقروا من قبل) ﴿ ١١٠ ﴾ لا بد فيه من حذف مصاب تزد

ذلك قولهم بافواههم ﴿ اما تأكيداً لتسمية هذا القول اليهم ونفى التجوز
عنها او اشعاراً بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه
ولا يوجد مفهومه في الاعيان ﴿ يضاهون قول الدين كقروا ﴿ اي يضاهي قولهم
قول الذين كقروا لحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ من قبل ﴿ اي من قبلهم
والمراد قدمائهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله واليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به
طاصم ومنه قولهم امرأة ضهاياً على ميل للنبي شابهت الرجال في انها لا تحيض ﴿ قاتلهم الله ﴿
دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم ﴿ اي يؤكون ﴿

والآخر يصوب والآخر ملكان فعل نسطوران عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم به بقول
أن عيسى ليس بإنسان ولكنه ابن الله وعلم ملك أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما
اسمك ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الحلوة وقال له أنت خالفتي وادع الناس لما
عليك وأسره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت عيسى في المنام وقد
رضى عني وقال اكل واحدمنهم اني اذبح نفسي تنر بالي عيسى ثم ذهب الى المذبح وذبح
نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر
الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقاله ودعا الناس اليه نبيه على ذلك طوائف
من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع التماثل فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال
الامام فخر الدين الرازي بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال اعلمه ذكر
لفظ الابن في الانجيل على ما ل التسرب كما ورد لفظ الحبل في حق ابراهيم على سبيل
النسب فالتوا وفسروا لفظ الابن بالبوة الحقيقية والجهال فلبوا ذلك منهم وفشا
هذا المذهب الفاسد في اتساع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ذلك قولهم
بافواههم ﴿ يعني اثم تتولون ذلك الاموال السنتم من غير علم يرجعون اليه قال أهل الممان
انذكر الله فولامقر ما لا راء والاسن الا كان ذلك الفول زورا وكذبا لاحقفة له
مر يضاهون ﴿ قال ابن عباس بنساجون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواظنون
وقال الحسن يوافقون ﴿ قول الذين كقروا من قبل ﴿ قال قتادة والسدي معناه
صاغت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزرا بن الله
وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة
بنات الله وقال الحسن سبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم
الحالية الكافرة وقال القسبي يريد أن من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يقولون ما قال أولوهم نرا فانهم الله ﴿ قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن
حريج قلمهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التحب أي حق ان
يقال لهم هذا القول تحباً من بشاعة مولهم كما قال لمن فعل فلما سمع منه قاتله الله ما عجب
نعله ﴿ أي يؤكون ﴿ يعني أي يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجبة

يضاهي قولهم قولهم ثم
حذف المضاف وأهم الضمير
المضاف اليه مقامه فانقلب
سرفوعا يعني ان الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم
قول قدمائهم يعني انه كفر
تدبير فيهم غير مستحدث
أو الضمير للنصارى أي
يضاهي قولهم المسيح ابن
الله قول اليهود عزرا بن
الله لانهم أقدم منهم
بصاهون طاصم وأصل
المضاهاة المشابهة والاكثر
ترك الهمز واشقاقه من
قولهم امرأة ضهايا وهي
التي أشبهت الرجال بأنها
لا تحيض كذا قاله الرجاج
(قاتلهم الله) أي هم أحقاء
بان يقال لهم هذا (أي
يؤكون) كيف يصرفون

ذلك قولهم بافواههم
بالسنتم (بضاهون)
بشون (قول الذين كقروا
من قبل) من علمهم معنى أهل
مكة لان أهل مكة قالوا
اللات والعزى ومناة بنات
الله وكذلك قالت الود
عزير ابن الله وقالت
النصارى قال بعضهم المسيح
ابن الله وقال بعضهم

سرياً وقال بعضهم هو الله ودال بعضهم بالثلاثة (قائهم الله) انهم الله (أن يؤكون) من أن (ان الله)

كَيْفِيَّةُ يَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بَانَ اطَاعُوهُمْ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحْسَلَّ اللَّهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ بِالسُّجُودِ لَهُمْ ﴿ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ بَانَ جَعَلُوهُ ابْنًا لِلَّهِ ﴿ وَمَا أَسْرَوْا ﴾ أَيْ وَمَا أَمَرَ الْمُتَّخِذُونَ أَوْ الْمُتَّخِذُونَ أَرْبَابًا فَيَكُونُ كَالدَّلِيلِ عَلَى بَطْلَانِ الْإِتِّخَاذِ ﴿ إِلَّا لِيَسْبُدُوا ﴾ لِيَطْعُوا ﴿ وَاللَّهِ وَاحِدًا ﴾ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَامِطَاعَةُ الرَّسْلِ وَسَائِرُ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ طَاعَةُ اللَّهِ ﴿ لَوْلَا اللَّهُ الْإِهْوَى ﴾ صِفَةُ نَائِبِيَّةٍ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ مُقَرَّرٍ لِلتَّوْحِيدِ ﴿ سَجَّانَهُ عَمَا شَرَكُوا ﴾ تَنْزِيهِ لَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ ﴿ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا ﴾ يُخْتَدُوا ﴿ نُورَ اللَّهِ ﴾ جِهَةَ الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَقَدُّسِهِ عَنِ الْوُلْدَانِ وَالْقُرْآنِ أَوْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بِشَرِكِهِمْ أَوْ بِتَكْذِيبِهِمْ

بَانَ اللَّهُ وَاحِدًا أَحَدًا فَجَعَلُوا لَهُ وَلَدًا تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَهَذَا التَّعْجِيبُ رَاجِعٌ إِلَى الْخَلْقِ لِأَنَّ اللَّهَ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى لَا يَتَّعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ وَلكِنْ هَذَا الْخَطْبُ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي مَخَاطِبَتِهِمْ قَالَتِ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى عَجِيبٌ نَبِيٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَرْكِهِمُ الْحَقَّ وَاسْتِرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ ﴿ قَوْلُهُ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى ﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ مَعْنَى اتَّخَذَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عُلَمَاءَهُمْ وَقُرَّاءَهُمْ وَالْأَحْبَارَ الْعُلَمَاءَ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانَ أَحْبَابَ الصَّوَامِعِ مِنَ النَّصَارَى أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْنَى أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَحْوَالَهُمْ أَشْيَاءَ وَحَرَمُوا عَلَيْهِمْ أَشْيَاءَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْفُسَهُمْ فَطَاعُوهُمْ مِمَّا فَاتَّخَذُوهُمْ كَالْأَرْبَابِ لِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ وَاعْتَقَدُوا فِيهِمُ الْإِلَهِيَّةَ عَنِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَنْتَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي مَعْنَى صَاحِبٍ مِنْ ذَهَبٍ قَتَلَ مَعْدِيَّ اطْرَحَ عَنْكَ هَذَا الْوَسْوَءَ وَبِهِ يَقْرَأُ فِي - وَرَاءَ رِوَاةٍ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ أَمَا أَنْتُمْ لَمْ تَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحْوَالَهُمْ شَيْئًا اسْتَعْمَلُوهُ وَإِذَا حَرَمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَمُوهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدَّثَ غَرِيبٌ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَهَلْ يَدُلُّ الدِّينَ الْإِلْمَالُوكَ ﴿ وَأَحْبَارُ سِوَاهُ وَرُهْبَانُهَا (١)

﴿ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ مَعْنَى اتَّخَذُوهُ الْيَهُودَ إِذَا اسْتَعْمَلُوهُ فِي الْبُتُوَّةِ وَالْحُلُولِ أَعْتَدُوا بِهِ الْإِلَهِيَّةَ ﴿ وَمَا أَسْرَوْا ﴾ مَعْنَى وَمَا أَسْرَوْا فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الْمَنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِمْ ﴿ إِلَّا لِيَسْبُدُوا وَاللَّهِ وَاحِدًا ﴾ لِأَنَّ سَجَّانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمَسْحُوقُ لِلسَّادَةِ لِأَنَّ لَوْلَا اللَّهُ الْإِهْوَى سَجَّانَهُ عَمَا يَشْرَكُونَ ﴿ أَيْ تَعَالَى اللَّهُ وَتَنْزَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي السَّادَةِ وَالْأَحْكَامِ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي الْإِلَهِيَّةِ بِسَمْتِ الْعَظِيمِ وَالْإِجْلَالِ مَعَهُ يَرِيدُونَ ﴿ مَعْنَى يَرِيدُونَ سَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُوَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ مَعْنَى يَرِيدُونَ هُؤُلَاءَ إِبْطَالِ دِينِ اللَّهِ الَّذِي حَامَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَقَوْلِهِ الْمُرَادُ مِنَ النُّورِ الدَّلَالَةُ الدَّلَالَةُ عَلَى حَقِّقَةِ تَعَالَى اللَّهِ تَعَالَى وَبِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُخْتَارَاتِ الْخَاتِمَاتِ لِعَادَةِ الَّتِي نَابَهَتْ عَلَى يَدَا عِلْمِهَا عَلَى صِدْقِهَا بِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ دُونِهَا وَمَعْنَى أَقْبَدَ عَلَى الْإِلْمَالُوكَ عَارِدًا

(١) وَمَعْنَاهُ قَوْلُهُ « لَقَدْ وَقَعَ الْيَوْمَ فِي حَقِّهِ - بِسَمْتِ لَدَى الْعِلْمِ إِسَابَتُهُ » قَالَهُ مَصْرُوحًا

(اتَّخَذُوا) أَي أَهْلَ الْكُتُبِ
 (أَحْبَارَهُمْ) عَلَيْهِمْ
 (وَرُهَبَانَهُمْ) نَسَاكِهِمْ
 (أَرْبَابًا) آلِهَةً (مِنْ دُونِ اللَّهِ) حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحْسَلَّ اللَّهُ كَمَا يَطْعَى الْإِسْرَائِيلِيُّونَ فِي أَوْامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ (وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) عَطَفَ عَلَى أَحْبَارِهِمْ أَيْ اتَّخَذُوهُ رَاحَتًا جَعَلُوهُ ابْنَ اللَّهِ (وَمَا أَسْرَوْا إِلَّا لِيَسْبُدُوا) وَاحِدًا) بِجُوزِ الْوَقْفِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ بِصَلْحِ ابْتِدَاءِ وَصَلْحِ وَصْفًا لِوَاحِدًا (لَوْلَا اللَّهُ الْإِهْوَى) سَجَّانَهُ عَمَا يَشْرَكُونَ (تَنْزِيهِ لَهُ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ) رَدُّنَ أَنْ يَكُونُوا نُورًا لِلَّهِ مَا وَاهِهِمْ

يَكْذِبُونَ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) عَلَيْهِمْ مَعْنَى الْيَهُودِ (وَرُهَبَانَهُمْ) وَاتَّخَذَتْ النَّصَارَى أَحْبَابَ الصَّوَامِعِ (أَرْبَابًا) أَطَاعُوهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) وَاتَّخَذُوا الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ هَا (وَمَا أَسْرَوْا) فِي جَمَلَةِ الْكُتُبِ (إِلَّا لِيَسْبُدُوا) لِيُوحِدُوا (الْهَاءُ وَاحِدًا) لَوْلَا اللَّهُ الْإِهْوَى سَجَّانَهُ تَنْزَهُ نَفْسًا (عَمَا يَشْرَكُونَ) يَرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا نُورًا لِلَّهِ (بِأَفْوَاهِهِمْ) بِتَكْذِيبِهِمْ وَيُقَالُ بِاللُّسْتَهْمِ

﴿ وأبى الله ﴾ أى لا يرضى ﴿ إلا أن يتم نوره ﴾ بأعلاء التوحيد واعزاز الاسلام
وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نيرة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالكذب
بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنقحه وانما
صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النبى ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ محذوف
الجواب لدلالة ما قبله عليه ﴿ هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ﴾ كاليان لقوله وبأبى الله الا ان يتم

وثالثها أن دينه الذى أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والشاء
عليه والالتقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه
فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فن أراد ابطال
ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بزيد الصبر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ﴿ وبأبى الله الا
أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يعنى وبأبى الله الا أن يعل دينه ويظهر كلمته ويتم
الحق الذى بهت به رسوله محمدا صلى الله عا وسلم ولو كره ذلك الكافرون ﴿ تولد عن
وجل هو الذى ارسل رسوله ﴾ يعنى ان الله الذى يأبى الا أن يتم نوره هو الذى ارسل
رسوله من محمدا صلى الله عا به وسلم ﴿ بالهدى ﴾ يعنى بالقرآن الذى أنزله عا به
وجعله هادا اليه ﴿ ودين الحق ﴾ يعنى دين الاسلام ﴿ ليظهره ﴾ يعنى اعليه ﴿ على
الدين كله ﴾ يعنى على سائر الاديان وما ل ابن عباس الهاء فى لتظهره طائفة الى
الرسول صلى الله عا به وسلم والمعنى لتعلم سرائع الدين كلها وتظهره عا بها حتى لا يخفى عا به
شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى اظهر دين الاسلام
على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا هو وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول
عيسى عليه السلام فلما رأى أهل دين الاديان فى الاسلام ويأتى على صحة هذا التأويل
ما روى عن ابن عمر بن مولى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال اله صلى الله عليه وسلم
ويملك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يبعث على وجه الارض بت مدرو ولا ورا الا أدخله الله كلمة الاسلام اما يعز عزير
أو نذك ذليل اما ان يعزه فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرج
البغوى فى سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عا به وسلم يقول لا يذهب
الليل والنهار حتى تبدل اللات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله
تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال
انه سيكون ذلك ما شاء الله سم يبعث الله ريحا طيبة توفي كل من كان فى قلبه مشقة حبة
من خردل من ايمان فيبئى من لا خبر فيه ف يرجعون الى دين آبائهم قال الزهافى وهذا يظهر
ان الله ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان لكل من سمعه انه الحق رسا
خاتم من الاديان بالحل وقال وأمه على الاديان كلها بان لكل من سمعه انه الحق رسا

كره الكافرون) مثل حالهم
فى طلبهم ان يطلوا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يريد
ان ينفخ فى نور عظيم منبث
فى الآفاق يريد الله ان
يزيده وبلغه القاية
القصوى من الاشراق
ليطفه بنقحه أجرى وبأبى
الله مجرى لا يريد الله ولذا
وقع فى مقابلة يريدون والا
لا يقال كرهت أو أيقنت
الازيدا (هو الذى ارسل
رسوله) محمد اعلاه السلام
(بالهدى) بالقرآن (ودين
الحق) الاسلام (اظهره)
لعاهه (على الدين كله)
على أهل الاديان كلهم او
اظهر دين الحق على كل
دين

(وبأبى الله) لا يترك الله (الا أن
تم نوره) الا أن يظهر دينه
الاسلام (ولو كره) وان
كره (الكافرون) ان يكون
ذلك (هو الذى ارسل
رسوله) محمدا عليه السلام
(بالهدى) بالقرآن والايان
(ودين الحق) دين الاسلام
شهادة أن لا اله الا الله
(ليظهره على الدين كله)
ليظهر دين الاسلام على
الاديان كلها من قبل ان
تسوم الداعة

الذهب والفضة يجوز ان يكون اشارة الى الكثرة من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتيهم ذميتين فيهم أخذ الرش وكثرة الاموال والضرب من الاتفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين وبقرون بينهم وبين المرتشزين من أهل الكتاب تليظ وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس يكثروا ان كان باطنا وما يبلغ ان يزك فليزك فهو كثر وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما علم أحد من أعراف عن القنبة لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه (ولو كره) (المشركون) ان يكون ذلك (بأهل الدين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان كثيرا من الاحبار) علماء اليهود (والرهبان) أصحاب الصوامع (ليأكلوا) أموال الناس بالباطل

ثم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركين) غير انه وضع المشركون موضع الخافرون للدلالة على انهم ضمو الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في لظهوره للدين الحق اول الرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين لجنس اى على سائر الاديان فيتضمنها وعلى اهلها فيمخذهم (يا أهل الدين آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل (ياخذونها بالرشا) في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكثرون الذهب والفضة) فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دناوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى كان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان (فقد قدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى) وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفاهم في تخفيف الشرائع والمساهة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتباً يحرقونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وبأخذون بها عن اقبال وهي المسأكل التي كانوا يصيبنها من سفاهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهب عنهم تلك المسأكل وقيل ان التوراة كانت مستقلة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرقون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكثرون الذهب والفضة) أصل الكثرة في اللغة تجمل المال بمضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد به هؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كثرة الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالعمل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت في معاني الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعدهم من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب والمسلمين ووجه هذا الامور ان الله سبحانه وتعالى وصفاً أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعدهم من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس الكنا

أومن المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال سررت بالربنة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلت هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا وماوية في هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثرت على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان عثت تمحيت فكننت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشي لسمت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكثرة قيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بمذاب أليم قال ابن عمر من كثرتها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبدالله بن دينار قال سمعت عبدالله بن عمر وهو يسئل عن الكثرة ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس يكتزون كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكثرة الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فاقوقها كثر وما دونها نفقة وقيل الكثرة كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يابن الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقى من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا أخبرك بخبر ما يكثر المرء المرأة السالمة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة سالحة تمين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال أدبت زكاته فليس يكتز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بفقوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا

ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿٢﴾ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والفضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتنائه بالمرتسبين من اهل الكتاب للتقليظ وبدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز او وعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الاتفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه (٢) فالمراد منه من لم يؤد حقه لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن

كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله قال لا ولا صاحب اهل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفا فها وتمضه بافواها كلبا عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شبا ليس فيها عقصاء ولا جحاء ولا عضاء تنطعده بقر ونها وتطؤه باظلافها كما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كاردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها ردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقضاء هي الشاة المتلوية القرنين وانما استئناها لانها لا تؤلم بنطحها وهكذا الجحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضاء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله ننجماعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزتيه يعنى شذقيه ثم يقوله أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبت الحيات والزبيتان هما الزبدتان في الشدقين والهبز متان عظيمان اثان في اللحين تحت الاذنين ﴿٣﴾ وقوله تعالى ﴿٤﴾ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿٥﴾ يعنى ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانه رد الكفاية الى المال المكتنوز وهي اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال

(ولا ينفقونها في سبيل الله)
الضمير راجع الى المعنى
لان كل واحد منهما دنانير
ودراهم فهو كقوله وان
طائفتان من المؤمنين اقتلوا
أو اريد الكنوز والاموال
أو معناه ولا ينفقونها
والذهب كما أن معنى قوله
﴿٣﴾ فاني وقيار بها لترب
وقيار كذلك وخصا بالذكر
من بين سائر الاموال لانها
قانون التمول وأمان
الاشياء وذكر كثرهما
دليل على ماسواهما
ولا ينفقونها) يعنى الكنوز
(في سبيل الله) في طاعة الله
ويقال ولا يؤدون زكاتها

(٢) فالمراد منها ما لم يؤد حقه
لسخه

ابن هريرة رضي الله تعالى عنه صاحب ذهب ولافضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿ فبشرهم بذاب اليم ﴾ هو الكي بها ﴿ يوم يحس عليها في نار جهنم ﴾ اي يوم توقد النار ذات حى شديد عليها واسله نحس بالنار فجعل الاجاء للنار مبالغة ثم حذفت النار واستند القمل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيان لان المراد بها ذاتاير ودرهم كثيرة كما قال على رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كثر وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عاد وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون القول او للفضة وتخصيصها للقر بها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم ﴿ فكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم ﴾ لان جهمهم واسماكهم اياه كان لطلب الوجاعة بالننى والتتم بالطعام الشهية والملابس البهية اولاهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولاهم اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشغلة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد اولاهم اصول الجهات الاربع التي هي مقادير البدن وماخره وجنباه ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ على ارادة القول

الناس ﴿ فبشرهم بذاب اليم ﴾ يعنى الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن ابي ذر قال انتهت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جاست فلم أقار حتى قت فقات يارسول الله فذاك ابي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ايل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الاجاهت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمته تنطحه بقرونها وتطؤه باغلالها كما نفدت أخرها عادت عليه اولاهم حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخارى في موضعين * وقوله تعالى ﴿ يوم يحس عليها ﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فموقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿ في نار جهنم فكوى بها جباههم ﴾ يعنى بالكسوز جباهه كانزيرها ﴿ وجنوبهم وظهرهم ﴾ قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا آله السائل فطلب منه شيأ تبدو منه آثار الكراهة والمنع فمذ ذلك يقطب وجهه ويكبح وتجتمع أساربر وجهه فتجمد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقل جهة أخرى وهي نهاية في الرد والقابة في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانئ البر والاحسان وعادة البخلاء ولذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ هذا ما كنزتم

(فبشرهم بذاب اليم) ومعنى قوله (يوم يحس عليها في نار جهنم) ان النار تحس عليها أي توقد وانما ذكر القمل لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم نحس النار عليها فلما حذفت النار قيل يحس لانحال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم وياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديرهم وما خبيرهم وجنوبهم (هدا ما كنزتم)

(فبشرهم) يا محمد (بذاب اليم) وجميع (يوم يحس عليها) على الكنوز ويقال على النار (في نار جهنم فكوى بها) فتضرب بالكنوز (جباههم وجنوبهم وظهرهم هذا) يقال لهم عقوبة هذا (ما كنزتم) بما جمعتم من الاموال

هذا ما كثرتموه
لتنفع به نفوسكم وما علمتم
انكم كثرتموه لتستضربه
انفسكم وهو توبخ (فذوقوا
ما كنتم تكذبون) أى
وبال المال الذى كنتم
تكذبونه أو وبال كونكم

كاذبين (ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا)
من غير زيادة والمراد بيان
ان أحكام الشرع تبنى على
الشهور القمرية المحسوبة
بالأهلة دون الشمسية (فى
كتاب الله) نبيأئبته وأوجهه
من حكمه أو فى اللوح (يوم
خلق السموات والارض
منها أربعة حرم) ثلاثة سرد
ذوالقعدة للقعود عن القتال
وذوالحجة للحج والحرم
لتحريم القتال فيه وواحد
فرد وهو رجب لترجييب

(لانفسكم) فى الدنيا
(فذوقوا ما كنتم)
بما كنتم (تكذبون)
تجمعون (ان عدة الشهور
عند الله) يقول السنة
بالشهور عند الله يعنى شهور
السنة التى تؤدى فيها الزكاة
(اثنا عشر شهرا فى كتاب الله)
فى اللوح المحفوظ (يوم)
من يوم (خلق السموات
والارض منها) من الشهور
(أربعة حرم) رجب
وذوالقعدة وذوالحجة

﴿ لانفسكم ﴾ لمنفتها وكان عين مضرتها وسبب تمذيبها ﴿ فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴾
أى وبال كذبكم أو ما تكذبونه وقرئ تكذبون بضم الون ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى
مبلغ عددها ﴿ عند الله ﴾ معمول عدة لأنها مصدر ﴿ اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ﴾
فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله ﴿ يوم خلق السموات
والارض ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتساب ان جعل مصدرا والمعنى ان
هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاحرام والازمنة ﴿ منها أربعة حرم ﴾

لانفسكم ﴿ أى يقال لهم ذلك يوم القيامة ﴾ فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴿ أى
فذوقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنتم حق الله منها (ق) عن الاحنف
بن قيس قال قدمت المدينة فينسا أنا فى حلقة فيها ملاء من قريش اذ جاء رجل خشن
التياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكاذبين برضف يحسى عليه
فى نار جهنم فيوضع على حلقة ندى أحدهم حتى يخرج من نفص كتفيه ويوضع على
نفص كتفيه حتى يخرج من حلقة نديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فأرأيت أحدا
منهم رجع اليه شيأ قال فادبر فابته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء
الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يقلون شيأ هذا لفظ مسلم وقبه زيادة لم أذكرها
وزاد البخارى قات من هذا قالوا أبو ذر قال فتمت اليه فقلت ماشى سمعتك تقول قبيل
فقال ما قلت الاشياء سمعت من نبيهم صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ﴿ هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى
الاولى وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة
وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب
التى بتدبها السلون فى سيامهم ومواقيت جههم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم
وأيام هذه الشهور ثلثائة وخسة وخسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور
الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثائة وخسة وستون يوما وربيع يوم فتقص السنة
الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فىسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فىقع
الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية
من أجل النسئ الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع جههم تارة فى وقته وتارة
فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة
المسلمين التى يتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى
ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا ﴿ فى كتاب الله ﴾ يعنى فى اللوح
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب
الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم
الذى أوجبه وأمر عباده بالآخذ به م يوم خلق السموات والارض ﴿ يعنى أن هذا الحكم
حكمه وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر شهرا ﴿ منها ﴾ يعنى
من الشهور ﴿ أربعة حرم ﴾ وهى رجب فرد وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ثلاثة

واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ بيتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاه انه لا يحمل للناس ان يتزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه

متوالية وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يجزه ولملجاء الاسلام لم يزد لها الاحرمة وتعظيها ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا معنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القوم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جدى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به غير اسمه فقال أليس ذوالحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به غير اسمه قال أليس البلاد الحرام قلنا قال بلى فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به غير اسمه قال أليس يوم الحمر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يساغه أن يكون أو عياله من بعض من سمه ثم قال الأهل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد ﴿ وقوله عرو جل ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أي لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استهلال الحرام والفارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجموا واحلالها حراما ولا جرمها حلالا كفعل أهل الشرك وهو

العرب اياه أي تعظيمه (ذلك الدين القيم) أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب تمسك به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم أو في الأثني عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي

والحرم (ذلك الدين القيم) الحساب القائم لا يزيد ولا ينقص (فلا تظلموا) فلا تضروا (فيهن) في الشهور (أنفسكم) بالمعصية ويقال

(وقاتلوا المشركين كافة) حال
من الفاعل أو المفعول (كما
يقاتلونكم كافة) جميعا
(واعلموا أن الله مع المتقين)
أى ناصر لهم حشم على
التقوى بضمان النصرة
لاهلها (انما النسي*)
بالمهزة مصدر نساء اذا
آخره وهو تأخير حرمة الشهر
الى شهر آخر وذلك انهم
كانوا أصحاب حروب وقارات
فاذا جاء الشهر الحرام
وهم يحاربون شق عليهم ترك
المحاربة فيحلونه ويحرمون
مكانه شهرا آخر حتى
رفضوا تخصيص الاشهر
الحرم بالتحريم فكانوا
يحرمون من بين شهور العام
أربعة أشهر (زيادة في
الكفر) أى هذا الفصل
منهم زيادة في كفرهم

في الاشهر الحرم (وقاتلوا
المشركين كافة) جميعا في الحل
والحرم (كقاتلوا نكم كافة)
جميعا (واعلموا) بامشعر
المؤمنين (أن الله مع المتقين)
الكفر والشرك والفواحش
وقض العهد والقتال
في أشهر الحرم (انما النسي*)
زيادة في الكفر (يقول
تأخير الحرم الى صفر معصية

السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذى القعدة ﴿وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ جميعا وهى مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن
الزيادة وقع موقع الحال ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ بشارة وضمان لهم بالنصرة
بسبب تقواهم ﴿انما النسي﴾ أى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم
شهر حرام وهم يحاربون اهلوه وحرمو مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب المهزة ياء
وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثهما مصدر نساء اذا اخره
﴿زيادة في الكفر﴾ لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضمومه

النسي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق
شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع
الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما تركها في باقى الاوقات
فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى في غيرها
من الاشهر فهذا وجد الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف
والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة﴾ يعنى قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم
على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا
ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متواقفين
في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العطاء في تحريم القتال في الاشهر الحرم
فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى في الاشهر الحرم
وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الجرساني والزهرى وسفيان الثورى
قالوا لان النسي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم
في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلب
بالله عطاء بن ابي رباح ما يحمل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم
وما نسخت الا أن يقاتلوا فيها ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ يعنى بالنصر والمعونة على
على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى ﴿انما النسي﴾ زيادة في الكفر فى النسي في اللغة عبارة
عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور في الآية هو تأخير
شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم
وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش
العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت
حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا بكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال
ففسؤا يعنى أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر
فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى

الى كفرهم ﴿ يضل به الذين كفروا ﴾ من لالا زائما وقرأ حزة والكسائي وحفص يضل
ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بمد شهر حتى استدار التحريم على السنة
كلها وكانوا يجمعون في كل شهر عامين فحسوا في ذي الحجة عامين ثم جوا في المحرم عامين
ثم جوا في صفر عامين وكذا باقى شهور السنة فواقتت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة
الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع
فوافق حجة شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف برفة في اليوم التاسع وخطب
الناس في اليوم العاشر بمعنى وأعلمهم ان أشهر النسي قد تناهت باستدارة الزمان وطاد
الاسم الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى
الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحدت
المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول
من نسا النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسا النسي بنو مالك
بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكنانى وقال الكلبي أول من فعل ذلك
رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس
بالصدر قام فخطب الناس فقول لامرد لما قضيت أما الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له
المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام
حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال
عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل
يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبدالرحمن بن زيد
ابن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم
وفينا ناسي الشهر القلمس

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس
ان أول من سن النسي عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة
وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سيد السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت
عمرو بن لحي يجر قصه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسي الذي ذكره الله في قوله انما
النسي زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بإيقاع
كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت
آخر بسبب ذلك النسي فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك العمل زيادة
في كفرهم ﴿ يضل به الذين كفروا ﴾ قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل
بالنسي الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم
وجلوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله
به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه
يسل به الذين كفروا تاممهم والآخذين بأفئدتهم وهذا الوجه أقوى الوجهين

(يضل) كوفي غير أبي بكر
(به الذين كفروا) بالنسي
والضمير في

زيادة مع الكفر (يضل به)
بطلت بتأخير المحرم الى صفر
(الذين كفروا)

(يمحرمونه تاما ويحرمونه تاما) للنبي اى اذا حلوا شهر من الاشهر لحرام تاما رجوعا الى بيوتهم في العام القابل (ليعتدوا به)
 ما حرم الله) ليوافقوا المدة التى هى الاربعة ولا يخالقوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو احد الواجبين واللام تنطلق
 يمحرونه ويحرمونه أو يحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلسوا ما حرم الله) أى فيحلسوا عواطاة العدة وحدها
 من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص بالاشهر بينهما (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان
 لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿ ١٢١ ﴾ (والله { سورة براءة } لا يهدي القوم الكافرين)

حال اختيارهم الثبات
 على الباطل (يا أيها الذين
 آمنوا ما لكم اذا قيل لكم
 انفروا) اخرجوا (فى سبيل
 الله) اتاقتم (تناقستم وهو
 أصله الا أن التاء أدغمت فى
 التاء فصارت تاء ساكنة
 فدخلت ألف الوصل لثلاث
 يتبدأ بالسكن أى بتباطم
 (الى الارض) ضمن معنى
 الميل والاخلاد فهدى الى
 أى ملت الى الدنيا وشهواتها
 وكرهتم مشاق السفر
 ومتابعه أى ملت الى
 الإقامة بارضتكم ودياركم
 وكان ذلك فى غزوة تبوك
 استنفروا فى وقت عسرة
 وخط وقيظ مع بعد الشقة
 وكثرة العدو فشق عليهم
 ذلك وقيل ما خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فى غزوة الاورى عنها
 بغيرها الا فى غزوة تبوك
 ليستعد الناس تمام العدة

يضل على البناء للمفول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى ﴿ يمحرونه تاما ﴾ يمحرون
 التسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ ويحرمونه تاما ﴾
 فيتركونه على حرمة قبل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم
 على جبل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احدثت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل
 ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال اوحال ﴿ ليواطؤا
 عدة ما حرم الله ﴾ اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بمحرمونه او يعادل
 عليه مجموع الفعلين ﴿ فيحلسوا ما حرم الله ﴾ عواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت
 ﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ وقرئ على البناء للفعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم
 حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ هداية موصلة الى
 الاهتداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اتاقتم ﴾ تباطم
 وقرئ تناقتم على الاصل واتاقتم على الاستفهام للتوبيخ ﴿ الى الارض ﴾ متعلق به
 كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فهدى الى وكان ذلك فى غزوة تبوك امرها
 بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم

تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد ﴿ يمحرونه تاما ويحرمونه تاما ﴾
 يعنى يمحرون ذلك الانساء تاما ويحرمونه تاما والمعنى يمحرون الشهر المحرم تاما فيمحرونه
 حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه تاما فيمحرونه محرما فلا يغيرون فيه ﴿ ليواطؤا ﴾ يعنى
 ليوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ يعنى أنهم ما أحلوا شهر من المحرم الا حرموا شهرا مكانه
 من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل
 أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة فى العدد لافى الحكم
 كذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فيحلسوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس
 زين لهم الشيطان هذا العمل ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعنى أنه سبحانه
 وتعالى لا يرشد من هو كافر أئيم لما سبق له فى الازل انه من أهل النار ﴿ قوله عز وجل
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اتاقتم الى الارض ﴾ نزلت
 هذه الآية فى الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من
 الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة

يمحرونه) يعنى المحرم (تاما)

فيقاتلون فيه (ويحرمونه) يعنى المحرم (قا و خا ١٦ لث) (تاما) فلا يقاتلون فيه فاذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله
 (ليواطؤا) ليوافقوا (عدة ما حرم الله) أربعا بالعدد (فيحلسوا ما حرم الله) يعنى المحرم (زين لهم) حسن لهم (سوء أعمالهم)
 قبح أعمالهم (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك وكان الذى يفعل هذا رجلا يقال له نعيم بن ثعلبة
 (يا أيها الذين آمنوا) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ما لكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا مع نبيكم (فى سبيل الله) فى طاعة الله
 (الى الارض) اشتبهتم الجلوس على الارض

﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا ﴾ وضرورها ﴿ من الآخرة ﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿ فما
متاع الحياة الدنيا ﴾ فما التمتع بها ﴿ في الآخرة ﴾ في جنب الآخرة ﴿ الا قليل ﴾ مستقمر
﴿ الاستفروا ﴾ ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ﴿ يمدبكم عذابا أليما ﴾ بالاهلاك بسبب
فظيح كقسط وظهور عدو ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ اذ لا يقدح تناقلكم في نصرة دينه شيئا

من الحربين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى
بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ففزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد
واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم لذأهبوا أهبة
عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية بأبيها الذين آمنوا
مالكم اذ اقل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أى
اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد
ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير
انما قلتم أى تناقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزوات الارض معنى لزمتم أرضكم
ومساكنكم وانما استنقل ذلك الغزوة لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة
والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار
المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى
بقوله ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ يعنى أرضيتم بحفض العيش وزهرة
الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ﴾ يعنى ان
لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فهذا
السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب
الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر
منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لمعاتهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور
الآية الآتية وهى قوله تعالى ﴿ الاستفروا ﴾ يعنى ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى
ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ﴿ يمدبكم عذابا أليما ﴾ يعنى في الآخرة
لان العذاب الليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا
قال نجدة بن نضيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم
﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ يعنى خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرة أبناء فارس
وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم
واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفره حصلت النصرة بهم
ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم
وحصل العتبى لهم لثلاث توهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته
لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ قيل الضمير راجع الى الله تعالى

(أرضيتم بالحياة الدنيا
من الآخرة) بدل الآخرة
(فمتاع الحياة الدنيا
في الآخرة) في جنب
الآخرة (الا قليل الا
تنفروا) الى الحرب (يمدبكم
عذابا أليما ويستبدل قوما
غيركم ولا تضروه شيئا)
سخط عظيم على المتناقلين
حيث أوعدهم بعذاب أليم
مطلق يتناول عذاب
الدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوما آخرين
خيرا منهم وأطوع وأنه
غنى عنهم في نصرة دينه
لا يقدح تناقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير في ولا تضروه
لرسول عليه السلام لان
الله وعده أن ينصره من
الناس وان ينصره ووعده

(أرضيتم بالحياة الدنيا)
ما في الحياة الدنيا (من الآخرة)
فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة
الاقليل) يسير لا يسير (الا
تنفروا) ان لم تخرجوا مع
نبيكم الى غزوة تبوك
(يمدبكم عذابا أليما) وجمعا
في الدنيا والآخرة (ويستبدل
قوما غيركم) خيرا منكم
وأطوع (ولا تضروه) أى
لا يضر الله جلوسكم (شيئا)

كأن لا محالة (والله على كل شيء قدير) ﴿ ١٢٣ ﴾ من التبديل { سورة براءة } والتعذيب وغيرهما (قدير)

لا انتصروه فقد انتصروه الله
الانتصروه فسينصروه من
نصره حين لم يكن معه الا
رجل واحد فدل بقوله
فقد نصره الله على انه
ينصره في المستقبل كما
نصره في ذلك الوقت (اذ
أخرجهم الذين كفروا)
استناد الاخراج الى الكفار
لانهم حين هموا باخراجه
اذن الله له في الخروج
فكانهم أخرجوه (ثاني
أشئين) أحداشئين كقوله
ثالث ثلاثة وهما رسوالله
وأبو بكر وانتصبا على
الحال (اذ هما) بدل من
اذا أخرجه (في النار)
هو نقب في أعلى ثور وهو
جبل في عنى مكة على مسربة
ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ
يقول) بدل ثان (لصاحبه لا
تحزن ان الله معنا) بالنصرة
والحفظ قيل طلع المشركون

والله على كل شيء من العذاب
والبدل (قدير الانتصروه)
ان لم تنصروا محمدا صلى الله
عليه وسلم بالخروج معه الى
غزوة تبوك (فقد نصره الله
اذا أخرجهم الذين كفروا)
كفار مكة (ثاني أشئين)
يعنى رسول الله وأبو بكر
(اذ هما) رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر رضى الله

فانه التقى عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام
ولا تنصروه فان الله وعدله بالعصمة والنصرة ووعدمحق ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامد كما قال تعالى ﴿ الا تنصروه فقد
نصره الله ﴾ أى ان لم تنصروه فينصره الله كالنصرة الله ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ﴾ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه
مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصره حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن
يخذه في غيره واستناد الاخراج الى الكفرة لانهم باخراجه اوقته تسبب لأذن الله
له بالخروج وقري ﴿ ثاني اثنين بالسكون على انة من يجرى المنقوص مجرى المقصور
في الاصراب ونسبه على الحال ﴾ (اذ هما في النار) بدل من اذا أخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والفارق في أعلى ثور وهو جبل في عنى مكة على مسربة ساعة
مكثافيه ثلاثا ﴿ اذ يقول ﴾ بدل ثان او ظرف لثاني ﴿ لصاحبه ﴾ وهو أبو بكر رضى الله
تعالى عنه ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعا فوق النار

يعنى ولا تنصروا الله شيأ لانه غنى عن العالمين وانما تنصرون أنفسكم بترككم الجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنى ولا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذه
﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصرتبه ويعز
دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة
وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ ﴿ قوله عز وجل
﴿ الا تنصروه فقد نصره الله ﴾ يعنى الانتصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
هذا خطاب لمن تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل
بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أطاؤه أولم يعينوه وانه
قد نصره عند فلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كبرة من العدد
والعدد ﴿ اذا أخرجه الذين كفروا ﴾ يعنى انه تعالى نصره في الوقت الذى أخرجه
فيه كفار مكة من مكة حين مكروبه وأرادوا قتله ﴿ ثاني اثنين ﴾ يعنى هو واحد اثنين
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ﴿ اذ هما في النار ﴾ يعنى اذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في النار والنار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا النار
في جبل ثور وهو قريب من مكة ﴿ اذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ يعنى يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان
يلعوا بمكانهم فخرج من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ﴿ ان الله معنا ﴾
يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية
غير أبى بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله

عنه (في النار اذ يقول) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أبى بكر (لا تحزن) يا أبا بكر (ان الله معنا) معينا

فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك بأثنين الله ثالثهما فأعجابهم الله عن النار فجلسوا يترددون حوله فلم يرووه وقيل لما دخل النار بعث الله جامتين فباغتتا في أسفله والمنكبوت فنسجت عليه

صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا تكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في النار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسيد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان على كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النار فلما اتيا اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكلمته ووجد في جانبه ثقباً فشق ازاره وسدما به وبقي منها ثقبان فالقهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن يتبته رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فذاك أبي وأمي فتغل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتفض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدى الزكاة فقال لو منعموني عقالا لجاهدتم عليه فقلت يا خايفة رسول الله تأمب الناس وارفق بهم فقال لي أجباب في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأناحي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذا ذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهى الى النار قال مالك يا رسول الله حتى استبرئ النار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أكل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

فوق النار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل النار بعث الله جامتين فباغتتا في أسفله والمنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجلسوا يترددون حول النار ولا يفتنون قدام خذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لا تكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخارى

عن عائشة قالت لم أعقل أبوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الضماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبابكر فقال أبو بكر أخرجنى قومي فإريدان أسعج فى الارض فاعبده ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبابكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتمين على نوائب الحق فانك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتمل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم ان أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج أنخرجون رجلا يكسب المدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويمين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفى رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبابكر وقالوا لابن الدغنة سرأ بابكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانما نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابي بكر فابتغى مسجدا بفناء داره وكان يعلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فانزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجربنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد تجاوز ذلك فابتغى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهم أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع الى ذمتى فانى لأحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى رأيت دار هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع طامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصعبه وعلم راحلتين كانتا عنده من ورق السم وهو الحبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنا فى ساعة لم يكن بأتينا فيها فقال أبو بكر فداه له أبى وأمى والله

ما جاء به في هذه الساعة الأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل فاني قد أذنت لي في الخروج قال أبو بكر العصابة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت طائفة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعتا لهما سنرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنا فيه ثلاث ليل بييت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كباث فلا يسمع أمرا يكاد ان به الا واه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحهما عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفضل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وأستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدى هادي خريتا والخريت المساهر بالهداية قد غس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعنا اليه راحتيهما وواعدها غار ثور بمد ثلاث ليل فأتاها صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدليل فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جشم ان أباه أخبره انه سمع سراقه بن مالك بن جشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يحملون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدلج أبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه اني قد رأيت أنفا أودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فمرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضاللتهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قلت فدخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فحبسها على وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحطت بوجه الارض وخفضت طاله حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فمترت بي فرسي فخررت عنها فمتمت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالفاظ ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلقتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فمضت فلم تكده تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عشان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جثمت ووقع في نفسي حين انميت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلته ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ولم يسألاني الا أن قالوا اخف عنا ما استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر طاهر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانتقلوا يوما بعدما أطلوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من أطعمهم لاسر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطلق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان سرابا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمريد ليتخذن مسجدا فقالا بل نبيه لك يا رسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الابن في بنيانه ويقول

هذا الحمال لاجال خير * هذا ابرر بنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * فقتل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

قولها لم أعقل أبوى الا وهما يديتان الدين يعنى أنهما كانا يتقادان الى الطاعة وبرك الغمام بفتح الباء من برك وكسر الفين المججمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قلب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى

المعدوم الذي يتذركسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه وصقه بالاحسان والكرم والكل ما يتقل حله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر الصيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المفارم وقضاء الحقوق لمن يقصده اناك جارأي حالم وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذ النساء عليه يعني يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفاره انقضها واللاية الجبل والحرة الارض التي تلوها ججارة سود يقال افضل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على هيتتك والراحلة البعير القوي على الحبل والسير والظهيره وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه تشديه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحتها فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لثلا يصل الى الارض وقولها ثقف لئن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حادقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج تخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللين والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللين يقال نعق الراعي بالنعق اذا دعا ما يجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد نغس حلقا يقال نغس فلان حلقا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلقهم والاسودة الاشخاص والاكة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجمبة التي تحمل فيها السهام والازلام القدامح التي كانوا يستسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والمشان الغبار يقال مارزأت فلانا شياً أي ما أصبت منه شياً والمراد أنهم لم يأخذوا منه شياً وقوله أوفى أي أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو ثياب بيض والمراد الموضع يوضع فيه التمر كالييدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحبل والمحمول من اللبن أبر عند الله واطهروا بئى ذخرا وأدوم منقمة في الآخرة لاجل خير يمتنى ما يحمل من خير من التمر والزيت والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحبل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجميل ورواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باصتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت يتاوقيل أتت بمامة على قم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يميناً وشمالاً حول الغار يقولون لو دخلنا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرنى • ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا نخش شيئاً فان الله ثالثنا • وقد تكفل لي منه باظهار

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ امته التي تسكن عندها القلوب ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على النبي أو على صاحبه وهو الاظهر لانه كان مترجماً ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه

واتماكيد من تخشى بواذره • كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرابعا صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار
﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ يعني فانزل الله العظيمة والسكون
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه
وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

﴿ فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل ﴾

﴿ سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴾

(فانزل الله سكينته) ما ألقى
في قلبه من الامنة التي
سكن عندها وعلم انهم
لا يصلون اليه (عليه) على
النبي صلى الله عليه وسلم
أو على أبي بكر لانه كان
يخاف وكان عليه
السلام ساكن القلب
(وأيدته بجنود لم تروها) هم
الملائكة صرفوا وجوه
الكفار وأبصارهم عن أن
يروا وأيدته بالملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين

منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر
الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين الخاصين فاختر صحبته
في ذلك المكان الخوف المحمدي بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله
بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل
على شرف أبي بكر وفضله على غيره • ومنها ان الله سبحانه وتعالى طاب أهل الارض بقوله
تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله • ومنها ان
سيدنا أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يتعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا
حضر بل كان ملازمه وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته • ومنها مؤانسته للنبي
صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه وفي هذا دليل على فضله • ومنها ان الله سبحانه
وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان
ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال • ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
دعا الخلق الى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا بوبكر الى الايمان بالله ورسوله
فاستجاب له عثمان وطحمة والزبير فآمنوا على يدي أبي بكر ثم جعلهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم • ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه
في ذلك الموقف • ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه
• ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق • ومنها
ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول
لصاحبه لا تحزن • ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله
وشرفه على غيره • ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بهادليل على فضله والله
أعلم • قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال
الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل أني الرعب في قلوب الكفار
حين رجوا وقال مجاهد والكلأ أمانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره

في القار أو لجنوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعني التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخلص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأه أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضره وقرأه يعقوب كلمة الله بالنسب عطفًا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا تباين لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في امره وتدبيره ﴿انفروا خفافا﴾ لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عند مشقته عليكم أو ثقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا وذلك لما قال ابن مکتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلی ان انفروا قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

وصرف عنه كيد الاعداء وهو في القار في حالة القلة والحوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة ﴿وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ انفروا خفافا وثقالا ﴿يعني انفروا على الصفة التي يحب عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يتقل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة فلماذا اخلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقناة وعكرمة يعني شبايا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني أغنياء وقال ابن زيد الحظيف الذي لاضيعته له والتقليل الذي له الضيعة تكراه أن يدع ضيعته ويروي عن ابن عباس قال خفافا أهل البصرة من المال وثقالا أهل البصرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغبل وغير مشاغبل وقيل أحماء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى العز وساعة سماع الفير وثقالا يعني بعد النزوى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخله تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهماه فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزم والقبر وليس الامر كذلك فمعنى هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون ليكفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على التذب قال مجاهد ان أبأيوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تخاف عن غزوة غزاهها

(وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنسب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أو جهاذ هي لم نزل كانت طالية (والله عزيز) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يدل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عند مشقته عليكم أو خفافا لقله عيالكم ووثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح ووثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبايا وشيوخا أو مهزليل وسمانا أو صحاحا ومراضا

الملائكة (وجعل كلمة) دين (الذين كفروا السفلى) المظوية المذمومة (وكلمة الله هي العليا) الغالبة المدوحة (والله عزيز) بالقمة من اعدائه (حكيم) بالنصرة لا ولياته (انفروا) اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) شبايا وشيوخا ويقال نشاطا وغير نشاط ويقال خفافا من المال والعيال ووثقالا

بهما ان أمكن أو بإحدهما
على حسب الحال والحاجة
(في سبيل الله ذلكم) الجهاد
(خير لكم) من تركه (ان
كنتم تعلمون) كون ذلك
خيرا فبادروا اليه ونزل في
المخلفين عن غزوة تبوك
من المناققين (لو كان
عرضا) هو ما عرض لك من
منافع الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه
البر والفاجر أي لو كان ما
دعوا اليه مغنا (قريبا)
سهل المأخذ (وسفرا
قاصدا) وسطا مقاربا
والقاصد والتقصم المتدل
(لاتبعوك) لوافقوك في
الخروج (ولكن بعدت
عليهم الشقة) المسافة
الشاقة الشاقة (وسيجلفون
بالله لو استطننا

﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما
﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من تركه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخبير علم انه خيرا وان كنتم تعلمون
انه خير اذا أخبر الله به صدق فبادروا اليه ﴿ لو كان عرضا ﴾ أي لو كان ما دعوا اليه
نقدا نيويا ﴿ قريبا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ متوسطا ﴿ لاتبعوك ﴾ لوافقوك
﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ المسافة التي تقطع بعشقة وقرى بكسر الميم والشين
﴿ وسيجلفون بالله ﴾ أي المخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين ﴿ لو استطننا ﴾

السلون بعده قليل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا
ولأجدني الا خفيفا أو ثقيلًا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى
عيني قليل له أنك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكن
الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حص
فلقت شيئا قد سقط حاجباه على عيني من أهل دمشق على راحلته يريد الفزوة فقلت
يا عم أنت مذور عند الله فرجع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفر الله خفافا وثقالا الا انه
من محبه يتليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وان الجهاد من فروض الكفایات ويدل
عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة
في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفایات ليس
على الاعيان والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ﴿ فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات
الجهاد ونفس سليمة قوية سالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن
من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بحاله بان يعطيه
غيره من يصلح للجهاد فيغزو بحاله فيكون مجاهدا بحاله دون نفسه ﴿ ذلكم ﴾ يعني ذلكم
الجهاد ﴿ خير لكم ﴾ يعني من القعود والتناقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم
ثوابه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ﴿ ثم نزل في المناققين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل ﴿ لو كان
عرضا قريبا ﴾ فيه اضمارة تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنمة سهلة قريبة
التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر
يأكل منه البر والفاجر ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ يعني سهلا قريبا ﴿ لاتبعوك ﴾ يعني لخرجوا معك
﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان
سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا
في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا كانوا يستعظمون غزوة الروم
لاجرم اهم تخلفوا لهذا السبب ﴿ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي
عليه السلام من هذا الجهاد يجلفون بالله وهو قوله تعالى ﴿ وسيجلفون بالله ﴾ يعني
المناققين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ﴿ لو استطننا

بالمال والعيال (وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله) في طاعة الله
(ذلكم) الجهاد (خير لكم)
من الجلوس (ان كنتم)
اذ كنتم (تعلمون) وتصدقون
ذلك (لو كان عرضا قريبا)
عنينة قريبة (وسفرا قاصدا)
هنا (لاتبعوك) الى غزوة
تبوك بطيبة الانفس
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) السفر الى الشام
(وسيجلفون بالله) لكم اذا

رجعتم من غزوة تبوك عبد الله بن أبي وجدة بن فيس ومعتب بن مشير و أصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو استطننا)

نخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه ما أخبر بها يتكون بعد القول فقالوا كما أخبر أو بالله متعلق بيهلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي يهلفون بمعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين بقولون بالله لو استظنا نخرجنا معكم أو يهلفون { الجزء العاشر } بالله يقولون ﴿ ١٣٢ ﴾ لو استظنا وقوله نخرجنا سدمسد

يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقري* لو استظنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ﴿ نخرجنا معكم ﴾ سدمسد جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه وهو يهلكون أنفسهم ﴿ بابقاعها في العذاب وهو يدل من يهلفون لان الحلف الكاذب انقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿ والله يعلم انهم لكاذبون ﴾ في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطاء في الاذن فان العفو من روادفه ﴿ لم اذنت لهم ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاينة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واءتوا

نخرجنا معكم ﴿ يعنى الى هذه الغزوة ﴾ ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها ﴿ والله يعلم انهم لكاذبون ﴾ يعنى في ايمانهم وهو قولهم لو استظنا نخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ قوله عز وجل ﴿ عفا الله عنك ﴾ لم اذنت لهم ﴾ قال الطبرى هذا عتاب من الله عز وجل طاب الله به نبي محمد صلى الله عليه وسلم أى في اذنه لمن اذنه في التظلم عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لتزوال الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنتك لهؤلاء المنافقين استأذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنان فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذته القداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

فصل

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وسانه من وجهين ما أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب • الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار • والجواب عن الاول انا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفرك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام واقتضاه تدل على تعظيم المخاطب بد قال على بن الجهم مخاطب المتوكل عفا الله عنك الاحرمة • تعود بفضلك ان أبعدا

ألم تر عبدا عدا طوره • ومولى عفا ورشيدا هدى
ألقى أقالك من لم يزل • يقبل ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه ويانه

جواب القسم ولو جيعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) يدل من يهلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من نخرجنا أى نخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا والقيناها في الهلكة بما نعملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم أنهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بللهم وهلا استأنيت بالاذن

بإزادوا الرحلة (نخرجنا معكم) الى غزوة تبوك

(يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذبة (والله يعلم أنهم لكاذبون) لانهم كانوا يستطيعون الخروج مع (اما) النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم اذنت لهم) للمنافقين بالجلوس

(حق يتبين لك الذين صدقوا وتعلم ﴿ ١٣٣ ﴾ الكاذبين) يتبين لك { سورة براءة } الصادق ﴿ الصادق ﴾

الكاذب فيه وقيل عيثان
فعلهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يؤمرهما
أذنه للمناققين وأخذم الفدية
من الاسارى فعاتبه الله
وفيه دليل جواز الاجتهاد
للائبياء عليهم السلام لانه
عليه السلام اتما فضل ذلك
بالاجتهاد وانما عوتب مع
ان له ذلك لتزكد الافضل
وهم يعاتبون على ترك
الافضل (لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يجاهدوا)
ليس من عادة المؤمنين ان
يستأذنوك في ان يجاهدوا
(باموالهم وانفسهم والله
علم بالمتقين) عدة لهم
باجزل الثواب (انما
يسأذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر) يعنى
المناققين وكانوا تسعة
وننانين رجلا (وارتابت
قلوبهم) شكوا في دينهم

(حق يتبين لك الذين صدقوا)
في ايمانهم بالخروج معك
(وتعلم الكاذبين) في ايمانهم
بالتخلف عن الخروج
بلاذن (لا يستأذنك) بعد
غزوة تبوك (الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر) في السر
والعلانية (أن يجاهدوا)
ار لا يجاهدوا (باموالهم
وانفسهم والله علم بالمتقين)
السكر (وارتابت) سكت (فلوبهم)

بأكاذيب وهلا توفقت ﴿ حق يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾
فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذم للفداء واذنه
للمناققين فعاتبه الله عليهما ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم ﴾ أى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فانه اخلص منهم
بيادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه وان يستأذنوك
في التخلف كراهة ان يجاهدوا ﴿ والله علم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بنوابه
﴿ انما يستأذنك ﴾ في التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص
الايان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضوعين للاشعار بان الباعث على الجهاد
والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾

اما أن يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب
فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول
العفو يستحيل ان يتوجه الانتكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانتكار عليه
فثبت بهذا ان الانتكار يتبع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه
الشفاه في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يهده أهل
العلم معاتبه وغطوا من ذهب الى ذلك قال نبطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا
في أمرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيعلم بنزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله
سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطاع عليه من سرهم انه
لولا يأذن لهم لعدوا وانه لا حرج عليه في اقل وايس عفاها بمعنى غفريل كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدفة الحيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم
ذلك ونحوه للتشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها كرمه وقال مكي هو استفتاح
كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه طافك الله وقيل معناه أدام الله
لك العفو لم أذنت لهم يعنى في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكل لاسيما
وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ﴿ حق يتبين لك الذين
صدقوا ﴾ يعنى في اعتذارهم ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المناققين يومئذ حتى نزلت براءة
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا باموالهم وانفسهم ﴿ أى في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره
﴿ والله علم بالمتقين ﴾ يعنى الذين يتقون مخالفته وسارعون الى طاعته ﴿ انما يستأذنك ﴾
يعنى في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر ﴾ وهم المناققون لقوله عز وارتابت قلوبهم ﴿ يعنى شك قلوبهم في الايمان وانما
أضاف الشك والارتباب الى القاب لانه محل المعرفة والايان أيضا فاذا دخله الشك

الكفر والذرك (انما يستأذنك) بالجاوس عن الخروج (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في السر (وارتابت) سكت (فلوبهم)

فهم في ريبهم يترددون ﴿ أي يصيرون ﴾ ولو أرادوا الخروج لا أعدوا له ﴿ الخروج ﴾ عدة ﴿ أهبة ﴾ وقرئ منه بحذف التاء عند الإضافة كقوله

ان الخليلط اجدوا البين فأنجردوا • واخلفوك عددا لاسم الذي وعدوا

وعده بكسر العين بإضافة وبغيرها ﴿ ولكن كره الله انبئتهم ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تبطوا لأنه تعالى كره انبئتهم أي نهوضهم للخروج ﴿ فنبطهم ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿ وقيل اعدوا مع القاعدين ﴾ تمثيل لاقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالعودة أو حكاية قول بعضهم لبعض أو اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يشمل المذكورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم

كان ذلك نفاقا ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ يعني أن المنافقين متحيرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقبل انهما محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ يعني الى التزوم معكم ﴿ لا أعدوا له عدة ﴾ تهوؤه باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ﴿ ولكن كره الله انبئتهم ﴾ يعني خروجهم الى الغزو معكم ﴿ فنبطهم ﴾ يعني منهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصر فهم عنده وهنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فإلزامه ولكن كره الله انبئتهم فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم يمانب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذندلهم بالعودة والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بئى فلم تائب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكل التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما سمعوا لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالعودة ﴿ وقيل اعدوا مع القاعدين ﴾ معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل المنصب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدين فاغتنوا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان اتى في قلوبهم القعود لما كره انبئتهم مع المسلمين الى الجهاد ﴿ ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى

واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يصيرون لان التردد دينن المتحير كما أن الثبات دينن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لا أعدوا له) للخروج أو الجهاد (عدة) أهبة لاسم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى اتى خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل (ولكن كره الله انبئتهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تبطوا عن الخروج لكراهة انبئتهم (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبئات والشيطان التوقيف عن الامر بالتهديد فيه (وقيل اعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مع القاعدين) مودم لهم فهم في ريبهم (في شكهم) يترددون (يصيرون) (ولو أرادوا الخروج) معك الى غزوة تبوك (لا أعدوا له) للخروج (عدة) قوة من السلاح وال زاد (ولكن كره الله انبئتهم) خروجهم معك الى غزوة تبوك (فنبطهم) فحبسهم عن الخروج

والحاق بالنساء والعيان والذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الاجبال) الافساد
 وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك
 ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه ﴿ ١٣٥ ﴾ في هذا الكلام { سورة براءة } غير مذكور واذا لم يذكر

وقع الاستثناء من الشيء فكان
 استثناء متصلا لان الخبال
 بعضه (ولا اوضوا خلالكم)
 ولسعوا بينكم بالضرب
 والغامق وافساد ذات الين
 يقال وضع البعير وضعا
 اذا اسرع واوضته انا
 والمعنى ولا اوضوا كآبهم
 بينكم والمراد الاسرار بالغامق
 لان الراكب اسرع من الماشي و
 حط في المصعب ولا اوضوا
 بزيادة الالف لان الفصحة
 كانت تكتب الفاء قبل الحظ
 العربي والحظ العربي
 اخترع قريبا من نزول
 القرآن وقد بقي من تلك
 الالف اثر في الطباع فكتبوا
 صورة الهمزة الفاقحها
 الفاخري ونحوه ولا اذبحه
 (يبغونكم) حال من الضمير في
 اوضوا (الفتنة) اي يطلبون
 ان يفتنوك بان يوقوا الخلاف
 فيما بينكم ويفسدوا ايمانكم في
 مفزأكم (وفيكم سماعون لهم)
 اي عامون يسمعون حديثكم
 فيقولونه اليهم (والله عليم
 بالظالمين) بالناققين (لقد
 استغوا الفتنة) بصدالاس
 او بان يفتكوا به عليه السلام
 ليلة العقبة او بالرجوع يوم
 أحد (من قبل) من قبل
 غزوة تبوك

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم ﴾ بخروجهم شيئا ﴿ الاجبال ﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم
 ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أهم العام الذي وقع
 منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعاً وليس كذلك لانه لا يكون مفرداً
 ولا اوضوا خلالكم ولا سراعوا كآبهم بينكم بالتمية والضرب أو الهزيمة والتخذييل
 من وضع البعير وضعا اذا اسرع ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ يريدون ان يفتنوك بايقاع الخلاف فيما
 بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضوا ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾
 ضعفة يسمعون قولهم ويعطيهمهم أو عامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿ والله عليم
 بالظالمين ﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ﴿ لقد استغوا الفتنة ﴾ تشتيت امرك وتفريق
 اصحابك ﴿ من قبل ﴾ يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كاتخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا
 مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ﴾ يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم
 الافساد وشرا وأصل الخبال اضطراب وسرور يؤثر في العقل كالجنون قال بعض
 النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا
 والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الامر وشدة السفر
 وكثرة العدو وقوتهم ﴿ ولا اوضوا خلالكم ﴾ يعني ولا سراعوا فيكم وساروا بينكم
 بالقاء التمية والاحاديث الكاذبة فيكم ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ يعني يطلبون لكم ما تفتنون
 به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهمون
 منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون
 الصيب والشر ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم
 اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام
 المناقين ويعطيهمهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعب القلب
 فيقبلونها منهم * فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع
 للمناققين * قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المناقين ورؤسائهم
 فاذا قالوا قولاً رعباً أثر ذلك القول في قلوب المؤمنين في بعض الاحوال ﴿ والله
 عليم بالظالمين ﴾ وهذا وعيدوهم بيد المناقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين
 ﴿ فوله سبحانه وتعالى ﴾ لقد استغوا الفتنة من قبل ﴿ يعني لقد طابوا صد اصحابك
 يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذييل الناس عنكم قبل هذا اليوم كافعل عبدالله
 ابن ابي بن ساريل يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم

قالوا بهم (او خرجوا فيكم معكم) ما زادوكم الا خبالا) شرا وفسادا (ولا اوضوا خلالكم) لساروا على الابل. و. حلكه (يبغونكم الفتنة)
 يطالبون فيكم الشرا والفساد والدنيا العيب (وفيكم) معكم (سماعون لهم) اجرايس للكفار (والله عليم بالظالمين) بالناققين عبدالله بن
 ابي واصحابه (لقد استغوا الفتنة) بغوائل الغوائل يعني طلبوا لك الشر (من قبل) من قبل غزوة تبوك

(وقلوبك الامور) ودبرواك الحبل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك (حق جاء الحق) وهو بأيدك ونصرك (وظهر امر الله) وقلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول أنذني ولا تقتني) ولا توقني في الفتنة وهي الأثم إن لا تأذني في (الجزء العاشر) ان تخلفت بغير إذناك ﴿ ١٣٦ ﴾ أئمت أو لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت

معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدي بن قيس المنافي قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تقتني بنات الاصفري يعني نساء الروم ولكني أعينك على فاتركني (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان اسباب الاحاطة بهم يوم القيامة او هي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصيبك) في بعض الفزوات (حسنة) ظفرو غنمية (تسؤم) وان تصيبك مصيبة (نكبة) وشدة في بعضها نحو ماجي يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسمون به من الحذر واليقظ والعمل بالحزم (وقلوبك الامور)

أحد ﴿ وقلوبك الامور ﴾ ودبرواك المكائد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك ﴿ حق جاء الحق ﴾ النصر والأيد الالهية ﴿ وظهر امر الله ﴾ وعلا دينه ﴿ وهم كارهون ﴾ أي على رغم منهم والآثان لتسلبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما تبطهم الله لاجله وكره انبئهم له وهناك اسرارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لمساقوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ﴿ ومنهم من يقول أنذني ﴾ في القعود ﴿ ولا تقتني ﴾ ولا توقني في الفتنة أي المصيان والمخالفة بان تأذني وفيه اشعار بان لا محالة تخلف اذن له أو لم يأذن أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذا كفل لهم بمدى أو في الفتنة بنساء الروم الرومي ان جدي بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تقتني بنات الاصفري ولكني اعينك على فاتركني ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لاما احتزوا عنه ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ جامع لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة اسبابها يوم كوجودها ﴿ ان تصيبك ﴾ في بعض غزواتك ﴿ حسنة ﴾ ظفرو غنمية ﴿ تسؤم ﴾ لفرط حسدهم ﴿ وان تصيبك ﴾ في بعضها ﴿ مصيبة ﴾ كسر أو شدة كما صاب يوم أحد ﴿ يقولوا قد أخذنا أمرنا ﴾

﴿ وقلوبك الامور ﴾ يعني وأحاروا فبك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدتهم تشييت أمرك ﴿ حق جاء الحق ﴾ يعني النصر والظفر ﴿ وظهر أمر الله وهم كارهون ﴾ يعني ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومنهم من يقول أنذني ولا تقتني ﴿ نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لماجهز الى غزوة تبوك قال للجدي بن قيس يا أباهوب هل لك في جلا دني الاصفري يعني الروم تخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجدي برسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني اخشى ان رأيت بنات بني الاصفري ان لا اصبر عنهن أنذني في القعود ولا تقتني بن وأعينك على قال ابن عباس اعلم الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا الفساق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل في يومه يعني ومن المنافقين من يقول أنذني في النمام والقعود في المدينة ولا تقتني يعني بنات بني الاصفري وهم الروم ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ يعني أنهم وقعوا في الفتنة العنلية وهي الفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان تصيبك حسنة تسؤم ﴿ يعني ان تصيبك يا محمد حسنة من نصر و غنمية تحزن المنافقين ﴿ وان تصيبك مصيبة ﴾ أي من هز عا ر شدة ﴿ يقولوا ﴾ أي من المنافقين ﴿ قد أخذنا أمرنا ﴾

الفتنة في الشرك والفاق (سقطوا) رة وا (رازي بسنة لمحبة) ستريط (الكافرين) يوم القيامة (يعني) (ان تصيبك حسنة) الفهم والنيسة مثل يوم باد (تسؤم) ساءم ذلك في المنافقين (وان تصيبك مصيبة) القتل والهزيمة مثل يوم أحد (يقولوا) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه (قد أخذنا أمرنا) حذرنا

(من قبل) من قبل ما وقع (وبتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى اهلهم (وهم فرحون) سرورون (قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خيرا وشر (هو مولانا) ﴿ ١٣٧ ﴾ أي الذي بتولانا (سورة براءة) وتولاه (وعلى الله

من قبل) ﴿ تبصوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في الخفاف ﴾ وبتولوا ﴿ عن متحدثهم بذلك ومجتهمهم لها وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ وهم فرحون ﴿ سرورون ﴾ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴿ الا ما اختصنا باياته واجابه من النصرة والشهادة وما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بوجاهتكم ولا بغيرتكم وقرى هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم بصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا ومتولى امرنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا ﴿ الا احدي الحسينين ﴾ الا احدي العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ﴿ ونحن تربص بكم ﴾ أيضا احدي السوايين ﴿ ان يصيبكم الله بمذاب من عنده ﴾ بقارعة من السماء ﴿ أو يابدينا ﴾ أو بمذاب يابدينا وهو القتل على الكفر ﴿ فتربصوا ﴾ ما هو طاقتنا ﴿ انا معكم متربصون ﴾ ما هو طاقتكم

يعنى أخذنا امرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو ﴿ من قبل ﴾ يعنى من قبل هذه المصيبة ﴿ وبتولوا وهم فرحون ﴾ يعنى سرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها ﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف عاها وكان الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا أراد له بقدره ﴿ هو مولانا ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعنى في جميع أمورهم ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المناقنين هل تنتظرون بنا أي المناقنون ﴿ الا احدي الحسينين ﴾ يعنى اما النصرة والغنية واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغاب عدوه فيفوز بالنصر والغنية والاجرا العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهادا في سبيلي وایمانی وتصديقا برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنمة أخرجاه في الصيحين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ونحن تربص بكم ﴿ يعنى ونحن نتظر بكم احدي السوايين ﴿ أن يصيبكم الله بمذاب من عنده ﴾ يعنى فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الحالية ﴿ أو يابدينا ﴾ يعنى أو يصيبكم بأيدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهروا عليكم ﴿ فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه

فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الاحدي الحسينين) وهما النصرة والشهادة (ونحن تربص بكم) احدي السوايين اما ان يصيبكم الله بمذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بمذاب (يابدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا (انا معكم متربصون) ما هو طاقتكم

بالتخاف عنهم (من قبل) من قبل المصيبة (وبتولوا) عن الجهاد (وهم فرحون) مجبون بما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم أحد (قل) يا محمد للمناققين (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قضى الله لنا (هو مولانا) أولى بنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله (قل) يا محمد للمناققين (هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الاحدي الحسينين) الفتح والغنية أو القتل والشهادة (ونحن تربص بكم) أن يصيبكم الله بمذاب من عنده (لهلاككم أو يابدينا) بسيفنا لقتلكم (فتربصوا) (قا و خا ١٨ لث) فانظروا بنا (انا معكم متربصون) منتظرون لهلاككم

(قل أنفقوا) في قوله أي (طوعاً أو كرهاً) طائفتين أو مكرهين نصب على الحسك كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الظير ومثاله (لن يتقبل منكم) أنفقتم طوعاً أو كرهاً ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسئني بنا أو أحسنى لاملومة لدينا ولا مقلبة ان قلت أي لن ينفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا تلومك أسأت اليانا أو أحسنت وقد جاز عكسه { الجزء العاشر } في قولك رحم الله ﴿ ١٣٨ ﴾ زيدا ومعنى عدم القبول انه

﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴾ أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً وفائدته المبالغة في تساوى الاتفاقيين في عدم القبول كأنهم امرؤا بان يمتنعوا فأنفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جدين قيس واعينك على وفي العجل يتقبل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يبايعوا عليه وقوله ﴿ انكم كنتم قوماً فاسقين ﴾ تليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له ﴿ وما منهم ان يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي وما منهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقراءة الكسائي ان يتقبل بالياء لان تأنيث الفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان القمل لله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ متثاقلين ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم لا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون على تركهما عقاباً ﴿ فلا تجيبك اموالهم ولا اولادهم ﴾ فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال

﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً ﴾ نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القموذ عنه وقال انا اعطيتكم مالي فأنزل الله عز وجل رد اعليه قل أي قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعاً أو كرهاً يعني أنفقوا طائفتين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالاتفاق بالزام الله ورسوله أي اتم بالاتفاق ﴿ لن يتقبل منكم ﴾ لان هذا الاتفاق انما وقع لعير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لعير وحده الله بل أنفقه رياء وسمة فانه لا يقبل منه ﴿ ثم علل بسبب منع القبول بقوله ﴿ انكم ﴾ أي لانكم ﴿ كنتم قوماً فاسقين ﴾ والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما منهم ان يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً فلذلك ذمهم مع فعلها ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم كانوا ينتقدون الاتفاق في سبيل الله مفرماً ومنع ذلك الاتفاق معاً ﴿ فلا تجيبك ﴾ يا محمد ﴿ اموالهم ولا اولادهم ﴾ هذا الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمنى فلا تجبوا بأموال المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الاقتضاب مع الاعتقاد انه ليس لعيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فيتبني للانسان أن لا يجيب بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثرماله وولده فيكثر اعجابه بئله وولده فيبسط ويكفر

عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعاً أي من غير الزام من الله ورسوله وكرهاً أي ملزمين وسمى الاتزام اكراها لانهم متناقضون فكان الزامهم الاتفاق شاقاً عليهم كالكراه (انكم) تليل لرد انفاقهم (كنتم قوماً فاسقين) متمردين ماتبين (وما منهم ان يتقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حزة وعلى (الا انهم كفروا) انهم فاعل منع وهم وان يتقبل مفعولاه أي وما منهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعاً وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختار (فلا تجيبك اموالهم ولا اولادهم

(قل) يا محمد للمنافقين (انفقوا) اموالكم (طوعاً) من قبل أنفسكم (أو كرهاً) جبراً مخالفة القتل (لن يتقبل منكم) ذلك (انكم كنتم قوماً فاسقين) منافقين (وما منهم ان يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) في السر (ولا يأتون الصلوة) الى الصلاة (الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون) شيئاً في سبيل الله (الا وهم كارهون) ذلك (فلا تجيبك) يا محمد (اموالهم) كثرة اموالهم (ولا اولادهم) كثرة

انما يريد الله ليغذيهم بها في الحياة الدنيا (الاعجاب بالشيء ان تسره سرور راض به متعجب من نفسه والمعنى فلا تسره سرور راض به متعجب من نفسه) فيا وبالاتفاق من في أبواب

انخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسي أولادهم أو يجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والظوف عليها وكل هذا عذاب (وتزحق أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالأصل لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جلة المسلمين (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيظاهرون بالاسلام تقية (لويجدون مجاً) مكانا للجنون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو

﴿انما يريد الله ليغذيهم بها في الحياة الدنيا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وتزحق انفسهم﴾ وهم كافرون ﴿فيموتوا كافرين﴾ مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم﴾ انهم لمن جلة المسلمين ﴿وما هم منكم﴾ لكفر قلوبهم ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون منكم ان تقبلوا بهم ما تقبلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿لويجدون مجاً﴾ حصنا يلبأون اليه ﴿أو مغارات﴾ غيرانا

نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿انما يريد الله ليغذيهم بها في الحياة الدنيا﴾ فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيها اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وتنادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليغذيهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها فاذا حصل اذداد التعب وتحمل المشاق في حفظها ويزداد الحزن والنغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لاجابة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فاقاعدة تخصيص المناقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد بان المناقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يناب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلا يمكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدّة والنغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم همما في الدنيا أخذ الزكاة منهم او العفة في سبيل الله غير مباحين على ذلك وربما قتل الولد في النزو فلا يناب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكراهة في اتفائه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يهزله ﴿وتزحق أنفسهم﴾ يعني وتخرج أنفسهم ﴿وهم كافرون﴾ والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ ويحلفون بالله ﴿يعني المناقين﴾ انهم لمنكم ﴿يعني على دينكم وملتكم﴾ وما هم منكم ﴿يعني انهم كاذبون في ايمانهم﴾ ولكنهم قوم يفرقون ﴿يعني انهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق﴾ لويجدون مجاً ﴿يعني حرزا وحصنا ومقلا يلبأون اليه وقيل لوجودوا مهرا بهربوا اليه وقيل لويجدون قوما يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفسار قوكم﴾ أو مغارات ﴿يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان﴾

اولادهم (انما يريد الله ليغذيهم بها) في الآخرة (وتزحق أنفسهم) تخرج أنفسهم (في الحياة الدنيا) وهم كافرون (مقدم ومؤخر) ويحلفون بالله (عبدالله بن أبي وأصحابه) انهم لمنكم (معكم في السر والعلانية) وما هم منكم (معكم في السر والعلانية) ولكنهم قوم يفرقون (يخافون من سيوفكم) لويجدون مجاً (حرزا للجنون اليه) أو مغارات

﴿ أو مدخلا ﴾ تفقا ينجسرون فيه مقتصل من الدخول • وقرأ يعقوب مدخلا من دخل • وقرئ مدخلا أى مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومدخلا ومدخلا من تدخل واندخل ﴿ لو اوا اليه ﴾ لا قبلوا نحوه ﴿ وهم يجمعون ﴾ يسرعون اسراعا لا يردهم شئ • كالفرس الجوح وقرئ يجمزون ومنها الجازة ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ يبيك وقرأ يعقوب يلزك بضم وابن كثير يلازمك ﴿ في الصدقات ﴾ في قسمتها ﴿ فان اعطوا منهارضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ قيل الهانزلت في ابي الجوانل المناقق قال لا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رفاة النعم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال وبلك

أى يستر ﴿ أو مدخلا ﴾ يعنى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لو اوا اليه ﴾ والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهى شر الامكة وأضيقتها لو اوا اليه أى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه ﴿ وهم يجمعون ﴾ يعنى وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المناققين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم • قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم من يلزك فى الصدقات ﴾ نزلت فى ذى الخويصرة التميمي واسمه حر قوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فيا أناه ذوا الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذا لم اعدل وفى رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذنى فى فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لا يحاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المناققين يقال له أبو الجوانل لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلا من أهل البادية حدث عهدا صراية أنى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فاعدت فقال نى الله صلى الله عليه وسلم وبلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المناققون والله ما يطمئنا محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يسواه فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ ومنهم من يلزك فى الصدقات يعنى ومن المناققين من يبيك فى قسم الصدقات وفى تقريبها ويطمن عليك فى أمرها يقال همزه ولززه بمعنى واحد أى طاب ﴿ فان اعطوا منها ﴾ يعنى من الصدقات ﴿ رضوا ﴾ يعنى رضوا عنك فى قسمتها ﴿ وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ يعنى وان لم تعطهم منها طابوا عليك وسخطوا

غيرانا (أو مدخلا) أو تفقا يندسون فيه وهو مقتل من الدخول (لوا اليه) لا قبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجوح (ومنهم من يلزك) ومن المناققين (من يلزك فى الصدقات) يبيك فى قسمة الصدقات ويطمن عليك (فان اعطوا منهارضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) اذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لالدين وما فيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم

فى الجبل (أو مدخلا) سربا فى الارض (لوا اليه) لدهبوا اليه (وهم يجمعون) يهرولون هرولة والجوح مشى بين مشيين (ومنهم) من المناققين أبو الاحوص وأصحابه (من يلزك فى الصدقات) يطمئن عليك فى قسمة الصدقات يقولون لم يقسم بنتنا بالسوية (فان اعطوا منها) من الصدقات حظوا وافر (رضوا) بالقسمة

(ولو)

(وان لم يعطوا منها) من الصدقات حظوا وافر (اذا هم يسخطون)

أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيؤتينا الله من فضله
ورسوله انا الى الله راغبون)
جواب لو محذوف تقديره
ولو أنهم رضوا لكان خيرا
لهم والمعنى ولو أنهم رضوا
ما أصابهم به الرسول من
النعمة وطابت به نفوسهم
وان قل نصيبهم وقالوا كفانا
فضل الله وصنعه وحسبنا ما
قسم لنا سيرتنا غنيمه
أخرى فيؤتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكثر
مما آتانا اليوم انا الى الله في
أن يغننا ويخولنا فضله
لراغبون ثم بين مواضعها
التي توضع فيها فقال (انما
الصدقات للفقراء والمساكين)
قصر جنس الصدقات على

بالقسمة (ولو أنهم)
المنافقين (رضوا ما آتاهم الله)
بما أعطاهم الله من فضله
(ورسوله وقالوا حسبنا الله)
ثقتنا بالله (سيؤتينا الله من
فضله) سيغنيننا الله من فضله
برزقه (ورسوله)
بالمعطية (انا الى الله راغبون)
رغبنا الى الله لوقالوا هكذا
لكان خيرا لهم ثم بين لمن
الصدقات فقال (انما
الصدقات للفقراء) لا أصحاب
الصفة (والمساكين)
للطوائف

ان لم يعدل فمن يعدل واذا المفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله ﴾ ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمه والصدقه وذكر الله للتعظيم والتثنيه
على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ كفانا فضله
﴿ سيؤتينا الله من فضله ﴾ صدقة أو غنيمه اخرى ﴿ ورسوله ﴾ فيؤتينا اكثر مما آتانا
﴿ انا الى الله راغبون ﴾ في ان يغنيننا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة
والسلام فقال ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون
غيرهم وهو دليل على ان المراد بالملزمهم في قسم الزكوات دون الضمانم والفقير من لا مال له
﴿ ولو أنهم رضوا ﴾ يعني ولو ان المنافقين الذين طابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
﴿ ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله ﴾ أي كافينا الله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾
يعني ما محتاج اليه ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا
عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم
وأعود عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴿ الآية ﴾ اعلم
ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاوه في قسم الصدقات بين الله
عز وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم
ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شياً فلم يلزونه
ويسبون عليه فلامطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات ﴿ عن زياد بن الحرث الصدائي
قال آيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايته قاتاه رجل فقال أعطني من الصدقة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى
حكم فيها ونجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء ما أعطيتك حقا أخرجاه أبو داود
فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ﴿

في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك
من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق
القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله
عز وجل فاقنضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد
عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة
المال تؤجبه قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه
وتعالى الزكاة ليقبل ذلك المال الذي هو سبب لتساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب
الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدينة غير شاقة على العبد واخراج المال
مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب
الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبةها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن

ولا كسب يقع موقفاً من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأنه الجزأ سكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين

المال مال الله والأغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فأمر الله سبحانه وتعالى بخزانه الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله إلى عياله فيصيب العبد المؤمن المطيع المسارع إلى امتثال الأمر المشفق على عياله ويماقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ أمره بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملاً موفراً طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أمره به أحد المتصدقين والوجه الخامس أن الفقراء بما تعلقت قلوبهم بالأموال التي بأيدي الأغنياء فوجب الله عز وجل نصيباً للفقراء في ذلك المال تطيباً لقلوبهم والوجه السادس أن المال الفاضل عن حاجة الإنسان الأصلية إذا أمسك به مطلقاً عن المقصود الذي لأجله خلق المال فأمر برفع الزكاة إلى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلاً بالكلية

المسئلة الثانية

الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الأهولاء الأصناف الثمانية وذلك يجمع عليه لأن كلتيهما قيدان الحصر وذلك لأنها مركبة من أن وما فكلية أن للأبواب وكلمة ما للنفى فبند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على أن الصدقات لا تصرف إلا إلى الأصناف الثمانية

المسئلة الثالثة

في بيان الأصناف الثمانية فالصنف الأول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والقررة إلى القررة ولكن الفقير من أتى نفسه وثيابه ولا يقدر على شيء بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقفاً زماناً كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقفاً لكفائته سائلاً كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالاً من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه أن الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات إلى هؤلاء الأصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلاً لمصطنعهم فبدأ بالفقراء وإنما يبدأ بالأهم فالأهم فلولم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لم يبدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

للأرى لبد النور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الأعزل

قال ابن الأعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار ثبت بهذا أن الفقير إنما سمي فقيراً لزمانته وحاجته الشديدة ومنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى

الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تجاوز إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وإن تصرف إلى بعضها كما هو مذموبناوعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزاءك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من

وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالنكس لقوله تعالى او مسكينا
 في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين أسوأ
 حالاً من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة ثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً
 من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
 فأبى لهم ملكهم اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي ذنائب كثيرة ولان الغنى
 والفقير ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما ثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين
 وجملة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكينا ذامترية
 وصف المسكين بكونه ذامترية هو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة
 ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلولم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما
 جعلها له واحتج أيضا بقول الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوته * وفق العيال فلم يترك له سب

واحتج أيضا بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين
 الذي لا شيء له وكذا قال القسبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل
 الفقير الذي له السكن والخدم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء فهو مفقر
 اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فأبى لهم اسم الفقر
 مع وجودان المال والجواب عن هذه الحجة أما قوله أو مسكينا ذامترية فهو حجة لمذهب الامام
 الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامترية فدل على أنه
 قديوم مسكين لا بهذه الصفة والالم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات
 للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال
 ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازا لاطلاق المسكين عليه
 فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن
 عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف
 الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعف نفسه وسكت
 عن الحركة في طاب القوت عن عبدالله بن عمر وبن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا تحمل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في
 رواية أخرى ولا لذي مرة سوى عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال أخبرني رجلان
 أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات
 فسألاه من هاهنا فرفع فإنا النظر وخفضه فرآنا جليدين فقال ان شئتما اعطينكما ولا حظ
 فيها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي
 ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان
 شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى
 الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله
 سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال

صرفها الى الاصناف وهو
 المروي عن عكرمة ثم الفقير
 الذي لا يسأل لان عنده
 ما يكفيه للحال والمسكين
 الذي يسأل لانه لا يجد شيأ
 فهو أضعف حالاً منه وعند
 الشافعي رحمه الله على
 العكس

ذاترية ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين في تحصيلها وجعلها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيسأل قلوبهم وأشرف قديرتهم بأعمالهم وسراعاتهم اسلام نظر الله عليهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس كذلك وقيل اشرف استألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة

قوم من ملك حسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يرضيه جاءه يوم القيامة مستلته في وجهه خوش أو خدوش أو كدوش قيل يا رسول الله وما يرضيه قال خشون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأجد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من حسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد أخلف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهما ﴿ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى ﴿ والعاملين عابها ﴾ وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمرو به قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي ﴿ الصنف الرابع قوله تعالى ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات بتألفهم بذلك كما أعطى عينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أشغال هؤلاء من خمس خمس الغنمية والتي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بأزاء قوم كفار في موضع لا يتألفهم جيوش المسلمين الا بكافة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بأزائهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة

(والعاملين عليها)
هم السعاة الذين يقبضونها
(والمؤلفة قلوبهم) على
الاسلام أشرف من العرب
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتألفهم على ان
يسلموا وقوم منهم أسلموا
فيعطهم تقيرا لهم على

(والعاملين عليها) لجابي
الصدقات (والمؤلفة
قلوبهم) بالطية أبي سفيان
وأصحابه نحو خمسة عشر

والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد قد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار وماني الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله واكثر اهله سقط ﴿ وفي الرقاب ﴾ وللصرف في فك الرقاب بان يماون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يتاع الرقاب فتتق وبه قال مالك وواحد اوبان يهدى الاسارى والمدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل

قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من ماني الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء ابا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه اوب بكر منها ثلاثين بغيرا واما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم اويرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره اويرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام ااما اليوم فقد اعز الله الاسلام ولما الحمد على ذلك واغناه عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشركا تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم ورأوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال اجد يطمون ان احتاج المسلمون الى ذلك ﴿ الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وفي الرقاب ﴾ قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدعيه ايضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم والقول الثاني وهو مذهب مالك واهل حنابلة واسحق بن عمار قال في الرقاب موضوع لعق الرقاب فيشترى به عبده وبنته ويبدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة والقول الثالث وهو قول ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويومان بهما يتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعض والقول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبده ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويبدل عليه انه سبحانه وتعالى ايت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فالابدان الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا واما الرقاب فموضوع فيهم في تحلبس رقابهم من الرقبة لا بدعهم ولا يمكنون من التصرف فيها وكذا القران في الغار من

الاسلام (وفي الرقاب) هم
المكاتبون يمانون منها
رجلا (وفي الرقاب)
المكاتبين

للأيدان بانهم أحق بها ﴿ والتارمين ﴾ المديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير اسراف اذالم يكن لهم وفاة أو اصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى الا نجسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أو لعامل عليها ﴿ وفي سبيل الله ﴾ وللصانع ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر المنقطع عن ماله

فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرّف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في النزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه ﴿ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى ﴿ والتارمين ﴾ أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرماً لكونه شاقاً على الانسان والمراد بالتارمين هنا المديونون وهم قسيمان قسم اذ انوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذالم يكن لهم مال في ديونهم فان كان عندهم وفاة فلا يعطون وقسم اذ انوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا نجسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عابها أو لغارم أو لرجل أسير ائانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أخرجه أبو داود مرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم منصلاً بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئاً ﴿ الصنف السابع قوله عز وجل ﴿ وفي سبيل الله ﴾ وفي الفقه في سبيل الله وأراد به الغزاة فلم يسم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزاة ما يستعينون به على أمر الجهاد من النقطة والكسوة والسلاح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لأنهم من حدث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرّف سهم سبيل الله الى الحج بروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه ﴿ الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى ﴿ وابن السبيل ﴾ يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل للازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني ولبدا * الى ان شئت واكتملت لداتي

(والتارمين) الذين أو الحجاج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في الاربعة الاخيرة للأيذان بانهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم من سبق ذكره لان في الوفاء فبه على أنهم احق بان توضع قيمهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والتارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المناقنين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً لا طمعاً منها واشعاراً بانهم يمداء عنها وعن مصارفها فالحق وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لغنى خاص يرتفع ويبنى بذهاب ذلك المغنى

(والتارمين) لاصحاب الديون في طاعة الله

﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في الفقراء «وقرى» بالرفع على تلك فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم وصراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف

فكل صريد سفر مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السليل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السليل هو الحاج المنقطع ﴿ قوله عز وجل ﴿ فريضة من الله ﴾ يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم ﴾ يعني بمصالح عباده ﴿ حكيم ﴾ يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل

﴿ المسئلة الرابعة ﴾

في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي فاليجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلف ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلوفاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا يخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبد قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز ان يضمها في صنف واحد وتقريقها أولى وقال إبراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمة على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتعمى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الحاجة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم النفي فلا يعطى بعده شيئا وان كان محترفا لكنه لا يجحد أنه

(فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) في القسمة

(فريضة) قسمة (من الله) لهؤلاء (والله عليم) بهؤلاء (حكيم) فيما حكم لهؤلاء

واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شفي ووالدي رحمهما
الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا يجاب قسمها عليهم هو ومنهم
الذي يؤذون النبي ويقولون هو اذن ﴿ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة السماع كما سمي الجاسوس حينئذ ذلك أو اشتق له فعل
من اذن اذا نال استمع كأنه وشلل روى انهم قالوا الحمد اذن سامعة تقول ما شئت ان تأتيه فيصدقنا

حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فلا اعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه
ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحد بن حنبل لا يبسط الفقير أكثر من خمسين درهما
وقال أبو حنيفة أكره ان يبسط رجل واحد من الزكاة مائة درهم فان أعطيته أجزاء
فان أعطى من بطنه فقير اربان انه غني فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز ان يعطى صدقة لمن
تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يبسط والداوان علا
ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم
بنو هاشم وبني المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم ان آل بيت
لا تحمل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة نحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دينا نقوله
صلى الله عليه وسلم ان ابو بنو المطلب شيء واحد لم يقارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم
الصدقة على مولى بنى هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال
مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في
بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لملق قاب قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال لقوله صلى الله
عليه وسلم لما ذوا علمهم ان الله سبحانه وتعالى اقتضى عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد
على فقراءهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداءه
الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة
جئت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ﴾ نزلت في جماعة من المناققين كانوا يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانما تخاف
أن ييلنه ما تقولون فقعنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المناققين بل نقول ما شئنا ثم
نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فاما محمد اذن أى يسمع كل ما يقال له وقبله
وقيل معنى هو اذن أى ذوا اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المناققين
يقال له نبتل بن الحرث وكان أزنم نأثر الشعر أجز المين أسفع الحدين مشوه
الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان
فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المناققين
فقل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ما شئنا
ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المناققين بقولهم هو اذن
انه ليس بسب غور بل هو سامع سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى

(ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن) الاذن
الرجل الذي يصدق كل
ما يسمع ويقبل قول كل
أحد سمي بالجارحة التي
هي آلة السماع كأن جلته
اذن سامعة وايدأؤهم له
هو قولهم فيه هو اذن قصدوا
به المذمة وأنه من أهل
سلامة القلوب والغيرة
ففسره الله تعالى بما هو
مدح له وثناء عليه فقال

(ومنهم) من المناققين جذام
ابن خالد وياس بن قيس
وسماك بن يزيد وعبيد بن
مالك (الذين يؤذون
النبي) بالطعن والشتم
(ويقولون) بعضهم لبعض
(هو اذن) يسمع منا ويصدقنا
اذا قلنا له ما قلنا فيك شيأ

(قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجود والصلاح كأنه قيل لهم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ثم فسر كونها أذن خيرا به (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين انخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالياء الى الله لانه قصد به ﴿ ١٤٩ ﴾ التصديق بالله الذي { سورة براءة } هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد

السمع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينهى عن الباء (ورجة) بالمطف على أذن ورجة حزة عطف على خيرا أي هو أذن خيرا وأذن رجة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أي وهو رجة للذين آمنوا منكم أي أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يقبل المشركين أو هو رجة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ويرضوا عنهم فقيل لهم

بما نقول ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿ يؤمن بالله ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام حزبة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ﴿ ورجة ﴾ أي وهو رجة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيد تشبه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقابكم وترجع عليكم وقرأ حزة ورجة بالجر عطف على خيره وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خيرا أي بأذن لكم رجة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيما وقرئ اذن خير على ان خير صفة لها وخبرئان ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ بإيذانه ﴿ يحلفون بالله لكم ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿ ليرضوكم ﴾

عنه بقوله ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساده وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالياء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو تقيض الكفر فلا يتعدى الا بالياء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أؤمن لك وقوله آمنت له ﴿ ورجة ﴾ أي هو رجة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فيبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رجة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجة لانه يجرى أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴿ قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجللاس بن سويد ووديمة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الخير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه طامر بن قيس فحرقوه وقالوا هذه المقالة فنضب الغلام من قولهم وقال والله

أو تخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيمتدرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخطاب ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم

(قل لهم يا محمد) اذن خير لكم (لا الشراي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب ويقال اذن خير ان كان اذا فهو خير لكم (يؤمن بالله) يصدق قول الله (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قول المؤمنين (ورجة) من العذاب (للذين آمنوا منكم) في السرو الملائية (والذين يؤذون رسول الله) بالتخلف عنه في غزوة تبوك جللاس بن سويد وسمك بن عمرو وخنس ابن خبير وأصحابهم (لهم عذاب أليم) وجميع في الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) بالتخلف

الجزء العاشر { يرضوه ان كانوا } ١٥٠ ﴿ مؤمنين ﴾ أى ان كنتم مؤمنين

لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ﴿ والله ورسوله أحق ان يرضوه ﴾ أحق بالارضاة باذنه والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاة من أولان الكلام فى ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضاة أولان التحدير والله أحق ان يرضوه والرسول كذلك ﴿ ان كانوا مؤمنين صدقا ﴾ ألم يعلموا الله ﴿ ان الشأن ﴾ وقرئ بالتاء ﴿ من يحاد الله ورسوله ﴾ يشاقق الله. نداء من الحد ﴿ فان له نار جهنم خالدا فيها ﴾ على حذف الخبر أى فسحق ان له أو على تكرير ان لتأ ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوف تقديره من يحاد الله ورسوله يهلك وقرئ ﴿ فان له بالكسر ﴾ ذلك الخزي العظيم ﴿ يعنى الاهلاك الدائم ﴾ يحذر المنافقون ان تنزل عليهم ﴿ على المؤمنين ﴾ سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ﴿ وتمتكت عليهم

ان ما يقول محذوق وأنتم شر من الخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلقوا ان عامرا كذاب وحاف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فحمل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعنى فيما يلتمسكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ورسوله أحق ان يرضوه ﴾ اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان فى رضائه رضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد برضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل مضاه والله أحق ان يرضوه وكذلك رسوله ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ يعنى ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعده الله ووعيده فى الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ألم يعلموا ﴿ قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه مخاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعنى من شرائع الدين التي علمهم رسولنا ﴿ أنه من يحاد الله ورسوله ﴾ يعنى أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة فى اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار فى غير حده وخالفه فى أمره وقيل معنى محاد الله ورسوله أى يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله ﴿ فان له نار جهنم ﴾ أى فحق أن له نار جهنم ﴿ خالدا فيها ﴾ يعنى على الدوام ﴿ ذلك الخزي العظيم ﴾ يعنى ذلك الخلود فى نار جهنم هو القضيحة العظيمة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يحذر المنافقون ﴿ يعنى يخشى المنافقون ﴿ ان تنزل عليهم سورة ﴾ يعنى على المؤمنين ﴿ تنبئهم ﴾ يعنى تخبر المؤمنين ﴿ بما فى قلوبهم ﴾ يعنى بما فى قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن فى شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى القاضحة والمبغضة والمبغضة يعنى أنها فضحت المنافقين وبسرت عن أخبارهم وأثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم وأسمائهم آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين

(والله ورسوله أحق أن ترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين) ﴿ والله ورسوله أحق ان يرضوه ﴾ أحق بالارضاة باذنه والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاة من أولان الكلام فى ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضاة أولان التحدير والله أحق ان يرضوه والرسول كذلك ﴿ ان كانوا مؤمنين صدقا ﴾ ألم يعلموا الله ﴿ ان الشأن ﴾ وقرئ بالتاء ﴿ من يحاد الله ورسوله ﴾ يشاقق الله. نداء من الحد ﴿ فان له نار جهنم خالدا فيها ﴾ على حذف الخبر أى فسحق ان له أو على تكرير ان لتأ ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوف تقديره من يحاد الله ورسوله يهلك وقرئ ﴿ فان له بالكسر ﴾ ذلك الخزي العظيم ﴿ يعنى الاهلاك الدائم ﴾ يحذر المنافقون ان تنزل عليهم ﴿ على المؤمنين ﴾ سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ﴿ وتمتكت عليهم

عن الغزو (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) لو كانوا مصدقين فى ايمانهم (ألم يعلموا) يعنى جالسا وأصحابه (أنه من يحاد الله) يخالف الله (ورسوله) فى السر (فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) العذاب الشديد (يحذر المنافقون)

عبدالله بن أبي واصحابه (ان تنزل عليهم) على نبيهم (سورة تنبئهم) تخبرهم (بما فى قلوبهم) من النفاق (لئلا)

الاولان للمؤمنين والثالث
للمنافقين وصح ذلك لان
المعنى يقود اليه (قل
استهزؤا) أمر تهديد (ان
الله يخرج ما تحذرون)
مظهر ما كنتم تحذرونه
أى تحذرون اظهاره من
نفاقكم وكانوا يحذرون أن
يفضحهم الله بالوحى فيهم
وفى استهزأهم بالاسلام
وأهله حتى قال بعضهم
وددت انى قدمت فجذلت
مائة وانه لا ينزل فيناشئ
يفضحنا (ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب) بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في
غزوة تبوك وركب من
المنافقين يسرون بين يديه
فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد أن يفتح قصور الشام
وحصونها هيهاهات هيات
فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فانهم
فقال قلم كذا وكذا فقالوا
يا نبي الله لا والله ما كنا في شئ
من أسرك ولا من أسرا أصحابك
ولكن كنا في شئ مما نخوض

استهزؤا ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه
مقروه ومخبر به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت
في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا
يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ﴿ قل استهزؤا ان الله يخرج ﴾ مبرز أو مظهر
﴿ ما تحذرون ﴾ أى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم
﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روى ان ركب المنافقين سرى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح

لثلاثا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا ﴾ أمر تهديد فهو
كقوله اعلموا ما كنتم ﴿ ان الله يخرج ﴾ أى مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ والمعنى ان الله
سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال
ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين ووقفوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليقفوا به اذا علاها وتكروا له في
ليلة مظلمة فاجبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا له وأمره أن يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضرها حذيفة
حتى نجاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم
أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم
كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر
باصحابه أقبل يقتلهم بل بكفيهاهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار
أرأيت تتألمك رأيا رأجموه فان الرأى يخطى ويصيب أم عهدا عهدا اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شئاً لم يمهده
الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى أمتى قال شعبة وأحسبه
قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أمتى اثني عشر منافقا
لا يدخلون الجنة ولا يخرجون ربحها حتى يبلغ الجبل فى سم الحياض ثمانيا منهم تكفيهم
الدبيلة جراح من النار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم قوله سبحانه وتعالى
﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية وسبب نزولها على ما قال
زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما لقرأنا رغبنا بطلونا
وأكذبنا السنة واجبتنا عند اللقاء فقال لعوف بن مالك كذبت ولكك منافق ولا خبرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر فوجد
القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه معنى الى المنافق متعلقا بحقب
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لله وآبائه ورسوله كنتم تستهزؤن ما زنده قال محمد بن

من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ولئن سألتهم) يا محمد ما ذا ضحكتم (ليقولن انما كنا نخوض) تحدث عن الركب (ونلعب)

قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فآخبر الله تعالى بنبيه فدعاهم فقال قلمم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر ﴿ قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ توبخنا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزما للصحة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب ﴿ لا تعتذروا ﴾ لا تستغلوا باعتذاركم فلما مطوعة الكذب ﴿ قد كفرتم ﴾ قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والطمع فيه ﴿ بعد إيمانكم ﴾ بعد إظهاركم الإيمان

فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلمم ذلك فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجهلوا كأنهم معتزفون باستهزائهم وإنه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به على حرف التثنية وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تستغلوا باعتذاركم الكاذبة فلما لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد إيمانكم) نضحك فيما بيننا (قل) يا محمد لهم (أبا لله وآياته) القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) بقولكم (قد كفرتم بعد إيمانكم)

اصح الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديسة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلمم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما يسمون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزآن بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يظلب الروم ويقبح مدائهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه انزل في أصحابنا قرآنا هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلمم كذا وكذا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يقصه الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلوث وأذى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ﴿ أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ فيه توبخ وتقرير للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف بقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يصينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وإنما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء ﴿ قوله مزرل ﴾ ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالبلل الاعتذار بمروءات الموجود من قلب المعتذر اليه وقيل معنى انه نذر قطع اللاتمة عن الجاني قد كفرتم بعد إيمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلماذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿ بعد إيمانكم ﴾ معناه أظهرتم الكفر بما آمنتم به من الإيمان بذلك ان المنافقين كانوا يكفرون الكفر وظهرت إيمانهم فلما قالوا ذلك الاستهزاء منهم وموكة قيل لهم

بمد اظهاركم الايمان (ان نمف عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بمد النفاق (نمذب طائفة بانهم كانوا مجرمين)
 مصرين على النفاق غير تأيين منه ان نمف ﴿ ١٥٣ ﴾ نمذب طائفة غير { سورة براءة } عاصم (المنافقون والمنافقات)

الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة
 والنساء المنافقات مائة
 وسبعين (بعضهم من
 بعض) أى كانوا نفس
 واحدة وفدنى ان يكونوا
 من المؤمنين وتكذيبهم فى
 قولهم ويخلفون بالله اللهم
 انكم وتقرر لقوله وما هم
 منكم ثم وصفهم بما يدل على
 مضادة حالهم لحال المؤمنين
 فقال (يا مسرون بالانكر)
 بالانكر والحصيان (وينون
 عن المعروف) عن الطاعة
 والايمان (ويقبضون
 أيهم) شحاً بالمبار والصدقات
 والانفاق فى سبيل الله
 (نسوا الله) تركوا امره
 أو اغفلوا ذكره (فنسيهم)
 فتركهم من رحته وفضله

مع ايمانكم (ان نمف
 عن طائفة منكم) جهنم بن
 جهنم لانه لم يستهزى معهم
 ولكن ضحك معهم (نمذب
 طائفة) ودبعة بن جذام
 وجد بن قيس (بانهم كانوا
 مجرمين) مشركين فى السر
 (المنافقون) من الرجال
 (والمنافقات) من النساء
 (بعضهم من بعض) على
 دين بعض فى السر (يا مسرون
 بالانكر) بالانكر ومخالفة

﴿ ان نمف عن طائفة منكم ﴾ لتوبتهم واخلاصهم أو لتجنبتهم عن الايذاء والاستهزاء ﴿ نمذب ﴾
 طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴿ مصرين على النفاق ﴾ أو مقدمين على الايذاء والاستهزاء ﴿ وقرأ ﴾
 عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان نمف بالياء والبناء على المفعول
 ذهاباً الى المعنى كأنه قال ان ترجم طائفة ﴿ المنافقون والمنافقات ﴾ بعضهم من بعض ﴿ أى ﴾ متشابهة
 فى النفاق والبعد عن الايمان كأى بعض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم انكم
 وتقرر لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
 وهو قوله ﴿ يا مسرون بالانكر ﴾ بالانكر والمعاصى ﴿ وينون عن المعروف ﴾
 عن الايمان والطاعة ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ عن المبار ويقبض اليد كتابة عن الشح
 ﴿ نسوا الله ﴾ اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿ فنسيهم ﴾ فتركهم من فضله ولطفه

قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين
 ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان نمف عن طائفة منكم نمذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴿
 ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع
 لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذى عفى
 عنه رجل واحد وهو مخاشن بن جبر الاشجى يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض
 وقيل انه كان يمشى بجانبه وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية
 تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لأزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشر
 منها الجلود وتجيب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا
 كفت أنا دفنت فاصيب يوم الائمة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه ﴿ قوله عز وجل
 ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ يعنى انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون
 على النفاق والاعمال الحبيثة كما يقول الانسان انيره انامك وأنت منى أى أمرنا
 واحد لا مباينة فيه ﴿ يا مسرون بالانكر ﴾ يعنى بأمر بعضهم بعضاً بالشرك والمعصية
 وتكذب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وينون عن المعروف ﴾ يعنى عن الايمان
 والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ يعنى عن الانفاق
 فى سبيل الله تعالى وفى كل خير ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ هذا الكلام لا يمكن اجراءه على
 ظاهره لانا لو جئنا على النسيان الحقيق لم نستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس فى وسع البشر
 دفعه أيضاً فان النسيان فى حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول
 معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان يصيرهم بمنزلة المنى من
 ثوابه ورحته فخرج على من اوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثاها الوجه
 الثانى ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة
 والاحسان فجعل النسيان عارة عن ترك الذكر لان من ترك شئ لم يذكره وقيل لما تركوا اطاعة الله

الاول (وينون عن المعروف) (ف و خا ٢٠ لث) عن الايمان وموافقة الرسول (ويقبضون) مسكون
 (أيديهم) عن الفقة فى الخير (نسوا الله) تركوا اطاعة الله فى السر (فنسيهم) خذلهم فى الدنيا وتركهم فى الآخرة فى النار

(ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في القسوة الذي هو التمرد في الكفر والاسلخ عن كل خير وكفى المسير زاجرا
أن يلم بما يكسبه هذا الاسم { الجزء العاشر } الاحش الذي ١٥٤ وصف به المنافقون حين ماتوا - هم

من ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعبد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظام عذابها واعلمهم الله ابدتهم من رحمة واهانتهم
ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب الفراق
كالدن من قبلكم أي اتم مثل الذين اوتوا من ال من قبلكم نوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا وارادا بان تشبههم بهم وتمثل حالهم بحالهم فاستمتعون
بخلافهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الحلق بمعنى التدرج فانه ما تدرجوا فيه
من فاستمتع بخلافكم

والايان به تركهم من نوفيته وهدايته في الدنيا ومن رحمة في العقب هو ان المنافقين هم
الفاسقون يعني هم الخارجون عن الطاعة هو وعبد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
يقتال وعده بالخير وعدا ووعد بالشر وعدا قالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم
خالدين فيها فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقربين فيها هي حسبهم
يعني هي كافبتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة واعلمهم الله
يعني وابدتهم من رحمتهم وطردهم عن بابها ولهم عذاب مقيم أي دائم لا يقطع فان
فات قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فاعناه قات ليس ذلك تكرارا
وبيان الفرق من وجهين الاول اذ معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى العلي
بالارء ولقائل اريقول هذا الاول مشكلا لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم
وذلك يمنع من ضم نفي آخر الى عذاب النار واوجب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم
في الاطلاق ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهر وروبوته وكون
ذلك زيادة في عذابها الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المجلد لهم في الدنيا او ما يقاسونه
من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من الفراق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم
قوله سبحانه وتعالى كالدن من قبلكم أي هذا رجوع عن النية الى خطاب
الحضور والكاف في الذين للتشبيه والمعنى فعلمت كفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين
بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وبمنزلة الاسرى
عن فعل الخير والماء وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن الله واتاع أمر
لاحل طاب الدن من ماء من الكفار ثم وصف الكفار بانهم انوا أشد من هؤلاء المنافقين
توة وأكرا وأوالا راولا فاقبال تعالى كذرا أشد مرة في دني باسار ونة
كذرا أكرا والأوالا راولا داعية تمون بخلافة في نية وابيهم من الدنانا باع السوات
وصراها مؤذنان الآخرة والحلاق الاصدي رسوما خائف الله للاسان وعذر له من نير
كالدن من قبلكم أي هذا رجوع عن النية الى خطاب الحاضر من دني فالتأني

(وعبد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها)
مقدرين الخلود فيها (هي)
أي النار (حسبهم) فيه دلالة
على عظام عذابها وأنه بحيث
لا يزداد عليه (ولعنهم الله)
وأهانهم مع التعذيب وجعلهم
مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين (ولهم عذاب
مقيم) دائم معهم في العاجل
لا ينفك عن عذبه وهو
ما يقاسونه من تعب الفراق
والظاهر المخالف للباطن
خوفا من المسلمين وما
يخذرونه أبدا من القسوة
ونزول العذاب ان اطاع
على أسرارهم الكاف في
(كالدن من قبلكم كانوا
أشد منكم قوة وأكرا
أموالا وأولادا فاستمتعوا
بخلافهم فاستمتعتم بحالكم

(ان المنافقين هم الفاسقون)
الكافرون في السر (وعبد الله
المنافقين) من الرجال
(والمنافقات) من النساء
(والكفار نار جهنم خالدين
فيها) مقربين في النار (هي
حسبهم) مصدرهم
(ولعنهم الله) لعنهم الله
(ولهم عذاب مقيم) دائم
(وأكرا وأوالا راولا داعية تمون

(ان المنافقين هم الفاسقون)
الكافرون في السر (وعبد الله
المنافقين) من الرجال
(والمنافقات) من النساء
(والكفار نار جهنم خالدين
فيها) مقربين في النار (هي
حسبهم) مصدرهم
(ولعنهم الله) لعنهم الله
(ولهم عذاب مقيم) دائم
(وأكرا وأوالا راولا داعية تمون

بخلافهم فاستمتعتم بحالكم
بخلافهم فاستمتعتم بحالكم
بخلافهم فاستمتعتم بحالكم
بخلافهم فاستمتعتم بحالكم

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) مماها رفع أي أتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أتم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أي ناذروا بلاذ الدنيا والحلاق النصيب مشتق من انطلق وهو التقدير أي باخلق الانسان بمعنى قدر من خبر ﴿ ١٥٥ ﴾ (وخضتم) في الباطل { سورة براءة } (كالذي خاضوا) كالقوج

الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل والهوى وانما فهم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معني عنده ليدم الاولين بالاستمتاع بماوتوا من حظوظ الدنيا والتأثم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطاب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بمحالمهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في مقابلة قوله وآبناهم اجره في الدنيا رانه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم تأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وعود قوم ابراهيم)

كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم ﴿ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتأثم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الدنيوية الحقيقية تمهيدا لدم المخاطبين بمشاجبتهم واقتفاء أثرهم ﴿ وخضتم ﴿ ودخلتم في الباطل ﴿ كالذي خاضوا ﴿ كالذين خاضوا أو كالقوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿ لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴿ الذين خسروا في الدنيا والآخرة ﴿ ألم تأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ﴿ اغرقوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح ﴿ وعود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم ابراهيم ﴿ اهلكتموهم ببعوض واهلك اصحابه

والخاسرون بخلاقكم ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم ﴿ فان فات ما الفاتحة في ذكر الاستمتاع بالحلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا قلت فأنته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بمحالمهم من تدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على فتح ظلمة قوله أنت مثل فرعون كان يقتل فيفرح ويقرب من غير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل الكافر هتالا أكيد وتقبیح فعالمهم وفعل من شابههم في فعلهم ﴿ وقوله تعالى ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴿ معطوف على ما قبله ومستند اليه يعنى وسلكتم في فعلكم مثل ما ساكروا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رساله والاستهزاء بالمؤمنين ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴿ يعنى عطت أعمالهم ﴿ في الدنيا والآخرة ﴿ يعنى ان أعمالهم لانفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يأمرون عابها ﴿ رأيتهم اناسرون ﴿ والمعنى اهلكوا كالكفار الماضين وخسروا بسبل أعمالكم ابراهيمون وخسرون ﴿ ق ﴿ عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لتبين ان الذين من قبلكم شربوا بشرا وذا ما بذراع حتى لو دخلوا جحر متعب لا يبعثونهم فلما ارسل الله اليهم رسولا ارسلنا من قبلك اولا في قوله عز وجل ﴿ ألم تأتهم ﴿ رجع الى الخطاب الى القبيذ يعنى ألم تأت دعوات الماديين والكفار رسلا منهم يعنى انهم كانوا دائما مخرين كما يعنى خبر ر الدين من قبلهم يعنى الامم الماضية الذين خسروا باسم كتب اهلكناهم حين خالفوا أسوأ وعسوا رسالنا ثم قال حال من قوم ﴿ يعنى أنهم اهلكوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح العقيم ﴿ وعود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ قوم ابراهيم ﴿ اهلكوا بسباب السمكة وكان هلاكهم وبعوض

في الدنيا (كما استمتع) كما كل (الذين من قبلكم) من المنافقين (بخلافهم) بنصبيهم من الآخرة في الدنيا (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) وكذبتهم محمد صلى الله عليه

ولم اسر كما الذين خاضوا وكذبوا ابتداء يعنى انيا لله (أولئك حبطت أعمالهم) بلط حسناتهم (في الدنيا والآخرة) وأولئك هم الخاسرون (الذين خسروا بالآخرة) (ألم تأتهم نبأ) خبر (الدين من قبلكم) كيف اهلكناهم (قوم نوح) اهلكناهم بالترق (وعاد) قوم هود اهلكناهم بالريح (وعود) قوم صالح اهلكناهم بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلكناهم بالهمد

وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وأشفا كهن انقلاب أحوالهن
الخير إلى الشر (أنتم) { الجزء العاشر } رسلهم بالبينات ﴿ ١٥٦ ﴾ ﴿ فكان الله ليظلمهم ﴾ فاسمع

﴿ وأصحاب مدين ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾
قريات قوم لوط أنشفت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا
سجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وأشفا كهن انقلاب احوالهن من الخير
إلى الشر ﴿ أنتم رسلهم ﴾ يعنى الكل ﴿ بالبينات ﴾ فكان الله ليظلمهم ﴿ أى لم يكن من عادته
ما يشابه ظم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ في مقابلة
قوله المنافقون والمناققات بعضهم من بعض ﴿ يأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصاوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ في سائر الامور

﴿ وأصحاب مدين ﴾ وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ يعنى المنقلبات
التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف
الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب
فكانوا يبرون عليهم ويعرفون أخبارهم ﴿ أنتم رسلهم بالبينات ﴾ يعنى بالمجرات
الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها
المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم النعمة كما عجبت لهم
﴿ فكان الله ليظلمهم ﴾ يعنى يتجمل العقوبة لهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعنى
ان الذى استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض ﴿ لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر
بمدى ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين واعمالهم
الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعنى المولاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والصرة
فان قال أند سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين
بعضهم أولياء بعض فالله نداء في ذلك فقات لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد
التبوين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض
ولما كانت الموافقة الحاسلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة
وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة
﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ يأسرون بالمعروف ﴿ يعنى بالايان بالله ورسوله واتباع
أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ يعنى عن
الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون
وضده ﴿ ويقيمون الصلوة ﴾ يعنى الصلاة المفروضة ويمون أركانها وحدودها ﴿ ويؤتون
الزكاة ﴾ يعنى الواجبة عليهم وهو في مقابلة وتقيضون أيديهم ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾

أن يظلمهم باهلاكم
لان حكمهم فلا يماقهم بغير
جرم (ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) بالكفر
وتكذيب الرسل (والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض) في التناصر والترحم
(يأسرون بالمعروف)
بالطاعة والايان (وينهون
عن المنكر) عن الشرك
والعصيان (ويقيمون
الصاوة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله

(وأصحاب مدين) قوم
شعيب أهلكناهم بالرجفة
(والمؤتفكات) المكذبات
المنصقات يعنى قوم لوط
أهلكناهم بالخشف والحجارة
(أنتم رسلهم بالبينات)
بالاصروالنهى والعلامات
فلم يؤمنوا بهم فاهلكهم الله
(فكان الله ليظلمهم)
بإهلاكهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) بالكفر
وتكذيب الانبياء
(والمؤمنون) المصدقون
من الرجال (والمؤمنات)
المصدقات من النساء
(بعضهم أولياء بعض)
على دين بعض في السر
والعلانية (يأسرون
بالمعروف) بالتوحيد

واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وهو عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (يعنى)
(ويقيمون الصلوة) يمتون الصلوات الخمس (ويؤتون الزكاة) يعطون زكاة اموالهم (ويطيعون الله ورسوله) في السر والعلانية

الوعد في سائتم منك يومنا
(ان الله عزيز) غالب على
كل شيء قادر عليه فهو يقدر
على الثواب والعقاب (حكيم)
واضع كلامه منعه (وعد)
الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومسكن
طيبة) يطب فيها العيش
وعن الحسن رجه الله
قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاجر والزبرجد) في
جنات عدن) هو علم يدل
قوله جنات عدن التي
وعد الرحمن وقد عرفت
ان الذي اتى وضالوصف
المعارف بالجل وهي مدينة

(أولئك سيرجهم الله)
لا يذبهم الله (ان الله عزيز)
في ملكه وسلطانه (حكيم)
في أمره وقضائه (وعد الله
المؤمنين) المصدقين
من الرجال (والمؤمنات)
المصدقات من النساء
(جنات) بساتين (تجري
من تحتها) من تحت شجرها
ومساكنها (الانهار)
أنهار الخمر والماء والعسل
واللبن (خالدين فيها)
مقيمين في الجنة (ومساكن
طيبة) منازل حسنة قد طيبها
الله بالمسك والريحان ويقال

﴿ أولئك سيرجهم الله ﴾ لا محالة فان السين مؤكدة للتوقع ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب على كل
شيء لا يمتنع عليه ما يريد ﴿ حكيم ﴾ يضع الاشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومسكن طيبة ﴾ تستطيع النفس أو يطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاجر ﴿ في جنات
عدن ﴾ اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك ومرجع العطف فيما يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع

يعنى فيما يأمرهم به وهو في مقابلة لسوا الله فتسبهم ﴿ أولئك ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات
الموصوفين بهذه الصفات ﴿ سيرجهم الله ﴾ لما ذكر الله ما وعده المنافقين من العذاب
في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين والمؤمنات من الرجعة والرضوان وما أعد لهم في الجنان
والسين في قوله سيرجهم الله للمبالغة والتوكيد ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ وهذا يوجب
المبالغة في الترضيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء اراده فهو قادر على
ايصال الرجعة لمن اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه
العدل والانصاف ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ﴾ لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم
من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعده المؤمنين من الخير والثواب
والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتخير في حسنها الناظر لانه
سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمطوف يجب أن يكون متغيرا للمطوف
عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات
عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخر هي البساتين التي يتزهدون فيها فهذه
فائدة المغايرة بين المطوف والمطوف عليه والفرق بينهما ﴿ ومساكن طيبة ﴾ يعنى
ومنازل يسكنونها طيبة ﴿ في جنات عدن ﴾ يعنى في بساتين خلدوا واقامة يقال عدن بالمكان
اذا قام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك
القصر سبعون دارا من ياقوتة حراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخور العين
وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون
وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صححت هذه الرواية
فلا بد من تأويلها بقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن

بجيلة ويقال طاهرة ويقال عامرة (في جنات عدن) درجة العلبا

على سبيل التوزيع أو الى تنابير وصفه وكأنه وصفه أو لإبائه من جنس ما هو أبهى
 إلا ما كان التي يرفونها لتميل اليه طباعهم أول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب
 العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن في منها أما كمن الدنيا وفيها ما تشتم
 الانفس وتلد الاعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار العليين لا يمتد بهم فيها
 فناء ولا تنفير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ لأنه المبدأ
 لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز بإلقاه وعند عليه الصلاة والسلام
 ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطينا
 ما لم نعط احدا من خلقك فقول انا اعطيتكم افضل من ذلك فيقولون وأي شيء افضل من
 ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا تسخط عليكم ابدا ﴿ ذلك كما أي الرضوان أو جمع
 ما تقدم ﴾ هو الفوز العظيم ﴿ الذي يستحقه دونه الدنيا وما فيها ﴾ يأبىها التي حاهد
 الكفار ﴿ بالسيف ﴾ والمنافقين ﴿ بالزمام الحجة واقامة الحدود

في الجنة (ورضوان من
 الله) وشي من رضوان الله
 (أكبر) من ذلك كله لان
 رضاه سبب كل فوز وسعادة
 (ذلك) اشارة الى ما وعدار
 الى الرضوان (هو الفوز
 العظيم) وحده دون ما يمدحه
 الناس فوزا (بأبى الذي
 جاهد الكفار) بالسيف
 (والمنافقين) بالحجة
 (ورضوان من الله أكبر)
 رضا ربهم أعظم مما هو فيه
 (ذلك) الذي ذكرت
 (هو الفوز العظيم) الحجة
 الواقعة (بأبى الذي حاهد
 الكفار) بالسيف
 (والمنافقين) بالاسل

دار أصفى الله التي أعد لها أوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباد ﴿ عن أبي موسى الأشعري
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
 آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة
 عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبدالله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها
 وقال عبدالله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له
 خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر
 في الجنة خيامه على حاتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم
 والجنان حولها محديقة بها وهي مظلة من حين خلقها الله حتى نزهاها أهائها وهم الانبياء
 والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها سور الدر والذنوب والانس
 فنهج ريح طيبة من تحت العرش فتدخل ما هم كسبل المسك الاسنى قال الامام ترمذ
 الذي الرازي حاصل هذا الكلام ان في - بات عدن قولين أحدهما آدم ثم الموضع بين
 والحارة والآخر والآخر والآخر وهو هذا القول ولصاحب الكشاف ومن علمها الى
 قوله بنات عدن التي وعد الرحمن عباده والسور التي أتت من الجنة للجنة قال الازهي
 المدن مأخوذة من ذلك عدن بالمكان اذا أقام بها مدن - دونها من الاسما في قالوا المدن
 ساء - ات - - روله سما وتعالى ررضوان من اء - ابر - بنى رمدرا آء
 الى بنائه ام اك ركل ما سم ذكره بن نعم الجبار ذلك عن امر الله ام اء
 م تقوم ذكر من سيم الجب والرء وان ران) من أي سمية الذي ر - اء
 ر - قول الله اتم عليه وسيا ل - الله نار لدر اء تنول لاهل الجب بأهل الجنة ان
 لك بنا و ما تك والمبرك في نديك - اء راء - اء راء - واور وما بال لا راء
 ودا - اء راء اء احدان - امك رسول اء - ام اء ل من ذلك دوران واء
 أه ل ساء ذلك في قول أحبا امكم رضوانى فلا تسخطوا منه - امكم أبدا ﴿ راء ساء
 راء ال راء بأبى الذي حاهد الكفار ﴿ بالسيف والحجارة والذنان والمنافقين

(يعني)

(واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهو هذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالجهاد الجليل
سنة الفظة ما أمكن منها (وأوامهم جهنم وبئس المصير) أقيم رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن وسب المنافقين المتخلفين فيهم من مائة منهم الجلاد بن سويد فقال الجلاد والله لئن كان ما يقول محمد
حقا لأخواننا الذين خلقناهم وهم ﴿ ١٥٩ ﴾ ساداتنا فيمن { سورة براءة } شر من الحجر فقال عامر بن

قيس الانصاري للجلاد
أجل والله ان محمدا صادق
وأنت شر من الحجر ويأخ
ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستحضر فحلف
بالله ما قال فرفع طامريده
فقال اللهم انزل على عبدا
ونبك تسديق العساق
وذكذب الكاذب فنزل
(يحافون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر) يعني
ان كان ما يقول محمد حقا فممن
سر من الحجر أو هي
استنزاؤهم فقال الجلاد
بارس رسول الله والله لقد صدق
وصدق عامر فتاب الجلاد
وحسنت توبته (وكفروا
بهداسلامهم) وأظهروا
كفرهم بسد اظهارهم

(واغلظ) اشد (عاهم)
على كذا المرقيين بالتر
والفعل (وأوامهم جهنم)
مصيرهم جهنم (وبئس
المصير) صاروا اليه
(يحافون بالله ما قالوا)
حلف بالله جلاد بن سويد
ما قال الذي قال على عامر
ابن قيس (ولقد قالوا كذا

﴿ واعانده عاسيم ﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿ وأوامهم جهنم ﴾ وبئس المصير ﴿ مصيرهم ﴾
﴿ يحافون بالله ما قالوا ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن وبه سب المتخلفين فقال الجلاد بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن
شر من الحجر فيبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت كتاب
الجلاد وحسنت توبته ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بهداسلامهم ﴾ وأظهروا الكفر

يعني وجاهد المنافقين واختلوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق
هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم يجز مجاهدته بالسيف
والله ان لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك
أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبأسنه ان لم يستطع فبقابه فان لم يستطع فليكنه
في وجهه وقال الحسن وقتادة بأقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول
فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمافق فلا يكون له ذاتها بالفاق
وانما دل الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود تنقام
عليهم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المفاقون قال الطبري وأولى الاموال
فول ابن مسعود لان الجهاد مباركة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب
جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كفة ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت
الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسبب ومع المنافقين باظهار الحجبة
عليهم تارة ويترك الرفق بهم تارة وبالانتهاز تارة وهذا هو قول ابن مسعود ﴿ واعانده
عاسيم ﴾ يعني سد عنهم الجهاد والارهاب ﴿ وأوامهم جهنم ﴾ وبئس المصير ﴿ يعني
ارجعهم ملكهم ﴾ وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف تراء النبي صلى الله عليه وسلم
المنافقين بين أظهر أسحا مع علمهم ومحالهم مقاتلنا أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم ببال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فلما من ذلك انكار
في السر ماذا الماع عا ذكره ورسع عن وقال اني مسلم فانه يحكم بأساه في الماهر في
حقن دمه والله وولده وانك مصعدا غير ذلك في الباطل لانه سبحانه وتعالى أس
باجراء الاحكام على الطواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المسفين على
ظواهرهم وركل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازم
في الآخرة المستحقون ﴿ قوله عز وجل ﴿ يحافون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكروا بهداسلامهم ﴾ اختام المفسرون فمن نزات هذه الآية ان قالوا قوله

الكفر (كلمة الكفر) له حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وما بين ذلك والله ان كان محمد صادقا فما
نزل انما انزل الله من السماء من اجاب النبي صلى الله عليه وآله من امر بن قيس من قوله فحلف بالله ما قاله
قالوا كلمة الكفر (وكفروا بهداسلامهم)

بمداظهار الإسلام ﴿ وهووا عالم ينالوا ﴾ من قتل الرسول وهووا بنحسة عشر منهم

الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس
ان كان ما جاء به محمدا حقا لنحن شر من جرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله
ياعدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وسخفت ان ينزل في القرآن أو
ان تصيبني قارعة أو ان أخط بخطيئة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا عفاة ان أخط بخطيئة أو تصيبني
قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فخلف ما قال
فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل جرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم
بين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل أزرق فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بصحابة فحلفوا بالله
ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم اتهم جميعا
الى آخر الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهنة والآخر من
عقار وكانت جهنة حلفاء الانصار فظهر النفازي على الجهني فقال عبدالله بن أبي
ان سلول للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمعك كذبك
يا كلك وقال ثن رجعا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل فسمى بهما رجل من المسلمين
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه
روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بقبو فذكر المناققين وسماهم رجسا
وطاهم فقال الجلاس لئن كان محمدا صادقا لنحن شر من الخير فلما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب
يا رسول الله على قاصرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس
عند المنبر بمداالصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر
فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال
اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى باع فان يتوبوا يا خيرا
لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس
فيما قاله لقد قتته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه
فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا واتعد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بمداالسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بمداالسلامهم وتلك الكلمة هي
سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمدا صادقا لنحن
شر من الخير وقيل هي كلمة عبدالله بن أبي بن سلول لئن رجعا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الا ذل وسأني القصة في موضعها في سورة المناققين ان شاء الله تعالى قوله
سبحانه وتعالى ﴿ وهووا عالم ينالوا ﴾ قال مجاهدهم الجلاس بقتل النبي سمع مقالة خشية

الإسلام وفيه دلالة على
ان الايعان والإسلام واحد
لانه قال وكفروا بمداالسلامهم
(وهووا عالم ينالوا) من قتل
محمد عليه الصلاة والسلام أو قتل
حاصر لرده على الجلاس
وقيل أرادوا أن يتوجوا
ابن أبي وان لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهووا عالم ينالوا أرادوا
قتل الرسول واخراج الرسول
ولم يقدروا على ذلك

لواقفوا عند سرجه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادي اذا لاسم العقبة بالليل فاخذ
 عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فيبينهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
 اخفاف الابل وقمعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهبوا واخرجاه واخراج المؤمنين
 من المدينة اويان يتوجوا عبدالله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 ﴿ وما تقموا ﴾ وما اتكروا وما وجدوا ما يورث تقمتم ﴿ الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله ﴾
 فان اكثر اهل المدينة كانوا محايج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم اتروا بالنائم وقتل للجلاس مولى قاصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته
 اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المقاميل أو الملل ﴿ فان يتوبوا يك
 خيرا لهم ﴾ هو الذي جل الجلاس على التوبة والضمير في بك للتوب ﴿ وان يتولوا ﴾
 بالاصرار على النفاق ﴿ يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة ﴾ بالقتل والنار ﴿ وما لهم
 في الارض من ولى ولا نصير ﴾ فينجيهم من العذاب

ان يفشيا عايه وقيل هم عبدالله بن ابي بن ساول وكان همه قوله لئن رجعتا الى المدينة
 فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا
 على النقرة وقت رجوعه من تبوك ليقاوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان
 يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون
 اذا رجعتا الى المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن ابي بن سلول تاجا فلما وصلوا اليه ﴿ وما
 تقموا الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله ﴾ يعني وما اتكروا على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم شيئا الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عاوا بضد الواجب فحملوا
 موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان تقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشرا
 وبطرا وقال ابن قتيبة سناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر
 ما نقم الناس من أمية الا ما انهم يحملون ان غضوا

وهذا ليس بما ينقم وانما اردان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيفهم • بين فلول من قراع الكتائب

اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك
 من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغفوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام
 عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى قاصله النبي صلى الله عليه وسلم بديته
 فاستغنى وقال قتادة كانت لعبدالله بن ابي دبة فاخرجها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله
 عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما تقموا الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله
 ﴿ فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴾ يعني فان يتوبوا من كفرهم وتفاقهم يك ذلك خيرا لهم
 في الما قبل والآجل ﴿ وان يتولوا ﴾ يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة وتبصروا
 على النفاق والكفر ﴿ يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا ﴾ يعني بالحزى والاذلال
 ﴿ والآخرة ﴾ أي ويمذبهم في الآخرة بالنار ﴿ وما لهم في الارض من ولى ولا نصير ﴾

(وما تقموا)

وما عابوا (الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله) وذلك انهم كانوا حين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يجوزون الغنم فأتروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى قاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى

(فان يتوبوا) عن النفاق (بك) الثواب (خيرا لهم) وهي الآية التي تاب عنده الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولى ولا نصير) ينجيهم من العذاب

(وما تقموا) وما طعنوا على

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (الا ان اعانهم الله ورسوله من فضله) بالغنم (فان يتوبوا) من الكفر والنفاق (بك خيرا لهم) من الكفر والنفاق (وان يتولوا) عن التوبة (يعذبهم الله عذابا اليما) وجيعا (في الدنيا والآخرة) وما لهم في الارض من ولى (ولا نصير) ما تمنعهم مما يراد

(ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل عليه السلام بالعبادة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه { الجزء العاشر } فراجعه ﴿ ١٦٢ ﴾ وقال والذي يشك بالحق ان رزقه

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾

يعنى وليس لهم احد عنتهم من عذاب الله ما وينصرفهم في الدنيا والآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴿ الا يقرئى البغوى بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي رضى الله تعالى عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل يارسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال هي ذهابا وقضه لسارت ثم آتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا والذي يشك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فممت كانيخي الدود فصاقت عليه المدينة فتحمى عنها ونزل واديا من اوديتها وهي تنهى كانيخي الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر وصلى في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد الجمعة والجماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج فالتقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها وادفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي اويح ثعلبة يا اويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقل لهما سرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذنا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تفرقا ثم عودا الى فانطلقا وسعهما السلى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذه عليك قال خذها فان نفسى بذلك طيبة فراعلى الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا الى نعبية فقال أرونى كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذها حتى أرى رأى قال فاقبل فطار آهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكما يا اويح نعبية يا اويح نعبية ثم دعا السلى بخير فاخبراه بالذي صنع نعبية فانزل الله سبحانه وتعالى فيد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب نعبية فسمع ذلك فخرج حتى آتاه فقال ويحك يا نعبية لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج نعبية حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل

مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فممت كانيخي الدود حتى صاقت بها المدينة فنزل واديا واقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل كثير ماله حتى لا يسعه وادفقال يا اويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقتهما ومرات ثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعا حتى أرى رأى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا اويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضى الله عنه فلم يقبها وجاهها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلقبها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه (لئن آتانا من فضله) أى المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لثربانها

بهم (ومنهم من عاهد الله) حاتف بالله يعنى نعبية بن حاطب بن ابي بلتعذ (لئن آتانا) أعطانا (منك) (من فضله) المال الذى له بالاسم (لنصدقن) فى سبيل الله لتؤدين منه حق الله ولنصلن به الرحم

ولتكونن من الصالحين ﴿ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني ما لا انفقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله ما لا لأعطين كل ذي حق حقه فقدعاله فاتخذ عثمان فتمت كما نهي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقبل أكثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبلهما الناس مصدقاتهم ومرا بطلبة فسألاه الصدقة وافرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الاجزبة ما هذه الاخت الجزية فارجا حتى ارى رأي فنزلت فبما ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يمشو على رأسه فقال هذا عمك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقبلها ثم جاء بها منك صدقتك فجعل يمشو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمك قد امرتك فلم تطعني فلما ابي أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي ابي بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر آناه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فانا لا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاناه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانته له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانته له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يناب على اخراجها وما قب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وصدقته منه ووصلت القرابة فات ابن عم له فورث منه ما لا يقرب بما عاهد الله عليه فانزل الله في هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاقعة فقتلا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلايه وقال ابن السائب ان ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد ذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يعب بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهرا الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه أعمال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يعب بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ونخرجن من ذلك المال صدقته هو وتكونن من الصالحين ﴿ يعني وتعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم

(وتكونن من الصالحين)
 باخراج الصدقة
 (وتكونن من الصالحين)
 من الحامدين

الى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته فقبلها وهلك في زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى فجعل الله حاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم : الى يوم يلقونه ﴿ يلقون الله بالموت أو يلقون علمه أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴾ عا خافوا الله ما وعدوه ﴿ بسبب اخلائهم ما وعدوه من التصديق والصلاح ﴾ وبما كانوا يكذبون ﴿ وبكونهم كاذبين فيدهوان خلف الوعد متضمن للكذب مستقيم من

من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصلاح ضد المفسد والمفسد هو الذى يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ يعنى فلما رزقهم الله لم يشعروا من أعمال البر شيئا ﴿ وتولوا به ﴾ يعنى عما عهدوا الله عليه ﴿ وهم معرضون ﴾ يعنى عن العهد ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يعنى فاعقبهم الله نفاقا بأن سيرهم منافقين يقال أعقب فلانا ندامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى طاقهم بنفاق قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حرّمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافقونه على النفاق فيجازيهم عليه ﴿ عا خافوا الله ما وعدوه ﴾ يعنى الصدقة والانفاق في سبيله ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ يعنى في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴿ عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أثنى خان * عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة فمنهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عهد غدروا واذا وعد أخلف واذا خصم فجره قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصلة قد توجد في المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعله هذه الخصلة لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق محلد في النار فان اخوة يوسف عليم السلام جمعوا هذه الخصلة وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء من هذا أو كما قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلاف العلماء في معناه فالذى قاله المحققون والاكثر وهو الصحيح المختار أن معناه ان هذه الخصلة نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصلة ويتخاطب باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصلة فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعدوه وأثمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأن نفاقه في الاسلام فيظنره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدن في الدرل الاسفل من النار وقوله

(فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم (بخلوا به) منعوا حق الله ولم يشعروا بالهدى (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) معرضون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (عا خافوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلائهم ما وعدوا الله من التصديق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

(فلما آتاهم) الله أعطاهم (من فضله) المال الذى له بالشام (بخلوا به) عا وعدوا من حق الله (وتولوا) عن ذلك (وهم معرضون) مكذبون (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فجعل عاقبته على النفاق الى يوم يلقونه (عا خافوا الله ما وعدوه) عا أخلف وعده (وبما كانوا يكذبون)

الوجهين أو المقال مطلقاً وقرئ يكذبون بالتشديد (ألم يعلموا) أي المنافقون أو من طأهدالله وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ ان الله يعلم سرهم ﴾ ما سره في انفسهم من النفاق أو الازم على الاخلاف ﴿ ونجواهم ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ﴿ وان الله علام الغيوب ﴾ فلا يخفى عليه ذلك ﴿ الذين يلزون ﴾ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلزون بالضم ﴿ المطوعين ﴾ المتطوعين ﴿ من المؤمنين في الصدقات ﴾ روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقترضت ربي أربعة وامسكت ليعالي أربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدي امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق

صلى الله عليه وسلم كان مناققا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبه عليه فأما من نذر ذلك منه فليس ذلك حاملا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاتهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا واتمتموا على دينهم فمخاتوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فاخلقوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر وروياه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه ما لا أكثر أختنا وحكي الخطابي قولاً آخر ان معناه المخدبر للمسلم ان يتاد هذه الخصال وحكي أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يوافقهم بصريح القول فيقول فلان منافق واتحاشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عندئذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين ﴿ ان الله يعلم سرهم ﴾ يعني ما تطوى عليه صدورهم من النفاق ﴿ ونجواهم ﴾ يعني وهم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والتجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها ﴿ وان الله علام الغيوب ﴾ هذا ما غت في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه احوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) ﴿ الآية (ق) ﴾ عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فمالا حراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله افنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجودون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم

(ان الله يعلم سرهم ﴾ ما سره من النفاق بالزوم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدير منها (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء (الذين) النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلزون المطوعين) يبيون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقترضت ربي أربعة وامسكت أربعة ليعالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تحاضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين

ويكذبه بما قال (ألم يعلموا) يعني المنافقين (ان الله يعلم سرهم) فيما بينهم (ونجواهم) خاوتهم (وان الله علام الغيوب) ما غاب عن العباد (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الارياه وسمة

من المؤمنين في الصدقات) يطعنون على عبدالرحمن وأصحابه في الصدقات يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات الارياه وسمة

ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) صطب على المطوعين (لا يجهدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل { الجزء المباشر } الجهد الطاقة ﴿ ١٦٦ ﴾ والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع

عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فنزكت صاعا ليعالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينزعه على الصدقات فلزمه المنافقون وقالوا ما اعطى عبدالرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه يعطى من الصدقات فنزلت ﴿والذين لا يجهدون الاجهدهم﴾ الاطاقهم وقرئ بالقمع وهو مصدر جهدي الامر اذا بالغ فيه ﴿فيسخررون منهم﴾ يستهزؤون بهم ﴿سخر الله منهم﴾ جازاهم على سخرتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ على كفرهم ﴿استغفر لهم﴾ اولاستغفر لهم ﴿يريد به التساوى بين الامرين في عدم الازادة لهم كالمص عليه بقوله ﴿ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ روى ان جنتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت أربعة آلاف لعالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبدالرحمن حتى انه خاب امرأتين يوم مات فبلغ من ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجعلائي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما ليعالي وأيتك بالآخر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزعه في الصدقات فلزمه المنافقون فقالوا ما اعطى عبدالرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب ان يذكر نفسه يعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلزون يميون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبدالرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والاطوع التغل بما لبس بواجب عليه ﴿والذين لا يجهدون الاجهدهم﴾ يعني ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغبرهم وقبل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد كون القليل من المال الذي يأتي به فتصدق به أكثر موقفا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فتصدق به لان القنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا القمير الذي أخرج القليل انما أخرجه عن منعم وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره وجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿فيسخررون منهم﴾ يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يهرون القمير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ سخر الله منهم ﴿يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم﴾ ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى ﴿ولهم عذاب اليم﴾ يعني في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ استغفر لهم اولاستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فنزكت صاعا ليعالي وجئت بصاع فلزمه المنافقون وقالوا ما اعطى عبدالرحمن وعاصم الا رياء وأما صاع ابي عقيل قاله ضي عنه (فيسخررون منهم) فيهزؤون (سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو سخر غير دعاه (ولهم عذاب اليم) مؤلم ولما سأل عبدالله بن عبدالله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيده في مرضه نزل (استغفر لهم) اولاستغفر لهم (وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كما به قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) والسبعون (والذين لا يجهدون الاجهدهم) ويطعنون على الذين لا يجهدون الاطاقهم وكان هذا ابا عقيل عبد الرحمن بن تيمح لم يجهد الا صاعا من تمر (فسخررون منهم) بفضلة الصدقة يقولون ما جاء به الا ليدكر به ويهبطى من الصدقة أكثر مما جاء به (سخر الله منهم) عابهم يوم القيامة في الآخرة صعب

الله لهم بما الى الجنة (ولهم عذاب اليم) وجمع في الآخرة (استغفر لهم) يقول ان تستغفر لعبدالله بن ابي (قال) وجد بن عيسى وهن بن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (أولاستغفر لهم) سواء عليهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على الحديد والناية اذ لو استغفر لهم مدة حياتهم لن يغفر الله لهم ولا لهم ولا لغيرهم
لا يغفر لمن كفر به والمعروف بانفت ١٦٧ في الاستغفار فلن يغفر الله (سورة براءة) لهم وقد وردت الاستغفار

بذكر السبعين وكلها تلي
على الكثرة لاعلى الحديد
والناية ووجه تخصيص
السبعين من بين سائر
الاعداد ان العدد قليل
وكثير فالقليل مادون
الثلاث والكثير الثلاث
فأفوقها وأدنى الكثير
الثلاث وليس لاقصاء غاية
والمعدد أيضا نوعان شفيع
وتروا أول الاشفاع انسان
وأول الاوتار ثلاثة والواحد
ليس بعدد والسبعة أول
الجمع الكثير من النوعين
لان فيها أوتار ثلاثة واشقاقا
ثلاثا والعنزة كال الحساب
لان ما حاز العشرة فهو
اضافة الآحاد الى العشرة
كقولك اعاشر وثلاثة
عشر الى عشرين والعشرون
تكرر العشرة مرتين
والثلاثون تكريرها ثلاث
مرات وكذلك الى مائة
فالسبعون يجمع الكثرة
والنوع والاكثرة منه وكال
الحساب والكرة منه فصار
السبعون أدنى الكثير
من العدد من كل وجه
ولاغاية لاقصاء فحاز
أن يكون تخصيص السبعين
لهذا المعنى والله أعلم (ذلك)

عبدالله بن عبدالله بن ابي وكان من الخلقين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض
ايه ان يستغفره ففعل عليه الصلاة والسلام فبزت فقال عليه الصلاة والسلام لا يزيدن
على السبعين فقلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك
لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين المدد المخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون
ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون الحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبع مائة ونحوها في التكثير لاشمال السبعة على جملة اقسام المدد فكأنه
المدد بأسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله في اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول
استغفارك ليس لجهل منا ولا تصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان
مغفرة الكافر بالافلاح عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه
قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤ الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا
كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لا تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم
وأما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عه جزة رضى الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد
السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقايم سبع
والبحار سبع والنجوم السابعة فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس
من طمع المغفرة لهم قال الضحالى ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء
علمهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر رضى الله هما قال لما
توفي عبد الله بن ابي بن سلول جاءه ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله
أن عطيه قيصه يكفن فيه أهأه ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلى عليه فقام عمر فاخذ سوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلى
عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل
فقال استغفروا لهم أو لا تستغفروا لهم ان تستغفروا لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق
فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصلى على اخدمتهم مات
أبا ولا تقم على قبره أنهم كفروا بالله ورسوله وواتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك
الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى في ذلك ما هم كفروا بالله ورسوله في معنى ان هذا
القول من الله وهو ترك عقوبتهم وترك المغفرة لهم من أجل أنهم اخناروا الكفر على
الايمان بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعنى والله لا يوفق للايمان
به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل

اسا تال اليأس من المغفرة (نأهم) سبب أنهم (كفروا بالله ورسوله) لا غفرن لكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) المصاعين عبدالله بن ابي
ذلك العذاب (نأهم كفروا بالله ورسوله) في السر (والله لا يهدي) لا يغفر (القوم الفاسقين) المصاعين عبدالله بن ابي

عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون للمدين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخافهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلبهم ونفاقهم والشيطان (عقدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا مخالفة أو مخالفتهم له (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) لم يفعلوا { الجزء العاشر } ما فعله المؤمنون ﴿ ١٦٨ ﴾ من بذل أموالهم وأرواحهم

لا ينقل ولا يهتدى والتنبه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴾ بقعودهم عن الغزو خلفه قال أقام خلاف الحى أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ﴾ أيثارا للدعة والسلفى على طاعة الله وفيه تمرين بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رساء بسذل الاموال والمهج ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ أي قاله بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تبسطا ﴿ قل نار جهنم أشد حرا ﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿ لو كانوا يفتقون بك ان ما بهم اليها وانها كيميها ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ﴾ فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا ﴿ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴾ يعنى فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقدمهم يعنى بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعنى بعده وعلى هذا المعنى خلاف يعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خافه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاخثاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ﴾ والمعنى أنهم فرحوا بسبب النجاة وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى اثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافة عن الجهاد في الحر أن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يملون قل ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يبعثوا معه وذلك في الصيب فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلأتمروا في الحر فقال عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يسهروا فأمره الله تعالى بالخروج ﴿ فليضحكوا قليلا ﴾ يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا القانية بمقدمهم خلافة ﴿ وليكوا كثيرا ﴾ يعنى مكان ضحككم في الدنيا وهذا وان ورد بصلة الامر الا ان

في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تشيطنان (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوق بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بخلفهم في الدنيا ويكون كثيرا اجزاء في المقى الا انه اخرج على لفظة الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق سيكون في النار عمر الدنيا لا يرألهم دمع ولا يكتحلون بنوم

وأصحابه (فرح المخلفون رضى المنافقون (عقدهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك (خلاف رسول الله) خاب رسول الله (وكرهوا أن

يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) في طاعة الله (قالوا) وقال بعضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) (معناه) لا تخرجوا مع محمد صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك في الحر الشديد (قل) لهم يا محمد (نار جهنم أشد حرا) (جرا) (لو كانوا يسهرون) يفهمون ويصدقون (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليكوا كثيرا) في الآخر

(جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) اي ردك من تبوك واعماله (الى طائفة منهم) لان منهم (الذين)
التفاق ومنهم من هلك (فاستأذونك) ١٦٩ (للخروج) الى غزوة {سورة براءة} بعد غزوة تبوك (فان رجعت الله)

تخرجوا معي أبدا
بكون الياء جزءة وعلى وأبو بكر (ولن تقاتلوا معي عدوا)
معي حفص (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) اول مادعية
الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن ابي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اياه في قيصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينقمه وكنيت أرجو أن يؤمن به ألب من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألب من الخزرج للارأوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لا أحد (أبدا) ظرف

(جزاء بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من المعاصي (فان رجعت الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) من المنافقين بالمدينة (فاستأذونك للخروج) الى غزوة أخرى (فقل) لهم يا محمد (لن تخرجوا معي أبدا) بعد غزوة تبوك (ولن تقاتلوا معي عدوا) انكم رضيتم

جزاء بما كانوا يكسبون ﴿ اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجهم على ضيعة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كبايتين عن السرور والغم والمراد من القلة الدم ﴿ فان رحمتك الله الى طائفة منهم ﴾ فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني مناقبيهم فان كلهم لم يكونوا مناقسين أو من بقي منهم فكان المتخلفون اثني عشر رجلا ﴿ فاستأذونك للخروج ﴾ الى غزوة أخرى بعد تبوك ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ﴾ اخبار في معنى النهي للمبالغة ﴿ انكم رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ لتليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الفزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرى مع الخلفين على قصر الخالفين ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾

معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بركاتهم في الآخرة لان الدنيا قانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الحثيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ﴿ وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطعوا أن تبكوا فنيا كوا فان أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سفنا أجريت فيها الجرت ﴿ قرأه سبحانه وتعالى ﴾ فان رجعت الله ﴿ يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه ﴾ الى طائفة منهم ﴿ يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان مناقسا مثل اصحاب الاعذار ﴿ فاستأذونك للخروج ﴾ يعني فاستأذونك المناقفةون الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبدا ﴾ يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي أبدا الى غزوة ولا الى سفر ﴿ ولن تقاتلوا معي عدوا انكم ﴾ يعني لاكم ﴿ رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الاتقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشر باظهار نفاقهم ووزمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكروهم وخداعهم اذا خرجوا الى الفزوات ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ يعني فاقعدوا مع الخالفين

للقعود) بالحلوس (أول مرة) في أول مرة من (فا و خا ٢ لك) غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) مع النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين بعد عبد الله بن أبي (مات أبدا) ويقال على عبد الله بن أبي

روى ان ابن ابي دمار رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شماره الذي بل جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قيصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت واعلم يندعن التكفين في قيصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقمص كانت محلا بالكرم ولانه كان مكافاة لابي اسه

الآية قول قتادة بن عبد الله بن أبي بن ساول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قل فيها عمر عن ذلك فانه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أما كان حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك اثني نبي ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قيصه ان يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قيصه صلى الله عليه وسلم ونث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (شرح) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما مات عبد الله بن أبي بن ساول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فمات بارسول الله أتصلى على بن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر حتى يا عرف فلما كثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لواعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قل فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم احرف فلم تكث الا يسيرا حتى نزلت الآياتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قل فحجبت بدمه من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسله أعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمه على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر رضي الله عنه قال اني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونثت فيه من ريقه وألبسه قيصه والله أعلم وكان كساعيا قيصا قال سفيان وقل أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصان فقال له ان عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قيصك الذي بل جلده قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قيصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالسيارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا ووجدوا قيص عبد الله بن أبي تقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصه الذي ألبسه

﴿ فصل ﴾

قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن ساول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يديه قيصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فأعطاه قيصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونثت

تصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقص على قبره ودعاه فقبل

العباس قيصه حين اسرى بدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفر له وهو ممنوع في حق الكفار ولتلك رتب التي على قوله مات ابداني

عليه من ريقه وألبسه قيصه ووجد الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قيصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قيصه بيده الكريمة فكل هذا كله بعبد الله بن أبي تطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته في مرضه وان سألته أن يستغفر له وأن يعطيه قيصه وأن يصلي عليه فاعطاه قيصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيدا للخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غاب عاينه فوافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم أني من أبر الناس بابي وأن أمرتي أن أتك رأسه فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تمفوعته وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن يتفجع من ركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قيصه ليكفنه فيه فبئال من بركته فاعطاء وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لانه عبد الله واسعا له وولطيته وقول عمر تصلي عليه وقد نهى الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصلي على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهى عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديت الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا التاويلان فيما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو ثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآياتان من براءة قال القرطبي

الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾
ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ لتعليل
للنهي أو تأييد الموت ﴿ ولا تعجبك اموالهم واولادهم ﴾

وهذا مساق حسن وتزليل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى
الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن
ابن عمر فان فيدلوا علم أني ان زدت على السبعين يفقره لزدت وهذا تعبير لذلك الوعد
المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها ببعضاً ويقيد بعضها ببعضاً فذلك قال لواعلم أني ان زدت
على السبعين يفقره لزدت فقد علم أنه لا يفقره وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل
مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستنفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه
النهي عن الاستفغار لمن مات كافراً وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب
عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استفغاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما
استفغاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع
وظائنه وان وقع كان تطيباً للقلوب الاحياء من قراياتهم فان فصل الاستفغار المنهي عنه من
التخيير فيه وارفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ عبي الدين النووي انما اعطاه قميصه
ليكفنه فيه تطيباً للقلب ابند عبدالله فانه كان صحابياً صالحاً وقد سألته ذلك فأجابته بدموع
بل اعطاه مكافأة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسروهم بدر قميصا
وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق
من الايذاءه وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلّى عليه واستغفره قال الله سبحانه
وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البيهقي قال حفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فبافضل
بعبدالله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يفتي عند قيصي وصلاتي من الله والله اني
كنت أرجو أن يسلم به ألف من فومه فيروي انه أسلم ألف من قومه لمارأوه يتبرك
بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ يعني
لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه ﴿ انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ وهذا لتعليل لسبب المنع من الصلاة عليه
والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا
قام على قبره بمداهاة فان قلت الفسق أدنى حال من الكفر وماذا كرفي تعليل هذا الهى كونه
كافراً دخل تحته الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقاً بمداهاة وصفه بالكفره قلت
ان الكافر قد يكون عدلاً في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضم ل احد سوءاً وقد يكون
خبيثاً في نفسه كثير الكذب والمكر والحداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقيم عند
كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الحيثية وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم
فاسقين بمداهاة وصفهم بالكفر ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعجبك اموالهم واولادهم ﴾

(ولا تقم على قبره انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون) لتعليل للنهي اي انهم
ليسوا باهل للصلاة عليهم
لانهم كفروا بالله ورسوله
(ولا تعجبك اموالهم واولادهم)

(ولا تقم على قبره)
ولا تقف على قبره (انهم
كفروا بالله ورسوله)
في السر (وماتوا وهم
فاسقون) منافقون (ولا
تعجبك) يا محمد (اموالهم)
كثرة اموالهم (واولادهم)
ولا اكبره اولادهم

انما يريد الله ان يذنبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كافرون ﴿ تكرير للتأكيد والاسرار حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مقبضة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول ﴿ واذا انزلت سورة ﴿ من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضهما ﴿ ان آمنوا بالله ﴿ بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان مفسرة ﴿ وجاهدوا مع رسوله

انما يريد الله ان يذنبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كافرون ﴿ الكلام على هذه الآية في مقامين . المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجديد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولاً وتأكيده واردة ان يكون المخاطب به على بال ولا يفتقل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضاً انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوماً من المنافقين كان لهم أموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواماً آخرين منهم . المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالقائه وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالقائه في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فهذا اني بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يذنبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وانه انما ورد حرف اللام فعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمر والاليمدو والله ومعناه وما أمر والالابان يمدو والله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الحد الذي حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاتصاف عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال دناءتها فهذه جل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا أنزلت سورة ﴿ يحتمل أن يراد بالسورة بمعنى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتقة على الامر بالايمان والامر بالجهاد ﴿ أن ﴿ أي بان ﴿ آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ﴿ فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد في كل

انما يريد الله ان يذنبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كافرون (التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله

(انما يريد الله ان يذنبهم بها) في الآخرة (وتزهد انفسهم) تخرج أرواحهم (في الدنيا وهم كافرون) مقدم ومؤخر (واذا انزلت سورة) من القرآن وأمر واقعياً (ان آمنوا بالله) صدقوا بايمانكم بالله (وجاهدوا مع رسوله

استأذنتك أولو الطول منهم (ذوو الفضل والسعة) وقالوا ذرنا نحن مع البغاة (مع الذين لهم عذر في التخلّف كالمرضى والزمنى) رضوا بأن يكونوا مع الحوالب (أى النساء جمع خالفة) وطبع على قلوبهم (ختم عليها لاختيارهم الكفر والفاق) فهم لا يفقهون (الجزء العاشر) ما فى الجهاد ! ﴿ ١٧٤ ﴾ من الفوز والسعادة وما

استأذنتك أولو الطول منهم ﴿ ذوو الفضل والسعة ﴾ وقالوا ذرنا نحن مع القاعدین ﴿ الذين قدموا لعذر ﴾ رضوا بأن يكونوا مع الحوالب ﴿ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه ﴾ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴿ ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلّف عنه من الشقاوة ﴾ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴿ أى ان تخلّف هؤلاء فقد نهض إلى الفزوة من خير منهم ﴾ وأولئك لهم الخيرات ﴿ منافع الدارين النصر والغنية فى الدنيا والحجة والكرامة فى الآخرة ﴾ وقيل الحور القوله تعالى فىهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطالب ﴿ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الاخرية

ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخاصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلاً فكانه قيل للمناققين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله أولاً وتجاهدوا مع رسوله ثانياً حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عنكم نفعها فى الدنيا والآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ استأذنتك أولو الطول منهم ﴿ قال ابن عباس يعنى أهل الفنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الطول بالذکر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذکر لان الاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان ﴿ وقالوا ﴾ يعنى أولى الطول ﴿ ذرنا نحن مع القاعدین ﴾ يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان رفيل مع المرضى والزمنى ﴿ رضوا بان يكونوا مع الحوالب ﴾ قيل الحوالب النساء اللواتى تخلفن فى السوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل حوالب جمع خالفة وهم أذنياء الناس وسفاهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم ﴿ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ يعنى وختم على قلوب هؤلاء المناققين فهم لا يفقهون سراد الله فى الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴿ أى ان تخلّف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم معى الرسول والمؤمنين ﴾ وأولئك لهم الخيرات ﴿ منافع الدارين النصر والغنية فى الدنيا والحجة والكرامة فى الآخرة ﴾ وقيل الحور لقوله فىهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴿

فى التخلّف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى أن تخلّف هؤلاء فقد نهض إلى الفزوة من خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فىهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

استأذنتك) يا محمد (أولو الطول) ذوو الفنى (منهم) من المناققين عبد الله ابن أبى وجدين قيس وهيب ابن قشير (وقالوا ذرنا) يا محمد (نحن مع القاعدین) بغير عذر (رضوا بأن يكونوا مع الحوالب) من النساء والصبيان (وطبع) ختم (على قلوبهم فهم لا يفقهون) لا يصدقون أمر الله (لكن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) فى السر والعلانية (معه) جاهدوا بأموالهم وأنفسهم

فى سبيل الله (وأولئك لهم الخيرات) الحسنات المقبولات فى الدنيا ويقال الحوالب فى الآخرة (وأولئك) بيان)

هم المفلحون (الناجون من السخط والمذاب) أعد الله لهم جنات (يساتين) تجري من تحتها (من تحت شجرها ومسكنها) (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل والابن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم)

قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء ﴿ ١٧٥ ﴾ المعتبرون من الأعراب {سورة براءة} ليؤذن لهم) هو من صدر

في الأمر إذا قصر فيه وتواني و
حقيقته أن يومه أن له عذرا فيما
فعل ولا عذرا لها والمعتذرون
بإدغام التاء في الذال ونقل
حركتها إلى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل قيل هم
أسد وعظفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فأذن لنا
في التخلف (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله) هم
منافقوا الأعراب الذين
لم يجيؤا ولم يعتذروا فانه
بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الإيمان (سيصيب
الذين كفروا منهم) من
الأعراب (عذاب ألم) في
الدنيا بالقتل وفي الآخرة

النجاة الوافرة فازوا
بالجنة وما فيها ونجوا من
النار وما فيها (وجاء اليك
يا محمد) المعتذرون (مخففة
من كان له عذر) (من الأعراب)
من بنى غفار وان قرأت
المصدرين مشددة
يعنى من لم تكن له عذر
(ليؤذن لهم) لكي بأذن لهم
رسول الله بالتخلف عن
غزوة تبوك (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله)
في السر ويقال خالوا الله
ورسوا في السر في الجهاد
بيرانز (سيصيب الذين
(عذاب ألم) وجميع

﴿ وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم ﴾ يعنى أسد وعظفان استأذنا في التخلف معتذرين
بالجهد وكثرتا العيل وقبل هم رهط عاصرين الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهلنا
ومواشينا والمعتذر امان من عذر في الأمر اذا قصر فيه موها ان له عذرا ولا عذره أو من
اعتذر اذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وخمها للاتباع لكن لم يقرأ بها وقرأ يعقوب معتذرون من اعذر اذا
- تهد في العذر به قرى المعتذرون بتشديد العين والذال على انه من تضرر بمعنى اعتذر وهو لحن
اذا لاء لا دغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله
﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في غيرهم وهم منافقوا الأعراب كذبوا الله
ورسوله في ادعاء الإيمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار ﴿ سيصيب الذين كفروا
منهم ﴾ من الأعراب أو من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره ﴿ عذاب ألم ﴾

بيان للملهم من الخيرات الاخروية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وجاء المعتذرون من الأعراب
ليؤذن لهم ﴾ يعنى وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه في التخلف عن الغزومع قال الضحاك هم رهط عاصرين الطفيل جاءوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفقا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك
تغير اعراب طي على خلالتنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أبأني الله من اخباركم وسيفي الله عنكم وقبل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن اعاء
ابن رخصنة وقيل هم من أسد وعظفان وقال ابن عباس هم الذين تخافوا بعذر فأذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذرون أى المقصرون بمعنى أنهم قصروا
ولم يجيئوا في الاعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذره وقيل ان الاصل في هذا
اللفظ عند العامة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام
العرب على قسمين يقال اعتذرا اذا كذب في عذره ومد قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم
بقوله قل لا تعتذروا نذل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح
ومد قول لبيد ومن يريك حولا كاملا فقد اعتذره

بمعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التصدير يقال عذرتهم اذا قصروا لم يبلغ
فعل هذا المعنى محتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من
قال أنهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده ﴿ وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله ﴾ فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن
أبي عمرو بن الملا انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قومنا تكلفوا عذرا بيانا لم فهم الذين
عاهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة
على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الأعراب الذين
ما جاءوا في العذر وظهور بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله بنى في ادعائهم الإيمان سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب ألم ﴾ يعنى في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار انما قال منهم

﴿ كفروا منهم ﴾ من المنافقين عبدالله بن ابى وأصحابه

بالتقتل والنار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهري والزمنى ﴿ ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون ﴾ لفقروهم كجهينة وحرينة وبنى عذرة ﴿ حرج ﴾ أتم في التأخر ﴿ اذا انصهوا لله ورسوله ﴾ بالايان والطاعة في السر والعلانية كما يشغل المولى الناصح أو بما قدر واعليه فملا أو قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو لئسى فكيف المحسن

لأنه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والفاق وما واعليه قوله عز وجل ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الحاققة ضعفاً نحيفاً ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرتضى فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا على المرضى ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العسى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفاً بعرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر والغزو ﴿ ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون ﴾ يعنى الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجردون الزاد والراحلة والاسلح ومؤن السفر لان العاجزين عن تقفة الغزو معذور ﴿ حرج ﴾ أى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أى أتم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازى ليس في الآية انه يحرم عابهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما يحفظ متاعهم أو يتكثير سوادهم بشرط أن لا يحمل نفسه كلا ووبالاعليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطاً معيناً وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذا انصهوا لله ورسوله ﴾ ومعناه أنهم اذا قاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيب واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جلة هذه الامور تجرى مجرى النصيحة لله ورسوله ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس على من أحسن فنصيح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد بمذراً باحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باب احسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن تخلف عن الجهاد بمذراً ظاهر أباحه الشرع ﴿ رحيم ﴾ يعنى انه تعالى رحيم بجميع عباديه قال قتادة؟

بالنار (ليس على الضعفاء) الهري والزمنى (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) أتم وضيق في التأخر (اذا انصهوا لله ورسوله) بان آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المذورين الناصحين (من سبيل) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحيم) (ليس على الضعفاء) من الشيوخ والزمنى (ولا على المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون) في الجهاد (حرج) مأثم بالتخلف (اذا انصهوا لله) في الدين (ورسوله) في السنة (ما على المحسنين) بالقول والفعل (من سبيل) من خرج (والله غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ علمت على الضمياء أو على المستبين بهم اليكأون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب، سالم بن عمرو وثعلبة بن عمنة
وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد وأبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والوا نذرنا الخروج
فاجأ على الحفاف المرقوعة والنمال المخصوصة فنزمت فقال عليه السلام لا اجد ما احلكم
عليه نزلوا وهم يكون وقيل هم نومقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه
مؤقت لا اجد ما احلكم عليه ﴿ حال من الكاف في أتوك يا خنساء قد ﴿نزلوا﴾
جواب اذا ﴿واعينهم تقيض﴾ تسييل ﴿من الدمع﴾ أي دمعا فان من البيان وهي
مع المحرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من بفيض دمعا لانه يدل على ان العين
صارت دمعا فياضا ﴿حزنا﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفضل دل عليه
ما قبله ﴿أن لا يجدوا﴾ لتلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتقيض ﴿ما ينفقون﴾ في
مغزاهم ﴿انما السبيل﴾ بالمعانية

قوله منتهى مرة أي اذا ما أتوك
قائلا (لا اجد ما احلكم
عليه نزلوا) هو جواب اذا
(واعينهم تقيض من الدمع)
أي تسييل كقولك تقيض
دمعا وهو ابلغ من بفيض
دمعا لان العين جملة كان
كلها دمعا فاقض ومن
البيان كقولك أفديك من
رجل وعمل الجار والمحرور
النصب على التمييز ويجوز
أن يكون قات لا اجد
استثنافا كأنه قبل اذا ما أتوك
تحملهم تولوا قليل ما لهم
تولوا باكين قليل قلت
لا اجد ما احلكم عليه الا أنه
وسط بين الشرط والجزاء
كلا اعتراض (حزنا) مفعول
له (اللا يجدوا ما ينفقون)
للتلا يجدوا ما ينفقون ومجمله
نصب على أنه مفعول له
ونام به حزنا والمستعملون
أوموسى الاشعري واصحابه
أو البكاؤون وهم ستة نفر
من الانصار (انما السبيل
(ولا على الذين إذا ما أتوك
تحملهم) الى الجهاد بالنفقة
عبد الله بن مغفل بن يسار المازني
وسالم بن عمير الانصاري
واصحابهما (قلت) لهم
(لا اجد ما احلكم عليه)
الى الجهاد من الله انذارا
خبر حواهن سبيل

نزلت هذه الآية في عائد بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم
وكان ضريب البصر * ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من العذورين أتبعه
بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك﴾ بمعنى ولا حرج ولا اثم
في انقلب عنك على الذين إذا ما أتوك ﴿تحملهم﴾ يعني بسألتك الحملان ليبلغوا الى
غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكاين وكانوا سبعة
ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستحلونه فقال لا اجد ما احلكم عليه فانزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني
عمير بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو من بني مازن بن النجار
عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا لبلى ومن بني الملى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن
ابن زيد وهو الذي تصدق بمرضه قبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عمنة وعبد الله
ابن عمرو المزي و قال البغوي هم سبعة نفر سمو البكاين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عمنة وعبد الله بن
مغفل المزي قال أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل
قد نزلنا الى الخروج معك فاجلنا فقال لا اجد ما احلكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن
من خزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والمان بنو مقرن قليل نزلت في العرياض
ابن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوهم أن يحملهم على الدواب
وقا طر سألوه أن يحملهم على الحفاف المرقوعة والنمال المخصوصة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا اجد ما احلكم عليه فمؤلوا هم يكون ولذلك سمو البكاين فذلك قوله
سبحانه وتعالى ﴿قلت لا اجد ما احلكم عليه تولوا﴾ واعينهم تقيض من الدمع ﴿قال
ما بعد الكساف هو كقولك تقيض دمعا وهو ابلغ من بفيض دمعا لانه يدل على ان العين
صارت دمعا فياضا ﴿حزنا﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفضل دل عليه
ما قبله ﴿أن لا يجدوا﴾ لتلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتقيض ﴿ما ينفقون﴾ في
مغزاهم ﴿انما السبيل﴾ بالمعانية

﴿ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ واجدون للاهبة ﴿ رضوا بان يكونوا مع الحوالم ﴾
استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عندهم وهو رضاهم بالدأمة والانتظام في
جلة الحوالم اشارة للدعة ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
﴿ فهم لا يعلمون ﴾ مغيبته

سبيل قال تعالى في حق من يتذمر ولاعذرله انما السبيل يعني انما تتوجه الطريق بالعقوبة
﴿ على الذين يستأذنونك ﴾ يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك ﴿ وهم أغنياء ﴾ يعني
قادرين على الخروج معك ﴿ رضوا بان يكونوا مع الحوالم ﴾ يعني رضوا بالدأمة
والضمة والانتظام في جلة الحوالم وهم النساء والصبيان والعمود معهم ﴿ وطبع الله على
قلوبهم ﴾ يعني ختم عليها ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة
اما في الدنيا فالفوز بالغنمية والظفر بالمدو واما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع

على الذين يستأذنونك (في التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء قليل رضوا (بان يكونوا مع الحوالم) أى بالانتظام في جلة الحوالم (وطبع الله على قلوبهم) فهم لا يعلمون

(على الذين يستأذنونك) بالتخلف (وهم أغنياء) بالمال عبدالله بن أبي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير واحصا بهم نحو سبعين رجلا (رضوا بان يكونوا مع الحوالم) مع النساء والصبيان (وطبع الله) ختم الله (على قلوبهم) فهم لا يعلمون (امر الله ولا يصدقون



يا طغابا بالتذرين تقبل استذارنا

﴿ سذرون اليكم ﴾ في الخائف ﴿ اذار جتم اليهم ﴾ من هذه السفره ﴿ هل لاته تذروا ﴾
 بالمعاذير الكاذبة لانه ﴿ ان تؤمن لكم ﴾ لن تصدقكم لانه ﴿ قد نبأنا الله من اخباركم ﴾
 اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو في ضمائركم من الشر والفساد ﴿ وسيرى الله ﴾
 عملكم ورسوله ﴿ اسيون عن الكفر ام يتوبون عليه مكانه استتاروا وهال لاوت ﴿ ثم ﴾
 تردون الى عالم الغيب والشهادة ﴿ اى الباقى فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على
 انه مطلع على سرهم وعلتهم لانفوت عن علمائى من ضمائرهم واعلمهم ﴿ فينبئكم ﴾
 بما كنتم تعملون ﴿ بالوحي والعباب عليه

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ سذرون لكم اذا جتم اليهم ﴾ معنى سذروا هؤلاه
 المساقون المخلفون عنك يا محمد الكذبة وانما ذكره بانظ ابع نظامه على الله
 عليه وسلم ويحتمل انهم اسذروا الى الله والى المؤمنين ولهذا قال تعالى سذرون انكم معنى
 بالاعتذار الباطلة الكاذبة اذار جتم اليهم معنى من سفركم ﴿ هل ليه اى قل ليه يا محمد
 ﴿ لا تعتذروا ﴾ قال النبوى روى ان المنافقين الذين يخافون عذوبة ربهم لا يؤمنون
 بصحة وثمانين فقال الله تعالى هل لا تعتذروا ﴿ لن تؤمن لكم ﴾ يقول الله تعالى
 اذرتهم به ﴿ اذرتهم الله من اخباركم ﴾ معنى قد اخبرنا الله بما اسام من اخباركم روى
 الله عملكم ورسوله ﴿ معنى فى المسألة اتوبون من نفاقكم ام نهبون عليه ودل لئلا
 أنهم وعدوا بان يصروا المؤمنين فى المستقبل فلهذا قل وسير الله عملكم ورسوله
 سذرون بما كنتم تعملون ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم ﴾ ﴿ بما كنتم
 تعملون ﴾ لانه هو المطاع على ما و ضمائركم من الحياتا والكذب واخلاف الو ﴿ قوله

(يعتذرون اليكم) يعيون
 لانفسهم عذرا باطلا
 (اذا رجتم اليهم) من هذه
 السفره (قل لا تعتذروا)
 بالباطل (لن يؤمن لكم)
 لن تصدقكم وهو علة للمنى
 عن الاعتذار لان غرض
 المعتذر ان يصدق فيما
 يعتذر به (قد نبأنا الله من
 اخباركم) علة لانتفاء
 تصدقهم لانه تعالى اذا
 اوحى الى رسوله الاعلام
 باخبارهم وما فى ضمائرهم
 لم يسقم مع ذلك تصديدهم
 فى ما ذرهم (وسير الله عملكم
 ورسوله) انبؤوا ما تبون
 على كفركم (ثم تردون الى
 عالم الغيب والشهادة)
 اى تردون اليه وهو عالم كل
 سر وعلانية (فينبئكم بما
 كنتم تعملون) فيجازيكم
 على حسب ذلك

(سذرون لكم اذا
 رجتم) من غزوة تبون
 (اليهم) الى المدينة فاعلم
 تقدر ان تخرج مماك (هل)
 يا محمد لهم (لا تعتذروا)
 بالتخلف (لن يؤمن لكم)
 لن تصدقكم بما تسولون
 من العليل (قد نبأنا الله)
 اخبرنا الله (من اخباركم)
 من اسراركم ونفاقكم
 (وسيرى الله عملكم ورسوله)

بمد ذلك ان تبتم (ثم تردون) فى الآخرة (الى عالم الغيب) ما ناب عن العباد وادال الغيب عالم علم العباد (عن)
 ويقال ما يكون (والشهادة) ما علمه الساد وينال ما كان (فمنكم) فكم (بما كنتم تعملون) وتولون من الحيد

(سَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ) لَتُرَكَّبُوهُمْ وَلَا تُؤْمِنُوا بِهِمْ (فَلَا تُعْرَضُوا عَنْهُمْ) (سورة برآة) ارجاس لا سبيل الى تخطيها
تعليل لذلك ما تبهم أي ان المعاتبة لا تنفع ﴿ ١٨١ ﴾ فيهم ولا تصطبهم لانهم ﴿ سورة برآة ﴾ ارجاس لا سبيل الى تخطيها

(وما واهم جهنم) ومصيرهم
الباريعني واقتهم النار عتابا
وتوبينها فلا تتكلفوا عتابهم
(جزاء بما كانوا يكسبون)
أي يحجزون جزاء كسبهم
(يخلفون لكم تعرضوا عنهم)
أي عرضهم بالحلف بالله
طلب رضاكم لينفعهم ذلك
في دنياهم (فان تعرضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم
الفاستين) أي فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله
ساخطا عليهم وكانوا عرضة
لما جعل عقوبته وآجها
وانما قيل ذلك لتلايتهم
ان رضا المؤمنين يقتضى
رضا الله عنهم (الاعراب)
أهل البدو (أشدكفرا ونفاقا)
من أهل الحضر لجفائهم
وقسوتهم وبدعهم عن العلم
والشر (سماخون بالله)
عبدالله بن أبي واحصاه
(أكم اذا انقلبتم) اذا رجعتكم
من غزوة تبوك (اليهم)
بالمدينة (تعرضوا عنهم)
لصفتوا عنه ولا تماقبوهم
(فأعرضوا عنهم) ولا
تماقبوهم (أنهم رجس)
نجس قدر (وما واهم)
مصيرهم (جهنم جزاء
بما كانوا يكسبون) يقولون

﴿ سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم تعرضوا عنهم ﴾ فلا تماقبوهم ﴿ فأعرضوا عنهم ﴾
ولا تؤمقوهم ﴿ أنهم رجس ﴾ لا ينفع فيهم التأيب فان المقصود منه التطهير بالحلف
على الآتية وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ﴿ وما واهم
جهنم ﴾ من عام التعليل وكأنه قال أنهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوب في الدنيا
والآخرة أو تعليل ثان والمعنى ان البار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿ جزاء بما كانوا
يكسبون ﴾ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة ﴿ يخلفون لكم تعرضوا عنهم ﴾ بحلفهم
فتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿ فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاستين ﴾ أي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا
في سخط الله وبصدد عقابه وان أمكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله
فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاعتذار
بما ذرهم بسد الاعراض وعدم الالتفات نحوهم ﴿ الاعراب ﴾ أهل البدو
﴿ أشدكفرا ونفاقا ﴾ من اهل الحضر لوحشهم وقسوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

عز وجل ﴿ سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم ﴾ يعنى اذا رجعتكم من سفركم اليهم يعنى الى
المخلفين بالمدينة من المنافقين ﴿ تعرضوا عنهم ﴾ يعنى لصفتوا عنهم ولا تؤمقوهم
ولا تؤمقوهم بسبب تخلفهم ﴿ فأعرضوا عنهم ﴾ يعنى صدعواهم وما أخاروا لانفسهم
من الفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله
عاه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين
طلبوا اعراض الصفة فأعطوا اعراض المقت ﴿ ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم
فقال تعالى ﴿ أنهم رجس ﴾ يعنى ان بواطنهم خبيثة بحسبة وأعمالهم قبيحة ﴿ وما واهم ﴾
يعنى مسكنهم في الآخرة ﴿ جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الاعمال الخبيثة
في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين
سلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت
وعبدالله بن أبي- لعل لاني صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا تخلف عنه
بما واهم ﴿ فان تعرضوا عنهم ﴾ يعنى ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية
والى بعدها محاذون لكم تعرضوا عنهم ﴿ يعنى محام لكم هؤلاء المناقون لتعرضوا
عنهم ﴾ فان تعرضوا عنهم ﴿ يعنى فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا أكم وقبائهم
بذرههم ﴾ فان الله لا يرضى عن القوم الفاستين ﴿ يعنى انه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم
من الفاق والشك ولا يرضى عنهم أبدا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الاعراب أشدكفرا
ونفاقا ﴾ نزلت في سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشدكفرا ونفاقا من أهل الحضر
قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسيا في العرب ويجهد العرب ورجل أعرابى
ذا كان بدويا بطاب مساط الفيث والكلأ ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعراب

ويهلون من الشر (سماخون لكم لترضوا عنهم) بالحلف (فان تعرضوا عنهم) بالهات الكاذب (فان الله لا يرضى عن القوم الفاستين)
الما تين (الاعراب) أسدكفرا ونفاقا) هم أشد على الكفر والفاق من

وإسماء وأجدد (ع) حتى بان لا يملكوا من الدنيا والآخر
والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجاهل اذا مات اترك
الصباح (والله اعلم) الجزء الحادي عشر (من اهل البيت) ومن الاعراب

من يتخذ ما ينفق (أي يتصدق (مغرماً) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا لتقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أي دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الابام تذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (علم دائرة السوء) أي علم بدور المصائب والحروب الي يوقعون وفروعها في المسلمين السوء مكي وأبو عمرو وهو المذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما تقولون اذا توجهت علم الصدقة (علم) بما ضمروا (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

العلم وقوله اهل البيت للكتاب والسنة (وانجدر ان لا يملوا) واحق بان لا يملوا (حذوا كما انزل الله على رسوله) من الفرائض فرائضها وسننها (والله اعلم) علم حال كل احد من اهل البر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئتهم وعسنتهم (علموا ثوابا) ومن الاعراب من يتخذ (يمد) ما ينفق (يصرفه في سبيل الله ويتصدق به (مغرماً) غرامة وخسرانا اذ لا يحتمسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه ليتقلب الامر عليكم فيتخلص من الاتفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم نحو ما يتربصونه أو اخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي حاقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للبالغة كقولك رجل صدق صوقراً أبو عمرو وابن كثير السوء هنا وفي الفصح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عدا لاتفاق (عام) بما ضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

فن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعراب اذ قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب أشد كفرًا ونفاقًا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنة والمواظظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وانجدر) يعني واخلاق وأحري (الاملوا) يعني بان لا يملوا (حدود ما نزل الله على رسوله) يعني الفرائض والسنة والاحكام (والله عام) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً) يعني لا يرجو على اتفائه ثواباً ولا يخاف على امساكه عقاباً انما ينفق خوفاً ورياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يشتقد ان الذي ينفق في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الاخوفاً من المسلمين او مسأاة لهم ولم يرد بذلك الاتفاق وجهه الله وثوابه (ويتربص) يعني وينظر (بكم الدوائر) يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه اي تأتي مرة بالحر وسرة بالشرقال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان هو الرسول ونظير المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل يتقلب عليهم الزمان ويد السوء واللا والخزنهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما سرهم والله سميع (يعني لا قولهم) عام (يعني بما يخفون في ضمائرهم من الاتفاق) والارادة السوء لا تؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب أسد وخطان وتميم (الله عز وجل فقال تبارك تعالی) ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر (قال مجاهد هم بنو معدن من خزاعة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال

غيرهم (وانجدر) احري أيضاً (الاملوا) حدود ما نزل الله (على رسوله) في الكتاب (والله عام) للمنازين (حكيم) احكم عليهم باله ربه وقال عام

يجعل من ترك العلم حكيم (من لا يعلم العلم يكون جاهلاً) (ومن الاعراب) يعني أسد وخطان (من) (رسول) يتخذ) بحسب ما نفي في الجاهل (نيا) غرماً (ويتربص) ينظر (بكم الدوائر) الموت والهلاك (علمهم دائرة السوء) منقلبة السوء وطاقة السوء (والله سميع) اتقاهم (علم) سمعوتهم (ومن الاعراب) مريضة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر

ويعتقد ما يتفق قربات عند الله **﴿ سبب قربات وهي أن مفعولي يتخذ وعند الله صفتها وظرف ليتخذ ﴾** وصلوات الرسول **﴿ وسبب صلواته لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للتصدق عليه أن يدعو للتصدق عند أخذ صدقه لكن ليس له أن يصلى عليه كإقال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصب فلان يتفضل به على غيره ﴾** إلا أنها قريبة لهم **﴿ شهادة من الله بصحة مستقدم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنييد وان المحققة للنسبة والضمير لثقتهم وقرأ ورش قريبة بضم الراء ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ وعدلهم بأحاطة الرحمة عليهم والسين تحقيقه وقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ ثقرر به قيل الاولى في اسد وغطقان وبين تيمم والثانية في عبدالله ذي الجهادين وقومه ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين ﴾ هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدر أو الذين اسلموا قبل الحصرة **﴿ والانصار ﴾** واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل بيعة العقبة الثانية**

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الامرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعنا بكم سراق المحجج من أسد وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأت ان كان أسد وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطقان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالما الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية لها ما نألم أهلها لكن الله تالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قریش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى لنس لهم مولى دون الله ورسوله **﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ويتخذ ما يتفق قربات عند الله ﴾** جمع فربة أي طلب بما يتفق القربة الى الله تعالى **﴿ وصلوات الرسول ﴾** معنى ورغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومعه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى **﴿ إلا انها قريبة لهم ﴾** يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الاتفاق وكلامها قريبة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفسه قربات عند الله وصلوات الرسول له من الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنييد وهو قوله تعالى أو بحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قريبة لهم **﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾** وهذه النعمة هي اقصى ساداتها **﴿ ان الله غفور رحيم ﴾** في سلسله **﴿ رحيم ﴾** ذر - ث

صل على آل أبي أوفى (الأنها) ان الفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفعه قربات وصلوات وتصديق لرجائهم على طرق الاستئناف مع حرف التنييد وتحقيق المؤذنين نبات الاسر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله في رحمته) جنته وما في السبب من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه يمكن اذا خاست النية من صاحبها (ان الله غفور) يسترعيب الخلل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفا لهم (من المهاجرين) يبين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدر أو بيعة الرسول (والانصار) والالاننا (ويتخذ ما يتفق في الجهاد) قربات عند الله قربة الى الله في الدرجات (وصلوات الرسول) دعاء الرسول (الأنها) معنى

الله في رحمته (ق) (ان الله غفور) مجاوز (رحيم) لمن تاب (والسابقون الاولون من المهاجرين والالاننا) الذين

وكانوا سبعين والدين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقر
 اخذت العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وداية وابن سيرين وجاء
 هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاه بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة
 الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظى هم جميع الصحابة
 لانهم حصل لهم السبق بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جدي بن زياد قلت يوما
 لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهابت منهم
 وارتدت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميع محسنهم ومسيئتهم ووجب لهم الجنة في كتابه
 فقاتله في أى موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحان الله ألا تقرأ والسابقون الاولون
 الى آخر الآية فوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم زاد في رواية اخرى
 قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهى ان يتبعوهم في اعمالهم
 الحسنه دون السيئة قال جده فكأنى لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في اول الناس
 اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال بعض العلماء اول من آمن بعد خديجة على بن ابي طالب وهذا قول حماد بن
 عبد الله ثم اختلفوا في سنة وفات اسلامه فقيل كان ابن عشرين سنة ومن ذلك من قبل
 أكثر وقبل كان بالغوا الصحيح أنه لم يكن بالغ وقت اسلامه وقال بعضهم أو من أسلم بعد خديجة
 أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعي وقال الزهري وعروة بن الزبير
 أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه
 ابن ابراهيم الخنظلى يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن
 النساء خديجة ومن الصبيان على بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله
 عنهم مهؤلاء اربعة سابق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحاق فلما أسلم أبو بكر أسلم
 ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا حيا سهلا وكان أنسقة من انفس واعلماء انا
 فباوكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال فومه ما توند وبالفره
 اهدا وحسن مجالسه فحمل بدعوى الى الاسلام من حقه من وجهه فاسلم على يده عثمان بن
 عفان والرصد بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص طلحة بن عبيد
 بن عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصابوا معه هؤلاء المرءات
 اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون
 من الاسرار من الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الفداء ومن الذين
 وكانوا من نضر (٣) أسد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك والاسحان وذكوان
 و حارث بن عبد الله بن ابي ثمامة ثم اصحاب العقب الثلاثة من العام المقبل وكان رابي عذر
 ريبلا أ ١٠٠ القضاة الثلاثة كانوا اصحاب جلائم البراءة بن عمرو وداية بن عمرو بن ابي
 بن عمرو بن ابي ابي رباح بن عبد الله بن ابي رباح بن عبد الله بن ابي رباح بن عبد الله بن ابي رباح
 ر ١٠٠ الى الله يا ايها الناس يا ايها الناس يا ايها الناس يا ايها الناس يا ايها الناس

عطف على المهاجرين أى
 ومن الانصار وهم أهل
 بيعة العقبة الاولى وكانوا
 سبعة نفر وأهل العقبة
 صلوا الى قبلتين وشهدوا
 بدر

(٣) قوله عن المرءود ما
 حسه والسادسة من عامر
 كافي المواهب قوله في الهامس
 سعة تبعه الكساف وهو
 مخالف لما في المواهب وماها
 اه

اتبوهم باحسان)
 من المهاجرين والانصار
 فكانوا سائر الصحابة وقبل
 هم الذين اتبعوهم بالايمان
 والطاعة الى يوم القيامة
 والحيد (رضى الله عنهم)
 باعمالهم الحسنة (ورضوا
 عنه) بما أفاض عليهم من
 نعمه الدينية والدنيوية
 (وأعد لهم) عطف على
 رضى (جنات تجري تحتها
 الانهار) من تحتها مكي
 (خالدين فيها أبدا ذلك
 الفوز العظيم ومن حواكمكم
 بعد ذلك حول بادتكم وهي
 المدينة) من الاعراب
 منافقون) وهم جهينة

(والذين اتبعوهم
 باحسان) بأداء الفرائض
 واجبات المعاصى الى يوم
 القامة (رضى الله عنهم)
 باحسانهم (ورضاعته)
 بالثواب والكرامة
 (وأعد لهم جنات) ساتين
 (تجري تحتها) من تحت
 شجرها وماكنها
 (الانهار) أنهار الماء والحر
 والصل والابن (خالدين
 فيها) مقيمين فى الجنة
 لا يرتون ولا يخرجون منها
 (أبدا ذلك) الرصوان
 والجنان (الفوز العظيم)
 النبوة الواقعة ر ربح
 حواكمكم من الاعراب)
 أعدو وعطفان (منافقون

بالرفع عطفا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين
 من النبيين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضى الله
 عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿ ورضواعته ﴾ بما أفاض من نعمته الدينية
 والدنيوية ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار
 كما هو فى سائر المواضع ﴿ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ﴾ وعن حولكم ﴿ أى وعن
 حول بلدتكم بمعنى المدينة ﴾ من الاعراب منافقون ﴿ هم جهينة ومزينة واسلم

يدخل خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قل أن ياجر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
 والذى يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين عاذا سبقه وابقى اللفظ مجالا
 فلماتم تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف
 اللفظ الجمل البه وهو الهجرة والنصرة والذى يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة
 ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والمشير وكذا
 النصره فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصرروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوه فلذلك أنى الله عز وجل عليهم
 ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ توله
 عز وجل ﴾ والذين اتبعوهم باحسان ﴿ قيل هم بنية المهاجرين والانصار سوى
 السابقين الاولين فملى هذا القول كون الجمع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل
 المهاجرين والانصار فى الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين
 يذكرون المهاجرين والانصار فترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق)
 عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
 ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد نذرته قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد
 الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفى رواية أحدكم
 أففق مثل أحد ذهب ما بلغ مدأ حدهم ولا نصيفه أراد بالقرن فى الحديث الاول أصحابه
 والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا فى مدته من الزمان فقيل من
 عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور فى الحديث
 الثانى هو ربع صاع والصيب نصفه والمعنى أو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر
 والانفاق فى سبيل الله ما بلغ هذا القدر السير التافه من أعمال الصحابة وانفاتهم لانهم
 أنفقوا وبنوا لله ودفى وقت الحاجة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ رضى الله عنهم ورضوا
 عنه ﴿ يعنى رضى الله عن أعمالهم ورضواعته بما حازهم عليها من الثواب وهذا اللفظ
 عام يدخل فيه كل الصحابة ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك
 الفوز العظيم ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن حولكم من الاعراب منافقون ﴾ ذكر
 جماعة من المفسرين الماضين السبعين والى حدى وابن ابراهيم من الاعراب مزينة

وأسلم وأشجع وغفار كانوا { الجزء الحادي عشر } نازلين حولها ﴿ ١٨٦ ﴾ (ومن أهل المدينة) عطف على-

وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ عطف عن بمن حولكم
أواخر المحذوف صفته ﴿ مردوا على النفاق ﴾ ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفوني
وعلى الاول صفة للمناققين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان
تمزجهم وتمهرهم في النفاق ﴿ لا تعلمهم ﴾ لا تعرفهم باعتبارهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وثوقهم
في نحاسي مواعظهم الي حد اخفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿ نحن
نعلمهم ﴾ ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يابسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا
﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ بالفضيحة والقتل أو بإحدهما وعذاب القبر أو بإخذ الزكاة ونكح
الابدان ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ الى عذاب النار

وجهمية وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب
مناققون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبل ومدحهم
فان صح نقل المفسرين فيحصل قوله سبحانه وتعالى ومن حولكم من الاعراب مناققون
على التليل لان لفظة من التبعض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الأكثر
والاغلب وهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما
الطبرى فانه أطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية
من النجوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب مناققون ومن على مدينتكم
أيضا أمثالهم أقوام مناققون وقال البغوي ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ من الاوس والخزرج
مناققون ﴿ مردوا على النفاق ﴾ في تقديم وتأخير تقديره ومن حولكم من الاعراب
ومن أهل المدينة مناققون مردوا على النفاق يعني سرنوا عليه يقال تمر فلان على ربه
اذاعة او تجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي سرن وثبت عليها وأدها ولم يثبت
منها قال ابن اسحق لجواقيه وابوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا ﴿ لا تعلمهم ﴾
يعني أنهم بانفوا في النفاق الى حيث أنك لا تعلمهم بالمجد مع صفاء خاطرهم واطلاعهم على الاسرار
﴿ نحن نعلمهم ﴾ يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾
اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر
بدليل قوله ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ وهو عذاب النار في الآخرة ثبت بهذا
انه سبحانه وتعالى يعذب المناققين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة
أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم
خطيبا في يوم حجة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فخرج
من المسجد أنا وساقضهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا
القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلم الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال
لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال بجاهد هذا العذاب الاول هو التل والسبي
وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنامير بما يقتلوا ولم
يسبروا عن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي

والمبتدأ الذي هو بمن حولكم
والمبتدأ مناققون ويجوز
أن يكون جلة معطوفة على
المبتدأ والخبر اذا قدرت
ومن أهل المدينة قوم
(مردوا على النفاق) أي
تمهروا فيه على أن مردوا
صفة موصوف محذوف
وعلى الوجه الاول لا يخلو
من أن يكون كلاما مبتدأ
أو صفة للمناققون فصل بينها
وبينه بمعطوف على خبره
ودل على مهارتهم فيه بقوله
(لا تعلمهم) أي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
فراستك لفرط تنوعهم
في نحاسي ما يشككك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله
ولا يطاع على سرهم غيره
لانهم يطنون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهرا المخلصين
من المؤمنين (سنعذبهم
مرتين) هما القتل وعذاب
القبر أو الفضيحة وعذاب
القبر أو أخذ الصدقات
من أموالهم ونكح أبدانهم
(ثم يردون الى عذاب
عظيم) أي عذاب النار

ومن أهل المدينة) عبدالله
ابن أبي واحسانه (مردوا)
ثبتوا وجموا (على النفاق)
لا تعلمهم (لا تعلم نفاقهم
(نحن نعلمهم) نعلم نفاقهم

(سنعذبهم مرتين) مرة عند قبض ارواحهم ومرة في القبور (ثم يردون الى عذاب عظيم) عذاب جهنم (الدبيلة)

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ ولم يمتدروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغتهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرأهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسما أن لا يخلوا أنفسهم حتى تعلمهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى

الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بالهاجراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تبهم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودنولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجبرهم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردن الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا لقول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد واللاواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلما نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويسد لنا فربطوا أنفسهم في سواري المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم منهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فهاهنا والله ان لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبا عنى وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فاسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلقتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت

(وآخرون) أي قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) أي لم يمتدروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كثيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بانهم بنس ما فعلوا فادمن وكانوا عشرة فسيعة منهم لما بلغتهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت طادته كما قدم من سفر فرأهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسما أن لا يخلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا اقسم أن لا احلهم حتى اومر فيهم فقتلت فاطقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلقتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من أموالكم شيئا فنزل خذ من أموالهم صدقة

(وآخرون) ومن اهل المدينة قوم آخرون وديعة ابن جذام الانصاري وابو لبابة بن عبد المنذر الانصاري وأبو ثعلبة (اعترفوا) أقروا (بذنوبهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك

او امر فيهم فزلت فاطمتهم ﴿ خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴾ خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو الخلف ومواقفة اهل النفاق والواو اما بمعنى البهت كفى قولهم بهت الشاء

هذه الآية في أبى لبابة خاصة واختافوا في ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت في أبى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا امل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمك سبعاً أمام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرم قشياً عليه ما نزل الله هذه الآية فقل له قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يماني فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبنى اراهم جردار قومى التى أصبت فيها الذنب وان أخلع من مالى كد صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزئك الثلث يا أبى لبابة قالوا جيعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان افظة من تقتضى النعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوز الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم أقرؤا بذنوبهم وقده دقيقة وهى انهم لم يستدروا عن تخلفهم باعذار باطلة كثيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب وانعزم على تركه فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴾ قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الفزوات والسيئ هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وفيل ان العمل الصالح بجمع أعمال البر والطاعة والسيئ ما كان ضده على هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن أبى عثمان قال ما فى القرآن آية أرجى عنى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخارطا فاخلولك به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خاطئه فاعلم بحسن فى الموضع الذى يخرج كل واحد من الخاطئين بالآخر وبثبوت به عن صفة الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخالطت الماء واللبن فتتوب الواو عن البهت فكون معنى الآ بدعى هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيناذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع الطاق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل معا بنى كل واحد منهما على حاله كما هو

(خلطوا عملا صالحا)
خروجوا الى الجهاد (و آخر سيئا) تخلفا عنه والتوبة والاثم وهو من قولهم بهت التسماء شاة ودرهماى شاة يذرم قالوا و بمعنى البهت لان الواو للجمع والباء للالتصاق فينا سبار أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخروط به كقولك خاطت الماء واللبن نريد خاطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خاطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا باللبن مخلوطا به واذا فاتته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانت خاطت الماء باللبن

(خلطوا عملا صالحا) خرجوا مع النى صلى الله عليه وسلم مرة (و آخر سيئا) تخافوا

شاة ودرهما أولدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه ﴿ خذ من اموالهم صدقة ﴾ روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فزت ﴿ تطهرهم ﴾ من الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتهمرهم بالجزم جوا باللام ﴿ وتزكيتهم بها ﴾ وتمي بها حسناتهم وترفعهم الى

مذبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تبيينه على في القول بالمحاطبة وأنه يبقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر فليس الاجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء باللبن كالتول جمت زيد او عمرا والواو في الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لاحقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ قال ابن عباس وجهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فاعلم ان يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى هنا تقييد الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عايشه بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها ﴿ قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابابة وصاحبه انطلق ابوبابة وصاحبه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا موالتنا وصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئا منها حتى أومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد ابن جبيرة وتادة والضحاك ثم اختتم العطاء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الركاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذوا الركاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الركاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا تدوان تكون منتظمة

واللبن بالماء (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من اموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة واتاء الخطاب أولوية المؤنث والثناء في (وتزكيتهم) للخطاب لاحالة (بها) بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الاتماء والبركة

مرة (عسى الله) وعسى من الله واجب (ان يتوب عليهم) ان يتجاوز عنهم (ان الله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة ثم بين للنبي صلى الله عليه وسلم ما يأخذ من اموالهم لقولهم خذ من اموالنا ما تخلفنا عن غزوة تبوك لقبول الاموال فليأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين الله له فقال (خذ من اموالهم) اموال المتخلفين (صدقة) ثلثا (تطهرهم) من الذنوب (وتزكيتهم بها) تصليحهم بها

منازل المخلصين ﴿ وصل عليهم ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والا ستغفر لهم

متناسبة فلو جعلناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها
ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزلها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول
الاخير فالهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا
وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حجب المال أسروا باخراج الزكاة التي هي طهرة
فلا أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم
فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا
صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكاة أو لى ثم
في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة اخطاب فيه لنى صلى الله
عليه وسلم أى خذ يا محمد من أموالهم صدقة كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم
أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة فيجوز للامام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء
ويدفعها الى الفقراء الحكم الثانى قوله من أموالهم واقظة من تقضى التبييض وهذا البعض
المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فليبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدرها وصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة
يفيد العموم فوجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الزكاة الحكم الرابع ظاهر
قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها
الامن البالغ دون الصى فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصى وهذا قول
أبي حنيفة ثم أحاب أصحاب الشافعى بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم
مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه خذ يا محمد من
أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثانى أن يكون تطهرهم
متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة
مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ
وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى
وتركهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم
تلك الصدقة وتركهم أنت جها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتركهم
ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتركهم أنت بواسطة تلك
الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتركهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل
المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتركهم أى تنمى أموالهم بركة أخذها
منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ أى ادع لهم واستغفر لهم لان أصل
الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للامام اذا أخذ الصدقة
أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب
على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض
ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطى وقال

في المال (وصل عليهم)
واعطف عليهم بالدعاء لهم
وترجم والسنة ان يدعو
المصدق لصاحب الصدقة
اذا أخذها .

(وصل عليهم) استغفر لهم
وادع لهم

(بعضهم)

﴿ ان صلواتك سكن لهم ﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجسمها تعدد المدحولهم وقرأ جزءة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿ والله سميع ﴾ باعتبار فهم ﴿ عليهم ﴾ بشدائهم ﴿ ألم يعلموا ﴾ الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يعان في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم وللمراد به التخصيص عليهما ﴿ ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ اذا صحت وتمديته بمن تضمنه معنى التجاوز ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدى بدله

بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويبدل عليه ماروي عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأما أبو أوفى في صدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان صلواتك ﴿ وقرئ صلواتك على الجمع ﴾ سكن لهم ﴿ يعني أن دعاءك رجلة لهم وقال ابن عباس طمأينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم ﴿ والله سميع ﴾ يعني لا قوالهم أولدعائكم لهم ﴿ عليهم ﴾ يعني بنيتهم ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ هذه صيغة استفهام الا أن المقصود مند التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصه وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فبالهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لافرق بين عن عباده ومن عباده ذالافرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تيشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ويأخذ الصدقات ﴿ يعني يقبلها ويتيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الآخذها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيينه وان كانت ثمرة فتربوي كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولاية سل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى

(ان صلواتك اي صلواتك كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة كثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائكم أو سميع لاعترا فهم بذنوبهم وذنوبهم (عليهم) بما في ضمائرهم من الندم والنم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (ويأخذ الصدقات) اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص أي ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها

(ان صلواتك) استغفارك ودعائك (سكن لهم) طمأينة لقلوبهم بان تقبل توبتهم (والله سميع) لقاتهم خذنا أموالنا (عليهم) بتوبتهم ونيتهم (ألم يعلموا) ان الله هو يقبل التوبة عن عن عباده (من عباده) ويقبل الصدقات

فأصدوه بها ووجهها إليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بفتح الواو والظنون (الرحيم) لهؤلاء التائبين (اعلموا فسر)
الله عليكم ورسوله والمؤمنون (الجزء الحادي عشر) أي فإن علمكم لا يخفى ﴿١٩٢﴾ خيرا كان أو شرًا على الله وعباد

﴿ وان الله هو التواب الرحيم ﴾ وان من شأنه قبول توبة التائبين والفضل عليهم ﴿ وقل اعلموا ﴾ ما شئتم ﴿ فسيري الله عليكم ﴾ فانه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرًا ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ فانه تعالى لا يخفى عنهم كارأيتهم وتبين لكم ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه ﴿ وآخرون ﴾ من المختلفين ﴿ مرجون ﴾ مؤخرون أي موقوف امرهم من أرجائه اذا اخرته وقرأ نافع وجزء والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لقتان ﴿ لاسر الله ﴾

يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لاحدكم كما يري أحدكم فلوه حتى القيمة لتعير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وبأخذ الصدقات وعسى الله الربوا ويرى الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المنصديق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فزبروا أي تكبر يقال زبر الشيء يربو اذا زاد وكبر والقول بضم الفاء وقصها لقتان المهرول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى أن يتفصل عنها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان الله هو التواب الرحيم ﴿ تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وينبئهم بان الله هو التواب الرحيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقل ﴿ أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين ﴿ اعلموا ﴾ بعنى الله بطاعته وأداء فرائضه ﴿ فسيري الله عليكم ﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يري اعمالكم ويجازيكم عليها ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ يعنى ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا ما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله إياه على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين ورض المذنبين ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرهم وعلائكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم ﴿ فينبئكم ﴾ أي فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى في الدنيا من خيرا وشر فيجازيكم على اعمالكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وآخرون مرجون ﴿ أي مؤخرون والارجاء التأخير ﴿ لاسر الله ﴾ يعنى لحكم الله فمهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المختلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذى مردوا على النفاق واستمروا عليه = والقسم الثاني التائبون وهم الذى سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لاسر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة

كارأيتهم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى انه لما نيت عابهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالاس من لا يكلمون ولا يكلمون ولا يكلمون فالفهم فزلت وقوله تعالى فسيري الله وعيد لهم ونحذر من طاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لاسر الله) غيرهم زمدنى وكوفى غيراى بكر مرجون غيرهم من أرجيته وأرجائه اذا اخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المختلفين موقوفون الى أن يظهر (وان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (وقل لهم يا محمد اعلموا) خيرا بعد التوبة (فسيري الله عليكم ورسوله) ويرى الله ورسوله (والمؤمنون) ويرى المؤمنون (وستردون) بعد الموت (الى عالم الغيب) ما غاب عن الراء ويقال

ما يكون (والشهادة) ما عمله اليا دوقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (فآخرون) (واخرون) وعموم آخرون من أهل المدينة كتب بن مالك وحرارة بن الربيع وهلال أمية (مرجون لاسر الله) موقوفون عموسون

أمر الله فيهم (أما يئذ بهم) أن أصروا ولم يوبوا (وأما يتوب عليهم) أن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليهم) برجائهم (حكيم) في أراجهم وأما اللشك وهو راحع إلى العباد أي خافوا عليهم المذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسألوا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى وأظهار الجزع والنم فلما علوا أن ﴿ ١٩٣ ﴾ أحدا لا ينظر إليهم { سورة برامة } فوضوا أمرهم إلى الله

وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ونهم الذين اتخذوا الذين يتغيروا ومدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى حازيناهم روى أن بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بشوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأنهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا بنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاؤونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا لئن صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لئذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصل لنا فيه فقال

في شأنهم ﴿ أما يئذ بهم ﴾ أن أصروا على النفاق ﴿ وأما يتوب عليهم ﴾ أن تابوا والذيد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى ﴿ والله عليهم ﴾ بأحوالهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعل بهم وقضى ﴿ والله غفور رحيم والمراد هؤلاء كعب ابن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسألوا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم ووضوا أمرهم إلى الله فرحهم الله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ﴾ عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أى وفين وصفوا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عباس بن عمرو بن عوف ﴿ ضارا ﴾ مضارة للمؤمنين روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما اتوه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لئذى الحاجة والعلة والليله المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذ مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا مالك بن الدخشم وممن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذوا مكانه كناسة ﴿ وكفرا ﴾

قبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع وسأنى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفقر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أما يئذ بهم ﴾ واما يتوب عليهم ﴿ يعنى أن أمرهم إلى الله تعالى ان شاء عنهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم ﴾ والله عليهم ﴿ يعنى بما فى قلوبهم ﴾ حكيم ﴿ يعنى بما يقضى عليهم ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا ﴾

انى على جناح سفروا إذا قدمنا من تبوك (قا و خا ٢٥ لث) ان شاء الله صلينا فيه فلما قتل من غزوة تبوك سأله آتيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة وممن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد لظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضارا) مفعوله وكذا ما بعده أى مضارة لاختوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا)

أنفسهم لأمر الله (أما يئذ بهم) يخافهم عن غزوة تبوك (وأما يتوب عليهم) تجاوز عنهم تخلفهم (والله عليهم) توبتهم وتخلفهم (حكيم) فما حكم عليهم (والذين اتخذوا) بنوا (مسجد) عبد الله بن أبى وجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعة عشر رجلا (ضارا) مضرة للمؤمنين (وكفرا) فى قلوبهم

وتقوية للكفر الذي يظرونه ﴿ وتفرقنا بين المؤمنين ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء ﴿ وارصادا ﴾ ترقبا ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر يحنوه يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو يتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينفق هؤلاء بالخفاف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا

نزلت في جماعة من المناققين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخدام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وملبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجع وزيد ومتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الاذرعر ونبتل بن الحرث وبيجاد بن عثمان وبمخرج بنوا هذا المسجد ضاررا بنى مضارة للمؤمنين وكفراي بنى ليكفروا فيه بالله ورسوله ﴿ وتفرقنا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يضارون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انافد بنا مسجدا لذى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشامية وانا محب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أينناكم فصلينا فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ من قتل ﴾ يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء تقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غربيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين

وتقوية للنفاق (وتفرقنا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فاردوا ان يفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو عمل غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق

ثباتا على كفرهم يعني النفاق (وتفرقنا بين المؤمنين) لكي يصلى طائفة في مسجدهم وطائفة في مسجد الرسول (وارصادا) انتظارا (لمن حارب الله ورسوله) لمن كفر بالله ورسوله (من قبل) من قبلهم أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا

على جناح سفروا إذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فتزلت ﴿ وليلحن ان اردنا
الاحسن ﴾ ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر
والتوسعة على المسلمين ﴿ والله يشهدانهم لكاذبون ﴾ فى حلقهم ﴿ لاتقم فيه ابدا ﴾

(ويلحن) كاذبين
(ان اردنا الاحسن)
ما اردنا ببناء هذا المسجد
الا الخصلة الحسنى وهى
الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المسلمين (والله يشهد
انهم لكاذبون) فى حلقهم
(لاتقم فيه ابدا) للصلاة

(ويلحن ان اردنا) ما اردنا
ببناء المسجد (الاحسن)
الا الاحسان الى المؤمنين
لكى يصلى فيه من فاته صلاته
فى مسجد قباء (والله يشهد
بهم انهم لكاذبون) فى حلقهم
(لاتقم فيه) لاتصل فى مسجد
الشقاق (ابدا)

وسماه الناس ابا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي
صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك
الى يوم حنين فلما انتهزت هوازن ينس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل
الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فأتى ذاهب الى قصر
ملك الروم فاتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجدا الضرار الى جنب مسجد
قباة فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظار لمن حارب الله ورسوله يعنى ابا عامر
الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان ابا عامر الفاسق حارب الله
ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ ويلحن ﴾ يعنى الذين بنوا المسجد
﴿ ان اردنا ﴾ يعنى ما اردنا ببنائه ﴿ الاحسن ﴾ يعنى الا الخصلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين
والتوسعة على أهل الضعف والجزع عن الصلاة فى مسجد قباة أو مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم ﴿ والله يشهدانهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قلوبهم وخلفهم روى أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بنى أوان وهو موضع قريب من المدينة
فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدا بقبيصه ليلبسه ويأتيهم فأرسل الله هذه الآية
وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن
الدخشم ومعن بن عدي وياسر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط
مالك بن الدخشم فقال مالك أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ
من سفن النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فاحرقوه
وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع
كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غربيا وحيدا
وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباة أتوا عمر بن الخطاب فى خلافته
فسألوه ان يأذن لجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو
امام مسجد الضرار قال جمع يا أمير المؤمنين لاتجعل على فؤاد الله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم
ما أضمر وأعلمه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئاً للقرآن وكانوا شيوخا
لا يقرؤن فصليت بهم ولأحسب الا أنهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما فى أنفسهم فمذره
عمر فصدقه وأمره بالصلاة فى مسجد قباة قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار
أمر المسلمين ان يبذروا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا فى موضع واحد مسجدين يضار
أحدهما الآخر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لاتقم فيه ابدا ﴿ قال ابن عباس معناه
لاتصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصل فى مسجد الضرار

للصلاة ﴿مسجد أسس على التقوى﴾ يعني مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم لقول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال
 هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿من أول يوم﴾ من أيام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله
 لمن الديار بقنة الحجر • اقوين من حجج ومن دهر

﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أولى بأن تصلي فيه ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من المعاصي والخصال

﴿مسجد أسس على التقوى﴾ اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد
 أسس يعني بنى أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل ﴿من أول يوم﴾
 يعني من أول يوم بنى ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى ﴿أحق أن تقوم فيه﴾
 يعني مصليا واختافوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو
 سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويبدل عليه
 ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت
 بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصي
 فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
 على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي
 ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
 قوائم منبري هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي وقوله روايت يعني ثوابت يقال رتب
 بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير
 وقادة انه مسجد قباء ويبدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون
 ان يتطهروا والله يحب المطهرين ويبدل على انهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال
 نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا
 يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث غريب
 هكذا ذكره صاحب جامع الاصول برواية ابى داود والترمذي موقوفا على ابى هريرة
 ورواه البغوي من طريق ابى داود مرفوعا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
 كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذا الآية وما يبدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر
 قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبا وما شيا زاد في رواية فيصلى فيه
 ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وما شيا
 وكان ابن عمر يفتله أخرجه الرواية الأولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية
 البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد
 مسجد قباء فيصلى فيه كان له كمدل عمرة أخرجه النسائي عن اسد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى ﴿فيه رجال
 يحبون أن يتطهروا﴾ يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين
 قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده

(مسجد أسس على التقوى)
 اللام للابتداء وأسس
 تمت له وهو مسجد قباء
 أسسه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وصلى فيه أيام
 مقامه بقباء وهي يوم
 الاثنين والثلاثاء والاربعاء
 والخميس وخرج يوم الجمعة
 أو مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بالمدينة
 (من أول يوم) من أيام
 وجوده قبل القياس فيه
 مدلانه لابتداء النجاسة
 في الزمان ومن لابتداء
 النجاسة في المكان والجواب
 ان من عام في الزمان
 والمكان (أحق أن تقوم
 فيه) مصليا (فيه رجال
 يحبون أن يتطهروا)

مسجد) وهو مسجد قباء (أسس
 على التقوى) بفي على طاعة
 الله وذكره (من أول يوم)
 دخل النبي صلى الله عليه
 وسلم المدينة ويقال أول
 مسجد بنى بالمدينة (أحق)
 أصوب (ان تقوم) تصلي
 (فيه) في مسجد قباء (فيه)
 رجال يحبون أن يتطهروا)
 ان يفسلوا اديارهم بالماء

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا مؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادة فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانما هم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم ﴿١٩٧﴾ قال اترضون على البلاء {سورة براءة} قالوا نعم قال اترضون

في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا مشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله ايهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خيراً من أسس بنيانه على شفا جرف) وهذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه

(والله يحب المطهرين)

بالماء من الادناس (أفمن أسس بنيانه) على طاعة الله وذكره (ورضوان) بنوا ارادة رضوان ربهم وهو مسجد قباء (خيراً من أسس بنيانه) بنى أساسه وهو مسجد الشقاق (على شفا جرف) على طرف هوى وليس له أصل (هار) نار

المذمومة طلباً لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنهم من جنابه تعالى ادناه المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام مؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانما هم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام اترضون على البلاء قالوا نعم قال اترضون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام انتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا مشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ بنى دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خيراً﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾

عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فاهذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئاً الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يفسلون أدبارهم من الغائط فنسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فاتصنعون قالوا اننا نغسل عننا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في التقرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضراب بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالصد من صفاتهم وماذا الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الاسمين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ﴿يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه ﴿خيراً من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ الشفا هو

لوضوحه والمعنى أن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة التماسك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازاً الجزء الحادى عشر { عايناه في التقوى } ١٩٨ والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى

على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها ﴿ فانهار به في نار جهنم ﴾ فأدى به ظوره وقلة استمسكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهاثر في مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بأخباره في النار ووضع في مقابلة الرضوان تنيهاً على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة . وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول . وقرأى اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس بالفتح والمد واسس بالكسر وثلاثها جمع اس وتقوى بالتثنية على ان الالف لللاحق لالتأنيث كتثري . وقرأ ابن عامر وحزة وابو بكر جرف بالتخفيف ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ﴾ بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس يجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿ ريبة ﴾

الشفير وشفا كل شئ حرفة ومنه يقال أشفى على كذا اذا دأب منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيحفر بالماء فيبقى واهياهار أى هائر وهو ساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي تداعى بهضه في أثر بعض كاهيار الرمل والشئ الرخو ﴿ فانهار به ﴾ يعنى سقط بالباني ﴿ في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيبور بأهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسيحين مسجد الضرار ومسجد القوي مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتاً وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد ببناء تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثاني قصد ببناء الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس سيرهم نفاقهم الى النار وقال فادع الله ما تراه من حق وقع في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبدالله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ﴾ ريبة ﴿

جانبه الذي يتخسر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهاثر وهو المتصدع الذي أشقى على الهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بالف فاعل انما هي عينه وأصله هور فقلت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا دل على حقيقة الباطل وكنه أمره أن أسس بنيانه من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحزة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهاثر مجازاً عن الباطل رشح المجاز فيجى بلفظ الاتهار الذي هو للجرف ولبصوران المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قصرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار

(والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) (يعنى)

(فانهار به) فانهار به يعنى بانيه (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يغفر للمؤمنين ولا يجيبهم (لا يزال بنيانهم) بعد ما هدمت (الذي بنوا ريبة)

في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك و نفاق زائد على شكهم و نفاقهم لما ظاهروا من ذلك وعظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم) شامى وحزة وحفص أى تقطع ﴿ ١٩٩ ﴾ فيهم تقطع { سورة براءة } أى الا ان تقطع قلوبهم قطعا

وتفرق أجزاء فصيتنذ
يسئلون عنه وأما مادامت
سائلة مجنونة فالريبة باقية
فيها متمكنة ثم يجوز أن
يكون ذكر التقطع تصوير
الحال زوال الريبة عنها
و يجوز أن يراد حقيقة
تقطيعها وما هو كائن منه
بقتلهم او فى القبور أو فى النار

أو معناه الا أن يتوبوا توبة
تقطع بها قلوبهم ندما واسفا
على تفریطهم (والله عليم)
بجزائهم (حكيم) فى جزاء
جرائمهم (ان الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بانهم الجنة) مثل الله
اتأتمهم بالجنة على نذلهم
أنفسهم وأموالهم فى سبيله
بالشراء وروى تاجرهم
فاغلى لهم الثمن وعن الحسن

حسرة ندامة (فى قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم)
الا ان يموتوا (والله عليم)
ببنيانهم مسجد الضرار
وبنيانهم (حكيم) فيما حكم
من هدم مسجدهم وحرقة
بشأنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدرجوعه من
غزوة تبوك عامر بن قيس
ووحشيامولى مطعم بن عدى
حتى أحرقاه وهدماه (ان الله

اشترى من المؤمنين) الخالصين (أنفسهم وأموالهم بانهم الجنة) بالجنة

فى قلوبهم ﴿ أى شكوا ونفاقا والمعنى ان بنيانهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزائد نفاقهم فانه
سجلهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم
وازداد بحيث لا يزال وسمه عن قلوبهم ﴿ الا ان تقطع قلوبهم ﴾ قطعا بحيث لا يبقى
لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد
بالقطع ما هو كائن بالقتل أو فى القبر أو فى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب
الى محرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحزة وحفص وقرئ
يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب
ولو قطعت وقطعت على البناء لفا على او المفعول ﴿ والله عليم ﴾ بنيانهم ﴿ حكيم ﴾ فيما
اسر بهم بنيانهم ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ﴾ تمثيل

يعنى شكاً و نفاقاً ﴿ فى قلوبهم ﴾ والمعنى ان ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة
فى قلوبهم لان المناقذين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غماً وحزناً وبغضاً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل اهم كانوا يحسبون انهم محسنون
فى بنيانه كما حجب العجل الى نوح اسرائيل فلما أسر رسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه
بقوا شاكين مرتابين لأى سبب أسر بتخريبه وقاد السدى لا يزال هدم بنيانهم
ريبة أى حرارة وغيظا فى قلوبهم ﴿ الا أن تقطع قلوبهم ﴾ أى تجعل قلوبهم قطعا
وتفرق أجزاء اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم الى
أن يموتوا عليها ﴿ والله عليم ﴾ يعنى باحوالهم وأحوال جميع عبادهم ﴿ حكيم ﴾ يعنى
فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بان لهم الجنة ﴿ الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لرى أن تعبدوه ولا تشركوا به شياً واشترط
لنفسى أن تمنونى بما تمنون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالتنا قال
الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله
شياً هوله فى الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل
ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ايها لكن جرى هذا
مجرى التلطف فى الدماء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله
حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل
فى الدنيا فجعل ذلك استبدالاً واشترائه فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بان لهم الجنة والمراد بائسراء الاموال اتفاقها فى سبيل الله وفى جمع

أنفسا هو خاتمها وأموالها ورزقها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مرشح لانقلبه ولا نستقبله فخرج الى الفزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان عمل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى تارة يقاتلون العدو وطورا يقتلهم { الجزء الحادى عشر } العدو فيقتلون ﴿ ٢٠٠ ﴾ ويقتلون حجة وعلى (وعدا عليه)

لا ثابة الله الإهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ استئناف بيان ما لاجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حجة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لانوجب الترتيب وان فعل البعض قد يستند الى الكل ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فانه في معنى الوعد ﴿ في التورية والانجيل والقرآن ﴾ مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظام المطالب كما قال ﴿ وذلك هو الفوز العظيم التائبون ﴾ رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الحصال

وجوه البر والطاعة ﴿ يقاتلون في سبيل الله ﴾ هذا تفسير لتلك المابعة وقيل فمعنى الامر أى قاتلوا في سبيل الله ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ معنى فيقتلوا أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعد على الله حقا ﴿ في التورية والانجيل والقرآن ﴾ يعنى ان هذا الوعد الذى وعد الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أنته في التوراة والانجيل كما أثبت في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع اهل الملل ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ معنى لأحد أو فى بالهد من الله فاستبشروا ﴿ ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ يعنى فاستبشروا وابعاء المؤمنون بهذا البيع الذى بايعتم الله به ﴿ وذلك ﴾ معنى هذا البيع ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ لان رماح فى الآخرة قال عربن الخطاب ان الله بايعكم وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ التائبون ﴿ قال الفقهاء استؤوب لعل التائبون بالرفع لتسام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير مما ندين ولا قاصدين لنزك الجهاد وهذا وجه حسن فكله وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا الاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى ﴿ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل التوبة من الكفر والنفاق فيه

مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقا) صفته أخبر بان هذا الوعد الذى وعد له المجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبتة (فى التورية والانجيل والقرآن) وهو دليل على ان اهل كل ملة أسروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف المباد قبح لا يقدم عليه الكريم مناه كيم باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانبا بباقي (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابناءكم ثمن الا الجنة فلا يبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون معنى المؤمنين المذكورين او هو

(يقاتلون في سبيل الله) فى طاعة الله (فيقتلون) العدو (ويقتلون) العدو (وعدا عليه) على الله (حقا) واجبا ان يوهبهم (فى التورية)

والانجيل والقرآن (ومن أوفى بعهده من الله) ومن أوفى بوفاء عهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى) (وقيل) بايعتم به) الله يعنى الجنة (وذلك هو الفوز العظيم) الجهاد الوافر ثم بين من هم فقال (التائبون) أى هم التائبون من الذنوب

مبتدأ خبره (المأجورين)

أى الذين عبدوا الله وحده
وأخلصوا له العبادة وما beside
خير بمدخبر أى الثابتون
من الكفر على الحقيقة
الجامعون لهذه الخصال
وعن الحسن هم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤا من
الفاق (الحامدون) على

نعمة الاسلام (السامحون)
السامحون لقوله عليه السلام
سباحة أمتي الصائم وأطية
المسلم لانهم يسيحون في
الارض يطلبونه في مظانه
أو السامحون في الارض
للاعتبار (الراكعون
الساجدون) المحافظون
على صوات (الآسرون
بالمعروف) بالإيمان
والمعرفة والطاعة
(والناهون عن المنكر)
عن الشرك والمعاصي
ودخلت الواو للاشعار
بان السبعة عقدت أمم وللتضاد
بين الأمر والنهي كما في قوله

(العابدون) المطيعون
(الحامدون) الشاكرون
(السامحون) العاصون
(الراكعون الساجدون)
في الصوات الخمس
(الآسرون المعروف)
بالتوحيد والاحسان
(والناهون عن المنكر)
عن الكفر وما لا يرف
في شريعة ولا سنة

وقرى بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين ﴿ العابدون ﴾ الذين
عبدوا الله مخلصين له ﴿ الحامدون ﴾ نعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء
﴿ السامحون ﴾ الصامحون لقوله عليه الصلاة والسلام سباحة أمتي الصوم شبه بها
من حيث انه يسوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع
على خفايا الملك والملايكوت أو السامحون للجهاد أو لطاب العلم ﴿ الراكعون
الساجدون ﴾ في الصلاة ﴿ الآسرون بالمعروف ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿ والناهون
عن المنكر ﴾ عن الشرك والمعاصي والمعاصي والمعاصي فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم
خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى

وقيل الثابتون من جميع المعاصي لان لفظ الثابتين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة
المقبولة انما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القاب عند صدور المعصية وثانيها الدم
على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على
التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع
مذمتهم فليس مخلص في توبته ﴿ العابدون ﴾ يعنى المطيعين لله الذين يرون عبادة الله
واجبة عليهم وقيل هم الذين أو بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون
العبادة خالصة لله تعالى ﴿ الحامدون ﴾ يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال
في السراء والضراء ﴿ روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء
وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنبا وأخرى
﴿ السامحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس هم السامحون قال سفيان بن عيينة
انما سمى الصائم سائحا لركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والسكاح وقال الازهرى
قيل للصائم سائح لان الذي يسبح في الارض متعبدا لآزاد مع فكل مسك عن الاكل وكذلك
الصائم مسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استقرار الذهاب في الارض كالم الذي يسبح
والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السامحون هم الغزاة المجاهدون
في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ائدلى في السياحة
فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة
السامحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وهيل ان السباد لها أثر
عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لا بد أن يلبى أنواعا من الضر والبؤس
ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصلحاء في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من
بركتهم وبرى العجايب وآثار قدرة الله تعالى فيتنكر في ذلك فيدله على وحدانية الله
سبحانه وتعالى وعظيم قدرته ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ يعنى المصلين وانما مر عن الصلاة
بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبما آثر المعلى من غرام في خلاف صلاة
اصيام الراتين ولانها حالة المسلم وعبره الآسرون بالمعروف ﴿ الآسرون بالمعروف ﴾ بالامر بالمعروف والنهي
بالإيمان بالله وحده ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ يعنى السراء بالله والآسرون بالمعروف

﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل ان هذا للايدان بأن التمداد قد تم بالسمع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تمداد آخر مطوف عليه ولذلك تسمى واوالثمانية ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان اعانهم دطاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجعل عن احاطة الاقحام وتعبير الكلام ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك ها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفرك ما لم انه عند فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبراهم ثم قال مستعبدا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر اى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين ﴿ ولو كانوا اولى قربي

نبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أو امره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام ان يستغفر لابي طالب فنزل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربي) أى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته

الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم بأسروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وقمت أبوابها وقبل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآسرون يعنى هم الآسرون بالمعروف والناهون عن المنكر

(والحافظون لحدود الله) لفرائض الله (وبشر المؤمنين) بالجنة (ما كان للنبي) ما حاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان يستغفروا) أن يدعوا (للمشركين لو كانوا اولى قربي) فى الرجم

فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآسرون يعنى هم الآسرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ قال ابن عباس يعنى القائلين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وفلهم المؤدون فرائض الله المشتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيانها عنه ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بشرنا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بان له الجنة وان لم ينزل قوله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربي ﴾ الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والدعى وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب ان حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ايا جهل وعبد الله بن ابي أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لاله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن ابي أمية بن المغيرة أرغب عن ملة عبد المطلب فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضها عايد ويعودان لتلك المعاملة حتى قال أبو طالب

آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي وأنزل الله في أبي طالب انك لا تهدي من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بحكمة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولاً قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من أحبيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفره في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنجع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله انك لا تهدي من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لا قررت به عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعمه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضمضاح من نار يبلغ كعبه تنلى منه أم دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نطيه (ق) عن العباس بن عبد المطاب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضمضاح من نار ولولا أنالكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضمضاح وقال ابو هريرة وريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوق حتى حيت الشمس رجاء ان يأذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبره أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فإرؤى يا كيا أكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما بك قال سررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجراً فابكاني ثم دعا براحتيه فركبها فما سارا لاهنية حتى قامت الناقة لتقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي

من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴿ بأن ما تواعى الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحياتهم فانه طلب توفيقهم للايمان وقد دفع القرض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة
والسلام لآبيه الكافر فقال ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ﴿
وعدها ابراهيم اياه بقوله لا ستغفرون لك اى لا طابن مفترتك بالتوفيق للايمان فانه
يجب ما قبله وينبى عليه قراءة من قرأ اياه او وعدها ابراهيم اياه وهو الوعد بالايمان
﴿ فلما تبين له انه عدو لله ﴾ بأن مات على الكفرى واوحى فيه بانه لن يؤمن ﴿ تبرأ منه ﴾

فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قادة قال الذى صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون
لاى كما استغفر ابراهيم لآبيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال
ذكر لنا أن رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آياتنا
من كان يحسن الجوارى ويصل الارحام ويفك العاقب ويوفى بالدم أفلا نستغفرهم
فتعالى صلى الله عليه وسلم بلى والله لا تستغفرون لآبى كما استغفر ابراهيم لآبيه
فانزل الله عز وجل ما كان للذى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الا انه لم
عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها
اياهم الا انه لم يعذر الله الا عن موعدة وعدها اياه الا عن موعدة وعدها
فقلت له أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك
فذكرت ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فترأت ما كان للذى والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين الا به أخرجه الآتى والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرى وقال
فيه ما نزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له
انه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان يذنب للذى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
وايس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يعذر للمشركين ولا يجوز أن يطاب منه الا اياه
ففيه النبى عن الاستغفار للمشركين واوانوا اولى قرى لان الاستغفار للمشركين عام
يستوى فيه العرب واليهود ثم ذكر الله عز وجل - بل - بل الملع فقال تعالى ﴿ مؤمن
بعد ما تبين لهم انه اصحاب الجحيم ﴾ بسنى بين اهم ما تواعى الكفر على الشرك مهم من
أعمال الجحيم وأيسا مقدمتال سبادا ودالى ار الله لا يعذر أن شرك به والله تعالى
لا يثاب بعد غير ما موله سدا رتعالى ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن
موعدة وعدها اياه ﴿ ما كان طاب ابراهيم لآبيه الموعدة من الله الا من أجل
موعدة وعدها ابراهيم اياه أن يستغفر له وجاء اسلاده على أى طالب رضى الله
تعالى عنه لما أمر الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك يا مفرقا رى سمعت
رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان سمات أدسترا لا وىب رها مشركان فقال
أولم يستغفر ابراهيم لآبيه مايت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله
عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لآبيه
لا ستغفرون لك معنى ان ابراهيم ليس بدوة فى هذا الاستغفار لانه انما استغفر لآبيه
رؤى مشرك اكل الموعدة الذى وعد ان يسلم ﴿ فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ﴾

(من بعد ما تبين لهم
ألهم اصحاب الجحيم) من
بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا
على الشرك ثم ذكر عذر
ابراهيم فقال (وما كان
استغفار ابراهيم لآبيه الا
عن موعدة وعدها اياه)
أى وعد أبوه اياه أن يسلم
أوهو وعد اياه أن يستغفر
وهو قوله لا ستغفرون لك
دليله قراءة الحسن وعدها
أياه ومعنى استغفاره سؤاله
المغفرة له بعد ما سلم أو
سؤاله اعطاه الاسلام
الذى به يغفر له (فلما تبين)
من جهة الوحى (له)
لابراهيم (أنه) ان اياه
(عدو لله) بان يموت كافرا
واقطع رحاؤه عن (تبرأ
منه) وطمح استغفاره

(من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم) اهل النار اى
ما تواعى الكفر (وما كان
استغفار ابراهيم) أى دعاه
ابراهيم (لآبيه الا عن موعدة
وعدها اياه) أن يسلم (فلما
تبين له أنه عدو لله) أى
حين مات على الكفر
(تبرأ منه) ومن دند

قطع استغفاره ﴿ ان ابراهيم لأواه ﴾ لكثيراً التأوه وهو كناية عن فرط ترجمه ورقته قلبه ﴿ حلیم ﴾ صبور على الاذى والجلطة ليسان ماجله على الاستغفار له مع

فعل هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم سأستغفرك زبي يعني اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه وتوكل هذا قوله سأستغفرك ربى ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها اياه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان اياه عدو لله يعني عوته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان اياه عدوله قترأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اياه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لا تمضى فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يجثون فأى خزى أخزى من أبى فيقول الله تبارك وتعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال بابراهيم ما نحت رجلتك فينظر فاذا هو بذبح متعلق فؤخذ بقوائمه فياقى في النار أخرجه البخارى زاد غيره قترأ منه والصدرة عرة ساوها سواد والذئب بنال مجمة ثم ياه مشاة من تحت ثم خاه مجمة هو ذكر الضاع والاتى ذمخة ﴿ وقوله تبارك وتعالى ﴾ ان ابراهيم لأواه حلیم ﴿ جاء في الحديث ان الاواه الحاشع المنضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدماء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن الثواب وقال الحسن وقنادة الاواه رحم بعباد الله وقال مجاهد الاواه المؤمن وقال كعب الاحبار هو الذى يكنز التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول أوه من النار قبل ان لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جببر هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكرمه الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المأوه شققا ومرة المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة وقال الريح انتظم في قول أبي عبيدة جمع ما حل في الاواه وأصله من الأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والعمل به أيره وهو نول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن يحوى الروح داخل القلب ويشد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب لخمف به من مانه من الحزن والشدة وأما الحلیم فصاء ظاهر وهو الصفوح عن سبه أو أمانه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطيف كما فعل ابراهيم بايه حين قال له ان لم تنته لأرجنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفرك ربى وقال ابن عباس الحلیم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الرصفين وهما شدة الرقة والحوف والوجل والشفقة على عباد الله ليعين

(ان ابراهيم لأواه) هو
المأوه شققا وفرقا ومنه
انه لقرط ترجمه ورقته كان
يتعطف على أسه الكافر
(حلیم) هو الصبور على
اللذات الصفوح عن الاذى
لانه كان يستغفر لايه وهو
يقول لارجحك

(ان ابراهيم لأواه) دماء
ويقول رحيم ويقال سيد ويقال
كان يتأوه على نفسه فيقول
أوه من النار قبل دخول
النار (حلیم) عن الجهل

(وما كان الله ليضل
أى ما أمر الله باتقائه
واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما يبي
عنه وبين أنه محظور لا يؤخذ
به عباده الذين هداهم
للإسلام ولا يخذلهم الا اذا
قدموا عليه بعد بيان
خطره وعلمهم بأنه واجب
الاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا وهذا بيان
لعدو من خاف المؤاخذه
بالاستغفار للمشركين
والمراد بما يتقون ما يجب
اتقاؤه للهى فاما ما جعل
بالفعل فهو مؤنوف على
التوقيف (ان الله بكل شى
عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيى ويميت وما
لكم من دون الله من ولى ولا
نصير

(وما كان الله ليضل قوما)
ليترك قوما بمنزلة الضلال
ويقال يبطل عمل قوم
(بعد اذهداهم) للايمان
(حتى بين لهم ما يتقون)
المنسوخ بالسسخ (ان الله
بكل شى) من المنسوخ
والناسخ (عليم ان الله له ملك
السموات) نخزائن
السموات الشمس والقمر
والنجوم وغير ذلك
(والارض) وخزائن
الارض مثل البحار
والدواب والحيوان
وغير ذلك (يحيى)

شكاسته عليه ﴿ وما كان الله ليضل قوما ﴾ أى ليسيئهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
﴿ بعد اذهداهم ﴾ للإسلام ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ حتى بين لهم خطره اي يجب
اتقاؤه وكان بيان عذر للرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل
المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخر ونحو ذلك وفي الجملة
دليل على ان الغافل غير مكلف ﴿ ان الله بكل شى عليم ﴾ فيعلم امرهم في الحالين
﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى
ولا نصير ﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين لو كانوا اولى قربي وتضمن ذلك
وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب
عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه وينبرؤا

سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره
على الكفر فاعتدوا به أنهم في هذه الحالة أيضا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وما كان
الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى وما كان الله يقضى عليكم الضلال بسبب
استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله
وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع
خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ يعنى
ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم النهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا
خرج عليهم في فعله وقبل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار
للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك
فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الابد ان بين لهم ما يجب
علم ان يتقوه ويتكوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة وبيانه لهم في مصيئته وطاعة عامة وقال الضحالة وما كان الله ليمذب فوما حتى
يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في أسرار النسخ وذلك ان قوما
قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأساوا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى
الكعبة ورجعوا الى قومهم هم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى
الكعبة ولا يعلم لهم بذلك ثم قدسوا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت
والقبلة قد سرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره
فمن على ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم يعنى
وما كان الله يبطل عمل قوم قد دعوا بالمنسوخ حتى بين الناسخ ﴿ ان الله بكل شى
عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن
الاستغفار للمشركين ويعلم ما بين لكم من أوامره ونواهيه ﴿ ان الله له ملك السموات
والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها
من ربه وملكه يحكم فيهم بما يشاء ﴿ يحيى ويميت ﴾ يعنى انه تعالى يحيى من يشاء
الايام ويميت عليه ويحيى من يشاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه
من سكره وعييده ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يعنى انه تعالى هو ولىكم

لقد تاب الله على النبي (أي تاب عليه بأذنه للمنافقين في الخلف عنه كقوله عفا الله عنك) والمهاجرين (والانصار) فيه بث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعمله في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر بنقبة العسرة على بسير واحد ومن الزاد تزودوا النمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبأمت بهم الشدة حتى اقتسم القمرة اثنان وربعا صبا الجماعة ليشرخوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفي شدة زمان من جارة القيطون الحذب والتحطط

(لقد تاب الله على النبي) تجاوزاته عن السي (والمهاجرين والانصار) الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرأثم بنرم يقال (الذين اتبعوه) اتبعوا الذين غزوة تبوك (ان

اعاده حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواء ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ من اذن المنافقين في الخلف أو برأهم عن علقه الذنوب كقوله لغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بأنها مقام الانبياء والصالحين من عياده ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر تعقب العسرة على بعب واحد وال زاد حتى قبل ان الرجلين كانا

وانصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم مؤاخذته بأذنه للمنافقين بالخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسة ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرية للمهاجرين والانصار في نعم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسة وللرسول فهو تشرية له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلانهم ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الحواطر والوساوس الفسائية وتمل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وناب عنهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تفديها على علم مراتبهم في الدين وانهم قد بانوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ في تلك غزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل ﴿ في ساعة العسرة ﴾ يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لأنه كان عام العسرة وال زاد ر الماء قال الحسن كان عسرة سم يشرعوا . . . بر راحا

العسرة والشدة وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من بعد الطريق

يقتسمان ثمرة الماء حتى شربوا اللفظ ﴿ من بعد ما كاد تزيف قلوب فريق منهم ﴾
 عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعاث
 عليه الضمير في منهم وقرأ حزة وحفص يزغ بالياء لان تأييث القلوب غير حقيقي
 وقرئ من بعد ما زاعت قلوب فريق منهم يعني المتخالفين ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ تكرير
 للتأكيد وتنيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة أو المراد انه تاب
 عليهم لكي يودتهم ﴿ انه بهم رؤف رحيم ﴾ وعلى الثلاثة ﴿ تاب على الثلاثة ﴾ كعب بن
 مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع ﴿ الذين خلفوا ﴾ تخافوا عن الغزو أو خام
 امرهم فانهم المرجون

باعتقونه بينهم ركب الرجل ساعده ثم نزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس
 والشعب المتخير وكان نفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم اذا بلغ الجوع من
 أحدهم أخذ التمرة فلا كما حتى يجرد طمهما ثم يخرجها من فيه به ليا احبه ثم يشرب
 عما جردت من الماء ويشمل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة
 فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب
 خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش
 شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينهر بسيره فيعصر فرثه فيشربه
 ويجعل ما بقي على كعبه وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن
 ان رقبتة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في السماء
 خيرا فادع الله قال يحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى ارسل الله
 سحابة فطمرت فلما ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت السكر أسنده
 الطبري عن عمر بن الخطاب قوله عز وجل ﴿ من بعد ما كاد تزيف قلوب فريق منهم ﴾ يعني من بعد
 ما تارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم والزغ في اللغة
 الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم
 صبروا واحسبوا واندما على ما خطر في قلوبهم فلا جعل ذلك قال تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ يعني
 انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الا نابة والتوبة فلا قلت فذكر
 التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التوبة ان الله سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر
 الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردف بذكر التوبة سرية
 أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله
 ﴿ انه بهم رؤف رحيم ﴾ تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده
 لانه لم يحمله مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لليب وان تقاربا
 في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرؤفة تكون
 مع الكراهة قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ هذا معطوف على ما قبله
 تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا
 ان بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع وكلهم من الانصار

(من بعد ما كاد تزيف قلوب
 فريق منهم) عن الثبات
 على الايمان أو عن اتباع
 الرسول في تلك الغزوة
 والخروج معه وفي كاد ضمير
 الشأن والجملة بعده في موضع
 التعصب وهو كقولهم ليس
 خلق الله مثله أي ليس شأن
 خلق الله مثله يزغ حزة
 وحفص (ثم تاب عليهم)
 تكرر للتأكيد (انه بهم
 رؤف رحيم وعلى الثلاثة)
 أي وتاب على الثلاثة وهم
 كعب بن مالك وسارة بن
 الربيع وهلال بن أمية
 وهو عطش على النبي
 (الذين خلفوا) عن الغزو
 (من بعد ما كان يزغ)
 عمل (قلوب فريق منهم)
 من المؤمنين المخلصين
 عن الخروج مع النبي
 صلى الله عليه وسلم (ثم تاب
 عليهم) تجاوز عنهم وثبت
 قلوبهم حتى خرجوا مع
 النبي صلى الله عليه وسلم
 (انه بهم رؤف رحيم وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا)
 وتجاوز عن الثلاثة الذين
 خام توبتهم كعب بن مالك
 واصحابه

وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون سرجون لأم الله وفي معنى خلقوا قولان أحدهما أنهم خلقوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب وكان قائداً لكعب من بني حنين عمي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحد أتخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير مياد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جئت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بيدياً ومفاذاً واستقبل عدواً كثيراً فجالا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب قتل رجل يريد أن يتعيب الاظن ان ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها أصعب فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطقت أغدولكي أن تجهز معهم فارجع ولم اقص شيئاً فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم ينزل ذلك تجادى بي حتى استمر الناس الجدا فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقن من جهازي شيئاً ثم عدوت فرجعت ولم أقن شيئاً فلم ينزل ذلك تجادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهمت أن أرتحل نادركم فيا ليتني فعلت ثم لم بقدر لي ذلك قط فطقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لأرى لي أسوة الا رجلاً ممنوعاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئنها هو كذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يا خيشمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزته المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرفي بشي فطلقت أذكر الكذب
وأقول بم أخرج من سخطه خدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهل فلما قيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا زاح عن الباطل حتى عرفته اني ان
أبجونه بشي أبدأ فاجت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا وكان اذا قدم
من سفره بنا بالمسجد فرمحه فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون
فطلقوا يتذرون اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً قبل منهم على بيهم وياهم
واستغفر لهم ووكل سرأثرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المقضب
ثم قال لي تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابنت
ظهيرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند فريك من أهل الدنيا لرأيت اني
سأخرج من سخطه بمذرت قد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت ان حدثت اليوم حديث
كذب ترضى به عن ليوشكن الله أن يسخطك على وثن حدثت حديث صدق تبهج على فيه اني
لا رجو فيه عنى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت
قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبوني فقالوا
لي والله ما علمناك أذبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعترت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اعترت اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله
عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا أحدمي قالوا نعم لقيه معك رجلان
قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا سارة بن الربيع العامري
وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا الى رجلين صالحين قد شهدا بدرا ففيهما أسوة قال
فضيت حين ذكر وهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها
الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تقبروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي
الارض فما هي بالارض التي عرف قلبنا على ذلك خسين ليلة فاما صاحبنا فاستكانا
وقصدا في بيوتهما بيكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد
الصلاة وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا
منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظرا لي واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى
اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو
ابن عمي وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقات يا أبا قتادة أنشدك
يا لله هل تعلم اني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته
فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عينا وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي في سوق
المدينة اذا تبطن من نبط أهل الشام عن قدمي بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب
ابن مالك قال فطلق الناس يشيرون له الى حتى جاءني فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً

فقرأته فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضية فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء قُتِمت بها التور فسجرتة حتى اذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أهل قال لا بل اعزلها ولا تقربها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجمعت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض أهل لواء استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لأستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبت بذلك عشر ليال فأكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من القرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوتهما اياه يبشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقاني الناس فوجا فوجا يهنؤني بالتوبة ويقولون لهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أمن عند الله فقال لا بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سرتار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توتى أن انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بهض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخير قال وقلت يا رسول الله ان الله اتعانا أن نجاني بالصدق وان من توتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث

منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله ووالله ما تمعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوان يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانسار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أ نعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أ رلاً أ كون كذبتة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يخلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلقنا أ يها الثلاثة عن أسرا أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلقوا له فبايهم واستخفروهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فيذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه أ يانا وارجاؤه أمرنا عن حلفه واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام أحد من المخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الاسراف ما من شئ أ هم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يصلى على قال وأ نزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية بامرئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحطكم الناس فيمنونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عاينا أ خرجه البخارى ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله حين توائقنا على الاسلام النوائق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو الناقة القويان على الحمل والسفرة وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلاً بالفوز والنجاة منها قوله فبجلا هو بالتحفيف بمعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهية الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا اليها أصغر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل وقوله وتضارط الغزواى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطلق مثل جعل والمتموص الميب المشار اليه بالسبب يقال فلان ينظر فى عطفيه اذا كان مجباً بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد السراب

﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكليّة وهو مثل لشدة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسمعها أنس ولا سرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلّوا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ من سخطه ﴿ الا إليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والميض بكسر الياء لا بس الياء. قوله كن أبخيثة معناه أنت أبخيثة وقيل معناه اللهم اجعله أبخيثة أي لتوجد يا هذا الشخص أبخيثة حقيقة. قوله الذي لزمه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه. قوله حضرنى نبى البث أشد الحزن كأنه لشدة يظهره قوله زاح عنى الباطل أي زال وذهب عنى وأجتم صدقه أي عزمت عليه لتد أعطيت جدلا أي فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدته ما أردت بما أشاء من الكلام والمنغضب بفتح الضاد هو الغضبان. قوله فما زالوا يؤنبوننى أي بلوموننى أشد اللوم. قوله حتى تنكرت لى في نفسى الأرض فهاهى بالأرض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الأرض وتوحشت على وصارت كأنها أرض لأعرفها. وقوله فاما صاحبى فاستكانا يعنى خضعا وسكنا. قوله تسورت حائط أبى قتادة أي علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزرعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح. قوله قتمت بها التور فسجرت بها أي فقصدت بالصحيفة التى أرسل بها ملك غسان فاحرقها فى التور وبلغ جبل بالمدينة معروف. وقوله وانطلقت أنا ثم يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوچ الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور. قوله انخلع من مالى أي اخرج منه جميعه وأتصدق به كما ينخلع الانسان قيصه. قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاء الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا اطلق كان فى الشر قالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أي أنعم على. قوله أن لا أكون كذبتة هذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لازامة ومعناه أن أكون كذبتة. وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا تأخيره. وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أي يطؤكم ويزدجون عليكم وأصل الوطء الكسر. وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل. وقوله وأذن بتوبة الله علينا أي اعلم والاذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عن وجل ﴾ حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴿ يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴿ وظنوا ﴾ يعنى وأيقنوا وعلّوا ﴿ أن لا ملجأ ﴾ يعنى لا مفزع ولا مقر ﴿ من الله الا إليه ﴾ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ فيه اضممار وحذف

(حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أى مع سخطها وهو مثل الحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسمعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا إليه) وعلّوا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خسران يومنا

(حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴿ وظنوا ﴾ يعنى وأيقنوا وعلّوا ﴿ أن لا ملجأ ﴾ يعنى لا مفزع ولا مقر ﴿ من الله الا إليه ﴾ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

(ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن ابي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعلا والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالتكسب مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن

عنه) ليتوبوا) لكي يتوبوا من تخلفهم (ان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا) عبدالله بن سلام واحبابه وغيرهم من المؤمنين (اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وكونوا مع الصادقين) مع أبي بكر وعمر وأصحابهما في الجلوس والحروج بالجهاد (ما كان لاهل المدينة) ماجاز لاهل المدينة (ومن

بالتوفيق للتوبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أو انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرجة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿ ان الله هو التواب ﴾ لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة ﴿ الرحيم ﴾ المتفضل عليه بالنعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فيما لا يرزاه ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعلا وعرفى من الصادقين أى في توبتهم وانابهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن

تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرجعهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الخلف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لأنه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وأنه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ليتوبوا ﴾ معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويناموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالتهم فتسكن نفوسهم بذلك ﴿ وان الله هو التواب ﴾ يعنى على عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرجة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ يعنى في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى مع أبي بكر وعمر وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئاً ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأ ميرومكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أتمم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الاسراء وأتم الوزراء وقيل مع عني من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما كان لاهل المدينة ﴾ يعنى لساكني المدينة من المهاجرين والانصار ﴿ ومن

حولهم من الاعراب ان يخلصوا عن رسول الله (المراد بهذا النبي وخض هؤلاه بالذکر وان استوى كل
الناس في ذلك لقرينهم منه ولا يفتنى عليهم خروجهم (ولا يرضوا) ولا أن يضنوا) بأنفسهم عن نفسه (عما يصيب نفسه أي
لا يختاروا ابقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أسروا بان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل
حدة (ذلك) التي عن التخلف (بانهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخصة) جماعة (في
سبيل الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئا) ﴿ ٢١٥ ﴾ موطئا { سورة براءة } ولا يدوسون مكانا من أمكنة

الكفار بحوافر خيولهم
واخفاف راحلهم وأرجله
(يقبض الكفار) يقضبه
ويضيق صدورهم (ولا
ينالون من عدو نيلا)
ولا يصيبون منهم اصابة
تقتل أو أسر أو جرح
أو كسر أو هزيمة (الا كتب
لهم به عمل صالح) عن ابن
عباس رضي الله عنهما
لكل روعة سبعون ألف
حسنة يقال نال منه اذا
رزأه وتقصه وهو عام
في كل ما يسوءهم وفيه دليل
على أن من قصد خيرا كان
سعيه فيه مشكورا من قيام
وقعود ومشي وكلام وغير
ذلك وعلى ان المدد يشارك
الجيش في القيمة بعد
انقضاء الحرب لان وطء
ديارهم مما يقبضهم وقد أسهم
النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقبض عاصروا وقد قدمنا بعد
تقضى الحرب والموطئ

حولهم من الاعراب ان يخلصوا عن رسول الله ﴿ عن حكمه لهم عبر عنه بصيغة التثنية للمبالغة
﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ ولا يصونوا انفسهم عالم يصن نفسه عنه ويكابدوا
معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشته
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الضح والريح
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه وسر كالح فمدر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكأنه هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز
الصب والجزم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف
أو وجوب المشايعة ﴿ بانهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ لا يصيبهم ظمأ ﴾ شئ من العطش
﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا مخصة ﴾ جماعة ﴿ في سبيل الله ولا يطؤون موطئا ﴾
ولا يدوسون مكانا ﴿ يقبض الكفار ﴾ يقبضهم وطؤه ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ كالقتل
والاسر والنهب ﴿ الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ الاستوجوابه الثواب وذلك مما يوجب

حولهم من الاعراب ﴿ يعني سكان البوادي من مزينة وجهينة واسلم واسنجع وغفار
وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام ووجهه على العموم أولى ﴾ أن يخلصوا عن
رسول الله ﴿ يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي أي ليس لهم أن يتخافوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يرغبوا ﴾ يعني ولا ان يرغبوا ﴿ بأنفسهم عن نفسه ﴾
يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه
ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبه والجهاد معه في حال الشدة
والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب ﴿ ذلك بانهم لا يصيبهم ﴾
في سفرهم وغزواتهم ﴿ ظمأ ﴾ أي عطش ﴿ ولا نصب ﴾ أي تعب ﴿ ولا مخصة ﴾ يعني
جماعة شديدة ﴿ في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يقبض الكفار ﴾ يعني ولا يضعون قدما على الارض
يكون ذلك القدم سببا يقبض الكفار وغمهم وحزنهم ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ يعني
أسرا أو قتلا أو هزيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا ﴿ الا كتب لهم به عمل
صالح ﴾ يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح

حولهم من الاعراب من
مزينة وجهينة واسلم (أن

يخلصوا عن رسول الله) في النزوة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) لا تكونوا على انفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله
عليه وسلم ويقال ولا يرغبوا بانفسهم بصحبة انفسهم عن نفسه عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد (ذلك) الخروج
(بانهم لا يصيبهم ظمأ) عطش في الذهاب والجيء (ولا نصب) ولا تعب (ولا مخصة) ولا جماعة (في سبيل الله) في الجهاد
(ولا يطؤون موطئا) لا يجوزون مكانا يظهرن عليه (يقبض الكفار) بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) قتلا وهزيمة
(الا كتب لهم به عمل صالح) ثواب عمل صالح في الجهاد

المتابعة ﴿ ان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعطيل لكتب وتبيده على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلا تهم في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب مداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولو علاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ في سيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ الا ثبت لهم ذلك ﴿ ليجزيهم الله ﴾ بذلك ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ جزاء احسن اعمالهم أو احسن جزاء اعمالهم

قد ارقتاه لهم وقبل منهم ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قدا حسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد ما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الازواجي وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون في هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وتقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لاتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لانا لوسوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴿ ولا ينفقون ﴾ يعني في سبيل الله ﴿ نفقة صغيرة ولا كبيرة ﴾ يعني تمرة فسا دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ يعني ولا يجاوزون في سيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه ﴿ الا كتب لهم ﴾ يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ يعني يجازيهم ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان الاول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح قاله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وافضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدى ان

مكان فان كان مكانا ففى يفيظ الكفار يفيظهم وطوؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) فى سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وأيام يكون منفذ للسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه لودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الاتفاق وقطع الوادى (ليجزيهم الله) متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (احسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيرا

(ان الله لا يضيع) لا يبطل (اجر المحسنين) ثواب المؤمنين فى الجهاد (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قليلة ولا كثيرة فى الذهب والنجى (ولا يقطعون واديا) فى طلب العدو (الا كتب لهم ثواب عمل صالح) ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لغزو
غزوا وطلب علم كالا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فانه يجمل بأصم الماش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها الجسد في سبيل
الله أو القدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيل
وايمانين وتصديقا برسلي فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله
الا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده
لولا ان أشق على المسلمين ما قدمت خلافا سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا جد
سعة فاجلهم ولا يجحدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت
ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بعناه (ق)
عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل
قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشباب
يصدق الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمان بالله وتصديقا بوعده فان شبعه
وريد وروث وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسناته (خ) عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما غبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابي مسعود
الانصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها
مخطومة لا عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله
كتب الله له سبعمائة ضعة أخرجه الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما
كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية قال عكرمة انزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة
ومن حواريهم من الاعراب ان يخافوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين علك من
تخاف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست
في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالستين اجابت بلادهم
فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويثبوا بالاسلام هم كاذبون
في رواية واحلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فانزل الله عز وجل الآية
ينبغي ان يدعى صلى الله عليه وسلم لم أنهم ليسوا مؤمنين فرحم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
مشركهم وذكر هو يريد ان غاروا فلو انهم نزلوا اذا رجوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى
﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية في رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كل حي من الارب بحسبه فانزل الله صلى الله عليه وسلم ان يثبطوا جميعا فانه يجمل بأصم الماش

لا جرهم (وما كان المؤمنون
لينفروا كافة) السلام
لتأكد النبي أي أن تقيده
الكافة عن مواطنهم لطلب
الم غرهم (وما كان المؤمنون)

في الجهاد (وما كان المؤمنون)
ما جاز للمؤمنين (لينفروا كافة)
يخرجوا جميعا في السرية
ويتركوا النبي صلى الله عليه
وسلم في المدينة وحده

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ﴿ ليتفقها في الدين ﴾ ليتكفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ وليعلموا غاية سعيهم ومظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتدكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقوم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد ﴿ لهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا عما يندرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان نفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة الى التفقه لتندر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلوا يعتبر اخبار الآحاد

احاديثهم ويتفقون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما امرنا ان نعلمه وأخبرنا عما نقول لسأثرنا اذا اطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويستثم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا من الحطب ما يتفنون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجشتمونا فوجدوا في أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يتفنون الخيرو وقد طائفة ﴿ ليتفقها في الدين ﴾ لیسمو ما أنزل الله ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ من الناس ﴿ اذا رجعوا اليهم لهم يحذرون ﴾ وقال ابن عباس ما كان المؤمنون ليسفروا جيبا وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصبة يعنى السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد علمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقها في الدين يقول ليتعلموا ما نزل الله على نبيهم وبعثوا السرايا اذا رجعت اليهم لهم يحذرون تقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزوة يتخلف عنه الامساق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبشها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جيبا الى الغزوة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى

المفسدة (فلولا نفر) فمن لم يكن تغير الكفاية فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم الغير (ليتفقها في الدين) ليتكفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليعلموا سري همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذا رجعوا اليهم) دون الاغراض الحسية من التصدر والتؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بشا بعد غزوة

(فلولا نفر) فهلا خرج (من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة) وبقي طائفة بالمدينة (ليتفقها في الدين) لكي يتعلموا أمر الدين من النبي صلى الله عليه وسلم (ولينذروا) لينبأوا وليعلموا (قومهم) اذا رجعوا اليهم (من غزوتهم) لهم يحذرون لكي يعلموا أمرها به وما نهاه عنه ويقال

ما لم نواتر لم نجد ذلك وقد اشبهت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفي وانقطعوا
عن التفقه فأمر وان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الا كبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البينة
فيكون الضمير في ليتفقهوا وينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزوة وفي
رجعوا للطوائف اي وينذر البواقي قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا اليهم

ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين
لان الاحكام والشرايع كانت تهجد شيئا بعد شيئا فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظون ما نزل من الاحكام وما يجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون
معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة قلوا لا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة
للجهاد وقد طائفة ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا
اليهم من غزوهم لهم لم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة
وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريد الله
من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك ان
الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية دينه
صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جما كثيرا فاذا ارجعوا من ذلك النفي الى
قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لهم
يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا الولوج لا يند تفقها
في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان
ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان
هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي

تبوك بعد ما نزل في المتخلفين
من الآيات الشداها استبق
المؤمنون عن آخرهم الى
النفي وانقطعوا جميعا عن
التفقه في الدين فأمر وان
ينفر من كل فرقة منهم
طائفة الى الجهاد ويبقى
سايرهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الا كبر اذا الجهاد
بالحجج اعظم أمر من
الجهاد بالنصال والضمير
في ليتفقهوا للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من
بينهم وينذروا قومهم
وينذر الفرق الباقية
قومهم النافرين اذ ارجعوا
اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم
من الصلوم وعلى الاول
الضمير للطائفة النافرة الى
المدنية لتفقه

نزلت هذه الآية في نبي أسد
أصابته سنة فجاؤا الى
النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فاعلوا أسرار المدينة
وأفسدوا طرقها بالمدنرات
فنهاهم الله عن ذلك

صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي ما صابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس
الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم
من ذلك حرجا فقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا
ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لم يحذرون يعني بأس الله ونقمة
اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة
الحلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا
القصود كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا
كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

غيبتهم من العلوم ﴿ يا أيها الذي آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار ﴾ أمروا بقتال
 الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولاً بأندلس عشيرة
 الأقرين فإن الأقرب أحق بالشقة والاستصلاح وقبلهم يهود حوالى المدينة كقرىظة

يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الأمة
 مستقيماً حتى تفوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مجدون الناس مما دن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا
 فقهوا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقه واحداً أدى على الشيطان
 من ألف عابداً أخرجه الترمذى وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل إذا فهمه وتفه
 فقاها إذا صار فقهياً وبطل الفقه هو الوصول إلى علم قائم بعلم شاهد فهو أخص من العلم
 وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم إلى فرض
 عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام العداة والعصوم فعلى
 كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فرضاً على كل مسلم ذكره
 النبوى بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف يحكم الشرع بحجبها عنه معرفة علمائها مثل
 علم الزكاة إذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج إذا وجب عليه أداء فرض الكفاية
 من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ مرتبة الاجتهاد في درجة القضاة وإذا قدم أهل بلد عن تعلم مصوا
 جيبوا وإذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة القضاة على الفرض عن الباقي وعليهم
 تفهيد ثم يقع لهم من الحوادث عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثل العالم
 على العالم كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع الزيادة في حديثه عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طرقاً قال الجنة
 أخرجه الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم
 فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية شكمة أو ست قاعة
 أو فريضة عادلة أخرجه أبو داود الآفة المحكمة هي التي لا أشباه فيها ولا اختلاف
 في حكمها أو ما ليس ينسخ وينسخها السنة العامة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها يتصل
 لا يتراى والفريضة الدالة هي التي لا يجوز تغييرها ولا حجب في فوائدها قال الفضل بن
 عالم مامل معلم يدعى عظيماً في ما كورت السموات وأخرجه الترمذى موقوتاً وهو الإمام
 الشافعى رضي الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من الصلاة الثالثة في دواء سبحانه وتعالى
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار ﴾ أمروا بالاقرب الأقرب اليهم
 في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قرىظة والنضير ونحوها وقال ابن عمر هم
 الروم لأنهم كانوا مكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وقال بعضهم هم السلم
 وقال ابن زيد كان الذين يلوونهم من الكفار العرب فقاتلواهم حتى فرغوا منهم فأمروا
 بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يسطوا الجزية عن يدهم وقال عن بعض العلماء أنه قال

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين
 يلوونكم) يقربون منكم (من
 الكفار) القتال واجب
 مع جميع الكفرة قريبهم
 وبعيدهم ولكن الأقرب
 فالأقرب أو واجب وقد حارب
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قومه ثم غيرهم من عرب
 الحجاز ثم الشام والشام
 أقرب إلى المدينة من العراق
 وغيره وهكذا المنعروض
 على أسل كل ناحية
 (يا أيها الذين آمنوا) محمد
 صلى الله عليه وسلم والقرآن
 (قاتلوا الذين يلوونكم
 من الكفار) من بني قرىظة
 والنضير

قاتلوا من ولهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنف في القتال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (وإذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فمنهم) فمن ﴿ ٢٢١ ﴾ المنافقين (من يقول) بعضهم { سورة براءة } لبعض (أيكم زادت هذه)

السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم صرفوح بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتثنية (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقينا وثباتاً وخشية أو إيماناً بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) بمدون زيادة التكليف بشارة التشریف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق مهو غساق يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجساً إلى رجسهم)

وقدك وخير (وليجدوا فيكم) منكم (غلظة) شدة (واعلموا) ياء مشر المؤمنين (ان الله مع المتقين) معين المؤمنين بحمد عليه السلام وأصحابه بالنصرة على أعدائهم (وإذا ما أنزلت سورة) آية فقرأ عليهم محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من المنافقين (من يقول) أي يقول بعضهم (أيكم زادت هذه) السورة والآية (إيماناً) خوفاً ورجاءاً وثباتاً فقال محمد (فأما الذين آمنوا) بحمد عليه السلام وأصحابه (فزادتهم رجساً) خوفاً ورجاءاً وثباتاً (وهم)

والنضير وخير وقيل الروم قائم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة • وليجدوا فيكم غلظة • شدة وصبر على القتال هو قرى • بفتح القين وضرباً وهما لغتان فيها • واعلموا ان الله مع المتقين • بالحراسة والاعانة • وإذا ما أنزلت سورة فمنهم • فن المنافقين • من يقول • انكاراً واستهزاء • أيكم زادت هذه • السورة • إيماناً • وقرى • أيكم بالنصب على اضممار قل يفسره زادته • فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً • بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها إلى إيمانهم • وهم يستبشرون • بزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتضاع درجاتهم • وأما الذين في قلوبهم مرض • كافر • فزادتهم رجساً إلى رجسهم • كفراً بما مضى إلى الكفر بتبويرها

نزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لأنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصبوح وهو ان يبدأ بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا إلى الابدق فالابدق بهذا الطريق يحصل العرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال اهل الكتاب وهم قريظة ونضير وخير وذلك ثم انتقل إلى غزوات الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابدق وقوله سبحانه وتعالى • وليجدوا فيكم غلظة • معنى شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم • واعلموا ان الله مع المتقين • يعنى بالعون والنصرة • قوله عز وجل • وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادت هذه إيماناً • يعنى واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعنى يقول بعضهم لبعض أيكم زادت هذه يعنى السورة إيماناً يعنى تصديقاً ويقيناً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقبل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى • فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً • تصديقاً ويقيناً وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم منى إلى آخر من جنسه • ما هو في سفسا المؤمنون اذا أمروا بنزول سورة من القرآن عن ثبته واعرفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الافرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال • وهم يستبشرون • يعنى أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً بعد شئ لانهم كلما نزل ازادوا إيماناً وذلك بوجوب حرد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك يحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى • وأما الذين في قلوبهم مرض • أى شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضاً لانه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كما مرض في البدن اذا حصل يحتاج إلى العلاج • فزادتهم • يعنى سورة من القرآن • رجساً إلى رجسهم

يستبشرون) بما نزل من القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شكاً ونفاقاً (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) شكاً في شكه بما

كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار من اصرارهم عليه الى الموت (أولايرون) يعنى المنافقين وبالثناء جزاء
خطاب للمؤمنين (اللهم { الجزء الحادى عشر } يفتنون) يتلون ﴿ ٢٢٢ ﴾ بالقسط والمرض وغيرهما (فى كل

﴿وماتوا وهم كافرون﴾ واستحكم ذلك فبهم حتى ماتوا عليه ﴿أولايرون﴾ يعنى المنافقين
وقرأ جزءه بالثناء ﴿انهم يفتنون﴾ يتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فيعانون ما يظهر عليه من الآيات ﴿فى كل عام مرة أو مرتين ثم
لا يتوبون﴾ لا يشعرون ولا يتوبون من نفاقهم ﴿ولاهم يذكرون﴾ ولا يعتبرون
﴿واذا ما نزلت سورة نظر بعضهم الى بعض﴾ تخاصموا بالبيون انكارا لها وسخرية
أو غيظا لما فيها من عيوبهم ﴿هل يراكم من احد﴾ أى يقولون هل يراكم من احد انتم من
حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يره احد قاموا وان رآهم احد اقاموا
﴿ثم انصرفوا﴾ عن حضرة مخافة الفضيحة ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الايمان وهو
بمعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جمعوا نزول سورة أو استهزؤا بها
ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقمع الاشياء وأصل
الرجس فى اللغة الشئ المستقدر ﴿وماتوا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿وهم كافرون﴾ يعنى
وهم حادون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذ
الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول
تعالوا حتى نزيد ايماننا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة
بيضاء فى القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله
وان الفاق يبدو لمعة سوداء فى القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب
كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لو جدموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق
لو جدموه أسود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أولايرون﴾ قرئ ترون بالثناء على خطاب
المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض
﴿انهم يفتنون﴾ يعنى يتلون ﴿فى كل عام مرة أو مرتين﴾ يعنى بالامراض والشدائد
وقيل بالقسط والجذب وقيل بالتزوي والجهاد وقيل انهم يفتنون باظهار نفاقهم
وقيل انهم يتفقون ثم يؤنون ثم يناقون وقيل انهم يتقنون عهدهم فى السنة مرة
أو مرتين ﴿ثم لا يتوبون﴾ يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ﴿ولاهم
يذكرون﴾ يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين
﴿واذا ما نزلت سورة﴾ يعنى فيها عيب المنافقين وتوبيخهم ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾
يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة ﴿هل يراكم من احد﴾ يعنى هل
أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يره احد خرجوا من المسجد وان
عابوا أن احدا يراهم من المؤمنين اقاموا ولبثوا على تلك الحال ﴿ثم انصرفوا﴾ يعنى
عن الاعيان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسمون فيها
ما يكرهون ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم

عام مرة أو مرتين ثم لا
يتوبون) عن نفاقهم) ولا
هم يذكرون) لا يعتبرون أو
بالجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يتوبون بما يرون
من دولة الاسلام ولا هم
يذكرون بما يقع بهم من
الاسطلام) (واذا ما نزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض)
تخاصموا بالبيون انكارا
للسوى وسخرية به قائلين
(هل يراكم من احد) من المسلمين
انصرف فانا لانصبر على
استماعه وقلنا الضحك
قنخاف الافضح بينهم وإذا
ما نزلت سورة فى عيب
المنافقين أشار بعضهم الى
بعض هل يراكم من احد
ان قتم من حضرة عليه
السلام (ثم انصرفوا) عن
حضرة التى عليه السلام
مخافة الفضيحة (صرف الله
قلوبهم)

انزل من القرآن (وماتوا
وهم كافرون) محمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
فى السر (أولايرون)
بمعنى المنافقين (انهم يفتنون)
يتلون باظهار مكروهم
وخياشيم ويقال بنفض
عهدهم (فى كل عام مرة

أو مرتين ثم لا يتوبون) من صنيمهم ونفض عهدهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما نزلت سورة) (على)
جبريل بسورة فيها عيب المنافقين وكان يقرأ عليهم التى صلى الله عليه وسلم (نظر) المنافقون (بعضهم الى بعض هل
يراكم من احد) من الخاصين (ثم انصرفوا) عن الصلاة والخطبة والحق والهدى (صرف الله قلوبهم) عن الحق والهدى

يحتمل الاخبار والذم **بأنهم** بسبب انهم **قوم لا يفقهون** اسوء فهمهم اولدم تدبرهم **لقد جاءكم رسول من انفسكم** من جنسكم عربي مثلكم وقرى من انفسكم أي من اشرفكم **عزيز عليه** شديد شاق **ماعنتم** عنتكم ولقاؤكم المكروه

على فعلهم **بأنهم قوم لا يفقهون** يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شياً فيه نفهم قوله سبحانه وتعالى **لقد جاءكم رسول من انفسكم** هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الانكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وربيمتها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهونهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان أمنة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فلي هذا القول يكون المقصود من قوله **لقد جاءكم رسول من انفسكم** ترغيب العرب في نصره والايان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بمزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن وائلة بن الاسقع قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم عن العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدنة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم مخبر القبائل فخلقني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى **لقد جاءكم رسول من انفسكم** عام محمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول **لقد جاءكم أيها الناس رسول من انفسكم** يعني من جنسكم شر مثلكم اذا وكان من الملائكة لصفت قومي البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ثم وقوله سبحانه وبما **عزيز عليه ماعنتم** أي شديد عليه عنتكم يعني مكروهم بل شق

عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا) (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من انفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم (عزيز عليه ماعنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ويقال مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك الانصراف (بأنهم قوم لا يفقهون) أصراً لله ولا صدقونه (لقد جاءكم) يا أهل مكة (رسول من انفسكم) عربي هاشمي مثلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ماعنتم) ما أعتم

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) لئلا لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اهرضوا { الجزء الحادي عشر } عن الايمان بك { ٢٢٤ } وناصبوك (قتل حسي الله) فاستم

بالله وفوض اليه امورك فهو كايك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت امرى اليه (وهو رب لعرش) هو اعظم خلق الله خالق مطاها لاهل السماء وقبلة للديار (العظيم) بالحرو قري بالرفع على نعمت الرب جل وعزه عن اى آخرة نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية

(سورة يونس عليه الصلاة والسلام) مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) بجمع رؤف رحيم (فان تولوا) بن الايمان والتوبة وماقت لهم (قتل حسي الله) لا اله الا هو) لاحفظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) اذ كنت وثقت (وهو رب العرش) السري

(العلم) الكبير هو من السرقة التي يذكر فيها يونس عليه السلام وهي كما ذكرنا في الآونة واحدة عند رأس النهر من انها نزلت الى

حريص عليكم) أى على ايمانكم وصلاح شأانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك (قتل حسي الله) فانه يكفيك معرفتهم ويعينك عليهم (لا اله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلا ارجو ولا اخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقري العظيم بالرفع وعن ابي رضى الله تعالى عنده ان آخر ما نزل هاتان الآيتان هو عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحرقا حرقا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا على ومعهما سبعون الف صنف من الملائكة والله أعلم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية وهي مائة وتسع آيات

عاه ضلالتكم (حريص عليكم) يعنى حريص على ايمانكم واصلاح الخبر الكرم وقال قادة حريص على هدايتكم وان يهدبكم الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ايس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من اسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعنى فان اهرض هو لام الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصروك الصرب (قتل حسي الله) يعنى يكفي الله وبتصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعنى لا اعلى غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكور لانه اعظم المخلوقات فدخل ما دونه في الذكور فيكون المعنى هو رب العرش العظيم فادونا ويكون خصا بالذكور تشريفا له كما يقال بت الله روى عن ابي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولاه وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام

نزلت بمكة الان ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قال ابن عباس وهذا قال قادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدينى قوله تعالى منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الا أنا قال قتال هي مكة الآية روى عنه قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته واليه مرجعكم اجمعين الآية انا انزلناه كما وعدتكم

رسول رؤف رحيم من انفسكم من لا يؤمن بالآية آياتها مائة وتسع آيات ركلها بالآية

وان وحدها مائة الف وتسعمائة وتسعون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الر﴾ فخصها ابن كثير ونافع وحفص وامالها السابقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اشارة الى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولاً لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿أ كان للناس عجباً﴾ استفهام أنكار للتعجب وعجباً خبر كان واسمه ﴿ان أوحينا﴾ وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس أو على ان كان تامة وان أوحينا بدل من عجباً واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ قال ابن عباس والضحاك معناه ما الله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقال به سعيد بن جبير وسالم بن عبدالله وقال قتادة أراسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية ﴿تلك آيات الكتاب﴾ المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزل الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك للاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل القرآن حكاها الطبري عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فلي هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وحده فهو ضيف لان التوراة والانجيل لم يجزها ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التي منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن ﴿الحكيم﴾ يعني المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل وبفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وابتداء ذى القرى وقيل ان الحكيم هو الذي بفعل الحكمة والصواب فن حيث انديل على الاحكام صار كأنه هو الحكيم في نفسه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ مرأ كان للناس عجباً ﴿ قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال سبحانه وتعالى أن كان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً آية والهمزة في أ كان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجباً انه أن أوحينا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر) ونحوه عمال حزة وعلى وأبو عمرو وهو تهديد للعروف على طريق القمدي (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الحكيم) ذى الحكمة لاشتماله عليه أو المحكم عن الكذب والاقزاف والهمزة في (أ كان للناس عجباً) لانكار التعجب والتعجب منه (أرأوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام في الناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالاً

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله الى (الر) بنول ما الله أرى ويقال قسم اسم ه (تلك آيات الكتاب الحكيم) ان هذه السورة آيات القرآن المحكم بالحلال والحرام (أ كان للناس) لاهل مكة (عجباً أن أوحينا) بان

(إلى رجل منهم أن أنذر الناس) بأن أئذ أوهى مفسرة إذا لا يحيا فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أنهم) بأن لهم
ومعنى اللام في الناس أنهم جعلوا لهم أعبوبة يتهبون منه والذي تجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أئمه رجالهم
دون عظيم من عظمتهم { الجزء الحادي عشر } فقد كانوا ﴿ ٢٢٦ ﴾ نقولون العجب ان الله لم يجد

محوه انكارهم واستزاهم ﴿ إلى رجل منهم ﴾ من افناء رجالهم دون عظيم من
عظمتهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس الا يتيم ابي
طالب وهو من قرط حاقهم وقصور نظرم على الامور الساجلة وجهلهم بحقيقة
الوحى والنبوته هذا ونه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمتهم فيما يبرونه
الا في المال وخفة الحال اعون شئ في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تصيبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره
في سورة الانعام ﴿ ان أنذر الناس ﴾ ان هي المفسرة أو المخففة من الثقلة فتكون في موقع
مفول اوحينا ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ عم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان
ينذرنا وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة ﴿ ان لهم ﴾
بأن لهم ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما
سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واصلتها إلى الصدق تحققها والتثنية على أنهم

إلى رجل منهم ﴿ والعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل
العجب حالة تعتري الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب
ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم
يعنى من أهل مكة من قرئش يعرفون نسبه وسدقه وأمانته ﴿ أن أنذر الناس ﴾ يعنى
خوفهم بقاب الله تعالى ان أصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخوف
كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبشر الذين آمنوا أنهم قدم
صدق عند ربهم ﴾ اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن
عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقل الضمك ثواب صدق وقال مجاهد
الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه
يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر
الاول يعنى في اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو
قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو لنته كقوله
مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التثنية على زيادة
الفضل ومدح القدم لان كل شئ أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقصد صدق
ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شرف هو عند العرب قدم يقال
لفلان قدم في الاسلام و قدم في الخير و فلان عندى قدم صدق و قدم سوء قال
حسان بن ثابت

لنا القدم الملنا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع

رسولا يرسله إلى
الناس الا يتيم ابي طالب
وان يذكر لهم البعث وينذر
بالتيران وببشر بالجنان
وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل
المبعوثين إلى الامم لم يكونوا
الابشرا مثلهم وارسال
اليتيم أو الفقير ليس بعجب
أيضا لان الله تعالى انما يختار
لنبوته من جع أسبابها
والغنى والتقدم في الدنيا
ليس من أسبابها والبعث
للجزاء على الخير والشر
هو الحكمة المنظمة فكيف
تكون عجبا انما العجب والمكر
في العقول تعطيل الجزاء
(قدم صدق عند ربهم)
أى سابقة وفضلا ومنزلة
رفيعة ولما كان السبى والسبق
بالقدم سميت المسعاة الجليلة
والسابقة قدما كما سميت
العمة يدا لانها تعطى
باليد وباعلان صاحبها
يروع بها فقيل لفلان قدم
في الخير واصلتها إلى صدق
دلالة على زيادة فصل وانه
من السوابق العظيمة أو مقام

أوحينا (إلى رجل منهم)

أدى مثلهم (ان أنذر الناس) ان خوف أهل مكة بالترار (وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق) ثواب خير (وقال)
وقال ايمانهم في الدنيا قدمهم في الآخرة عند ربهم ويقال انهم قدم صدق يقال شفح صدق (عند ربهم)

وشاعى ومن قرأ لساحر
فهذا اشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو دليل
عجزهم واعتراهم به وان
كانوا كاذبين في تسميته سحرا
(ان ربكم الله الذى خلق
السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش)
أى استولى فقد يقدرس الديان
عن المكان والمبود عن الحدود
(يدبر) يقضى ويقدر على
مقتضى الحكمة (الامر)
أى أمر الخلق كله وأمر
ملكوت السموات والارض
والعرش ولما ذكر ما يندك
على عظمتهم وما كره من خلق
السموات والارض والاستواء
على العرش تبعا هذه الجملة
لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج أمر من الامور
عن قضائه وتقديره وكذلك
قوله (مامن شفيع الامن بعد
اذنه) دليل على عزته وكبريائه
قال الكافرون) كفار مكة
(ان هذا) القرآن (لسحر)
كذب (ميين ان ربكم
الله الذى خلق السموات
والارض في ستة أيام)
من أيام أول الدنيا أول يوم
يوم الاحد وآخر يوم
يوم الجمعة طول كل يوم الف
سنة (ثم استوى على العرش)
استقر ويقال امتلا به العرش
(يدبر الامر) أمر العباد
ويقال ينظر في أمر العباد ويقال

انما ينالونها بصدق القول والنية ﴿ قال الكافرون ان هذا ﴾ يعنون الكتاب وما جاء به
الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ لسحر ميين ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر
على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا
من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة الياهم عن المعارضة * وقرئ ما هذا الاسحر
ميين ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض ﴾ التى هى اصول الممكنات
﴿ فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴾ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته
حكيمته وسقت به كلمته ويهيئ بتحركه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى اديار
الامور لنجى محمودا الملقبة ﴿ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴾ تقرير لعظمته وعن جلالة

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذوالرمة
وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر
والسبب فى اطلاق لفظا لقدم على هذه المعانى ان السبى والسبق لا يحصل الا بالقدم
فسمى السبب باسم السبب كما سميت النعمة يدالانها تعطى باليد وقال ذوالرمة
لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر
معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لى العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل
وقوله سبحانه وتعالى ﴿ قال الكافرون ان هذا لسحر ميين ﴾ وقرئ لساحر
ميين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم
بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما
نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر أن يحصل
مثلها ومن قرأ السحر فأنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه
الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان ربكم الله الذى
خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿ تقدم تفسير هذا فى سورة
الاعراف بما فيه كفاية ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ يدبر الامر ﴿ قال مجاهد يقضيه
وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى
يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى اديار الامور وعواقبها لا يدخل فى
الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت
السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بإرادته
وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴾ يعنى لا يشفع عنده شافع يوم
القيامة الامن بعد ان يأذنه فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة
فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذنه له فى الشفاعة كان له أن يشفع
فحين يأذنه فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم
القيامة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا بآذنه لانه التصرف المطلق

بسمت الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة (مامن شفيع) مامن ملك مقرب ولا نبى مرسل يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) الا باذن الله

(ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذي يستحق العباداة (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به بض
 خاقد من انسان او ملك فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع (أفلاتندكرون) أفلاتندبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع
 على وجود المصلح النافع (اليه) { الجزء الحادى عشر } مرجعكم ﴿ ٢٢٨ ﴾ (جميعا) حال أى لا ترجعون فى العاقبة

ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ﴿ ذلكم
 الله ﴾ أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ ربكم ﴾ لا غيره
 اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك ﴿ فاعبدوه ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿ أفلاتندكرون ﴾
 تشكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه ﴿ اليه
 مرجعكم جميعا ﴾ بالموت والنشور لالى غيره فاستمدوا لقاله ﴿ وعد الله ﴾ مصدر
 يؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعدم من الله ﴿ حقا ﴾ مصدر آخر مؤكدا لغيره
 وهو ما دل عليه وعد الله ﴿ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد يبدئه واهلاكه ﴿ ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ أى يعده أو يعدهم وقيامهم على العدل فى
 امورهم أو بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله
 ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ فان معناه
 ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم
 للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو
 الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق باطفه وكرمه
 ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم

فى جميع العالم ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ يعنى الذى خلق هذه الاشياء وود برها هو ربكم وسيدكم لارب
 لكم سواء ﴿ فاعبدوه ﴾ أى فاجعلوا عبادتكم له لا غيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم
 من النعم العظيمة ﴿ أفلاتندكرون ﴾ يعنى أفلاتتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات
 التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اليه مرجعكم جميعا ﴿
 يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع
 بمعنى الرجوع ﴿ وعد الله حقا ﴾ يعنى وعدكم الله ذلك وعدا حقا ﴿ انه يبدأ الخلق
 ثم يعيده ﴾ أى يجيهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول عجا هذفانه قال يحييه ثم يميتهم يحييه
 وفى هذه الآية دليل على امكان الخسر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى
 البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير
 مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيا
 ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكالم تمتع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى
 لم تمتع تماقها بالبدن مرة اخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان
 المقصود منه ايصال الثواب للمطع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شأنا ﴿ والذين
 كفروا لهم شراب من حميم ﴾ هو ماء حار قد انتهى حره ﴿ وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾

الا اليه فاستعدوا للقاءه
 والرجوع أو المرجع مكان
 الرجوع (وعد الله) مصدر
 يؤكد لقوله اليه مرجعكم
 (حقا) مصدر يؤكد لقوله
 وعد الله (انه يبدأ الخلق
 ثم يعيده) استيفاف معناه
 التعليل او جوب المرجع اليه
 (ليجزى الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات) أى الحكمة
 بايتداء الخلق واعادته هو
 جزاء المكلفين على أعمالهم
 (بالقسط) بالعدل وهو
 منلق بيجزى أى ليجزى
 بتسطه ويوفهم أجورهم
 أو يقسطهم أى بما أقسطوا
 وعدوا ولم يظلموا حين
 آمنوا اذ اذ لم يظلم ان الشرك
 الظلم عظيم وهذا أو جذا مقابلة
 قوله (والذين كفروا لهم
 شراب من حميم وعذاب
 اليم بما كانوا يكفرون)

اذلكم الله ربكم (الذى يفعل
 ذلك هو ربكم) (فاعبدوه)
 فوحدوه (أفلاتندكرون)
 أفلاتتعظون (اليه مرجعكم
 بعد الموت) جميعا وعد الله
 حقا (صدقا كما ثنا) انه

يبدأ الخلق من الطرفة (ثم يعيده) بعد الموت (ليجزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما (هو)
 بينهم وبين ربهم (بالقسط) بالعدل الجنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لهم شراب من حميم) من
 ماء حار قد انتهى حره (وعذاب اليم) وجميع نخلص وجهه الى قلوبهم (بما كانوا يكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن

والآية كالتلخيص لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لاعماله ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالقح أي لانه ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا بانصب وعد الله أو بانصب حقا ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كباط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿ والقمر نورا ﴾ أي ذانورا أو سمي نورا للبالغة وهو اعم من الضوء كاعرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالمرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بمرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿ وقدره منازل ﴾ الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازلها واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿ تعلموا عددا السنين والحساب ﴾ حساب

ولوجه كلامي (هو الذي جعل الشمس ضياء) والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين وهو اعم من الضوء كاعرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالمرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بمرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿ وقدره منازل ﴾ الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازلها واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿ تعلموا عددا السنين والحساب ﴾ حساب هو الذي جعل الشمس ضياء ﴿ يعني ذات ضياء ﴾ والقمر نورا ﴿ يعني ذانورا واختلف العلماء أصحاب الكلام في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانها لوتساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر ﴿ وقدره منازل ﴾ قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمصنف قدر لهما منازل أو قدر لسييرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤبة الالهة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطين والبطين والثريا والديبران والهقمة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والحبة والزبرة والصرفة والمواء والسماك والغفر والربابي والاكلل والقلب والشولة والتعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السمود وسعد الاخبية وفرغ الداو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدي والداو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل ونزل القمر كل ليلة منزلانها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة ﴿ تعلموا عددا السنين ﴾ بمعنى قدر هذه المنازل تعلموا بها عددا السنين وقت دخولها وانقضائها ﴿ والحساب ﴾ حساب الشهور والايام والساعات وتقصاتها وزاياتها

هو الذي جعل الشمس ضياء ﴿ يعني ذات ضياء ﴾ والقمر نورا ﴿ يعني ذانورا واختلف العلماء أصحاب الكلام في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانها لوتساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر ﴿ وقدره منازل ﴾ قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمصنف قدر لهما منازل أو قدر لسييرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤبة الالهة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطين والبطين والثريا والديبران والهقمة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والحبة والزبرة والصرفة والمواء والسماك والغفر والربابي والاكلل والقلب والشولة والتعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السمود وسعد الاخبية وفرغ الداو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدي والداو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل ونزل القمر كل ليلة منزلانها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة ﴿ تعلموا عددا السنين ﴾ بمعنى قدر هذه المنازل تعلموا بها عددا السنين وقت دخولها وانقضائها ﴿ والحساب ﴾ حساب الشهور والايام والساعات وتقصاتها وزاياتها

بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الاملتيسا) بالحق) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً (يفصل الآيات
مكي وبصري وحفص وبنون غيرهم (قوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار) في مجيئها
واحد منهما خلف الآخر أو في اختلاف لونهما (وما خلق الله في السموات والارض) من الخلائق (آيات لقوم يتقون
خصهم بالذكر لانهم يحذرون { الجزم الحادي عشر } الآخرة ﴿ ٢٣٠ ﴾ فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذي

لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه
أصلاً ولا يخطر ببالهم
لنفقتهم عن التفطن للحقائق
اولاً يؤملون حسن لقاءنا
كإثمه السعداء أو لا يخافون
سوء لقاءنا الذي يجب أن
يخاف (ورضوا بالحياة
الدنيا) من الآخرة وآثروا
القليل الفاني على الكثير
الباقي (واطمانوا بها)
وسكنوا فيها سكون من لا
يزعج عنها فبنوا شديداً
وأملوا بعيداً (والذين هم
عن آياتنا غافلون) لا يفكرون
فيها ولا وقع عليه لان خبران

الاقوات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾
الاملتيسا بالحق مراعيها فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿ تفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾
فالهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ﴿ ان
في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض ﴾ من انواع الكائنات
﴿ آيات ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿ قوم يتقون ﴾
العواقب فانه يحملهم على التفكير والتدبر ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يتوقعونه
لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ من الآخرة
لنفتهم عنها ﴿ واطمانوا بها ﴾ وسكنوا اليها مقصدين همهم على لذاتها وزخارفها
أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ لا يفكرون
فيها لانها كهم فيما يصادها والعطف اما لتناير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على
الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة
ببالهم اصلاً واما لتناير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الاحياء
الدنيا وبالآخرين من الهاء حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعتداله

﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾ يعني للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك
باطلاً ولا عبثاً ﴿ يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يعني يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطمة
لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض آيات لقوم يتقون ﴾ تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها
﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب
والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه
ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقار ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي « اذا لسعته
النحل لم يرج لسعها » أي لم يخفه والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطعمون
في ثوابنا ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ يعني اختاروها وعما وفي طلبها فهم راضون بزينة
الدنيا وزخرفها ﴿ واطمانوا بها ﴾ يعني وسكنوا اليها مطمئين فيها وهذه الظمانينة
التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزاله عن قلوبهم الوجيل
والخوف فاذ سمعوا الانذار والنخوف لم يصل ذلك الى قلوبهم ﴿ والذين هم عن آياتنا
غافلون ﴾ قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس آياتنا يعني عن محمد

والايام (ما خلق الله ذلك
الا بالحق) لبيان الحق
والباطل (فصل الآيات)
يبين الآيات من القرآن
لعلامات الوحدانية (لقوم
يعلمون) يصدقون
(ان في اختلاف الليل
والنهار) في قلب الليل
والنهار يادتها وتقصانها
وذهابها ومجيئها
(وما خلق الله في السموات)
وقرأ خلق الله من الشمس

والذرة واليوم وغير ذلك (والارض) من الشجر والدواب والحيال والبحار وغير ذلك (آيات) (صلى)
لعلامات لوحدانية الرب (لقوم يتقون) يعلمون (ان الذين لا يرجون) لا يخافون (لقاءنا) بالبعث بعد الموت ويقال
لا يترون بالبعث بعد الموت (ورضوا بالحياة الدنيا اختاروا) ما في الحياة الدنيا على الآخرة (واطمانوا بها) رضوا بها
(والذين هم عن آياتنا) عن محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (غافلون) جاحدون ناركون لها

(أولئك ماوهم النار) فأولئك مبتدأ ثان والنازخ به وبالجملة خبر أولئك والباء في (بما كانوا يكسبون) يتعلق بـ **بعض** دل عليه الكلام وهو جوزوا ﴿ ٢٣١ ﴾ (ان الذين آمنوا { سورة يونس } وعملوا الصالحات يهديهم ربهم

بإيمانهم) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل (تجرى) من تحتهم الانهار) بياناً له وتفسيرا اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجرى من حيث قال بإيمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (في جنات النعيم) متعلق بتجرى أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) اي دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم اناسبحك

(اولئك ماوهم) مصيرهم (النار بما كانوا يكسبون) يقولون ويمثلون في الشرك (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات)

﴿ اولئك ماهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ بما واظبوا عليه وتمرتوا به من المعاصي ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ بسبب إيمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة أولادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أولما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان هل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتمتع والرديف له ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ استئناف او خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿ في جنات النعيم ﴾ خبراً وحال أخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او يهدي ﴿ دعواهم فيها ﴾ اي دعاؤهم ﴿ سبحانك اللهم ﴾

صلى الله عليه وسلم والقرآن فافلسون أي معرضون ﴿ أولئك ماوهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثواباً لهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يحمل لهم نورا يشونه وقال قتادة بلضآن المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالاضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أي بتصديقهم هداهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريلهم يردبه انه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بأمرهم ﴿ في جنات النعيم ﴾ يعنى ذلك لهم في جنات النعيم ﴿ دعواهم فيها ﴾ أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدماء أي دعاؤهم فيها ﴿ سبحانك اللهم ﴾ وهي كلمة تزيده الله تعالى من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على المواثد كل مائة ميل في ميل على كل مائة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام جدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والشاء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكان لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغلبون ولا يسلون ولا يتنوطون ولا يتخبطون قالوا فما بال الطعام قال

الطعامات فيا بينهم وبين ربهم (يهديهم) يدخلهم (ربهم) الجنة (بإيمانهم تجرى من تحتهم) من تحت شجرهم ومسكنهم (الانهار) أنهار الخمر والماء والسل واللبن (في جنات النعيم دعواهم) قولهم (فيها) في الجنة ان ادتها واشياء (سبحانك اللهم) فتأقولهم

اي يدعون الله بقولهم سبحانك { الجزء الحادي عشر } اللهم تلهذا يذكره ﴿ ٢٣٢ ﴾ لاعبادة (وتحيتهم فيها سلام)

اللهم اناسجك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحسي به بعضهم بعضا وتحيية الملائكة ايهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ و آخر دعواتهم ﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾ أي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه وبقوته بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والقوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي مخففة من الثقلته وقد قرئ بها وينصب الحمد ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ ﴿ ولو يسرعه اليهم ﴾ استجبالهم بالخير ﴿ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعه اجابته لهم في الخير حتى كأن استجبالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطرنا علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجلا كاستجبالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لئلا يقضى اليهم اجلهم ﴿ لا ميتوا واهلكوا وقرأ ابن عاصم وبعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله

جشاه ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجهم مسلم قوله جشاه أي يخرج ذلك الطعام جشاه وعرفاه وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييم الملائكة بالسلام وقيل تأتيم من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ﴾ قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حلوا التسبيح والتحميد على احوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهاوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيمضف ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدعون بتعظيم الله وتزجيته ويختمون بشكركه والثناء عليه وقيل انهم يقتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعواتهم في الشر بما له فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه ﴿ استجبالهم بالخير ﴾ يعني كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعواتهم بالخير ﴿ لقضى اليهم اجلهم ﴾ يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والنجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب المعجزة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قديدمعون على انفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستجلبون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب لاداعي الخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر عايانا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافرين العذاب

يحيي بعضهم بعضا بالسلام او هي تحية الملائكة ايهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (و آخر دعواهم) وخاتمة دعواتهم الذي هو التسبيح (ان الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقلته وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشان قيل أول كلامهم التسبيح و آخره التحميد فيبتدون بتعظيم الله وتزجيته ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (ولو يجعل الله للناس الشر استجبالهم بالخير) أصله ولو يجعل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استجبالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعه اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء أي و امطرنا لهم الشر الذي دعوا به كما يجعل لهم الخير ونجيتهم اليه (لقضى اليهم اجلهم) لا ميتوا واهلكوا القضى اليهم اجابهم اهلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

الخدام بما اشتبهون (وتحيتهم فيها سلام يحيي بعضهم بعضا بالسلام (و آخر دعواهم) قولهم بعد الاكل والشرب (ان الحمد لله رب العالمين

ولو يجعل الله للناس الشر) دعاهم بالشر (استجبالهم بالخير) كاستجبال دعواتهم بالخير (لقضى اليهم اجلهم) اهلكوا (كما)

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى نفي التحجيل كأنه قيل ولا يجعل لهم الشر ولا تقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فقهسهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزام الصلحة عليهم (واذامس الانسان) أصابه والمراد به الكافر (الضردمانا) أي دعا الله لازاته (جنبه) في موضع الحال ﴿ ٢٢٣ ﴾ بدليل { سورة يونس } عطف الخالين أي (أوقاعدا

أوقائما) عليه أي دعانا مضطجعا وأوقائما هذه الاحوال ان الضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا تقدر على القيام أوقائما لا يطبق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مر كأن لم يدعنا الى ضره مسه) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضرو نسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتال والضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فنحفت وحنف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك (زين للمسرفين) للمجاورين الحدق الكفر (زين الشيطان بوسوسته) ما كانوا يعملون (من الاعراض عن الذكر

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت

تمالى * وقرئ لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نجعل ولا تقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا ﴿ واذامس الانسان الضردمانا ﴾ لازاته مخلصا فيه ﴿ جنبه ﴾ ملق للجنب أي مضطجعا ﴿ أوقاعدا أوقائما ﴾ وقائمة التزديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ مر ﴿ يعني مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ كأنه لم يدعنا فنحفت وحنف ضمير الشأن كما قال ونحمر مشرق اللون * كأن ثديا حقان ﴿ الى ضرمه ﴾ الى كشف ضر ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ من الانهماك

كما حصل لهم خيرا الدنيا من المال والولد يجعل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتمالى ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿ في طغيانهم ﴾ يعني في تمردهم وعشورهم ﴿ يعمهون ﴾ يعني يترددون (ق) عن أي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر فأما رجل من المسلمين سيئته أو لمتته أو جلده فاجعلها له صلاة و زكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذامس الانسان الضر ﴿ أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر ﴿ دعانا جنبه ﴾ أي على جنبه مضطجعا ﴿ أوقاعدا أوقائما ﴾ يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدي هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته الى ان يتكشفت ضره سواء كان مضطجعا أو قاعدا أوقائما وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذامس الانسان الضر جنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه ﴿ مر ﴾ يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التخفيف ﴿ الى ضرمه ﴾ والمعنى انه استمر على حاله الاولى قل أن يسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتمالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

(في طغيانهم) في كفرهم وضلالهم (يعمهون) (قا و خا ٣٠ ناك) يعضون عمة لا يبصرون (واذامس الانسان الضر) اذا أصاب الكافر الشدة أو المرض وهو هشام بن المغيرة المخزومي (دعانا جنبه) مضطجعا (أوقاعدا أوقائما فلما كشفنا عنه ضره) دفعنا ما كان به من الشدة والبلاء (مر) استمر على ترك الدعاء (كأن لم يدعنا الى ضر) الى شدة (مسه) أصابه (كذلك) هكذا (زين للمسرفين) للمشركين (ما كانوا يعملون) في الشرك من الدعاء في الشدة وترك

واتباع الكفر (وقد اهلكتنا القرون من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكتنا والواو في (وجاءتهم رسلكم) الحال أي ظلوا بالكذب (الجزء الحادي عشر) وجاءتهم ﴿ ٢٣٤ ﴾ رسلكم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا

ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلوا أو اعتراض واللام لتأكيد النفي يعني أن السبب في اهلاكهم تكذيبهم للرسول وعلم الله أنه لا فائدة في امهالهم بعد ان أزموا الحجية بيعة الرسول (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي القوم الجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لتنظركم تعملون) أي

في الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ وقد اهلكتنا القرون من قبلكم ﴾ يا اهل مكة ﴿ لما ظلوا ﴾ حين ظلوا بالكذب واستعمال القوي والجوارح لاعلى ما ينبغي وجاءتهم رسلكم بالبينات ﴿ بالجمع الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلوا ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا للفساد استمدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم ﴿ نجزي القوم الجرمين ﴾ نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال حرمةهم وانهم اعلام فيه ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يجزى ﴿ لتنظركم كيف تعملون ﴾ أتملون خيرا أو شرافعالكم

وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في الجائر والسوايب وما كانوا يتفقونه على الاصنام وسدتها يعني خدائها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازال التمازول به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه حالة النافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غيره مرض بالقاب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع أحواله ويعلم البعد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جمع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة ﴿ لما ظلوا ﴾ يعني لما أشركوا وجاءتهم رسلكم بالبينات ﴿ يعني فكذبوهم ﴾ وما كانوا ليؤمنوا ﴿ يعني هذه الامم رسلكم ويصدقوهم عاجزا بيه من عند الله ﴾ كذلك نجزي القوم الجرمين ﴿ يعني كما اهلكنا الامم الحالية لما كذبوا رسلكم كذلك نهلككم أي المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ﴾ الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم ﴿ لتنظركم كيف تعملون ﴾ يعني خيرا أو شررا فنعالكم على حسب أعمالكم

الدعاء في الرخاء (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) حين كفروا (وجاءتهم رسلكم بالبينات) بالامر والنهي والامارات (وما كانوا ليؤمنوا) يقول لم يؤمنوا بما كذبوا به يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نجزي القوم الجرمين) المشركين بالهلاك (ثم جعلناكم) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم

(خلائف) استخلفناكم (في الارض من بعدهم) من بعد هلاكهم (لتنظركم كيف تعملون) ماذا تعملون (وانظروا)

نظروا تعملون خيرا أو شرا فتعاملكم على ﴿ ٢٣٥ ﴾ حسب علمكم { سورة يونس } وكيف في محل التصب

بتمولون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أ بالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) قال الذين لا يرجون لقاءنا لماناظهم ما في القرآن من ذم عباد الاوتان والوعيد لاهل الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يفيظنا من ذلك تنبك (أو بدله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رجة وتسقط ذكر الآلهة و ذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة اللسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رجة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي)

من الخير (واذا تتلى عليهم) تقرأ على المستمزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه (آياتنا بينات) بينات بالامر والنهي (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت وهم مستزؤون (ائت) يا محمد (بقرآن غير هذا) أو بدله غيره

على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقع اخرى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معائب آلهتنا ﴿ أو بدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لي ﴾ ما يصح لي ﴿ ان أبدله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل

والنظر هنا بمعنى العلم يريد تختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم و جاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليلوكم أيكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واخبات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكر للبعث فانه لا يرجون ثوابا ولا يخاف عقابا ﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز ابن حفص وعمر بن عبد الله بن أبى قيس العاسرى والماص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رجة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فقصر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن يتزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد هؤلاء ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس

جمل آية الرجة آية العذاب وآية العذاب آية الرجة (قل) لهم يا محمد (ما يكون لي) ما يجوز لي (أن أبدله) أن أعيره (من تلقاء نفسي)

من قبل نفسى (ان أتبع الامايوحى الى) لا أتبع الاوحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فابله (انى أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة واما الايتان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء انلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقرضهم { الجزء الحادى عشر } في هذا الاقتراح ﴿ ٢٣٦ ﴾ الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن

لاستلزام امتناعه امتناع الايتان بقرآن آخر ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ تليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي ﴾ أى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه اعلاء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوتة عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى . وعن ابن كثير ولا ادراكم به بلام التأكيد أى لو شاء الله ماتلوتة عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى . وقرى ولادراكم ولادراكم بالهمزة فيهما على لغة من نقاب الالف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤتى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمر اربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لا تلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للمادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد علما ولم ينشئ

الى وما ينشئ الى ان غيره من قبل نفسى ولم اوسر به ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى فيما امركم به أو انهاكم عنه وما أخبركم الامايحرفى الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندى ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت امره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فصعبته بذلك ان يعذبني بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله ﴿ لو شاء الله ماتلوتة عليكم ﴾ يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم ﴿ ولا ادراكم به ﴾ قال ابن عباس ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾ يعنى فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الى هذا القرآن مدة اربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعلما بأحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد اربعين

ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل القرآن مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحلال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أولا يهلكه فيسخرها منه فيجعلوا التبديل حجة عايدة ونهضها لاقرانه على الله (قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واطهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً بطلب كل كلام فصيح ويملو على كل منشور ومنظوم مشحوبا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن النيبوت التى لا يعلمها الا الله (ولا ادراكم به) ولا اعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى قد أتت فيما بينكم اربعين

سنة ولم تعرفونى متعاطيا شأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعم وبيان فتهمونى باختراعه (جاءهم)

من قبل نفسى (ان أتبع الامايوحى الى) ما أقول وما أعمل الا بما يوحى الى فى القرآن (انى أخاف) أعيا (ان عصيت ربي) فبدلته ان يكون على (عذاب يوم عظيم) شديد (قل) يا محمد (لو شاء الله) ان لا أكون رسولا (ماتلوتة عليكم) ما قرأت القرآن عليكم (ولا ادراكم به) يقول ولا اعلمكم به بالقرآن (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن

قرضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بآيات فصاحته فصاحة كل منطبق وعلا عن كل منشور
ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأحرب عن أقاصيص الأولين
واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى ﴿ أفلاتعلمون ﴾ أي أفلا
تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه فتعلموا انه ليس الا من الله ﴿ فن اعظم ممن

جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام
والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته
فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من
عند نفسه وهو قوله ﴿ أفلاتعلمون ﴾ يعني ان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى لا من
قبل نفسي (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن أربعين سنة فكثت ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أسرى بالحجرة فهاجر الى المدينة
فكثت بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه سلم
أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس
وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (م) عن أنس رضي الله عنه قال
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث
وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن
رضي الله عنه قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربيعة من
القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم
ليس بجمد قطط ولا بسيط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة قلبت بمكة
عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس
في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه في الصحيحين * قال الشيخ محي الدين
النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم
توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي
أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على
ان أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على
العود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع
الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات
الله حتى رأى الملك بينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل * وقوله ليس بالابيض
الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كونه المنظر وربما توهم الناظر أنه
برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة * قوله عز وجل ﴿ فن اعظم ممن

(أفلاتعلمون) فتعلموا انه
ليس الا من عند الله لا من
مثلي وهذا جواب عما
دسوه تحت قوله الت بقرآن
غير هذا من اضافة الاقتراء
اليه (فن اعظم ممن

ولم أقل من هذا شيئا) أفلا
تعلمون) أفليس لكم ذهن
الانسانية انه ليس من تلقاء
نفسى (فن اعظم) اعنى واجرا
على الله (ممن

اقتري على الله كذبا) يحتمل أن {الجزء الحادي عشر} يريد اقترامه ﴿٢٣٨﴾ المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد وان

افترى على الله كذبا ﴿٢٣٨﴾ تقاديا بما صافوه اليه كناية أو تعظيم للمشركين باقتراهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد ﴿٢٣٨﴾ أو كذب بآياته ﴿٢٣٨﴾ فكفر بها ﴿٢٣٨﴾ انه لا يفلح المجرمون ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴿٢٣٨﴾ لانه جاد لا يقدر على نفع ولا ضرر والمعبود ينبغي ان يكون مريبا ومقابا حتى يعود عبادته بحجب نفع أو دفع ضرر ﴿٢٣٨﴾ ويقولون هؤلاء ﴿٢٣٨﴾ الاوثان ﴿٢٣٨﴾ شفعاؤنا عند الله ﴿٢٣٨﴾ تشفع لنا فيما يمسنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بمشركهم وكانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده ﴿٢٣٨﴾ قل أنتبئون الله ﴿٢٣٨﴾ أنتخبون ﴿٢٣٨﴾ بما لا يعلم ﴿٢٣٨﴾ وهو ان له شريكا وفيه تفرغ وتهم بهم أو هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلم العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما به في السموات ولا في الارض ﴿٢٣٨﴾ حال من المائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا

اقتري على الله كذبا ﴿٢٣٨﴾ يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم أقتري على الله كذبا ولم أ كذب عليه في قولى ان هذا القرآن من عند الله وأتم قداقتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحدى في الدنيا أعظم على نفسه منى من حيث انى اقتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحى الى وحيه ان يقال ليس أحدى في الدنيا أجهل ولا أعظم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى ﴿٢٣٨﴾ أو كذب بآياته ﴿٢٣٨﴾ يعنى مجد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد ﴿٢٣٨﴾ انه لا يفلح المجرمون ﴿٢٣٨﴾ يعنى المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق ﴿٢٣٨﴾ ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴿٢٣٨﴾ يعنى وسيد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلالتعلق الابن يضر وينفع ويحى ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع ﴿٢٣٨﴾ ويقولون هؤلاء ﴿٢٣٨﴾ يعنى الاصنام التى يعبدونها ﴿٢٣٨﴾ شفعاؤنا عند الله ﴿٢٣٨﴾ قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتمل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة قال ابن جرير عن ابن عباس والثانى انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يستقدون بمشاة بعد الموت ﴿٢٣٨﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿٢٣٨﴾ أنتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ﴿٢٣٨﴾ يعنى أنتخبون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الازام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا

يكون تقاديا بما صافوه الد من الاقتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيديان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء (انه لا يفلح المجرمون ويبعدون من دون الله مالا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام (شفعاؤنا عند الله) أى فى أمر الدنيا وميشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالته جهد أيعالهم لا يبعث الله من عوت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أنتبئون الله بما لا يعلم) أنتخبونه بكونهم شفعا عندده وهو انباء بالميس معلوم لله واذالم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيا وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيد لفيه لان ما لم يوجد (اقتري) اختلق (على الله كذبا) أو كذب بآياته) بمحمد عليه السلام والقرآن (انه لا يفلح) لا ينجو ولا بأمن (المجرمون) المشركون من عذاب الله (ويبعدون) كفار مكة (من دون الله مالا يضرهم) ان لم يعبدوا في الدنيا ولا في الآخرة (ولا ينفعهم) ان عبدوا في الدنيا ولا في الآخرة (ويقولون هؤلاء) يعنون الاوثان (شفعاؤنا) يشفعون لنا (عند الله قل)

لهم يا محمد (أنتبئون الله) أنتخبون الله (بما لا يعلم) ان ليس (في السموات ولا في الارض) اله ينفع أو يضر (لعله)

فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى) ﴿٢٣٩﴾ عما يشركون (نزه) { سورة يونس } ذاته عن ان يكون له شريك وبالتاء

حزة وعلى وما موصولة
أو مصدرية أي عن الشركاء
الذين تشركونهم به أو عن
أشراكهم (وما كان الناس
الأمّة واحدة) حنفاء
متفقين على ملّة واحدة من
غير أن يختلفوا بينهم وذلك
في عهد آدم عليه السلام إلى
ان قتل قابيل هايل أو بعد
الطوفان حين لم يندر الله من
الكافرين دياراً (فاختلفوا)
فصاروا مللاً (ولولا كلمة
سبقت من ربك) وهو
تأخير الحكم بينهم إلى يوم
القيامة (لقضى بينهم)
ما جلا (فيما فيه يختلفون)
فيما اختلفوا فيه وليميز
الحق من المبطل وسبق
كلمة لحكمة وهي ان
هذه الدار دار تكليف
وتلك الدار دار ثواب
غيره (سبحانه) نزه نفسه
عن الولد والشريك
(وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما
يشركون) به من الاوثان
(وما كان الناس) في زمان
ابراهيم ويقال في زمن
نوح (الأمّة واحدة)
إلى ملّة واحدة ملّة الكفر
فبث الله النبيين مبشرين
ومنذرين (فاختلفوا)
فصاروا مؤمنين وكافرين
(ولولا كلمة) بتأخير

وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ عن
أشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به . وقرأ حزة والكسائي هنا وفي الموضعين
في اول النحل والروم بالتاء ﴿وما كان الناس الا امّة واحدة﴾ موجودين على القطرة
أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى ان قتل قابيل هايل أو بعد
الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل ﴿فاختلفوا﴾ بإتباع الهوى والباطل
أو ببغمة الرسل عليهم الصلاة والسلام فدعتهم طائفة واحدت أخرى ﴿ولولا كلمة سبقت
من ربك﴾ بتأخير الحكم بينهم أو بالعذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل
والجزاء ﴿لقضى بينهم﴾ ما جلا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ باهلاك المبطل وإبقاء الحق

لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب أن لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور
في العرف فان الانسان إذا أراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني
مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾
نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك
في السموات والارض ولا يعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وما كان الناس الا امّة واحدة
فاختلفوا﴾ يعني تفرقوا إلى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعاً على الدين الحق وهودين
الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام إلى أن
قتل قابيل هايل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك إلى زمن نوح عليه السلام ثم
اختلفوا فبث الله نوحاً وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه
من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل
عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله
وما كان الناس الا امّة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امّة واحدة يعني في الكفر
وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة
البقرة فبث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في أن يصير الناس على
دين واحد فانهم كانوا أولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم فيه تسلياً للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل كان الناس امّة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا
من إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في أول الخلق
على القطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة
في الحديث فطرة الاسلام ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني
انه سبحانه وتعالى جعل لكل امّة أجلاً وقضى بذلك في سابق الازل قال الكلبي هي
امهال هذه الامّة وانه لا يهلكهم بالعذاب ﴿لقضى بينهم﴾ يعني بنزول العذاب
وتجليل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلاً بينهم ﴿فيما فيه يختلفون﴾ وقال الحسن
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا

لعذاب عن هذه الامّة (سبقت من ربك) وجبت من ربك (لقضى بينهم) لهلكوا (فيما فيه) في الدين (يختلفون) يخالفون

وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (قل إنما النبي الله) أي هو المختص بيلم النبي
فهو العالم بالصرف عن أنزل { الجزء الحادي عشر } الآيات ﴿ ٢٤٠ ﴾ المقترحة لاغير (فانتظروا) نزول ما

﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أي من الآيات التي اقترحوها ﴿قل إنما النبي الله﴾
هو المختص بيلم فإله يعلم في أنزال الآيات المقترحة مفاصد تصرف عن أنزالها ﴿فانتظروا﴾
لنزول ما اقترحوه ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لما يفعل الله بكم بمجموعكم ما نزل
عليه من الآيات العظام واقترحكم غيره ﴿وإذا أذقنا الناس رجعة﴾ حصة وسعة ﴿من بعد
ضراء مستهم﴾ كقحط ومرض ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بالطنن فيها والاحتيال
في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا

فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة
بإيمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل مواعدهم
يوم القيامة وقيل سبق من الله أنه لا يؤخذ أحدا الأبعد إقامة الحجية عليه وقيل
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رجتي سبقت غضي ولو لارجته ليجل لهم
المقوبة في الدنيا ولكن أخرهم برجته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه
يختلفون يعني في الدنيا ﴿ويقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾
يعني هلا نزل على محمد ما اقترحه عليه من الآيات ﴿قل﴾ أي فقل لهم يا محمد
﴿إنما النبي الله﴾ يعني ان الذي سألتهم به هو من النبي وإنما النبي الله لا يعلم أحد
ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد من نزل الآية الا هو ﴿فانتظروا﴾ يعني نزولها
﴿إني معكم من المنتظرين﴾ وقيل معناه فانتظروا قضاء الله ببننا باظهار الحق على
المبطل اني معكم من المنتظرين ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وإذا أذقنا الناس رجعة﴾ يعني
رخاء ونعمة ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ يعني من بعد شدة و بلاء وضيق في العيش
أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر
سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل
عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا
بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿إذا
لهم مكر في آياتنا﴾ قال مجاهد أي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان
لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول
ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل
تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال
مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على
أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر

اقترحوه (اني معكم
من المنتظرين) لما قبل الله
بكم لعنادكم وجمودكم
الآيات (وإذا أذقنا الناس)
أهل مكة (رجعة) خصبا
وسعة (من بعد ضراء
مستم) يعني القحط والجوع
(إذا لهم مكر في آياتنا)
اي مكروا بآياتنا بدفعها
وانكارها روى انه تعالى
سلط القحط سبع سنين
على أهل مكة حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطارحهم طفقوا يطنون
في آيات الله ويسادون
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكيدونه فاذا الأولى
للشرط والثانية جوابها
وهي للمفاجأة وهو كقوله
وان تصم سيئة بما قدمت
أيديهم اذا هم يقنطون أي
وان تصم سيئة قنطوا
واذا أذقنا الناس رجعة
مكروا والمكر اخفاء
الكيدوية من الجارية
المكورة المطوية الخلق
ومعنى مستهم خالطهم حتى
أحسوا بسوء أثرها فيهم
(ويقولون) يعني كفار مكة
(لولا أنزل عليه) هلا أنزل
على محمد عليه السلام (آية)
علامة (من ربه) على ما يقول
(قل) يا محمد (إنما النبي)

بأنزل الآية (لله فانتظروا) هلاكي (اني معكم من المنتظرين) لهلاككم (وإذا أذقنا الناس) أعطينا الكفار (رجعة) (من)
نعمة (من بعد ضراء) شدة (مستم) أصابهم (إذا لهم مكر) تكذيب (في آياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن

دلت على ذلك كأنه قال وأكاد رجسهم من بعد ضراء فاجوا وتووع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يسألوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعني الحفظة (يكتبون ما تكرون) اعلام بان ما تظنون خافيا لا يخفى على الله وهو متقن منكم وبالياه سهل (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يحملكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السبرينشركم شاعى (حتى اذا كنتم في الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (هم) بمن فيا رجوع من الخطاب الى التيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لاعاصفة ولاضيفة

(قل الله أسرع مكرا) أشد عقوبة أهلكهم الله يوم بدر (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ما تكرون) ما تقولون من الكذب وتعملون من المعاصى (هو الذي يسيركم) يحفظكم اذا سافرتم (في البر) على الدواب (والبحر) وفي البحر (حتى اذا كنتم في الفلك) ركبتكم في السفن (وجرين بهم) جرت السفن بأهاها (بريح طيبة) لينة ساكنة

قد حوت في آيات الله ويكتبون رسوله ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذ الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ﴿ان رسلنا يكتبون ما تكرون﴾ تحقيق الانتقام وتوبيه على ان مادبروا في اخفائه لم يخب على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يكرون بالياء ليوافق ما قبله ﴿هو الذي يسيركم﴾ يحملكم على السبر ويحملك منة ﴿في البر والبحر﴾ حتى اذا كنتم في الفلك ﴿في السفن﴾ وجرين بهم ﴿عن فيها عدل عن الخطاب الى التيبة للمبالغة كأنه يذكره لتبرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بريح طيبة﴾ لينة

من السماء والانواء عند العرب من منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتمدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للمالغ لانه تأمى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الطاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكذبا يتحالفون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفسد ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ أى قل لهم يا محمد الله أعلم عقوبة وأشد أخذاً وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم مما يأتى منكم في دفع الحق ولما قالوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ﴿ان رسلنا يكتبون ما تكرون﴾ يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يقتضوها بها ويجزون على مكرهم ﴿قوله تعالى ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾﴾ يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقبل معناه هو الله الهادي لكم في السبر في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهدي لكم أسباب السبر في البر والبحر ﴿حتى اذا كنتم في الفلك﴾ يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى ﴿وجرين بهم﴾ يعني وجرت السفن بركانها فان قات ما قاتة صرف الكلام عن الخطاب الى التيبة قات قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لهم حالهم ليحجم منها ويستدعى منهم من يد الانكار والتعجب وتال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ينزل الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يردده الى الغائب وقبل ان الاوقات من الكلام من السنن الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب ﴿بريح طيبة﴾

كنتم في الفلك) ركبتكم في السفن (قا و خا ٣١ لث) (وجرين بهم) جرت السفن بأهاها (بريح طيبة) لينة ساكنة

(و فرحوا بها) بتلك الريح لئلا واستقامتها (جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلتقتا (ريح حاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب (وجاههم الموج) هو { الجزء الحادي عشر } ما على ٢٤٢ الماء (من كل مكان) من البحر أو من

الهبوب ﴿ وفرحوا بها ﴾ بتلك الريح ﴿ جاءت بها ﴾ جواب لا إذا والضمير للفلك أو الريح الطيبة بمعنى تلتقتا ﴿ ريح حاصف ﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿ وجاههم الموج من كل مكان ﴾ يحيى الموج منه ﴿ وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاهم من لوازم ظنهم ﴿ لئن أنجيتنا من هذه لنتكونن من الشاكرين ﴾ على إرادة القول أو يفعلون دعوا لأنه من جملة القول ﴿ فلما أنجاهم ﴾ أجابة لدعاهم ﴿ إذا هم يننون في الأرض ﴾ فاجازوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿ بفيرالحق ﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تحريب المسلمين ديار الكفرة وأحراق زروعهم وقلع أشجارهم

يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة ﴿ وفرحوا بها ﴾ يعنى وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لأن الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك ﴿ جاء تها ريح حاصف ﴾ قيل ان الضمير في جاءتها يرجع إلى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح حاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع إلى الفلك يعنى جاءت الفلك ريح حاصف يقال ريح حاصف وحاصفة ومعنى عصف الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وإنما قال حاصف لأنه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديدا ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان ﴾ يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه ﴿ وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ يعنى وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحذق وقيل المراد من الطن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ يعنى أنهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم والحقيقى لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لانجيم من جمع الشدائد أو البلاء الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضروبلاء أخلصوا لله الدعاء ﴿ لئن أنجيتنا ﴾ أي قائلين لئن أنجيتنا ياربنا ﴿ من هذه ﴾ يعنى من هذه الشدائد التي نحن فيها وهى الريح الحاصفة والأمواج الشديدة ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة ﴿ فلما أنجاهم ﴾ يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها ﴿ إذا هم يننون في الأرض بفيرالحق ﴾ يعنى أنهم أخلصوا الله ما وعدوه وبغوا في الأرض قبيحا وزوا فيها إلى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل النبي

جمع أمكنة الموج وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا في الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لتعمتك مؤمنين بك متمكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسرير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى عافى حيزها كأنه قيل بسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجيى الريح الحاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم) إذا هم يننون في الأرض) يفسدون فيها (بغيرالحق)

(وفرحوا بها) اعجب الملاحون بالريح الساكنة (حاصف) أي السفن (ريح حاصف) حاصف شديد (وجاههم الموج) ركبهم الموج (من كل مكان) ناحية (وظنوا) علوا وابقوا (أنهم

أحيط بهم) أهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعاء (لئن أنجيتنا من هذه) الريح والشدة (لنكونن) مجاورة (من الشاكرين) من المؤمنين المطيعين (فلما أنجاهم) من الريح والفرق (إذا هم يننون) يتطاولون (في الأرض بغيرالحق)

بإطلاء أي مبطلين (يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع إليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها (متاع الحيوة الدنيا) حصص أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بئكم غيره بالرفع على أنه خبر بئكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبئى عليهم ﴿٢٤٣﴾ ومعناه انما بئكم {سورة يونس} على امثالكم أو هو خبر

ومتاع خبر بمد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمرة أي هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث أسرع الخبر ثوبا صلة الرحم وأجمل الشر عقابا البني واليمين الفاجرة وروى ثنان بجعلها الله في الدنيا البني وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لوبنى جبل على جبل لذلك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البني والنكث والمكر قال الله تعالى انما بئكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السبي الا بأهله ومن نكث فاعما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنصبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به الماء بالارض) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (انما يأكل الناس) والمعنى الحبوب والثمار والبقول (والانعام) بلاحق (يا أيها الناس) يا أهل مكة (انما بئكم)

فانها انما بحق ﴿يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم﴾ فان وباله عليكم أو انه على امثالكم وابتداء جنسكم ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفع على أنه خبر بئكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بئكم ونصبه حصص على أنه مصدر مؤكداً أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البني لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بئكم متاع الحياة الدنيا محذور أو منلال أو مفعول فعل دل عليه البني وعلى أنفسكم خبره ﴿ثم الينا مرجعكم﴾ في القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالجاء عليه ﴿انما مثل الحيوة الدنيا﴾ حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واعتزاز الناس بها ﴿كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿انما يأكل الناس والانعام﴾

مجاوزه الحد قال صاحب المفردات البني على ضربين أحدهما مجود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت مامنى قوله بغير الحق والبني لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ﴿يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم﴾ يعنى ان وياك بئكم راجع عليكم ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بئى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزيادة الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم لا يتهى ان يبئى بعضكم على بعض الا بما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبني من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لوبنى جبل على جبل لذلك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يثقل به فقال يا صاحب البني ان البني مصرعة فارجع فخير مقال المرء أعدله فلوبنى جبل يوما على جبل لانك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ثم الينا مرجعكم﴾ يعنى يوم القيامة ﴿فننبئكم﴾ أى فنصبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ يعنى في الدنيا من البني والمعاصى فنجازيكم عليها قوله عز وجل ﴿انما مثل الحيوة الدنيا﴾ يعنى في فنائها وزوالها ﴿كما انزلناه من السماء﴾ يعنى المطر ﴿فاختلط به﴾ أى بالمطر ﴿نبات الارض﴾ قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون ﴿انما يأكل الناس﴾ يعنى من الحبوب والثمار ﴿والانعام﴾ يعنى واما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه

ظلمكم وتناولكم مما بئكم (على أنفسكم) جنايته (متاع الحيوة الدنيا) منافع الدنيا تسمى ولا تبقى (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم) نجزىكم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (انما مثل الحيوة الدنيا) في بقائها وفنائها (كما انزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اختلط بنبات الارض (بأما كل الناس) الحبوب والثمار (والانعام) العكوش

واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الراء وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالمروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاصكتسها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وطن أهلها) أهل الأرض (أناها قادرون عليها) متكئون من منفعتها يحصلون ثمرتها رافعون لفلها (أناها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بدأ منهم واستيقانهم انه قلسم (ليلا أونهارا فعملها) فعملنا زرعها (حصيدا) شيئا بما يحصد من الزرع في قطعه واستنصاه (كأن لم تنن) كأن لم ينن زرعها أي لم يلبث حذف المضاعف في هذه المواضع لانه منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كأنه فيل كأن

من الزروع والبقول والحشيش ﴿ حق إذا أخذت الأرض زخرفها ﴾ حسنها وبمجتها ﴿وازينت ﴾ تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كمروس أخذت من ألوان الثياب ولين وتزينت بها وازينت أصله تزينت قدغم وقد ترمى على الأصل وازينت على العاهات من غير اعلال كغيات والمغى صارت ذات زينة وايزات كإياضت ﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ فيكون من حصدها ورفع غلتها ﴿ أناها امرنا ﴾ ضرب زرعها بمجتهه ﴿ ليلا أونهارا فعملناها ﴾ فعملنا زرعها ﴿ حصيدا ﴾ شيئا بما يحصد من أصله ﴿ كأن لم تنن ﴾ كأن لم ينن زرعها أي لم تثبت والمغف عذوف في المواضع المباهمة ونرى باليه على الأصل ﴿ بالامس ﴾ فما قبله وهو مثل في الوقت القريب والمثل به مضمون المسكة وهو زول خضرة الدات بخاة

﴿ حق إذا أخذت الأرض زخرفها ﴾ يعني حسننا ونضارتها وانحسرت وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور ﴿ وازينت ﴾ أي وتزينت ﴿ وظن أهلها ﴾ يعني أهل تلك الأرض ﴿ أنهم قادرون عليها ﴾ يعني على جدها وارتفاعها وحصدها ردا لكثافة إلى الأرض والمراد النبات اذ كان مفهوماً وقد ردها إلى البرة والثلاوة إلى الرينة ﴿ أناها أمرنا ﴾ أي نضوتنا بالامس ﴿ ليلا أونهارا ﴾ يعني في الليل أو النهار ﴿ فعملناها حصيدا ﴾ يعني عسودة مقطوعة ﴿ كأن لم تنن بالامس ﴾ يعني كأن لم تكن تلك الانحجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضرب الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بآدميين في زهرتها وحسبها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما حكمكم على أنفسكم بما أعطيتموه من الحياة الدنيا أتمه بهذا المل ان في في الأرض ويجبر فيها وكر الدنيا وأعرض عن الآخرة لان الامت في أول روزه من الأرض وما بدأ خروجه يكون صاعقا فاذا نزل عليه المطر واخطابه قوى وحسن واكتفى كمال الرواق والزينة وهو المراد من قوله حق إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الدنيا وجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبه بالمروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة ويض ولائك ان الأرض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو ردا أو رجا فعملها حصدا كان لم يكن من قبل قلنا فإذ ان المتشبهت بالدنيا أيه أمر الله وعذابه أعقل ما يكون روجه المثل ان طاب هذه الحيا لدنيا التي نفعها المرء كما ان في هذا الدات الذي لما عظم الرجاء في الاسعاع به وضع اليأس منه ولان الممسك بالدنيا اذا نال منها بئس منه أتاه الموت بضة فسانه ما هو فيه من نعم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المل لمن سكر المعاد والبث بعد الموت وذلك لان الررع اذا

الغم في حناتها فافسد زروع الزراعين (صحنانا حصيدا) كحصيد الصب (كأن لم ينن بالامس) ما يمكن (انتهى)

لم تكن أنفاً (كذلك فصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سر كذا
تقضيها وأقراض نعيمها بما لا يقابل بحال نبات الارض في جفافها وذهاب حطامها بعدما تنبت وتكاف وزين الارض بخضرتها
وريفه والتبدي على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شبيها وكدرها شبيها كما أن صفوا الماء في أعلى الاناء قل هو ألم تر ان المر كاس
سلافة فاوله صفوا وآخره كدره وحقيقته تزين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط التراب على اختلاف التلوين
فالطينة الطيبة تنبت بساكنين الا لس ورياحين ﴿٢٤٥﴾ الروح وزهرة الزهد ﴿سورة يونس﴾ وكروم الكرم وحبوب

الحب وحنائق الحقيقة
وشقائق الطريقة والخطيئة
مخرج خلاف الخلق ونعام
الانتم وشوك الذمك وشبح
السبح وحطب العطب والعام
اللب ثم بدوه معاده كما
عزى للعرش - معاده عزى
الحياة مفترا كما يهيج
اللبات مصفرا ذهب جسد
في الرمس كما لم تن بالامس
الى ان يعود ربيع البعث
وموعد العرض والبعث
وذلك حال الدنيا كالماء
ينقع قاسله وبهك كثيره
ولا بد من ترك ما زاد كالأبد
من أخذ الراد وأخذ المال
لا يحاو من زلة كما ان خاض
الماء لا نجو من بلة وجهه
واساكه تاف صاحبها
واهلكه فادون الصاب
بصضاح ماء يجاوز بلا
احتماء والصاب كمن حائل
بين المحتار والحواز الى
انفسار لا يمكن الا بقطرة
وهي الركة وعمارتها بذل
الصلاة فتختات
القطرة غرقته أمواج القسايط

وذهاب حطامها بما كان عضا وانف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا
انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك
تعدى الآيات لقوم يتفكرون﴾ فالهم المنتفعون به ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾
دار السلامة من القضا والآفة أودار لله ومخبر هذا الاسم لذمه على
ذلك أودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾
بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾

انسى وكامل في الحسن الى الغاية القصوى أنته آفة قنف ناكية ثم ان الله سبحانه
وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل
على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد ان كان قادرا على اعادة الاموات احياء
في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فينبط الطائع ويماقب العاصي ﴿كذلك فصل
الآيات لقوم يتفكرون﴾ معنى كما يتناكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك
نبين سبحانه وأدانا لمن تفكر واعتبر لكون ذلك سببا موجبا لروى الشك والشبهة
مر القلوب ﴿نوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ لما ذكر الله
زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دطالى داره دار السلام فالقادة الله هو السلام
وداره الجنة فلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من
جميع النقائص والعيوب والافهام والتفروغ فلاند سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلوا
من ظلم وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى السلام أى لا يقدر على محايص العاجزين
من المكروه والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع لسلامة والمعنى ان من دخلها
فدسلم من جمع لآفة كالوت والمرض واصاب والحزن والغم والوب والتكد وقيل
سمت الجنة دار السلام لار الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم
قيل ان من كمال رجاء الله وجوده وكرمه على عباده ان دهم الى جنته التي هي
دار السلام وفيه دالى على ان فيها ملائكة رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر لان العظيم لا يدعوا الى عظيم ولا صف الاعظما ومد وصف لله سبحانه وتعالى
الحمة في آيات كثيرة من كتابه ﴿ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ معنى والله

المنظرة وعن هذا فال عليه السلام الركة مطرة الاسلام وكذا المال ساعدا لا وفادون الاتحاد كما ان الماء يجمع في الوهاد
دون العباد وكذلك المال لا يجمع الا بكذب الخيل كما أن الماء لا يجمع الا بسد المسيل ثم نفو وياب ولا يبقى كالماء في الكف (والله
يدعوا الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسم تنظيمها أو السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لغشوا السلام
بنهم وسلم الملائكة عليهم الا قلا سلا مسلاما (ويهدى من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى

بالامر (كذلك) هكذا (فصل الآيات) نبين القرآن في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) في مر الدنيا والآخرة (والله
يدعوا) الخلق بالتوحيد (الى دار السلام) والسلام هو الله والجنة داره (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) دين قائم برضاء

وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرج بلباس التقوى وفي تميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصير على الضلالة لم ير الله رشده ﴿ للذين احسنوا الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ وما يزيد على اثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل

يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استثناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبث داعيا فن اجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها بفقها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت فى المنام كان جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وعن النواس ابن سعيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفى الصراط داران لهما أبواب مقفحة على ابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله ندعو الى دار السلام وبهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴿ للذين أحسنوا الحسنى ﴾ قال ابن عباس للذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأبث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الحلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا الماثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ اختلف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على افوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري وعبادة بن صامت رضى الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقال والسدى ويند على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم

الاسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو المباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (للذين أحسنوا آمنوا بالله ورسله (الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وزيادة) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبي موسى الاشعري وعبادة ابن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفسير أجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم

حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مضفرة
من النظر الى ربه تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذي أحسنوا
الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله للذي أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله
الكريم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه
وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله
الكريم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر
الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة يث الله الى اهل
الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من
الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه
الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيجيب لهم عن
وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال
الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربه فهذه الاخبار والآثار قد دلت على
أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المقول فنقول ان
الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق
وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد
من لفظة الحسنى هو الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا
منايرا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب جل هذه
الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة فثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النضارة وهو حسن الوجوه
وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن بفسر
بعضها بعضا فوجب جل الحسنى على الجنة ونيحها وجل الزيادة على رؤية الله تبارك
وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز جل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على
ان رؤية الله سبحانه وتعالى متممة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه
ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه
ولان جماعة من المفسرين جاوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتمى ما قلتم أجاب
أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى
في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحداث العجيبة
بإثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبه ولا احاطة
وجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ان الزيادة عندنا اذا كان

وجوهنا ألم تدخلنا الجنة
وتنجنا من النار قال فبرقع
الحجاب فينظرون الى الله
تعالى فأعطوا شيئا أحب
اليهم من النظر الى ربه ثم
تلا للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة والعجب من صاحب
الكشاف انه ذكر هذا
الحديث لا بهذه العبارة وقال
انه حديث مدفوع مع انه
مرفوع قدأورده صاحب
المصابيح في الصحاح وقيل
الزيادة المحبة في قلوب العباد
وقيل الزيادة مضفرة من الله
ورضوان

ويقال ان زيادة في الثواب

من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة وازيادة هي الاماء ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ لا يشاها ﴿ قتر ﴾ غبرة فيها سواد ﴿ ولا ذلة ﴾ هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿ أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجيرة عمرو والذين مبتدأ والجار جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى ان يجازى سيئة بسنة مثلهما لا يزداد عابها ومثبه على ان الزيادة هي الفضل أو النقص أو كما انما نسبت وجوههم أو أولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة بمبدأ خبره محذوف أى فجزاء

(ولا يرهق وجوههم)
ولا يفتى وجوههم (قتر)
غبرة فيها سواد (ولا ذلة)
ولا أثر هوان والمعنى
ولا يرهقهم ما يرهق أهل
النار (أولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا) عطف
للذين احسنوا أى وللذين
كسبوا (السيئات) فون
الشرك (جزاء سيئة بمثلها)
الباء زائدة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها أو القدر
جزاء سيئة مقدره مثلها

بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه وإذا لم تكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئاً مغايراً لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤبة وأوجب عن قولهم وذن جماعة من المفسرين حوا الزيادة على غير الرؤبة بانه معارض قول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤبة والمثبت مقدم على الناقى والله أعلم ﴿ القول الثانى فى معنى هذه الآية ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال الزيادة غرة فمن لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ﴿ القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا عزب يقول يحجزهم بعملهم وزيدهم من نسله فإعادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بشراً ماها الى سبعمائة ضعف ﴿ قول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان فإله مجاهد فى قول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم ، وم القامة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ بنى ولا يفتى وجوههم الجنة ﴿ قتر ﴾ أى تأبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ﴿ ولا ذلة ﴾ يعنى ولا هوان قال ابن أبى لى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى ﴿ أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين وصفت بنفهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقبون لا يخرجون منها أبداً ﴿ وله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة شرح فى هذه الآية حال من أقدم الى السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد الكفار والمعاصى جزاء سيئة بمثلها سنى فلهم جزاء السيئة التى عاوموا بها من الفات والمغزود من هذا النص الذى يفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف له ايامها ماها من الواحاه الى العشرة الى السائة الى اضعاف كثيرة ، وذلك تنضاد منه وكرما وأما الآية التى يجازى عابها بها

(ولا يرهق) لا يرهق
(وجوههم) سواد ولا
كسوف (وذلة) ولا كآفة
(أولئك اصحاب الجنة)
أهل الجنة (هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات)
الشرك بالله (جزاء سيئة
بمثلها) بقول قصاص الشرك
بالله النار

(وترهقهم ذلة) ذل وهو ان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يصعبهم أحد من مخطئه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطما من الليل مظاما) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطما جمع قطعة وهو مقول أن لا غشيت قطما منى وعلى من قوله بقطع ﴿ ٢٤٩ ﴾ من الليل وعلى هذه { سورة يونس } القراءة مظما صفة لقطع

وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف بالمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى القيل فى من الليل (أولئك أصحاب النار) فيها خالدون ويوم نحشروهم (أى الكفار وغيرهم) (جميعا) حال (ثم) نقول للذين أشركوا (قول للذين أشركوا) أى الزموا مكانكم (لا يبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم) (أنتم) أكسبه الضمير فى مكانكم لصد مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطى عليه (فزيلنا) ففرقتنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم را وصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤهم) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينطقها الله عز وجل (ما كنتم) انا تعبدون)

سبحة بمثلها واقع أو مثلها على زيادة الباء وتقدير مقدر بمثلها ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ فرى بالياء ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ ما من احد يصعبهم من مخطئ الله أو من جهة الله ومن عنده كالكون للمؤمنين ﴿ كأنما أغشيت ﴾ غطيت ﴿ وجوههم قطما من الليل مظاما ﴾ لقرط سوادها وظلمتها ومظلمها من الليل والعامل فيها غشيت لانه العامل فى قطما وهو موصوف بالجوار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى القيل فى من الليل ﴿ وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قلما بالسكون فبلى هذا يصح ان يكون مظما صفة له أو حال منه ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ فيها خالدون ﴿ بما يخرجهم الوعيدة والجواب ان الآية فى الكفار لا شتم السبب على الكفر والشرك ولان الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكفرة من اهل القبلة لا يتناولهم قسيه ﴿ ويوم نحشروهم جميعا ﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿ أنتم ﴾ ما كيد للضمير المتقل اليه من عامله ﴿ وشركاؤكم ﴾ عطى عليه ﴿ وقرىء بالصب على المفعول معه ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ ففرقتنا بينهم ﴿ وقطعنا أقرانهم را وصل التى كانت بينهم ﴾

عدلا منه سبحانه وتعالى ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ قال ابن عباس يشاهم ذل وشدة وقيل يشاهم ذل وهو ان لعقاب الله اياهم ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ يعنى مالهم مانع عنهم من عذاب الله اذ انزل بهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطما من الليل مظاما ﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ فيها خالدون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نحشروهم جميعا ﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تستلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿ أنتم وشركاؤكم ﴾ يعنى أنتم أيها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ يعنى ففرقتنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من النواصل فى الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر فى المستقبل فواجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكان الآن ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال شركاؤهم ﴾ يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم أولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب ﴿ ما كنتم انا تعبدون ﴾ نرى المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

(وترهقهم ذلة) تملوهم كآبة وكسوف (مالهم من الله) من عذاب الله (من

عاصم) من مانع (كأنما) من الحزن (أعيت) (قا و خا ٣٢ لث) أبست (وجوههم قطما من الليل) من السواد (مظما أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (ويوم نحشروهم) الكفار وأهلهم (جميعا) نقول للذين أشركوا (ما كنتم) تفقوا (انتم وشركاؤكم) آلهكم (فزيلنا) فرما (بينهم) وبين آلهتهم فقال الكافرون أمرنا هؤلاء ان نعبدهم من دونك (وقال شركاؤهم) آلهتهم ردا عليهم (ما كنتم انا تعبدون) بأمرنا فقالوا بلى أمرتمونا

انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمرتكم ان تحذوا لله انما اذا اطعمتوهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء
اياكم الى قوله بل كانوا { الجزء الحادي عشر } يعبدون الجن ﴿ ٢٥٠ ﴾ ﴿ فكفى بالله شهيدا بينا وبينكم ﴾

بجاز عن براة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اوهامهم لانها الآسرة
بالاشراك لاما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافهم بذلك مكان الشفاعة التي
يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسبح وقيل الشياطين ﴿ فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ﴾ فانه العالم بكنهه الحال ﴿ ان كنا عن عبادتكم لنافلين ﴾ ان هي الخففة من
المثقلة واللام هي الفارقة ﴿ هنالك ﴾ في ذلك المقام ﴿ تبلوا كل نفس ما اسلفت ﴾ تختبر
ما قدمت من عمل فتعابن نفسه وضره * وقرأ جزءة والكسائي تبلوا من التلاوة اي تقرأ ذكر
ما قدمت او من التلاوة تتبع علمها فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ تبلوا بالنون ونصب كل
وابدال مامنه والمعنى تختبرها اي تفعل بها فعل المختبر لخالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس طامية
بسبب ما اسلفت من الشر فتكون مامنصوبة بنزع الخافض ﴿ وردوا الى الله ﴾ الى
جزائه اياهم ما اسلفوا ﴿ مولا هم الحق ﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لاما اتخذوه

وهي جاد لا روح فيها ولا عقل لها فات يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك
اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام * فان قلت اذا احياهم
الله في ذلك اليوم فهل يفهم او يقيم * قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من
أفعاله واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة * فان قلت
ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها * قلت قد تقدمت
هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام وتقول هنا قال مجاهد تكون في يوم
القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله
فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم انكم تعبدونها فيقولون
والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة ﴿ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن
عبادتكم لنافلين ﴾ والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدونها
وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا خافلين ما نشر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى
﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت ﴾ فهو كالتمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك
المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على
الزمان وفي قوله تبلوا قرأت قرئ ببناءين ولها معنيان أحدهما انه من تلاء اذا تبعه
أي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب أو العقاب الثاني
أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ
تبلوا ببناء المثناة والباء الموحدة ومعناه تختبر وتعلم والباء الاختبار ومعناه اختبارها
ما اسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزي به ﴿ وردوا الى الله
مولا هم الحق ﴾ الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا
الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولى أمرهم * فان قلت قد قال الله سبحانه

أي كفى بالله شهيدا وهو
تميز (ان كنا عن عبادتكم
لنافلين) ان مخففة من
الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية (هنالك) في
ذلك المكان أو في ذلك
الوقت على استعارة اسم
المكان للزمان (تبلوا كل
نفس) تختبر وتدوق
(ما اسلفت) من العمل
تتعرف كيف هو أفيح
أم حسن أنافع أم ضار
امقبول أم مردود وقال
الزجاج تعلم كل نفس
ما قدمت تبلو جزءة وعلى
أي تتبع ما اسلفت لان
عمله هو الذي يهديه الى
طريق الجنة أو النار
أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت
من خير أو شر كذا عن
الاخفش (وردوا الى الله
مولا هم الحق) ربهم
في ربوبيته لانهم كانوا
يتولون ما ليس لربوبيته
حقيقة أو الذي يتولى
حسابهم وثوابهم العدل

بعبادتكم فقالت الآلهة
(كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا) قد كنا (عن
عبادتكم) ايانا (لنافلين)
لجهاين لم نعلم من ذلك شيئا
(هنالك) عند ذلك (تبلوا)
تعلم وان قرأت ببناء يقول

تقرأ (كل نفس ما اسلفت) ما علمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولا هم الحق) الهم الحق (وتعالى)

الذي لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يخترقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسييرهما على الحد الذي سوا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شيء* (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والقرح والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة ﴿٢٥١﴾ والحب والكافر {سورة يونس} والجاهل وعكسها (ومن

يدبر الامر) ومن على تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بمد الخصوص (فسيقولون الله) فسيقولونك عند سؤالك ان القادر هذه هو الله (قتل أفلاتقون) الشرك في البودية اذا اعترفتم بالروبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبته ثباتا لا ريب فيه

مولى وقرى الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿ وضل عنهم ﴾ وضاع عنهم ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون لها آلهة ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى منهما جيمافان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من اهل السماء والارض ﴿ أم من يملك السمع والابصار ﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسييرهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انقضاءهما من أدنى شيء ﴿ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ ومن يدبر الامر ﴾ ومن على تدبير امر العالم وهو تعميم بمد تخصيص ﴿ فسيقولون الله ﴾ اذ لا يقدر من المكابرة والنادى في ذلك لفرط وضوحه ﴿ قتل أفلاتقون ﴾ انفسكم عقابه باشر اكتم اياه ما لا يشاركه فى شيء من ذلك ﴿ فذلكم الله ربكم الحق ﴾ أى المتولى

وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فا الفرق قلت المولى فى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات ﴿ أم من يملك السمع والابصار ﴾ يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ﴿ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة ﴿ ومن يدبر الامر ﴾ يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله ﴿ فسيقولون الله ﴾ يعنى أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك ﴿ قتل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ أفلاتقون ﴾ يعنى أفلا تخافون عقابه حيث تبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور ﴿ فذلكم الله ربكم الحق ﴾ يعنى فذلكم الذى

ويقال السنبلة من الحب (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة من السنبلة (ومن يدبر الامر) من يقدر أن يدبر أمر البعاد وينظر فى أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (فسيقولون الله قتل) يا محمد (أفلاتقون) تطيعون الله (فذلكم الله ربكم) فالذى يفعل ذلك هو ربكم (الحق) هو الحق وعبادته

لمن حقق النظر (فإذا بعد الحق الا الضلال) أي لا واسطة بين الحق والضلال فنخطى الحق وقع في الضلال (فأني تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمت شأى ومدنى أى كالحق وثبت أن الحق بعد الضلال أو كالحق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حققت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى { الجزء الحادى عشر } الحد الاقصى ﴿ ٢٥٢ ﴾ فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة

لهذه الادوار المسهق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى اشأكم واحياكم ورزقكم وديراوركم ﴿ فاذا بعد الحق الا الضلال ﴾ استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فنخطى الحق الذى هو مادة الله تعالى ونوع في الضلال ﴿ فاني تصرفون ﴾ عن الحق الى الضلال ﴿ كذلك حققت كلمت ربك ﴾ أى كحققت الربوبية لله أو ان اساق بعده الضلال أو انهم مصروفون عن الحق كذلك حققت كلمة الله وحكمه ﴿ على الذين فسقوا ﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿ انهم لا يؤمنون ﴾ بدل من الكلمة او تعاميل لحقيتها والمراد بها العدة بالعداب ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها واذك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ لان لجاحهم لا يعدهم ان يعترفوا بها ﴿ فاني تؤفكون ﴾ تصرفون عن تصد السبل ﴿ قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ﴾ ينصب المحجج وارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يهدى الى لضمه وفى الانتهاء يهدى باللام للدلالة على

يفعل هذه الاشياء ويقدر عاها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لانه الاصنام ﴿ فاذا بعد الحق الا الضلال ﴾ يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة ولدلائل القطعية ان الله هو الحق ويجب أن يكون ماسواه صلا ولا وباطلا ﴿ فاني تصرفون ﴾ يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح وكيف تستخيرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل ﴿ كذلك ﴾ أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال ﴿ حققت ﴾ أى وجبت ﴿ كلمت ربك ﴾ فى الازل ﴿ على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴾ قبل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى الوجود المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع ﴿ قل هل من شركائكم ﴾ أى قل يا محمد انهؤ لا المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة ﴿ رببدأ اساق ﴾ يعنى من يقدر على ان يبدؤ الخلق على غير مثال سبق ﴿ ثم عده ﴾ أى ثم يعيده بعد الموت كهيدته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار ﴿ قل ﴾ أى قل أنت يا محمد ﴿ لله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته ﴿ فاني يؤفكون ﴾ يعنى فاني تصرفون عن تصد السبل والمراد من هذا التحجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ هل من شركائكم من يهدى الى الحق ﴾ يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك

أى حق عليهم استثناء الايمان او حق عليهم كلمة الله أن اعانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعداب وأنهم لا يؤمنون لتليل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على ان قيم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كما عادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) أمر نبيد بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لاتدعهم مكارتهم أن ينطوا بكلمة الحق فتسلكم عنهم (فاني تؤفكون) فكيف تصرفون عن تصد السبل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد

الحق (فاذا بعد الحق الا الضلال) فاذا لعبادتكم بعد عبادة الله الاعادة للشيطان (فاني تصرفون) من اين تكذبون على الله (كذلك)

هكذا (حققت) وجبت (كلمت ربك) بالعداب (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) وفى علم الله (قل) (هل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يبدؤ الخلق) من النطفة ويحمل فيه الروح (ثم يعيده) بعد الموت يوم القيامة فان أجابوك والاف (قل الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) ثم يحييه يوم القيامة (فاني تؤفكون) فن اين تكذبون ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يهدى الى الحق) والهدى

اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين التبيين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شربى بمعنى اشترى ومنه قراءة - جزوة على أمن لا يهدى بمعنى يهتدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش باشمام ﴿ ٢٥٣ ﴾ الهاء قحعة { سورة يونس } أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح

الياء طاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهو قراءة عبدالله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لاتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمدنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بماركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركاءكم الذين جعلتم أناداء لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوئان الى مكان فينتقل اليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حالة الى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فإنكم كيف

ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما استنده الى الله ﴿ قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ أم الذى لا يهتدى إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى أو لا يهدى غيره إلا ان يهديه الله وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن طاسم يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لاتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالأدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدى للبيانة ﴿ فإنكم كيف تحكمون ﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

﴿ قل ﴾ أى قل لهم أنت يا محمد ﴿ الله يهدى للحق ﴾ يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره ﴿ أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدى إلا أن تهدي . فان قلت الاصنام جاد لاتصور هدايتها ولأن تهدي فكيف قال إلا أن يهدى . قالت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوابه الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنقل من مكان الى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فيبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن تكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهديته أولى من اتباع غيره ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فإنكم كيف تحكمون ﴾ قال الزجاج فإنكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجوارحين تزعمون ان مع الله شركا وقيل معناه بثما حكتم اذ جعلتم لله شركا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أناداء الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد فان اجابوك وال (قل الله يهدى للحق) والهدى (أفمن يهدى الى الحق) والهدى (أحق ان يتبع) أن يعبد ويطاع (أمن لا يهدى) الى الحق والهدى (الا ان يهدى) يحمل فيذهب به حيث يشاء (فإنكم كيف تحكمون) بأس ما تقضون به لانفسكم (وما يتبع) يعبد (أكثرهم)

بغير دليل وهو اقتداؤهم بإسلافهم ظناً منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يفتى من الحق) وهو العلم (شياً) في موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) أى اقتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله في علو أمره واعجازه مفترى

(ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من

آلهة (الاظنا) الابالظن (ان الظن) عبادتهم بالظن (لا يفتى من الحق) من عذاب الله (شياً) ان الله عليم بما يفعلون) في الشرك من عبادة الاوثان وغير ذلك (وما كان هذا القرآن) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (أن يفترى) ان يخترق (من دون الله) ولكن تصديق الذى بين يديه) موافق التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه (وتفصيل الكتاب) تبيان القرآن بالحلال والحرام والامر

فيما يتقدون ﴿ الاظنا ﴾ مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجيع أو من ينتمى منهم الى تميز ونظرو لا يرضى بالتقليد الصرف ﴿ ان الظن لا يفتى من الحق ﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿ شياً ﴾ من الاغناء ويجوز ان يكون مفعول به ومن الحق حالاً منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿ وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ﴾ اقتراء من الخلق ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ مطابقاً لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذباً كيف وهو لكونه مجهزاً دولها عيار عليها شاهد على صحتها ونصيده بأنه خبر لكان مقدر أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذى هو قرى بالرفع على تقديره ولكن هو تصديق ﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع

الاظنا ﴿ يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لعلم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه ورببة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء ﴿ ان الظن لا يفتى من الحق شياً ﴾ يعنى ان الشك لا يفتى عن اليقين شياً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من غضاب الله شياً ﴿ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿ قوله تعالى ﴾ وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ﴾ يعنى وما كان ينبئ لهذا القرآن ان يخترق ويفضل لان معنى الاقتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأق به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الاقتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الاقتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يحقق باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقد حوا فيه اعداؤه اهل الكتاب له ولما لم يقصد فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزه صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار القيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر ﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ يعنى وتبين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض

قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من ﴿ ٢٥٥ ﴾ رب العالمين) {سورة يونس} داخل في حيز الاستدراك

كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الرب كاشا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل يقولون اختلقه (قل) ان كان الاس كاذباً (قل) انتم كاذبون (فأتوا) انتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثل في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

واللهي (لاريب فيه) لاشك فيه (من رب العالمين) من سيد العالمين (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم يا محمد (فأتوا بسورة مثله) مثله سورة القرآن (وادعوا من استطعتم) استعينوا على ذلك من عبدتم

(من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمدا عليه السلام يختلفه من تلقاء نفسه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعلم يدرك

﴿ لاريب فيه ﴾ منتفيا عنه الرب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالاً من الكتاب فانه مضمول في المعنى وان يكون استثناء ﴿ من رب العالمين ﴾ خبر آخر تقديره كأننا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل المطلق بهما ويجوز ان يكون حالاً من الكتاب أو من الضمير في فيه ومساق الآية بمد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب أتباعه والبرهان عليه ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون ﴿ افتراه ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثل في العربية والفصاحة واشد تمثالا في النظم والمبارة ﴿ وادعوا من استطعتم ﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به ﴿ من دون الله ﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه اختلقه ﴿ بل كذبوا ﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿ بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ بالقرآن اول سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علمان ذكر البعث والجزاء وسائر

والاحكام ﴿ لاريب فيه من رب العالمين ﴾ يعني ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مقترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واخترته من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ان كان الاس كاذباً كما تقولون ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فافادة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزاً في نفسه فقل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني ماالسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا يتكبرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل

ولما يأتيهم تأويله (بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أسرهم وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لقرط نفورهم عما يخالف دينهم وشراهم عن مفارقة دين آباؤهم ومعنى التوقع في ولما يأتيهم تأويله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علوا بعد علوانه وأعجزاه لما كرر عليهم التصدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلكم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها اعتادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما { الجزء الحادي عشر } يأتيهم تأويله ولم ﴿ ٢٥٦ ﴾ يأتيهم بعد تأويل مافيه من الاخبار

بالتأييد أي عاقبه حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه و من جهة مافيه من الاخبار بالتأييد فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا أخباره بالغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وفيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ﴿ ومنهم ﴾ ومن المكذبين ﴿ من يؤمن به ﴾ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يمانا ومن سيؤمن به ويتوب عن كفره ﴿ ومنهم من لا يؤمن به ﴾ في نفسه لقرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ بالمعاندين أو المصرين ﴿ وان كذبوك ﴾

على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها ﴿ ولما يأتيهم تأويله ﴾ يعني أنهم كذبوا به ولم يأتيهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى أنهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه أنهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويله فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومنهم من يؤمن به ﴿ يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن ﴾ ومنهم من لا يؤمن به ﴿ لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن ﴾ وربك أعلم بالمفسدين ﴿ يعني الذين لا يؤمنون ﴾ وان كذبوك ﴿

(يعني)

أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك

علمهم (ولما يأتيهم) لم تأتيهم (تأويله) عاقبة ما وعدهم في القرآن (كذلك) كما كذبك قومك بالكتب والرسول (كذب الذين من قباهم) بالكتب والرسول (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) كيف صار آخر أمر المشركين المكذبين بالكتب والرسول من عبادة الله شيئا ويقال وهذا تعزية من الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم كي يصبر على أذاهم (ومنهم) من اليهود (من يؤمن به) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن قبل موته (ومنهم) من اليهود (من لا يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) باليهود عن يؤمن وعن لا يؤمن ويقال نزات هذه الآية في المشركين (وان كذبوك)

وبشت من اجابتهم (فقل لي على) جزاء على (ولكم عليكم) جزاء اعمالكم (اتم برئون مما عمل وانا بريء مما تعملون)
 فقل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم
 لا يعمون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت) ٢٥٧ ﴿ تسمع الصم ولو { سورة يونس } كانوا لا يعقلون) أنطمع

أنك تقدر على اسماع الصم
 ولو انضم الى صمهم عدم
 عقولهم لان الاصم العاقل
 بما قرس واستدل اذا
 وقع في صماخه دوى
 الصوت فاذا اجتمع سلب
 العقل والسمع مقدم الامر
 (ومنهم من ينظر اليك)
 ومنهم ناس ينظرون اليك
 وسانوا أدلة الصدق
 وأعلام النبوة ولكنهم
 لا يصدقو (أفأنت تهدي
 العمى ولو كانوا لا يبصرون)
 أحسب أنك تقدر على هداية

وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ﴿ فقل لي على ولكم عليكم ﴾ فبترأ منهم فقد اعذرت
 والمنفى لي جزاء على ولكم جزاء على ﴿ اتم برئون مما عمل وانا بريء مما تعملون ﴾ لا تؤاخذون بعلمي ولا تؤاخذ بعلمكم ولما فيه من ايها الاعراض عنهم وتخلية
 سيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ﴿ ومنهم من يستمعون اليك ﴾ اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع
 ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلاً ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ تقدر على اسماعهم ﴿ ولو
 كانوا لا يعقلون ﴾ ولو انضم الى صمهم عدم تعقلهم وفيه تبييه على ان حقيقة استماع الكلام
 فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم
 في تدبره وعقولهم لما كانت مؤونة بمارضة الوهم ومشايبة الالف والتقليد تمذرا فهمهم
 الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسر الدالقات عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق
 ﴿ ومنهم من ينظر اليك ﴾ يعانون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك ﴿ أفأنت تهدي
 العمى ﴾ تقدر على هدايتهم ﴿ ولو كانوا لا يبصرون ﴾ وان انضم الى عدم البصر عدم
 البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك
 يحسب الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاجق والآية كالتليل للاسر بالتبري

العمى ولو انضم الى
 فقد البصر فقد البصيرة
 لان الاعمى الذي له في قلبه
 بصيرة قد حسد وأما
 العمى مع الحق فيجهد
 البلاء يعني انهم في اليأس
 من أن يقبلوا ويصدقوا
 كالصم والعمى الذين
 لا عقول لهم ولا بصائر

يعني وان كذبت قومك يا محمد ﴿ فقل ﴾ أي فقل لهم ﴿ لي على ﴾ يعني الطاعة وجزاء
 ثوابها ﴿ ولكم عليكم ﴾ سقى الشرك وجزاء عقابه ﴿ اتم برئون مما عمل وانا بريء مما تعملون ﴾
 قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة
 بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا
 لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أعماله من الثواب
 والعقاب وآية القتال مارفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا
 ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومنهم ﴿ يعني ومن هؤلاء المشركين ﴾ من يستمعون اليك ﴿ يعني
 باسمعهم الظاهرة ولا يسمعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك ﴾ أفأنت تسمع الصم ﴿ يعني
 كأنك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه ﴿ ولو كانوا
 لا يعقلون ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم
 لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم ينتفعوا بما لم يسموا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون
 شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق ﴿ ومنهم من ينظر اليك ﴾ يعني بابصارهم الظاهرة
 ﴿ أفأنت تهدي العمى ﴾ يريد عمى القلوب ﴿ واو كانوا لا يبصرون ﴾ لان الله أعمى
 بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لبيه
 صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر
 أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن

يا محمد قومك بما تقول لهم
 (فقل لي على) وديني
 (ولكم عليكم) ودينكم
 (اتم برئون مما عمل)
 وأدين (وانا بريء مما
 تعملون) وتدينون (ومنهم
 من اليهود) من يستمعون

البيت الى كلامك وحديثك ويقال من مشرك (قا و خا ٣٣ لث) العرب من يستمع الى كلامك وحديثك (أفأنت تسمع)
 يا محمد (الصم) من كانه أصم (ولو كانوا لا يعقلون) ومع ذلك لا يريدون أن يعقوا (ومنهم) من اليهود ويقال من المشركين (من
 ينظر اليك أفأنت تهدي) يرشد الى الهدى (العمى) من كانه أعمى (ولو كانوا لا يبصرون) ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا

(ان الله لا يظلم الناس شيئا) الحزب السادس عشر { ولكن اللبس } ٤٥٨ ﴿ انفسهم يظلمون ﴾ ولكن الناس جزوة وعلى أي

والاعراض عنهم ﴿ ان الله لا يظلم الناس شيئا ﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴾ باسادهما وتقويت منافعهما عليهم وفيه دليل على ان للمبد كسبا وان ليس بمسلوب الاختيار الكلية كازعت المجهرة ويجوز ان يكون وعيد الله بمحق ما يحق بهم يوم القيامة من المذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ﴿ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أوفى القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة أو سفة ليوم والمأبد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قوله اول مصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا قول مانثروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدره أوبسب ان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ﴾ للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان

﴿ ان الله لا يظلم الناس شيئا ﴾ ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والحلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظلما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويوم نحشرهم ﴾ يعني واذا ذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم ﴿ كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ﴾ يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتميز جله على أمر مختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينقموا باعمارهم في الدنيا استقلوا والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طاب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا احوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا طابوا احوال يوم القيامة وفي بعض الآيات ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هبة وخشية وميل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ذكر بعضهم بعضا لهول ايعامون في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ﴿ حتى أن من باع آخرته بالثمن الدنيا الفانية قد خسر لانه آثر الفاني على

لم يظلمهم بسلب الة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جادا وهم احياء (ويوم نحشرهم) وبالياء محض (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أوفى قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كأن لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون

الحق والهدى (ان الله لا يظلم الناس شيئا) لانقص من حسناتهم ولا يزيد على سيئاتهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بالكفر والشرك والمعاصي (ويوم نحشرهم) يعني اليهود والنصارى والمشركين (كأن لم يلبثوا) في القبور (الا ساعة من النهار) يتعارفون بينهم (يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطن

ولا يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطن (قد خسر) غبن (الذين كذبوا بقاء الله) بالبعث بعد الموت بذهاب (الباقي)

بينهم ظالمين ذلك أو هو شهادة من الله على خسرتهم والمعنى أنهم وضوا في تجارتهم ويسمى بالإيمان بالكفر (وما كانوا مهتدين)
تجارة عارفين ما هو استئناف به معنى ﴿ ٢٥٩ ﴾ التجب كأنه قيل ما (سورة يونس) أخسرهم (واما نرينك

بعض الذي تعدهم) من
الغذاب (أو توفينك)
قبل عذابهم (فاليناسر جمعهم)
جواب توفينك وجواب
نرينك محذوف أي واما
نرينك بعض الذي تعدهم
في الدنيا فذاك أو توفينك
قبل أن نريك فمن نريك في
الآخرة (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) ذكرت الشهادة
والمراد مقتضاها وهو
العقاب كأنه قيل ثم الله
معاقب على ما يفعلون وقيل
ثم هنا بمعنى الواو (ولكل
أمة رسول) يبعث إليهم
لينبئهم على التوحيد ويدعوهم
إلى دين الحق (فاذا جاء
رسولهم) بالبينات فكذبوه
ولم يتبعوه (مضى بينهم)
التي ومكذبه (بالقسط)
بالمعدل فأنجي الرسول وعذب
المكذبين (ولكل أمة من
الأمم يوم القيامة رسول تنسب
إليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والإيمان قضى بينهم بالقسط
(وهم لا يظلمون) لا يعذب
الدنيا والآخرة (وما كانوا
مهتدين) من الكفر
والضلالة (واما نرينك)
يا محمد (بعض الذي تعدهم)
من العذاب (أو توفينك) قبل
أن نرينك يا محمد ما تعدهم
من العذاب (فاليناسر جمعهم)

دكون حالا من الضمير في تعد . فو . على إرادة القول ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ لطرق
ستعان ما منحوا من المعاور في تحصل المد ارف فاستكسبوا بها جهالات ادتهم الى
الردى والغذاب الدثم ﴿ واما نرينك ﴾ نبرونك ﴿ بعض الذي تعدهم ﴾ من العذاب
في حياتك كما اراه يوم بدر ﴿ أو توفينك ﴾ قبل أن نريك ﴿ فاليناسر جمعهم ﴾ فنريك
في الآخرة وهو جواب توفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ ثم الله شهيد
على ما يفعلون ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة و اراد تليتها ومقتضاها ولذلك رتبها على
الرجوع ثم أو مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ﴿ ولكل أمة ﴾ من الأمم الماضية
﴿ رسول يبعث إليهم ليدعوهم الى الحق ﴾ فاذا جاء رسولهم ﴿ بالبينات فكذبوه
﴿ قضى بينهم ﴾ بين الرسول ومكذبه ﴿ بالقسط ﴾ بالمعدل فأنجي الرسول واهلك
المكذبون ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فاذا جاء
الباقي ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ يعني الى ما يصلحهم ويخرجهم من هذا الخسار ﴿ واما
نرينك ﴾ يعني يا محمد ﴿ بعض الذي تعدهم ﴾ يعني ما تعدهم به من العذاب في الدنيا
فذاك ﴿ أو توفينك ﴾ قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة
وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاليناسر جمعهم ﴾ يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله
يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخزيهم في حال
حياته في الدنيا وقد أراه ذلك يوم بدر وغيره من الأيام وسيره ما أعد لهم من العذاب
في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ فيه وعيد وتهديد
لهم بمعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازهم عليها
يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد
صلى الله عليه وسلم مع قومه بين احوال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى (ولكل
أمة يبعث الله رسولا) وقد دخلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا إليهم يدعوهم الى الله والى
طاعته والايان به ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ في هذا الكلام اختصار تقديره فاذا جاءهم
رسولهم وبلغهم ما ارسل به إليهم فكذبوه قوم وصدقه آخرون ﴿ قضى بينهم ﴾
بالحكم بينهم بالمعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما أنه
في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبلغ الرسالة واقامة
الحجة وازالة لئذ فاذا كذبوا رسوله وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسوله
في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان
قبل مجي الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة
وذلك ان الله اذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن
والكافر والطائع والمعاصي نجى بالرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في
إظهار العدل وهو قوله تعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ معنى من حزاء أعمالهم شأ ولكن

بعد الموت (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الحيروا الشر (واكل أكل) لكل أهل دين (رسول) يدعوهم الى الله والى دينه (فاذا جاءهم) هم
(رسولهم) مكذبوا (مضى بينهم) وبين الرسول (بالقسط) بالمعدل بهلاك القوم ونجاة الرسول (وهم لا يظلمون) لا يتقص

أحد بغير ذنبه ولما قل وأما تبرئك بعض الذي ندمهم أي من العذاب استجلبوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للثني والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولانفعا) من صعدا وغنى والسبب (الإمضاء الله) استثناء متقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم {الجزء الحادي عشر} الضر وجلب العذاب هر ٢٦٠ (لكل أمّا أجل إذا جاء أجلهم فلا

رسولهم الموصف ليشهد عليهم بالكفر والايان قضى بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وحي بالنبين والشهداء وقضى بينهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ استبعادا له واستهزاء به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ خطاب منهم للثني صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ فكيف أملك لكم فاستجلب في جلب العذاب اليكم ﴿ الا ما شاء الله ﴾ ان أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ﴿ لكل أمّا أجل ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿ اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ لا يتأخرون ولا يقدمون فلا تستجلبوا فسمين وقتكم وبنجزو عدكم ﴿ قل أرأيتم ان اتاكم عذابه ﴾ الذي تستجلبون به ﴿ بيانا ﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿ أو نهارا ﴾ حين كنتم مشغولين بطبب معاشكم ﴿ ماذا يستجلب منه الجرمون ﴾ أي شيء من العذاب يستجلبون وكله مكروه لا بلائهم الاستجبال وهو متعلق

بجأزي كل أحد على قدر عمله وقيل معناه أنهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ﴿ ويقولون ﴾ بغير هؤلاء الكفار ﴿ متى هذا الوعد ﴾ يعني الذي تمدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني فيما تمدونا به وإنما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ﴿ قل ﴾ أي فلهم يا محمد ﴿ لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ يعني لا أملك لنفسي دفع ضرا وجلب نفع ولا أقدر على ذلك ﴿ الا ما شاء الله ﴾ يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان أنزل العذاب على الأعداء واظهار النصر للأولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقنه الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لاحالة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لكل أمة أجل ﴾ أي مدة مضروبة ووقت معين ﴿ اذا جاء اجاهم ﴾ يعني اذا انقضت مدة اعمارهم ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ أرأيتم ان اتاكم عذابه بيانا ﴾ يعني ليلا يقال بات بفعال كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالباً فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل ﴿ أو نهارا ﴾ يعني في النهار ﴿ اذا يستجلب منه الجرمون ﴾ يعني ما الذي يستجلبون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستجلبون نزول العذاب كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستجلبوا (قل) أرأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستجلبونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون ناعون لا تشعرون (أو نهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستجلب منه الجرمون) أي من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستجلبون

من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) وقال كل أهل دين لرسولهم (متى هذا الوعد) الذي تمدنا (ان كنتم صادقين ان كنت من الصادقين (قل) لهم يا محمد (لا أملك) لا أقدر (لنفسى ضرا) دفع الضر (ولانفعا) ولا جرانفعا (الا ما شاء الله) من الضر والنفع (لكل أمة) لكل أهل دين (أجل)

مهلة ووقت (اذا جاء اجلهم) وقت هلاكهم (فلا يستأخرون ساعة) قدر ساعة بعد الاجل (عندك) (ولا يستقدمون) قبل الاجل (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم ان اتاكم عذابه) عذاب الله (بيانا) ليلا (أو نهارا) كيف تصنعون (ماذا يستجلب) بماذا يستجلب (منه) من عذاب الله (الجرمون) المشركون قالوا تؤمن قل لهم يا محمد

نه وليس شيء منه يوجب الاستعمال والاستفهام في ما ذابتعلق بأرأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعمل منه المحرمون وجواب
 لشرط محذوف وهو تندموا على الاستعمال أو ترموا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعملون منه لانه أرادت الدلالة على موجب
 ذلك الاستعمال وهو الاجرام أو ماذا يستعمل منه المحرمون جواب الشرط نحو ان أيتك ماذا تطعمني ثم
 تعلق الجملة بأرأيتم أو (أثم اذا ما وقع) ﴿ ٢٦١ ﴾ العذاب { سورة يونس } (أنتم به) جواب الشرط

وماذا يستعمل منه المحرمون
 اعراض والمعنى ان أيتك
 عذابه أنتم به بدوقوعه
 حين لا تفككم الايمان
 ودحول حرف لاستفهام
 على ثم كدخوله على الواو
 والقام في أمر أهل القرى
 أو أمر أهل القرى (الآن)
 على ارادة القول أي قبل
 لهم اذا آمنوا بدوقوع العذاب
 الآن أنتم (وقد كنتم
 تستعملون) أي العذاب
 تكذبا واستهزاء الآن
 محذوف لهزمة التي بعد
 اللام والقا حركتها على اللام
 ناعم (ثم ميل للذين ظلموا)
 عطف على دل المضمر من
 الآن (ذوقوا عذاب
 الخلد) أي الدوام (هل
 تجزون الا كما كنتم تكسبون)
 من الشرك والكذب
 (ويستنبئونك) يستخبرونك
 فيقولون (أحق هو)
 وهو استفهام على جها
 لانكار والاستهزاء والضمير
 للعذاب الموعود (قل يا محمد
 أي وربي) نعم والله (انه
 لحق) ان العذاب كائن

بأرأيتم لانه بمعنى اخبروني والمحرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم فبني
 ان يفزعوا من محبي الوعيد لان يستعملوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
 الاستعمال أو تعرفوا خطأ ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان أيتك ماذا تطعمني
 وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله (أثم اذا ما وقع أنتم به) بمعنى ان أيتك عذابه أنتم
 به بدوقوعه حين لا يفككم الايمان وماذا يستعمل اعراض ودحول حرف الاستفهام
 على ثم لان تارة التأخير ﴿ الآن ﴾ على ارادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بدوقوع
 العذاب الآن أنتم به وعن نافع الارب محذوف الهزمة والقا حركتها على اللام ﴿ وقد
 كنتم به تستعملون ﴾ تكذبا واستهزاء ﴿ ثم ييل للذين ظلموا ﴾ عطف على قيل المقدر
 ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ المؤلم على الدوام ﴿ هل تجزون الا كما كنتم تكسبون ﴾ من
 الكفر والمعاصي ﴿ ويستنبئونك ﴾ ويستخبرونك ﴿ أحق هو ﴾ احق ما تقول من الوعد
 أو ادعاء النبوة بقوله يجدهم باطل خزول به قاله حي بن اخطب لما قدم مكة والظاهر ان
 الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه لانكار ويؤيده انه قرئ ﴿ الحق هو فان
 فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسدا خبر او خبر مقدم والجملة في
 موضع النصب يستنبئونك ﴿ قل أي وربي انه لحق ﴾ ان العذاب لكائن أو ما ادعيه ثابت وقيل
 كلا الضميرين للقرآن أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق
 عندك فامطر علينا جارة من السماء أو اثنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله
 ماذا يستعمل منه المحرمون يعني أي شيء يعلم المحرمون ما يطلبون ويستعملون كما يقول
 الرجل اميره وقد فعل فلا قبها ماذا جنيت على نفسك ﴿ ثم اذا ما وقع ﴾ يعني اذا
 ما نزل العذاب ووقع ﴿ أنتم به ﴾ يعني أنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت
 اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام
 على ثم لتوبيخ والتقريع ﴿ الآن ﴾ فيه اخمار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أي
 حين وقع العذاب ﴿ قد كنتم به تستعملون ﴾ يعني تكذبا واستهزاء ﴿ ثم قيل للذين
 ظلموا ﴾ يعني ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ﴿ ذوقوا عذاب الخلد
 هل تجزون الا كما كنتم تكسبون ﴾ يعني في الدنيا من الاعمال ﴿ قوله سبحانه وتعالى
 ﴿ ويستنبئونك أحق هو ﴾ يعني ويستخبرونك يا محمد أحق ما تمدنا به من نزول العذاب
 وقيام الساعة ﴿ قل أي وربي ﴾ أي قل لهم يا محمد نعم وربي ﴿ انه لحق ﴾ يعني ان لدى

أثم اذا ما وقع) يقول اذا ما أنزل عليكم العذاب (أنتم به) قالوا نعم قل لهم يا محمد بقا لكم (الآن) تؤنوا بالعذاب
 (وقد كنتم به) بالعذاب (تستعملون) قبل هذا استهزاء به (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون)
 في الآخرة (الابعا كنتم تكسبون) تقولون وتعملون في الدنيا (ويستنبئونك) يستخبرونك يا محمد (أحق هو) يعني
 العذاب والقرآن (قل أي وربي) نعم وربي (انه لحق) صدق

١٠٠ (و أنتم محجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لامحالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو
 ساء ليس أي ولو أن لكل نفس ظالمة (ما في الأرض) في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لأقتدت به) لجعلته فدية لها يقال
 عدا فاقسدي و يقال اقتداء (الجزء الحادي عشر) أيضا بمعنى فداء ﴿ ٢٦٢ ﴾ (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)

يقال أي والله ولا يقال أي وحده ﴿ وما أنتم محجزين ﴾ بفائتين العذاب ﴿ ولو أن لكل
 نفس ظلمت ﴾ بالشرك أو التعدي على الغير ﴿ ما في الأرض ﴾ من خزائنها وأموالها
 ﴿ لأقتدت به ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم اقتداء بمعنى فداء ﴿ وأسروا
 الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لأنهم بهتوا بما عابوا عالمهم يحسبوه من مظاعة الأمر وهو فلم
 يقدرُوا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة اخلصوها لا راحفها ها أخلصها أولاه يقال
 سر الشيء لحالته من حيث أنها تخفي ويضن بها وقيل اظهرها من قولهم سر الشيء وأسره
 إذا اظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ليس تكريرا لأن الأول قضاء بين
 الأنبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين
 والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ ألا إن الله ما في السموات والأرض ﴾ تقرير
 لقدرة تعالى على الإجابة والعقاب ﴿ ألا إن وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب
 والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم

أعدكم به حق لا شك فيه ﴿ وما أنتم محجزين ﴾ يعني بفائتين من العذاب لأن من عجز
 عن شيء فقدفاته ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ يعني أشركت ﴿ ما في الأرض ﴾
 يعني من شيء ﴿ لأقتدت به ﴾ يعني يوم القيامة والاقتداء بمعنى البدل لما ينجو به
 من العذاب إلا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه ﴿ وأسروا الندامة ﴾ يعني يوم
 القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الأمور المستقبلية لأن أحوال يوم القيامة
 لما كانت واجبة الوقوع حمل الله مستقبلها كالماضي والأسرار يكون بمعنى الاخفاء
 وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلماذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو
 عبيدة معناه وأظهروا الندامة لأن ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه
 أخفوا يعني أخفي الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم أيهم وتييدهم
 لهم ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ يعني حين عابوا العذاب وأبصروه ﴿ وقضى بينهم
 بالقسط ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قبل بين المؤمن والكاثر وقيل بين الرؤساء
 والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا ويؤخذ للمظلوم من الظالم
 وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعني في الحكم ائهم ولهم يا ينخسف
 من عذاب المظلوم وشدة في عذاب الظالم ﴿ ألا إن الله ما في السموات والأرض ﴾
 يعني ان كل شيء في السموات والأرض لله ملك له لا شركة فيه غيره فليس لله
 شيء يفقدى به من عذاب الله يوم القيامة لأن الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك له
 فكيف يفقدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه ﴿ ألا إن وعد الله حق ﴾ يعني ما وعده
 الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق
 لا شك فيه ﴿ وأكثرهم لا يعلمون ﴾

وأظهرها من قولهم أسر
 الشيء إذا أظهره أو
 أخفوها عجزا عن النطق
 لشدة الأمر فاسر من
 الاضداد (وقضى بينهم
 بالقسط) بين الظالمين
 والمظلومين دل على ذلك
 ذكر الظلم (وهم لا يظلمون)
 ثم أتبع ذلك الاعلام
 بآية الملك كله بقوله (ألا
 إن الله ما في السموات
 والأرض) فكيف يقبل
 العداواته المنيب المعاقب
 وما وعده من الثواب أو
 لعقاب فهو حق لقوله
 (ألا إن وعد الله) بالثواب
 أو بالعذاب (حق) كائن
 ولكن أكثرهم لا يعلمون
 كائن يعني العذاب (وما أنتم
 محجزين) بفائتين من عذاب
 الله (ولو أن لكل نفس
 ظلمت) أشركت بالله
 (ما في الأرض لأقتدت به)
 ففادت بنفسها من عذاب
 الله (وأسروا الندامة)
 أخفوا الندامة الرؤساء
 من السفلة (لما رأوا العذاب)
 حين رأوا العذاب (وقضى
 بينهم) وبين السفلة (بالقسط)
 بالعدل (وهم لا يظلمون)

لا ينقص من حسناتهم شيء ولا يزداد على سيئاتهم (أ أن ما في السموات والأرض من الخلق) (يعني)
 والعجايب (ألا إن وعد الله حق) كائن البعث بعد الموت (راكن أكثرهم لا يعلمون)

هو يحيى ويميت) هو القادر ﴿ ٢٦٣ ﴾ على الاحياء { سورة يونس } والاماتة لا يقدر عليهمنا

غيره (وايه ترجعون) والى
حسابه و حزنه المرجع
فيخاف ويرجى (يا ايها الناس
قد جاءكم موعظة من ربكم)
أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه
القوائد من موعظة وتنبه
على التوحيد والموعة التي
تدعو الى كل سرعوت
وتزجر عن كل سرهوب
فاني القرآن من الاواسر
والشواهي داع الى كل
سرعوت واجر عن كل
سرهوب اذا لا سر يقتضي
حسن المأمور فيكون
سرعوتاً وهو يقضي النهي
عن ضده وهو فبيع وعلى هذا
في النهي (ونفسنا
في الصدور) أي تدعوكم
من العقائد الفاسدة (وهي)
من الصلاة (ورجة
للمؤمنين) لمن أمر به منكم
(قل) يا محمد (فضل الله
وبرجته فذلك خير
لا يصدفون) (هو يحيى)
للميت (وعت) في الدماء
(ل ترجعوا) الموت
(يا ايها الناس) يا اهل مكة
(قد جاءكم موعظة) نهي
(من ربكم) مما أتت فيه او شفاء
بيان (لما في الصدور) من
العمى (وهدي) من الصلاة
(ورجة) من العذاب
(للمؤمنين قل) يا محمد لا تعابك

الاطهارا من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ و الدماء هو يقدر عليهما في العقي
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابداً ﴿ وايه
ترجعون ﴾ بالموت أو النشور ﴿ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدى ورجة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الالشفة
عن عاصن الاعمال ومقاييسها والمرغبة في الحسن والزاجرة عن المقاييم والحكمة النظرية
التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورجة
للمؤمنين حيث انزل عليهم فيجبوا به من ظلة الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمساعد من درجات الجنان والتكبير فيها التعظيم ﴿ قل بفضل
الله وبرجته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ بمذلك فليفرحوا ﴾ فان
بمعنى حقيقة ذلك ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر
على الاحياء والاماتة لا يتمدح عليه شيء مما أراد ﴿ وايه ترجعون ﴾ يعني بمد الموت للجزاء
﴿ قوله عز وجل ﴾ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ﴿ قيل اراد بالناس قريشا
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني قرآن
والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة
ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبية والقرآن داع الى كل خير وصلاح هذا
الطريق ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء
الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي
الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن منزل لهذه الامراض
كلها لان فيه الوعظ والزجر والتعريف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير
فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه ﴿ وهدى ﴾ يعني
وهو هدى من الصلاة ﴿ ورجة للمؤمنين ﴾ يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين
اتفقوا بالقرآن دون غيرهم ﴿ قل بفضل الله وبرجته ﴾ الباء في بفضل الله متفقة
بضمير استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم
والفضل هنا بمعنى الافصال ويكون معنى الآية على هذا يا ايها الناس قد جاءكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضل الله عليكم ورجته بكم
وارادته الخير لكم ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴾ فبذلك فليفرحوا ﴿ أشار بذلك
الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فنترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل
فذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفصل والرجة والمعنى فبذلك التطول والانعام
عليهم حوا قال الواحدى لقاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر فاذا
هلكت بعد ذلك فاحزني فاثناء في قوله فاحزني رائدة وقال صاحب الكشاش
في مع لانه يفصل الله ورجته فليفرحوا من ذلك فليفرحوا . اتكرر للاأكيد

(بفضل الله) لقرآن الذي أكرمكم به (ورجته) الاسلام الذي وفقكم به (فبذلك) بالقرآن والاسلام (فليفرحوا)

أصل الكلام نقول الله وبرحمته فليفر حوا فبذلك فليفر حوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرجحة
 الفرح دون ما عداهما من فوائد { الجزء الحادى عشر } الدنيا فحذف ﴿ ٢٦٤ ﴾ أحد القائلين لدلالة المذكور عليه والقفا

داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل
 ان فرحوا شئ فليخصوه
 بالفرح أو بفضل الله
 وبرحمته فليعتنوا فبذلك
 فليفرحوا وهما كتاب الله
 والاسلام فى الحديث من
 هداه الله للاسلام وعلمه القرآن
 ثم شكك الفاقه بكتب الله
 الفقير بين عينه الى يوم يلقاه
 وقرأ الآية (هو خير مما
 يجمعون) وباتساء شامى
 فافترحوا يعقوب (قل
 أأنتم) أخرولى (أنزل
 الله لكم من رزق) المنصوب
 بانزل أو بأريتم أى
 أخرولى (فجمعتم منه حراما
 وحلالا) فحتموه وقتلتم
 هذا حلال وهذا حرام
 كقوله ما فى بطون هذه
 لانعام خاصة المذكورنا
 ومحرم على أزواجنا
 الا زان نخرج من الاض
 ولكن لما نيطت أسبابها
 بالسماء نحو المطر الذى به
 تمت الاض النسات
 والشمس التى بها التضيم
 ونعم الثمار أضيف انزالها
 الى السماء (قل الله) أذن
 لكم متعلق بأرأيتم وقيل
 تكرر للتوكيد والمعنى
 هو خير (يعنى القرآن
 والاسلام) مما يجمعون
 مما يجمعهم الهوى والمشركون
 من الاموال (قل) يا محمد

سم الاشارة بمنزلة لصحة تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فليفرحوا فليفرحوا
 وقاعدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجال وإيجاب اختصاص الفضل
 والرجحة بالفرح أو بفضل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبمجيئها فليفرحوا
 والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبمهما فلية حوا أو للربط عاقلها والدلالة
 على ان مجيئ لكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقولها
 واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى وعن يعقوب
 فلتفرحوا بالناء على الاصل المرفوض وقدروى مرفوعا ونؤيده انه قرئ فافترحوا هو خير
 مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهم ضمير ذلك وقرأ أن عامر يجمعون
 على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه ايها المخاطبون ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم
 من رزق ﴾ جس الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء يحصل باسباب منها وما فى موضع النصب
 ما نزل أو بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك ويجم على التعويض فقال
 ﴿ فجمعتم منه حراما وحلالا ﴾ مثل هذه انعام وحرث حبر ما فى بطون هذه الانعام خاصة
 المذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ قل الله اذن لكم ﴾ فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه
 والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرجحة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف
 أحد القائلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا شئ
 فليخصوه بما بالفرح فانه لا مفرح به أحق منها والفرح لذة فى القلب بادر الى المحبوب والمشهى
 يقال فرحت بكذا اذا أدكت المأول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرحة فى اللذات البدنية الدنيوية
 واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليقرب المؤمنون بفضل الله ورحمته أى
 ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وتلج اليقين بالاعان وسكون النفس اليه
 ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ يعنى من متاع الدنيا ولذاتها القانية هذا مذهب أهل المعانى
 فى هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا
 فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن
 جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزينه فى قلوبنا وقل فضل الله
 الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعل هذا الباء فى فضل
 الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته ﴿ قل ﴾
 أى قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ يعنى من زرع وضرع
 وغيرهما وعبر عما فى الارض بالانزال لان جميع ما فى الارض من خير رزق فانما
 هو من بركات السماء ﴿ فجمعتم منه ﴾ يعنى من ذلك الرزق ﴿ حراما وحلالا ﴾ يعنى
 ما حرموه على أنفسهم فى الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة
 والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام
 اسما ﴿ قل آتته اذن لكم ﴾ يعنى قل لهم يا محمد آتته اذن لكم فى هذا التحريم والتحليل

لاهل مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم) خلق الله لكم (من رزق) من حرث واعام (فجمعتم منه) فقلتم وفعلتم (أء)
 (حراما) على النساء سقطتها يعنى متفعة بالبحيرة والسائبة والحام (وحلالا) للرجال (قل) لهم يا محمد (آتته اذن لكم) أسرى بكم بذلك

أخبروني آله أذن لكم في التحليل والتحرير فأنتم تعملون ذلك بإذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه أو الهمة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يستل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط ﴿ ٢٦٥ ﴾ فيه وأن { سورة يونس } لا يقول أحد في شيء جائز

أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مقتر على الديان (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب)

ينسبون ذلك اليه (يوم القيمة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي شيء ظن المفتري في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أجه أمره

(ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنم عليهم بالمقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون)

هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وماتكون في شأن) مانافاة والخطاب لني صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وماتلوا منه) من التنزيل كانه قيل واملوا من التنزيل (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاخمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل

(أم على الله) بل على الله (تفترون) تختلقون الكذب (وما ظن الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب)

﴿ أم على الله تفترون ﴾ في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بآيةم وقل مكرر لتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمة فيها تقرير لا افتراءهم على الله ﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ﴾ أي شيء ظنهم ﴿ يوم القيمة ﴾ أي محسبون ان لا يجاوزوا عليهم وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كأن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث انم عليهم بالمقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ هذه النعمة ﴿ ومانكون في شأن ﴾ ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في ﴿ واملوا منه ﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام أولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تملوا ﴿ من قرآن ﴾ على ان من تبعية او مزيدة لتأكيد النفي اول للقرآن

﴿ أم على الله تفترون ﴾ يعني بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا ﴿ وما ظن الذي يفترون على الله الكذب يوم القيمة ﴾ يعني اذا لقوه يوم القيامة أي محسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومانكون في شأن واملوا منه من قرآن ﴿ الخطاب للني صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يظلم من الاحوال والامور والجمع الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه ومانكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوادثك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء واملوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى ومانكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى واملوا من القرآن يعني من قرآن يعني من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى واملوا من الله من قرآن نازل عليك

ماذا يفعل بهم (يوم القيمة ان الله لذو فضل) (قا و خا ٣٤ لث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وماتكون) يا محمد (في شأن) في أمر (واملوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

(ولا تعملون) أنتم جميعاً (من عمل) أى عمل (الا كنا عليكم شهوداً) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر { الجزء الحادى عشر } اذا اندفع فيه ﴿ ٢٦٦ ﴾ (وما يعزب عن ربك)

واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له وأولته ﴿ ولا تعملون من عمل ﴾ تعميم الخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهوداً ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا فى سبأ ﴿ من مثقال ذرة ﴾ موازن غلة صغيرة أو هبأه ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ أى فى الوجود والامكان فان العسامة لا تعرف بمكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمها ﴿ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصفرا سبأ وفى كتاب خبرها وقرأ حزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل القمع بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ ألا ان أولياء الله ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿ لا خوف عليهم ﴾

﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعملون من عمل ﴾ فانه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته داخلون فيه وسرادون به لان من المعلوم أنه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون فى الخطابين الاولين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ الا كنا عليكم شهوداً ﴾ يعنى شاهدين لأعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا يحدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وهو شاهد عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتبسطون فى ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تشرون فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا انتشروا فيه ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل المزوب البعد يقال منه كلام غائب اذا كان بعيدا المطلب ﴿ من مثقال ذرة ﴾ يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة الفملة الصغيرة الحراء وهى خفيفة الوزن جدا ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما فى سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر فى هذا الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء فى هذا الموضع لهذه الفائدة ﴿ ولا اصغر من ذلك ﴾ يعنى من الذرة ﴿ ولا أكبر ﴾ بنى منها ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ﴾

وما يبعد وما يغيب بكسر الزاء على حيث كان (من) مثقال ذرة (وزن غلة صغيرة) فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر (رقباهما حزة على الابتداء والخبر) (الا فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ وتصعبا غيره على لنى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا فى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (ألا ان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة خلقه أو هم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتساطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم)

أوأباً (ولا تعملون من عمل) ن خيراً وشر (الا كنا عليكم) وعلى أسركم وتلاوتكم وعلمكم (شهوداً) عالماً (اذ تفيضون) تخوضون (فيه) فى القرآن بالتكذيب (وما يعزب) ما يغيب (عن ربك) من مثقال ذرة (وزن غلة الحبراء من أعمال العباد) (فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك) لا أخب من ذلك (ولا أكبر) ولا أثقل

(الا فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله) المؤمنين (لا خوف عليهم) فيما (ولا)

من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** ﴿ لفوات مأمول والآية كمجمل قسره قوله
 ولا هم يحزنون ﴿ اعلماً أننا نحتاج أولاً في تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية
 ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه
 الآية هم الذين يذكر الله لرويتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسل
 قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين إذا رؤوا ذكر الله
 وقال ابن زبدهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم
 المتحابون في الله ويبدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان من عباد الله لا أساماهم بأبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
 يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على
 غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور
 لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان اولياء
 الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول
 صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم
 أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم
 النبيون والشهداء أخرجه الزمذني وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري
 قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبيد ليسوا بأبياء ولا شهداء يغبطهم
 النبيون والشهداء بقربهم ومقدمهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي
 فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل
 شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل
 الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفرح الناس ولا يفرحون
 ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
 وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم هكذا ذكره
 البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا
 نجيب قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر
 من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان اولياء الله
 لا خوف عليهم ولا هم يحزنون القبطه نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والقبطه
 محموده والفرق بين الحسد والقبطه ان الحاسد يتقنى زوال ماعلى المحسود من النعمة
 ونحوها والقبطه هي أن يتقنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المقبوط من غير زوال
 عنه وقال أبو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق
 العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والانصرة فولى الله هو

اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اذا حزن الناس يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم ثم بين من هم فقال

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليم آياه ﴿ لهم ﴾
البشرى في الحياة الدنيا ﴿ وهو ما بشره المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه
وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسمع لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزاع
﴿ وفي الآخرة ﴾ بتلقى الملائكة آياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليم

الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتتلا بالله مستغرق القلب في معرفة
نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق
بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجهد اجهد فيما يقربه الى الله لا يفتر
عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان الصمد كذلك كان الله
وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون وقال المتكلمون ولى الله من كان
آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت
به الشريعة واية الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على
جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى الصمد كل ما نهي الله عنه وقوله سبحانه
وتعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شيء
فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل
لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وهم وأتكاد وحزن قال بعض العارفين ان
الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان الصمد بهذه الحالة فلا
يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن
﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ فقد تقدم تفسيره وانه
صفة لأولياء الله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿
اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عباد بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو
ترى له أخرجها الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم
البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها
وقال ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي
حديث حسن (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة
الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء
من ستة وأربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم
تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من
النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا
ما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول اننا اذا جلتنا قوله تبارك وتعالى لهم
البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحمل هذه الحالة الا لهم

(الذين آمنوا) منصوب
ياضمار أعنى أولاته صفة
لاولياء أو مصفوع على انه
خبر مبتدأ محذوف
أي هم الذين آمنوا (وكانوا
يتقون) الشرك والمعاصي
(لهم البشرى في الحياة
الدنيا) ما بشر الله به المؤمنين
المتقين في غير موضع من
كتابه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة
يرها المسلم أو ترى له وعنه
عليه السلام ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات والرؤيا
الصالحة جزء من ستة وأربعين
جزأ من النبوة وهذا لان
مدة الوحي ثلاث وعشرون
سنة وكان في ستة أشهر منها
يؤمر في النوم بالانذار وستة
أشهر من ثلاث وعشرين
سنة جزء من ستة وأربعين
جزأ أو هي حجة الناس له
والله كرا الحسن أولهم
البشرى عند النزاع بان يرى
مكانه في الجنة (وفي الآخرة)
(الذين آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم
والقرآن (وكانوا يتقون)
الكفر والشرك والفواحش
(لهم البشرى في الحياة
الدنيا) بالرؤيا الصالحة
برونها أو ترى لهم (وفي
الآخرة) بالجنة

لهم ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أى لا تغيير لأقواله ولا اختلاف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين ﴿ هو الفوز العظيم ﴾

وذلك لانولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عزوجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولي رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عزوجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث تؤكد لاسم الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءاً من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام الوحي فهمي جزء من ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لانه نبى واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقاً والله أعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشاء الحسن وفي الآخرة الجنة ويبدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخر له في الآخرة بقوله بشرى لكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبتة له وتحييته الى الخلق كما قال ثم بوضع القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منهم لخدمهم والافتراض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عزوجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الحشوع والخضوع فيمبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشرى بحسبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأسيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يخرج بها الى الله تعالى وي بشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويبدل عليه قوله تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ يعنى لا خلف لوعده الله الذى وعده أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى ما وعدهم به في الآخر

هي الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لأقواله ولا اختلاف لمواعيده (ذلك) إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب انه يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلغ وتسكت

(لا تبديل لكلمات الله) بالجنة (ذلك) البشرى (هو الفوز العظيم) النجاة الوافر فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها

(ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدمير هلاكك وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل
قيل مالى لأحزن قليل { الجزء الحادى عشر } ان العزة (لله) ﴿ ٢٧٠ ﴾ ان الغلبة والقهر فى ملكه لا ياء

هذه الجملة والى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع
بعنه كلام متصل عاقبه ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ
نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ استئناف بمعنى التعليل
ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تنالهم لان الغلبة لله جميعا
لا يملك غيره شيئاً منها فهو قهرهم وينصرك عليهم ﴿ هو السميع ﴾ لا قولهم ﴿ العليم ﴾
بجزأتهم فيكافئهم عليها ﴿ ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض ﴾ من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف المكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فالأ
يعقل منها حق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء ﴾ أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول
يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ أى ما يتبعون يقينا

﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ يقول الله لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء
المشركين لك ولا يمشك تخوفهم اياك ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله
جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة
لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى فى آية اخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين
ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعز ان الله أيامهم
فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشاء وبذلك من يشاء وقيل ان المشركين كانوا
يتنزون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك
لله وفى ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد المز ﴿ هو السميع ﴾ لا قولكم
ودعائكم ﴿ العليم ﴾ بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا
ان الله من فى السموات ومن فى الارض ﴾ الأكمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد فى السموات
ولا فى الارض الا الله عز وجل فهو مالك من فى السموات ومن فى الارض فان قلت قال سبحانه
وتعالى فى الآية التى قبل هذا الا ان الله ما فى السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى فى هذه الآية
بلفظة من فافان ذلك قلت ان لفظه ما يدل على لا ما يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع
الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من فى السموات ومن فى الارض من العقلاء وغيرهم
وهم عبيده وفى ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن فى السموات الملائكة العقلاء
ومن فى الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء
العقلاء المميزون فى ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا فى ملكه اذا ثبت
هذا فكون الاصنام التى يعبدها المشركون أيضا فى ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا
فى جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونهم ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ لفظه
ما استفهام معناه أى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعنى أنهم
ليسوا على شئ لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون
وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم انها تشفع

أحد شيئاً منهما لاهم ولا
غيرهم فهو يتلهم وينصرك
عليهم كتب الله لأغلب أنا
ورسلى انالتصر رسلتنا
أوبه يتنزل كل عزيز فهو
يمزك ودينك وأهلك
والوقت لازم على قولهم
لثلا يصير ان العزة مقول
الكفار (جميعا) حال (هو
السميع) لما يقولون (العليم)
بما يدبرون ويعزمون عليه
وهو مكافئهم بذلك (ألا
ان الله من فى السموات ومن
فى الارض) يعنى العقلاء
وهم الملائكة والثقلان
وخصهم ليؤذن ان هؤلاء
اذا كانوا الهوى فى ملكته ولا
يصلح أحد منهم للربوبية
ولان يكون شريكاً فيها
فأوراءهم بما لا يعقل أحق
أن لا يكون له ندا وشريكاً
(وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء) ما
نافية أى وما يتبعون حقيقة
الشركاء وان كانوا يسمونها
شركاء لان شركة الله فى
الربوبية محال (ان يتبعون
الا الظن) الاظنهم انهم

(ولا يحزنك) يا محمد (قولهم)
تكذيبهم اياك (ان العزة)
والقدرة والمنعة (لله جميعا)
بها لكهم (هو السميع) لمقاتهم

(العليم) بفعلهم وعقوبتهم (ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض) من الخلق يحولهم كيف يشاء (وما يتبع) يعبد (لهم)
(الذين يدعون) يعبدون (من دون الله شركاء) آلهة من الاوثان (ان يتبعون) ما يعبدون (الا الظن) الا بالظن بغير

شركاء الله (وان هم الايخرون) يحزرون ويقدرون ان يكونوا شركاء تقديرا باطلا واستفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة والحذف مقول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبيه على ﴿ ٢٧١ ﴾ عظيم قدرته وشمول { سورة يونس } نعمته على عباده بقوله

(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضيا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع مذكر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتجب من كلمتهم الحقاء (هو الغنى) غلة تنفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به ولكل أمانة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيًا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مرآبا وكل مرآب يمكن وكل يمكن يحتاج الى الغيرة كان حادًا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما في السموات وما في الارض) ملكوا ولا تجتمع النبوة معه (ان عندكم

وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة يتبع أو موصولة معطوفة على من • وقرى تدعون بالثاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فالكم لا يتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة فيكون الزام ابد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿ وان هم الايخرون ﴾ يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العباداة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ أى بناء ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الايمن يتصور له الولد وتجب من كلمتهم الحقاء ﴿ هو الغنى ﴾ غلة تنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ تقرير لثبانه ﴿ ان عندكم

لهم وانما تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقته ﴿ وان هم الايخرون ﴾ يعنى انهم الايكذبون ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴿ يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليلزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بمد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيا لتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار بما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير • لقد كنت ايام غيلان في سرى • ونمت وما ليل لطفى بنائم • فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وان لم يكن ناعما ولا بيرة وهذا من باب نقل الاسم من السبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار يعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء ﴿ قوله تعالى ﴾ ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴿ يعنى يسمعون سمع اعتبارا وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود ﴿ قالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ اتخذ الله ولدا ﴾ يعنى به قولهم الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد ﴿ هو الغنى ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ يعنى انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محضهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عظم على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى ﴿ ان عندكم

يقين (وان هم) ما هم يعنى الرؤساء (الايخرون) يكذبون للسفلة (هو الذى)

أى الهكم هو الذى (جعل لكم) خلق لكم (الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا فيه (والنهار مبصرا) مضيا لاذهب والحجى (ان في ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لبراهن (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن ويطيعون (قالوا) كفار مكة (اتخذ الله ولدا) من الملائكة لاننا (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (هو الغنى) من الخلق والعجائب (ان عندكم)

من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزا كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير طالين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله في الجزم الحادى عشر { الكذب } ٢٧٢) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون

من سلطان بهذا ﴿ نفي لما رضى ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو مبتدأ كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ توبيخ وتقرير على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان المقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ يأخذ الولد واضافة الشريك اليه ﴿ لا يفلحون ﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ﴿ متاع في الدنيا ﴾ خير مبتدأ محذوف أى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو حياتهم أو قلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع في الدنيا ﴿ ثم اليانمرجهم ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ بسبب كفرهم ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ خبره مع قومه

من سلطان بهذا ﴿ يعنى انه لاحتمية عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ يعنى أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا ﴿ لا يفلحون ﴾ يعنى لا يسمعون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعنى قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى ﴿ متاع في الدنيا ﴾ وفيه اخبار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم اليانمرجهم ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفون بما لا يليق بجلاله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والنادى شرع بمد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخفف عليه ما يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجمودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلهم بالفرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى وتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح

من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) أى افتراؤهم هذا منعمة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر و مناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالظاهرة به (ثم اليانمرجهم) ثم نذيقهم العذاب الشديد (الخلد) بما كانوا يكفرون (بكفرهم) واتل عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر

ما عندكم (من سلطان) من كتاب ولا حجة (بهذا) أتقولون على الله من الكذب (أتقولون على الله) بل تقولون على الله (ما لا تعلمون) ذلك من الكذب (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب) لا يفلحون (لا ينجون من عذاب الله) ولا يأتون (متاع في الدنيا) يعيشون في الدنيا قليلا (ثم اليانمرجهم) بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) الغليظ (بما كانوا يكفرون)

عليهم (نبأ) خبر (نوح) بالقرآن (اذ)

اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين (مقاي) مكاني يعني نفسه كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ﴿ ٢٧٣ ﴾ ربه اوقياى ومكثى ﴿ سورة يونس ﴾ بين أظهركم ألب سنقلا

خسبن تاما أو مقاي
(وتذكيرى بآيات الله)
لالهم كانوا اذا وعظوا الجاعا
قاموا على أرجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بينا وكلامهم
مسموعا (فعلى الله توكلت)
أى فوضت أمرى إليه
(فاجموا أمركم) من اجع
الامر اذا نواه وعزم عليه
(وشركاءكم) الواو بمعنى
مع أى فاجموا أمركم مع
شركاءكم (ثم لا يكن أمركم
عليكم غمة) أى غما عليكم

اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق ﴿ مقاي ﴾ نفسى كقولك فعلت كذا
لمكان فلان أو كوني واقامى بينكم مدة مديدة أو قياى على الدعوة ﴿ وتذكيرى ﴾ اياكم ﴿ بآيات
الله فعلى الله توكلت ﴾ وثقت به ﴿ فاجموا أمركم ﴾ فاعز موا عليه ﴿ وشركاءكم ﴾ اى مع شركاءكم
ونؤده القراءة بالرفع عطف على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكده الفصل وقيل انه معطوف
على امركم بخذف المضاف اى وامر شركاءكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجموا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجتماع على قصده
والسعى في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ ثم لا يكن أمركم ﴾ فى قصدى
﴿ عليكم غمة ﴾ مستورا واجملوه ظاهر امكشوف من غم اذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم
غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقاي وتذكيرى ﴿ ثم اقضوا ﴾ ادوا ﴿ الى ﴾ ذلك
الامر الذى تريدون بي • وقرئ ﴿ ثم اقضوا الى بالفاء اى انتهوا الى بشركم أو برزوا الى
من اقضى اذا خرج الى القضاء ﴿ ولا تنظرون ﴾ ولا تعهلون

وهما والغم والنمة كاللكر ب
والكرية أو ملتساقى خفية
والنمة السترة من غم اذا
ستره ومنه الحدث لاغمة
فى فرائض الله أى لا تستر
ولكن يجاهر بها والمعنى
ولا يكن قصدكم الى هلاكى
مستورا عاينكم ولكن مكشوقا
مشهورا بحج هرونى به (ثم
اقضوا الى) ذلك الامر
الذى تريدون بي أى ادوا
الى ما عوق عدكم من
مالكى كما يعضى الرجل
غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم
(ولا تنظرون) ولا تعهلون

اذقال لقومه يا قوم ﴿ وهم بنو قabil ﴾ ان كان كبر ﴿ عليكم مقاي ﴾
يعنى فيكم ﴿ وتذكيرى بآيات الله ﴾ يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان
ثقل وشق عليكم طول مقاي فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم
ألف سنة الاخسبن عا ما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو
قوله وتذكيرى بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله ووجهه وبيناته فزمت
على قتل وطردي ﴿ فعلى الله توكلت ﴾ يعنى فهو حسبى وثقتى ﴿ فاجموا أمركم ﴾
يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال القراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر
وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من
أمركم شيأ الا حضرتموه ﴿ وشركاءكم ﴾ يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتم فاستعينوا
بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على
مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقادهم أنها جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيك
والتوبخ لهم ﴿ ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ﴾ يعنى لا يكن أمركم عليكم خفيا مهما ولكن
ليكن أمركم ظاهرا مكشوقا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والنبس على
الناس ﴿ ثم اقضوا ﴾ ثم امضوا ﴿ الى ﴾ عا فى أنفسكم من مكروه وما توعدوني به
من قتل وطردي وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما أنتم قاضون ﴿ ولا تنظرون ﴾ أى ولا تؤخرونى ولا تعهلون بعد اعلامكم
اى ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم أخبر الله
عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان وثقا
بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بأنهم وآلهم ليس لهم نفع ولا ضر وان

﴿ فعلى الله توكلت ﴾ وثقت وفوضت (قا و خا ٣٥ لث) أمرى الى الله (فاجموا أمركم) فاجتمعوا على قول وأمر واحد (وشركاءكم)
ستعينوا آلهتم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) لا تلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم (ثم اقضوا الى) امضوا الى (ولا تنظرون) ولا تترقون

(فان توليتهم) فان عرضتم عن تذكيري ونصيي (فاسألتكم من أجر) فواجب التولي أو فاسألتكم من أجر ففاتني ذلك بتوليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الله لا لفرصة من أغراض الدنيا وفيه دلالة على منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الذي (وأمرت ان أكون من المسلمين) من المستسلمين لا وامره ونواهيته ان أجرى بالفتح مدني وشاهي وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فجهيناه) من الغرأ (ومن معه في الفلك وجملناهم) { الجزء الحادي عشر / خلاص } ﴿ ٢٧٤ ﴾ يخلفون المهالكين بالغرق في السفينة (واغراً

الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسالاتنا لقومهم) أي هودا وصالحا و ابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فآمنوا ليؤمنوا) فاصروا على

﴿ فان توليتهم ﴾ عرضتم عن تذكيري ﴿ فاسألتكم من أجر ﴾ بوجوب توليتكم لتقله عليكم و اتمامكم اى لاجله أو يفوتني لتوليتكم ﴿ ان أجرى ﴾ ما ثوابي على الدعوة والتذكير ﴿ الاعلى الله ﴾ لا تعلق له بكم يثيبني به آنتم أو توليتهم ﴿ وامرت ان أكون من المسلمين ﴾ المنقادين لحكمه لا خالف امره ولا رجو غيره ﴿ فكذبوه ﴾ فاصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين ان توليتهم ليس الالتمادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿ فجهيناه ﴾ من الغرق ﴿ ومن معه في الفلك ﴾ وكانوا غائبين ﴿ وجملناهم خلاص ﴾ من المهالكين به ﴿ واغراً ﴾ الذين كذبوا بآياتنا ﴿ بالطوفان ﴾ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴿ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له ﴿ ثم بعثنا ﴾ ارسلنا ﴿ من بعده ﴾ من بعد نوح ﴿ رسالاتنا لقومهم ﴾ كل رسول الى قومه ﴿ فجاؤهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿ فآمنوا ليؤمنوا ﴾ فاستقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيتهم

مكرهم لا يصل اليه ﴿ فان توليتهم ﴾ يعني فان عرضتم عن قولي وقبول نصيي ﴿ فاسألتكم من أجر ﴾ يعني من اجل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شياً كان أقوى تأثيراً في النفس ﴿ ان أجرى الاعلى الله ﴾ اى ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الاعلى الله ﴿ وامرت ان أكون من المسلمين ﴾ يعني اني أمرت بدين الاسلام وأماماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت ان أكون من المستسلمين لاسر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة ﴿ فكذبوه ﴾ يعني فكذبوا نوحا عليه السلام ﴿ فجهيناه ﴾ ومن معه في الفلك ﴿ يعني في السفينة ﴾ وجملناهم خلاص ﴾ يعني وجملنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد المهالكين ﴿ واغراً ﴾ الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴿ أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ﴿ ثم بعثنا من بعده ﴾ يعني من بعد نوح ﴿ رسالاتنا لقومهم ﴾ لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل ﴿ فجاؤهم بالبينات ﴾ يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم ﴿ فآمنوا ليؤمنوا ﴾

(فان توليتهم) عن الايمان بما جئتكم به (فاسألتكم) على الايمان (من أجر) من اجل ما ثوابي بما دعوتكم الى الايمان (الاعلى الله) وامرت ان أكون من المسلمين مع المسلمين على دينهم (فكذبوه) يعني نوحا بما أتاهم (فجهيناه) من الغرق (ومن معه)

من المؤمنين (في الفلك) في السفينة (وجملناهم خلاص) خفاء وسكان الارض (واغراً الذين) كذبوا بآياتنا (بكتابتنا ورسولنا نوح) فانظر يا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) كيف صار آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده) من بعد هلاك قوم نوح (رسالاتنا لقومهم) بالبينات (بالامرو والنهي والعلامات) فآمنوا ليؤمنوا (ليصدقوا

الكفر بعد النبي (عما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريدانهم كانوا قبل بشقة الرسل لاهل جاهلية مكذبين بالحق فأوقع فصل بين حالتهم بعد بشة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نحتم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم يمينا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر ﴿ ٢٧٥ ﴾ أن يتهاون { سورة يونس } السيد برسالة ربهم بعد

بينها ويتعظموها عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذموا أي أنهم عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله (قالوا) لطمع الشبهوات (ان هذا السحر مبین) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر (قال موسى) أتقولون للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف أي هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أي

(عما كذبوا به من قبل) من قبل يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نطبع) نحتم (على قلوب المعتدين) من الحلال والحرام (ثم يمينا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) رؤسائه (بآياتنا) بكتابتنا ويقال بآياتنا التسع اليد والمصا والطوقان

في الكفر وخذلان الله أيهم ﴿ عما كذبوا به من قبل ﴾ أي بسبب تمودهم تكذيب الحق وتمرهم عليه قبل بشة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ بخذلانهم لانهما كم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد وقد سر تحقيق ذلك ﴿ ثم يمينا من بعدهم ﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿ موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا ﴾ بالآيات التسع ﴿ فاستكبروا ﴾ عن اتباعهما ﴿ وكانوا قوما مجرمين ﴾ متعدين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿ قالوا ﴾ من فرط تمردهم ﴿ ان هذا لسحرمين ﴾ ظاهرانه سحر وفائق في فنه واضح فيما بين اخوانه ﴿ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم ﴾ انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون ﴿ اسحر هذا ﴾ لانهم يتوا القول بل هو استئناف بانكار ناقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتي يذكرهم فيستغنى عن المفعول ﴿ ولا يفلح الساحرون ﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر

عما كذبوا به من قبل ﴿ يعني ان أولئك الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على مناج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب ﴿ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ يعني مثل اغرأنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نحتم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ﴿ ثم يمينا من بعدهم ﴾ يعني من بعد الرسل ﴿ موسى وهرون الى فرعون وملئه ﴾ يعني أشرف قومه ﴿ بآياتنا فاستكبروا ﴾ يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهارون ﴿ وكانوا قوما مجرمين ﴾ يعني مستكسبين للآثم ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله ﴿ قالوا ان هذا السحرمين ﴾ يعني ان هذا الذي جاء به موسى سحر مبین يعرفه كل أحد ﴿ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ﴾ فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ﴿ ولا يفلح الساحرون ﴾ يعني حاصل

والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وتقص من الثمرات ويقال الطمس (فاستكبروا) عن الايمان بالكتاب والرسول والآيات (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا) الكتاب والرسول والآيات (قالوا ان هذا) الذي جاء به موسى (سحرمين) كذب بين وان قرأت بالالف أرادوا به موسى ساحرا كذا (قال) لهم (موسى) أتقولون للحق (الكتاب والرسول والآيات) لما جاءكم (حين جاءكم) أسحر هذا ولا يفلح (لأنهم ولا يأم من) (الساحرون) من عذاب الله

لا يظفر (قالوا أجتنا لتلفتنا) تصرفنا (عما وجدنا عليه آياتنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والنظرة والعلو (في الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جتسابه ويكون لم الجزء الحادي عشر | جادويحيي ٢٧٦) وقال فرعون اتوني بكل

ساحر عليم) سحار حزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى اقواما انتم ملقون فلما اتوا قال موسى ما جتتم به السحر) ما موصولة واقامة مبتدا وجتتم به صلتها والسحر خبر أي الذي جتتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله السحر بعد وقسا بوعرو على الاستفهام فعل هذا القراءة ما استفهامية أي أي شيء جتتم به هو السحر (ان الله سيطله) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين)

لا يسحر أو من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا حكيا كأنهم قالوا أجتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجتنا لتلفتنا) تصرفنا واللفت والقتل اخوان (عما وجدنا عليه آياتنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء في الارض) الملك فيها سمي بالاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستباعتهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جتسابه (وقال فرعون اتوني بكل ساحر) وقرأ حزة والكسائي بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى اقواما انتم ملقون فلما اتوا قال موسى ما جتتم به السحر) أي الذي جتتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا (وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجتتم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدا محذوف تقديره هو السحر أو مبتدا خبره محذوف أي السحر هو ويجوز ان يتصب ما يفعل بفسره ما بعده تقديره أي شيء انتم (ان الله سيطله) سيحقه أو سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبت ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر انساو تمويه لاحقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) باوامره وقضاياه (وقرى بكلمته) ولو كره المجرمون (ذلك) فإ آمن موسى (في مبدأ امره

لا يثبت بل يدخره (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) باوامره وقضاياه ويظهر الاسلام بمداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فإ آمن موسى) في أول أمره

السحر تمويه وتحليل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا (قالوا) يعني قال قوم فرعون لموسى (أجتنا لتلفتنا) يعني تصرفنا وتلويينا (عما وجدنا عليه آياتنا) يعني من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعني الملك والسلطان (في الارض) يعني في أرض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) يعني بمصدقين (وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم) يعني ان فرعون أراد أن يعارض مجزة موسى بأنواع من التلبس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى اقواما انتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به قاسد (فلما اتوا) يعني ما معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جتتم به السحر) يعني الذي جتتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيطله) يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويطله (بكلماته) يعني بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه ينقلب السحرة (ولو كره المجرمون) قوله سبحانه وتعالى (فإ آمن موسى

(قالوا) لموسى (أجتنا لتلفتنا) تصرفنا (عما وجدنا عليه آياتنا) من عبادة الاوثان (وتكون لكما الكبرياء) الملك والسلطان (في الارض) في أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم) حاذق (فلما جاء السحرة قال لهم موسى اقواما انتم

ملقون) من العصى والحبال (فلما اتوا) عصمهم وحبالهم (قال لهم) موسى ما جتتم به ما طرحتم (السحر) (الاذرية) هو السحر (ان الله سيطله) يهلكه (ان الله لا يصلح) لا يرضى (عمل المفسدين) الساحرين (ويحق الله) يظهر الله لدينه (الحق بكلماته) بتحقيقه (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون ان يكون ذلك (فإ آمن) فإ صدق (موسى) بما جاء به

(الاذرية من قومه على خوف ﴿ ٢٧٧ ﴾ من فرعون) الاطائف من ﴿ سورة يونس ﴾ ذراري بني اسرائيل كما قيل

الأولاد من أولاد قوما
وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه
خوفاً من فرعون وأجابته
طائفة من أبناءهم مع الخوف
أو الضمير في قومه لفرعون
والذرية مؤمن آل فرعون
وآسية امرأته وخازنه
وما شطه والضمير في
(و ملثهم) يرجع الى
فرعون بمعنى آل فرعون
كما يقال ربيعة ومضر
أولاده ذوا أصحاب يأخرون
له والى ذرية أى على خوف
من فرعون وخوف من
أشراف بني اسرائيل
لانهم كانوا يتمتعون أعقابهم
خوفاً من فرعون عليهم
وعلى أنفسهم دليله قوله
(أن يفتمهم) يريد أن يمدبهم
فرعون (وان فرعون لعال
في الارض) لغالب فيها
قاهر (وانه لمن المسرفين)
في الظلم والفساد وفي الكبر
والتو بادعائه الربوبية

(الاذرية من قومه) من قوم
فرعون كان آباؤهم من القبط
وامهاتهم من بني اسرائيل
فآمنوا بموسى (على خوف
من فرعون وملثهم رؤسائهم
(أن يفتمهم) أن يقتلهم (وان
فرعون لعال) لمخالف
(في الارض) لذين موسى (وانه لمن المسرفين) المشركين

﴿ الاذرية من قومه ﴾ الأولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دماهم فلم يجيبوه
خوفاً من فرعون الاطائف من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وأسرأته وآسية وخازنه وزوجته وما شطه
﴿ على خوف من فرعون وملثهم ﴾ أى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما
هو المتعاد في ضمير الظماه أو على ان المراد بفرعون الله كما يقال ربيعة ومضر والذرية
أول القوم ﴿ ان يفتمهم ﴾ ان يمدبهم فرعون وهو يدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير
للدلالة على ان الخوف من الملائكة كان بسببه ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ لغالب فيها
﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ في الكبر والتوحيق ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

الاذرية من قومه ﴿ لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من
المجرات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى
الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلياً لثيبه محمد صلى الله عليه
وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يتم بسبب امراضهم عن الايمان به
واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم
الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امراً عظيماً
ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس
الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء التكنية في قومه فقيل
انها راجعة الى موسى وأرادهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر
من اولاده قال مجاهد هم اولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وتبقى
الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني
اسرائيل كانت المرأة في بني اسرائيل اذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً عليه من
القتل فنشأ بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال
ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بني اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى
لاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا
انهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأته خازنه وما شطه قال القراء سموا
ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فكان الرجل
يتبع أمه وأخواله في الايمان وذلك كما يقال لا اولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن
الابناء لان امهاتهم من غير جنس الآباء ﴿ على خوف من فرعون وملثهم ﴾ الملائكة
الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرفهم وهم
ملائكة الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملائكة ملائكة
فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملثهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفضيل له
﴿ أن يفتمهم ﴾ أى يصرفهم ويصددهم عن الايمان وانما قال ان يفتمهم ولم يقل ان يفتمهم
لان قوم فرعون كانوا على حراجه وتابعين لاسره ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ يعنى
انه لغالب قهار متكبر فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ يعنى من المجاوزين الحد لانه كان

(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به ويا آياته (فعلية توكلوا) فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوه هاله سالمة خالصة لاحظ للشيطان في الان التوكل لا يكون مع التخليه (فقالوا على الله توكلنا) {الجزء الحادى عشر} انا قالوا ذلك ﴿٢٧٨﴾ لان القوم كانوا مخلصين لاجراما

﴿وقال موسى﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ فتقوا به واعقدوا عليه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تليق الحكم بمرطين فان للمعلق بالايان وجوب التوكل فانه مقتضى له والمشرط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع الخليط ونظيره ان دمك زيد فاجبه ان قدرت ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ موضع فتنة ﴿للقوم الظالمين﴾ أي لا تسلطهم علينا فيقتلونا ﴿ونحنابرحتك من القوم الكافرين﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدماء تنبيه على ان الداعي ينبغي له ان يتوكل اولاً ليحيا دعوة ﴿واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ﴾ أي اتخذامباءة ﴿لقومكما بمصر بيوتا﴾ يسكنون فيها أو يرجون اليها للعبادة ﴿واجعلوا﴾ اتموا قومكما ﴿بيوتكم﴾ تلك البيوت ﴿قبلة﴾ مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو

الله قبل توكلهم وأجاب دعاهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض الخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم أي عذاب يذبوننا أو يقتلونا عن ديننا أي يضلونا والقاتن المضل عن الحق (ونحنابرحتك من القوم الكافرين) أي من تذبذبهم وتسخيرهم (وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله توطئه اذا اتخذ وطناً والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوتهم مباءة لقومكما ومرجوا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا (وقال موسى يا قوم ان كنتم

عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل ﴿وقال موسى﴾ يعنى لقومه ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ يعنى فبه فتقوا ولا امره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ يعنى ان كنتم مستسلمين لامرهم قيل انا أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامرهم من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لاعلى غيره ﴿فقالوا﴾ يعنى قال قوم موسى مجيبين له ﴿على الله توكلنا﴾ يعنى عليه اعقدنا لاعلى غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لاتعذبنا بذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيقتلونا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيقتلونا ﴿ونحنابرحتك من القوم الكافرين﴾ يعنى وخلصنا برحتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأوحينا الى موسى واخيه﴾ هارون ﴿ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا﴾ يعنى اتخذنا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذ مباءة أى وطناً والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ اختلف أهل التفسير في معنى هذا البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصل فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى

﴿وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ اذ كنتم مسلمين (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) المشركين أي (الكلام لا تسلطهم علينا فيظنون انهم على الحق ونحن على الباطل) (ونحنابرحتك من القوم الكافرين) من فرعون وقومه (وأوحينا الى موسى واخيه) هارون (ان تبوأ) أن اتخذنا (لقومكما بمصر بيوتا) مساجد في جوف البيت (واجعلوا بيوتكم) مساجدكم (قبلة) نحو القبلة

في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (واقموا الصلوة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) يا موسى تبي الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع العبادة بما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالشارة تعظيما له واللبشر بها (وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملته زينة) هو ما يزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا) أي نقدا ونعما وضيعة (في الحياة الدنيا

(واقموا الصلوة)
أقموا الصلوات الخمس
(وبشر المؤمنين)
بالنصرة والنجاة والجنة
(وقال موسى ربنا) يا ربنا
(انك آيت) أعطيت
(فرعون وملته) رؤسائه
(زينة) زهرة (وأموالا)
كثيرة (في الحياة الدنيا

القبلة يعني الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلي اليها واقموا الصلوة فيها امرورا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنه في الآخرة وانما تبي الضمير والاول لان التبت للقوم اتخاذ المبادئ بما يتعاطاه رؤس القوم بتشاورهم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفه صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملته زينة) ما يزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (وأموالا في الحياة الدنيا

الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلوة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع القراعة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وأن يحملوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوأ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (واقموا الصلوة) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتعريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلوة فيها فامرهم أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعني بانه لا يصل اليهم مكروه (قوله سبحانه وتعالى) وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملته زينة وأموالا في الحياة الدنيا (لما أتى موسى عليه السلام بالمجرات الباهرات ورأى أن القوم مصرور على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آيت

ربنا يضلوا عن سبيلك) يضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله يضلوا متعلق بآيت وربنا تكرار
 الاول للالاح في التضرع { الجزء الحادي عشر } قال الشيخ ﴿ ٢٨٠ ﴾ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم أنهم

يضلون الناس عن سبيله
 آتاهم ما آتاهم يضلوا
 عن سبيله وهو كقوله انما
 عمل لهم ليزدادوا انما تكون
 الآية حجة على المعتزلة (ربنا
 اطمس على اموالهم) أي
 أهلكتها واذبح آثرها
 لانهم يستعينون بنعمتك
 على معصيتك والطمس
 المحو والهلاك قيل صارت
 دراهمهم ودنانيرهم حجارة
 كهيأتها منقوشة وقيل
 وسائر أموالهم كذلك
 (واشدد على قلوبهم) اطع
 على قلوبهم واجعلها قاسية
 (فلا يؤمنوا) جواب
 الدعاء الذي هو اشدد
 (حتى يروا العذاب الاليم)
 الى ان يروا العذاب اليم
 وكان كذلك قائم لم يؤمنوا
 الى الفرق وكان ذلك ايمان
 يأس فلم يقبل وانما دعا
 عليهم هذا لما أيس من
 ايمانهم وعلم بالوحي أنهم
 لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم
 بأنهم لا يؤمنون فلا يسع له
 أن يدعو بهذا الدعاء لانه
 أرسل اليهم لدعوتهم الى
 الايمان وهو يدل على ان
 الدعاء على القبر بالموت على
 الكفر لا يكون كفرا

واتوا من المال ﴿ ربنا يضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم
 من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لمن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي
 متعلقة بآيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
 ولانهم لما جعلوا هاسيا للضلال فكأنهم اوتوا يضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيذا
 وتثبيتا على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم مقدمة لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾
 أي أهلكتها والطمس المحق وقريء والطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أي واقسها
 واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ جواب للدعاء

فرعون وملاءه زينة وأموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس
 والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه
 الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا يضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا
 في هذه اللام فقال القراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
 الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطفنوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال
 الاخفش انما هي لما يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاءه زينة
 في الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني فكان طاعتهم الضلال وقال ابن
 الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويقع بها الكلام فيكون
 المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ الطمس ازالة
 اثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها وحياتها وقال مجاهد
 أهلكتها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هيثمها قال قتادة بلغنا ان أموالهم
 وحرورهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صارت
 صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تحبز
 فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع
 على انفسهم بالمسح وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة
 كهيئتها صحاحا وانصافا وثلاثا وقيل ان عمر بن عبدالعزيز دعا بخريطة فيها شيء
 من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والحوزة مشقوقة وهي حجارة وقال
 السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس
 هو أحد الآيات التسع التي أوتيتا موسى عليه السلام ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ يعني
 اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على
 القلوب الاستيقاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله
 سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا
 السؤال ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يعني الفرق قاله ابن عباس وقال ابن
 عباس في رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
 يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاه فقال بين فرعون وبين الايمان

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم واحفظ قلوبهم (فلا يؤمنوا) فلن يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) (حتى)

(قال قضا جيبيت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فثبت ان التامين دعاه فكان اخفاؤه اول ما اخطأ
 ن دعاه كما مستجاب وما طلبت كما ن ولكن ﴿ ٢٨١ ﴾ في وقته { سورة يونس } فاستقيما) فالتبنا على

ما أخطأ عليه من الدعوة والتبليغ (ولاتبعان سيل الذين لا يعلمون) ولاتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولاتبعان بتخفيف النون وكسرهما لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية عاوى وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنى أو هو حال وتقديره فاستقيما عبر متعين (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الاممال (فاتبعهم فرعون وجنوده) فلقبهم يقل تبعته حتى أتبعته (بنيا) تطولا (وعدوا) ظلما وانتدبا على الحال العرق (قال) الله لموسى وهارون (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) على الايمان والطاعة لله وتبليغ الرسالة (ولاتبعان سيل) الذين لا يعلمون) توحيد الله ولا يصدقونه بنى فرعون وقومه (وجاوزنا بنى اسرائيل) عبرنا (البحر) فأتبعهم فرعون وجنوده (فذهب خائفهم) فذهب خائفهم (قا و خا ٣٦ لك) فرعون وجوعه (بنيا) في المقالة (وعدوا) أرادوا قتلهم

أودعاه بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاه مسترض ﴿ قال قد أجيبت دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فأتبعنا على ما اتما عليه من الدعوة والزمام الحجة ولا تستجلا فان ما طلبت كما ن ولكن في وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ﴿ ولاتبعان سيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة في الاستجلا أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن ماس برواية ابن ذكوان ولاتبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين ولاتبعان من تبع ولا تبعان ايضا ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى جاوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافطين لهم « وقرى جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾ فادركهم يقال تبعته حتى أتبعته ﴿ فرعون وجنوده بنيا وعدوا ﴾ باغين وعادين أو للبنى

حتى أدركه الفرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاه لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاه موسى ما قدر وقضى عليهم ﴿ قال ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ انما نسب الدعاه اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاه لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاه فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما ﴿ فاستقيما ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لاسرى الى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولاتبعان سيل الذين لا يعلمون ﴾ يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستجلا قيل كان بين دعاه موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة قال امام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن قوله ان أشركت ليحطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى وقطعنا بينى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه ﴿ فاتبعهم فرعون وجنوده ﴾ يعنى لحقهم وأدركهم ﴿ بنيا وعدوا ﴾ أى ظلما وعدوانا وقيل البنى طلب الاستلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بنيا في القول وعدوا في الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنا وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألب وذلك انه لما أحاب الله دعاه موسى وهارون امرهما بالخروج بنى اسرائيل من مصر في الوقت الذى امرهما أن يخرجوا فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون ظاهرا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخواص بالخروج البحر أمامنا وفرعون وراهنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم ياوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق

فاتبعهم فرعون وجنوده (فذهب خائفهم) (قا و خا ٣٦ لك) فرعون وجوعه (بنيا) في المقالة (وعدوا) أرادوا قتلهم

أو على المفعول له (حتى إذا أدركه الفرق) ولا وقف على دلان (قال آمنت) جواب إذا (أنه) حجة وهي على الاستثناف
 يدل من آمنت وبالفتح (الجزء الحادي عشر) غيرهما على حذف ﴿ ٢٨٢ ﴾ الباء التي هي صلة الإيمان (لا إله

والمدوء وقرئ وعدوا ﴿ حتى إذا أدركه الفرق ﴾ لحقه ﴿ قال آمنت أنه ﴾ أي
 بأنه ﴿ لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ وقرأ حجة والكسائي أنه
 بالكسر على اضمار القول أو الاستثناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكبت عن الإيمان
 أو ان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل ﴿ الآن ﴾ أتؤمن الآن وقد آيست من نفسك
 ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾
 الضالين المضلين عن الإيمان

كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأبىس لهم البحر فطعمهم فرعون وكان
 على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى
 سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أبيض وديق وميكائيل يسوقهم
 حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني إسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما
 وجد الحصان ربح الاثنى لم يملك فرعون من أمره شيئا فقتل البحر وتبعه جنوده
 حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك
 فرعون الفرق أتى بكلمة الاخلاص ظن انته انها تبيحه من الهلاك وهو قوله تعالى
 ﴿ حتى اذا أدركه الفرق قال ﴾ يعني فرعون ﴿ آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به
 بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب
 به وقد كان في مهل قال العلماء إيمانه غير مقبول وذلك أن الإيمان والتوبة عند معاناة
 الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا
 بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم
 يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه
 ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق
 سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل فلم ينفعه
 ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون الى الإيمان والتوبة حين أعلق بهما
 بحضور الموت ومعاناة الملائكة قيل له ﴿ الآن ﴾ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿
 يعني الآن تتوب وقد آمنت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة
 الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل
 لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل
 على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فالיום نتيجك بيدتك والقول الاول أشهر
 وبعضه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله
 فرعون قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل يا محمد قلو
 رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحة أخرجه الترمذي

الذي آمنت به بنو
 إسرائيل وأنا من المسلمين)
 وفيه دليل على ان الإيمان
 والاسلام واحد حيث
 قال آمنت ثم قال وأنا مؤمن
 المسلمين كرر فرعون المعنى
 الواحد ثلاث مرات في
 ثلاث عبارات حرصا
 على القبول ثم لم يقبل منه
 حيث أخطأ وقته وكانت
 المرة الواحدة تكفي في
 حالة الاختيار (الآن)
 أتؤمن بالساعة في وقت
 الاضطرار حين أدركك
 الفرق وأيست من نفسك
 قيل قال ذلك حين ألجه
 الفرق والعامل فيه أتؤمن
 (وقد عصيت قبل وكنت
 من المفسدين) من الضالين
 المضلين عن الإيمان روى
 ان جبريل عليه السلام أنه
 بفتيا ما قول الامير في عبد
 لرجل نشأ في ماله ونعمته
 فكفر نعمته وجمد حقه
 وادعى السيادة دونه فنكبت
 فيه يقول أبو العباس الوليد
 ابن مصعب جزاء العبد
 الخارج على سيده الكافر
 نعماء أن يفرق في البحر
 فلما ألجه الفرق ناوله
 جبريل عليه السلام
 خطه ففرقه

(حتى إذا أدركه) ألجه

(الفرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين (وقال)

على دينهم فقال له جبريل (الآن) أن تؤمن بعد الفرق (وقد عصيت) كفرت بالله (قبل) أي من قبل الفرق (وكنت من المفسدين)
 في أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء الى غير عبادة الله

وقال حديث حسن • وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر مشكل ﴾

﴿ فيحتاج الى بيان وايضاح ﴾

فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن زيد بن جدهان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه إذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فاعلم يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلاً وان رواه ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هوسى الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه إنما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب وعدي بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وهو قوله من حال البحر أي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿ فصل ﴾

ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ عملاً منه بالطين لئلا يتوب غضباً عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فان كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً فكيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما ننزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذاه والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتاً لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل

المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول
 أهل السنة المثبتين للقدر قائلهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايان ويدل على ذلك قوله
 تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوا بناقلب بل طبع الله عليها بكفرهم
 وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فآخبر الله سبحانه وتعالى
 انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند
 الموت جزاء على تركه الايمان او لافس الطين في فم فرعون من جنس الطبع وانتم على القلب
 ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من
 المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المتكبرين خلق الافعال من اعترف أيضا ان الله
 سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيصن منعا أن يصله ويطبع على
 قلبه ويعتمه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان
 غاية ما يقال في ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال يند ويثبته عقوبة له على كفره
 السابق ورد للايمان لما جاءه وأما قبل جبريل من دس الطين في فيه فاعاقل ذلك بأمر الله
 لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يمنه
 عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما
 اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان
 وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه
 اطاعة من لم يمنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الايم حين
 لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما
 أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب
 عليه اطاعة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به
 ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باطاعة فرعون
 ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف
 زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة * فجوابه
 أن يقال ان للناس في تمليل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تملل وعلى هذا التقدير
 فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها طاعة
 بحسب المصالح لاجلها فاعلموا كذا وأمره ونواهيها غاية محبوبة لاجلها أمرها ونهي
 عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
 وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق
 ما يئته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس
 الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والقائمة فيه تجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما
 بحيث لا يبقى للرجة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام
 لما دأبه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الايم والايان عند رؤية العذاب غير نافع
 أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند ماينة العرق استجبل جبريل ففسد الطين

(قالوم تميمك) نلقيك
 بنجوة من الارض فرماه
 الماء الى الساحل كأنه ثور
 (بيدتك) في موضع الحال
 أي في الحال التي لا روح فيك
 واتعانت بدن أو بيدتك
 كاملا سويا لم يقص منه
 شي ولم يتغيرا وعريتا لست
 الابدنا من غير لباس أو
 بدرعك وكانت له درع من
 ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة
 رضي الله عنه بابدانك وهو
 مثل قولهم هو باجرام أي
 بيدتك كله واقيا باجزائه
 أو بدروعك لانه ظاهر
 بينها (لتكون لمن خلفك
 آية) لمن وراك من الناس
 علامة وهم بنو اسرائيل
 وكان في أنفسهم ان فرعون
 أعظم شانا من ان يفرق وقيل
 أخبرهم موسى بهلاكه
 فلم يصدقوه فاقام الله على
 الساحل حتى عابوه وقيل
 لمن خلفك لمن يأتي بمدك
 من القرون ومعنى كونه آية
 أن يظهر للناس عبوديته واتعا
 كان يدعيه من الربوبية محال
 (قالوم تميمك بيدتك)
 نلقيك على النجاة بدرعك
 (لتكون) لكي تكون
 (لمن خلفك) من الكفار
 (آية) عبرة لكي لا يقتدوا
 بعقالتك ويعلموا

﴿ قالوم تميمك ﴾ نمدك مما وقع فيه قومك من قهر البحر ونجبتك طافيا أو نلقيك على
 بنجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل • وقرأ يعقوب تميمك من انجي • وقرئ تميمك
 بالحاء أي نلقيك بناحية الساحل ﴿ بيدتك ﴾ في موضع الحال أي بيدتك عاريا عن
 الروح أو كاملا سويا أو عريتا من غير لباس أو بدروعك وكانت له درع من ذهب يعرف
 بها وقرئ بابدانك أي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا
 بينها ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ لمن وراك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم

في فيدياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى
 بقوله قد اجبت دعوتكما فيكون سى جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعل ما يكون
 سى جبريل في سرناة الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمر به وقدره وقضاء على فرعون وأما
 قوله لومنه من التوبة لكان قدرضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجبوا به ما تقدم
 من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يضل الا ما
 أمره الله به واذا كان جبريل قد فضل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالامور به
 فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لاننا مأمورون بأزائه
 بحسب الامكان فاذا أقررنا الكافر على كفره ورسينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به
 واما من ليس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمر به ربه فانه اذا نفذ ما
 أمر به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما
 دس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال
 العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فقاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء
 الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به • وقوله كيف يليق بجلال الله ان
 يأمر جبريل بان عنمه من الايمان • فجبوا به ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما
 يفعل • وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فضل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله • فجبوا به انه انما
 فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه • قوله سبحانه وتعالى
 ﴿ قالوم تميمك بيدتك ﴾ أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل
 التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه وأخبر موسى قومه بهلاك فرعون
 وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل في
 قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فأتى فرعون على الساحل أحجر قصيرا
 كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فرغوه فن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله
 بيدتك يعني نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء
 كأنه قيل له تميمك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدتك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع
 وكان لفرعون درع من ذهب مرسع بالجواهر يعرف به فلأرأوه في درعه ذلك عرفوه
 ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت
 أبدا فأنظر الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان

من عظمت ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بنرقه الى ان ما ينوم مطروحا على عمرهم من الساحل اولمن يأتي بمدك من القرون اذا سمعوا ما ل امرك ممن شاهدك عبدة وثكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية هو قري لمن خلقتك أي خلقتك آية كسائر الآيات فان اقراده اوك باللقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يتدبرون بها ﴿ ولقد بوأنا ﴾ انزلنا ﴿ بني اسرائيل ميوأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من اللذائذ ﴿ فاختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ فاختلفوا في امر دينهم الامن بعدما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها أو في امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعدما علموا صدقه بنموته وتطاهروا بمجيزاته ﴿ ان ربك

في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسنة والذلة ملق على الارض لا يباه أحد ﴾ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد بوأنا بني اسرائيل ميوأ صدق ﴾ يعني أسكنناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجه من البحر وغرق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان مادة العرب اذا مدحت شيئا أضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب في ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا يبدأ بصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوأوا قولنا أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورش بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى ﴿ فاختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يعني فاختلف هؤلاء الذين فعلناهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به مطمئنين وذلك انهم كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فأمن به بعضهم كعبدا لله بن سلام وأصحابه وكفريه بعضهم بنيا وحسدا فعمل هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فاختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يطمئنون به حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونمته ويقفرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بنياد وحسدا واشار البقاء الرياسة لهم فأمن به طائفة قليلة وكفريه غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفريه آخرون ﴿ وقوله تعالى ﴿ ان ربك

(يعني)

وانه مع ما كان عليه من عظم الملك كالأسماء الى ما ترون لعصيانه ربه فالظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ولقد بوأنا بني اسرائيل ميوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فاختلفوا) حتى جاءهم العلم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن والمراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفوا في صفته انه هو أم ليس هو بعدما جاءهم العلم انه هو (ان ربك

انك لست باه) (وان كثيرا من الناس) يعني الكفار (عن آياتنا) عن كتابنا ورسولنا (لناقلون) لجاحدون (ولقد بوأنا) أنزلنا (بني اسرائيل ميوأ صدق) أرضا كريمة أردن وفلسطين (ورزقناهم من الطيبات) المن والسلوى والغنائم (فاختلفوا) اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى جاءهم العلم) البيان ما في كتابهم في محمد عليه السلام بنمته وصفته (ان ربك)

يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ ٢٨٧ ﴾ ﴿ يميز المحق من ﴾ سورة يونس ﴿ المبطل ويمحى كلاجزاهه ﴾ فان

كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك (لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يرفونه كما يرفون ابناهم أراد أن يؤكد عليهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وبالصحة في ذلك فقال فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلة او بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالروح في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه يا محمد (يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) في الدين (يختلفون) يخالقون (فان كنت) يا محمد (في شك مما أنزلنا اليك) مما أنزلنا جبريل به يعني القرآن فاسأل الذين يقرؤون الكتاب

﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿ فميز المحق عن المبطل بالاجراء والاهلاك ﴾ ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ ﴿ من القمص على سبيل الفرض والتقدير ﴾ ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ ﴿ فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق يسنى يا محمد ﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿ يعنى من أسرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجهد نبوتك النار ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ ﴿ الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أولهما الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شك فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعنى من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعنى القرآن ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ يعنى علماء اهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أوفى نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضى عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر بث الله قالك أن ينظر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فقل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضى عياض رحمه الله . ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين . أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب « اياك اعنى واسمى يا جاره » فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك بصحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من دى الآية فقيين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكورة في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً في نبوته لكان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية ما د الله من ذلك وقيل

يعنى التوراة (من قبلك) عبد الله بن سلام وأصحابه فلم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بذلك شاكاً انما أراد الله بناقال له قومه

لما فيها أو وصف أهل كتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما نزل اليه أو تهميح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تميته لا مكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل من يسمع أي أن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تهييد على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ بالترزل مما آلت عليه من الجزم واليقين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ ايضا من باب التهميح والتثيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهميح فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لأشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزله على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظه ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا إليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والنول الثاني ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجيد وتعالى فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما عراك بربك الكرم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا في المسؤل عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه لانهم هو الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صقته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضمك يعني أهل النجوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعني بدلائله وبراهينه الواضحة ﴿ فتكونن من الخاسرين ﴾ يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله

(لقد جاءك الحق من ربك) أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطب (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين) أي

(لقد جاءك) يا محمد (الحق من ربك) يعني جبريل بالقرآن من ربك فيه خير الاولين (فلا تكونن من الممترين) الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) كتاب الله ورسوله (فتكونن من الخاسرين) من المتبونين بنفسك

فابت وددم على ما انت عليه من استعانة الخريفة عنك والتدبيب بايات الله او هو صلى طريقه السميع والالهاب ~~صلى الله~~
 فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعداذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام
 عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق أو حو طرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان كنتم فى شك
 مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عبد الشك كقول العرب اذا عزا أخوك فنهى
 أو ان للنبي أى فما كنت فى شك فسل أى ولا تأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام
 بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما ﴿ ٢٨٩ ﴾ يجيء ان للنبي { سورة يونس } اذا كان بسده الا كقوله

ان الكافرون الا فى غرور
 قلت ذاك غير لازم الا ترى
 الى قوله ان أمسكهما من
 أحد من بسده فان للنبي
 وليس بسده الا (ان الذين
 حقت عليهم كلمت ربك)
 ثبت عليهم قول الله الذى
 كتبه فى اللوح وأخبر به
 الملائكة انهم عوتون كفاراً
 أو قوله لا ملأن جهنم الآية
 ولا وقف على (لا يؤمنون)
 لان (ولوجاهتهم كل آية)
 تتعلق بما قبلها (حتى يروا
 العذاب الم) أى عند
 اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم
 أو عند القيامة ولا يقبل
 منهم (فلولا كانت قرية آمنت)
 فهلا كانت قرية واحدة
 من القرى التى أهلكناها
 تاب عن الكفر وأخلصت
 الايمان قل المعاينة ولم
 تؤخر كما أخر فرعون الى

﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ ثبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ بانهم عوتون على الكفر ويخلدون
 فى العذاب ﴿ لا يؤمنون ﴾ اذ لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه ﴿ ولوجاهتهم
 كل آية ﴾ فان السبب الاصل لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود ﴿ حتى يروا
 العذاب الليم ﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون ﴿ فلولا كانت قرية آمنت ﴾
 فهلا كانت قرية من القرى التى أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها
 كما أخر فرعون ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿ الا قوم
 يونس ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿ لما آمنوا ﴾ اول مارأوا أمانة العذاب
 ولم يؤخروه الى حلوله ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ﴾ ويجوز

على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده
 شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله
 ثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين حقت عليهم ﴿
 يعنى وجبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ يعنى حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت
 هؤلاء للنار ولأبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
 وقضاء فى الازل ﴿ لا يؤمنون ولوجاهتهم كل آية ﴾ فانهم لا يؤمنون بها ﴿ حتى يروا
 العذاب الليم ﴾ فيئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم
 عن الايمان فلا ينفعهم شئ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلولا ﴿ يعنى فهلا ﴾ كانت
 قرية ﴿ وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان فى الاستفهام معنى الحجة
 والمراد هل كانت قرية ﴿ آمنت ﴾ يعنى عند معاينة العذاب ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ يعنى
 فى حال اليأس ﴿ الا قوم يونس ﴾ هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم
 آمنوا فنفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت وهو قوله ﴿ لما آمنوا ﴾ يعنى لما أخلصوا الايمان
 ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ﴾

أن أخذ مجتفه (فنفعها ايمانها) بان تقبل الله (قا و خا ٣٧ لك) ايمانها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس)
 استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النبي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم
 يونس واتصاه على أصل الاستثناء (لما آمنوا) كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا

(ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمت ربك) يا مذهب (لا ق ر) فى علم الآدمى (ولو حسبهم تل أبذ) طابوا سك غلا و مؤنوا (حتى)
 يروا العذاب الليم) يوم بدر يوم أحد يوم الحزاء (اريد كانت) بدلا كانت (قرية آمنت) هل قرية آمنت عند نزول العذاب
 (فنفعها ايمانها) بقول لم ينفع ايمانهم عند نزول العذاب (الا قوم يونس) نعم ايمانهم (لما آمنوا) حين أنزل (كشفنا) مرة (لهم عذاب
 الخزي) الشديد (فى الحياة الدنيا)

ان تكون الجملة في معنى التي تضمن حرف التخصيص معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كما أنه قال ما آمن اهل قرية من القرى الماصية ففهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ﴿﴾ ومتعناهم الى حين ﴿﴾ الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالسذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اقامت السماء غيما سودا داخنا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فابتغوا صدقه

ومتعناهم الى حين ﴿﴾ يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فأمنوا وقال الاكثرون أنهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبدالله بن مسعود وسعيد ﴿﴾

ابن جبير ووهب وغيرهم ﴿﴾

قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فاسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم ان العذاب مصيبتهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا ان لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيبتكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب فامت السماء غيما أسودا هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقتل الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسأهم وصياتهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدته وولدها من الناس والدواب فمن البعض الى البعض فمن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرجهم ربهم فاستجاب دعاهم وكشف عنهم منازلهم من العذاب بعدما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم طشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحمر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فبرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجبل خيلاق قال لما غشى قوم يونس العذاب شوا الى شيخ من بقبية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فأتري قولوا يا حي حين لا حي يا حي يحي الموتى ويأحي لاله الأنت فقالوا ها كشف الله عنهم العذاب وتمتوا الى حين

(قال)

ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض موصل فكذبوه فذهب عنهم مفاضيا فلما قدسوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجبوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصيد بأنفسهم ونسأهم وصياتهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فمن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرجهم وكشف عنهم وكان يوم طشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المانزل بهم العذاب الى شيخ من بقبية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويأحي عمى الموتى ويأحي لاله الأنت فقالوا ها فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افضل بنا ما أنت أهله ولا تقبل بنا ما نحن أتله ومتعناهم الى حين) تركناهم بلا عذاب الى حين الموت

(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم) ﴿ ٢٩١ ﴾ على وجه { سورة يونس } الاحاطة والشمول (جميعا)

مجتمين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذه مشيئة انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر من علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القدر والالهاء أي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس اليك مشيئة الاكراه والخيبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وقوله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفالو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أمأنت بمعنى النفي أي لا أمأنت أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله

فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسأتم وصيائهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها نحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والصيحج واخلسوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرجهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم ﴾ بحيث لا يشذ منهم احد ﴿ جميعا ﴾ مجتمين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجبين فان من شاء ايمانه يؤمن لاحالة والتقيد بمشيئة الاجزاء خلاف الظاهر ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالغاء وايلائها حرف الاستفهام للارتياح وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن ﴾ بالله ﴿ الا باذن الله ﴾ الا بإرادته والطاقه

وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فليل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذبا او كان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مفاضبا فالتقمه الحوت وسأنى القصة في سورة والاصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت أحباب العطاء عن هذا باجوبة ما أحدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخلص لم يقبل منه ايمانه والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ﴿ يقول الله عز وجل لئن بدت كل امة ديني لآمن بالله ورسوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية لاني صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبق له العنابة الازلية فلا تنب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيتتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك لاحد سوانا ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ﴾ يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن

(ولو شاء ربك) يا محمد (لآمن من في الارض كلهم) (أن تؤمن) بالله (الا باذن الله)

(جميعا) جميع الكفار (أمأنت تكره الناس) مجبر الناس (حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس) كافرة (أن تؤمن) بالله (الا باذن الله)

بعيشته أو بقضائه أو بتوفيقه أو تسهيله أو بعله (ويجعل الرجس) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون { الجزء الحادى عشر } بقولهم ويجعل سملاً ٢٩٢ جادويحي (قل انظروا) طراستدلال

وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانها الى الله ﴿ ويجعل الرجس ﴾ العذاب أو الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ أبو بكر ويجعل بالنون ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لماعلى قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله ﴿ قل انظروا ﴾ أى تفكروا ﴿ ماذا فى السموات والارض ﴾ من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية عقلت انظروا عن العمل ﴿ وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ فى علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب ﴿ فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قباهم ﴾ مثل وقائهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يتحققون غيره من قولهم ايام العرب لو قائمها ﴿ فل فانظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ لذلك أو فانظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ﴿ ثم نبهى رسلنا

واعتبار (ماذا فى السموات والارض) من الآيات والمبذ باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وما تنفى الآيات) ما نافية (والنذر) والرسائل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) يعنى ورائع الله فيهم كما يقال أياهم العرب لو قائمها (قل فانظروا انى معكم من المنتظرين ثم نبهى رسالنا) معطوف على كلام محذوف يدل ما به الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كأنه قل نزلت الامم ثم نبهى رسلنا على حكاية بارادة الله وتوفيقه (ويجعل الرجس) بتول الكذب (على الذين) فى لوب الذين (لا يعقلون) توسيد انه نزلت هذه الآية فى شأن أب طالب حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ايمانه ولم يرد الله أن يؤمن (قل) لهم يا محمد (انظروا ماذا فى السموات) من الشمس والارض

تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى ياذن الله باسم الله وقال عطاء بعيشة الله ﴿ قوله تعالى ﴿ ويجعل ﴾ قرئ بالنون على سبيل التعميم أى ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله ﴿ الرجس ﴾ يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل انظروا ﴾ أى قل يا محمد أهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعنى انظروا باقوا بكم نظر اعتبار وفكر وتدبر ﴿ ماذا فى السموات والارض ﴾ يعنى ماذا خلق الله فى السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته فى السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سحرها طالعها وغاربه وانزال المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالفها كما قال الشاعر وفى كل مائة آية تذل انه واحد

﴿ وما تنفى الآيات والنذر ﴾ يعنى الرسل ﴿ عن قوم لا يؤمنون ﴾ وهذا فى حق أعيان علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق ا م و الازل من السقاء ﴿ فهل ينتظرون ﴾ يعنى يعنى مشركى ما ﴿ الا ان ايام الذين خلوا من قباهم ﴾ يعنى من مضى من قباهم من الامم الساقطة المكذبة للرسائل السابقة ﴿ وفى يوم الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب سمي العذاب آياتا والنعمة اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظروا لئلا المشركون من قومك يا محمد الا يوما يما يمتون فيه العذاب مثل ما حانا بالامم السالفة المكذبة أهلكتناهم جيبا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب ﴿ قل فانظروا ﴾ يعنى بل ايام يا محمد فانظروا العذاب ﴿ وانى معكم من المنتظرين ﴾ يعنى هلاككم قال الرجس من أنس خو فم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك منهم أنبى الله رسوله والذين آمنوا بهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ﴿ ثم نبهى رسلنا

ذو الارض من الشجر وادوات الجبال والبحار كما آية لكم ثم قال (وما تنفى الآيات والنذر) (عن قوم) (و لا يؤمنون) فى علم الله (فهل ينتظرون) اية لهم آية (الا مثل ايام الذين خلوا) (عذاب الذين مضوا) (من قباهم) من الكفار (ذل) يا محمد (انظروا) بتول العذاب وبسلاكى (انى معكم من المنتظرين) بتول العذاب وبسلاكم (ثم نبهى رسلنا

(المؤمنين) أي مثل ذلك الانجاء نجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أي وحق ذلك علينا حقا نجي بالتخفف على وحقق (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الاصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يمنكم وصفه بالتوفى لبرهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويسجدون ما لا تقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي بان أكون يعني ان الله أسرفي بذلك بما ركب في العقل وبما أوحى الى

والذين آمنوا) بالرسول بعد هلاك قومهم (كذلك) هكذا (حقا) واجبا (عائنا نجي المؤمنين) مع الرسول (قل) يا محمد (يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الاسلام (فلا أعبد الذين تعبدون) تدعون (من دون الله) من الاوثان (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يقبض أرواحكم ثم يحيمكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

والذين آمنوا ﴿عظم على محذوف دل عليه الامثال ايام الذين خلوا كما أنه قيل نهلك الامم ثم نجي رسلنا ومن آمنهم على حكاية الحال الماضية ﴿كذلك حقا علينا نجي المؤمنين﴾ كذلك الانجاء أو انجاء كذلك نجي محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بصله المقدر وقيل بدل من كذلك وهو قرأ حفص والكسائي نجي المؤمنين مخففا ﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ان كنتم في شك من ديني﴾ وصحته ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل والصرف والنظر وفيها بين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجودكم ويتوفاكم واتماخص التوفى بالذكر للتهديد ﴿وأمرت ان أكون من المؤمنين﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحي حذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

والذين آمنوا ﴿يعني من العذاب والهلاك كذلك﴾ حقا علينا نجي المؤمنين ﴿يعني كما أجبنا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك نحيكم يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قل بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بأنه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شيئا ﴿فوله سبحانه وتعالى﴾ قل يا أيها الناس ﴿الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد اهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك﴾ ان كنتم في شك من ديني ﴿يعني الذي أذعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت تطهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي أذعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أسررتهم على ما أنتم عليه ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ يعني هذه الاوثان وانما واجب تقديم هذا النبي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يليق لا خس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن يليق العبادة لمن يده المع والضر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام منه الصفة ان المراد ان الذي يستحق العبادة فاعبدها أنا وأنتم هو الذي خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم فانما يميتكم بعد الموت فانما فاكتم في ذكر الوفاة تنبها على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استجلبوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على احلاككم ونصري عليكم ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يعني وأسرفي ربى أن أكون من المصدقين بأحاديثه من عنده قيل للمذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح

ثم يحيمكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى الى أن أقم ليشاكل قولها أمرت أي استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله وأستقم إليه ثلاثت يميناً ولا شمالاً {الجزء الحادي عشر} (حنيفاً) حال ﴿٢٩٤﴾ من الدين والوجه (ولا تكونن من

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتك (ولا يضرك) ان خذته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل ايحازا (فانك اذا من الظالمين) اذا اجزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلاً سال عن تبة عباد الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظم أعظم من الشرك دافع (وان يمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الا الله (وان يردك بحير) فلا راد لفضلته (فلا راد لمراده) (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع هذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبه الا اليه والاعتماد

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتك (ولا يضرك) ان خذته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل ايحازا (فانك اذا من الظالمين) اذا اجزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلاً سال عن تبة عباد الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظم أعظم من الشرك دافع (وان يمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الا الله (وان يردك بحير) فلا راد لفضلته (فلا راد لمراده) (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع هذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبه الا اليه والاعتماد مع المؤمنين على دينهم (وان أقم وجهك للدين) اخاص دينك وعملك لله (حنيفاً) مسلماً (ولا تكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولا تدع) لا تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) في الدنيا والآخرة ان عبت (ولا يضرك) ان لم تعبد (فان فعلت) عبت (فانك اذا من الظالمين) من الضارين

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به . فقد تركتك ذامال وذاتسب ﴿وان أقم وجهك للدين﴾ عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الاسم ولا فرق بينهما في القرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستداد فيه باداء الفرائض والانتهاه عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة ﴿حنيفاً﴾ حال من الدين أو الوجه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴿بنفسه ان دعوتك أو خذته﴾ فان فعلت ﴿فان دعوتك﴾ فانك اذا من الظالمين ﴿جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبة الدعاء﴾ وان يمسك الله بضر ﴿وان يصيبك به﴾ فلا كاشف له ﴿يدفعه﴾ الا هو ﴿الا الله﴾ وان يردك بحير فلا راد ﴿فلا دافع﴾ لفضله الذي ارادك به ولله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الاسمين للتنبه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما سهم بالاعتد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده﴾ أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب ﴿وأرأتم وجهك للدين حنيفاً﴾ الواو في قوله وان أقم واوعطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني أقم نفسك على دين الاسلام حنيفاً معنى مستقيماً عليه غير موعج عنه الى دين آخر وقيل معناه أقم علك على الدين الحنفي وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنفي غير مائل عنه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ يعني ولا تكونن من يشرك في عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان انتهى عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حل هذا انتهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته واتم المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان ياتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الحنفي ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ يعني ان عبادة ودعوتك ﴿ولا يضرك﴾ يعني ان تركت عبادته ﴿فان فعلت﴾ يعني ما نهيتك عنه فعدت غيري أو طلبت الفسح ودفع الضر من غيري ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئاً البتة فيكون المعنى ولا تدع أما الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية ﴿قوله تعالى﴾ وان يمسك الله بضر ﴿يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء﴾ فلا كاشف له ﴿يعني لذلك الضر الذي أنزل بك﴾ الا هو يعني لا غيره ﴿وان يردك بحير﴾ يعني بسعة ورخاء ﴿فلا راد لفضلته﴾ يعني فلا دافع لرزقه ﴿يصيب به﴾ يعني بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده﴾ قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى

لنفسك (وان يمسك) يصيبك (الله بضر) بشدة وأمرت كرهه (فلا كاشف له) فلا راد للضر (الاهو) انه (وان يردك) يصيبك (بخير) بنعمة وأمرت سر به (فلا راد لفضلته) لا مانع لمطية (يصيب به) يخص بالفضل (من يشاء من عباده) من

الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المظفي بالمطاء اتبع النبي عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجناد الذي لا شعور به وكذا ارادك بخير لم يرد احدا ما يريدك من الفضل والاحسان فكيف بالاثان وهو الحقيق اذا بان توجهه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل من كاشفات ضره أو ارادني برجة هل من ممسكات رجته وانما ذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر كانه ﴿ ٢٩٥ ﴾ اراد ان يذكر { سورة يونس } الا من ارادة والاصابة

في كل واحد من الضر والخير وانه لا اراد لما يريد منهما ولا منزل لما يصيب به منهما فأو جز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليبدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فانه نفع باختياره الانفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال فاضر الانفسه ودل الام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدانهم (حق يحكم الله)

وهو الغفور الرحيم ﴿ فعرضوا رجته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمصيبة ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ رسوله وألقرآن ولم يبق لكم عذر ﴿ فن اهتدى ﴿ بالإيمان والاتباع ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴿ لان نفعه لها ﴿ ومن ضل ﴿ بالكفر ﴿ فانما يضل عليها ﴿ لان وبال الضلال عليها ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴿ بحفيظ موكول الى امركم وانما أنا بشير ونذير ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴿ بالامتثال والتبليغ ﴿ واصبر ﴿ على دعوتهم وتحمل اذيتهم ﴿ حتى يحكم الله ﴿ بالنصرة أو بالامر بالقتال ﴿ وهو خير الحاكمين ﴿ اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لا ملاحه على السرار اطلعه على الظواهر ﴿ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴿ وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر اساس الضربين انه لا يكشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من التفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا اراد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني السائر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل ﴿ فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴿ لان نفع ذلك يرجع اليه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴿ أى على نفسه لان وباله راجع اليه فن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم يتنفع بشيء أبدا ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴿ يعني وأما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴿ يعني الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد ﴿ واصبر ﴿ يعني على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك ﴿ حتى يحكم الله ﴿ يعني ينصرك عليهم باظهار دينك ﴿ وهو خير الحاكمين ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه لك بالنصرة عليهم والقلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرار فلا يحتاج الى بينة وشهود

كان أهلا لذلك (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) الكتاب والرسول (من ربكم فمن اهتدى) بالكتاب والرسول (فانما يضل عايبا) يعني عاصيا حانية ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل نسخها آية القتال (واتبع ما يوحى اليك) ما يؤمر لك في القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ذلك (حتى يحكم الله) بينكم وبينهم يقتلهم وهاكهم يوم بدر (وهو خير الحاكمين)

﴿سورة هود عليه السلام﴾ الجزء الحادي عشر { مكية وهي ﴿ ٢٩٦ ﴾ مائة وثلاث وعشرون آية ﴿

من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به
ويعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أركان﴾ مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت
نظماً معكمالايدييه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو سمت من الفساد والنسخ فإن
المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكمة مقول
من حكم بالضم إذا صار حكيماً لأنها مشتقة على أمهات الحكم النظرية والعملية
﴿ثم فصلت﴾ بالفرائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار أو يجعلها سوراً

وأطهار دينه ويقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم ومغارهم
والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقشادة
وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة
طريق النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الاقوله سبحانه وتعالى فملك
تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنان
بذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف
وخمسمائة وسبعة وستون حرفاً عن ابن عباس قال قال أبو بكر نارسول الله قد شئت
قال شيتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه
الدرمذي وقال حدث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت نارسول الله عمل
اليك الشيب قال شيتي هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك
حدث الغاشية قال بعض العلماء سب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور
المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والنمط والحساب والجنة والنار والله
أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قوله عز وجل﴾ الركب أحكمت آياته ﴿قال ابن عباس لم ينسخها كتاب
كما نسخت هي الكتب والشرائع﴾ ثم فصلت ﴿يعني بنت وقال الحسن أحكمت
آيات بالاسر والمهي وفصت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت
بالوابر القباب وفصت بالاسر والمهي وقال نادة أحكمه بالآء من البائل ثم فصلها
بألف من حلاله وحرامه وطاعة ومعصية فيها وقيل أحكمه بالله فليس فيها

(تناقض)

(ثم فصت) بنت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(أركان) أي هذا كتاب

فهو خبر مبتدأ محذوف
(أحكمت آياته) صفة له أي
نظمت نظماً رصيناً معكمالايدي
يقع فيه نقض ولاخلل
كالبناء المحكم (ثم فصلت)
كما تفصل التلاوة بالفرائد
من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والفصص
أوجلت فصولاً سورة
سورة وآية آية أو مرقت
في النزول ولم تنزل جلة
أو فصل فيها ما يحتاج اليه
العباد أي بين ولخص وليس
معنى ثم البراحي في الوقت
ولكن في الحال

أقوى الحاكين بهلاكهم
ونصرهم

﴿ومن السورة التي يذكر فيها
هود وهي كلها مكية آياتها
مائة وعشرون كلمة ألف
وستمائة وخمسة وعشرون
حرفاً ألفاً وستة
وخمسمائة وخمسة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

باساده عن ابن عباس في
قوله تعالى (الر) يقول
أمانة أرى، ويقال قسم
أقسم (ك) أرى
كتاب منها الرار (أ) است
آياته) بالحلال والحرام
والاسر والمهي فلم تنسخ

أوبالانزال نجما أو فصل فيها ونخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وتم لتفاوت في الحكم أو لتراخي في الاخبار ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على الكل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للأغراء على التوحيد أو الامس بالتبني عن عبادة غيرك أنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزمونه أو أتركوها تركا ﴿ اتى لكم منه ﴾ من الله ﴿ نذير وبشير ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ ثم توبوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المرص عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا

تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خال ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وحمدة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن الميقات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وتم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل ما نقلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك ففي الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آتاه التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نفيها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للعالم واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد واما أكلت بعضه وقوله تعالى ﴿ من لدن حكيم ﴾ يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أمهاله ﴿ خبير ﴾ يعني ما حوال عباده وما يصلحهم ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ هذا مقبول له مع انه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لثلاث تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام ﴿ اتى لكم منه ﴾ أي تل لهم يا محمد اتى لكم من عند الله ﴿ نذير ﴾ ينذركم عقابه ان تبتم على كفركم ولم ترحموا عنه ﴿ وبشير ﴾ يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده ﴿ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اختلفوا في سان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلوا من ربكم المنفرة

(من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت وفصلت أي من عند أحكامها وتفصيلها (الأن تعبدوا الا الله) مفعول له أي لثلاث تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (اتى لكم منه نذير وبشير) أي من الله (وان استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة

(من لدن) من عند (حكيم) حاكم أمران لا يعبد غيره (خبير) عن عبود عن لا يعبد (الأن تعبدوا) بان لا توحدا (الا الله اتى لكم منه) من الله (نذير) من النار (وبشير) ما الجنة (وان استغفروا ربكم) ارجعوا اليه (ثم توبوا اليه) قبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم تفاوت ما بين الاسرين
 ﴿ يتعمك متاعا حسنا ﴾ يشكم في امن ودعة ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو آخر اعماركم
 المقدره اولاً يهلككم بذات الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
 بالاعمال لكنها سماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ﴿ ويؤت كل ذى فضل فضله ﴾
 ويعط كل ذى فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا وفي الآخرة وهو وعد للوحد الثائب
 بخير الدارين ﴿ وان تولوا ﴾ وان تتولوا

لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع
 عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على
 التوبة وقيل مناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال
 القراء ثم ها معنى الواولان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرها للتأكيد
 ﴿ يتعمك متاعا حسنا ﴾ يعنى انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة
 وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به
 في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقذور
 ﴿ الى اجل مسمى ﴾ يعنى يتعمك متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم
 فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل
 في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينقذه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين
 قوله سبحانه وتعالى يتعمك متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت أما قوله صلى الله عليه
 وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل
 والنعم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدله وأما كون الدنيا جنة
 الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذى لا ينقطع
 فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على
 الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان
 الصر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض
 عن الله في جمع أحواله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويؤت كل ذى فضل فضله ﴿ أى
 يعط كل ذى عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت
 طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر
 الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
 على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم
 يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
 كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى عملها في الدنيا بقتله عشر حسنات
 وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له جمع حسنات
 ثم يقول ابن مسعود هلك من غلت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه
 الله في المستقبل اطاعته ﴿ وان تولوا ﴾ يعنى وان أعرضوا عما جنتهم به من الهدى

(يتعمك متاعا حسنا) يطول
 نعمكم في الدنيا بما فاع حسنة
 مرضية من عيشة واسعة
 ونعمة متتابعة (الى أجل
 مسمى) الى أن يتوفاكم
 (ويؤت كل ذى فضل فضله)
 ويعط في الآخرة كل من
 كان له فضل في العمل وزيادة
 فيه جزاء فضله لا يخس منه شيئا
 (وان تولوا) وان تتولوا

(يتعمك متاعا) يعتمك عيشا
 (حسنا) بلا عذاب (الى أجل
 مسمى) الى وقت ما لوم يعنى
 الموت (ويؤت) ويعط
 (كل ذى فضل) في الاسلام
 (وصله) ثوابه في الآخرة
 (وان تولوا) عن الاعمال

(فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (إلى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فكأن قادرا على أعادتكم (ألا أنهم يتنون صدورهم) يزورون عن الحق ويخرفون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن ازور عنه ﴿٢٩٩﴾ وانحرف ﴿سورة هود﴾ ثنى عنه صدره وطوى عنه

كشحه (ليستخفوا منه)

ليطابوا الحقاء من الله فلا

يطلع رسوله والمؤمنون

على أزوارهم (الأحين

يستغشون ثيابهم) يتغطون

بها أي يريدون الاستخفاء

حين يستغشون ثيابهم

كراهة لاسقاع كلام الله

كقول نوح عليه السلام

جعلوا أصابعهم في آذانهم

واستغشوا ثيابهم (يعل

مايسرون ومايعتون) أي

لا تقاوت في علمه بين

اسرارهم و اعلانهم فلا

وجه توصلهم الى ما

يريدون من الاستخفاء

والله مطلع على نبيهم

صدورهم واستغشاهم

ثيابهم وتفاقم غير نافع

عنده قيل نزلت في المارقين

والتسوية (فاني أخاف

عليكم) أعلم ان تكون عليكم

(عذاب يوم كبر) عظيم

(إلى الله مرجعكم) بعد

الموت (وهو على كل شيء)

من الثواب والعقاب

(مدير ألا أنهم) يعني أخنس

ابن شريق وأصح به (يننون

﴿فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد استلوا بالقسط حتى اكلوا الجيف وقرى وان تولوا من ولى ﴿إلى الله مرجعكم﴾ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير ﴿فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكانه تقرير اكبر اليوم﴾ ألا أنهم يتنون صدورهم ﴿يتنونها عن الحق ويخرفون عنه أو يطفونها على الفكر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرى يتنونى بالياء والتاء من اتونى وهو بناء المبالغة وتون واصله يتون من الثن وهو الكلاء الضيف اراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثن من اثنان كبايض بالهمزة وتتنوى ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المارقين وفيه نظر اذا لآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ الأحين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يعلم مايسرون﴾ في قلوبهم ﴿ومايعتون﴾ بما فواهم يستوى في علمه سرهم وعلتهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهره

﴿فاني أخاف عليكم﴾ أى قتل لهم يا محمد انى أخاف عليكم ﴿عذاب يوم كبير﴾ يعنى عذاب النار في الآخرة ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يعنى في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويماقب المسيء على اساءته ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يعنى من اصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ألا أنهم يتنون صدورهم ﴿قال ابن عباس نزلت في اخنس بن شريق وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المظرو وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويتطوى بقلبه على ما بكرة فزلت ألا أنهم يتنون صدورهم يعنى يخفون ما فى صدورهم من الشخاء والعداوة من ثبت الثوب اذا طويته وقال عدالله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المارقين كان اذا مس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسموا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل به ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى وهل السدى يتنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثبتت عنانى ﴿ليستخفوا منه﴾ يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ يعنى يتغطون رؤسهم بثيابهم ﴿يعلم مايسرون ومايعتون﴾

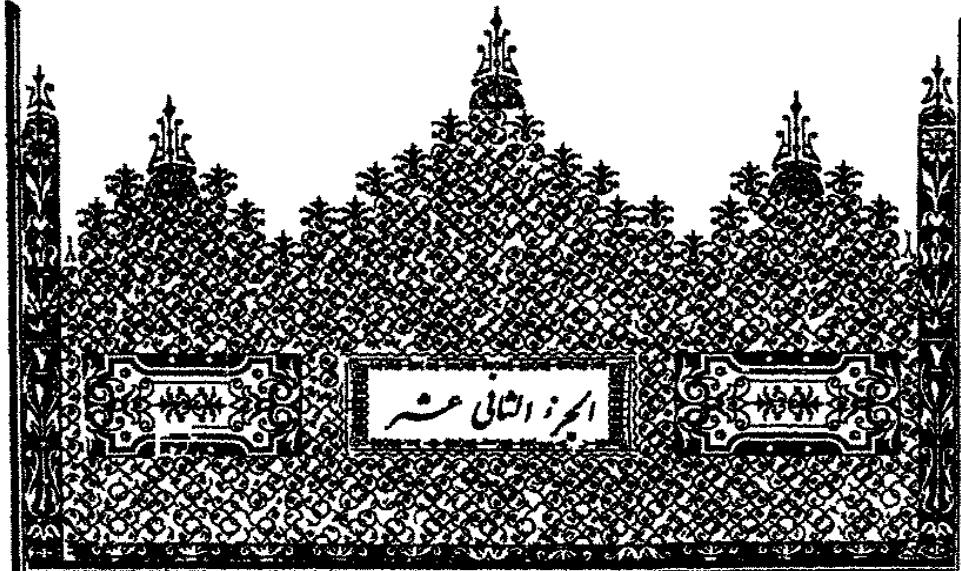
صدورهم) يضمرون في قلوبهم بغض محمد صلى الله عليه وسلم وعداوته (ليستخفوا منه) ليستروا من محمد صلى الله عليه وسلم بغضه وعداوته باظهار المحبة والمجالسة معه (الأحين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم مايسرون) فيما بينهم وما يضمرون في قلوبهم (ومايعتون) من القتال والحقاء ويقال من المحبة والمجالسة

﴿ انه علم بنات الصدور ﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب واحوالها

انه علم بنات الصدور ﴿ ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين اُشمرُوا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى في أفرادهِ عن محمد بن عياض بن جعفر الخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يتنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم

(انه علم بنات الصدور)
بما

(انه علم بنات الصدور) بما
في القلوب من الخير والشر



قلم خير الرازقين

﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ غذاؤها وما شها لنكفها اياه تفضلا ورجة وانما انى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله ووجلا على التوكل فيه ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ اما كنها في الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين كانت بعد بالقوة ﴿كل﴾ كل واحد من الدواب واحوالها ﴿في كتاب مبين﴾ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه طالما بالمعلومات كلها وبما بعدهما بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريبا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد ﴿وهو الذى خلق السموات والارض في ستة

﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وما من دابة في الارض﴾ الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذى أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه آدمى وغيره من جميع الحيوانات ﴿الاعلى الله رزقها﴾ يعنى هو المتكفل برزقها فضلا منه لاعلى سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتتوجع جوتا ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ قال ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذى تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ﴿كل﴾ كل في كتاب مبين ﴿أى كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها﴾ قوله عز وجل ﴿وهو الذى خلق السموات والارض في ستة

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح ! يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذى خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة)

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) الا الله قائم برزقها (ويعلم مستقرها) حيث تأوى بالليل (ومستودعها) حيث تموت فتدفن (كل) أى رزق كل دابة واجلها وأثرها (في كتاب مبين) مكتوب في اللوح المحفوظ مبين معلوم مقدور ذلك عليها (وهو الذى) والهكم هو الذى (خلق السموات والارض في ستة)

أيام ﴿ أي خلقهما وما فيهما كما سريانه في الاعراف أو ما في جهنم العلو والسفل وجع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات ﴿ وكان عرشه على الماء ﴿ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على

أيام وكان عرشه على الماء ﴿ يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله يا قوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيئة فصارت ماء يرتد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سجع الله ومجده ألم عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فزع القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقالوا اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لتتفقه في الدين ولتسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتى رجل فقال يا عمران ادرك ما فتك فقد ذهبت فانطلقت اطابها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أهما ذهبت ولم أقم ﴿ عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان راس قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمامة ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحد يريد بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عمامة وجدته في كتاب عمامة مقيدا بالمدفان كان في الاصل ممدودا فعناه سبحانه رقيق ويريد بقوله في عمامة أي فوق سحاب مدبراله وطايا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لا تصلبكم في جذوع النخل

أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق يا قوتة خضراء فنظر اليها بالهيئة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (وكان عرشه) قبل ان خلق السموات والارض (على الماء) وكان الله قبل العرش والماء

متن الماء هو استدليله على إمكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرض من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ﴿ ليلوكم ايكم احسن عملا ﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومماشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعلق قل البلوى لماليه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختيار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيل للتحريض على احسن المحاسن والتفضيل على الترقى دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايم على القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكل علما وعملا ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت

(ليلوكم) أى خلق
السموات والارض
وما بينهما للممتحن فيهما
ولم يخلق هذه الاشياء
لانفسها (ايكم احسن
عملا) أكثر شكرا وعنه
عليه السلام احسن عقلا
وأورع عن محارم الله
وأسرع في طاعة الله فمن
شكروا أطاع أتابه ومن
كفروا عصى عاقبه ولما
أشبه ذلك اختيار المختبر
قال ليلوكم أى ليفعل
بكم ما يفعل المبلى لأحوالكم
كيف تعملون (ولئن قلت
انكم مبعوثون من بعد
الموت

يعنى على جذوعها و قوله مافوقه هواء أى مافوق السحاب هواء وكذلك قوله وماتحته هواء أى ماتحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمناه لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جواهه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولاتحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجهه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله وسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام اليهقي وقال ابن الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المفعول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فمن تؤمن به ولا تكيف صفته (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمر اذا أراد شأنا أن يقول له كن فيكون ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ليلوكم ﴾ يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله ﴿ ولئن قلت ﴾ يعنى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك ﴿ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾ يعنى

(ليلوكم) ليختبركم بين الحياة
والموت (ايكم
احسن عملا) أخلص
عملا (ولئن قلت) لاهل
مكة (انكم مبعوثون)
مبعوثون (من بعد الموت

يقولون الذين كفروا أن هذا الاسحر مبین (أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جملوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حجة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (واثن آخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم (يقولون ما يحبسهم) ما يمنعه من النزول استجلاله على وجه التكذيب والاستهزاء (الأيوم يأتيهم) لعذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب ﴿ ٣٠٥ ﴾ بمصروفا ﴿ سورة هود ﴾ أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) واحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤون) العذاب الذى كانوا به يستهزؤون (ما كانوا يستهزؤون) لان استجبالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منا رجة) نعمة من صحة وامن وجدة واللام فى اثن اتوسطة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انديؤوس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسام لقضائه (كفور) عظيم الكفران لاسلبه من القلب فى نعمة

يقولون الذين كفروا أن هذا الاسحر مبین (أى ما البعث أو القول به أو القرآن المنضمين لذكره الا كالحجر فى الخديعة والبطلان «قرأ أجزاءه والكسائى الاسحر على ان الاشارة الى القائل «وقرى انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو ان تكون ان بمعنى على أى ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقموا بشكم ولا يتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما للاحقية له المسألة فى انكاره ﴿ ولئن اخرنا عنهم العذاب ﴾ الموعود ﴿ الى أمة معدودة ﴾ الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ يقولون ﴾ استهزاء ﴿ ما يحبسهم ﴾ ما يمنعه من الوقوع ﴿ الأيوم يأتيهم ﴾ كيوم بدر ﴿ ليس مصروفا عنهم ﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿ وحق بهم ﴾ واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿ ما كانوا يستهزؤون ﴾ أى العذاب الذى كانوا يستهزؤون فوضع يستهزؤون موضع استهزؤون لان استجبالهم كان استهزاء ﴿ ولئن أذقنا الانسان منا رجة ﴾ ولئن اعطيناه نعمة بحيث يحدتها ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿ انديؤوس ﴾ قطع رجاءه من فضل الله تعالى لقلته صبره وعدم ثقته به ﴿ كفور ﴾ مانع فى كفران ما ساء له للصاب والجزاء ﴿ يقولون الذين كفروا أن هذا الاسحر مبین ﴾ بنون القرآن ﴿ ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ﴾ يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى الى انراض أمة وجميئة أمة أخرى ﴿ يقولون ما يحبسهم ﴾ يعنى أى شئ يحبس العذاب واتما يقولون ذلك استجبالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ايس مصروفا عنهم ﴾ أى لا يصرفه عنهم شئ ﴿ وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾ يعنى ونزأ بهم وبال استهزأهم ﴿ فوالله سبحانه وتعالى ﴾ ولئن أذقنا الانسان منا رجة ﴿ من رضاء وسعة فى رزقى والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ﴾ ثم نزعناها منه ﴿ نزعنا ذلك كلد وأصابنا المصائب فاجتاحته وذهبت ﴾ من انديؤوس كفور ﴿ يعنى يظل قانطا من رجة الله آيسا من كل خير كفور أى جهور نعمتنا عادوا ولا قائل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أن

العذاب الى أمة معدودة) الى وقت معلوم (تا و سا ٣٩ لث) يزه - (الاول) أصل كذا (ما يحبسهم) عناغ - الاستهزاء (بأايوم يأتيهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) لا يسرف عنهم العذاب (وحق دار و رجب ونزل) بهم ما كانوا به يستهزؤون) عذاب ما كانوا به يستهزؤون محمد على الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منا رجة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انديؤوس) يصير آيس شئ واقط شئ من رجة الله (كفور) كافر بنعمة الله

العذاب الى أمة معدودة) الى وقت معلوم (تا و سا ٣٩ لث) يزه - (الاول) أصل كذا (ما يحبسهم) عناغ - الاستهزاء (بأايوم يأتيهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) لا يسرف عنهم العذاب (وحق دار و رجب ونزل) بهم ما كانوا به يستهزؤون) عذاب ما كانوا به يستهزؤون محمد على الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منا رجة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انديؤوس) يصير آيس شئ واقط شئ من رجة الله (كفور) كافر بنعمة الله

الله نسائه (وثمن أذقناه نساء بعد ضراء مسته) وسما عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (يقولون ذهب السيآت عنى) أى المصائب
التي ساءتني (أنه لفرح) فخور (على الناس بما أذقه الله من نساءه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر) (الا الذين
صبروا) في الجنة (والبلاد) الجزء الثاني عشر { (وعملوا الصالحات) ٣٠٦ } وشكروا في النعمة والرخاء

من النعمة ﴿ وثمن أذقناه نساء بعد ضراء مسته ﴾ كصحة بعد سقم وعن بعد عدم
وفي اختلاف الفلمين نكتة لا تخفى ﴿ يقولون ذهب السيآت عنى ﴾ أى المصائب التي
ساءتني ﴿ أنه لفرح ﴾ بطريال نعم مغتربوا ﴿ فخور ﴾ على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقوقها وفي لفظ الاذقة والمس تبييه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن
كالاغذاء وما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادن شي لان الذوق ادراك
الطعم والمس مبدأ الوصول ﴿ الا الذين صبروا ﴾ على الضراء اعمانا بالله تعالى
واستسلاما لقضائه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ شكرا لا لأنه سابقها ولا حقتها ﴿ أولئك
لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ واجركبير ﴾ اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد
به الجنس فاذا كان محلي باللام افاد الاستراق ومن جله على الكفار لسبق ذكرهم
جمل الاستثناء منقطعاً ﴿ فلهلك تارك بعض ما يوحى اليك ﴾ ترك تبليغ بعض ما يوحى
اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزاءهم به ولا يزم من توقع
الشي لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
من الخيانة في الوحي والتقبة في التبليغ مانعا ﴿ وضائق به صدرك ﴾ وطارض لك

وسمة وفاقية فاشكرها ولا تنجدها فان نزعك عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تياس من رحمة الله
فانه المواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وثمن أذقناه نساء بعد ضراء مسته ﴾
يعنى وثمن نحن أنسنا على الانسان وبسطناعليه من العيش ﴿ يقولون ﴾ يعنى الذى أصابه
الخير والسمة ﴿ ذهب السيآت عنى ﴾ يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال
ذلك مرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوائد
فهذا ذمه الله تعالى فقال ﴿ أنه لفرح فخور ﴾ أى انه أشربطر والفرح لذة تحصل في
القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التناول على الناس بتمديد المناقب وذلك منهى
عنه ﴿ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى ﴾ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿ قال افراء
هذا الاستثناء مقطوع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان
نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة وشكروا اعياها ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ لهم
مغفرة ﴾ يعنى لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ يعنى الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلهلك تارك بعض
ما يوحى اليك ﴿ الخلطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لانيه محمد صلى الله عليه
وسلم فلهلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبليغه الى من أمرك ان تبليغ ذلك اليه
﴿ وضائق به صدرك ﴾ يعنى ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبليغه اياهم وذلك ان كفار مكة
قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتافهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم

(أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم
(وأجر كبير) يعنى الجنة
كانوا يقتربون عليه آيات
ممتالا استرشادا لانهم لو
كانوا مسترشدين لكانت
آية واحدة ملجابه كافية
في رشادهم ومن اقتراحهم
لولا أنزل عليه كثر أوجه
معه ملك وكانوا لا يستدون
بالقرآن ويتهاونون به فكان
يضيق صدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يلقى
اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فهمه لاداء الرسالة
وطرح المبالاة بردهم
واستهزأهم واقتراحهم
بقوله (فلهلك تارك بعض
ما يوحى اليك) أى لمك
ترك ان تلقيه اليهم وتبلغه
اياهم مخافة ردهم لهوتها وهم
(وضائق به صدرك) بان
تلوه عليهم ولم يقل ضيق
ليدل على انه ضيق
طارض غير ثابت لانه عليه
السلام كان أوسع الناس
صدرا ولانه أشكل تارك

لا يشكر (وثمن أذقناه)
أصنائه يعنى الكافر (نساء
بعد ضراء مسته) شدة
اصابته (يقولون) يعنى

الكافر (ذهب السيآت) الشدة (عنى أنه لفرح) بطر (فخور) بنعمة الله غير شاكر (الا) محمد صلى الله (ظاهرا)
عليه وسلم واصحابه (الذين صبروا) على الايمان (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فانهم لا يفعلون ذلك ولكن
يصبرون بالشدة ويشكرون بالنعمة (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم في الجنة (فلهلك) يا محمد
(تارك بعض ما يوحى اليك) أمرك في القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعيها (وضائق به) بما أمرت (صدرك) قلبك

احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ﴿ ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ﴾ ينفقه في الاستتباع كالمملوك ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا ﴿ انما انت نذير ﴾ ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا

ظاهرا فانزل الله عزوجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيمن الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم يبلغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتف منه شئ واجموا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما وحي اليه ليقول احدلان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد قامت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجبان يكون المراد بقوله تعالى فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك شئ آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اجوبة ما أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شئ مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية الثانية ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لبيده صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما انزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصيته بما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فامرهم الله سبحانه وتعالى بتبايع ما وحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شئ من الوحي هيجمه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم ووردهم الى قبول قوله قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تفرك ان تاقية اليهم مخافة رددهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوه عليهم ﴿ ان يقولوا ﴾ يعني مخافة ان يقولوا ﴿ لولا انزل عليه كنز ﴾ يعني يستغنى به وينفقه ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يعني بشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية الخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدره على كل شئ وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك ما تستغنى به أنت واحبابك وهلا انزل عليك ملكا يشهدك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عزوجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عزوجل ﴿ انما انت نذير ﴾ تنذر بالمقاب

(ان يقولوا) مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز اوجاء معه ملك) هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننققه والملائكة لصدقه ولم انزل عليه ما لا يريد ولا تقترحه (انما انت نذير) أي ليس عليك الا ان تنذرهم بما وحي اليك ونبغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا وتهاونوا

(ان يقولوا) بان يقولوا كفار امكة (لولا انزل) هلا انزل (عليه) على محمد (كنز) مال من السماء فيعيش به (او جاء معه ملك) يشهد له (انما انت) يا محمد (نذير) رسول

(والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أسرك اليه وعليك بتبايع الوحي بقلب فسبح وصدور منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم يقولون) أم مقطعة (افتراء) الضمير لما يوحى اليك { الجزء الثاني عشر } (قل فاتوا ﴿ ٣٠٨ ﴾ بشر سور) تحداهم أو لا ينشر سورهم بسور

أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ فتوكل عليه فإنه علم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم ﴿ أم يقولون افتراء ﴾ أم مقطعة والهاء لما يوحى ﴿ قل فاتوا بشر سور مثله ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أو لا ينشر سورهم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم سورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد ﴿ مفتريات ﴾ عتقات من عند أنفسكم ان صح أني اخترتكم من عند نفسي فأنتم عرب فصحاء مثل تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتلكم القصص والأشعار وتعودكم القرئض والنظم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ اكنتم صادقين ﴾ ان مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان مادعوتهم اليه لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأفعالهم فجازهم عليها يوم القامة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أم يقولون افتراء ﴾ يعنى بل يقول كفار مكة اخترتكم يعنى ما وحي اليه من القرآن ﴿ قل ﴾ ﴿ أى قل لهم يا محمد ﴾ فاتوا بشر سور مثله مفتريات ﴿ لما قالوا له انزيت هذا القرآن واخترتكم من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخی لهم المنان وما وصهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هو أني اخترتكم من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الأمر كما قائم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فاتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جشتم به مختلق من عند أنفسكم فأنتم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلماذا قال سبحانه وتعالى فاتوا بشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراءه فان قلت قد تحداهم بأن أتوا بسورة مثله فليقدروا على ذلك وعجزوا عنه وكيف قال فاتوا بشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن السورة أعجزه قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وأنه تحداهم أو لا ينشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المرء هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولاً قال ومعنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله يعنى مثله في الأخبار عن الأحكام والوعيد والوعيد وقوله سورة هود فاتوا بشر سور مثله يعنى مجرد البلاغة والبيان من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم هذا الكلام أمره بالسرور ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ حق سينوكم الى ذلك ﴿ اكنتم صادقين ﴾ يعنى في قولكم انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ اعلم انه لما سمعت الآية المتقدمة على أسرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رجو قوله سبحانه وتعالى قل فاتوا بشر سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو

واحدة كما يقول المخارفي في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر محوماً اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن وايزاله و معنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها (مفتريات) صفة لشر سور لما قالوا اقتربت القرآن واخترتكم من عند نفسك وليس من عند الله أرخى مهم العنان وقال هـ وأنى اخترتكم من عند نفسي فاتوا أنتم أصا كلام مثله مختلق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء على (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (اكنتم صادقين) انه فرى (فان لم يستجيبوا لكم

مخوف (راند على كل شيء) من مقالهم وصدانهم (وكل) كميل وسال سويد (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراء) اخلاق محمد القرآن من ناقه نفسه فاتوا به (بل) لهم يا محمد (وأتوا بشر سور له)

مثل سور القرآن من سورة البقرة آراء وآل والنساء والمائدة والانباء والأعراف والافات والاربعون ويونس (قوله) وهود (مفتريات) مختلقات من تلقاء أنفسكم (وادعوا من استطعتم) استمعوا من مبدعتم (من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمد صلى الله عليه وسلم يخالفه من تلقاء نفسه استمعوا من ذلك والله (فان لم يستجيبوا لكم) لم يحك الظلم

فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو (أى أنزل متبسبا عما يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واختبار بشيخ لاسيبل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله ﴿ ٣٠٩ ﴾ وحده وان توحيد واجب {سورة هود} والاشراك به ظلم عظيم

وانما جمع الخطاب بمد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بمد قوله فل لان الجمع تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم اولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعت أى فان لم تستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عند ما علموا انما انزل بعلم الله أى ما ذنه أو يأسره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بهذه الحجة القاطعة ومن حمل الخطاب للمسلمين فعاد ثابتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وفيهم أعمالهم فيها

وجع الضمير اما تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أولان المؤمنين كانوا ايضا تصدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متساو لالهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل ولتنبه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يتفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعلموا انما انزل بعلم الله ﴾ متبسبا عما يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا سلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم وتخصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقطاع من ان يحيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ ثابتون على الاسلام راضون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطايا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعت أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لايعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان مادامكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بمد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام اجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبه على قيام الموجب وزوال العذر ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ باحسانه وبره ﴿ نوف اليهم اعمالهم فيها ﴾

قوله تعالى وادعوا من استطعت من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احمثل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعوا من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدثون الكفار بالمعارضه ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لبيهم والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه ﴿ فاعلموا انما انزل بعلم الله ﴾ يعنى فابتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً بانهم كانوا علمين بأنه منزل من عند الله وقل الخطاب في قوله علم لم يستجيبوا الكلى صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره ناقظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم لم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعت من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ والى الذى انزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو ولا من تدعون من دونه ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ هذه هي الاسرار انما هو أو احصوا الله العبادات وان جعلنا معنى اذ يتعالى انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الرعب أى دو موعلى ما أنتم عليه من الاسلام ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ من ان يريد الحياة الدنيا وزينتها أى عمله الذى يحمله من أعمال البر رلت في كل من عمل عملاً يتبني به غير الله عز وجل ﴿ نوف اليهم اعمالهم فيها ﴾

(فاعلموا) بامضى الكفر (أأنزل) جبريل بالقرآن (بعلم الله) وأمره (وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) مقرون بمحمد عليه السلام والقرآن (من كان يريد

الحياة الدنيا) بعلمه الذى افترض الله عليه (وزينتها) زهرتها (نوف اليهم أعمالهم) نوفرهم ثواب أعمالهم (فيها) في الدنيا

نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوف بالياء أي يوف الله ويوف على البناء للمعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقولهم

وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لاثاب مالي ولا حرم

﴿ وهم فيها لا يجنون ﴾ لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم ﴿ اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ﴾ مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار المزائم السيئة ﴿ وحبط ما صنعوا فيها ﴾ لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة أولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا ﴿ وباطل ﴾ في نفسه ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجهتين عاقلة قبلها وقرى باطلا على انه مقول

اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكارة في الدنيا ونحو ذلك ﴿ وهم فيها لا يجنون ﴾ يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم كاملة موفرة ﴿ اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها ﴾ يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ لانه لتغير الله واختلاف المقسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن انس انها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجاء أو يعطى سائلا أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيجعل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكارة في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقبل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم التمام لانهم كانوا لا يرجون نواب الآخرة قيل ان حمل الآية على العموم أولى فيسدرح الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه من النار أخرجه البرهذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا مما يتخفى

وهم فيها لا يجنون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخش في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) ربحط في الآخرة ما صنعوه أو صنعهم أي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له

(وهم فيها) في الدنيا (لا يجنون) لا ينقص من ثواب اعمالهم (أولئك الذين) عملوا لغير الله (ليس لهم في الآخرة الا النار) وحبط ما صنعوا فيها (رد عليهم ما عملوا في الدنيا من الحرات) (وباطل ما كانوا يعملون) ولا يبايون في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا من الحرات لانهم عملوا لغير الله

يملون وما الجاهلية أوفى معنى المصدر كقولهم

ولا خارحاً من في زور كلام

ويطل على القبل من أمن كان على بينة من ربه ﴿ برهان من الله يدل على الحق والصواب فيدأنيبه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم واعكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكيم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنواهل الكتاب ﴿ ويتلوه ﴿ ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ﴿ شاهد منه ﴿ شاهد من الله شهد بصحته وهو القرآن

(أمن كان على بينة من ربه) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعني ان بين الفريقين تبايناً وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد) شهد بصحته وهو القرآن (منه) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفاً

(أمن كان على بينة من ربه) على بيان نزل من ربه يعني القرآن (ويتلوه) يقرأ عليه القرآن (شاهد) من الله يعني جبريل

به وجه الله لا يتعلمه الا يصيبه غرضنا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجهم أبو داود ﴿ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من حب الحزن قالوا يا رسول الله وما حب الحزن قال واد في جهنم تتوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجهم الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿ قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجهم بغير سند وهو الرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليعتدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه بالمعطاء فهذا العمل هو الذي لعن الله تعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة ثابتة فجازى بحسناته في الدنيا ويتاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يتاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيظلم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً أخرجهم البغوي بغير سند ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أمن كان على بينة من ربه ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجهه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أمن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والبراد بالبينة الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق ﴿ ويتلوه شاهد منه ﴿ يعني ويتبعه من شهدله بصدقوا واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس عاتمة وارانيم ومحامد وعكرمة والضحا وأكبر المفسرين انه جبريل علي السلام برداً جبريل يعي النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده وسدده ويفويه وقال الحسن وعقادة ولسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال ذات ليلتي ان علي ان أي

﴿ ومن قبله ﴾ ﴿ ومن قبل القرآن ﴾ ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة قائما ايضا تلاوه في التصديق أو اليقظة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أولسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له أو من التلوه والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن أولي اليقظة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتابا بالنصب عطفًا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد من كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل يقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتمنه في الدين ﴿ ورجة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من كان على بينة ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفره من الاحزاب ﴾ من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول طالب رضى الله عنه أنت التالى قال وما معنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كاشا منله لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النى صلى الله عليه وسلم وبسندده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنوته ولانه اعظم مجزانه الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآتة والآيتان فقال له رجل وأنت أى آية نزلت فيك فقال على ما قرأ الآتة الى في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشرية هذا الشاهد وهو على لانتالاه بالنبي صلى الله عليه وسلم رقيب تلاوه شاهد منه يعنى الاجملى وهو اختصار القراء والمسمى ان الاجملى يتلو القرآن في التصديق بنوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالاعتبار به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومن قبله ﴾ يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ورجة ﴾ يعنى انه كان اماما لهم يرجون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رجة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرجعة ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ أولئك ﴾ يؤمنون به ﴿ يعنى ان الذين رصدهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشركون بنوه أولئك يؤمنون به يعنى بحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين أسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه يؤمنون بكفره بهم يعنى بحمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بالاحزاب ﴿ يعنى من جمع الكفار وأصحاب الادل

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلوه ذلك الرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتمنه في الدين بقوة فيه (ورجة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على بينة (مؤمنون به) بالقرآن (من الاحزاب) من اهل مكة ومن ضاهم من المؤمنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) توراة موسى ورأ عليه جبريل (اماما) يقتدى به (ورجة) لمن آمن به (أولئك) من آمن بكتاب موسى (مؤمنون به) بحمد عليه السلام والقرآن وهو عبد الله من سلام وأصحابه (ومن يكفره) بحمد عليه السلام (من الاحزاب) من جمع الكفار

ومورده (فلاتك في سرية)
شك (منه) من القرآن ومن
الموعده (انه الحق من ربك
ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون ومن أظلم ممن
اقتدى على الله كذباً أولئك
يعرضون على ربهم)

يحبسون في الموقف وتعرض
أعمالهم (ويقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم) ويشهد عليهم
الاشهاد من الملائكة
والنبيين بانهم الكذابون
على الله بانه اتخذ ولداً
وشريكاً (اللعنة الله على
الظالمين) الكاذبين على
ربهم والاشهاد جمع شاهد
كاشحاب وصاحب وشهيد
ككشريف وأسراف

(قالار موعده مصيره)

(فلاتك) يا محمد (في سرية)

في شك (منه) من مصير من كفر
بالقرآن (انه الحق من ربك)
أن مصير من كفر بالقرآن
الاروي يقال فلاتك في سرية
في شك منه من القرآن انه
الحق من ربك نزل به جبريل
(واكن أكثر الناس اهل
مكة (لا يؤمنون ومن أظلم)
أعق وأجرأ (من اقتدى)
اخلاق (على الله كذباً
أولئك يعرضون على ربهم)
ساقون الى ربهم (ويتول
الاشهاد) الملائكة والانبيا
(دعواهم) الكفار (الذين
كذبوا على ربهم (اللعنة الله) عذاب الله (على السامين)

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قالار موعده ﴾ يردها لامحالة ﴿ فلاتك في سرية
منه ﴾ من الموعده أو القرآن ﴿ وقرى سرية بالضم وهما الشك ﴾ انه الحق من ربك
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿ لقله نظرهم واختلاف فكرهم ﴾ ومن أظلم ممن اقتدى
على الله كذباً ﴿ كأن استناليه ما لم ينزله أو نقي عنه ما أنزله ﴾ أولئك يعرضون
على ربهم ﴿ في الموقف بان يحسوا وتعرض أعمالهم ﴾ ويقول الاشهاد ﴿ من الملائكة
والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كاشحاب أو شهيد كاشراف جمع شريف
﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم (اللعنة الله على الظالمين) ﴿ تهويل عظيم مما يحق بهم

المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب
الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء ﴿ قالار موعده ﴾ يعني في الآخرة
﴿ روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن
بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بغى حديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز
وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد
فقات أين هذا في كتاب الله حتى آيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى
قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب قالار موعده قال فلاحزاب أهل
الملل كلها ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فلاتك في سرية منه انه الحق من ربك ﴾ فيه
قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلاً
من عند الله فعلى هذا القول يكون منلفاً بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول
الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب قالار موعده يعني فلاتك في شك
من ان النار موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلاتك في سرية لئن صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعضه هذا
القول ساق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يعني
لا يصدقون بما أوحى اليك أو من ان موعده النار ﴿ قوله عز وجل ﴿ ومن
أظلم ممن اقتدى على الله كذباً ﴾ يعني أى الناس أشد تمدياً من اخلاق على الله كذباً
فكذب عليه وزعم ان له شريكاً أو ولداً وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم
أبواع الظلم لان قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن اهزى على الله كذباً ورد في معرض المبالغة
﴿ وأولئك ﴾ يعنى المقربين على الله الكذب ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ يعنى يوم التيامة
فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا ﴿ ويقول الاشهاد ﴾ يعنى الملائكة الذين يحضون أعمال
نبي آدم تاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء وارسل وبه قال الضر رقة رادة
الاشهاد الخلق كلهم ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ يعنى في الدنيا رعداً الفصيح
كفرون في الآخرة لئلا من كذب على الله يوماً لا ننقده على الظالمين ﴿ يعنى يتول الله

(فا و خا ٤٠ لك)

كذبوا على ربهم (اللعنة الله) عذاب الله (على السامين)

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبنونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبنون أهلها أن يوجوا بالارتداد { الجزء الثاني عشر } (وهم بالآخرة) ﴿ ٣١٤ ﴾ هم الكافرون) هم الثانية التأكيدي كقوله

حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ عن دينه ﴿ ويبنونها عوجا ﴾ ويصفونها بالاعوجاج عن الحق والصواب أو يبنون أهلها أن يوجوا بالردة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به ﴿ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ﴾ أي ما كانوا معجزين الله أن يعاقبهم في الدنيا ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ يمتنونهم من العقاب ولكنه آخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويقرب يضعف بالتشديد ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ لتسامهم عن الحق وبغضهم له ﴿ وما كانوا يبصرون ﴾ لتسامهم عن آيات الله وكأنه الملة في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لمنافة من ولابة الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب

ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر بطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنة * وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمناقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادي بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ﴿ هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمتنون الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام ﴿ ويبنونها عوجا ﴾ يعني يطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ يعني وهم مع صدمهم عن سبيل الله يحجدون البحث بمدالموت وينكرونه ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفةهم ﴿ لم يكونوا معجزين في الأرض ﴾ قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هارين وقيل قاتين في الأرض والمعنى أنهم لا يجزون الله إذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملاكة لا يتدرون على الامتناع منه إذا طلبهم ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ يعني وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يمتنونهم من دون الله إذا أرادهم سوا أو عذابا ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ يعني في الآخرة يزداد عذابهم بسبب صدمهم عن سبيل الله وانكارهم البحث بمدالموت ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ وما كانوا يبصرون ﴿ قال قتادة سموا عن سماع الحق ولا سمعون خيرا فينفضون به ولا يبصرون خيرا فأخذون به وتاب ابن عباس أخبار الله سبحانه وتعالى

بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أي ما كانوا (معجزين في الأرض) بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم الوأراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمتنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضاعف مكي وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أي استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق

المشركين (الذين يصدون) يصرفون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (ويبنونها عوجا) يطابونها زيفا ويقال غيرا (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) فاعين من عذاب الله (وما كان لهم من دون الله) من عذاب الله (من أولياء) تحفظهم (يضاعف لهم العذاب) يعني الرؤساء (ما كانوا يستطيعون السمع)

الاستماع إلى كلام محمد صلى الله عليه وسلم من فضه وهو قال بما كانوا لا يستطيعون السمع الاستماع إلى كلام محمد السلام (وما كانوا يبصرون) إلى محمد عليه السلام من فضه ويقال وما كانوا يبصرون محمدا صلى الله عليه وسلم (أنه)

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وفضل ضم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة و شفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفي لاجرم أقوال أحدهما ان لارد لكلام سابق ﴿ ٣١٥ ﴾ أي ليس { سورة هود } الاصر كما زعموا و معنى

جرم كسب و فاعله مضر وانهم في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسروا في الآخرة وثانيها أن لاجرم كلفنا ركبنا فصار معناها حقا وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أي حق خسروا وثالثها ان معناه لاجمالة (ان الذي آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الحبت وهي الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة) فيها خالدون مثل الفريقين كالاعشى والاصم والبصير والسميع

من فضله (أولئك) الرساهم (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنزلهم وخدمهم في الجنة وورثه غيرهم من المؤمنين (وفضل عنهم) بطل واشتغل عنهم بأنفسهم (ما كانوا يفترون) يصدون من دون الله بالكذب (لاجرم) حقا (أنهم في الآخرة هم الاخسرون) المقبونون بذهاب الجنة

اعتراض ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باعتناء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ وفضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة و شفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق منهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لا احدا بين وأكثر خسرا منهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الحبت وهو الارض المطمئنة ﴿ أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالاعشى والاصم والبصير والسميع ﴾ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعشى لتساميه

انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خشية أبصارهم ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ بمعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿ وفضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعني وبطل كذبهم وامكهم وفربتهم على الله وادعأؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم ﴿ لاجرم ﴾ يعني حقا وقال الفراء لاجمالة ﴿ أنهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الحسران المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأختبوا الى ربهم ﴿ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاختبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأينة القلب ولفظ الاختبات ينعدى بالى وباللام فاذا قلت أختبت فلان الى كذا فمناه اطمأن اليه واذا قلت أختبته فعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جمع أعمال الجوارح وقوله وأختبوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل يعني ان هذه الاعمال الصالحة لاتنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاختبات بالطمأينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعدالة الله بالواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاختبات بالخشوع والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿ أصحاب الجنة ﴾ فيها خالدون كما أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من اهل الجنة التي لا تقطع لتعبيها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ مثل الفريقين كالاعشى والاصم والبصير والسميع ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

ومانيها (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (واختبوا الى ربهم) اخلصوا اليه وخضعوا اليه وخشعوا من ربهم (أولئك أصحاب الجنة) فيها خالدون (مقبون) (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعشى والاصم) يقول مثل الكافر كالاعشى لا يبصر الحق والهدى وكالاصم لا يسمع الحق والهدى (والبصير والسميع)

شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نه على التمييز (أفلاتنذكرون) فتنتفون (الجزء الثانى عشر) بضرب ﴿ ٣١٦ ﴾ المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه

عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأييه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان اسمه بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها بأثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والاصم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لطف الصفة على الصفة كقوله

الصالح فالغائم فالآيب

وهذا من باب اللف والطباق ﴿ هل يستويان ﴾ هل يستوى الفريقان ﴿ مثلا ﴾ أى تشبلا أوصفة أو حالا ﴿ أفلاتنذكرون ﴾ بضرب الامثال والتأمل فيها ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم ﴾ باني لكم وقرأ نافع وطاصم وابن عامر وحزة بالكسر على ارادة القول ﴿ نذير مبين ﴾ ايبن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ بدل من انى لكم أو مقبول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير ﴿ أى اخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ مؤلم وهو فى الحقيقة صفة العذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة ﴿ فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ﴾

أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو الذى لا يهتدى لرشده والاصم وهو الذى لا يسمع شيا ألبنة والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذى يسمع الاصوات ويحيب الداعى قتل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ قال القراء لم يقل هل يستويان لان الاعمى والاصم فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن ﴿ أفلاتنذكرون ﴾ يعنى فتتظنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين يعنى أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم ايها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أسرا الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ يعنى مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقبل وهو ابن خمسين سنة وفيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة ﴿ فقال الملا الذين كفروا من قومه ﴾ يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح ﴿ ما نراك ﴾ يا نوح ﴿ الا بشرا مثلنا ﴾ يعنى

انى لكم نذير مبين) أى باني والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وطاصم وحزة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (أى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليم من الاستناد المجازى لوقوع الالم فيه (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أهبة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان يبنى أن يكون ملكا يقول ومثل المؤمن كمثل البصير يبصر الحق والهدى وكالسميع يسمع الحق والهدى (هل يستويان مثلا) فى المثل يقول هل يستوى الكافر مع المؤمن فى الطاعة والثواب (أفلاتنذكرون) أفلاتنظنون بامثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) فلما جاءهم قال لهم (انى لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بليغة تعلمونها

(أن لا تعبدوا) ان لا توحدا (الا الله انى أخاف عليكم) اعلم بان يكون عليكم ان تؤمنوا (عذاب يوم آدميا)

أليم) وجيع وهو الفرق (فقال الملا) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (لا بشرا) آدميا (مثنا)

أوملكا (وماتراك أتبعك إلا الذين هم أراذلتنا) أخساؤنا جمع الأراذل (بأدى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأي) وبغير همز أبو عمرو أي أتبعوك ظاهر الرأي وأول الرأي من بدأ يبدو وإذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أو لولا وانتصابه على الظرف أسلمه وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ﴿ ٣١٧ ﴾ ذلك وأقيم المضاف { سورة هود } إليه مقامه أرادوا أن

أتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولوتفكروا ما أتبعوك وإنما استرذلو المؤمنین لقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاء وما كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليها كرامهم واهاتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يعده ولا يرفعه بل يرضه (ومأثرى لكم علينا من فضل) في مال ورأي عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أي نوحا في الدعوة ومتبعيه في الإجابة والتصديق يعني نواظمهم على الدعوة والإجابة تسييا للرئاسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رجعة من عنده) يعني النبوة (فصميت عليكم) أي وماتراك أتبعك آمن بك (الإلا الذين هم أراذلتنا)

لا حربة لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وماتراك أتبعك إلا الذين هم أراذلتنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبأ وأرذل جمع رذل (بأدى الرأي) ظاهر الرأي من غير تلميح من البدأ وأول الرأي من البدأ والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو وبالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بأدى الرأي والعمل فيها أتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لقرهم فانهم لم يعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاصح بها اشرف عندهم والمحروم منها أرذل ﴿ ومأثرى لكم ﴾ لك ولتبعيك ﴿ علينا من فضل ﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ اياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿ قال يا قوم أرايتم ﴾ أخبروني ﴿ ان كنت على بينة من ربي ﴾ جهة شهادة بصحة دعواي ﴿ وآتاني رجعة من عنده ﴾ آتاه الجنة أو النبوة ﴿ فصميت عليكم ﴾ فحسبت عليكم فلم تهدكم

آدميا مثلنا لافضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وإنما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى أخبرا عن قوم نوح ﴾ وماتراك أتبعك إلا الذين هم أراذلتنا ﴿ يعني سفلتنا وأرذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكمة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وإنما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين ﴿ بأدى الرأي ﴾ يعني يعني انهم أتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولوتفكروا ما أتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني هم أتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا ﴿ ومأثرى لكم علينا من فضل ﴾ يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالإيمان والطاعة لا بالشرف والرياسة ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم ﴿ قال ﴾ يعني نوحا ﴿ يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعني على بيان ويقين من ربي بالذي أنذرتكم به ﴿ وآتاني رجعة من عنده ﴾ يعني هديا ومعرفة ونبوة ﴿ فصميت عليكم ﴾

سفلتنا وضعفاؤنا (بأدى الرأي) ظاهر الرأي الضيف ويقال سوأ رأيهم جعلهم على ذلك (ومأثرى لكم علينا من فضل) بما تقولون تأكلون وتشربون كما تأكل وتشرب (بل نظنكم كاذبين) بما تقولون (قال) نوح (يا قوم أرايتم ان كنت) يقول اني (على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني رجعة من عنده) اكرمني بالنبوة والاسلام (فصميت) التبتت وان قرأت فصميت يقول التبتت (عليكم)

خفيت فميت جزءه على وحقق أى أخفيت أى لميت فليكن اليد فليتمكم كالوعى على القوم دليهم في المفازة بقول
 بشير هاد وحقيقته أن الحجة كاجلت بصيرة ومبصرة جملت عياء لان الاعى لا يهدى ولا يهدى غيره (أنلزمكموها)
 أى الرجة (و تم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تمة للميم وعن أبي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة
 لم تكن الاخسة خفيفة فظنم الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة لاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر (وما قوم
 لا أستلکم عليه) على { الجزء الثاني عشر } تبليغ الرسالة ﴿ ٣١٨ ﴾ لانه مدلول قوله انى لكم نذير

وتوحيد الضمير لان البيئة في نفسها هى الرجة أولان خفاها ما يوجب خفاء النبوة وعلى
 تقدير فميت بمد البيئة وحذفها للاختصار أولانه لكل واحدة منهما وقرأ جزء
 والكسائي وحقق فميت أى اخفيت وقرئ فمها على ان الفعل لله ﴿ أنلزمكموها ﴾
 أنلزمكم على الاهنداء بها ﴿ واتم لها كارهون ﴾ لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث
 اجتمع ضميران وليس احدهما سر فواو قدم الاعرف منهما جازى الشان اتصل
 والوصل ﴿ ويقوم لا سألكم عليه ﴾ على التبليغ وهو وان لم يذكر فعلوم مما ذكر
 ﴿ مالا ﴾ جملا ﴿ ان اجرى الاعلى الله ﴾ فانه المأمول منه ﴿ وما انا بطارد الذين
 آمنوا ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴿ انهم ملاقوار بهم ﴾ فيصاحمون طردهم
 عنده أو انهم بالاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾
 بلقاء ربكم أو باقدارهم أو في التماس طردهم أو تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل
 ﴿ ويقوم من ينصرنى من الله ﴾ يدفع انتقامه ﴿ ان طردتم ﴾ وهم بتلك الصفة
 والمثابة ﴿ أفلا تذكرون ﴾ لنعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس
 بصواب ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ خزائن رزقه وامواله حتى جمعتم

(مالا) أجزا ينقل عليكم
 ان أد تم أو على ان
 أيتم (ان اجرى) مدنى
 وشاى وأبو عمرو وحقق
 (الا على الله وما انا بطارد
 الذين آمنوا) جواب
 لهم حين سألوا طردهم
 ليؤمنوا به أشفة من المجالسة
 معه (انهم ملاقوار هم)
 فيشكونه اليه ان طردتم
 (ولكنى أراكم قوما
 تجهلون) تسفهون على
 المؤمنين وتدعونهم اراذل
 أو تجهلون لقاء ربكم
 أو انهم حذر منكم (وما
 قوم من ينصرنى من الله)
 من يعنى من انتقامه
 (ان طردتم أفلا تذكرون)
 تعظون (ولا أقول لكم
 عندى خزائن الله) فادعى
 فضلا عليكم بالنعى حتى
 يحدوا فضلى بقولكم
 وما نرى اكم علينا من

يعنى خفيت وألبست عليكم ﴿ أنلزمكموها ﴾ الهاء تائدة على الرجة والمعنى أنلزمكم أيها
 القوم قبول الرجة يعنى انا لا تقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا ﴿ واتم لها كارهون ﴾
 وهذا استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم الى الله
 وليس لى أن اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نى الله لالزمها قومه ولكنهم
 علك ذلك ﴿ ويقوم لا سألكم عليه مالا ﴾ يعنى لا سألكم ولا أطلب منكم على تبليغ
 الرسالة جملا ﴿ ان اجرى الاعلى الله ﴾ وما انا بطارد الذين آمنوا ﴿ وذلك انهم طلبوا
 من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يستقدون
 ﴿ انهم ملاقوار بهم ﴾ ملا طردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ يعنى عظمة الله
 ووحدايته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم ﴿ ويقوم
 من ينصرنى من الله ان طردتم ﴾ يعنى من يعنى من عذاب الله ان طردتم عنى لانهم مؤمنون
 مخلصون ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى فتعظون ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ هذا
 عطف على قوله لا أستلکم عليه مالا والمعنى لا سألكم عليه مالا لا أقول اكم عندى خزائن

بوتى ودنى (انلزمكموها)
 انلهمكموها ونمر فكموها

(وأنتم لها كارهون) جاحدون (ويقوم لا أستلکم عليه) على التوحيد (مالا) جملا (ان اجرى) ما وبنى (الله)
 (الا على الله) وما انا بطارد الذين آمنوا يقولكم (انهم ملاقوا) معينو (ربه) فيصاحموننى عنده (ولكنى أراكم قوما تجهلون
 أمرا ته) (ويقوم من ينصرنى) من يعنى (من الله) من عذاب الله (ان طردتم) بقولكم (أفلا تذكرون) أفلا تعظون
 بما أقول لكم فؤمنوا (ولا أقول اكم عندى خزائن الله) مفاتيح خزائن الله

فضل ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم ما أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً أو حتى أعلم ان هؤلاء اتبعوني باده الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿ ولا أقول اني ملك ﴾ حتى تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا ﴿ ولا أقول للذين تزددى أعينكم ﴾ ولا أقول في شأن من استرد ذنوبهم لفقيرهم ﴿ لن يؤتيمهم الله خيراً ﴾ فان ما عاهد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ الله اعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيئاً من ذلك والاذدراء به اتمتع من زري عليه اذا عابه قلبت ناؤه دالاتجاس الزاء في الجهر واستاده الى الاعين للمبالغة والتثنية على انهم استرد ذلهم بادى الرؤبة من غير روية وبما عاينوا من رثائة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم

الله يعنى التي لا يفنيها شيء فادعوك الى اتباعي عليها أعطيتكم منها وقال ابن الانبارى الخزائن هنا عن غيوب الله وما هو متطوع عن الخلق وانما واجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأي وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال سبحانه ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهر منه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لعمومها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ يعنى ولا ادعى علم ما يفيب عنى مما سره ونه في نفوسهم فسبيل قبول اعانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله ﴿ ولا أقول اني ملك ﴾ وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشر مثلنا أي لا ادعى اني من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوك الى الله وأبلقكم ما أرسات به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه الصلاة والسلام قال ولا أقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعى كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشراً مثلنا كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلماذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم به وهو سبحانه وتعالى ﴿ ولا أقول للذين تزددى أعينكم ﴾ يعنى تختقر وتستهتر أعينكم يعنى المؤمنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذائل وهى الحسة ﴿ لن يؤتيمهم الله خيراً ﴾ يعنى يوميقاً وسدانة واعاناً وأجراً ﴿ الله اعلم بما في أنفسهم ﴾ يعنى من الخبر والنسر ﴿ اني اذا لمن الظالمين ﴾ يعنى ان اردتهم مكد ما يظهرهم ومهـ اراذلناهم حتى انى ان رفعت عننا كون تظلمتهم وأما ذلك فاعلمه فأما ان انظلمت

أتباعي وضمائر قلوبهم وهو مطوف على عندي خزائن أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول اني ملك) حتى تقولوا لي ما أنت الا بشرى مثلنا (ولا أقول للذين تزددى أعينكم) ولا أحكم على من استرد ذلهم من المؤمنين لفقيرهم (لن يؤتيمهم الله خيراً) في الدنيا والآخرة لهواتهم عليه مساعدة لكم ونزولاً على هواكم (الله أعلم بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفي أسرارهم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئاً من ذلك والاذدراء اقتعال من ذرى عيه اذا عابه وأصله تزترى في الرزق (ولا أعلم الغيب) متى نزول العذاب وما غاب عنى (ولا أقول اني ملك) من السماء (ولا أقول للذين تزددى أعينكم) لا تأخذهم أعينكم يقول يحتقرون في أعينكم (لن يؤتيمهم الله خيراً) لن يكرمهم الله بمحمد بق الإيمان (الله اعلم بما في أنفسهم) بما في قلوبهم من التصديق (اني اذا) ان طرقت (لمن الظالمين) الضارين بنفسي

فايدلت اثناء دالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا فأتانا بما عدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انا يا نبيكم به الله ان شاء) أي ليس الايمان بالعذاب الى انا وهو الى من كفرتم به (وما اتمم بمجزيين) أي لم تقدروا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام موضع النبي ليقى والرشد ليقنى ولكنني اني نصحي مدني وأبو عمرو (ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يضيوبكم) أي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم للمعرف تقديره (الجزء الثاني عشر) ان كان الله يريد ﴿ ٣٢٠ ﴾ ان يضيوبكم لا ينفعكم نصحي ان أردت

ان أنصح لكم وهو دليل بين لنا في ارادة المصاحي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون) فجازيكم على أعمالكم (أم يقولون اقتراه) بل أيقولون اقتراه (قل ان اقتريته فعلى اجراي) أي ان صح أنى اقتريته فعلى عقوبة اجراي أي اقتراه يتال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون)

(قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا ودعوتنا الى دين غير دين آمانا (فاكثرت جدالنا) خصوصتنا ودعواتنا (فأتانا بما عدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) انه بآيتنا (قال) نوح (انا يا نبيكم به الله) يقول يا نبيكم الله بعد انيكم (ان شاء) فبعدكم (وما اتمم بمجزيين) بنائين من عذاب الله (ولا

وكالاتهم ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ خاصمتنا ﴿ فاكثرت جدالنا ﴾ فاطلته أو آتيت بأنواعه ﴿ فأتانا بما عدنا ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿ قال انا يا نبيكم به الله ان شاء ﴾ عاجلا أو آجلا ﴿ وما اتمم بمجزيين ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه ﴿ ولا ينفعكم نصحي ﴾ ان أردت ان أنصح لكم ﴿ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ﴾ ان كان الله يريد ان يضيوبكم ﴿ وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يضيوبكم فان أردت ان أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كنت زيدا فدخلت ثم قلت لم تطاق وهو جواب لما وهما من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاعواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يضيوبكم ان يهلككم من غوى الفصل غوى اذا بشم فهلك ﴿ هوربكم ﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيما زيك على أعمالكم ﴿ أم يقولون اقتراه قل ان اقتريته فعلى اجراي ﴾ وبالله وقرأ اجراي على الجمع ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ من اجرامكم في اسناد

﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ يعني خاصمتنا ﴿ فاكثرت جدالنا ﴾ يعني خصوصتنا ﴿ فأتانا بما عدنا ﴾ يعني من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ يعني في دعواتك انك رسول من الله البنا نوح قال انا يا نبيكم به الله ان شاء ﴿ يعني قال نوح لقومه حين استجلبوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انا هو الى الله ينزل متى شاء وعلى من يشاء ان اراد انزال العذاب بكم ﴿ وما اتمم بمجزيين ﴾ يعني وما اتمم بفائذين ان اراد الله نزول العذاب بكم ﴿ ولا ينفعكم نصحي ﴾ ان أردت ان أنصح لكم ﴿ يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ﴾ ان كان الله يريد ان يضيوبكم ﴿ يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاعواء يؤدي الى الهلاك ﴿ هوربكم ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى هو يهلككم فلا تقدرتون على الخروج من سلطانه ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ أم يقولون اقتراه ﴾ أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به ﴿ قل ان اقتريته ﴾ أي اختلقته ﴿ فعلى اجراي ﴾ أي اثم اجراي والاجرام اقتراه السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب واقتله ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين

ينفعكم نصحي (دعوى وتحذيري اياكم من عذاب الله) ان أردت ان أنصح لكم (أحذركم من عذاب الله) على (وأدعركم الى التوحيد) قد كان الله (يريد ان يضيوبكم) ان يضلكم عن الهدى (هوربكم) أولى بكم منى (واليه ترجعون) بعد الموت يميزهم بأعمالكم (أم يقولون) بل يقولون قوم نوح (اقتراه) اختلق نوح بما آتاه من تلقاء نفسه (قل) لهم يا نوح (ان اقتريته) اختلقته من تلقاء نفسي (فعلى اجراي) آثامى (وأنا بريء مما تجرمون) تأمنون ويقال

من اجرامكم في اسناد الاقتراء الى فلاوجه لامراضكم ومساد انكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقتساط من ايمانهم وانه غير متوقع وفرد دليل على أن الايمان حكم النجدة كأنه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج ﴿ ٣٢١ ﴾ الزيادة طاقى ذكرت { سورة هود } في الايمان بالقرآن (فلا

تبتس بما كانوا يفعلون)
 فلا تحزن حزن بائس
 مسكين والابتاس اقتعال
 من البؤس وهو الحزن
 والفقر والمعنى فلا تحزن
 بما فعاوه من تكذيبك
 وايدائك فقد حان وقت
 الانتهاء من أعدائك
 (واصنع الفلك باعينا)
 هو في موضع الحال أى
 اصنعها محفوظا وحقيقته
 ملتبسا باعينا كان الله معه
 أعينا تكلؤه من أن يزيغ
 في صنعه عن الصواب
 (ووحينا) وانا نوحى
 اليك وللهمك كيف
 تصنع عن ابن عباس
 رضى الله عنهما لم يعلم
 كيف صنعة الفلك فوحي
 الله اليه أن يصنعها مثل
 جوجو الطائر (ولا تخاطبني
 في الذين ظلموا) ولا تدعى
 في شأن قومك واستدع
 العذاب منهم شتاءك
 (انهم مغرورون) محكوم
 عليهم بالاعراق وقد
 قضى به وجف القلب
 نزلت هذه الآية في محمد
 صلى الله عليه وسلم (وأوحى
 الى نوح أنه لن يؤمن من
 قومه الا من آمن) سدى بن

الاقتراء الى ﴿ وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتس بما كانوا
 يفعلون ﴾ اقتطع الله تعالى من ايمانهم ونهاهم ان يفتنم بما فعلوه من التكذيب والابذاء ﴿ واصنع
 الفلك باعينا ﴾ ملتبسا باعينا عبر بكثرة الالتباس الذي يحفظه الشيء ويراعى عن
 الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ﴿ ووحينا ﴾ اليك
 كيف تصنعها ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعى باستدعاع
 العذاب عنهم ﴿ انهم مغرورون ﴾ محكوم عليهم بالاعراق فلا سبيل الى كفه

على أن هذا من محاوره نوح قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم
 يقولون يعنى المشركين من كفار مكة اقتراء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن
 من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ﴿ ثم رجع
 الى القصة فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من
 قد آمن ﴾ قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه
 في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوم الى الله
 وبروي ان شيئا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه انه فقال يا بنى لا يفرتك هذا الشيخ
 الخنون فقال يا أبت أمكنى من العصا فاخذها من أيه وضرب بها نوحا عليه السلام
 حتى شجبه شجرة منكرا فوحي الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿ فلا تبتس ﴾
 يعنى فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم
 فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
 وحكى محمد بن اسحق عن عبدالله بن عمر اليئى انه بلغه انه كانوا يبسطون نوحا
 فيخنقونه حتى يمضى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تماموا
 في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الحيل بعد الحيل فلا باقى قرن الا كان
 أمخس من الذى قبله ولقد كان بأى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع
 آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبأون من شيا فشق نوح الى الله عز وجل فقال
 رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين
 ديارا فوحي الله سبحانه وتعالى اليه ﴿ واصنع الفلك ﴾ يعنى السفينة والفلك القل
 يطلق على الواحد والجمع ﴿ باعينا ﴾ قال ابن عباس عمراى منا وقيل بعلنا وقيل
 بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ يعنى بأمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرورون ﴾
 يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باعراقهم وقيل
 ولا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان من القوم رقل ان جبريل
 أتى نوحا فقال له ان ربك بأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أسئ بما ولست نجارا

(قد آمن ذالابتس) فلا تحزن بما لا كرم (بما كانوا) (تا و خا ا ث) (بن اون) نكفرهم (واصنع الفلك) خذوا من ارجح السفينة
 (باعينا) بنظر منا (ووحينا) بأمرنا (ولا تخاطبني) لا تراجعني (لا تخاطبني) في نجاة الذين كفروا (انهم مغرورون) بالطوفان

الفلك) حكاية حال ماضية (وكلماس عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يماها في برية في أبعده موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخر وامننا فالتسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) متاعده رؤية الفلك روى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في ستين ذراع وكان طولها ثلاثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا وسقانة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام والابواب والالنام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا (ويصنع الفلك) أخذ في علاج السفينة (وكلماس عليه ملا) رؤساء (من قومه سخر وامنه) عزوا به بمخالفة السفينة قال ان تسخر وامننا (اليوم فالتسخر منكم) بعد اليوم كما تسخرون (اليوم منا

ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلماس عليه ملا من قومه سخر وامنه) استهزوا به لعمله السفينة فنه كان يماها في برية بعيدة من الماء أو ان عزته فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخر وامننا فالتسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الفرق في لندنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستهزاء فقال ان ربك يقول اصنع وطك باعيننا فاخذنا القوم وجعل نجر ولا يخطئ نصنمها مثل سبؤ جؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (ويصنع الفلك) يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قول أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقل على عملها ولها عن نومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهي القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يعرون به وهو في عمله فيسخر من قومه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعظم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولده قال البغوي وزعم أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعلوية وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في سبعين وكان طواها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والالنام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها سقانة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار علم نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة طباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى الناس والطبقة العليا للطيور فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغرز ذنب الفيل فتمزق فوقه من خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه القفار فاقبلوا على الروث فأكوه فلما امتد الفارق السفينة فجعل يقرضها ويقرض جبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطة والقط فاقبل على القار فأكلاه (قوله سبحانه وتعالى) وكلماس عليه ملا من قومه (أي جماعة من قومه) سخر وامنه (يعني استهزوا به) وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قل اصنع بيتا يمشى على الماء فضحكوا منه (قال) يعني نوحا لقومه (هو ان تسخر وامننا) فانما تسخر منكم كما تسخرون (يعني ان تستهزلونا في صنعنا فانما نستهزاكم لنعرضكم لما يوجب سخط الله وتدابه فان قلت السخرية لا يلقى بحسب

تعلون من بآتيه عذاب يخزيه ﴿ يعنى به اياعم وبالعذاب الفرق ﴿ ويحمل عليه ﴿ ويتزل أو يحمل عليه حاول الدين الذى لا انفكاك عنه ﴿ عذاب مقيم ﴿ دائم وهو عذاب النار ﴿ حتى اذا جاء امرنا ﴿ غاية لقوله وبصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هى التى يتبدأ بعدها الكلام ﴿ وقار التور ﴿ نبع الماء منه وارتمع كالقدر تقور والتور تنور الحيز انتهى منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدنا أو فى الهند أو بسين وردة من ارض الجزيرة وقيل البوة فكيف قال فوج عليه السلام ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون ﴿ قلت انعاسى هذا الفعل تسخر على سبيل الازدواج فى مشاكلة الكلام كافي قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انارى غب تسخرتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى ﴿ فسوف تعلمون ﴿ يعنى فسترون ﴿ من بآتيه ﴿ يعنى ايناً بآتيه نحن أو أنتم ﴿ عذاب يخزيه ﴿ يعنى يهينه ﴿ ويحمل عليه عذاب مقيم ﴿ يعنى فى الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذى لا انقطاع له ﴿ قوله عز وجل ﴿ حتى اذا جاء امرنا وقار التور ﴿ يعنى وغلى والقور التليان وقارت القدر اذا غلت والتور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ فخطوطها بما يعرفون وقيل ان لفظ التور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختافوا فى المراد بهذا التور فقال عكرمة والزهري هروجا الارض بذلك انه قيل لوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد ناز على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التور علامة لوح على هذا الامر العظيم وقال على عار التور أى لواع النور ونور الصبح من نور التور بخروج النار من التور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان الورد هو الذى يخز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وهذا الاول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التور حقيقة فى اسم الموضع الذى يخز فيه فوجب حمل اللفظ عليه على ما كانت الامم والادام فى لفظ التور للمهدولس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فاجب بنفسك ومن منك هملت لا يبعد أن يكون ذلك التور معنوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تجز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يعور من لنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التور فقال مجاهد نبع الماء من النور فعلمت به امرأه فاخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبي يحمل بالله ما طار التور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذوا السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التور على عين الداخل مما على باب كندة وكان فوران التور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند

(فسوف تعلمون من بآتيه عذاب يخزيه) يذله ويهانه (ويحمل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم فى الآخرة (حتى اذا جاء امرنا) وقت عذابنا (وقار التور) نبع الماء من التور ويقال

وقت عذابنا (وقار التور) نبع الماء من التور ويقال

الارض (قلنا اجل فيها)
 في السفينة (من كل زوجين
 اثنين) تفسيره في سورة
 المؤمنين (وأهلك الامن
 سبق عليه القول) عطف
 على اثنين وكذا (ومن آمن)
 أى واجل أهلك والمؤمنين
 من غيرهم واستثنى من أهله
 من سبق عليه القول أنه من اهل
 النار وما سبق عليه القول
 بذلك الا لالم بأنه يختار
 الكفر بتقديره و ارادته
 جل خالق المباد عن أن يقع
 في الكون خلاف ما أراد
 (وما آمن معه الا قليل)
 قال عليه السلام كانوا ثمانية
 نوح وأهله وبنوه الثلاثة
 ونساؤهم وقيل كانوا
 عشرة خمسة رجال وخمس
 نسوة وقيل كانوا اثنين
 وسبعين رجلا ونساء
 وأولاد نوح سام وحام
 ويافت ونساؤهم فالجميع
 ثمانية وسبعون نصفهم
 رجال ونصفهم نساء

طلع الفجر (قلنا اجل فيها)
 في السفينة (من كل زوجين)
 من كل صنفين (اثنين)
 ذكر وأثى (وأهلك الامن)
 سبق عليه) وجب عليه
 (القول) بالمذاب (ومن
 آمن) معك أيضا اجل
 معك في السفينة (وما آمن
 معه الا قليل) ثمانون انسانا

التور وجه الارض أو اشرف موضع فيها ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ في السفينة ﴿ من كل ﴾
 من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿ زوجين اثنين ﴾ ذكر وأثى هذا على
 قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى اجل اثنين من كل زوجين أى من كل صنف
 ذكر وصنف اثنى ﴿ واهلك ﴾ عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه
 ونساؤهم ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ بأنه من المفرقين يريدانه كتمان وامه واهله
 قائما كانا كافرين ﴿ ومن آمن ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾
 قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافت ونساؤهم
 واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة

قال والقوران الغليان ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ يعنى قلنا لنوح اجل في السفينة ﴿ من كل ﴾
 زوجين اثنين ﴿ الزوجان كل اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر كالذكر والاثنى
 يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأثى فحشر الله
 سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه
 في كل جنس منها فيقع الذك في يده اليمنى والاثنى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة
 ﴿ وأهلك ﴾ أى واجل أهلك ولدك وعيالك ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ يعنى
 بالهلاك وأراد به امرأته واهله وولده كتمان ﴿ ومن آمن ﴾ يعنى واجل معك
 من آمن من قومك ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾ اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة
 فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظى لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح
 وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافت ونساؤهم وقال الاعشى كانوا سبعة
 نوحا وبنيه وثلاث كنان له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نساؤهم وهم نوح
 وبنوه سام وحام ويافت وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا
 اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان في السفينة ثمانون
 رجلا احدثهم جرهم قال الطبرى والصواب من القول في ذلك ان يقال كاقال الله
 عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقللة ولم يحدد عددا بمقدار
 فلا يندى ان يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر
 صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام
 فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقد صدنوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن
 عباس رضى الله عنهما أول ما حمل نوح الدرّة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل
 الحمار أدخل صدره فتملق ابايس بننبيه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحرك أدخل
 فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة رتب على لسانه
 فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا
 أدخلك على ياعدوا لله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فال اخرج عن ياعدوا لله
 قال لا بد من أن تحملنى معك فكان فيما نزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى

وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها (بسم الله متصل باركبا واحالا من الواوى اركبوا فيها مسمين الله واقتلن بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها المالن ﴿ ٣٢٥ ﴾ المجرى والمرسى { سورة هود } للوقت واما لانها مصدران

كالاجراء والارساء حذف منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها نذ كراسم الله أى بسم الله اجراؤها

وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا أرد ان ترسوقال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت جزءة وعلى وحض وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وقبح الراء (ان ربي لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خالصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتر ومجرة (وقال) لهم (اركبوا

فى سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون تحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير ﴿ وقال اركبوا فيها ﴾ أى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالركوب فى الارض ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ متصل باركبا حال من الواوى اركبوا فيها مسمين الله أو قتلتن بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدره من الواوى والهاء * وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا اراد ان ترسوقال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقصدا كقوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقرأ جزءة والكسائى وطاص براوية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما محتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ﴿ ان ربي لغفور رحيم ﴾ أى لولا مغفرته لغرط انكم ورجته اياكم لانها كرم وهى تجرى بهم ﴿ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها ﴾ فى موج كالجبال ﴿

وقال الامام فخر الدين الرازى وأما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فيميدلانه من الجن وهو جسم نارى أو هوأتى فكيف يفر من الفرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا جاكما فقالتا اجلنا فمن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فن قرأ حين يخاف مضرتما سلام على نوح فى العالمين لم تضرا وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الاماليدوببيض وأما ما سوى ذلك مما يتوله من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شياً ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقال اركبوا فيها ﴾ يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ﴾ يعنى بسم الله اجراؤها وارسائها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فجزت ركان اذا اراد ان ترسو يعنى تفعب قال بسم الله فترسوا أى تفعب وهذا تلميح من لسانه أنه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه رفعت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور ﴿ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ﴾ الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتقاعه على الماء قال العلماء

فيها (فى السفينة بسم الله مجريها) حيث تجرى (ومرساها) حيث تحبس وان قرأت مجريها ومرسيها يقول الله مجريها حيث شاء ومرسيها حيث شاء (ان ربي لغفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (وهى تجرى بهم) اهلها (فى موج) فى غمر الماء (كالجبال) كجبل عظيم

وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلي وقيل كان ابن اسرأه (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مقل من عزله (الجزء الثاني عشر) عنه اذا غناه ٣٢٦ وأبعده وفي معزل عن دين أبيه (يا بني)

في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى في جوفه ليس بتابت والمشهور انه علاشوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صرع فقل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرى ابنها وابنه محذوف الالف على ان الضمير لاسرأه وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله تعالى فجاتاهما وهو خطأ اذا لانياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالحياة الحياطة في الدين وقرى ابنه على الدبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزله فيه نفسه عن أبيه وعن دينه مقل للمكان من عزله عنه اذا ابعده (يا بني اركب معنا) في السفينة والجمهور كسروا الياء لبدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقع عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قبل وعاصم فانه وقع ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختافت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانزال (قال سآوى الى جبل يعصمى من الماء) ان يفرقى (قال لعاصم اليوم من امر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو الامكان من ربح الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصم من الماء قال له لا يعصمك اليوم متصم قط من جبل ونحوه سوى متصم واحد وهو مكان من رحمة الله ونجاهم بنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قل ولكن من رحمة الله فهو في ارتفاع (ونادى نوح) دنانوح (ابنه) كنعان (وكان في معزل) في ناحية من السفينة ويتال في ناحية الجبل (يا بني اركب معنا) ان معنابا لله الا الله (ولا تكن مع الكافرين) على دينهم فترقى بالطوفان (قال سآوى).

بفتح الياء ماصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بني اغيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أى اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألبا (الى جبل يعصمى من الماء) يعنى من الفرق (قال لعاصم اليوم من امر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لعاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى الامكان من ربح الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصم من الماء قال له لا يعصمك اليوم متصم قط من جبل ونحوه سوى متصم واحد وهو مكان من رحمة الله ونجاهم بنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قل ولكن من رحمة الله فهو في ارتفاع (ونادى نوح) دنانوح (ابنه) كنعان (وكان في معزل) في ناحية من السفينة ويتال في ناحية الجبل (يا بني اركب معنا) ان معنابا لله الا الله (ولا تكن مع الكافرين) على دينهم فترقى بالطوفان (قال سآوى).

سأذهب (الى جبل يعصمى) بمعنى (من الماء) من الفرق (قال) نوح (لعاصم اليوم) لاما نغ اليوم (من) (وحال) امر الله (من عذاب الله الفرق) الامن رحم الله

المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المنقرنين) فصار أو كان في علم الله (وقيل يا أرض اباي ماءك) انشئ وتشرى والبلع النشف (ويا سما اقلني) امسكي (وغض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم وتمد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا لقوم الظالمين) أي سمحالة - وم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من الجواز والاسارة والكتابة وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما الفجر من الارض الى بطنها فارتد وان تقطع طوفان ﴿ ٣٢٧ ﴾ السماء ﴿ سورة هود ﴾ فانقطع وان تفيض الماء

التازل من السماء تفيض التازل من السماء تفيض وان تقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وان نسوى السفينة على الجودي استوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامور الذي لا يتأق منه لكامل هيئته العصبان وتشبيه تكون المراد بالامر الجزم التافذ في تكون المقصود تصورا لا قدره العظيم وأن السموات والارض متقادة فتكونه فيها ما يشاء غير متممة لارادته فيها تقبيرا وتبديلا كأنها عقلاء يميزون قدره فوقه حتى يعرفوه واحاطوا علما بوجوده الاتقياد لامره والاذعان

من رحمة الله بعصمه ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿ فكان من المنقرنين ﴾ فصار من المهلكين بالماء ﴿ وقيل يا أرض اباي ماءك ويا سما اقلني ﴾ نوديا جانبا دى يداو او العلم وأمرنا بما يؤمر ونبه تشبها لكامل قدرته واتقبادهما لما يشاء تكونه فيما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك ﴿ وغض الماء ﴾ نقص ﴿ وقضى الامر ﴾ وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ﴿ واستوت ﴾ واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بأمل روى انه ركب السفينة ماسر رجب ونزل عنها ماسر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة ﴿ وقيل بعدا لقوم الظالمين ﴾ هلاكهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استتير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ كان من المنقرنين ﴿ يعني كنعان ﴾ وقيل ﴿ يعني بعد ما انتهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح ﴾ يا أرض اباي ماءك ﴿ أي اشريه من ويا سما اقلني ﴾ أي امسكي ﴿ وغض الماء ﴾ أي نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب ﴿ وقضى الامر ﴾ يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح ﴿ واستوت ﴾ بنى واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿ وقيل بعدا ﴾ يعني هلاكاً ﴿ للقوم الظالمين ﴾ قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب لباتيه بنجر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فبعث بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليا بالطين

لحكمه وتحتم نذل المحمود عليهم في تحصل مراده ثم نرى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل الجواز عن الارادة الواقع سبها قول القائل وجعل قرينة المحاز الخطاب للحماد هو يا أرض ويا سما ثم قال مخاطبا لجانا يا أرض ويا سما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار انقور الماء في الارض للبع الذي هو اعمال الجاذب في المطوم الشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي

من المزهزين (رحل بهما) بين كنعان ونوح ريتل ين كان والجبل وينال بين كنعان والسفينة (الموح) انكبه (نكان) فصار (من المنقرنين) بالظرفان (وقيل يا أرض اباي ماءك) انشئ ماءك (ربا مناه أئسي) احببني ماءك (وغض) نقص (الماء وقضى الامر) وفرغ من ذلك ربحان بها (واستوت) السفينة (على الجودي) وهو جبل بنصيبين في أرض موصل (وقيل بعدا) سمحاً من رجة الله (للقوم الظالمين) المشركين قوم نوح

ثم استعار الماء للغذاء تشبيهاً به بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في النباتات كتحوي الآكل بالطعام ثم قال مادك باضافة الماء الى الأرض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالملك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبا بينهما في عدم التأني ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح عن فاض الماء ولا عن قضي الامر وسوى السفينة وقال بعدا كالم يصرح بقائل يأرض ويأسماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكون مكون قاهر وان فاعلها واحدا لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا أرض ابلي مامك ويأسماء ألقى ولا أن يكون الفاعض والقاضي والمسوى غيره ثم حتم الكلام بالترخيص تنبيها لسالكى مسلهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختيار يادون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالة على بدال المناهى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والمكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبسيد الننادى المؤذن بالهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون اذا الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا أرضها للاختصار واختير لفظ الأرض والسماه لكونهما أخف وادور واخير ابلى على ابتلى لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين { الجزء الثانى عشر } أقلى ۳۲۸ وقيل أقلى ولم يقل عن المطر

وكذا لم يقل يا أرض ابلى ماءك فبليت ويأسماء ألقى فأقامت اختصارا واختير غيضى على غيضى وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسوت على

في غاية الفصاحة لفحامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الحالى عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره إذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال

فلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألب البيوت وطوق الحامة ماخضرة التي في عنقها ودعاه بالامان فن ثم تألب البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر وصرت بالبيت الحرام قد رفعه الله من الترقق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا

الجودي أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجرى بهم ارادة (قرية)

للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليعمد القوم طلبا للتأكيدهم مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلمه وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلى ويأسماء ألقى ولم يقل ابلى يا أرض وألقى يا أسماء جريا على مقتضى الكلام فبين كان أمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى تصدأ بذلك لعنى الرشيق ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذ بحججها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد من اهلاك الكفرة وأنجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبره ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كاترى نظم المعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مينة لاتعميد يثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشك الطريق الى المراد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظيا على ماترى عربية مستعملة تسليمه عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالاسل في الخلاصة بالنسب في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشرا قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية والله درسا أن التذلل لا يتأمل العالم آية من آياته الادرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظان الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور

لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ و اراد نداهه بدليل عطف قوله ﴿ فقال رب ان ابني من اهلي ﴾ فانه النداء ﴿ وان وعدك الحق ﴾ وان كل وعد تمده حق لا يطرق اليه الخلب وقد وعدت ان تنجي اهلي فاحاله اوفاله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ لانك اعلمهم واعدلهم اولئك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ﴿ قال يا نوح انه ليس من اهلك ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر

قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين قهى اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الفرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى هجزته وسبب نجاة من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فعمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فبجاه الله من الفرق لذلك * فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يلبثوا اللحم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نساءهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك ايضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آباؤهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستلون * قوله عز وجل ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ أى دعاه وسأله ﴿ فقال رب ان ابني من اهلي ﴾ يعنى وقد وعدتني ان تنجينى واهلى ﴿ وان وعدك الحق ﴾ يعنى الصدق الذى لا خلف فيه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ يعنى انك حكمت لقوم بالهجرة وحكمت على قوم بالهلاك ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله تعالى ﴿ يا نوح انه ﴾ يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاة من اهلك ﴿ اخذت علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصابه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يلمه نوح ولذلك قال من اهلى ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبیر والضحاك رضى الله عنهم وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس انه نال ما بقت امرأة نوح فط ولان الله سبحانه وتعالى نص دايا بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح انه ورح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يا بنى اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانا خال هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون رادى كائنا ما كانا خطأ عن قائ الله سبحانه

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعائه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تسمية أهله (ان ابني من اهلى) أى بعض أهلى لانه كان ابنه من صلبه وكان ربياله فهو وبعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تمده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجى أهلى فإجاباى ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى اعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غرق فى الجهل والجور من منة لدى الحكومة فى زمانك قد قلب اقتضى القضاة ومناه احكم الحاكمين فاعبر واستعبر (قال يا نوح انه ليس من اهلك) ثم علل لانقضاء كونه من اهله بقوله (ونادى نوح) دعائه (ربه فقال رب) بارب (ان ابني) كنعان (من اهلى) الذى وعدت أن تنجيه (وان وعدك الحق) الصدق (وأنت أحكم) أعدل (الحاكمين) رعدتني نجاتي ونجاة أهلى (قال) الله (يا نوح انه ليس من اهلك) أى رعدتني ان تنجى

(انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين فاحصرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشياً وكنت قرشياً الصيغة
ومن لم يكن على دينك وان { الجزء الثاني عشر } كان أمس أقاربك ﴿ ٣٣٠ ﴾ رجافه هو أبسد بيد منك

وأشار إليه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تليل لثني كونه من اهله واصله انه
ذو عمل فاسد فيجعل ذاته ذات العمل للباغاة كقول الخنساء تصف ناقه
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فأنما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالنقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة
لمن نجا من اهله عنه * وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح عمل علا غير صالح
﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾ ما لا تعلم أصواب هوأم ليس بصواب وأنما سمي
نذاؤه سؤالا لضمين ذكر الوعد بنجاة اهله

وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله
سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين
الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو
نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونى وكان آزر كافرا فكذلك
أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهونى فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء
* فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة
والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما جله
على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من
الفرق فأجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك
لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما ولما حكمت
الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه
وتعالى لنوح انه ليس من أهلك ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم
ورفع اللام مع التثوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالاك اياى ان أجبه من الفرق عمل
غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه
وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضا ويكون
التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف
كما قالت الخنساء * فأنما هي اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول أبى اسحق يعنى
الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح
عمل علا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما قال الشاعر
زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا لا حذف ﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾
وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاه ولده من الفرق وهو من كمال شفقة الوالد

وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها
* فأنما هي اقبال وادبار *
أو التقدير انه ذو عمل وفيه
اشعار بأنه انما أنجى من
أنجى من أهله لصلاحهم
لأنهم أهله وهذا لما اتقى
عند الصلاح لم تنفقه أبوته
عمل غير صالح على قال
الشيخ أبو منصور ررجه الله
كان عند نوح عليه السلام
ان ابنه كان على دينه لانه
كان بنفاق والالا يمتثل
أن يقول ابني من أهلى
ويسأله بنجاة وقد سبق
منه النهى عن سؤال مثله
بقوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مفرقون فكان
يسأله على الظاهر الذى
عنده كما كان اهل الفساق
يظهرون الموافقة لينا عليه
السلام ويضرون الخلاف
له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه
الله عليه وقوله ليس من
أهلك أى من الذين وعدت
النجاة لهم وهم المؤمنون
حقيقة في السر والظاهر
(فلا تستلن) اجترأ
بالكسرة عن الياء كوفى
تسألنى بصرى تسألنى
مدنى تسألنى شامى فحذف

الياء واجترأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألنى مكى (ما ليس لك به علم) يجوز مستلن (على)

(انه عمل) في الشرك (غير صالح) غير مرضى وان قرأت انه عمل غير صالح يقول دعاؤك اياى بنجاة غير مرضى
(فلا تستلن) نجاة (ما ليس لك به علم) أنه أهل للنجاة

استبحازه في شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز في حقه وإنما سماه جهلا وزجر عنه بقوله ﴿ انى اعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسروا النون على اصله تستلقى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياه ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها في الاصل ﴿ قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ما ليس لى به علم ﴾ مالا علم لى بصحته ﴿ والاتفقر لى ﴾ وان لم تنفقر لى ما فرط منى من السؤال ﴿ وترجى ﴾ بالتسوية والفضل على ﴿ اكن من الخاسرين ﴾ اعمالا ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا ﴾ انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك

(انى اعظك ان تكون من الجاهلين) هو كما حوى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم) أى من ان اطلب منك فى المستقبل مالا علم لى بصحته تأد يا ابا ديك واتعاضا بوعظتك (والاتفقر لى) ما فرط منى (وترجى) بالعصمة عن العود الى مثله (اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا) بتحية منا أو بسلامة من العرق

على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألنى ما ليس لك به علم بجواز مسئلته ﴿ انى اعظك ﴾ يعنى أنك ﴿ ان تكون من الجاهلين ﴾ يعنى لمثل هذا السؤال ﴿ قال ﴾ يعنى قال نوح ﴿ رب انى اعوذ بك ﴾ يعنى ألتجأ اليك وأعتذر اليك ﴿ ان اسألك ما ليس لى به علم ﴾ يعنى انك أنت علام الغيوب وانا لا أعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ما ليس لى به علم ﴿ والاتفقر لى ﴾ يعنى جهلى واقداهى على سؤال ما ليس لى به علم ﴿ وترجى ﴾ يعنى برجتك التى وسعت كل شىء ﴿ اكن من الخاسرين ﴾

(انى اعظك) أنك (ان تكون) أن لانكون (من الجاهلين) بسؤالك اياى ما لم تعلم (قال) نوح (رب) يا رب (انى اعوذ بك) امتنع بك (أن اسألك) نجاة (ما ليس لى به علم) أنه أهل للنجاة (والا تفقر لى) يقول ان لم تفقر لى يعنى ان لم تجاوز عنى (وترجى) ولا ترجى فتعذبنى (اكن من الخاسرين) بالقوية (قيل يا نوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام منا) بسلامة منا

﴿ فصل ﴾

وقد استدله هذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء ويأبى ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلقد نهاه عنه بقوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى اعظك ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا فقيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرجة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيهم وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ وأتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مفرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذنه فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرجة لان حسنات الارباب سيئات المقربين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤاله ما لم يؤذنه فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قيل يا نوح اهبط ﴾ أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض ﴿ بسلام ﴾ أى

(وبركات عليك) هي البركات التي هي في حقه بكثره ذريته واتباعه فقد جعل الله الانبياء من ذريته واحة الدين في القرون الباقية من نسلك وعلى أم من مكن من البيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جارات أو قيل لهم أم لان الامم تشبه منهم أو لابتداء القباية أي على أم ناشئة من مكن وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأم) رفع بالابتداء (ستمتعهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخص في العيش صفة والحبر محذوف تقديره ومن مكن أم ستمتعهم وانما حذف لان من مكن يدل عليه (ثم عسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أم مؤمنين ينشؤون من مكن ومن مكن أم متقون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء واخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة في الجزء الثاني عشر { وفيما بعده } ٢٣٢ ◀ من المتاع والعذاب كل كافر (تلك)

◀ وبركات عليك ◀ ومبارك عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمائنا * وقرى أهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي ◀ وعلى أم من مكن ◀ وعلى أم هم الذين مكن سموا أبا لهم بهم أو تشعب الامم منهم أو على أم ناشئة من مكن والمراد بهم المؤمنون لقوله ◀ وأم ستمتعهم ◀ أي ومن مكن أم ستمتعهم في الدنيا ◀ ثم عسهم منا عذاب أليم ◀ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والمذاب ما نزل بهم ◀ تلك ◀ اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ◀ من انباء الغيب ◀ أي بعضها ◀ نوحيا اليك ◀ خبرتان والضمير لها أي موحة اليك أو حال من الانباء وهو الخبر ومن انباء متعلق به أو حال من الهاء ◀ ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا بامن وسلامة ◀ منا وبركات عليك ◀ البركة هي ثبوت الخير ونفاؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته من الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يقب من كان معه في السفينة غيرهم ◀ وعلى أم من مكن ◀ يعني وعلى ذرية أم من كانوا مكن في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون نجي من يدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة ◀ وأم ستمتعهم ◀ هذا ابتداء كلام أي وأم كفرة يحدون بمدك ستمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم ◀ ثم عسهم منا عذاب أليم ◀ يعني في الآخرة ◀ تلك ◀ من انباء الغيب ◀ هذا خطاب لاني صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من انباء الغيب يعني من أخبار الغيب ◀ نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ◀ يعني من قل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت شهيرة معروفة

اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من انباء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أي تلك القصة بعض انباء الغيب موحة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من

(وبركات) سعادات (عليك وعلى أم) جماعة (من مكن) في السفينة من أهل السعادة (وأم) جماعة في أصلابهم (ستمتعهم) ستمتعهم بعد خروجهم من أصلاب آبائهم (ثم عسهم) يصيبهم (منا عذاب أليم) وجمع بعدما كفروا وهم أهل الشقاوة قال ابن عباس رضي الله عنهما أوحى الله الى

نوح عليه السلام وهو ابن أربع مائة وثمانين سنة ودعا قومه مائة وعشرين سنة وركب في السفينة وهو ابن (في) ستائة سنة وعاش بعد ما ركب في السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفي في السنة ثمان مائة شهر وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراعها وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكان لها مائة أبواب بعضها أسفل من بعض جل في الباب الأسفل السباع والهوام وجل في الباب الاوسط الوحوش والبهائم وجل في الباب الاعلى بنى آدم وكانوا ثمانين انسانا ربيون رجلا وأربعون امرأة وكان بين الرجال والنساء جسداً آدم صلوات الله عليه وكان معه ثلاثة بنين سام وحام ويافت (تلك) هذه (من انباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (نوحيا اليك) نزل جبرئيل اليك يا محمد بأخبار الامم الماضية (ما كنت تعلمها) يعني أخبار الامم (أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن

قبل ابحاثي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كاصبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولكن تكذبك نحو ما كان نوح وقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والتلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد اخاهم) واحدا منهم وانتصاه للمظف على أرسلنا نوحا لى وأرسلنا ﴿ ٣٣٣ ﴾ الى عاد اخاهم (هودا) عطف { سورة هود } بيان (قال يا قوم اعبدوا

الله) وحدوه (مالكم من اله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان اتم الامفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أستلکم عليه أجر ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضها الاحسم المطامع وما دام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلاتعلمون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجر الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنى للهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره

(فاصبر) يا محمد على أذاهم وتكذيبهم اياك (ان العاقبة) آخر الامر بالنصرة والجنة (للمتقين) الكفر والشرك

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ابحاثنا اليك أو حال من الهاء فى نوحها أو الكاف فى اليك أى جاهلا أنت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم تعلمها اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسموها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة وأذى القوم كاصبر نوح عليه السلام ﴿ ان العاقبة ﴾ فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصى ﴿ والى عاد اخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقوى بالجر جلا على المجرور وحده ﴿ ان اتم الامفترون ﴾ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ﴿ يا قوم لا أسألکم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتحميضا للنصيحة فنهلا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلاتعلمون ﴾ أفلاتستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الميطل والصواب من الخطأ ﴿ ويا قوم استغفروا ربکم ﴾ ثم توبوا اليه ﴿ اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة

فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها بجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميلا يقرأ الكتب المتقدمة ولم تعلمها وكذلك كانت أمته فصعب قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى شركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه ﴿ ان العاقبة ﴾ فى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخرية ﴿ للمتقين ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عاد ﴿ ويا قوم استغفروا ربکم ﴾ يعنى وحده الله ولا تشركوا معه شئاً فى العبادة ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ يعنى انه تعالى هو الهكم لا عده الاصنام التى تصدونها فانهاجارة لانتصر ولا تنفع ﴿ ان اتم الامفترون ﴾ يعنى ما اتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره ﴿ يا قوم لا أستلکم عليه ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة ﴿ اجرا ﴾ يعنى جملا أخذكم منكم ﴿ ان أجرى ﴾ يعنى ما ثوابى ﴿ الاعلى الذى فطرنى ﴾ يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى الدنيا ويبيئنى فى الآخرة ﴿ أفلاتعلمون ﴾ يعنى فتعظون ﴿ ويا قوم استغفروا ربکم ﴾ أى آمنوا به والاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن ساءب ذنوبكم

والفواحش (والى عاد) وأرسلنا الى عاد (أخاهم) نبيهم (هودا) قال يا قوم اعبدوا الله (وحدوا الله) (مالكم من اله غيره) غير الذى أسرکم أن تؤمنوا به (ان اتم) ما اتم بعبادة الاوثان (الامفترون) كاذبون على الله لم يأمرکم بعبادتها (يا قوم لا أستلکم عليه) على التوحيد (اجرا) جملا (ان أجرى) ما ثوابى (الاعلى الذى فطرنى) خلقنى (أفلاتعلمون) أفلاتصدقون أفليس لكم ذهن الانسانية (ويا قوم استغفروا ربکم) وحدوا ربکم (ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

(يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثرة الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استقامتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أو توامن شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حسب عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض جهانه انى رجل ذومال ولا يولدلى علمنى شياً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار { الجزء الثاني عشر } حتى رجا استغفر ﴿ ٣٣٤ ﴾ في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له

عشرين فلبلغ ذلك معاوية فقال هلا سأتهم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمدكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعا أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا يا هود ما جئنا بينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع قوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما تترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما نصح من أمثال أن يصدقوا مثلك فيما يدعوم اليه اقناطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراك)

فما عنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثيرا الدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضعف قوتكم وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حسب الله عنهم القطر واقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضعف القوة بالتناسل ﴿ ولا تتولوا ﴾ ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا يا هود ما جئنا بينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ﴿ وما نحن بتاركى الهتنا ﴾ بتاركى عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ اقناطاله من الاجابة والتصديق ﴿ ان نقول الاعتراك ﴾ ما نقول الا قولنا اعتراك أى اصابتك من عراه يعروه اذا اصابه ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ يجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتشكلم بالخرفات والجملة مقول القول ولا تقولان الاستثناء مفرغ

﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ يعنى ينزل المطر عليكم متابعاً مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجذبت بلادهم وقطعت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عايه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا أرسل الله اليهم المطر فأجابه بلادهم كما كانت أول مرة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ يعنى شدة مع شدتكم وقيل مضاه انكم ان آمنتم يقوكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعظم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عايه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتردادون مالا ويميد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتردادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قررة الابدان ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين ﴿ قالوا يا هود ما جئنا بينة ﴾ أى يبرهان وجهة واضحة على صحة ما تقول ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ﴾ يعنى وما تترك عبادة آلهتنا لاجل قولك ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ يعنى أنك يا هود لست تمنعنا من ما تمنعنا

بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نفي فنفي جميع القول الا قولاً واحداً وهو قولهم اعتراك أصابتك بعض آلهتنا بسوء (من) يجنون وخيل وتقديره ما نقول قوله الا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء

(يرسل السماء عليكم مدرار) مطراداً مدراراً كما تحتاجون اليه (ويزدكم قوة الى قوتكم) شدة الى شدتكم بالمال والبنين (ولا تتولوا) عن الايمان والتوبة (مجرمين) مشركين بالله (قالوا يا هود ما جئنا بينة) بيان ما نقول (وما نحن بتاركى آلهتنا) عبادة آلهتنا (عن قولك) بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين بالرسالة (ان نقول) ما نقول فيه ننهالك (الاعتراك) بصيبيك (بعض آلهتنا بسوء) بخيل لانك تستهها

(قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى اشهد الله انى برى مما تشركون واشهدوا انى برى من ذلك وجى بد على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على انى لأحبك حكمايه واستهانة ﴿ ٣٣٥ ﴾ بحاله { سورة هود } (فكيديون جيما) أنتم

والهتكم (ثم لا تنظرون) لا تعملون فاني لأبالي بكم ويكيديكم ولا أخاف معرفتكم وان تعاوتن على وكيف تضرنى الهتكم وماهى الا جادا يضر ولا ينفع وكيف تنقم منى اذا نلت منها وصدت عن عبادتها بان تخيلنى وتذهب بقلى (انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقت به بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربيوته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم

قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيديون جيما ثم لا تنظرون ﴿ اجاب به عن مقاتلهم الحقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتمييزا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضره لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جادا لا تضر ولا تنفع لا يمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة القتاك المطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقت بالله وثبتهم عن اضراره ليس الا بصحته اياه ولذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ تقريراً له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يبيح بي ما لم يرده ولا تقدر على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ﴿ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده

من مخالفتنا وسب آلهتنا الآن بعض آلهتنا أصابك بحبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا تحمل أرك الاعلى هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود بحبباليهم ﴿ انى اشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم ايضا على ﴿ انى برى مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيديون جيما ﴾ يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تمقدون انما تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تعملون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فاقال لهم هذه المقالة ولم يهجم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقت بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ ما من دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحیوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكور لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا سروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته لينوا عليه ريمقدوا بذلك فخرا عليه فخطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربي وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعد

على الله (فوضت أمرى الى ربي) خاتى ورزى (وربكم) خالكم رازكم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) يعنىها ويحيها ويقال فى قبضته يفعل ما يشاء (ان ربي على صراط مستقيم)

ان ربي على الحق لا يبدل عنه وان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم) هو في موضع ف
ثبت الحجية عليكم { الجزء الثاني عشر } (ويستخلف ربي ﴿ ٣٣٦ ﴾ - قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلك

ممتصم ولا يفوته ظالم ﴿ فان تولوا ﴾ فان تولوا ﴿ فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم ﴾ فقد
اديت ما على من الابلاغ والزام الحجية فلا تقربط مني ولا عذر لكم فقد ابلتكم ما ارسلت
به اليكم ﴿ ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾ استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف
قوما آخرين في ديارهم و اموالهم أو عطف على الجواب بالقاء ويؤيده القراءة بالجزم
على الموضع فكأنه قيل وان تولوا يعذرنى ربي ويستخلف ﴿ ولا تضرونه ﴾ بتوليكم
﴿ شياً ﴾ من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ﴿ ان ربي على كل شئ
حفيظ ﴾ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا ينفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضروه شئ ﴿ ولما جاء امرنا ﴾ عذابنا أو امرنا بالعذاب ﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ تكرير لبيان
امنوا معه برجة مناه و كانوا اربعة آلاف ﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ تكرير لبيان
ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل اتوفى الكفرة وتخرج من اديارهم فتقطع اعضاءهم
أو المراد به تيجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب التايظ ﴿ وتلك عاد ﴾ انثاسم الاشارة باعتبار

الدليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى
المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه
اضمار تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم ﴿ فان تولوا ﴾ يعنى تولوا يعنى تمضوا
عن الايمان ما ارسلت به اليكم ﴿ فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم ﴾ يعنى انى لم يقع منى تقصير
فى تلبغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم فى قبول ذلك ﴿ ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾
يعنى انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما
غيركم اطوع منكم يوحدهونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد
وتهديد ﴿ ولا تضرونه شياً ﴾ يعنى بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه
سباً اذا اسلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ﴿ وان ربي على كل شئ حفيظ ﴾
يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شئ فيحفظنى من ان تنالونى بسوء ﴿ قوله
سبحانه وتعالى ﴿ ولما جاء امرنا ﴾ يعنى ما اهلكهم وعذابهم و نجينا هودا والذين آمنوا
معه ﴿ وكانوا اربعة آلاف ﴾ برجة ناه وذلك ان العذاب اذا نزل قد عم المؤمنين
والكافر فلما ابحى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان رحمة وفضله وكرمه ﴿ ونجيناهم
من عذاب غليظ ﴾ يعنى الرمح التى اهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على
عاد رحمة غليظة غليظة سبع لال وثمانية ايام حسوما وهى الايام الخمس التى اهلكتهم
جسماً ، انجى الله المؤمنين جميعاً لم تضرم شياً قيل المراد بالعذاب الثلث هو عذاب
الآخرة ودنا هو اصح ليعدل الفرق بين النذابين والمعنى ان تعالى كما انجاهم من
عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظاً
لانها اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد

الله ويحيى بقوم آخرين
يخلفونكم فى دياركم و اموالكم
(ولا تضرونه) بتوليكم
(شياً) من ضرر قطاذلا
يحوز عليه المضار واعما
تضرون انفسكم (ان ربي
على كل شئ حفيظ) رقيب
عليه مهين فأتخفى عليه
اعمالكم ولا ينفل عن
مواخذتكم أو من كان رقيباً
على الاشياء كلها حافظاً لها
وكانت الاشياء مفقورة الى
حفظه عن المضار لم يضرمثله
مثلكم (ولما جاء امرنا نجينا
هودا والذين آمنوا معه)
وكانوا اربعة آلاف (برجة
مننا) أى بفضل مننا لا بعملهم
أو بالايمان الذى ائتمنا عليهم
(ونجيناهم من عذاب غليظ)
وتكرار نجينا للتاكيد
الثانية من عذاب الآخرة ولا
عذاب اعظم منه (وتلك عاد)
اشارة الى قبورهم وآثارهم

عليه مما خلق ويقال يدعو
الحلق الى صراط مستقيم
دين قائم برضاه وهو الاسلام
(فان تولوا) اعرضوا عن
الاعمال ، التوبة (فقد
ابفك ما ارسلت به اليكم)
من الرسالة وبها يهلككم
(ويستخلف ربي قوما غيركم)
خبراً بكم المودع (ولا
تضرونه سباً) ولا يضرم الله هلاككم ذأ (ان ربي على كل شئ) رابك (حفيظ) عائد (ولما جاء امرنا) (بنجدوا)
عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة) بعمدة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه عاد

تضرونه سباً) ولا يضرم الله هلاككم ذأ (ان ربي على كل شئ) رابك (حفيظ) عائد (ولما جاء امرنا) (بنجدوا)
عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة) بعمدة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه عاد

كما قال سبحانه في الأرض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جمعدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله ﴿ ٣٣٧ ﴾ لانفراق بين { سورة هود } أحد من رسله (واتبوا

أسر كل جبار عنيد) يريد رؤسائهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الامور ويساندون ربيهم ومعقباتهم أسرهم طاعتهم (واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (إلا ان عادا كفروا) رجح الأبد العاد تكرار الأفع النداء على كفرهم والنداء عليهم تهويل لأمرهم اويث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والنداء بسبب ما بعد هلاكهم وهو دواء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا كان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصد فيهم والاخرى ارم (والى عمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدا الله ما لكم من اله غيره

جمعدوا بآيات ربهم) التي أتاهم بها هود (وعصوا رسله) بالتوحيد (واتبوا أسر كل جبار) قول كل قتال على الغضب (عنيد) معرض عن الله (رأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أهل كوا في الدنيا بالرخ (ويوم القيمة) لهم لعنة

القبيلة أولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم ﴿ جمعدوا بآيات ربهم ﴾ كفروا بها ﴿ وعصوا رسله ﴾ لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لأنهم اسروا بطاعة كل رسول ﴿ واتبوا أسر كل جبار عنيد ﴾ يعني كبارهم الطاغين وعيند من عند عندنا وعودا وعندنا إذ طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما نجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يريد بهم ﴿ واتبوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبيهم في العذاب ﴿ إلا ان عادا كفروا ربهم ﴾ جمعدوا وكفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ﴿ الأبد العاد ﴾ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الأ واعاد ذكرهم تظيها لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم ﴿ قوم هود ﴾ عطف بيان لعاد وفأنته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والاياء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود ﴿ والى عمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدا الله ما لكم من اله غيره

جمعدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ﴾ لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كما أنه قال سيروا في الأرض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جمعدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل ﴿ واتبوا أسر كل جبار عنيد ﴾ يعني ان السفلة منهم أتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرّد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه ﴿ واتبوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ يعني أردفوا لعنة تبعهم وتلقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والاباد من رحمة الله ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعني وفي يوم القيامة أيضا تبعهم اللعنة كاتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى ﴿ إلا ان عادا كفروا ربهم ﴾ أي كفروا بربهم ﴿ الأبد العاد ﴾ يعني هلاكهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الاباد والهلاك فالفائدة في قوله إلا بعد العاد لان الثاني هو الاول بينه قلت الفائدة فيه ان التكرار ببارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له ﴿ قوم هود ﴾ عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فالفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الأولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التصييص تدل على تقوية التأكيد بقوله عز وجل ﴿ والى عمود أخاهم صالحا ﴾ يعني وأرسلنا الى عمودهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لاقى الدين ﴿ قال يا قوم اعبدا الله بكل ما يحضرون وحدوا الله وحدهم وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره ﴾ يعني هو الهكم المستحق للعبادة لانه الاستنام ثم ذكر سبحانه وتعالى

أخرى وهي النار (إلا ان عادا كفروا ربهم) (ق و غا ٤٣ لث) حذر بربرهم (الأبد العاد) نوم شوهد من رحمة الله (والى عمود) وأرسلنا الى عمود (أخاهم) نبيهم (صالحا قال يا قوم اعبدا الله) وحدوا الله (ما لكم من اله غيره) غير الذي أمركم أن تؤمنوا به

هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم واستمركم فيها وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها واستمركم من العمر اى اطلال اعماركم فيها وكانت اعمارهم من ثلاثمائة الى الف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع مائة منهم من الظلم فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تدميرهم فوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فغاش فيها عبادى (ما يتفرو) عاد الوامختره بالاغان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) {الجزء الثانى عشر} دافى الرحة ﴿ ٣٣٨ ﴾ (حجيب) لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت

هو انشأكم من الارض ﴿ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطم التي خلق نسله منها من التراب ﴿ واستمركم فيها ﴿ عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى عمركم فيها داركم ويراد منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمريين داركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لتبركم ﴿ فاستغفروهم ثم توبوا اليه ان ربي قريب ﴿ قرب الرحة ﴿ حجيب ﴾ لداير مؤنثا وايا صالح قد كنت فنا سرجوا قبل هذا ﴿ لما ترى فذك من مخال الرشد والسداد ان يكون لنا سيذا او مستشارا في الامور ارا ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿ اتماننا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ﴿ على حكاية الحال الماضية ﴿ واننا لفي شك مما تدعوننا اليه ﴿ من التوحيد والتبرى من الايمان ﴿ سرب ﴿ موقع في الرية من ارا به اذا اوتعه في الرية وهي فلق النفس وانسواء الطمأية (قال باقوم ارا تم ان كنت على بنة من ربي وانا في منه رجة) نبوة اتي بحرف الشك مع انه على يقين انه على بنة لان خطابه للباحدين فكأنه لدفروا اتي على بنة من ربي واتى نبي على الحقيقة وانظروا ان تاتىكم وعصيت ربي في ارامه (من نصرته) ﴿

فينا ﴿ فيما بيننا ﴿ سرجوا قبل هذا) للسياد والمشاورة في الامورا وكنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ﴿ اتماننا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ﴿ حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مما تدعوننا اليه) من التوحيد (سرب) موقع في الرية من ارا به اذا اوتعه في الرية وهي فلق النفس وانسواء الطمأية (قال باقوم ارا تم ان كنت على بنة من ربي وانا في منه رجة) نبوة اتي بحرف الشك مع انه على يقين انه على بنة لان خطابه للباحدين فكأنه لدفروا اتي على بنة من ربي واتى نبي على الحقيقة وانظروا ان تاتىكم وعصيت ربي في ارامه (من نصرته) ﴿

الدلائل الداللة على وحدانيته وكال قدرته فقال تعالى ﴿ هو انشأكم من الارض ﴾ يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك انهم من بنى آدم وادم خلق من الارض ﴿ واستمركم فيها ﴿ يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضمك اطلال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم سبب ثلاثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد عمركم من العمرى اى جعلها لكم ما عشم ﴿ فاستغفروهم ﴿ يعنى من ذنوبكم ﴿ ثم توبوا اليه ﴿ يعنى من الشرك ﴿ ان ربي قريب ﴿ يعنى من المؤمنين ﴿ حجيب ﴿ لدعاهم ﴿ قالوا يا صالح قد كنت سرجوا قبل هذا ﴿ يعنى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجوان تكون فينا سيذا لانه من قبياتهم وكان بين ضيقهم ويغى فقرهم وقدم مناه انا كنا نطمع ان تمود الى ديننا فلما ظهر دعاهم الى الله وطاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه ﴿ اتماننا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ﴿ يعنى الآلهة ﴿ وانما في شك مما تدعوننا اليه ﴿ يعنى من عبادة الله ﴿ سرب ﴿ يعنى انا مرتابون في قولك من ارا به اذا اوقعت في الرية وهي قلق النفس ووقوعها في التهمة ﴿ قال ﴿ يعنى قال صالح جميعا قومهم ﴿ باقوم ارا تم ان كنت على بنة من ربي ﴿ يعنى على يقين وبرهان

هو انشأكم من الارض ﴿ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطم التي خلق نسله منها من التراب ﴿ واستمركم فيها ﴿ عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى عمركم فيها داركم ويراد منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمريين داركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لتبركم ﴿ فاستغفروهم ثم توبوا اليه ان ربي قريب ﴿ قرب الرحة ﴿ حجيب ﴾ لداير مؤنثا وايا صالح قد كنت فنا سرجوا قبل هذا ﴿ لما ترى فذك من مخال الرشد والسداد ان يكون لنا سيذا او مستشارا في الامور ارا ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿ اتماننا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ﴿ على حكاية الحال الماضية ﴿ واننا لفي شك مما تدعوننا اليه ﴿ من التوحيد والتبرى من الايمان ﴿ سرب ﴿ موقع في الرية من ارا به اذا اوتعه في الرية وهي فلق النفس وانسواء الطمأية (قال باقوم ارا تم ان كنت على بنة من ربي وانا في منه رجة) نبوة اتي بحرف الشك مع انه على يقين انه على بنة لان خطابه للباحدين فكأنه لدفروا اتي على بنة من ربي واتى نبي على الحقيقة وانظروا ان تاتىكم وعصيت ربي في ارامه (من نصرته) ﴿

(حجيب) ﴿ اى حيدر التريدى لا خالاس (ربي قريب) ﴿ لا اجاب اني به) لم رجد (لوا صالح) ﴿ ان ﴿ بدت نيا جرا) رجوا ﴿ يا ديننا اقبل ار تأمرنا بدين آنا ﴿ ايماننا ﴿ بعد ما يعبد آباؤنا) ﴿ وانما في شك مما تدعوننا اليه) ﴿ سرب) ﴿ الشك ﴿ بال باقوم ارا تم ان كنت على بنة من ربي) ﴿ على بيان نزل من ربي) ﴿ وانا في منه رجة) ﴿ اكرمى بالنبوة والاسلام (من نصرته) ﴿ يعنى (من عذاب) الله

عنق من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنكم عن عبادة الاوثان (فما يزيدوني) بقولكم اننا ان لم ننبأ ما يبد آبارنا (فخر حبر) بنسبتكم اباي ، لسا أو نسبق انكم الى الحدران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) نسب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى القمل ولكم مصق ربنا الامم مقدي لانا لو بأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ﴿ ٣٣٩ ﴾ (فذروها تأكل في ارض الله) أي ليس

عليكم رزقها مع أن لكم نفسها (ولا تسوها بسوء) عقرها ونحر (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فمقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تعصوا) استمعوا بالعيش (في داركم) و بلدكم رتسمى البلاد الديار لانه يار فيها أي تصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي

﴿ ان عصيته ﴾ في تبليغ رسالته والمنع عن الاشرار به ﴿ فما يزيدوني ﴾ اذن باستباحتكم اياي ﴿ غير تخسير ﴾ غير ان تخسروني بابطال ما منعتني الله به والتعرض لعذابه أو فما يزيدوني عما تقولون لي غير ان النسبكم الى الخسران ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ انتصبت آية على الحال وما ملها معنى الاشارة ولكم حال حال منها تقدمت عليها لتكثيرها ﴿ فذروها تأكل في ارض الله ﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها ﴿ ولا تسوها بسوء ﴾ فياخذكم عذاب قريب ﴿ عاجل لا يتراخي عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام ﴾ فمقروها ففقال تتعصوا في داركم ﴿ عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا ﴾ ثلاثة ايام ﴿ الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴾ ذلك وعد غير مكذوب ﴿ أي غير مكذوب فيه فانتسح فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله

ويوم شهدنا سايما وطامرا

أو غير مكذوب على الجواز وكان الواعد قال له أف بك فان وفيه صدقه والاكذبه أو وعد غير كذب على انه مصدر كالجلود والمفعول ﴿ فلما جاء امرنا

غير مكذوب فيه فانتسح في الظرف بمخذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمفعول (فلما جاء امرنا) بالعذاب (ارعصيته) وتركت أمره (فما يزيدوني غير تخسير) فا زاد الادا بصيرة في خسارتكم (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) علامة (فذروها) متركوها (أكل في ارض الله) في ارض الحجر ليس عليكم مؤنتها (ولا تسوها بسوء)

﴿ ان عصيته ﴾ يعني ان خالفت أمره ﴿ فما يزيدوني غير تخسير ﴾ قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما يزيدوني غير تخسير وانما المعنى فما يزيدوني بما تقولون الانسبى الى الخسارة ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشرىف كبيت الله وعبدالله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام ﴿ فذروها تأكل ﴾ يعني من العشب والنبات ﴿ في ارض الله ﴾ يعني فليس عليكم مؤنتها ﴿ ولا تسوها بسوء ﴾ يعني بمقر ﴿ وياخذكم ﴾ يعني ان قتلتموها ﴿ عذاب قريب ﴾ يعني في الدنيا ﴿ فمقروها ﴾ يعني فخالقوا أمرهم فمقروها ﴿ ففقال ﴾ يعني ففقال لهم صالح ﴿ تعصوا ﴾ يعني عيشوا ﴿ في داركم ﴾ أي في بلدكم ﴿ ثلاثة ايام ﴾ يعني ثم تهلكون ﴿ ذلك ﴾ يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة ايام ﴿ وعد غير مكذوب ﴾ أي هو غير كذب روى انه قال ابي أنكم العذاب من ثلاثة ايام فنصبحون في اليوم الاول ووجهكم مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاء امرنا ﴾ يعني العذاب

بمقر (فياخذكم عذاب قريب) مد ثلاثة أيام (فمقروها) قتلوها قتلها فنادى ابن سالم ومصدع بن زهر وقسموا الجنا على أمم وخمسة مائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (عصوا) عيسوا (في داركم) في مدينتكم (ثلاثة ايام) ثم تأتيكم العذاب اليوم الرابع فالوايا صالح ما علامة العذاب قال ان تصبحوا اليوم الاول ووجهكم مصفرة وتصبحوا اليوم الثاني ووجهكم حمرة وتصبحوا اليوم الثالث ووجههم مسودة ثم تأتيكم العذاب اليوم الرابع (ذلك) العذاب (وعد غير مكذوب) غير مردود (فلما جاء امرنا) عذابنا

أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى انما نجى برحمة الله تعالى لا بهمة كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزى يومئذ) بإضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة ولفظهما مدني وعلى لانه مضاف الى اذ هو موقظ وظروف الزمان اذا أضيفت الى الاسماء المهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء { الجزء الثاني عشر } من المضاف اليه ﴿ ٣٤٠ ﴾ كقوله • على حين ما تبنت المشيب

على السبا • والواو للمطف
وتقديره ونجيتهم من
خزى يومئذ أى من ذله
وفضيخته ولاخزى أعظم
من خزى من كان هلاكه
نفضب الله وانقاده وجاز
أن يرثي يومئذ يوم القيامة
كما فسر المذاب الغليظ
بذباب الآخرة (ان ربك
هو القوى) القادر على
تجنية أوليائه (العزير)
القاب باهلاك أعدائه
(وأخذ الذين ظلموا الصيحة)
أى صيحة جبريل عليه
السلام (فاصبحوا في ديارهم)
منزلهم (جائين) ميتين
(كأن لم يمشوا فيها)
فيها (ألا ان عمودا كفروا
رهم) عمود حزة وحفص
(الأبدان الثمود) على فالصرف
للذهاب الى الحى أو الابل
الأكبر ومنعه لا تعريف
والثابت بمعنى القبيلة
(ولقد حادت رسلنا) جبريل
ومكائيل واسرافيل
أو جبريل مع أحد عشر

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ أى ونجيتهم من
خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم ونفضيتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح
على اكتساب المضاف النام من المضاف اليدهنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان
ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والقاب دليه • وأخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جائين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاحراف • كأن لم يمشوا فيها
ألا ان عمودا كفروا رهم • نونه ابو بكر ههنا وفي الهم والاكسائي في جبع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عباس وابوعمر في قوله • الأبدان الثمود • ذهابا الى الحى
أو الابل الأكبر • ولقد حادت رسلنا ابراهيم • يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة
جبريل ومكائيل واسرافيل عليهم السلام • بالبشرى • بشارة الولد وقبل هلاك

• نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا • أى بنعمة ما بان هديناهم الى الايمان فانوا
• ومن خزى يومئذ • يعنى ونجيتهم من عذاب يومئذ يعنى خزي لان فيه خزي الكافرين
• ان ربك • انطاب لاني صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد • هو القوى •
يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين • العزير • يعنى القاهر الذى
لا يظله شئ • ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى • وأخذ الذين ظلموا •
يعنى أنفسهم بالكفر • الصيحة • وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا
جميعا وقبل اتم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الارض فقطعت
قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا • فاصبحوا في ديارهم جائين • يعنى صرعى هلكي • كأن لم
يمشوا فيها • يعنى كأن لم يمشوا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غيب
بالمكان اذا أتته وأقت به • ألا ان عمودا كفروا بهم الأبدان الثمود • وهذه القصص
قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاحراف • قوله عز وجل • ولقد حادت رسلنا
ابراهيم بالبشرى • أراد بالرسول الملائكة واختافوا في عددهم فقال ابن عباس
وعطاء كانوا ثلاثة جبريل ومكائيل واسرافيل وقيل الضحاك كانوا تسعة وقيل مقاتل
كانوا اثني عشر • الكا • وفل محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك
وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور الفلما ان الحسن الوجوه وقول ابن
عباس هو الاولى لان أنفل الجع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده
غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط

(قالوا)

ملكاً (ابراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة) بنعمة (منوا من خزى يومئذ) من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى) هبة أو ليائه (العزير)
بنعمة أعدائه (وأخذ الذين ظلموا) أسركوا (الصيحة) العذاب (فاصبحوا في ديارهم) مساكنهم (جائين) ميتين لا يمشون في أى
صاروا مادا (كأن لم يمشوا فيها) بان لم يكونوا في الارض قط (ألا ان عمودا) قوم صالح (كفروا رهم) كفروا برهم (الأبدان الثمود)
قوم صالح من رحمة الله (ولقد حادت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة اثنا عشر ملكا (ابراهيم) الى ابراهيم (البشرى) بالبشارة

قوم لوط والاول اظهر (قلوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قل سلام) امركم سلام سلم حزة وعلى بمعنى السلام (فألبث أن جاء بهجلاً) فألبث في الهجي به بل عجل فيه ﴿ ٣٤١ ﴾ أو فالت مجيئه { سورة هود } والهجل ولد البقرة وكان

مال ابراهيم البقر (حنيد)
مشوى بالحجارة المحماة
(فأرأى أيديهم لا تصل
اليه نكرهم) نكروا ونكر
بمعنى وكانت طاعتهم أنه
أذامس من بطرقهم طعامهم
أمنوه والاخافوه والظاهر
أنه أحسن بانهم ملائكة
ونكرهم لأنه تخوف أن
يكون نزولهم لاسرائل
الله عليه أول تعذيب قومه
دليله قوله (وأوجس منهم
خيفة) أي أضمر منهم خوفاً
(قالوا لا تخف) أنا أرسلنا
الى قوم لوط) بالمذاب
وانما قال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيم أرسلوا
وانما قالوا لا تخف لانهم
رأوا أثر الخوف والتخير
في وجهه (واسرائل قائمة)
وراما الستر تسمع محاورهم
أو على رؤسهم تخدعهم
(فضحكت) سرور بزوال
له بالولد (قالوا سلاما)
سلموا على ابراهيم حين
دخلوا عليه (قال سلام) رد
عليهم السلام وان فرأت سلم
يقول امرئ سلم من السلامة
(فألبث) مكث ابراهيم ان
جاء بهجلاً) سمين (حنيد)
مشوى فوضعه بين أيديهم
(فأرأى أيديهم لا تصل اليه)
الى طعامه لانهم لم يحتاجوا

قوم لوط ﴿ قالوا سلاما ﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا
سلاما ﴿ قل سلام ﴾ أي امركم سلام أو جوابي سلام أو عليكم سلام رفعه اجابة باحسن
من نحيتم وقرأ حزة والكسائي سلم وكذلك في الداريات وهما لقتان كحرم و حرام
وقيل المراد به الصلح ﴿ فألبث ان جاء بهجلاً حنيد ﴾ فما ابطأ مجيئه به أو فاطأ
في الهجي به أو فطأ أخر عنه والجار في ان مقدر أو محذوف والحنيد المشوى بالرضف وقيل
الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بهجلاً سمين ﴿ فلأرأى
أيديهم لا تصل اليه ﴾ لا يدون اليه أيديهم ﴿ نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ انكر
ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكروا ونكروا واستنكرو بمعنى والايحاس الادراك
وقيل الاضمار ﴿ قالوا ﴾ لعلنا احسوا منه اثر الخوف ﴿ لا تخف ﴾ اننا ارسلنا الى قوم لوط ﴿
اننا ملائكة مرسله اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لانا كل ﴾ واسرائل قائمة ﴿
وراما الستر تسمع محاورهم أو على رؤسهم للخدمة ﴾ فضحكت ﴿ سرورا بزوال الخيفة

﴿ قالوا سلاما ﴾ يعني ان الملائكة سلموا لسلاما ﴿ قال ﴾ يعني لم ابراهيم ﴿ سلام ﴾
أي عليكم أو امركم سلام ﴿ فألبث أن جاء بهجلاً حنيد ﴾ يعني مشويًا والمخنوذ
هو المشوى على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان
سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان طامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث
ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأنه ضيف فاقم لذلك وكان يحب الضيف
ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى أيضا فلم ير مثلهم قط فجعل قراهم وجاءهم
بهجلاً سمين مشوى ﴿ فلأرأى أيديهم ﴾ يعني أيدي الاضياف ﴿ لا تصل اليه ﴾ يعني
الى الهجل المشوى ﴿ نكرهم ﴾ يعني أنكروهم وأنكر حالهم وانما أنكروا حالهم لامتناعهم
من الطعام ﴿ وأوجس منهم خيفة ﴾ يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو
رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من
الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل
ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزولاً بمذاب قومه فخاف من
ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل
على صحة هذا أنه عليه السلام قدم اليهم الطعام ووعرف أنهم ملائكة لما قدمه
الهم لعله ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة
لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام ﴿ قالوا لا تخف ﴾ يا ابراهيم
﴿ اننا ﴾ ملائكة الله ﴿ أرسلنا الى قوم لوط واسرائل ﴾ يعني سارة زوجة ابراهيم
وهي ابنة هاران بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم ﴿ قائمة ﴾ يعني من وراء الستر
تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل و ابراهيم حالس معهم ﴿ فضحكت ﴾

الى طعام (نكرهم) أنكروهم ذلك (وأوجس منهم خيفة) أو وقع في نفسه خوفاً منهم وظن انهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا
خوفه (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم (اننا أرسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (واسرائل) سارة (قائمة) بالخدمة (فضحكت) تعجبت من خوف

أوبهالك أهل الفساد أوإصابة رأيها فإنها كانت تقول لابراهيم اضم اليك لوطافاني
اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضمكت لحاضت قال
وعهدى بسلى ضاحكا في لبابة * ولم تعد حقا ئديها ان تحملما
ومنه ضمكت السمرة اذا سال صمغها * وقرى * بفتح

أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت
مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا
والعلماء في تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر
المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام
الى اضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألأنا كلون فقالوا انما لانأكل
طعاما الا يثن قال فان له ثمننا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدهونه
على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ ربه خليلا فلما رأى
ابراهيم وسارة ايديهم لاتصل اليه ضمكت سارة وقالت يا عجبا لاضافنا نخد منهم
بانفسنا تكرمه لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضمكت من غفلة قوم لوط
وقرب العذاب منه وقال مقاتل والكلبي ضمكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو
فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضمكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم
وذلك انما خافت لحوفه فحين قالوا لانخض ضمكت سرورا وقيل ضمكت سرورا
بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضمكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها
وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرنا بما سيق
فضمكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوطا
فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرتهم بمذابهم سرت سارة بذلك
وضمكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضمكت قال عكرمة ومجاهد
أى حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت
ليس ذلك تفسيرا لقوله فضمكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضمكت بمعنى
حاضت وانما ذكر ذلك تنصيحا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها
في الوقت تعلم أن جلها ليس بمكر لان المرأة مادامت تحبض فإنها تحمل وقال الفراء
ضمكت بمعنى حاضت لم نسمه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضمكت بمعنى حاضت
وقال ابن الانبارى قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضمكت بمعنى حاضت وقد
عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضمكت أى طمئت وحكي
الازهرى عن بعضهم في قوله فضمكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك
الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطيل فيه بمعنى الحيض

(تضحك)

انخيفة أو بهلاك أهل
الغياث أو من غفلة قوم
لوط مع قرب العذاب
أو فحاضت
ابراهيم من اضيافه

(فبشرناها باسمحق)

وخصت بالبشارة لان النساء اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسمحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحجزة وحفص بفعل مضردل عليه فبشرناها اي فبشرناها باسمحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسمحق وبالرغم غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كاقول في الدار زيد (قالت ياويلتا) الا انك مبدلة

من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياولتى بياء على الاصل (ألدوانا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعل شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعل خبر وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا ومعنى التنبه الذي دل (فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب) ولد الولد فضحكت فحضت مقدم ومؤخر (قالت ياولتى ألدوانا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة للعجوز الكبيرة ولد كعب هذا (وهذا بعل) زرجى ابراهيم (شيخا) ابن تسع وتسعين سنة

الحاء ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب ﴾ نصبه ابن طاهر وحجزة وحفص بفعل يصره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسمحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسمحق أو على لفظ اسمحق وقمته للجرفانه غير منصرف ورد الفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف أى ويعقوب مولود من بعده وقيل وراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسمحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيهي ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسمياه وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد للبشره يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ يا عجبيا واصله في الشر فاطلق على كل امر فظيع وقرئ بياء على الاصل ﴿ ألدوانا عجوز ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿ وهذا بعل ﴾ زوجي واصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾ ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعل بدل

ضحك الضبع من دماء سليم ﴿ اذ رأتها على الحراب تور وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسمحق وضحكت الارنب ضحكا يعنى حاضت ايضا قال وضحك الارانب فوق الصفا ﴿ كمثل دم الخوف يوم اللقا يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أكرأن يكون الضحك بمعنى الحيض قل كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشرا ل كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتل فهز بعضها على بعض فيجعل هزها ضحكا وقيل لانها تسرحم فيجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك فأت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالتة أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه تعالى ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق متوب ﴾ يعنى ومن بعد اسمحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا ﴿ قالت ياويلتا ﴾ نداء ندية وأصلها ياويلتا وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل ما عجبناه : ألدوانا عجوز : : كانت بنت تسعين سنة فى قول ابن ابي عمير وقال شيبان كانت بنت تسع وتسعين سنة تز هذا على كى زرجى رابع هو المسنى على غيره ولما كان زوج المرأ مسليا عيها تأد رها سنى جاد لذلك ﴿ شيخا ﴾ وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن ابي

عليه هذا (ان هذا الشيء عجيب) أن يولد له من هرمن وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أنجبين من أمر الله) قدرته وحكمته
 وإنما تكررت الملائكة تبجيها لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تنوقر ولا
 يزد عليها ما يزدهي أسائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتحمده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة
 حيث قالوا (رحمة الله وبركاته { الجزء الثاني عشر } عليكم أهل البيت) ﴿ ٣٤٤ ﴾ أرادوا ان هذه أمثالها بما بكرم

بدر العزة ويخصم بالانعام
 بهي اهل بيت النبوة فليست
 يمكن عجيب وهو كلام
 مستألف علل بها لكار
 التعجب كأنه قيل اياك
 والتعجب لان أمثال هذه
 الرحمة والبركة متكاثر من
 الله عليكم وقيل الرحمة النبوة
 والبركات الاسباط من بني
 اسراييل لان الانبياء منهم
 وكلهم من ولد ابراهيم وأهل
 البيت نصب على النداء أو
 على الاختصاص (انه جيد)
 محمود بتجميل النعم (جيد)
 ظاهر الكرم بتأجيل النعم
 (فلما ذهب عن ابراهيم الروح)
 الفزع وهو ما اوجس
 من الخيفة حين ذكر أضيفه
 (وجاءته البشري) بالولد
 (مجادلنا في قوم لوط) أي
 لما اطمان قلبه بعد الخوف
 وعلى سرور بسبب البشري
 فزع للمجادلة وجواب لما
 محذوف تقديره أقبل مجادلنا
 أو مجادلنا جواب لما وإنما
 جي به مضارطاً لحكاية الحال
 والمعنى مجادل رسلنا ومجادلته
 اياهم انهم قالوا انه مذكور أهل

﴿ ان هذا الشيء عجيب ﴾ يعني الولد من هرمن وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
 ولذلك ﴿ قالوا أنجبين من أمر الله ﴾ ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴿ منكرين عليها
 فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم
 والكرامات ليس بدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عن نشأت وشابت في
 ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم
 اللهم اغفر لنا ايها العصاة ﴿ انه جيد ﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿ جيد ﴾
 كثيرا للخير والاحسان ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ أي ما اوجس من الخيفة واطمان
 قلبه ببرقانهم ﴿ وجاءته البشري ﴾ بدء الروح ﴿ مجادلنا في قوم لوط ﴾ مجادل رسلنا
 في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جي به مضارطاً على حكاية
 الحال أو لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل
 وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة ﴿ ان هذا الشيء عجيب ﴾
 لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وإنما تعجب من كون الشيخ الكبير والهجوز الكبيرة
 يولد لهما ﴿ قالوا ﴾ يعني قالت الملائكة لسارة ﴿ أنجبين من أمر الله ﴾ معناه
 لا تنجبي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فاذا أراد شيئاً كان سريعا
 ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على
 معنى النداء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل
 بيته ﴿ انه جيد ﴾ يعني هو المحمود الذي يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق
 لان يحمده في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال ﴿ مجيد ﴾
 ومعناه المتبع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل الحمد في كلامهم
 السمة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو
 ذوا الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ يعني
 الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل ﴿ وجاءته البشري ﴾
 يعني زال عنه الخوف بسبب البشري التي جاءتته وهي البشارة بالولد ﴿ مجادلنا ﴾
 فيه اضمار تقديره أخذ مجادلنا أو جعل مجادلنا ويخاصنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا
 ﴿ في قوم لوط ﴾ لان العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه
 مجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم

(لو كان)
 هذه القرية فقال أرأيتم لو كان بها خسون مؤمنا أنها كرهنا قالوا الا قال عابره قالوا الا قالوا ثلاثون قالوا الا-تت بلغ (لو كان)
 المشرة قالوا الا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أنها كرهنا قالوا الا قضا ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها نجينه وأهله
 (ان هذا الشيء عجيب) عجيب (قالوا) (انجبين من أمر الله) من قدرة الله (رحمة الله وبركاته) ساداته (عليكم أهل البيت) ابراهيم
 (انه جيد) (بإعمالكم) (جيد) (كريم بكرمكم ولد صالح) (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) (الخوف) (وجاءته البشري) (البشارة بالولد)
 (مجادلنا) (يخاصنا) (في قوم لوط) (في هلاك قوم لوط)

(ان ابراهيم حلیم) غیر عجول علی کل من اساء الیه أو کثیر الاحتمال من آذاه الصفوح عن عصاه (أواه) کثیر التأوه من خوف الله (منیب) تأثب راجع الی الله وهذه ﴿ ٣٤٥ ﴾ الصفات دالة { سورة هود } علی رقة القلب والرأفة

والرحمة فین ان ذلك مما حمله علی المجادلة فیهم رجاء ان یرفع عنهم العذاب ویعملوا لهم یحدثون التوبة كما حمله علی الاستغفار لایسبه فقالت الملائكة (یا ابراهیم أعرض عن هذا) الجدل وان كانت الرحمة دینک (انه قد جاء أمر ربک) وقضاؤه وحکمته (وانهم آتیهم عذاب غیر مردود) لا یرد بجدال وغیر ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتیهم تقدیره وانهم بآتیهم ثم خرجوا من عند ابراهیم متوجهین نحو قوم لوط وكان بین قرية ابراهیم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا لما أنوہ ورأی هیاتهم وجمالهم (سی بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف علیهم خبت قومہ وأن یجزع عن مقاسمتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمیذاً ی وضاق بمكانهم صدره

(ان ابراهیم حلیم) عن الجهل (أواه) رحیم (منیب) تبارک الی الله (یا ابراهیم) أعرض عن هذا) عن جدالک هذا (انه قد جاء أمر ربک)

اجترأ علی خطبنا أو شرع فی جدالنا أو متعلق به اقیم مقامه مثل اخذ أو اقبل یجادنا ﴿ ان ابراهیم حلیم ﴾ غیر عجول علی الانتقام من ناسی الیه ﴿ آواه ﴾ کثیر التأوه من الذنوب والتأسف علی الناس ﴿ منیب ﴾ راجع الی الله والمقصود من ذلك بیان الحامل له علی المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترجمه ﴿ یا ابراهیم ﴾ علی ارادة القول أی قالت الملائكة یا ابراهیم ﴿ اعرض عن هذا ﴾ الجدل ﴿ انه قد جاء أمر ربک ﴾ قدره بمتقاضی قضائه الاذلی بمذابهم وهو اعلم بحالهم ﴿ وانهم آتیهم عذاب غیر مردود ﴾ مصروف بجدال ولادعاه ولا غیر ذلك ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سی بهم ﴾ ساءه بحیثهم لانهم جاؤہ فی صورة غلمان فظن انهم انس فخاف علیهم ان یقتلهم قومہ فیعجز عن مدافعتهم ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو کنایة عن شدة الاقباض

لو كان فی مدائن قوم لوط نجسون رجلا من المؤمنین أهلکوننا قالوا لقال فاربعون قالوا لقال فتلاثون قالوا لقال فزال كذلك حتی بلغ خمسة قالوا لقال رأیتم لوکان فیها رجل واحد مسلم أهلکوننا قالوا لقال ابراهیم فان فیها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فیها لتجینه وأهله الا امرأته كانت من الغابرین وقیل انما طلب ابراهیم تأخیر العذاب عنهم لعلهم یؤمنون أو یرجمون عامهم فیه من الکفر والمعاصی قال ابن جریر کان فی قری قوم لوط أربعة آلاف مقاتل ﴿ ان ابراهیم حلیم آواه منیب ﴾ تقدم تفسیره فی سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهیم ﴿ یا ابراهیم أعرض عن هذا ﴾ یعنی أعرض عن هذا المقال وأترك هذا الجدل ﴿ انه قد جاء أمر ربک ﴾ یعنی ان ربک قد حکم بمذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالی ﴿ وانهم آتیهم عذاب غیر مردود ﴾ یعنی ان العذاب الالهی نزل بهم غیر مصروف ولا مدفوع عنهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴾ یعنی هؤلاء الملائكة الذین كانوا عند ابراهیم وكانوا علی صورة غلمان مردحسان الوجوه ﴿ سی بهم ﴾ یعنی أحزن لوط بحیثهم الیه وساء ظنه بقومه ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ قال الازهری الذرع یوضع موضع الطاقة والاعل فیه ان البصر ینذرع بیده فی سیره ذرعا علی قدر سعة خطوه فاذا حل علیه أكثر من طوره ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعته فجعل ضیق الذرع عبارة عن ضیق الوسع والطاقة والمعنی وضاق بهم ذرعا اذ لم یجد من المکرهه فی ذلك الامر غمضا وقال غیره معناه ضاق بهم قلبا وصدره ولا یعرف أصله الا أن یقال ان الذرع کنایة عن الوسع والعرب تقول ایس هذا فی یدی یضون ایس هذا فی وسی لان الذراع من الید وینال ضاق ذلأن ذرعا یکانا اذا وقع فی مکرهه لا یطیق الخروج منه وذلك ان لوطا علیه السلام لما رآه حسن وجوه وطیب رواحهم أشفق فانهم یرون ان یتحدوه کما وه

عذاب ربک لیکفوا لکم قوم لوط (وانهم آتیهم) (تأویذاتک) بأه (عذاب غیر مردود) مصروف عن الملائكة رسلنا جبریل ومن معه من الملائكة (لوطا) الی لوط (سی بهم) ساءه بحیثهم (وضاق بهم) اعتم بحیثهم (ذرعا) اغما ما شد یدنا غاف علیهم من

(وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما { الجزء الثاني عشر } بانكم ﴿ ٣٤٦ ﴾ أمر هذه القرية قالوا وما أمره

للحيز عن مدافعة المكروه والاحتيايل فيه ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد من عصبه اذاشدة ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ يسرعون اليه كأنهم يدقون دفعا للطلب الفاحشة من اضيافه ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل ذلك الوقت ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ الفواحش ففقرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين ﴿ قال يا قوم هؤلاء بناتي ﴾ فدى بين اضيافه كراموجية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم خبيثهم وعدم كفاءتهم لالحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالغة في تناسه خبث ما يروونه حتى ان ذلك اهون منه واظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابواته من حيث

أوقاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم ﴿ وقال ﴾ يعني لوطا ﴿ هذا يوم عصيب ﴾ أى شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أى شديده مأخوذ من الصابة التى تشد بها الرأس قال قتادة والسدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل فى أرضه وقيل انه كان يخطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بانكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشرقية فى الارض علا يقول ذلك اربع مرات ففضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة صرعى جاعة من قومه فتنازروا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جاعة أخرى فتنازروا فقال مثله ثم صرعى جاعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بجيئتهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الحيثية فاخبرت قومها وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ قال ابن عباس وقنادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشين وقال شمر هو بين الهرولة والحلب والجزء ﴿ ومن قبل ﴾ يعنى ومن قبل مجئ الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ يعنى الفعلات الحيثية والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال فى أدبارهم ﴿ قال ﴾ يعنى قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا أنهم غلمان من بنى آدم ﴿ يا قوم هؤلاء بناتي ﴾ يعنى أزواجكم ايهاهن وقى اضيافه بناته قيل انه كان فى ذلك الوقت وفى تلك الشرمة سباح تزوج المرأة المسلمة الكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد و... يد بن جبير أراد بناته نساء قومد وأضانهن الى نفسه لان كل نبي ابواته ودوا كالوالد لهم وهذا

قال أشهد بالله انها لشرقية فى الارض علا قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدقون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى صرنا عليها وقل عندهم استقباحها ولذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن أراد أن تقي اضيافه بناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز فى ذلك الوقت كاجاز فى الابتداء فى هذا الامه فتد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدا مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما ابنته

صنع قومه (وقيل) نفسه (هذا يوم عصيب) شديد على (وجاءه قومه) يوم لوط

(يهرعون اليه) يسرعون الى داره ويهرولون هرولة (ودن غبل) أى وبن غبل جيبى جبريل (كانوا يعملون) (القول) (السيئات) عملهم الحيث (قال) لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي) وقال بنات قومي

(من أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتداً وبنائى عطف بيان ومن فصل وأظهر خبراً مبتدأ أو بنائى خبراً ومن مظهر من المظهر وخبر (فاتقوا الله) إياهم من عليهم (ولا) ﴿٣٤٧﴾ (تخزون) (سورة هود) ولا تهنون ولا تقصصوني من الغزى

أو ولا تخجلوني من الخزيّة

وهي الحياء وبالياء أبو عمرو في الوصل (في ضيق) في حق ضيق في فانه اذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عرافة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفضل الجليل والكف عن السوء (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة لان نكاح الاناث أمر خارج عن مذهبنا فذهبنا آتيان الذكران (وانك تعلم ما تريد) عنوا آتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة (قال لو أنى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) جواب لو محذوف أى فعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم

(من أظهر لكم) أنا أزوجه (فاتقوا الله) فاخشوا الله في الحرام (ولا تخزون في ضيق) لا تقصصوني في أضياف (أليس منكم رجل رشيد) يدلهم على الصواب ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (قالوا لقد علمت

الشفقة والتربية وفي حزم ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم ﴿من أظهر لكم﴾ انظمت فعلاً أو اقل فحشا كقولك الميثة اطيب من المنسوب واحل منه وقرى اظهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بنائى كقولك هذا اخى هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها ﴿فاتقوا الله﴾ بترك الفواحش أو يباشر من عليهم ﴿ولا تخزون﴾ ولا تقصصوني من الغزى أو ولا تخجلوني من الخزيّة بمعنى الحياء ﴿في ضيق﴾ في شأنهم فان اخزاهم ضيف الرجل اخزأوه ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وانك تعلم ما تريد﴾ وهو آتيان الذكران ﴿قال لو ان لى بكم قوة﴾ لو قويت بنفسى على دفعكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ الى قوى اتعبد به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان بأوى الى ركن شديد وقرى

القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليست ابنتين للجماعة وليس من المروءة أن يرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يلقى ذلك بمنصب الانبياء أن يرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله ﴿من أظهر لكم﴾ سؤال وهو أن يقال ان قوله من أظهر لكم من اب أهل التفضيل فيقتضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال مطاهراً ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال من أظهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة ﴿وقوله﴾ ﴿فاتقوا الله﴾ يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والهيئات ﴿ولا تخزون في ضيق﴾ يعنى ولا تسوؤنى في أضيافى ولا تقصصوني معهم ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ أى صالح شديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ يعنى لى لنا بهن حاجة ولانا فيهن شهوة وتيل مناه ليست بناتك لنا بازواج ولا مستحبتين نكاحهن وقبل مناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا تريد ذلك يا مالك تعلم ما تريد يعنى من آتيان الرجال في أديارهم فعند ذلك ﴿قال لوط عليه السلام﴾ ﴿لو أنى بكم قوة﴾ أى لو أنى أقدر أن أتقوى عليكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ يعنى أو أنضم الى عشيرة يمتونى منكم وجواب لو محذوف تقديره أو وجدت قوة لقائتكم أو وجدت عشيرة

يا لوط (مالنا في بناتك من حق) من حاجة وانك تعلم ما تريد (بنون عمهم الحبيث) قال (لوط في نفسه لو أنى بكم قوة) بالبدن والولد (أو آوى) أقدر أن أرجع (الى ركن شديد) الى عشيرة كثيرة لمنعت نفسى منكم فلما علم

بنفسى أو آوى الى قوى أستند اليه وأتمتع به فيصينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنته روى أنه أخواه
بأه حين جاؤا وجعل { الجزء الثاني عشر } يرادهم ما حكى ﴿ ٣٤٨ ﴾ الله عنه ويحادلهم فتسوروا الجدا

أو آوى بالنصب على اضمحار ان كأنه قال لو ان لى بكم قوة أو آوى وجواب لو محذوف
تقديره لدفتكم روى انه اغلق يابه دون اضيافه واخذ يحادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلارأت الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿ قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك ﴾ لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم
ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعمامهم
فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة ﴿ فاسر باهلك ﴾ بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى ﴿ بقطع من الليل ﴾
بطائفة منه ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ
لاحد فى المعنى لوط ﴿ الاسراء نك ﴾ استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ

لانضمت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا فى منمة من عشيرته (ق) عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى
ركن شديد ولوليت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لاجبته قال الشيخ
محي الدين النروى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد
الاركار وأقواها وأمنها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه
ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فطلب ذلك
عاليه فقال فى تلك الحال لو أن لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو آوى الى عشيرة تمنع
لمنعكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم
ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي فى موضعه من سورة يوسف
ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط يابه والملائكة معه فى الدار
وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يمالجون سور الدار فلما رأت
الملائكة ما لى لوط بسبهم ﴿ قالوا يا لوط ﴾ ركنك شديد ﴿ انا رسل ربك لن يصلوا
اليك ﴾ يعنى بمكروه ففتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل
سلبا السلام ربه عز وجل فى عقوبتهم فاذن له فحول الى صورته التى يكون فيها
ونمر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه
حبيك مثل المرجان كأنه كالمثلج بياضا وقدماه الى الخصرة فضرب بجناحيه وجوسهم
فطمس أعينهم واعمامهم فصاروا لا يرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا
وهم يقولون النجاء النجاء فى بيت لوط أسهر قوم فى الارض قد سحرونا وجعلوا
يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وترى اتاق منا عدا يوعده وانه بذلك ﴿ فاسر
بأهلك ﴾ يعنى بيتك فبقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك
من الليل وقال تادة بد معنى أوله وقيل انه السحر الاول ﴿ ولا يلتفت منكم
أحد ﴾ ولا يلتفت منكم أحدا الى ورائه ولا ينظر الى خلفه ﴿ الاسراء نك ﴾ فانها

فلما رأت الملائكة ما لى
لوط من الكرب (قالوا
يا لوط) ان ركنك شديد
(انارسل ربك) ففتح
الباب ودعنا واياهم ففتح
الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل عليه السلام ربه
فى عقوبتهم فاذن له فضرب
بجناحه وجوههم فطمس
أعينهم فاعمامهم كما قال الله
تعالى فطمسنا أعينهم
فصاروا لا يرفون الطريق
فخرجوا وهم يتسولون
النجاء النجاء فان بيت لوط
قوما سحرة (لن يصلوا
اليك) جلالة موضحة لى
قبها لانهم اذا كانوا رسل
الله لم يصاروا اليه ولم
يقدروا على ضرره (فاسر)
بالوصل مجازى من سرى
(بأهلك بقطع من الليل)
طائفة منه أرغفه (ولا
يلتفت منكم احد) بقلبه
الى ما خاف أو لا ينظر
الى ما وراءه أو لا يتخلف
منكم احد (الاسراء نك)

جبريل والملائكة خوف
لوط من تهديد قومه (قالوا
يا لوط انارسل ربك لن
يصلوا اليك) بالان لا نحن
نهلكهم (فاسر بأهلك)
فسر بأهلك ويقال أدلج بجمع
(بقطع من الليل) (ق)

من الليل آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) لا يلتفت منكم (أحد الاسراء نك) واعلة المناققة (من

مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفي آخر إجماع أهله روايتان روى أنه أخرجها منهم
وأمر أن لا يلتفت منهم أحدا هي فلما سمعت ﴿ ٣٤٩ ﴾ هدة العذاب { سورة هود } التفتت وقالت يا قوماء فادركها

جر فقتلها وروى أنه
أمر بان يخلفها مع قومها
فان هوها اليهم فلم يسربها
واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين (انه
مصيبا ما أصابهم) أي ان
الامر وروى أنه قال لهم متى
موعد هلاككم قالوا (ان
موعدهم الصبح) فقال أريد
أسرع من ذلك فقالوا
(أليس الصبح بقريب فلما
جاء أمرنا جعلنا عاليها
سافلها) جعل جبريل
عليه السلام جناحه تحت
أسفلها أي أسفل قراها
ثم رفعها الى السماء حتى
سمع أهل السماء نباح
الكلاب وصباح الديكة ثم
قلبا عليهم واتبعوا الحجارة
من فوقهم وذلك قوله
(وأمرنا عليها حجارة من
سجيل) هي كلمة عربية
من «سككل» بدليل قوله

(انه مصيبها) سيصيبها
(ما أصابهم) ما يصيبهم
من العذاب (ان موعدهم)
بالملاك (الصبح) عند
الصباح قال لوط الآن
يا جبريل قال جبريل يا لوط
(أليس الصبح بقريب)
لاندرآه ولم ير لوط (فلما
جاء أمرنا) عذابنا هلاكهم
(جعلنا عاليها سافلها) قلنا

فاسر بأهلك بقطع من الليل الامر أنك وهذا إما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الورا في الذهب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو وبالرفع على
البدل من احد ولا يجوز جعل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها
وأخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماء فادركها جر فقتلها لان
القواطع لا يصح جعلها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما ضلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الاصح
ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيهما عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستثناء بقوله ﴿ انه مصيبها ما أصابهم ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على
قراءة الرفع ﴿ ان موعدهم الصبح ﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾
جواب لاستعمال لوط واستبطائه العذاب ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ عذابنا أو أمرنا به
ورؤيته الاصل وجعل التعذيب مسياعه بقوله ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به فاستند الى نفسه من حيث انه
المسبب تعظيماً للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت
مداشهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصباح الديكة ثم قلبها عليهم
﴿ وأمطرنا عليها ﴾ على المدن أو على شذاذها ﴿ حجارة من سجيل ﴾ من طين متعبر
لقوله حجارة من طين واصله «سككل» فحرب وقيل انه من سجله اذا رسله أو ادر عطيته

من الملتفات قبلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انه مصيبها ما
أصابهم ﴾ فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ﴿ ان موعدهم الصبح ﴾ قال لوط
انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ فلما خرج لوط من
قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامراته فانها لما سمعت
هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماء فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم
﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ يعني أمرنا بالعذاب ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مداين أكبرها سدوم
وهي المؤتسكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة
آلاف ألب فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع أهل السماء صباح الديكة ونباح
الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿ وأمطرنا
عاليها ﴾ يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعدما قلبها أمطر عليهم
﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه «سككل» فارسي معرب
لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل
قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب
واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله

وجمانا أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها (وأمطرنا عليها) على شذاذها ومسافريها (حجارة من سجيل) من سجيل ووحل مثل الآجر ويقال

حجارة من طين (منضود) { الجزء الثاني عشر } نعت لسجيل ﴿ ٣٥٠ ﴾ أي متابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة)

والعنى من مثل النوى المرسل أو من مثل العطية في الادرار أو من السجيل أى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين أى من جهنم فابدلته نونه لاما ﴿ منضود ﴾ فاضد مددا لعذابهم أو ضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو ضد بعضه على بعض وألصق به ﴿ مسومة ﴾ معلة للعذاب وقيل معلة بياض وجره أو بسيا تمزيبه عن حجارة الارض أو باسم من يرى بها ﴿ عندربك ﴾ في خزائنه ﴿ وماهى من الظالمين ببئيد ﴾ فانهم يظلمهم حقيق بان يعطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظلمى امتك ما من ظلم منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قريبة من ظلمى مكة يعرون بها في اسفارهم الى الشام وقد كبر البعيد على تأويل الحجر أو المكان ﴿ والى مدن اخاهم شعيا ﴾ اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو اهل مدين وهو يلدناه فسمى باسمه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ امرهم

في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعنى الآجر وقيل السجيل اسم سماه الدنيا وقيل هو جبل في سماه الدنيا ﴿ منضود ﴾ قال ابن عباس متابع يتبع بعضها بعضا مفعول من الضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض ﴿ مسومة عندربك ﴾ صفة للحجارة يعنى معلة قال ابن جريج عليها سيم لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مخنومة عليها أمثال الحوانيم وقيل كان مكتوبا عابا أى على كل حجر اسم صاحبه الذى يرى به ﴿ وماهى ﴾ يعنى تلك الحجارة ﴿ من الظالمين ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ ببئيد ﴾ قال قتادة وعكرمة يعنى ظلمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظلما بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معاقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى مدين ﴿ يعنى وأرسلنا الى مدين ﴾ أخاهم شعيا ﴿ مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فعلى هذا يكون التفسير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف للدلالة الكلام عليه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرح قيامهم فيه ولما كان المتبادر من أهل مدين الجنس فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه المادة القبيحة وهى تظنيف الكيل والوزن فقال ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ النقص فى الكيل والوزن على وجهين أحدهما

نعت للحجارة أى معلة للعذاب
قيل مكتوب على كل واحد
اسم من يرى به (عندربك)
فى خزائنه أو فى حكمه
(وماهى من الظالمين ببئيد)
بئى ببئد وفيه وعيد
لاهل مكة فان جبريل
عليه السلام قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعنى
ظلمى امتك ما من ظلم منهم
الا وهو يعرض حجر يسقط
عليه من ساعة الى ساعة
أو الضمير للقرى أى هي
قريبة من ظلمى مكة يعرون
بها فى مسائرهم (والى
مدن اخاهم شعيا) هو
اسم مدينتهم أو اسم جدهم
مدين بن ابراهيم أى
وأرسلنا شعيا الى ساكنى
مدين أو الى بنى مدين (قال
يا قوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال) أى المكيال
بالمكيال (والميزان)

من سماه الدنيا (منضود)
متابع بعضها على أربعض
(مسومة) مخططة بالسواد
الحرة والياض ويقال مكتوب
عليها اسم دن هلك بها (عند
ربك) من عند ربك يا محمد تأتى
تلك الحجارة (وماهى)
يعنى الحجارة (من الظالمين
ببئيد) لم تخطهم بل أصابهم

ويقال ماهى من ظلمى أمك ببئيد من نعت أى شامهم (والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم) بينهم (شعيا قال) (ان) (يا قوم اعبدوا الله) (مالكم من اله غيره) (غير الذى أمركم ان تؤمنوا به) (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أى حقوق الناس

والموزون بالميزان (انى أراكم بخير) ﴿ ٣٥١ ﴾ بثروة وسعة { سورة هود } تفنيكم عن التطفيف

أورأراكم بنعمة من الله
 حقا أن تقابل بغير ما تفعلون
 (وانى أخاف عليكم عذاب
 يوم محيط) مهلك من قوله
 وأحيط بثمره وأصله
 من احاطة العدو والمراد
 عذاب الاستئصال في الدنيا
 أو عذاب الآخرة (وياقوم
 أوفوا المكيال والميزان)
 أي أوفوا (بالقياس) بالعدل
 أولا عن عين القبيح الذي
 كانوا عليه من نقص المكيال
 والميزان ثم ورد الأمر
 بالإيفاء الذي هو حسن
 في القول لزيادة التزغيب
 فيه وجى به مقيدا بالقسط
 أي ليكن الإيفاء على وجه
 العدل والتسوية من غير
 زيادة ولا نقصان (ولا
 تبخسوا الناس أشياءهم)
 البخس النقص كانوا
 ينقصون من أثمان ما
 يشترون من الأشياء فهموا
 بالكيل والوزن (انى
 أراكم بخير) بعة وماك
 ورخص السر (وانى
 أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا به
 ولم توفوا بالكيل والوزن
 (عذاب يوم محيط) يحيط بكم
 ولا ينفلت منكم أحد من
 القسط والجذوبة وغير
 ذلك (وياقوم أوفوا المكيال
 والميزان) أي أوفوا الكيل
 والوزن (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس
 أشياءهم) لا تنقصوا حقوق الناس

بالتوحيد اولافانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل الخلل بحكمة
 التواضع ﴿ انى أراكم بخير ﴾ بسة تفنيكم من البخس أو بنعمة حقها ان تنفضلوا على
 الناس شكرا عليها لان تنقصوا - فموقهم أو بسة فلا تزيلوا بما اتم عليه وهو في الجملة
 علة النهى ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب
 مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف
 اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾
 صرح بالامر بالإيفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتبيينها على انه لا يكفيهم الكف عن تعدد
 التطفيف بل يلزمهم السى في الإيفاء ولو زيادة لا يتأتى دونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل
 والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الأزداد إيفاء وهو مندوب غير مأوربه وقد
 يكون محظورا ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ تعميم بمدتخصيص فانه ام من ان يكون
 ان يكون الاستقص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء
 الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين
 مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى أراكم
 بخير ﴾ قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة
 فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا
 وهو قوله ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ يعنى يحيط بكم فيها لكم
 جمعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه
 وتعالى وان جهنم لحيطة بالكافرين ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ أى أوفوا
 ولا تطففوا فيهما ﴿ بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل
 المكيال ﴿ ولا تبخسوا الناس ﴾ أى ولا تنقصوا الناس ﴿ أشياءهم ﴾ معنى اموالهم فان
 قلت وقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
 ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين
 ما تقدم فالقاعدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو
 تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع منه الى المبالغة في التأكيذ والتكرار
 يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيذ فلن هذا كقولك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل
 ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن النقص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر
 بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومعارضه ، ولقد انزل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم
 على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قديحوزان نهى عن النقص ولا يامر بإيفاء الكيل
 والوزن فاننا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعهما فتريداً للذمة الامر والنهي
 وأما قوله نأيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بكارياً محالاً سبحانه وتعالى
 النهى عن التقص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في حيا الأسماء انى يجب
 إيفاء الحق فيها فيدخل في الكيل والوزن والذرع وغير ذلك من ذلك ان التكرار

والموزون بالميزان (انى أراكم بخير) ﴿ ٣٥١ ﴾ بثروة وسعة { سورة هود } تفنيكم عن التطفيف

عن ذلك (ولا تمسوا في الارض مفسدين) العنى والمبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل
 الجنس والتطقيف عثيانهم في الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التزده عما هو حرام عليكم (خير لكم
 ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا ببقية الله خير للكفرة أيضاً لانهم يسلمون معها من تبعه الجنس والتطقيف الا ان فائدتها
 تظهر مع الايمان من حصول { الجزء الثاني عشر } الثواب مع النجاة ﴿ ٣٥٢ ﴾ من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانتماس

في المقدار أو في غيره وكذا قوله ﴿ ولا تمسوا في الارض مفسدين ﴾ فان الشويم تنقيص
 الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالجنس المكس كاخذ العشور من المعاملات
 والمشو السرقة وقطع الطريق والغارة وقائمة الحلال اخراج ما يقصده الاصلاح كإفله
 الحضر عليه السلام وقيل معناه ولا تمسوا في الارض مفسدين امر دينكم ومعاصم آخرتكم
 ﴿ بقيت الله ﴾ ما بقاء الله لكم من الحلال بعد التزده عما حرم عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما
 يجمعون بالتطقيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيرتها باستتباع
 الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية
 الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ بقية الله بالياء وهى تقواه التى تكف عن
 المعاصى ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ احفظكم عن القبائح أو احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
 عليها وانما أنا ناصر مبلغ وقد اعذرت حين انذرت اولست بحافظ عليكم نعم الله لولم
 تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام
 اجابوا به بعد اسرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مشهلا
 يدعوا اليه داع عقلى واعادهاك اليه خطرات ووسوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
 كثير الصلاة فلذلك جعوا وخصوا الصلوة بالذكر وقرأ أجزاء الكسائى وحفص على الافراد
 والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان تترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
 ﴿ أو ان تفعل في امواتنا ما نشاء ﴾ عطف على ما أى وان تترك فماتنا ما نشاء في امواتنا وقرئ
 بالياء فيها على ان العطف على ان تترك وهو جواب النهى عن التطقيف والامر بالايقاف

والله أعلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ولا تمسوا في الارض مفسدين ﴾ يعنى بتقيص الكل
 والوزن ومنع الناس حقوقهم ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ قال ابن عباس يعنى ما بقى الله لكم
 من الحلال بعد ايقاف الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطقيف وقال مجاهد بقية الله
 يعنى طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعنى ما بقاء لكم من الثواب فى الآخرة خير لكم مما
 يحصل لكم فى الدنيا من المال الحرام ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى مصدقين بما قلت لكم و
 امرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعنى احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم
 شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا ﴾
 يعنى من الاصنام ﴿ أو ان تفعل في امواتنا ما نشاء ﴾ يعنى من الزيادة والنقصان قال ابن عباس
 كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يرون به فيرونه يصلى فيستهزؤن

صاحبها فى غرات
 الكفر وفى ذلك تعظيم
 للايمان وتنبه على جلالة
 شأنه أو المراد ان كنتم
 مصدقين لي فيما أقول لكم
 وأنصح به ايكم (وما أنا
 عليكم بحفيظ) لنحمد عليكم
 فأحفظوها بترك الجنس (قالوا
 يا شعيب اصلواتك) وبالتوحيد
 كوفى غير أبى بكر (تأمرك
 أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن
 تفعل في امواتنا ما نشاء)
 كان شعيب عاينه السلام كثير
 الصلوات وكان قومه يقولون
 له ما تستفيد بهذا فكان يقول
 انها تأمر بالحاسن وتنهى
 عن القبائح فقالوا له على وجه
 الاستهزاء اصلواتك تأمرك
 أن تأمرنا بترك عبادة ما كان
 يعبد آباؤنا أو أن تترك
 التبسط في امواتنا ما نشاء
 من ايقاف وتقص وجاز أن
 تكون الصلوات آصرة مجازا
 كما سماها الله تعالى ناعية مجازا
 بالكيل والوزن (ولا تمسوا
 في الارض مفسدين)
 لا تمسوا في الارض الفساد

وبعبادة الارواح ردها الناس اليها وبنحس الكيل والوزن (بقيت الله) ثواب الله على وفاة الكيل والوزن (به)
 (خير لكم) ويقال ما بقى الله لكم من الحلال خير لكم مما تجنسون بالكيل والوزن (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول لكم
 (وما أنا عليكم بحفيظ) بكنيل احفظكم لانه لم يكن مأمورا بقتالهم (قالوا يا شعيب اصلواتك) كثرة صلواتك (تأمرك
 أن تترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (أو ان تفعل) لا تفعل (في امواتنا ما نشاء) من الجنس فى الكيل والوزن

(أنتك لأنت الحليم الرشيد) أي السفيه الضال ﴿ ٣٥٣ ﴾ وهذه تسمية (سورة هود) على القلب استهزاء أولئك

حليم رشيد عندنا ولست
تقبل بنا ما يقتضيه حالك
(قال يا قوم أرايتم ان كنت على
بينة من ربي ورزقي منه)
من لدنه (رزقا حسنا)
يعني النبوة والرسالة أو
ملا حلالا من غير نجس
وتطقيف وجواب أرايتم
مخدوف أي اخبروني ان
كنت على حجة واضحة من
ربي وكنت نبيا على الحقيقة
أيصح لي أن لا أمركم بترك
عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي والانياس
لا يمشون الا لذلك يقال خالفني
فلان لي كذا اذا قصده
وأنت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولي عنه وأنت قاصده
ويقلك الرجل صادرا عن الماء
فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريد انه قد
ذهب اليه واردا وأنا
ذاهب عنه صادرا ومنه
قوله (وما أريد أن أخالفكم
الى ما أنتم عليه) يعني أن
أسبقكم الى شهواتكم

(أنتك لأنت الحليم الرشيد)
السفيه الضال استهزاء به
(قال يا قوم أرايتم ان كنت)
يقول اني (على بينة من ربي)
على بيان نزل من ربي
(ورزقي منه رزقا حسنا)
أكرمني بالنبوة والاسلام
وأعطاني ملا حلالا (وما

وقيل كان ينههم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك ﴿ أنتك لأنت الحليم الرشيد ﴾
تهكموا به وقصدوا وصفه بصد ذلك أو علوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم
بالحم والرشد المائنين عن المبادرة الى امثال ذلك ﴿ قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة
من ربي ﴾ اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ﴿ ورزقي منه رزقا حسنا ﴾ اشارة
الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط مخدوف تقديره فهل يسع لي مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره
ونيه وهو احتذار عما نكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في
منه لله أي من عنده وبعائنه بلا كد مني في تحصيله ﴿ وما يريد ان اخالفكم الى ما أنتم
عليه ﴾ أي وما يريد ان آتي ما أنتم عليه من لا يستبد به دونكم فلو كان صوابا لا أثره ولم
اعرض عنه فضلا عن ان انهي عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه

به ويقولون هذه المقالة وقال الاعشى أقرأه نك لان الصلاة تطلق على التراءه والدعاء وقيل
المراد بالصلاة هنا الدين يعني أديتك بأمرك أن تترك ما يبدأ بأوثان أو أن تفعل في أموالنا ماشاء
وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شيب عابدا للسلام ينههم عن ذلك
ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين ﴿ أنتك لأنت الحليم
الرشيد ﴾ قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف النبي بصدده فيقولون
للدغ سليم وللغلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناه أنتك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بايه من الصحة ومعناه
أنتك يا شيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم ﴿ قال ﴾ يعني
قال لهم شيب ﴿ يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعني على بصيرة وهداية وبيان
﴿ ورزقي منه رزقا حسنا ﴾ يعني حلالا قليل كان شيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق
الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية مخدوف تقديره
أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني
مع هذه النعمة أن اخون في وحيه وأن أخالف أمره وأتبع الضلال أو بنجس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له أنتك لأنت الحليم الرشيد والمعنى
فكيف باقى بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿ قوله ﴾ (وما أريد أن
أخالفكم الى ما أنتم عليه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وأنت قاصده ويقلك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن
صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا أو اذا ذهب عنه صادرا ومنه قوله
وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم عليه أي أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتم عن الاستدوا
دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلا في هذا ان القوم اعترفوا في جوابه حليم
رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يحتمل صاحب على اختيار الطريق الاصبوب
الاصح فكانه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال علي فاعبوا أن الذي اخترته انفي هو

أريد ان أخالفكم الى ما أنتم عليه (قا وخاه ع لث) يقول ما يريد ان افضل ما أنتم عليه من البنجس في الكيل والوزن

التي نهيتكم عنها لاستبد بها
دونكم (ان أريد الا
الاصلاح) ما اريد الآن
أصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهي عن المنكر (ما استطعت)
ظرف أي مدة استطاعتني
للاصلاح وما مدت متكنا
منه لا ألوفيه جهدا
(وما توفيق الابالله) وما
كوني موثقا لاصابة الحق
فيما آتى وأزر الامونته
وتأييده (عليه توكلت)
اعتمدت (واليه أنيب)
أرجع في السراء والضراء
جرم مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى
مفعولين ومنه قوله (ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقى أن
يصيبكم) أي لا يكسبكم
خلافى اصابة العذاب
(مثل ما أصاب قوم نوح
أوقوم هود أو قوم صالح
(ان أريد) ما أريد (الا
الاصلاح) العدل بالكيل
والوزن (ما استطعت وما
توفيقى) بوفاء الكيل والوزن
(الابالله) من الله (عليه
توكلت) فوضت أمرى
اليه (واليه أنيب) اقبل
(ويا قوم لا يجرمنكم)
لا يجرمنكم (شقاقى) بنضى
وعداوتى حتى لا تؤمنوا
ولا توفوا بالكيل والوزن
(أن يصيبكم) نصيبكم
(مثل ما أصاب قوم نوح)

وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴿ ان اريد الا اصلاح ما استطعت ﴾ ما اريد الا ان
اصطحك بأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر ما مدت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما تم عليه لما نهيتكم عنه ولهنه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو
التنبه على ان المساقل يجب ان يراعى في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها
واعلاها حق الله تعالى وانبيها حق النفس واثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان أمركم
بما أمرتكم به وانها كم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقمة موقع الظرف وقيل خيرة بدل
من الاصلاح أي المقدار الذي استطعت أو اصلاح ما استطعت فحذف المضاف ﴿ وما
توفيقى الابالله ﴾ وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الابهدياته ومعونته ﴿ عليه
توكلت ﴾ فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
﴿ واليه أنيب ﴾ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا فيد الحصر بتقديم الصلة على الله
وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة
به في مجامع امره والاقبال عليه بشرائره وحسم اطماع الكفار واطهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بماداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم ﴾
لا يكسبكم ﴿ شقاقى ﴾ معادى ﴿ ان يصيبكم ﴾ مثل ما أصاب قوم نوح ﴿ من الفرق
﴿ أو قوم هود ﴾ من الريح ﴿ أو قوم صالح ﴾ من الرجفة وان بصلتها ثانيا مفعولى

أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البغس والنقصان فأنا مواظب
عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما انتم عليه وقل الزجاج
معناه أنى لست أباها كم عن شئ وأدخل فيها ناعما أختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن الانبارى
بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البغس والتطيفين هو ما يرتضيه لنفسه
ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ﴿ ان أريد ﴾ يعنى ما أريد فيما أمركم به وانها كم
عنه ﴿ الا اصلاح ﴾ يعنى فيما بيني وبينكم ﴿ ما استطعت ﴾ يعنى ما استطعت الا اصلاح
وهو الابلاغ والانتذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدى
من يشاء ويضل من يشاء ﴿ وما توفيقى الابالله ﴾ التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة
على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى الابالله ﴿ عليه توكلت ﴾
يعنى على الله اعتمدت في جميع أمورى ﴿ واليه أنيب ﴾ يعنى واليه أرجع فيما ينزل
من النوائب وقيل اليه ارجع في معادى روى ان رسوا لله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر
شعبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿ وقوله تعالى ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم
شقاقى ﴾ أي لا يجرمنكم خلافا في رعداوتى ﴿ أن يصيبكم ﴾ يعنى عذاب العاجلة على كفركم
وأفعالكم الحبيثة ﴿ مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ يعنى الفرق ﴿ أو قوم هود ﴾ يعنى الريح التي
أهلكتم ﴿ أو قوم صالح ﴾ يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا

يعنى عذاب قوم نوح من الفرق والموفان (أو قوم هود) الهلاك بالريح (أو قوم صالح) الصيحة (وما)

في الزمان فهم أقرب
الهالكين منكم أو في المكان
فنازلهم قريبة منكم أو فيما
يستحق به الهلاك وهو
الكفر والمساوي وسوى
في قريب وبيد وقيل
وكثير بين المذكر والمؤنث
لورودها على زنة المصادر
التي هي الصهيل والنهيق
ونحوهما (واستغفروا ربكم
ثم توبوا إليه ان ربي رحيم)

يفغر لاهل الجفاه من المؤمنين
(ودود) يجب أهل الوفاء
من الصالحين (قالوا يا شعيب
مانفقه كثيرا مما تقول) أي
لانفهم حجة ما تقول والا
فكيف لا يفهم كلامه وهو
خطيب الانبياء (وانا
لنراك فينا ضعيفا) لاقوة
لك ولا عز فيما يتنافلاتقدر
على الامتناع من ان أردنا
بك مكروها (ولولا رهطك
لرجناك) ولولا عشيرتك
لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة
وكان رهطه من أهل ملتهم

(وماقوم لوط) ما خبر قوم لوط
(منكم ببيد) قد بلغكم
ما أصابهم (واستغفروا ربكم)
وحدوا ربكم (ثم توبوا
إليه) اقبلوا إليه بالتوبة
والاخلاص (ان ربي رحيم)
بعباده المؤمنين (ودود)
متودد اليهم بالمغفرة والثواب
ويقال محب لهم ويحبهم
إلى الخلق ويقال يجب
اليهم طاعته (قالوا يا شعيب
مانفقه) ما نعتل (كثيرا مما تقول) مما تأمرنا (وانا لنراك فينا ضعيفا) ضريرا بصرا (ولولا رهطك) قومك (لرجناك) اقتلناك

جرم فانه يمدى الى واحد الى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجر منكم بالضم وهو منقول من
التمدى الى مقول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاه وقرئ مثل
بالقم لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت « حامة في غصون ذات او قال
﴿ وماقوم لوط منكم ببيد ﴾ زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
أوليسوا ببيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراد البيدلان المراد
وما أهلاكهم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها
على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ عانتهم عليه
﴿ ان ربي رحيم ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿ ودود ﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة عن يوده وهو وعد على التوبة بمد الوعيد على الاصرار ﴿ قالوا يا شعيب
مانفقه ﴾ مانفهم ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البنس وما ذكرت
دليلا عليهما وذلك لتصور عقولهم وعدم تفكيرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه اولاهم
لم يلقوا اليه اذ هانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿ وانالتراك فينا ضعيفا ﴾ لاقوة لك فتمتحن منان
اردنا بك سوا أو مهينا لا عز لك وقيل اعنى بلفظ جبروه مع عدم مناسبه يرده التقييد
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباه الاعى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين
﴿ ولولا رهطك ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لظوف من شوكتهم فان
الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ﴿ لرجناك ﴾ لقتلناك برى الاجار أو باصعب

﴿ وماقوم لوط منكم ببيد ﴾ وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم
لوط منكم ببيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ﴿ واستغفروا
ربكم ﴾ يعنى من عبادة الاصنام ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من البنس والنقصان فى الكيل
والوزن ﴿ ان ربي رحيم ﴾ يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا ﴿ ودود ﴾ قال ابن عباس الودود
المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أو دة اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون
ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه
اليهم وقال الحلبي هو الواد لاهل طاعت أى الراضى عنهم باعاليهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح
لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه ﴿ قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا
مما تقول ﴾ يعنى مانفهم ما ندعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لاهى
ولانفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون ﴿ وانالتراك فينا ضعيفا ﴾ قال
ابن عباس وقناة كان اعنى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمعون المكفيع ضعيفا وقال
الحسن وأبوروق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبوروق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا اعنى
ولا نبياه زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف
وقيل هو الذى يتمذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما عبده وهو قوله
﴿ ولولا رهطك ﴾ يعنى جاعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
الى السبعة ﴿ لرجناك ﴾

الى السبعة ﴿ لرجناك ﴾

فذلك أظهروا الميل إليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أي لا تمز علينا ولا تكرم حتى تكرمك من القتل وثرنتك عن الرجم وانما يمز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النبي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح (الجزء الثاني عشر) هذا الجواب ﴿ ٣٥٦ ﴾ وانما قال ارهطى أعز عليكم من الله

وجه ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا دين السفيه المحجوج يقابل المحجوج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النبي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايدائه عزة قومه ولذلك ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ وجعلتموه كالمسئ المنبوذ وراء الظهر باشر اكتم به والا هانة برسوله فلا يتبعون على الله وتيقن على رهطى وهو يحتمل الانتكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهر يامنسوب الى الظهر والكسر من تعبيرات النسب ﴿ ان ربي بما تعملون محبط ﴾ فلا يخفى عليه شئ منها فيما يزي عليها ﴿ ويا قوم اعلموا على مكانتكم انى مامل سوف تعلمون ﴾

يعنى لقتلاك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتماك وأغلظتلك القول ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ يعنى بكريم وقيل بمتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بنوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمته عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسموه الكلام اللطيف الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وولتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله ﴾ يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا رهطى لان الله أعز وأعظم ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ يعنى ونبتتم أسرار الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لا يفت اليه ﴿ ان ربي بما تعملون محبط ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجازيكم بما يوم القيامة ﴿ ويا قوم اعلموا على مكانتكم ﴾ يعنى على تؤذتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعلموا على حال كونكم موصوفين ببنية المكنة والقدرة من الشر ﴿ انى عامل ﴾ يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعلموا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ سوف تعلمون ﴾ أينا الجانى على نفسه الخاطئ في فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع لوصول ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف

والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان ثما ونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسبتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تعبيرات النسب كقوامهم في النسبة الى الامس اسى (ان ربي بما تعملون محبط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعلموا على مكانتكم) هى معنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعنى اعلموا قارين على جهتم التى أتم عليها من الشرك والشنان لى أو اعلموا متمكين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتىنى الله من النصره والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون) (للتفنن)

(وما أنت علينا بعزيز) كريم (قال يا قوم ارهطى) قومي (أعز عليكم من الله) من كتابه ودينه ويقال عقوبة رهطى اشد عليكم من عقوبة الله (واتخذتموه) نبتتموه (وراءكم ظهريا) خلف ظهركم ماجئت به من الكتاب (ان ربي بما تعملون) بعقوبة ما تعملون (محبط) عالم (ويا قوم اعلموا على مكانتكم) على دينكم في منازلكم بلاكى (انى عامل) بلاككم (سوف تعلمون)

من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) من استهامية مطلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأيتاهوكاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشق الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستثناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والأتين بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما ﴿ ٣٥٧ ﴾ الاستثناف { سورة هود } (وارتقبوا) وانتظروا

العاقبة وما أقول لكم (أني معكم رقيب) منتظروا الرقيب بمعنى الرقيب من رقبته كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالشعيرين

بمعنى الماشرأ وبمعنى المراقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم

جبريل صيحة فهلكوا وإنما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقما

ببذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب حتى بالفاء الذي هو للتسيب كقولك وعدته فلما حام الميعاد كان

كيت وكيت وأما الآخرين فقد وقتنا مبتدئين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كالتعطف قصة على قصة (فاصبحوا

من يأتيه عذاب يخزيه ﴿ سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف تعلمون عهد للتصريح بان الاصرار والتكبر فيهم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ﴿ ومن هو كاذب ﴾ عطف على من يأتيه لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما وعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المذبذبة والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارتقبوا ﴾ وانتظروا ما أقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ منتظر فيل بمعنى الرقيب كالضرب أو المراقب كالشعير أو المراقب كالرفيع ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا ﴾ انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بقاء السببية ﴿ واخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جائئين ﴾ متين واصل الجثوم اللزوم في المكان ﴿ كأن لم ينشأ فيها ﴾ كأن لم يقيموا فيها

للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاه العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستثناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر عسانه والمعنى سوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يعني بسبب علمه السيء أو أيتا الشق الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ ومن هو كاذب ﴾ يعني فيما يدعيه ﴿ وارتقبوا ﴾ يعني وانتظروا والعاقبة وما يقول اليه أمرهم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ أي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ يعني بعذابهم واهلاكهم ﴿ نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا ﴾ يعني بفضل منابن هديتهم للايمان ووقفناهم للطاعة ﴿ واخذت الذين ظلموا ﴾ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبغس ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فاتوا جميعا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جائئين ﴾ يعني متين وهو استمارة من قولهم جثم الطير اذا قد ولطأ بالارض ﴿ كأن لم ينشأ فيها ﴾ يعني كأن

في ديارهم جائئين) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بقعة (كأن لم ينشأ فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين

من يأتيه) الى من يأتيه (عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ومن هو كاذب) على الله (وارتقبوا) انتظروا والمالكي (انني معكم رقيب) منتظر لهلاككم (ولما جاء أمرنا) عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا) بنعمة منا (واخذت الذين ظلموا) أشركوا يعني قوم شعيب (الصيحة) بالعذاب (فاصبحوا في ديارهم) فصاروا في مساكنهم (جائئين) متين رمادا (كأن لم ينشأ فيها) كأن لم يكونوا في الارض

مترددین (الأبدا المدين) البعد معنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا لا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى فى البنائين واحد وهو تقيس القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماتى الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أجمعها (الى فرعون وملته فاتبعوا) أى (الجزء الثانى عشر) الملائكة (أمر فرعون) ٣٥٨ ﴿ وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل

﴿ الأبدا المدين كما بعدت ثمود ﴾ شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴾ بالثبوت أو المعجزات ﴿ وسلطان مبين ﴾ وهو المعجزات القاهرة والمصاوير ذكرا لانه ابهرها ويحوز ان يراد بهما واحداً أى ولقد ارسلناه بالجماع بين كونه آياتا وسلطانا له على نبوته واصحابه فى نفسه أو موضعا لهما فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء ﴿ الى فرعون وملته فاتبعوا أمر فرعون ﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى وقاتلوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقتة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ مرشداً وذى رشداً وانما هو غى محض وضلال صريح ﴿ يقدم قومه يوم القيمة ﴾ الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم ﴿ فأوردهم النار ﴾ ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

لتبجيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الالهوية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان ومثله بمنزل عن الالهوية وفيه انهم تابوا الآيات والسلطان المبين وعلوا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط والمراد مما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضا حاشا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل النى فى كل ما ينم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردهم النار) ادخلهم وجى بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه فل قط (الأبدا المدين) لقوم

لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنياه عن غيره ﴿ الأعدا ﴾ يعنى هلاكا ﴿ لمدين كما بعدت ثمود ﴾ قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴿ يعنى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته ﴿ وسلطان مبين ﴾ يعنى ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطانا لان صاحب الحججة يقهر من لاجة ممة كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطانا لانه حجة الله فى الارض ﴿ الى فرعون وملته ﴾ يعنى اتباعه وأشرف قومه ﴿ فاتبعوا أمر فرعون ﴾ بنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما حاهم به موسى ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ يعنى وما طريق فرعون وما هو عليه سديد ولا حيد العاقبة ولا يدعو الى خير ﴿ يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار ﴾ يعنى كما تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة

شعيب من رحمة الله (كما بعدت ثمود) قوم صالح من رحمة الله وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب (فيدخلهم) سواء كلاهما كان الصيحة بالعذاب اسبابهم حرشيد قوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب وقوم شعيب اتاهم من فوق رؤسهم العذاب (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة والآيات هى حجة بينة (الى فرعون وملته) رؤسائه (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا قول موسى (وما أمر فرعون) قول فرعون (برشيد) بصواب (يقدم قومه) عدم ويقود قومه (يوم القيمة فأوردهم النار)

يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس
 الورد) المورد (المورد) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الوارمة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس
 الورد المورد الذي رده النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة ويوم
 القيمة) أي يامنون في الدنيا ويلعنون ﴿ ٣٥٩ ﴾ في الآخرة (بئس { سورة هود } الرغد المرفود) رفدهم

أي بئس العون المعان أو
 بئس العطاء المعطي (ذلك)
 مبتدأ (من أنباء القرى)
 خبر (نقصه عليك) خبر
 بسد خبر أي ذلك النبا
 بعض أنباء القرى المهلكة
 مقصوص عليك (منها)
 من القرى (قائم وحصيد)
 أي بعضها باق وبعضها
 عاق الاثر كالزرع القائم
 على ساقه والذي حصد
 والجملة منسأفة لاجل لها
 من الاعراب (وما ظلماهم)
 باهلاكنا اياهم (ولكن
 ظلموا أنفسهم) بارتكاب

فأدخلهم النار (وبئس الورد
 المورد) بئس المدخل
 فرعون وبئس المدخل قومه
 ويقال بئس الداخل فرعون
 وبئس المدخل قومه ويقال
 بئس الداخل فرعون وقومه
 وبئس المدخل النار
 (وأتبعوا في هذه لعنة)
 اهلكوا في هذه الدنيا لفرق
 (ويوم القيمة) لهم لعنة
 أخرى وهي النار (بئس
 الرغد المرفود) يقول بئس
 الفرق ورفده النار ويقال

أتبعوا مورداً قال ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد
 لتبريد الأكياد وتسكين العطش والنار بالضد الآية كالدليل على قوله وما امر فرعون
 برشيد فإن من هذه عاقبته لم يكن في أمره رشداً أو تفسيره على ان المراد بالرشد
 ما يكون مأمون العاقبة جيدها ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة ﴾ أي
 يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿ بئس الرغد المرفود ﴾ بئس العون المعان أو العطاء المعطي
 واصل الرغد ما يضاف الى غيره ليعمد والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة
 في الدارين ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك البأ ﴿ من أنباء القرى ﴾ المهلكة ﴿ نقصه عليك ﴾
 مقصوص عليك ﴿ منها قائم ﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿ وحصيد ﴾ ومنها
 عاق الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح
 اذ لا واو ولا ضمير ﴿ وما ظلمناهم ﴾ باهلاكنا اياهم ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بأن

فدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا
 فكذلك هو قدوتهم و امامهم في النار ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ يعني وبئس المدخل
 المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار عن يتقدم على الوارد
 الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمداً عند الواردين لانه يكسر
 العطش قال في حق فرعون وأتبعاه فأوردتهم النار وبئس الورد المورد لان الاصل فيه
 قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة ﴿ واتبعوا في هذه ﴾ يعني في هذه
 الدنيا ﴿ لعنة ﴾ يعني طردا وبدا عن الرحمة ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعني واتبعوا لعنة أخرى
 يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا ﴿ بئس الرغد المرفود ﴾ يعني بئس العون
 المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للنعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطي وذلك
 انه ترادف عليهم لعتان لعنة في الدنيا واحدة في الآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى
 ﴿ ذلك من أنباء القرى ﴾ يعني من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية
 ﴿ نقصه عليك ﴾ يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا
 عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ﴿ منها ﴾ يعني من القرى التي اهلكنا
 أهلها ﴿ قائم وحصيد ﴾ يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان تغبر
 سقوف ومنها ما فدحى أمره بالكلية شبه الله تعالى بالزرع الذي يرضه قائم على ساقه
 وبمضه قد حصد وذهب أمره والحصيد معنى المحصود من وما ظلمناهم ﴿ مني بالعداب
 والهلاك ﴾ ولكن ظلموا أنفسهم ﴿ مني بالكفر والمعاصي

بئس العون وبئس المعان (ذلك) الذي ذكرت (من أنباء القرى) في الدنيا من أخبار قرى الماضية (نقصه عليك) نزل
 عليك جبريل بأخبارها (منها قائم) ينظر اليها قد باداهاها (وحصيد) منها ما قد خرب وهلك اهلها (وما ظلمناهم) باهلاكهم
 (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان

ما به أهلكوا (فاغنت عنهم آلهتهم) فاقدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية بحال ماضية (من دون) من شيء (لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وما زادهم) غير تيبيب (تخسير يقال تب اذا خسرو تيبه غيره أوة في الخسران يعني وما أفادتهم { الجزء الثاني عشر } عبادة غير الله ﴿ ٣٦٠ ﴾ شيأ بل اهلكتم (وكذلك) ع

عن ضو هاله بار تكاب ما يوجه ﴿ فا اغنت عنهم ﴾ فانفتحتم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضررتهم ﴿ آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك ﴾ حين جاءهم عذابه وتقمته ﴿ وما زادهم غير تيبيب ﴾ هلاك أو تخسير ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخذ ﴿ اخذ ربك ﴾ وقرى اخذ ربك بالفعل فعل هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿ اذا اخذ القري ﴾ اي اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضى ﴿ وهي ظلمة ﴾ حال من القري وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وقادتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظم نفسه وغيره من وخامة العاقبة ﴿ ان اخذه اليم شديد ﴾ وجميع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالة في التهديد والتحذير ﴿ ان في ذلك ﴾ أي فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصده الله من قصصهم ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعتبر به عظة لعله بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعله يانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام للدنوب المهلكين بها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿ يوم مجموع له الناس ﴾ أي يجمع له الناس والغير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة

﴿ فا اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك ﴾ يعني بعذابهم أي لم تنفهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴿ وما زادهم غير تيبيب ﴾ يعني غير تخسير وقيل غير تدمير ﴿ وكذلك أخذ ربك ﴾ يعني وهكذا أخذ ربك ﴿ اذا أخذ القري وهي ظلمة ﴾ الضمير في وهي عائذ على القري والمراد أهلها ﴿ ان أخذه ألم شديد ﴾ (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفكته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القري وهي ظلمة ان أخذه ألم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مخصص بظلمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم وبمضده الحدث والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ يعني ما ذكر من عذب الامم الحالية واهلاكهم لعبرة وموعظة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في الدنيا من ألم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعداهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ يعني يوم القيامة

الكاف الرفع أي ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القري) أي أهلها (وهي ظلمة) حال من القري (ان أخذه ألم شديد) مؤلم شديد يصعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغير هاضل كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يفترب بالامهال (ان في ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) اميرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت

(فا اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون) يعبدون (من دون الله) من عذاب الله من شيء (لما جاء امر ربك) حين جاء عذاب ربك (وما زادهم) غير تيبيب (غير تيبيب) غير تخسير (وكذلك اخذ ربك) اذا اخذ القري (القري) عذب أهل القري (وهي ظلمة) مشركه كافر

(ان أخذه) عذابه (ألم) وجميع (شديدان) في ذلك (فيما ذكرت لك) (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب) (تجميع) (الآخرة) فلا يقتدى بهم (ذلك) يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) يجمع فيه

الى الناس والهم لا يتفكرون منه مجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه فالسبع في الطرف
بإجرائه مجرى المقول به أى شهد ﴿ ٣٦١ ﴾ في الخلائق الموقف { سورة هود } لا يثبت عنه أحد (وما تؤخره)

أى اليوم المذكور (الا
لأجل معدود) الاجل
يطلق على مدة التأجيل كلها
وعلى منتهاها والعدا
هو المدة لانهايتها ومنتهاها
فمضى قوله وما تؤخره الا لتمام
مدة معدودة بحذف المضاف
أوما تؤخر هذا اليوم الا
لتنتهى المدة التي ضربناها
لبقاء الدنيا (يوم بات)
وبالياء مكى واقفه أبو عمرو
ونافع وعلى في الوصل
واثبت الياء هو الاصل
اذلاعة توجب حذفها
وحذف الياء والاجزاء
عنها بالكسرة كثير في لغة
هذيل ونظيره ما كنا نبغ
وقال بات ضمير يرجع
الى قوله يوم مجموع له الناس
لا اليوم المضاف الى بات
ويوم منصوب باذكر أو
قوله (لا تكلم) أى لا تكلم
(نفس الاباذنه) أى لا تشفع
أحد الا باذن الله من الذى
يشفع عنده الاباذنه (فمنهم)
الص؛ يلاهل الموقف له لمة
لا تكلم تنس عليه وقدم
ذكر الناس في قوله مجموع
له الناس (شقى) معذب
(وسعيد)

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أى مشهود فيه اهل السموات والارضين ما تسع فيه باجراء الطرف
مجرى المقول به كقوله

في محفل من نواصي الناس مشهود

اى كز شاه دوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه
فان اسائر لا يام كذلك ﴿ وما تؤخره ﴾ أى اليوم ﴿ الا لأجل معدود ﴾ الا لتمام مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف واردة مدة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود
﴿ يوم يأتى ﴾ أى الجزاء أو اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله
عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه • وقرا ابن عامر وعاصم وحزرة يأت
بحذف الياء اجترأ عنها بالكسرة ﴿ لا تكلم نفس ﴾ لا تكلم بما ينفع وينبئ من جواب
أو شفاعته وهو الاسبب للطرف ويحتمل نصبه اكتفاء بضممار اذ ذكر أو بالانتهاء المحذوف
﴿ الاباذنه ﴾ الاباذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذنه الرحمن وهذا في موقف
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيه تذرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي
الجوابات الحققة والمنوع عنها هي الاعذار الباطلة ﴿ فمنهم شقى ﴾ وجبت له النار
بمقتضى الوعيد ﴿ وسعيد ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد والتصيير لاهل الموقف

تجمع فيه الخلائق من الاوابين والآخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين
﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ معنى يشهده اهل السماء وأهل الارض ﴿ وما تؤخره الا لأجل
معدود ﴾ معنى وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم بمعدود
وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى ﴿ يوم بات ﴾ أى ذلك اليوم ﴿ لا تكلم
نفس الاباذنه ﴾ قيل ان جمع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه
الا باذن الله تعالى • قال قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآتية وبين قوله سبحانه وتعالى
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا
مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم • قلت يوم القيامة يوم طويل
وله احوال مخلقة وفيه أهوال عظيمة ففيه من الاحوال لا يصدرون على الكلام
لشدة الاحوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فتكلمون وفي بعضها تمنع
عنهم تلك الاحوال فيعاجون ويجادلون وينكرون وتبيل المراد من قوله لا تكلم
نفس الاباذنه الشفاعته بمعنى لا تشفع تنس انفس شيأ الا أن اذن الله لها في الشفاعته
﴿ فمنهم ﴾ أى من اهل الموقف ﴿ شقى وسعيد ﴾ الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي
معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصالح وتسره لهام
السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان
نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية

الاولون والآخرون (وذلك
يوم مشهود) يشهد اهل السماء

وأهل الارض (وما يؤخره) أى ذلك اليوم (لا تكلم
نفس) لا تشفع نفس صالحة لا أحد (الاباذنه) بأمره (فمنهم) من الناس يومئذ (شقى) لا يكتف عليه الشقاوة (وسعيد) لا يكتف عليه السعادة

أى ومنهم سيد أى منعم (فأما الذين { الجزء الثاني عشر } شقوا في النار ﴿ ٣٦٢ ﴾ لهم فيها زفير) هو أول شهيق الحما

وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أول الناس ﴿ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول البهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ونغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وأنحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الجيرة وقرئ شقوا بالضم ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض ﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأييد دوامهم واقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأييد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد

وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الفرقد فانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمعد وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيصير لعل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لييسر لي الآية بقيع الفرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفونهم والمخضرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسكن يديه الانسان والنكت بالنون والياء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لانهما لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لاحسنات لهم ولاسيئات فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث ﴿ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها ﴾ أى في النار من العذاب والهوان ﴿ زفير وشهيق ﴾ أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق ردا النفس الى الصدر أو الزفير مده و اخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضمك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف ﴿ خالدين فيها ﴾ يعني لابئين مقيمين في النار ﴿ مادامت السموات والارض ﴾ قال الضمك يعني مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقاهم فكل ما علاك فاطلك فهو سماء وكل

(وشهيق) هو آخر ما وهما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار (خالدین فيها) حال مقدرة (ما دامت السموات والارض) في موضع النصب أى مدة دوام السموات والارض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وأرضها قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل مادام فوق وتحت ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلمهم اما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء وهو عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع كقول العرب ملاح كوكب وغير ذلك من كلمات

(فأما الذين شقوا) كتب عليهم الشقاوة (في النار لهم فيها زفير) صوت كزفير الحمار في صدره وهو أول ما ينهق (وشهيق) كشهيق الحمار في حلقه وهو آخر ما يفرغ من نيقه (خالدین فيها) دائمين في النار (مادامت السموات والارض) كسواء السموات والارض منذ

هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة وهم المستنون من أهل الجنة أيضا لمفارقةهم إياها بكونهم في النار إياها فهو لا علم بشقاوة من يدخل النار على التأيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقادة رضى الله عنهم

خلقت الى ان تفتى (الاما شاه ربك) وقد شاء ربك أن يخلدوا في النار ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة مادامت السموات والارض وبنو آدم الا ماشاء ربك أن يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يحول الله ما يشاء وينبت ويقال يكونون دائمين في النار مادامت السموات والارض سماء النار وأرض النار الاماشاء ربك أن يخرجهم من أهل التوحيد من كانت شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بإيمانه خالعا

سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان أهل الآخرة لا يبدلهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فاعايرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يحدى له التشبيه (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعل هذا لم يكن قوله ففهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم متقية عن قسمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع وههنا المراد ان أهل الموقف لا يخرجون عن التقسيم وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين أو لان أهل النار ينقلون منها الى الزهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والقوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الاهتنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الاقان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأيد وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الاماشاء ربك ﴾ اختلف العلماء في معنى هذين الاثنيناين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشقاوة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجهم البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سقم فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصين أقواما سقم من النار بذنوب أصابوها عتقوا بئلهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورجته فيقال لهم الجنة جهنميون (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة اسمون الجنة جهنميين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل

(ان ربك فعال لما يريد) بالشي والسعيد (و أما الذين سعدوا) سعدوا جزوة وعلى وحض سد لازم وسعدته يسمنه متعه
(ففي الجنة خالدن فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن له
سوى الجنة ما هو أكبر { الجزء الثاني عشر } منها هو رؤية الله ﴿ ٣٦٤ ﴾ تعالى ورضوانه أو معناه الا من

شاء أن يذبه بقدر ذنبه
قبل أن يدخله الجنة وعن
أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاستثناء في الآيتين
لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا
أنه لا يكون للمسلم العاصي
الذي دخل النار خلود
في النار حيث يخرج منها
ولا يكون له أيضا خلود
في الجنة لانه لم يدخل
الجنة ابتداء والمعتزلة لما
لم يروا خروج الصاة
من النار ردوا الاحاديث
المروية في هذا الباب وكفى
بها غامبين (عطاء غير مجذوذ)
غير مقطوع ولكنه تمتد الى
غير نهاية كقوله لهم أجر

﴿ ان ربك فعال لما يريد ﴾ من غير اعتراض ﴿ واما الذين سعدوا في الجنة خالدن
فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ غير مقطوع وهو تصريح
دخولهم الجنة فملى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدن فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم
الجنة ﴿ ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا في الجنة خالدن فيها مادامت السموات
والارض الا ماشاء ربك ﴾ أن يدخله النار اولاً ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فحاصل
هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة
سعداء أصابوا ذنوباً استوجبوا بها عقوبة بسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان
اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً وقيل ان الاستثنائين يرجعان الى الفريقين
السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتسابهم في البرزخ وهو ما بين
الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
فيكون المعنى خالدن في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ماشاء ربك سوى
ما شاء ربك فيكون المعنى خالدن فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من
الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الألفين أي سوى ألفين وقيل الا
يعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو
كقوله تعجب وتعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي والذين ظلموا
وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها
قال القراء هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك
وعزمه أن يضربه فهذه الأقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو
القول الاول ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج
من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فاما على التفصيل
فقوله الا ماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد
حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل
فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ماشاء
ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب
الاشقياء معناه الا ماشاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والمهزبر وفي جانب
السعداء معناه الا ماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول
الاول هو المختار ويبدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج
منها بل هو خالد فيها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾

(ان ربك فعال لما يريد) كما
يريد (و أما الذين سعدوا)
كتب لهم السعادة (ففي الجنة
خالدن فيها) دائماً في الجنة
(مادامت السموات
والارض) كدوام السموات
والارض منذ خلقنا
(الا ماشاء ربك) وقد شاء
ربك أن يحوله من السعادة
الى الشقاوة لقوله يحمو الله
ما يشاء من السادة الى
الشقاوة ويبت وترك
ويقال يكونون في الجنة

دائمين مادامت السموات والارض سماء الجنة وأرض الجنة الا ماشاء ربك أن يذبه في النار قبل أن يدخله (يعنى)
الجنة ثم يخرجهم من النار ويدخله الجنة فيكون بذلك دائماً في الجنة (عطاء) نوابها (غير مجذوذ) غير منقوص وغير مقطوع

غير ممنون وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قيل كفرت الجهنمية باربع آيات عطاء غير مجذوذاً كلها دأبهم وما عند الله لا تقبل
لامقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من نعمة وما أعد لهم من عذابه قال (فلانك في مرتبة
عما يبده هؤلاء) أي فلانك بعد ﴿ ٣٦٥ ﴾ ما أنزل عليك { سورة هود } من هذه القصص في سوء عاقبة

عبادتهم لما أصاب أمثالهم
قبلهم تسلياً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعدة
بالانتقام منهم ووعدا لهم
ثم قال (ما يبعدون الا كما
يبعد آباؤهم من قبل) يريد
أن حالهم في الشرك مثل
حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل
بآبائهم فسيبزلن بهم مثله وهو
استئناف معناه تمليل النبي
عن المربة وما في عما وكما
مصدرية أو موصولة أي
من عبادتهم وعبادتهم أو عما
يبعدون من الاوثان ومثل
ما يبعدون منها (وانا لموفوهم
نصيبيهم) حظهم من
العذاب كما وفينا آباءهم
انصبا هم (غير منقوص)
حال من نصيبهم أي كاملاً
(ولقد آتينا موسى
الكتاب) التوراة (فاختلف
فيه) آمن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف في القرآن
وهو تسلياً لرسول الله صلى
الله عليه وسلم (ولولا كلمة
سبقت من ربك) انه
(فلانك في مرتبة)
في شك (عما يبعد هؤلاء)
أهل مكة (ما يبعدون
الا كما يبعد آباؤهم من قبل)
من قبلهم وهلكوا على ذلك
(وانا لموفوهم نصيبهم) عقوبتهم

بان التوب لا ينقطع وتنبه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولا جله فرق
بين الثواب والمقاب في التأيد . وقرأ أجزاء والكسائي وحقق سعدوا على البناء للمقول من
سعدوا الله بمعنى اسعدوا وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي اعطوا عطاء أو الحال من الجنة
﴿ فلانك في مرتبة ﴾ شك بعدما نزل عليك من مال امرئ الناس ﴿ عما يبعد هؤلاء ﴾ من
عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك
سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يبعدونه في انه يضر ولا ينفع ﴿ ما يبعدون الا كما يبعد
آباؤهم من قبل ﴾ استئناف معناه تمليل النبي عن المربة أي هم وآباؤهم سواء في الشرك
أي ما يبعدون عبادة الاكباد آباؤهم أو ما يبعدون شيئاً الا مثل ما عبده من الاوثان
وقد بلغك ما لحق آباؤهم من ذلك فسيحققهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل
في المسببات ومعنى كما يبعد كما كان يبعد لحذف لدلالة قبل عليه ﴿ وانا لموفوهم نصيبهم ﴾
حظهم من العذاب كما بانهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبهم ﴿ غير منقوص ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيه حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فآمن به
قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعني كلمة

يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال
تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود
أنه قال يا أيها الذين آمنين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً وعن أبي هريرة
نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء ما كن
المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج
جميع الموحدين وخلود الكفار فيها ويكون محجولاً على اخراج الكفار من حر النار الى
برد الزمهرير ليزدادوا عذاباً فوق عذابهم والله اعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلانك
في مرتبة عما يبعد هؤلاء ﴿ يعني فلانك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هؤلاء
الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ما يبعدون الا كما يبعد آباؤهم من قبل ﴾ يعني انه ليس
لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباؤهم يعبدونها فعبدها مثلهم ﴿ وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي
قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب
الذي قدر لهم في الآخرة كاملاً موفراً غير ناقص ﴿ قوله عز وجل ﴾ وانا لموفوهم نصيبهم
موسى الكتاب ﴿ يعني التوراة ﴾ فاختلف فيه ﴿ يعني في الكتاب فنهم مصدق به
ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا
كلمة سبقت من ربك ﴾

(غير منقوص) ويقال نزلت هذه الآية وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص في القدرية (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعني
التوراة (فاختلف فيه) في كتاب موسى آمن به بعض وكفر به بعض (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن

لا يعاجلهم بالعباب (لغضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالعباب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن أو من العذاب (مريب) من أرب الرجل اذا كان ذاربية على الاسناد المجازى (وان كلا) التووين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما سزبده جى* بهما ليفصل بهما بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الماوطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم من ايمان وجمود وحسن وقيام بمكس الاولى أبو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخفف على الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثليل ولان ان تشبه { الجزء الثانى عشر } الفعل والفعل ﴿ ٣٦٦ ﴾ يعمل قبل الحذف ويعد نحو لم يكن

الانظار الى يوم القيامة ﴿ لغضى بينهم ﴾ بانزال ما يستحقه المبطل ليميزه عن الحق ﴿ وانهم ﴾ وان كفار قومك ﴿ لفي شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مريب ﴾ موقع للريبة ﴿ وان كلا ﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتووين بدل من المضاف اليه . وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما سزبده للفصل بينهما . وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما قبلت التون مما لا ادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ ﴿ لما بالتووين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ ﴿ به ﴾ انه بما يعملون خبير ﴿ فلا يفوت عنده شئ منه وان خفى ﴾ فاستقم كما أمرت ﴿ لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالوسط بين التشبيه والتعظيم بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين

يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ لغضى بينهم ﴾ يعنى لمذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه ﴾ يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد ﴿ مريب ﴾ يعنى أنهم قد وقعوا فى الريب والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت فقيه وعدل المحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذابين الكافرين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ الخطاب فيه لاني صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر فى فاستقم للتأكيد لان

ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ما قيل فيه انه من لممت الشئ جفته لما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجازان يكون مثل الدعوى والثوى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهري وان كلا بالتووين كقوله أكلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلا ملومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة لهم أجون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصارا كأنه قيل وان كلا بما بشوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ليس لي بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت)

(النى)

استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل

أمتك (لغضى بينهم) لفرغ من هلاكهم ولجاء هم العذاب (وانهم لفي شك منه مريب) ظاهر الشك (وان كلا) كلا الفريقين (لما ليوفينهم) يقول يوفهم (ربك أعمالهم) ثواب أعمالهم بالحسن حسنا وبالسيئ سيئا (انه بما يعملون) من الخير والشر والثواب والعقاب (خير فاستقم) على طاعة الله (كأمرت) فى القرآن

عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للفصل يعني فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله
مخلصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿ ٣٦٧ ﴾ (انه بما { تعمالون بصير } فهو مجازيكم

فاتقوه قبل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتي هود (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تعيلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لا يتبع الكفرة أي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعوكم اليه (فتمسك النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تطغوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فمين ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله من عالم يزور طالما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه واتدب مثل سفيان عن ظالم أشرف (ومن تاب معك) من الكفر

والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تقريط وافراط مفوت الحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتي سورة هود ﴿ ومن تاب معك ﴾ أي ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بتفصل لقيام الفاصل مقامه ﴿ ولا تطغوا ﴾ ولا تخرجوا عما حدلكم ﴿ انه بما تعمالون بصير ﴾ فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التمليل للاسراء والتهيب وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بخوف قياس واستحسان ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ ولا تعيلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزي بزيتهم وتمظيم ذكرهم ﴿ فتمسك النار ﴾ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فاطنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم الميل اليهم كل الميل ثم بالظلم النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيتك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيتك ﴿ ومن تاب معك ﴾ يعني ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه روغان الثلب (م) عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ ولا تطغوا ﴾ يعني ولا تجاوزوا أمرى الى غير ولا تصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم عنه ﴿ انه بما تعمالون بصير ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى ظلم باعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاد الدين أحد الاغلبه فسدوا وقاربوا وأبسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب وان يقاوى فسدوا أي اقصوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلوه فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة اشارة الى ثقيله ﴿ وقوله تعالى ﴾ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴿ قال ابن عباس ولا تعيلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وتال أبو الصالية لا ترضوا باعمالهم وتال السدي لانها منوا الشلابة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا ﴿ فتمسك النار ﴾

الشرك أينما نلتهم معك (ولا تملوا) لا تكفروا ولا تعصوا بما أن من الحلال والحرام (انه بما تعمالون) من ابر
الشرك (بصير ولا تركنوا) لا تعيلوا (الى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي (فتمسك) فتصيبكم (النار) كما تصيبهم

نفسه والانهماك فيقول لعل الآية تبلغ ما يتصور في النبي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي اقراط وتفريط فانه ظلم على نفسه وغيره بل ظلم في نفسه وقرى تركنوا فتمسك النار بكسر التاء على لغة تميم وتركوا على البناء للمفعول من اركنه ﴿ومالك من دون الله من اولياء﴾ من انصار ممنون العذاب عنكم والواو للصلال ﴿ثم لا تنصرون﴾ أي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يهذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم اتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا ﴿واقم الصلوة طرفي النهار﴾ غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه

فتصبيكم النار بجرها ﴿ومالك من دون الله من اولياء﴾ يعني أعوانا وأنصارا ممنونكم من عذابه ﴿ثم لا تنصرون﴾ يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله فداي القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضى ما عملهم أو أحجم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿واقم الصلوة طرفي النهار﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمر افقت ان في البيت تمر اهو أطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فايتت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فايتت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فايتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غايبا في سبيل الله في أهله يمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطويلا حتى أوحى الله اليه وأتم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فانته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وأتم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي هذه الآية قال لمن عمل بها من أمم وفي رواية فقال رجل من القوم يا بني الله هذه خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرأيت رجلا لني امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل وأتم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات نذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين فاسره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ وبصلى فان مماذا نزلت يا رسول الله ألي هذه خاصة أم للمتقين عامة فقال بل للمتقين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث

على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء قبل لا تقبل له يموت قال دعته يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسك النار أي فتمسك النار وأنتم على هذا الحالة ومعناه ومالك من دون الله من أولياء يقدر على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتدبيركم ومعنى ثم الاستبعاد أي الصلوة من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

(ومالك من دون الله)
من عذاب الله (من اولياء)
من اقرباء تحفظكم من
عذاب الله (ثم لا تنصرون)
لا تمنعون مما يراد بكم
(واقم الصلوة) أتم الصلاة
(طرفي النهار) صلاة الغداة
والظهر ويقال صلاة الغداة
والظهر والمصر

مضاف اليه ﴿ وزلفا من الليل ﴾ وساعات منه قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشيية العصر وقيل الظهر والمصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء «وقرى» زلفا بضمين وضمة وسكون كبسر وبسرف بسرة وزلني بمعنى زلفة كقربني وقربة ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى

ليس يتمصل لان عبدالرحمن بن أبي ليل لم يسمع من معاذ إلا ما التفسير فقله سبحانه وتعالى وأتم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والمصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حل الطرف الثاني على صلاة العصر ﴿ وزلفا من الليل ﴾ يعني واقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن «زاد في رواية ما لم تفش الكبائر» وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما سبق من الدرر قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وهو أما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح وانها ثلاث شرائط الضرط الاول الافلاع عن الذنب بالكلية، الثاني الندم على ما فعله، الثالث العزم المأم أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط محت التوبة وكانت مقبولة نساء الله - ال وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول حسان الله والمجدته ولا اله الا الله - ال

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وصلاة الغداة الفجر وصلاة العشيية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانها مضافان الى الوقت كقولك أفت عندك جمع النهار وأيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب أو الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها أو سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله أكبر

(وزلفا من الليل) دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات) الصلوات الخمس (يذهبن السيئات) يكفرن السيئات دون الكبائر ويقال سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله أكبر

(ذلك) اشارة الى فاستقم فابدهم والقرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعتلين نزلت في عرب بن خزيمه الانصاري بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا با كيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك ثقيل له خاصة بل للناس عامة (واصبر) على امثال ما أسرته به والانتباه عما نهيته عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتغل على جميع الاوصاف والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسات (فلولا كان من القرون { الجزء الثاني عشر } من قبلكم) ﴿ ٣٧٠ ﴾ فلولا كان وهو موضوع للتخصيص

عليه وسلم فقال اني قد اسببت من امرأة غير اني لم آتتها فنزلت ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى قوله فاستقم وما ابده وقيل الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴾ عظة للمتعتلين ﴿ واصبر ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ فان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان واعماله بانه لا يعتد به مادون الاخلاص ﴿ فلولا كان ﴾ فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ﴿ من الرأي والعقل أو أولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبق افضل ما يخرج منه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية أي ذوا بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاء ببقية اذا رقبه ﴿ ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ﴾ عن انجينا منهم ﴿ لكن قليلا منهم انجياهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللزوم للتخصيص

وخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبق مما يخرج من اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهون

أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الحسن وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدي الروايتين عنه وكعب القرظي والضحاك وجهوا المفسرين ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴾ يعني عظة للمؤمنين المطيعين ﴿ واصبر ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المسلمين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلولا كان من القرون ﴿ يعني فهلا كان من القرون التي أهلكتهم ﴾ من قبلكم ﴿ يعني يا أمة محمد ﴾ أولوا بقية ﴿ يعني أولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بنية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ﴿ ينهون عن الفساد في الارض ﴾ يعني يقومون بالتهمة عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير نهي عن الفساد في الارض فلذلك أهلكتهم ﴿ الا قليلا ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ﴿ وعن انجينا منهم ﴾ يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض

عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأتمته ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلآتهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الاقليلا عن انجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا عن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في من انجينا لبيان لا لتبعض لان النجاة للناهي وخدمه بدليل

(واتبع)

قوله انجينا الذين نهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا

(ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعتلين ويقال كفارات لذنوب التائبين نزلت في سأن رجل عار يقال له ابو اليسر بن عمر (واصبر) يا محمد على ما أسرته وعلى اذاهم (فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والعمل (فلولا كان من القرون) يقول لم يكن من القرون الماضية (من قبلكم أولوا بقية) من المؤمنين (ينهون عن الفساد في الارض) عن الكفر والنسك وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (الاقليلا عن انجينا منهم) من المؤمنين

(واتبع الذين ظلموا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمرا أى الاقليل من أئمتنا منهم نحو عن الفساد واتبع الذين ظلموا شمولاً لهم فهو عطف على نحو (ما ترفوا فيه) أى اتبعوا ما عرفوا فيه التعم والترفع من حب الرياسة والذروة وطلب أسباب العيش النهى ورفضوا الأمر ﴿ ٣٧١ ﴾ بالمعروف والنهى { سورة هود } عن المنكر ونبذوه وراء

ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظالماتها (وأهلها) قوم (مصلحون) تزيماً للداته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فساداً آخر (ولو شاء ربك لجلدنا المشرك من أين يتقون) أى متفقين على الإيمان والطاعات عن الاختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسرو ذلك رافعاً للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والإيمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار (واتبع الذين ظلموا) اشتغل الذين أشركوا (ما ترفوا فيه) بما نعموا فيه في الدنيا من المال (وكانوا

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ أى ما نعموا فيه من الشهوات واهتوا بتحصيل أسبابها واعرضوا عما وراء ذلك ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فسق الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع مطوف على مضمرا دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقري واتبع أى واتبعوا جزاء ما ترفوا فنكون الواو للتعاليق ويجوز أن يفسر به المشهورة وبمضده تقدم الانجاء ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ بشرك ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فساداً وتباغياً وذلك لفرط رجزه ومساحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق المباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ﴿ ولو شاء ربك لجلدنا المشرك من أين يتقون ﴾ مسلمين كلهم وهود ليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وإن ما اراده يجب وقوعه ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لانتكاد ﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ما نعموا فيه والذم التعم والمعنى أنهم اتبعوا ما تعودوا به من التعم وابتدأ اللذات على الآخرة ونعيمها ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ يعنى كافرين ﴿ وما كان ربك ﴾ يعنى وما كان ربك يا محمد ﴿ ليهلك القرى بظلم ﴾ يعنى لا يهلكهم بظلم منه ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ يعنى في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضاً بالصلاح والساد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أماعذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء أن حقوق الله مبناه على المسامحة والمساهلة وحقوق الابد مبناه على التضيق والتشديد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو شاء ربك لجلدنا المشرك من أين يتقون ﴾ يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك مسلم وكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضاً اختلافاً كثيراً لا ينضبط عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وأثنى وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية رضى الله عنه قال قام فيا رسول

مجرمين) مشركين (وما كان ربك ليهلك) أهل (القرى بظلم) منهم (وأهلها مصلحون) فيما من يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ويقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون مقيمون على الطاعة مستمكون بها (ولو شاء ربك لجلدنا المشرك من أين يتقون) لجمعهم على ملّة واحدة ملّة الاسلام (ولا يزالون) ولكن لا يزالون (مختلفين) في الدين والباطل

ذلك (الامن رحم ربك) { الجزء الثاني عشر } الاناس اعصمهم ﴿ ٣٧٢ ﴾ الله عن الاختلاف فاتفقوا على

تجدائين يتفقان مطلقا ﴿ الامن رحم ربك ﴾ الاناس اهداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرجعة وان كان لمن قالى الرحم ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ وعيده أو قوله للملائكة ﴿ لا ملأن جهنم من الجنة والناس ﴾ أى من عصائهما ﴿ اجبين ﴾ او منهما اجبين لان احدهما ﴿ وكلا ﴾ وكل نبأ ﴿ نقص عليك من انباء الرسل ﴾ نخبرك به ﴿ ما ثبت به فؤادك ﴾ بيان لكلا أو بدل منه وفائدة التثنية على المقصود من الاقتصار وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار أو مفقول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع

الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من اهل الكتاب افرقتوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفرق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر وابده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (الا من رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصرراط المستقيم فهم لا يختلفون ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرجة خلقهم يعنى الذين يرجهم وقال الثراء خلق أهل الرجة للرجة وخلق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرجة للرجة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجملهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرجة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ وتمت كلمة ربك لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجبين ﴾ وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة والرجة فهداهم ووقفهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للاضلاله والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما ثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل

الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فنسبنا خلقهم للذى علم أنهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخالفهم تغير الذى علم أنهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجبين) لعله بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التوین فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من انباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما ثبت به فؤادك) يدل من كلا

(الامن رحم) عصم (ربك) من الباطل والاديان الخلفة وهم المؤمنون (ولذالك خلقهم) للرجة خلق أهل الرجة وللاختلاف خلق أهل الاختلاف (وتمت كلمة ربك) وجب قول ربك (لا ملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (اجبين وكلا نقص عليك) كما بينت لك (من انباء الرسل) من أخبار

(يعنى)

الرسول (ما ثبت به فؤادك) لى نطيب به قلبك أنه قد فعل بخيرك من الانبياء ما قبل بك

(وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكري للمؤمنين) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الأدلة أثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على مكاتمكم) على حالكم وجهتكم ﴿ ٣٧٣ ﴾ التي أتممت { سورة هود } عليها (انا عاملون) على

مكاتمنا (وانظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتضى الله تعالى من النقم النازلة بأشبا همكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلا بد أن يرجع اليه أمرهم وأمرك فينتقمك منهم يرجع نافع وحفص (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (ومار بك بنافل عما يعملون) وبالثناء مدني وشامي وحفص أي أنت وهم على تغليب الخطاب قبل خاتمة التوراة

(وجاءك في هذه) السورة (الحق) خبر الحق (وموعظة) من الماصي (وذكري) عظة للمؤمنين (وقل للذين لا يؤمنون) بالله وباليوم الآخر وبالسلالة وبالكتب وبالنبين (اعملوا على مكاتمكم) على دينكم في منازلكم بهلاككم (انا عاملون) في هلاككم (وانظروا) هلاككم (انا منتظرون) هلاككم (ولله غيب السموات

الاقتصاص نقص عليك ما ثبت به فؤادك من انباء الرسل ﴿ وجاءك في هذه ﴾ السورة أو الانباء المقتصة عليك ﴿ الحق ﴾ ما هو حق ﴿ وموعظة وذكري للمؤمنين ﴾ اشارة الى سائر فوائده العامة ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتمكم ﴾ على حالكم ﴿ انا عاملون ﴾ على حالنا ﴿ وانظروا ﴾ بنا الدوائر ﴿ انا منتظرون ﴾ ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيها ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ فيرجع لامرهم وامرهم واسرهم اليه ﴿ وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول ﴾ فاعبده وتوكل عليه ﴿ فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد ﴿ ومار بك بنافل عما يعملون ﴾ انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه ﴿ قرأ نافع وابن

يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به فؤادك يعني ما تقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتنامي بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه ﴿ وجاءك ﴾ يا محمد ﴿ في هذه الحق ﴾ اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين ﴿ فان قلت قد جاء الحق في سورتين فلماذا خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر لثبوتها ﴿ وموعظة وذكري للمؤمنين ﴾ أي وهذه السورة موعظة تمنع بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتمكم ﴾ فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما أتم عاملون فستعملون عاقبة ذلك العمل فهو كقولهم اعملوا ما شئتم ﴿ انا عاملون ﴾ يعني ما أمرنا به ربنا ﴿ وانظروا ﴾ يعني ما يهدمكم به الشيطان ﴿ انا منتظرون ﴾ يعني ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يعني يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ يعني الى الله يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة ﴿ فاعبده ﴾ يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشغل بعبادة غيره ﴿ وتوكل عليه ﴾ يعني وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك من ومار بك بنافل عما تعملون ﴿ قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها

(والارض) ما غاب عن العباد (واليه يرجع الامر) والى الله يرجع أمر العباد (كله) في الآخرة (فاعبده) (وتوكل عاينه) ثق به (ومار بك بنافل عما تعملون) من

هذه الآية وفي الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ﴿ سورة يوسف عليه السلام وهي مائة وأحدى { الجزء الثاني عشر } عشرة آية ﴿ ٢٧٤ ﴾ شامى وأثنا عشرة مكي

عامر وحفص بالتمام وفي آخر النمل ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهو دوا صالِح وشيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة وأحدى عشر ﴿

﴿ قيل الاثنتا عشرة آيات من اولها ﴿

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿

الرتك آيات الكتاب المبين ﴿ تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انها من عند الله أو لليهود ماسألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراه المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت نبي فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿

وهي مكية باجماعهم وهي مائة وأحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى أرتك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل أرتك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿

﴿ قوله عز وجل ﴿ أرتك ﴿ تقدم تفسيره في أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ تلك ﴿ اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بألر هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴿ وهو القرآن أى البين حاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبن بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبن الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿ (أرتك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب والتي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قدامين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة

المعاصي ويقال تبارك عوبة مات عملون كالم يفضل .

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها يوسف وهي كاهامكية آياتها مائة وأحدى عشرة وكلها ألف وسبعمائة وست وسبعون وحروفها سبعة آلاف ومائة وست وتسعون ﴿

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿

وياسناده عن ابن عباس في

قوله تعالى (الر) يقول أنا الله ارى ما تقولون وما تعملون وان ما يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم هو كلامي (انا) ويقال قسم اسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

وسف عليه السلام (انا أنزلناه ﴿ ٣٧٥ ﴾ قرآنا عربيا) أي { سورة يوسف } أنزلنا هذا الكتاب الذي

فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسُمي بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه ولوجملناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقصص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما اوحينا اليك هذا القرآن) أي بإيحاءنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان والهي (انا أنزلناه قرآنا عربيا) يقول انا أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد على مجرى لغة العربية (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما رتبتم به وما نهيتم عنه (نحن نقص عليك) نبين لك (أحسن القصص) أحسن الخبر من

﴿ انا أنزلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ سمي البعض قرآنا لأنه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما لكل بالقلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا وأحوال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فبدأ وأحوال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ عللة لانزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموما أو مقروا بلفظكم كي تفهموه وتخطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم ففعلوا ان اقتصاصه كذلك بمن لم يتم القصص مجزا لا يتصور الا بالإيحاء ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ أحسن الاقتصاص لأنه اقتصر على ابدع الاساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والبرهان بمعنى مفعول كالتقص والسلب واشتقاقه من قص أثره ذاتبمه ﴿ بما اوحينا ﴾ أي بإيحاءنا ﴿ اليك هذا القرآن ﴾ يعني

﴿ انا أنزلناه ﴾ يعني هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي أنزلناه بلفظكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة ساوا محمد صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالامبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب وعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحجج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ يعني تفهمون أي بالعرب لأنه نازل بلفظكم ﴿ قوله تعالى ﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴿ الاصل في معنى القصص اتباع الخبر ببعضه بعضا والقصص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يتقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من البر والحكم والذكاء والقوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصدى على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من القوائد المذكورة في هذه السورة الكريمة قال خالد بن ممدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكهما أهل الجنة في الجنة وذلك عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها - وقوله تعالى ﴿ بما اوحينا اليك ﴾ يعني بإيحاءنا اليك يا محمد ﴿ هذا القرآن

أخبار يوسف واخوته (بما اوحينا اليك) بالذي اوحينا اليك جبريل به (هذا القرآن) في هذا القرآن

بما أوحينا إليك هذا القرآن فمن عنده والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابداع طريقة وأجيب أسلوب فانك لا
اقتصاصه في كتب الاولين مقار بالاقصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصود فمعناه نحن نقص عليك احسن ما
من الاحاديث وانما كان احسن لما تضمن من العبر والحكم والنجائب التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقتص في باب كذا
فلان اعم الناس أي في فنوه الجزء الثاني عشر { اشتقاق القصص من قصص } ٣٧٦ ﴿ أثره ذاتبعه لان الذي يقص الحد

يتبع ما حفظ منه شيئاً قشياً
(وان كنت من قبله) الضمير
يرجع الى ما أوحينا (لمن
الفاصلين) عندها من غنفة من
الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية يعني وان الشأن
والحديث كنت من قول ايجاشا
اليك من الجاهلين به (اذ
قال) بدل اشتمال من احسن
القصص لان الوقت مستعمل
على القصص أو التقدير
اذكر اذ قال (يوسف)
اسم عبراني لا عربي اذ لو
كان عربياً لانصرف ظلوه
عن سبب آخر سوى
التعريف (لا ييه) يعقوب
(بأبت) ابت شامى وهى
تاء التأنيث عوضت عن ياء
الاضافة لتناسبها لان كل
واحدة منهما ما زالت في آخر
الاسم ولهذا قلت هاء
في الوقف وحاز الحاق تاء
التأنيث بالمد كذا في رجل
ربعة وكسرت التاء لتدل على
الياء المحذوفة ومن قنع
التاء فقد حذف الالف من
ياأبت واستبقى الفتحمة قبلها
كافمل من حذف الياء في

السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر ﴿ وان
كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقترع سمك قطوه هو
تمليل المكونه موحى وان هى الخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة ﴿ اذ قال يوسف ﴾
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولاً بدلاً لاشتمال أو منصوب باضمار اذكر يوسف
عبرى ولو كان عربياً لصرّفه وقرى بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى انه مضارع
بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بهمته ﴿ لا ييه ﴾ يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنده عليه الصلاة والسلام الكرم ابن الكرم ابن الكرم
ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ﴿ يا ب ﴾ اصله يا بنى فموض عن
الياء تاء التأنيث لتناسبها في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وقبها ابن ماسر في كل القرآن لانها
حركة اصلها أولانه كان ياءاً فحذف الالف وبقي الفتحمة وانما حاز باباً ولم يجزنا بئى لانه
جمع بين العوض والمعوض وقرى بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وانما تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها
ككاف الخطاب ﴿ انى رأيت ﴾ من الرؤيا لان الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذاتأويل رؤياى من قبل ﴿ احد عشر كوكبا والشمس والقمر ﴾ روى

وان كنت ﴿ أى وقد كنت ﴾ من قبله ﴿ من قبله ﴾ يعنى من قبل وحيها اليك ﴿ لمن الغافلين ﴾ يعنى عن
هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتلاه عليهم زما فاقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث
فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا
رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل ألم يأت الذين آمنوا أن نخضع قلوبهم لذكر الله قوله
عز وجل ﴿ اذ قال يوسف لا ييه ﴾ أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لا ييه يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلهم أجسين (خ) عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لا يجرى فيه الصرف وقيل
هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسف العبد
واجتمع في يوسف مسمى به ﴿ يا ب ﴾ أى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

يا غلام انى رأيت) من الرؤيا لان الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماءها بيان النبى عليه السلام جرمان ولدناك (رأيتهم)
والطارق واس وعودان والفليق والمصحح والضروح والفرغ ووناب وذو الكنفين (والشمس والقمر) سماأبواه وأبوه وخاله

(وان كنت) وقد كنت (من قبله) من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن (لمن الغافلين) عن خبر يوسف واخوته (اذ قال)
تدال (يوسف لا ييه يا ب انى رأيت) فى منام النهار (أحد عشر كوكبا) نزلن من أما كهن وسجدن لى سجدة التوبة
وهم اخوته أحد عشر اخا (والشمس والقمر

والكواكب اخوته قبل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في (يا أيها الذين آمنوا)

ساجدين) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء ﴿٣٧٧﴾ وهو السجود {سورة يوسف} وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية تتعلق بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن ثقي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصيراخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال ياقب) بالفتح حيث كان حفص (لاتفصص رؤياك) هي بمعنى الرؤية إلا أنها مخصصة بما كان منها في المنام دون اليقظة وفرق بينهما بمجرى التأنيث كافي القرية والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك) جواب النهي أى ان قصصها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوته وينعم عليه بشرف الدارين فحقاق عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدوني لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليقيد معنى فعل الكيد مع اعادة معنى الفعل المضمن فيكون أكد وأبلغ في التحويص وذلك نحو فيمتالوا لك ألا ترى الى تأكيد المصدر وهو (كيدا

عن جابر رضى الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن اليوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والديال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى أى والله انها لاسماؤها ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ استأنف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرر وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ﴿ قال ياقب ﴾ تصغرا بن صغره للشفقة أو لصغر السن لأنه كان ابن اثني عشرة سنة * وقرأ حفص هنا في الصفات بفتح الياء ﴿ لاتفصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾ فيمتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته وبفوقه

رأيتهم لى ساجدين ﴿ معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعا الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في الأول اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خاله لأن أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكور وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثني عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أسرهم وقيل أراد به حقيقة السجود لأنه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود * فان قلت ان الكواكب جاد لا تعقل فكيف عمر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات * قالت لما أخبرنا بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخاوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمجسمين يزعمون أن الكواكب آحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح * فان قلت قد قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤيا ما يوافق رأيتهم لى ساجدين فافائدة هذا التكرار * قلت معنى الرؤيا الأولى رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أمر بالشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وسرفهما على سائر الكواكب قال أهل الصير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبوه يخضعون له فهذا من قال ﴿ يعقوب ﴾ ياقب لاتفصص رؤياك على اخوتك ﴿ أى فيمتالوا يفتقروا لاهلاكهم رؤياك فانهم يعرفون تأويلها ﴿ فيكيدوا لك كيدا ﴾ أى فيمتالوا

أينهم لى ساجدين) قول رأيت الشمس والقمر (نا و ح ٤٨ لث) رأيت الشمس والقمر لى ساجدة التحية وهذا أبواه اجل ويعقوب (قال) يعقوب ليوسف في السر (ياقب) اذا رأيت رؤيا عدو هذا (لاتفصص) لا تخبر (رأيت على اخوتك) لا تخونك (فكيدوا لك كيدا) فيمتالوا لك حيلة تكون بها لك

على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيتهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم
ففرق بينهما بحرفي التسانيث كالتقربة والتقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افاق
التخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها التماثلاتكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن اذنى فراغ فتصور بما فيها بما يلقى بها من المعانى
الحاصلة هناك ثم ان التخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فتربطها الى الحس المشترك فتصير
مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه وانعاضى كاد باللام وهو متعد
بنفسه لتضمنه معنى فعل يمدى به تأكيداً لذلك اكد بالمصدر وعله بقوله ﴿ ان الشيطان
للانسان عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يلا لوجهما فى

فى اهلاكك فامر به بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا
لك كيدا تأكيداً للصلة كقولك نعتك ونعتك وشكرتك وشكرتك ﴿ ان الشيطان
للانسان عدو مبين ﴾ يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان
ذلك مضافاً الى تزوين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة رضى الله عنه قال كنت أرى
الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا
السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يجب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم
ما يكره فليقل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره
(خ) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى
غير ذلك مما يكره فاعاها من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها
لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرها فليصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً
وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ﴿ عن أبي رزين العقيلي رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعةين ﴿ وفى رواية جزء من ستة وأربعين جزءاً من
النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قل وأحسبه قال ولا يحدث
بها الا لبيبا أوحيباً أخرجه الترمذى ولا يداود ونحوه قال الشيخ محي الدين النووى قال
المازرى مذهب أهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها
فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يتعنه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه
الاعتقادات فكأنه جعلها علماء على أمور أخر يجعلها فى نانى الحلال والجميع خالق الله تعالى
ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها علماء على ما يسر بغير حضرة الشيطان
فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازاً وان
كان لافل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من
النيطان لاعلى أن الشيطان يفعل شيئاً والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال

ان الشيطان للانسان عدو
مبين (ظاهر العداوة
فيحملهم على الحسد والكيد
(ان الشيطان للانسان)
لبنى آدم (عدو مبين) ظاهر
العداوة يحملهم على الحسد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذي دلت عليه رؤياك (يحتيك ربك) بصطفيك والاجتباء والاصطفاء افعال من حيث
 شيء اذا حصلت لنفسك وجيت الماء ﴿ ٣٧٩ ﴾ في الحوض { سورة يوسف } جته (ويملك) كلام مبتدأ

غير داخل في حكم التشبيه
 كأنه قيل وهو يملك (من
 تأويل الاحاديث) أي
 تأويل الرؤيا وتأويلها
 عبارتها وتفسيرها وكان
 يوسف أعب الناس للرؤيا
 أو تأيل أحاديث الانبياء
 وكتب الله وهو اسم جمع
 للحديث وليس يجمع
 أحاديث (وتم نعمته عليك
 وعلى آل يعقوب) بأن
 وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
 الآخرة أي جعلهم أنبياء
 في الدنيا وملوكا وتلقاهم
 عنها الى الدرجات العلى
 في الجنة وآل يعقوب أهله
 وهم نسله وغيرهم وأصل
 آل أهل بدليل تصديره على
 أهيل الا انه لا يستعمل الا
 قمين له خطر يقال آل
 النبي وآل الملك ولا يقال
 آل الحجاج ولكن أهله وآل
 علم يعقوب ان يوسف يكون
 نبيا واخوته أنبياء استدلالا
 بضوء الكواكب فلذا قال
 وعلى آل يعقوب (كما
 أتمها على أبويك من قبل)
 أراد الجد وأب الجد (ابراهيم
 واسحق) عطف بيان
 لأبويك

تسويلهم وأثاره الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما اجتباك لئلا
 هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكال نفس ﴿ يحتيك ربك ﴾ للنبوة والملك أو
 لامور عظام والاجتباء من جيت الشيء اذا حصلت لنفسك ﴿ ويملك ﴾ كلام مبتدأ
 خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يملك ﴿ من تأويل الاحاديث ﴾ من تفسير الرؤيا لانها
 احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تأويل
 غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كما باطيل اسم
 جمع للباطل ﴿ وتم نعمته عليك ﴾ بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ يريد به سائر بنيهم ولعله استدلل على نبوتهم بضوء الكواكب
 أو نسله ﴿ كما أتمها على أبويك ﴾ بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى
 اسحق بإتقاده من الذبح وفدائه بذبح عظيم ﴿ من قبل ﴾ أي من قبلك أو من قبل هذا
 الوقت ﴿ ابراهيم واسحق ﴾ عطف بيان لأبويك

غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان
 كانتا جميعا من خلق الله وتدييره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة
 ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليتعد ذنابه من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتقل ثلثا ولا يتحول الى جنبه الآخر
 فانها لانضرة فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا
 لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ وكذلك يحتيك ربك ﴿ يعني
 يقول يعقوب ويوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا
 الشريفة العظيمة كذلك يحتيك ربك يعني بصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد
 تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلاسى من العبد وذلك
 مختص بالانبياء أو بعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ﴿ ويملك ﴾
 من تأويل الاحاديث ﴿ يعني به تفسير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أمره الى ما رأى في
 منامه يعني يملك تأويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة
 والسلام أعلم الناس بتفسير الرؤيا وقال الزجاج تأويل احاديث الانبياء والامم السالفة
 والكتب المنزلة وقال ابن زيد يملك العلم والحكمة ﴿ وتم نعمته عليك ﴾ يعني
 بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون
 درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتبة والمناصب
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من تمام
 النعمة عليهم ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ﴾ بأن جعلهما نبيين
 وهو المراد من تمام النعمة عليهما وقيل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله

(وكذلك) هكذا
 (يحتيك) بصطفيك (ربك)

بالنبوة (ويملك من تأويل الاحاديث) من تفسير الرؤيا (وتم نعمته عليك) بالنبوة والاسلام أي عمتك على ذلك (وعلى آل يعقوب)
 بك أي وتم نعمته على أولاد يعقوب بك (كما أتمها) نعمته بالنبوة والاسلام (على أبويك من قبل) من قبلك (ابراهيم واسحق)

﴿ ان ربك عليم ﴾ بن يستحق الاجتهاد ﴿ حكيم ﴾ يفعل الاشياء على ما ينفي ﴿ لقد كان في يوسف واخوته ﴾ أي في قصتهم ﴿ آيات ﴾ دلائل قدرة الله وحكمته وعلامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية ﴿ للسائلين ﴾ لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وربالون وبشجر ودينه من بنت خالته لياتزوجها يعقوب اولاً فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرماً حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبهله

عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذ خليلاً والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد ﴿ ان ربك عليم ﴾ يعنى بمصالح خلقه ﴿ حكيم ﴾ يعنى انه تعالى لا يفعل شيئاً الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد كان في يوسف واخوته ﴿ يعنى في خبره وخبر اخوته وأسمائهم روبييل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون وبشجر وأمهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والآخرى بهله اربعة اولاد وأسمائهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت لياتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفراً ﴿ آيات للسائلين ﴾ وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سأله عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فحببوا منه فسلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المنقمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئاً فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أو حاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل ألقائه في الجب وبيعه عبداً وسجنه بسد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما نسئل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من باوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ

(ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتهاد (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحدثتهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شئ آية مكي (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سأله من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسمائهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وزبولون وبشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبهله فلما توفيت لياتزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف

ان ربك عليم) بنعمته (حكيم) باتمامها ويقال عليهم برؤياك حكيم بما يصيبك (لقد كان في يوسف) في خبر يوسف (واخوته آيات) عبرات (للسائلين) عن خبرهم نزلت هذه الآية في خبر من اليهود

(اذ قالوا ليوست وأخوه حب إلى أبنائنا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبة لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا ﴿ ٣٨١ ﴾ وأخوه وهم { سورة يوسف } أخوته أيضا لان أمهما

كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفضل من لا يفرق فيه بين الواحد ومافوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعرف واذا أضيف ساع الامران والواو في (ونحن عصبه) للحال أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة تقوم بمرافقه فمخن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان ابانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الذين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اطبقوا على ذلك الا من قال لاقتلوا يوسف وقيل الأمر بالقتل شمعون والباقر كانوا راضين فلهذا أمرن (أوطرحوه أرضا) مذكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو

﴿ اذ قالوا ليوست وأخوه ﴾ بنيامين، مخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين ﴿ أحب إلى ابنا منا ﴾ وحده لان أفضل من لا يفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخوته فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ﴿ ونحن عصبه ﴾ والحال ان جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيران لا كفاية فيهما والعصبة العشرة فصاعدا سمو بذلك لان الامور تعصب بهم ﴿ ان ابانا في ضلال مبين ﴾ تفضيله المفضل أو لترك التعديل في المحبة روي انه كان أحب إليه لما يرى فيه من الخمايل وكان أخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاع عمله المحبة بحيث لم يصر منه قبالع حسدهم حتى جعلهم على التعرض له ﴿ اقلوا يوسف ﴾ من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامن قال لاقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أو دان ورضى به الآخرون ﴿ أوطرحوه أرضا ﴾

﴿ اذ قالوا ﴾ يعني أخوة يوسف ﴿ ليوسف ﴾ اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف ﴿ وأخوه ﴾ يعني بنيامين وهما من أم واحدة ﴿ أحب إلى ابنا منا ونحن عصبه ﴾ انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبه هي العشرة فإزاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبه والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهنط والفر ﴿ ان انا في ضلال مبين ﴾ يعني لفي خطأ بين في ايشاره حب يوسف علينا مع صفه لانفع فيه ونحن عصبه نفعه وتقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب غايه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة لمحصنة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير أولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر أخوته فان قلت الذي فعله أخوة يوسف بسوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبار وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض لعقوق وهو من الكبار أيضا وكل ذلك قاذح في عصمة الانبياء فا الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من أخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال صراحيين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فلي هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء ﴿ قوله تعالى حكيات عن أخوة يوسف ﴾ اقلوا يوسف أو طرحوه أرضا

(اذ قالوا) أخوة يوسف بعضهم لبعض (ليوسف) وأخوه بنيامين (أحب إلى ابنا) أثر عنده (منا) ونحن عصبه (ان ابانا

في ضلال مبين) في خطأ بين في حب يوسف واختياره علينا ثم قال بعضهم ليه ن (اقلوا يوسف أو طرحوه أرضا) في حب

معنى تنكيرها واخلاقها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخجل لكم وجهه) ايكم يقبل عليكم اقبالا واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم {الجزء الثاني عشر} والمراد ﴿ ٣٨٢ ﴾ سلامة محبتهم ممن يشاركونهم فيها

فكان ذكر الوجود تصوير
معنى اقباله عليهم لان
الرجل اذا اقبل على
الشيء اقبل بوجهه وجاز
ان يراد بالوجه الذات
كاقال ويبقى وجه ربك
(وتكونوا) مجزوم عطفاً
على يخجل لكم (من بعده)
من بعد يوسف أي من بعد
كفايته بالقتل أو التعريب
أو من بعد قتله أو طرحه
فيرجع الضمير الى مصدر
اقتلوا أو اطرحوا (قوما
صالحين) تائبين الى الله ما
جئتم عليه أو يصلح حالكم عند
أيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا
وكان أحسنهم فيه رأياً
(لاقتلوا يوسف) فان
القتل عظيم (وألقيوه
في غيابة الجب) في قعر
البئر وما غاب منه عن عين
الناظر غيابات وكذا ما بعده
مدني

منكورة بيده من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
﴿ يخجل لكم وجه ايكم ﴾ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ايكم فيقبل بكميته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد ﴿ وتكونوا ﴾ جزم بالمطغ
على يخجل أو نصب باضماران ﴿ من بعده ﴾ من بعد يوسف والفراغ من امره أو قتله
أو طرحه ﴿ قوما صالحين ﴾ تائبين الى الله تعالى عما جئتم أو صالحين مع ايكم يصلح
ما بينكم وبينه بعد تهمدونه أو صالحين في امر دنياكم فانه ينظم لكم بعده بخلو وجه
ايكم ﴿ قال قائل منهم ﴾ يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأياً وقيل روييل ﴿ لاقتلوا
يوسف ﴾ فان القتل عظيم ﴿ وألقيوه في غيابة الجب ﴾ في قعره سمي به لغيوبته عن عين
الناظرين • وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه تلك الجب غيابات • وقرئ

يخجل لكم وجه ايكم ﴿ لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم
لا بد من تبديد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل
سرة واحدة أو التعريب الى الارض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان يفتقره
الاسد والسباع أو عوت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله
يخجل لكم وجه ايكم والمعنى انه قد شغفه حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف
أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ يعني من بعد
قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه ﴿ قوما صالحين ﴾ يعني تائبين فنوبوا الى الله يصف
عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب
الكبائر قالوا تتوب الى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل
معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ايكم • فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه
منهم وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى تكون
هذه الافعال قادمة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل
ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله ﴿ قال
قائل منهم لاقتلوا يوسف ﴾ يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال
قادة هو روييل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً واحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله
وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه
سناً ﴿ وألقيوه في غيابة الجب ﴾ يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع
ستر شيئاً وغيه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع
ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب
مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قادة هو بئر بيت المقدس وقال
وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل
يعقوب وانما عنيوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم

(يخجل لكم وجه ايكم)
يقول يقبل عليكم أبوكم
بوجهه (وتكونوا من بعده)
من بعد قتله (قوما صالحين)
تائبين من قتله ويقال صلحت
حالكم مع ايكم (قال قائل منهم)
من اخوة يوسف وهو يهوذا

لاخوته (لاقتلوا يوسف وألقيوه) ولكن اطرحوه (في غيابة الجب) في أسفل الجب ويقال في ظلمته (ياتقطه)

(يلتقطه بعض السيارة)
 بعض الاقوام الذين
 يسرون في الطريق
 (ان كنتم فاعلين) به شيئاً
 (قالوا يا ابا ناسك لا تأمنا
 على يوسف وانا له لناحمون)
 أي لم تخافنا عليه ونحن
 نريد له الخير ونشقق عليه
 وأرادوا بذلك لما عزموا
 على كيد يوسف استنزاه
 عن رأيه وطأته في حفظه
 منهم وفيه دليل على أنه
 أحسن منهم بما أوجب ان
 لا يأمنهم عليه (أرسله معنا
 غدا نرتع) تتسع في أكل
 الفواكه وغيرها والرتعة
 السعة (ونلعب) نخرج
 بما يباح كالصيد والرمي
 والركض بالياء فيهما مدني
 وكوفي وبالنون فيهما
 مكي وشامي وأبو عمرو
 وبكسر العين ججازي من
 ارتعى برتعى افعال من الرعي

(يلتقطه) يرفعه
 (بعض السيارة) ماري
 الطريق من المسافرين
 (ان كنتم فاعلين) به أمراهم
 جاؤا الى أبيهم (قالوا)
 لايبهم (يا ابا ناسك لا تأمنا
 على يوسف وانا له لناحمون)
 حافظون (أرسله معنا غدا
 يرتع) يذهب ويحبي
 وينشط (ونلعب) يله

غبية وغيابات بالتشديد ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه ﴿ بعض السيارة ﴾ بعض الذين يسرون
 في الارض ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ بمشورتى أو ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
 ﴿ قالوا يا ابا ناسك لا تأمنا على يوسف ﴾ لم تخافنا عليه ﴿ وانا له لناحمون ﴾ ونحن
 نشقق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاه عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
 والمشهور تأمنا بالادغام باسماء وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما
 من كلمتين ونشنا بكسر التاء ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ تتسع في أكل الفواكه
 ونحوها من الرتعة وهى الحصب ﴿ ونلعب ﴾ بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر
 العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي ياسبه وقرأ الكوفيون ويعقوب
 بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر

﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ وذلك ان هذا الجب كان معروفاً عليه كثير من المسافرين والاتقاط
 أخذ الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض
 المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ فيه اشارة الى ترك
 الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدران
 كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالفن ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم
 يكونوا بالفن وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا
 يا ابا ناسك لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق استعمل
 فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير
 الذى لا ذنب له والقدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفالة الله عن ذلك
 كله حتى لا يأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله
 وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم
 الله فلا أجروا على التفرق بين يوسف وبين والده بصرب من الحيل ﴿ قالوا ﴾
 يعنى قال اخوة يوسف يعقوب ﴿ يا ابا ناسك لا تأمنا على يوسف ﴾ بدؤا بالانكار
 عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أتخافنا عليه اذا أرسلته معنا ﴿ وانا له
 لناحمون ﴾ المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والطف والمعنى وانا
 لما طفقوا عليه تأمنون بمصلحته ويحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك
 انهم قالوا لايبهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزنى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك
 لا تأمنا على يوسف وانا له لناحمون ثم قال ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ يعنى الى الصحراء
 ﴿ نرتع ﴾ الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقته في شهواته والاصل في الرتع
 أكل البهائم في الحصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير
 ﴿ ونلعب ﴾ اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصده
 مقصداً صحيحاً سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا
 يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد بالاسباب الاقضاء على المباحات لاجل الشرايح

(واناله لحافظون) من ان يناله مكروه (قال اني ليحزني ان تذهبوا به) أي يحزني ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف
أن يأكله الذئب وأنتم منه { الجزء الثاني عشر { غافلون) اعتذر ﴿ ٣٨٤ ﴾ اليه بان ذهابكم به مما يحزني لا

العين ويلب بالرفع على الابتداء ﴿ واناله لحافظون ﴾ ان يناله مكروه ﴿ قال اني ليحزني
ان تذهبوا به ﴾ لشدة مفارقتة على وقلة صبري عنه ﴿ وأخاف ان يأكله الذئب ﴾ لان الارض
كانت مذابئة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همز ما على
الاصل ابن كثير وناصح في رواية قالون وابو عمرو ووقفا وعاصم وابن عاصم ودرجا ووقفا وسجدة
درجا واشتقاقه من تنأيت ابرج اذا هبت من كل جهة ﴿ وانتم عنه غافلون ﴾ لا تشغالكم بالرتع
واللب أو لقله احتماكم بحفظه ﴿ قالوا ان يأكله الذئب ونحن عصبة ﴾ اللام موطة للقسم
وجوابه ﴿ انا اذا لحاسرون ﴾ ضعفاء مذونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالحسار والواو
في ونحن عصبة للحال ﴿ فلما ذهبوا به واجموا ان يحملوه في غيابة الجب ﴾ وعزموا على ألقائه
فيها والبئر بثريت المقدس أو بئر ارض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من
مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم

الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضی الله عنه هلا بكرة بالاعبها وتلاعبك
وأیضا فان لمبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام
على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل
معنى نزع وتلب وتنعم وتأكل وتلهو وتنشط ﴿ واناله لحافظون ﴾ يعني نجتهد
في حفظه غاية الاجتهاد حتى ترده اليك سالما ﴿ قال ﴾ يعني قال لهم يعقوب عليه
الصلاة والسلام ﴿ اني ليحزني ان تذهبوا به ﴾ أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب
بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة
والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بذنيرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقتة
ايه يحزني لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله ﴿ وأخاف ان يأكله
الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولبيهم وذلك ان يعقوب
عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ان ذبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام
فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئب في أرضهم كثيرة ﴿ قالوا ﴾
يعني قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب ﴿ ان يأكله الذئب ونحن عصبة ﴾ أي جماعة
عسرة رجال ﴿ انا اذا لحاسرون ﴾ يعني عجزه ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعوا
عليهم يعقوب بالحسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على حفظ اخنا فكيف تقدر
على حفظ مواشينا فمن اذا خسرون ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلما ذهبوا به ﴿ فيه اضمار واختصار
تقدره فارسله معهم فلما ذهبوا به ﴿ واجموا ان يحملوه في غيابة الجب ﴾ يعني وعزموا
على أن يلقوه في غيابة الجب

ذكر قصة ذهابهم يوسف عليه الصلاة والسلام

قال وهب وغيره من أهل السير والخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق ان ا

لايهم (ئن أكله الذئب ونحن عصبة) عسرة (انا اذا لحاسرون) انا جزون ويقال من نور بنك حرمة (خرج)
الوالد والاخ (فلما ذهبوا به) بعدما أذن لهم ذهابه (واجموا ان يحملوه) يقول اجتمعوا على ان يطرحوه (في غيابة الجب)

كان لا يصبر عنه ساعة وانده
يخاف عليه من عدوة
الذئب اذا غفلوا عنه
برعيهم ولبيهم (قالوا ان
أكله الذئب) اللام موطة
للقسم والقسم محذوف
تقديره والله ان يأكله الذئب
والواو في (نحن عصبة)
أي فرقة محتمة مقتدرة
على الدفع للحال (انا اذا
لحاسرون) جواب للقسم
محزى من جزاء الشرط
أي ان لم تقدر على حفظ
بعضنا فقد هلكت مواشينا
اذا وخسرناها وأجابوا عن
عذره الثاني دون الاول لان
ذلك كان يظنهم (فلما
ذهبوا به واجموا ان يحملوه
في غيابة الجب) أي عزموا
على ألقائه في البئر وهي بئر
على ثلاثة فراسخ من منزل
يعقوب عليه السلام وجواب
لما محذوف تقديره فعلوا به
ما فعلوا من الاذى فقد روى

(واناله لحافظون) مشفقون
(قال) أي وهم (اني ليحزني ان
تذهبوا به) بلا أراه (وأخاف
ان يأكله الذئب) لانه رأى
في منامه ان ذبا يشد عليه
فمن ذلك قال وأخاف ان
يأكله الذئب (وأنتم عنه
غافلون) باللح وفعال
مغولون مما لكم (بالا)

لمبارزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما اهدت عوني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه ليلطخوه بالدم ويختالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قصي اوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيهما ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه

تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له ائسل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا اباانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يا بني قال نعم يا ابيت انى ارى من اخوتى اللين واللطيف فاحب ان تاخذنى وكان يعقوب يكره مفارقتة ويحب مرضاته فاذنه ولأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما يبدوا عنه وصاروا الى الصحراء القوه على الارض وأظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا ابيتاه يا يعقوب لورأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا ابيتاه .أسرع مانسوا عهدك وشيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذة روبيل وجلده به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهوذا وقال له اائق الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ما على هذا ما هدت عوني الا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه فى هذا الجب اما أن يموت أو يلقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه فقال يا اخوتاه ردوا على قصي لاستتربه فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم ارشياً فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه ائدعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلوثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فجعل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه فى الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رجعة أدركتهم فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه ففهمهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بشه مع اخوته أخرج له قيص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين ألقى فى النار فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى فى الجب فاضاعله الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه حبريل فانس به

انهم لما برزوا به الى البرية أظهر والده العداوة وضرروه وكادوا يقتلونه ففهمهم يهوذا فلما أرادوا ألقاه فى الجب تعلق بشيابهم فنزعوا هام من يده فتعلق بجناط البئر فربطوا يديه ونزعوا قيصة ليلطخوه بالدم ففختالوا به على ابيهم وادلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن شيابه فاتاه حبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تيممة علقها فى عنق يوسف فاخرجه حبريل والبسه اياه فى أسفل الجب

جبرائيل عليه السلام بالوحي كما قال ﴿واوحينا اليه﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان سراجا اوحى اليه في صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين اتى في التارجر دعن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام شميس من حر الجنة فالبسهاياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجمعه في تخيمة طقة يابوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسهاياه ﴿لتنبتهم باسهم هذا﴾ لتحدثهم بما فعلوا بك ﴿وهم لا يشعرون﴾ انك يوسف لملوشا نك وبصه عن او هامهم وطول المهدي المنعير للعلل والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بعصر حين دخلوا عليه مختارين فرفههم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله وتطيبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل

فلما امسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال لها اذا ربهت شيا قتل يا صرخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتسلم حالي ولا يخفى عليك شئ من امرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما اتى يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غابا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا فيه فابا فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم اتى في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا ياتي به بالطعام فذلك قوله تعالى ﴿واوحينا اليه لتنبتهم باسهم هذا﴾ يعني لتضربن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويشره بالخروج ويخبره انه سينبتهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغافي ذلك الوقت أو كان صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغافا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جمعه نبي في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تليقها الى من أرسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والنم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون﴾ يعني يا محاشا اليك وأنت في البر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه قربا زاد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتضربن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويعبر

(واوحينا اليه) قيل أوحى اليه في الصغر كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا لتبنتهم باسهم هذا) أي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لملوشا نك وكبرياه سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه مختارين فرفههم وهم له منكرون دما بالصواع فوضعه على يده ثم تفره فظن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أسبكم يقال له يوسف وانكم ألقبتموه في نجابة الجب وقلتم لايه أكله الذنب ويعتموه بمن بنحس أو يتلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي آسناء بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(واوحينا اليه) الى يوسف أرسلنا اليه جبريل ويقال الهمة (لتبنتهم) لتضربنهم يا يوسف (بأسهم) بصنيعهم (هذا) بك (وهم لا يشعرون) وهم لا يعلمون انك يوسف حتى يخبرهم ويقال لا علموا بوحينا الى يوسف

(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والعسر على الاعتذار (يكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف
فلا سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فالكم وأين يوسف (قالوا يا أباانا ذهبتنا لتبتق) أي
تسابق في المدوا وفي الرمي والاقتمال ﴿ ٣٨٧ ﴾ والتفاعل يشتركان (سورة يوسف) كالارتقاء والترامى وغير

ذلك (وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذئب وما
أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا
(ولو كنا صادقين) ولو كنا
عندك من أهل الصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وأنت سي الظن
بتأغير واثق بقولنا (وجاؤا
على قيصه بدم كذب)
ذي كذب ووصف بالمصدر
مبالغة كأنه نفس الكذب
ومينه كما يقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور
بذاته روى أنهم ذبحوا
سحلة ولطخوا القميص
بدمها وزل عنهم ان يعزوه
وروى ان يعقوب عليه
السلام لما سمع بخبر يوسف
صاح بأعلى صوته وقال أين
القميص فأخذه وألقاه
على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رأيت كاليوم ذئبا
أحلم من هذا أكل ابني ولم
يمزق عليه قيصه وقيل كان
في قيص يوسف ثلاث آيات
كان دليلا يعقوب على

باوحينا أي أنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ أي آخر النهار وقرى
عشاوه وتصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشا من البكاء ﴿يكون﴾
متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني واين يوسف ﴿قالوا يا انا انا ذهبتنا
لتبتق﴾ تسابق في المدوا وفي الرمي وقد يشترك الاقتمال والتفاعل كالانتضال والتناضل
﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا
صادقين﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف ﴿وجاؤا على قيصه بدم كذب﴾ أي
ذي كذب بمعنى مكذوب فيدو ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للبالغة وقرى بالنصب على
الحال من الواو أي جاؤا كاذبين وكذب بالمال غير المجبة أي كدرا وطرى وقيل اصله
البياض الخارج على اغفار الاحداث فتشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قيصه في موضع
النصب على الطرف أي فوق قيصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور

مستوليا عليهم ويصيرون تحت أسرهم وقهره ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ يكون ﴿
قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة
اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون وبصرخون
فسمع أصواتهم فزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شيء
في غنمكم قالوا لا قال فالصوابكم وأين يوسف ﴿قالوا يا أباانا ذهبتنا لتبتق﴾ قال ابن
عباس يعني نتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي
بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فصل ذلك
ليتين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعني تشتد وتدو والمضى نستبق على الاقدام
ليتين أي أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمضى نستبق الى الصيد
﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعني عندنا ﴿فأكله الذئب﴾ يعني في حال استبقانا
وغفلت عنه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ يعني وما أنت بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ يعني في قولنا
والمضى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك
تبهنا في قولنا هذا وقيل مضاه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانهم
تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا ﴿وجاؤا على قيصه﴾ يعني قيص يوسف ﴿بدم
كذب﴾ أي مكذوب فيه قال ابن عباس أنهم ذبحوا سحلة وجعلوا دمها على قيص
يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب
لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهمم بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا
هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأطلقه الله

كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على برائة يوسف حين قدم من دبره وعمل على قيصه النصب على الطرف كأنه

(وجاؤا أباهم) الى أبيهم (عشاء) بعد الظهر (يكون) على يوسف (قالوا يا أباانا انا ذهبتنا لتبتق) نتضل ونصطاد
(وتركنا يوسف عند متاعنا) ليحفظه (فأكله الذئب) كما قلت (وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا) وان كنا
(صادقين) في قولنا (وجاؤا على قيصه) لطخوا على قيصه (بدم كذب) دم جدي ويقال طرى

قيل وجاؤا فوق قميصه يدم (قال) يعقوب عليه السلام (ل سوات) زينت أوسهات (أكم أنفسكم أصرا) عظيما ارتكبتمو
 (فصبر جيل) خيرا ومبتدا لكونه موصوفا أي قاصري صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو مالا شكوى فيه الى الخلق (والله
 المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رقيقة تصير من قبل
 مدين الى مصر وذلك (الجزء الثاني عشر) بعد ثلاثة ﴿ ٣٨٨ ﴾ أيام من ألقاء يوسف في الجب فأخطأ

الطريق فنزلوا قريبا منه
 وكان الجب في قفرة بعيدة
 من العمران وكان ماؤه ملحا
 فعدب حين ألقى فيه يوسف
 (فأسلوا واردهم)
 هو الذي يرده الماء ليستقي
 للقوم اسمه مالك بن ذعر
 الحزاعي (فادلى دلوه)
 أرسل الدلو ليلبأها

روى انما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى
 خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذنبا احلم من هذا اكل ابني ولم عزق عليه
 قميصه ولذلك ﴿ قال بل سوت لكم أنفسكم أصرا ﴾ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم
 أصرا عظيما من السؤل وهو الاسترخاء ﴿ فصبر جيل ﴾ أي قاصري صبر جيل أو فصبر جيل
 أجل ﴿ وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي الى الخلق ﴾ والله المستعان على
 ما تصفون ﴿ على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبأهم ان
 صح ﴿ وجاءت سيارة ﴾ رقيقة يسرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان
 ذلك بعد ثلاثة أيام من ألقائه فيه ﴿ فأسلوا واردهم ﴾ الذي يرده الماء ويستقي لهم وكان
 مالك بن ذعر الحزاعي ﴿ فادلى دلوه ﴾ فأرسلها في الجب ليلبأها فادلى بها يوسف فلما رآه

ان قرأت بالدال (قال بل
 سوت) زينت لكم أنفسكم
 أصرا (في هلاك يوسف
 ففسلم) فصبر جيل) فعل
 صبر جيل بلا جزع (والله
 المستعان) منه أستعين
 (على ما تصفون) على صدى
 على ما تقولون من هلاكه ولم
 يصد قهم في قولهم لانهم
 قالوا مرة أخرى قبل هذا
 قتله اللصوص (وجاءت
 سيارة) قافلة من المسافرين
 من قبل مدين يريدون
 مصر فصبروا في الطريق
 فأخطأ الطريق فصبوا
 ييمون في الارض حتى
 وقوا في الاراضي التي فيها
 الجب وهي أرض دوثن
 بين مدين ومصر فنزلوا

عز وجل وقل والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء
 فقال يعقوب فكيف وقمت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي
 فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب ولما ذكر أخوة يوسف يعقوب هذا الكلام
 واحتجوا على صدقهم بالقميص الملقح بالدم ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ بل سوت لكم
 أنفسكم أصرا ﴾ يعني بل زينت لكم أنفسكم أصرا وأصل التسويل تقدير معنى
 في النفس مع الطمع في اتعانه وقال صاحب الكشاف سوت سهلت من السؤل وهو
 الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أصرا عظيم ارتكبتموه من يوسف وهو تقوه في أنفسكم
 وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الأمر
 كما تقولون أكله الذئب بل سوت لكم أنفسكم أصرا آخر غير ما تصفون ﴿ فصبر
 جيل ﴾ أي فشتأني صبر جيل وقيل معناه صبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى
 فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك ﴿ والله المستعان
 على ما تصفون ﴾ يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون
 ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجاءت سيارة ﴿ وهم القوم المسافرون سوا سيارة لمسبرهم
 في الارض وكانوا رقيقة من مدين يريدون مصر فأخطأ الطريق فنزلوا قريبا من الجب
 الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرماة والمارة وكان ماؤه ملحا
 فلما أتى يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر
 الحزاعي ليطلب لهم الماء بذلك قوله عز وجل ﴿ فأسلوا واردهم فادلى دلوه ﴾ قال
 والوارد الذي هو يتقدم الرقيقة الى الماء فيبقي الارشية والدلاء قال أدليت الدلو اذا
 أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها قل فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال

عليه (فأسلوا واردهم) فأرسل كل قوم طالب الماء وهو سافهم فوافق جب يوسف مالك بن ذعر (وكان)
 رجل من العرب من أهل مدين ان أخى شيب التى عليه السلام (فادلى دلوه) فأرخصي دلوه في جب يوسف فتعلق يوسف
 فلم يفدر على نزعه من البئر فنظر فيه قرأ أي غلاما قد تعاق بالدلو فادى أصحابه

تتشبهت يوسف بالدلو فتزعه (قال ﴿ ٣٨٩ ﴾ يا بشرى) ﴿ سورة يوسف ﴾ كوفي نادى البشرى كأنه

يقول تعالى فهذا أوانك
غيرهم بشرى على اضافتها
الى نفسه أو هو اسم غلامه
فتاداه مضافا الى نفسه
(هذا غلام) قيل ذهب به
فلما دنا من أصحابه صاح
بنك بشرهم به (وأسروه)
الضمير للوارد وأصحابه
أخفوه من الرقعة وأخوة
يوسف فانهم قالوا للرقعة هذا
غلام لنا قد أبق فاشتروه
مناوسكت يوسف مخافة أن
يقاتلوه (بضاعة) حال أى
أخفوه من الرقعة والتجارة والبضاعة
ما يوضع من المال للتجارة
أى قمع (والله عليم بما
يعملون) بما يعمل أخوة
يوسف أيهم وأخهم من
بوعه (وشروه)
وباعوه

(قال يا بشرى) هذا بشرى
يا أصحابي قالوا ما ذلك يا مالك
قال (هذا غلام) أحسن
ما يكون من الغلمان فاجتمعوا
عليه فأخرجوه من الحب
(وأسروه بضاعة) وكنموه
من القوم وقالوا لقومهم
هذه بضاعة استبضعها أهل
الماء لنبيهم لهم عصر (والله
عليم بما يعملون) بيوسف
يعنى أخوة يوسف ويقال
أهل القافلة (وشروه)
باعوه أخوته من مالك بن

﴿ قال يا بشرى هذا غلام ﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا
أوانك وقيل هو اسم لصاحبه ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى بالاضافة
وقرأ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقت ﴿ وأسروه ﴾ أى
الوارد وأصحابه من سائر الرقعة وقيل اخفوا أمره وقالوا لهم دفعه لنا أهل الماء لنبيهم
عصر وقيل الضمير لأخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ
فلم يجد فيه فآخبر أخوته فأتوا الرقعة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه ﴿ بضاعة ﴾ نصب على الحال أى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فإنه ما يوضع من المال للتجارة ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ لم يخف عليه أسرهم أو صنيع
أخوة يوسف بأيهم وأخيم ﴿ وشروه ﴾ وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان واشتروه

وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل ان النبی
صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطرا الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته
سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمة بنتى
الحسن وحكى الثعلبي عن كتب الاخبار قال كان يوسف حسن الوجه جمد الشعر خضم
العينين مستوى الحلق أبيض اللون غليظ الساعدين والمضدين والساقين أخيش البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا
يستطيع أحد وصفه وكان حسه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام
يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الطينة قالوا فلما خرج يوسف وآمالك بن ذعر
كاحسن ما يكون من الغلمان ﴿ قال ﴾ يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر ﴿ يا بشرى ﴾
يعنى يقول الوارد لأصحابه أبشروا ﴿ هذا غلام ﴾ وقرئ يا بشرى بغير إضافة ومعناه
ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جذران البثر بكت
على يوسف حين خرج منها ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه
من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعها بعض أهل المال الى مصر
وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان أخوة يوسف أسروا
شأن يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبدنا أبق وصدقهم
يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول
أصح لان مالك بن ذعر هو الذى أسره بضاعة وأصحابه ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾
يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك
مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه
فلم يجده فى الحب فأخبر أخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولا
قريبا من البثر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال انهم
هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يبرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك
قوله تعالى ﴿ وشروه ﴾ أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت

القيمة نقصا ناظرا أو زيف (دراهم) بدل من بئمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يمدون مادون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرفب عما في يده فيبيعه بالثمن اللطيف أو معنى وشروه واشتروه يتي الرقعة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروي ان اخوته اتبعوه وقالوا استوثقوا منه لا يآبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تنقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

ذعر (بئمن بئمن) نقصان بالوزن ويقال زيوف ويقال حرام (دراهم معدودة) عشرين درهما ويقال اثنان وثلاثين درهما (وكانوا فيه) في بئمن يوسف (من الزاهدين) لم يحتاجوا اليه ويقال كان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لم يرفوا قدره ومزنته عند الله تعالى ويقال كان أهل القافلة في يوسف من الزاهدين

من اخوته ﴿ بئمن بئمن ﴾ مجوس لزيف أو نقصان ﴿ دراهم ﴾ بدل من الثمن ﴿ معدودة ﴾ قليلة فانهم كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية ويمدون مادونها قليل كان عشرين درهما وقليل كان اثنان وعشرين درهما ﴿ وكانوا فيه ﴾ في يوسف ﴿ من الزاهدين ﴾ الراغبين عند الضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرقعة وكانوا بالثمن فزهدهم فيه لانهم التقطوه والمتقيل للشيء متهاون به خائف من انزاعه مستعجل في يده وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتحريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمعدوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول

الشيء بمعنى بئمه وانما وجب جعل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على يابه ﴿ بئمن بئمن ﴾ قال الحسن والضماك ومقاتل والسدي بئمن أي حرام لان بئمن الجرم حرام ويسمى الحرام بئمن لانه مجوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بئمن أي زيوف ناقصة الميار وقال قتادة بئمن أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بئمن أي قليل وعلى الاقوال كلها فالبئمن في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبئس والباخس الشيء اللطيف ﴿ دراهم معدودة ﴾ فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهي أوقية وزونها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقاتدة كانت عشرين درهما فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنان وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتره بئمن بئمن قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد آبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف اطلقوا به الى مصر وتبهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يآبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فمرضه مالك على البيع فاشتراه قطيفر قاله ابن عباس وكان قطيفر صاحب أسر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ﴿ ٣٩١ ﴾ ثلاثين سنة وآناه { سرية يوسف } الله الحكمة والعلم وهو ابن

ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لاسرائته) راعيل أوزليخا واللام متعلقة بقال لابسزاه (أكرمي مشواه) اجعل منزله ومقامه عندنا كراعيل أي حسنا مريا بدليل قوله انه ربي أحسن مشواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطى فراشه (عسى أن ينقنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذة ولدا) أو نتبناه وتقيه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشدة قال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والمطف (مكننا لبوسف) أي كالانجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره (وقال الذي اشتراه) اشتري يوسف (من مصر) في مصر

﴿ وقال الذي اشتراه من مصر ﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى ماشا ربمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء مروى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين واعطاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراؤه خيرا الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نمل وثوبان ابيضان وقيل ملاء فضة وقيل ذهباً (لاسرائته) راعيل أوزليخا (أكرمي مشواه) اجعل مقامه عندنا كراعيل أي حسنا والمعنى احسنى تمهده (عسى ان ينقنا) في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا (أو نتخذة ولدا) نتبناه وكان عتيما لتفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابوبكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما ﴿ وكذلك مكننا لبوسف في الارض ﴾ وكما مكننا محبته في قلب العزيز أو كما مكنناه في منزله أو كما انجينا وعطفنا عليه العزيز مكنناه له فيها

ابن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يعث حتى آمن بيوسف وآتجه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعرط اشتري يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نمل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يرضونه للبيع فترامع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر ﴾ يعني قطفير من أهل مصر (لاسرائته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمي مشواه) يعني أكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميته في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينقنا) يعني ان أردنا بجمعه ببناء بريح أو يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (أو نتخذة ولدا) يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لاسرائته أكرمي مشواه عسى أن ينقنا أو نتخذة ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لبيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبوبكر في عمر حيث استخلفه بعده ﴿ وكذلك مكننا لبوسف في الارض ﴾ يعني كما مكننا على يوسف بان أقدناه من القتل وأخر جناه من الجب كذلك مكنناه في الارض يعني

وهو العزيز خازن الملك وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير (لاسرائته) زليخا (أكرمي مشواه) قدره ومنزله (عسى أن ينقنا) في ضياعنا (أو نتخذة ولدا) أو نتبناه وكان اشتراه من مالك بن ذعر بعشرين درهما وحلة ونملين (وكذلك) هكذا (مكننا لبوسف) ملكنا يوسف (في الارض) أرض مصر

ونبيه (وتعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاه والتحكين (والله غالب على امره) لا يمنع عايشاه او على امر يوسف بتبليغها ما اراد به دون ما اراد اخوته { الجزء الثاني عشر } (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده)

منتهى استمداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (آياته حكما وعلما) حكمة وهو العلم والعمل واجتباب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي المحسنين) تفييه على أنه كان حسنا في عمله متقيا في عقوفان أمره (وراودته التي هوى بينها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمراد مفاصلة من راد برود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه يده بحيثالأن يظلمه عليه وبأخذه منه وهى عبارة عن التمسك لمواقته ايها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هواسم تعال وأفل

﴿ وتعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ عطف على مضمرة تقديره ليتصرف فيها بالعدل وتعلمه اي كان القصد في انجائه وعكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معنى كتب الله واحكامه فينفذها أو تمييز المنامات المنبهة على الحوادث الكاشفة ليستمد لها ويستقل بتدبيرها قبل ان تحمل كامل بسنيده ﴿ والله غالب على امره ﴾ لا يردده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلا يكن الا ما اراده ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ان الامر كله بيده أو اطراف صنعه وخفايا لطفه ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم ﴿ آياته حكما ﴾ أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس ﴿ وعلما ﴾ يعني علم تأويل الاحاديث ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ تفييه على أنه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عقوفان أمره ﴿ وراودته التي هوى بينها عن نفسه ﴾ طلبت منه وتعملت ان يواقعها من راد برود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد ﴿ وغلقت الابواب ﴾ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الايثاق ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أي اقبل وبادرا أو تهيأت والكلمة

أرض مصر فحطناه على خزائنها ﴿ وتعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ أي مكناله في الارض لكي تعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها ﴿ والله غالب على امره ﴾ قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقسائه ولا يظلمه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواء حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم ﴿ آياته حكما وعلما ﴾ يعني آياتنا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكم هو الذي يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري ﴿ وكذلك ﴾ يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك ﴿ نجزي المحسنين ﴾ قال ابن عباس يعني المؤمنين وعندنا أيضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف ﴿ وراودته التي هوى بينها عن نفسه ﴾ هي ان امرأة العزيز طلقت من يوسف الفحل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها ﴿ وغلقت الابواب ﴾ أي أطبقها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وانما أغلقتها لشدة خوفها ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أي اقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي

(وتعلمه من تأويل الاحاديث) تفسير الرؤيا (والله غالب على امره) على مقدوره لا يرد مقدوره أحد (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك لا يصدقون ويقال لا يعلمون أن الله غالب على امره (ولما بلغ أشده) والاشد من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (آياته)

أعطيناه (حكما وعلما) فهما ونبوة (وكذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالعلم والحكمة (يقول)

(وراودته) طلبت (التي هوى بينها عن نفسه) ان تستمكن من نفسه (وغلقت الابواب) عليها وعلى يوسف (وقالت) ليوسف (هيت لك) هلم أالك ويقال تعال أالك ويقال تهيأت لك معناه ان قرأت بنصب الهاء

وهو مبني على الفتح هيت مكي بناء على الضم هت مدني وشامي واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أي ان الشأن والحديث (ربي) سيدي ومالكي يريد قطفير (أحسن منواي) حين قال لك أكرمي مثواه فاجزأؤه ان اخونه في أهله (انه لا يفلح الظالمون) ﴿٣٩٣﴾ الحاثون أو الزناة ﴿سور يوسف﴾ أو أراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه

مسبب الاسباب (وتقدمت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو المنصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل هم بها وشارف أن يهمل بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأيت برهان ربه) محذوف أي كان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجية ويجوز ان يكون وهم بها داخل في حكم القسم في قوله وتقدمت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجمله كلاما برأسه أن يقف على به ويبتدىء بقوله

على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأي واللام للتمييز كالتي في سقياك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيهاً بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهزها وقدروى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجبر وهت كجئت من هامبي اذا تهايم وقرئ هيت وعلى هذا فاللام من صلتة ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله معاذاً ﴿انه﴾ أي الشأن ﴿ربي احسن منواي﴾ سيدي قطفير احسن تمهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فاجزأؤه ان اخونه في أهله وقيل الضمير لله تعالى أي انه خالتي واحسن منزلي بان عطفت على قلبه فلا اعصيه ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظم على الزاني والمزني باهله ﴿واقدمت به وهم بها﴾ قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها وهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه العمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجرا الجزيل من الله من يكتم نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قاتلوا لم اخف الله ﴿لولا ان رأيت برهان ربه﴾ في قبح الزنا وسوء مقبته لمخالطتها يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناه تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالبرانية وأصلها هيتالج أي تعال فحربت فقيل هيت لك فن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في السور ولغة العرب الترك في النفاق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك ﴿قال﴾ يعني يوسف ﴿معاذ الله﴾ أي أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتني اليه ﴿انه ربي﴾ يعني ان العزيز قطفير سيدي ﴿احسن منواي﴾ أي أكرم منزلي فلا أخونه وقيل ان الهاء في انه ربي راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربي أحسن منواي يعني انه آواني ومن بلاه الجب نجاني ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ يعني ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة ﴿قوله عز وجل﴾ وتقدمت به وهم بها لولا أن رأيت برهان ربه ﴿الآية﴾ هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الأول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشيء اذا أردته وحدثك نفسك به وقاربته من غير

التاء تعال أو الهاء (قال يوسف) معاذ الله (قالوا خا ٥٠ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربي) سيدي العزيز (أحسن منواي) قدرتي ومنزلي لا أخونه في أهله (انه لا يفلح) لا يأمن ولا ينجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (وتقدمت به) المرأة (وهم بها) يوسف (لولا ان رأيت برهان ربه) عذاب ربه لازما على نفسه ويقال رأي صورة ابيه ويقال لولا ان رأيت برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

التاء تعال أو الهاء (قال يوسف) معاذ الله (قالوا خا ٥٠ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربي) سيدي العزيز (أحسن منواي) قدرتي ومنزلي لا أخونه في أهله (انه لا يفلح) لا يأمن ولا ينجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (وتقدمت به) المرأة (وهم بها) يوسف (لولا ان رأيت برهان ربه) عذاب ربه لازما على نفسه ويقال رأي صورة ابيه ويقال لولا ان رأيت برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

لشبق النملة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات

دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أى أرادته وقصدته فكان همتها به عزيمتها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصدوه وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابئ

البرجى

هممت ولم أفعل وكدت وليتقى • تركت على عثمان تبكي حلاله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أى وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطها قال الغوى وأما ههنا بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجل يمالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب يده إلى جيد يوسف ويده الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوى والقول ما قاله قدما هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الإنبياء من غير علم قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز سراودة يوسف عن نفسه جملة تذكره محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شرك قال هو أول ما يثتر عن جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل على خدى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله و قيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجدمن شبق الشباب ما يجده الرجل وهى امرأة حسنة جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون فى هذه الآية • أما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقدة رضامثل هم امرأة العزيز فالسدا مأخوذه وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذه بالملم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدى بسية فلا تكتبوها عليه فان عملها فآ كتبوها عليه سنة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فآ كتبوها له حسنة فان عملها فآ كتبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخارى معناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما رويده عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسية ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بما فعلها كتبها الله عليه سية واحدة زاد فى رواية

وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهميان وفسرهم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وقصر البرهان بأنه سمع صوتا يالكوا يا همارتين فسمع ذلك أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يقوب عاصا على أئمنته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتى عن نفسى

الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام
 أو عاها ولن يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعل مذهب
 كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم
 فلا معصية فيهم يوسف إذا * وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن
 الهم إذا وطئت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطئ عليه النفس من همومها
 وخواطرها فهو المفقود عنه هذا هو الحق فيكون أن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون
 قوله وما برئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع
 والاعتراف بخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي
 عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يبهج وإن الكلام فيه تقديم وتأخير أي
 ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لطم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة
 ولقد راودته عن نفسه فاستحصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
 وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم
 بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتاعه وقيل هم بها أي نظر إليها
 وقيل هم بضرها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال
 النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأ الله فالقي عليه هبة النبوة فتشتت
 هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله * وأما الامام
 فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول
 قال الامام فخر الدين الرازي أن يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل
 الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه تقول وعنه
 نذب فإن الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله
 بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين فإن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم
 زلة أو هفوة استعظموها وأبموها بأظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم
 عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام
 فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك
 في هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك
 عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علما ببراءته مما قيل فيه
 ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا أن كل من كان له تعلق
 بهذه الواقعة فقد شهد براءة يوسف عليه السلام عما نسب إليه وعلم أن الذين لهم تعلق
 بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والتسوية اللاتي قطعن أيديهن والمولود الذي
 شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان
 أن يوسف ادعى براءته مما نسب إليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن
 أحب إلى مما يدعونني إليه وأما بيان أن المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة

ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ
 نفسه من ذلك وقوله كذلك
 لنصرف عنه السوء والفحشاء
 ولو كان كذلك لم يكن السوء
 مصروفا عنه وقوله ذلك
 ليعلم أني لم أخنه بالقيص ولو
 كان كذلك غانه بالقيص
 وقوله ما علمنا عليه من سوء
 وقوله الآن حصص الحق أنا
 راودته عن نفسه وأنه لمن
 الصادقين ولأنه لو جدمته
 ذلك لذكرت توبته واستغفاره

وقيل تمثل له يعقوب ما صنع على أنامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء يوسف ونزاهته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستههم وأولها الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وأما بيان أن زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله أنه من كيدكن أن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك أنك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لا غوئهم أجمعين الأعبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال إن الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فإنه قول منكرا لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس أنه جلس منها مجلس الخائن فحاشا ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الأخبار وضوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فإنه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من آياته عليهم الصلاة والسلام فإن قلت فلي هذا التحدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنذره قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين • أحدهما أنه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقتله فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك والوجه الثاني أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن وإذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فأثبت بذلك الشاهد بجهله لاعليه • وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين أن يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتصل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الأنبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب ما صنع على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقمها إنما مثلك مالم تواقمها مثل الطير في جوال السماء لا يطاق عليه وإن مثلك إن واقمتها كمثلها إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقمها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك إن واقمتها كمثلها إذا مات ودخل القمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل أنه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تسلمون فولى هاربا ثم رجع فماد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا فولى

كما كان لآدم ونوح وذو النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعمل بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء وحمل الكاف في

(كذلك) نصب أى مثل ذلك الثبوت ثبته أو رفع أى الامر مثل ذلك (لتصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث ﴿ ٣٩٧ ﴾ كان { سورة يوسف } مدنى وكوفى أى الذين

أخلصهم الله لطاعته وبكسر هاء غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسبقا الى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار واىصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففرها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جده فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتأثر ويسقط حتى خرج (وقدت قيصه من دبر) اجتذبت من خلفه فأنقذ أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (والفيا سيدها لى الباب)

(كذلك) هكذا (لتصرف عنه السوء) القبيح (والفحشاء) يعنى الزنا (انه من عبادنا المخلصين) المعصومين من الزنا (واستبقا الباب) تبادر الى الباب أراد يوسف

وتعمل عمل السفهاء ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثنية ثبته أو الامر مثل ذلك ﴿ لتصرف عنه السوء ﴾ خيانة السيد ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابوعمر وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله ﴿ واستبقا الباب ﴾ أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراه لتمنعه الخروج ﴿ وقدت قيصه من دبر ﴾ اجتذبت من ورائه فأنقذ قيصه والقدا الشق طولوا والقطا الشق عرضا ﴿ والفا سيدها ﴾ وصادق زوجها ﴿ لى الباب ﴾ هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكعب وعليه مكتوب وآقوا يوما ترجون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فأحبط جبريل عاصا على أصبعه يقول يا يوسف أعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سيلا وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثل ذلك الملك وعن على بن الحسن قال كان فى البيت صنم قامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف استحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانا أحق أن استحي من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه ﴿ أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يخطئ الله عز وجله الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجعلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة تلك الاخلاق الطاهرة الشريفة يحجزهم عن فعل ما يلىق فعله ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما أريناه البرهان كذلك ﴿ لتصرف عنه السوء ﴾ يعنى الاثم ﴿ والفحشاء ﴾ يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الشاء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباد المخلصين وهو قوله ﴿ انه ﴾ يعنى يوسف ﴿ من عبادنا المخلصين ﴾ قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل ﴿ قوله تعالى ﴾ واستبقا الباب ﴿ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمساوقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتملقت بقميصه من خلفه وجذبتة اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل ﴿ وقدت قيصه من دبر ﴾ يعنى شقته من خلف فقلها يوسف فخرج وخرجت خلفه ﴿ والفا سيدها لى الباب ﴾

يخرج وأرادت المرأة تعلق الباب على يوسف فسبقت المرأة (وقدت قيصه) شقت قيص يوسف بنصفين (من دبر) من الحلف من وسطه الى قدميه (والفا) ووجد (سيداها) زوج المرأة ويقال ابن عمه (لى الباب) عند الباب

وصادقا بلها تطفير مقبل يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريقة وتخوف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوا إلا ان يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن { الجزء الثاني عشر } أو عذاب أليم ﴿ ٣٩٨ ﴾ وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وإنما أراد بها سوا

قالت ماجزاء من أراد باهلك سوا إلا ان يسجن أو عذاب أليم ﴿ ايها ما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتفيره على يوسف واغراه انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن ﴾ قال هي راودتني عن نفسي ﴿ طابقتي بالمواتة وانما قال ذلك دفعا للمعصية له من السجن والعذاب الاليم ولولم تكذب عليه لما قاله ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صيبا في المهد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم أربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام وانما اتى الله الشهادة على لسان أهلها ليكون أزر لها ﴿ ان كان قيصة قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ لأنه يدل على انها قدت قيصة من قدامه بالرفع عن نفسها أو انه اسرع خلفها فتمثر بذيله فاتقدجيه

يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة تطفير وهو العزيز عند الباب جالسامع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابت وخافت الهمة فسبقت يوسف بالقول ﴿ قالت ﴾ يعنى لزوجها ﴿ ماجزاء من أراد باهلك سوا ﴾ يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة جهالة قتالت ﴿ إلا أن يسجن ﴾ أي يحبس في السجن ويمنع التصرف ﴿ أو عذاب أليم ﴾ يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فانهمها فلما سمع يوسف مقالها أراد ان يبرهن عن نفسه ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ يعنى طلبت مني الفحشاء قايت وقررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يترك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه الهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صيبا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحاح ثلاثه عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم خرجة في الصحاح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صيبا ولكنه كان رجلا حكيمًا ذارأي وقال السدي هو ابن عم المرأة فحكم فقال ﴿ ان كان قيصة قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين

لائها قصدت الموم أي كل من أراد باهلك سوا فيصحه أن يسجن أو يذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخوف يوسف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكم عليها ولم يفصحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما اتى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبرائة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صيبا في المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت يدقول يوسف وبطل قولها (ان كان قيصة قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

(قالت) المرأة لزوجها (ما جزاء من أراد باهلك سوا) زنا (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) أو يضرب ضربا وجيما (قال) يوسف (هي راودتني عن نفسي) هي

دعتني وطلبت ان تستمكن من نفسي (وشهد شاهد) حكم حاكم (من أهلها) وهو أخوها ويقال ابن عمها (وان) (ان كان قيصة) قيصة يوسف (قد) شق (من قبل) من قدام (فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين

وان كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصة وانما دل قد قيصة من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليطبقها فيمتر في مقدم قيصة فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفع عن نفسها فيحرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمناه من جهة يقال ﴿ ٣٩٩ ﴾ له اقبل ومن { سورة يوسف } جهة يقال لها دبر وانما

جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قيصة قد (فلما رأى) قطفير (قيصة قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سواء اوان هذا الامر (من كيد كن) الامر وهو الاحتيال لئيل الرجال (من كيد كن) الخطاب لها ولايتها (ان كيد كن عظيم) لان من اللف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يظن الرجال والقصريات منهم معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيد كن عظيم (يوسف) حذف منه حرف السداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحلله (اعرض عن هذا) الامر واكتنه

وان كان قيصة قد شق (من)

﴿ وان كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول أو على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها دت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمن على باحسانك امن عليك باحسانك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانها قطعاً عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جملا عطين للجهتين فمنما الصرف وبسكون السين ﴿ فلما رأى قيصة قد من دبر قال انه ﴾ ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سواء اوان السوء أو ان هذا الامر ﴿ من كيد كن ﴾ من حيث كن والخطاب لها ولايتها ولما لساثر النساء ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان كيد النساء أطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسف به مسارقة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف السداء لقربه وتفظنه للحديث ﴿ اعرض عن هذا ﴾

وان كان قيصة قد من دبر ﴿ أي من خلف ﴾ فكذبت وهو من الصادقين ﴿ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة الامارات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يسط يديه الى سيده ومنها انه شاهدوا يوسف يعدوهاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انه رآوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انه عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه الامارات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا ﴿ فلما رأى قيصة قد من دبر ﴾ يعني فلما رأى قطفير زوج المرأة قيصة يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعني قال لهاز وجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعني هذا الصنيع ﴿ من كيد كن ﴾ يعني من حيث كن ومكر كن ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلاك مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خالق ما هو أعظم منه كخلاق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان من المكر والحيل والكيد في تمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعني يا يوسف ﴿ اعرض عن هذا ﴾ يعني اترك هذا الحديث فلا تذكره

دبر (من خلف فكذبت المرأة) وهو من الصادقين (في قوله انها راودتنى) فلما رأى قيصة قد شق (من دبر) من خلف (قال) أخوها (انه من كيد كن) من مكر كن وصنيع كن (ان كيد كن) مكر كن وصنيع كن (عظيم) يخلص الى البرى والسقيم ثم قال أخوها ليوسف (يوسف) يعني يا يوسف (اعرض عن هذا) الامر

ولا تحدث به ثم قال لراعي (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطي اذا اذنب متمدا وانما قال بلفظ التذكير تقنيا للتذكور على الاثاث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة { الجزء الثاني عشر } الحاجب ﴿ ٤٠٠ ﴾ والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيث

اكتمه ولا تذكره ﴿ واستغفري لذنبك ﴾ ياراعيل ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متمدا والتذكير للتغليب ﴿ وقال نسوة ﴾ هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لفعلها ﴿ في المدينة ﴾ ظرف لقال أى اشعن الحكاية في مصر أو صفة نسوة وكن خسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجين وصاحب الدواب ﴿ امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ تطلب موافقة غلامها ياها والعزير بلسان العرب الملك واسل فتى فتى لقولهم قتيان والفتوة شاذة ﴿ قد شغفها حبا ﴾ شق شغاف قلبها وهو حبابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شغفها من شغف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه ﴿ انا لتراها في ضلال مبين ﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب

لا حد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثرت بهذا الامر ولا تم به فقد بان عذرك وبراهتك ثم التفت الى المرأة فقال لها ﴿ واستغفري لذنبك ﴾ يعنى توبى الى الله مامريت يوسف به من الخطيئة وهو برى منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يماقبك بسبب ذنبك ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالهمة وهو برى وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تقنيا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴿ يعنى وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن أريبا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة صاقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عيها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو مجتمع منها والفتى الشاب الحديث السن ﴿ قد شغفها حبا ﴾ يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيأ سوا ﴿ انا لتراها في ضلال مبين ﴾ يعنى في خطأ بين ظاهر حيث

غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز) يردن قطفير والعزير الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارىقى (عن نفسه) لتانل شهوتها منه (قد شغفها حبا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انا لتراها في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب

ولا تخبر أحدا ثم اعرض الى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) استخلى واعتذرى الى زوجك من سوء صنعك أيتها المرأة (انك كنت من الخاطئين) من الخاطئين لزوجك ففشا أمرهما بعد ذلك في المدينة (وقال نسوة في المدينة) وهن أربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة صاحب سجنه

وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه (امرات العزيز) زليخا (تراود فتاها) تدعو عيها أن (تركت) يستمكنها (عن نفسه) من نفسه (قد شغفها حبا) قد شق شغاف قلبها حب يوسف ويقال بطنها حب يوسف ان قرأت بالشين والعين (انا لتراها في ضلال مبين) في خطأ بين في حب عيها يوسف

(فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرًا
 لانه في خفية وحال غيبه كما يخفي الماكر مكره . وقيل كانت استكتمت سرها فافشيت عليه (أرسلت اليهن)
 دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن ﴿ ٤٠١ ﴾ الخمس { سورة يوسف } المذكورات (وأعدت)

وهيات اقتلت من التاد
 (لهن متكا) ما يتكئن
 عليه من تمارق قصدت بتلك
 الهيئة وهي قومودهن
 متكئات والسكاكين في
 أيديهن أي يدهشن عند
 رؤيته ويشغلن عن نفوسهن
 فتقع أيديهن على أيديهن
 فيقطعنها لان انتكئ اذا
 بهت لكئ وقمت يده على
 يده (وآت كل واحدة
 منهن سكيناً) وكانوا لا
 يأكلون في ذلك الزمان
 الا بالسكاكين كفعل
 الاعاجم (وقالت اخرج
 عليهن) بكسر التاء بصرى
 وعاصم وحزة وبضمها
 غيرهم (فلما رأينه أكبرنه)
 أعظمته وهين ذلك الحسن
 الرائق والجمال الفائق
 وكان فضل يوسف على

فلما سمعت بمكرهن) بقولهن
 (أرسلت اليهن) ودعتهن
 الى الضيافة (وأعدت لهن
 متكا) وسأدت يتكئن عليها
 امرأت مشددة وان قرأت
 عنيفة يتول اترنجة وجاهت
 باللحم والحز فوضعت بين
 أيديهن (وآت) اعطت
 (كل واحدة منهن سكيناً)

تقطع بها اللحم لانهم كانوا لا يأكلون (قا و خا ٥١ لث) من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) زليخا ليوسف
 (اخرج عليهن) يا يوسف (فلما رأينه أكبرنه) أعظمته

﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ باغتيابهن وانما سما مكرًا لانهن اخفونه كما يخفي الماكر مكره وأقلن
 ذلك لزيهن يوسف أولانها استكتمت سرها فافشيت عليه ﴿ أرسلت اليهن ﴾
 تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة وهن الخمس المذكورات ﴿ وأعدت لهن متكا ﴾
 ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿ وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ حتى يتكئن والسكاكين
 بأيديهن فاذا خرج عليهن يهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها
 فيسكتن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن
 الخناجر وقيل متكا طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفقا
 ولذلك نهى عنه قال جيل

فظلنا نعمة واتكأنا . وشرنا الحلال من قلة

وقيل المتكا طعام يحز حزا كأن القاطع يتكى عليه بالسكين وهو قرى متكا بحذف الهمزة ومتكاه
 بأشباع الفحمة كمتزاح ومتكاه هو الأريج او ما يقطع من متك الشيء اذا ابتكته ومتكا من
 تكى يتكا اذا اتكا ﴿ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴾ أعظمته وهين حسنه

تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحب فتاها ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾
 يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرًا لانهن
 طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجاله فقصدن أن يرينه وقيل
 ان امرأة العزيز أمشت اليهن سرها واستكتمت فافشيت ذلك عليها فلذلك سماه مكرًا
 ﴿ أرسلت اليهن ﴾ يعني انها لما سمعت بانهن ظننها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم
 عذرها عندهن قال وهب اتخذت مأدبة يعني صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت
 أربعين امرأة من أشرف مدينتها فبن هؤلاء اللاتي عيرنها ﴿ وأعدت لهن متكا ﴾
 يعني ووضعت لهن تمارق وسائد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن
 وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم
 عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عايبها فسمى الطعام متكا على الاستعارة
 ويقال أتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده والمتكا ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب
 والحديث ولذلك جاء النهى عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تأكل
 متكئا وقيل المتكا الأريج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحزها يقال ان المرأة
 زيت البيت بألوان العواكه والاطعمة ووضت الوسائد ودعت النسوة اللاتي
 عيرنها حب يوسف ﴿ وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ يعني وأعطت كل واحدة
 من النساء سكيناً لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين ﴿ وقالت
 اخرج عليهن ﴾ يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها
 فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته في مكان آخر ﴿ فلما رأينه أكبرنه ﴾ يعني
 النسوة ﴿ أكبرنه ﴾ يعني أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر

الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثاً وجهه على الجدران ركان يشبه آدم { الجزء الثاني عشر } يوم خلقه ﴿ ٤٠٢ ﴾ ربه وقيل ورث الجمال

الفائق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى ثلاثاً وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خض الله واسترذا الجمال يبرقع • فان لحت حاضت في الخدود العواتق
 وقطن أيديهم ﴿ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴾ وقلن حاش الله ﴿ تنزيهاً من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الهمزة الاخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام لليان كما في قولك سقيالك وقرى حاشا الله بغير لام بمعنى براءه الله وحاشا الله بالتثنية على تنزيهه منزلة

الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر ثلاثاً وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبرنه تمنع من هذا لأنه لا يجوز أن يقال النساء قدحضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حصد الصفار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمانه وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرعاً أسقطت ولدها وتحيض فان كان معها حين فرعاً كان من فرعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندى أنه يحتمل وجهها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وجل الآية على هذا الوجه أولى ﴿ وقطن أيديهم ﴾ يعنى وجعلن يقطن أيديهم بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الاترج ولم يحدن الالم لدهشتن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فأسسنا بالدم وقال قتادة بن أيديهم حتى ألقيناها الاصح انه كان قطعاً من غير امانة وقال وهب مات جاعة منهن ﴿ وقلن ﴾ عن النسوة ﴿ حاش الله

من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذا يقال النساء قدحضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحض تخرج من حد العفر وكان أباً الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خض الله واسترذا الجمال يبرقع • فان لحت حاضت في الخدود العواتق • ﴿ وقطن أيديهم ﴾ جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردت أن يقطن الطعام الذي في أيديهم فدهشن لما رأينه فحذشن أيديهم ﴿ وقلن حاش الله ﴾ حاشا كلمة تصد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيدوهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاشا الله براءة الله وتنزيهه الله وقراءة أبي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيالك كانه قال براءة ثم قال الله لبيان من يبرأ ويتزه وغيره حاش الله بحذف الالف

(ما هذا)

الاخيرة والمعنى بزيادته من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جيل مثله

(وقطن) خدشن وخششن (أيديهم) بالسكاكين من الدهشة والتعجب مما رأين من حسن يوسف (وقلن حاش الله) معاذ الله

(ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم) فبين عنه البشرية لثرا به جلاله وأثبتن له الملكية وبثتن بها الحكم لما ركز في الطباع لمن
 لأحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقمع من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتننى فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
 صورتن في أنفسكن ثم لمتننى فيه ﴿ ٤٠٣ ﴾ تعنى انكن لم { سورة يوسف } تصورته حق صورته واللا

لعدرتننى في الافتتان به
 (ولقد راودته عن نفسه
 فاستعصم) الاستعصام بتاء
 مبالغة يدل على الامتناع
 البلوغ والتحفظ الشديد
 كانه في عصمة وهو يجتهد
 في الاستزادة منها وهذا
 بيان جلي على ان يوسف
 عليه السلام برى بما فسره
 أولئك الفريق الهام والبرهان
 ثم قلن له أطع مولاناك
 قالت راعيل (ولئن
 لم يفعل ما أمره) الضمير
 راجع الى ما هو موصولة
 والمعنى ما أمره به فحذف
 الجار كما في قوله أمرتك
 الخير أو ما مصدرية والضمير
 يرجع الى يوسف أى
 ولئن لم يفعل أمرى إياه
 أى موجب أمرى ومقتضاه
 (ليسجن) ليعسبن والالت
 فى (وليكونا) بدل من نون
 التأكيد الحفيفة (من
 الصاغرين) مع السراق
 والسفاك والاباق كما سرق
 قلبى وأبق منى وسفك
 دى الفراق فلا يهنا يوسف
 المعام والشراب والنوم
 هالك كما معنى هنا كل
 ذلك ومن لم يرض بتلى
 فى الحرير على السرير أميرا
 حصل فى الحصر على الحصر
 حصارا فلما سمع يوسف تهديدا

المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذى هو الناحية وقاعله ضمير يوسف أى صار فى
 ناحية لله بما يتوهم فيه ﴿ ما هذا بشرا ﴾ لان هذا الجلال غير مهبود للبشر وهو على اتمه الحجاز
 فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفي الحال هو قرى بشر بالرفع على لغة تعميم وبشرى أى ببعد
 مشترى لثيم ﴿ ان هذا الاملك كريم ﴾ فان الجمع بين الجلال الرائق والكمال الفائق والعصمة
 البالغة من خواص الملائكة اولان جلاله فوق جلال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ﴿ قالت فذلكن
 الذى لمتننى فيه ﴾ أى فهو ذلك العبد الكنعاني الذى لمتننى فى الافتتان به قبل ان تتصورته حق
 تصورته ولو صورته بما عاينتن لعدرتننى أو فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا فما
 لمزلة المشار اليه ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
 انهن يعدرنها كى يعاونها على الاثمة عريكته ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره ﴾ أى ما أمره
 فحذف الجار وأمرى إياه بمعنى موجب أمرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام ﴿ ليسجنين
 وليكونا من الصاغرين ﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
 من صغر بالضم صغرا وقوى ليكونن وهو يخالف خطأ المصحف لان التوون كتبت فيه

ما هذا بشرا ﴿ أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا ﴾ ان هذا الاملك كريم ﴿
 يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد
 ركز فى النفوس أن لاشئ أحسن من الملك فلذلك وصفته بكونه ملكا وقيل
 لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجبج الآفات والحوادث التى تحصل للبشر
 وصفن يوسف بذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ﴿ هى قالت
 امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف وهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته
 وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفنا فتاها
 الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب
 الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفضا لمتركته فى الحسن واستحقاق
 أن يجب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
 تقول هو ذلك لعبد الكنعاني الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه ثم ان امرأة
 العزيز صرحت بما فعلت فقالت ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ يعنى
 فامتنع من ذلك الفعل الذى طابته منه وانما صرحت بذلك لانه علمت انه لا ملامة
 عليها منه وانهن قد أصابن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت ﴿ ولئن
 لم يفعل ما أمره ﴾ يعنى وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه ﴿ ليسجنين ﴾ أى ليعاقبن بالسجن
 والحبس ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ يعنى من الاذلاء المهائين فقال النسوة ليوسف
 أطع مولاناك فيما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على العصية حين توعدته المرأة

(ما هذا بشرا) آدميا (ان هذا) ما هذا (الاملك كريم) على ربه (قالت) زليخا لهن (فذلكن الذى لمتننى) وعدتنتنى
 (فعدراودته عن نفسه) دعوته الى نفسه وطلبه لاستمكتن من نفسه (فاستعصم) فامتنع عنى بالمعنى (ولئن لم يفعل ما أمره
 ليسجنين) فى السجن (وليكونا من الصاغرين) من الذليلين فيه وقلن هؤلاء النسوة ايوسف أطع مولاناك

(قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قار له ما عابك لو أجبت مولاتك أو اقتنت كل واحد به فدعته الى نفسها سرا فاتجأ { الجزء الثاني عشر } الى ربه قال رب ﴿ ٤٠٤ ﴾ السجن أحب الي من ركوب المعصية

بالايم كما سفا على حكم الوفاء وذلك في الخفيفة اشبهها بالتوبين ﴿ قال رب السجن ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿ أحب الي مما يدعونني اليه ﴾ أي أترعندي من مؤثاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفه من مخالفتها وزين له مطاوعها أو دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولي به ان يسأل الله العاقبة ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿ والاتصرف ﴾ وان لم تصرف ﴿ عن كيدهن ﴾ في تحبب ذلك الى وتحسينه عندي بالثبوت على العصمة ﴿ اصب اليهن ﴾ امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبيعية ومقتضى شعوتى والصورة الميل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تستطيرها وتبل اليها وقرى اصب من الصبابة وهى الشوق ﴿ واكن من الجاهلين ﴾ من السفهاء بار تكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفضل التقيج أو من الذين لا يعملون بما يعملون فانهم والجهال سواء ﴿ فا تجاب له ربه ﴾ فاجاب الله دعاه الذى تضمنه قوله والاتصرف ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿ انه هو السميع ﴾ لدعاء المتجئين اليه ﴿ العليم ﴾ باحوالهم وما يصلحهم ﴿ ثم بداهم بذلك ﴾ قال رب ﴿ أى يارب ﴾ السجن أحب الي مما يدعونني اليه ﴿ قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بحضورهن قلب بعضهم لولم يقل السجن أحب الي لم يتصل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العاقبة ﴿ والاتصرف عن كيدهن ﴾ يعنى ما أردن مني ﴿ اصب اليهن ﴾ أى امل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه ﴿ واكن من الجاهلين ﴾ يعنى من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ يعنى فاجاب الله تعالى دعاه يوسف ﴿ فصرف عنه كيدهن انه هو السميع ﴾ يعنى لدعاء يوسف وغيره ﴿ العليم ﴾ يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمه البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وقرع الى النساء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بصحة الله ولطفه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم بداهم ﴾ يعنى للعزير واصحابه فى الراى وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحني عند الناس فنجبرهم بانى قدر اودته عن نفسه فاما ان تأذنى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبس

(والاتصرف عن كيدهن) فزع منه الى الله فى طلب العصمة (أصب اليهن) امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تصبو اليها لطيب نسيها وروحها (واكن من الجاهلين) من الذين لا يسمون بما يعملون لان من لا جدوى لطفه فهو ومن لم يعلم سواء او من السوء فلما كان فى قوله والاتصرف عن كيدهن منى طلب الصبر والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى اجاب الله دعاه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات المتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهم (ثم بداهم) فاعله مضمير لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بداهم بداه أى ظهر لهم رأى والضمير

(قال) يوسف (رب) يارب (السجن أحب الي مما يدعونني اليه) من الزنا (والاتصرف) ان لم تصرف (عن كيدهن) مكرهن (صب اليهن) امل اليهن (واكن من الجاهلين) بنعمتك ويقال من الزانين

(فاستجاب له ربه) دعوته (فصرف عنه كيدهن) مكرهن (انه هو السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة (فراى)

ويقال السميع لما قلتهن العليم بمكرهن (ثم بداهم) ظهر لهم يعنى للعزير

في لهم العزيز وأهله (من يهدمارأوا الآيات) وهي الشواهد على برأته كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجنته) لا بداء عذرا لالحال أو إرخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها وكان مطووا لها وجلاذئولا زمامه في يدها وقد طمعت أن يذللها السجن ويسخرها لها وخافت عليه الميون وظنت فيه الظنون فالتجأها الخليل من الناس والوجل من البأس ﴿ ٤٠٥ ﴾ إلى ان رصيت { سورة يوسف } بالحجاب مكان خوف

الذهب لتشتق بجزءه اذا منعت من نظره (حق حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن قتيان) عبدان للملك خبازه وشرابييه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبته فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له قال أحدهما أي شرابييه (أني أراي) أي في المام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنباً تسمية للعنب بما يؤل إليه أو الخمر بلغة عمان

(من يهد مارأوا الآيات) شق القميص وقضاء أخيها (ليسجنته حتى حين) الى سنين ويقال الى حين يقطع مقالة الناس (ودخل معه السجن) بعد دخوله الى خمس سنين (قتيان) عبدان للملك صاحب شرابه وصاحب مطبخه غضب عليهما

من يهد مارأوا الآيات ﴿ ثم ظهر للعزيز وأهله من يهدمارأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وقاعل بداء ضمير يقصره ﴿ ليسجنته حتى حين ﴾ وذلك لانها خدعت زوجها وطلت عليه سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه ويحسب الناس انه المحرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعق بلغة هذيل ﴿ ودخل معه السجن قتيان ﴾ أي ادخل يوسف السجن وانفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابييه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه ﴿ قال احدهما ﴾ يعني الشرابي ﴿ اني أراي ﴾ أي أرى في المام هي حكاية حال ماضية ﴿ أعصر خرا ﴾

فأرى حبسه ﴿ من يهدمارأوا الآيات ﴾ يعني الدالة على صدق يوسف وبرأته من قعد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ﴿ ليسجنته ﴾ أي ليحبسن يوسف في السجن ﴿ حتى حين ﴾ يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقل عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا يوسف من همه بالمرأة ﴿ ودخل معه السجن قتيان ﴾ وهما غلامان كالمالويدين نزوان الممليق ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جاعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياه وقتله فضمنوا الهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساق ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلاحض الطعام بين يدي الملك قال الساق لاتأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساق اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فاني فاطم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر عليه ويقول اني أعبر الاحلام فقل أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراه ياله رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود مارأيا شيئا انما تحالما ليجريا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألتهما عن شأنهما فذكر انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا تد غتهما فقال يوسف قصا على مارأيتما قصصا عليه مارأياه فذلك قوله تعالى ﴿ قال احدهما ﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿ اني أراي أعصر خرا ﴾ يعني عنباً سمي

وادخلهما السجن (قال أحدهما) وهو الساق (أني أراي) رأيت نفس (أعصر خرا) عنباً وأسقى الملك وكان رؤياه انه رأى في منامه كأنه يدخل كرم ما فرأى في الكرم حيلة حسنة فيها ثلاثة قضبان وعلى قضبان عناقيد العنب فاجتق العنب فعصره وناوله الملك فقال له يوسف ما أحسن ما رأيت أما الكرم فهو العمل الذي كنت فيه وأما الحيلة فهي سلطانك على ذلك وأما حسنها فهو عنك وكرامتك في ذلك العمل وأما ثلاثة قضبان على الحيلة فهي ثلاثة أم تكون في السجن فتخرج فتعود الى عملك وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو

اسم للعب (وقال الآخر) أي خبازه (أني أرا في أجل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبشاً وتأويله) بتأويل ما رأيناه (أنا من المحسنين) من الذين { الجزء الثاني عشر } يحسنون عبارة ﴿ ٤٠٦ ﴾ الرؤيا أو من المحسنين إلى أ

أي عنبا وسماه خرا باعتبار ما يؤل إليه ﴿ وقال الآخر ﴾ أي الحباز ﴿ أني أرا في أجل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ تنهش منه ﴿ نبشاً وتأويله أنا تراك من المحسنين ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قال ذلك لأنهما رأياه في السجين يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجين فأحسن النبات وتأويل ما رأينا أن كنت تعرفه ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأً تكما بتأويله ﴾ أي بتأويل ما قصصتما على أوتأويل

العب خرا باسم ما يؤل إليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجراً وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك أنه قال أني رأيت في المنام كأنني في بستان وإذا فيه أصل حبله وعليها ثلاثة عنقيد عنب فحيتبا وكان كأس الملك في يدي فمصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿ أني أرا في أجل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ وذلك أنه قال أني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الحبز وألوان الأظعمة وسباع الطير تنهش منها ﴿ نبشاً وتأويله ﴾ أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل إليه امر هذه الرؤيا ﴿ أنا تراك من المحسنين ﴾ يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان أحسانه فقال كان إذا مرض إنسان في الحبس مدهدوقام عليه وإذا ضاق على أحد وسع عليه واد احتاج أحد جمع له شيئاً وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقال أنه لما دخل السجين وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجائهم وطال حزنهم فحمل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بآرك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديتك لقد بورك لنا في جوارك فنأين أنت قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن باقى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختراى بيوت السجن شئت وقيل ان القئين لما رأيا يوسف قالانا أهدأ حبينك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا أدخل على من حبه بلاء فقد أحببتني عنى فدخل على من ذلك بلاء وأحبنى أنى فالقيت في الحب وأحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء إلى التوحيد وقيل أنه علمه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما عقدهما وذلك لهما طلبانه علم التصير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المنيات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه وإذا قدر على الاخبار عن القيوب كان أقدر على تصير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تصير رؤياهما إلى اظهار المعجزة لأنه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فظاهره المعجزة لهذا السبب ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأً تكما بتأويله ﴾ قيل أرادته في اليوم يقول لا يأتيكما طعام

السجين فانك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فأحسن النبات وتأويل ما رأينا وقيل انهما تحاللا ليمتحناه فقال الشرايى أنى رأيت كأنى في بستان فإذا باصل حبله عليها ثلاثة عنقيد من عنب فمصرتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الحباز انى رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأظعمة فإذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأً تكما بتأويله) أى ببيان ماهته ان يردك الى عملك وكرمك ويحسن اليك (وقال الآخر) وهو الحباز (انى أرا في رأيت نفسى (أجل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) وكان رؤياها أنه رأى في منامه كأنه يخرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال من الحبز فوقع طبر على أعلاها وأكل منها فقال له يوسف بشس ما رأيت اما خروجهك من المطبخ فهو أن يخرج من عملك واما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون في السجين وأما أكل الطير من رأسك فهو ان يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك

وقال قيل تصير (نبشاً أو بوله) أخبرنا بتأويل رؤياها (أنا تراك من المحسنين) إلى أهل السجين ويقال من (ترزقانه) الصادقين فيما تقول (قال) لهما يوسف وأراد ان يعلمهما علمه بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) تطعمانه (الانبأ تكما بتأويله)

وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان أفترض ذلك فوصل به ووصف نفسه
 بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه يشبهها بما يعمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ووصف لهما ويقول
 اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت ﴿ ٤٠٧ ﴾ فيكون كذلك { سورة يوسف } وجعل ذلك تخلصا الى

أن يذكر لهما التوحيد
 ويعرض عليهما الايمان
 ويزينه لهما ويقبح اليهما
 الشرك وفيه ان العالم اذا
 جهلت منزلته في العلم
 فوصف نفسه بما هو بصدده
 ورضه أن يقتبس منه لم
 يكن من باب التزكية
 (ذاكما) اشارة لهما الى
 التأويل أي ذلك التأويل
 والاخبار بالمغيبات (عما
 علمي ربي) وأوحى به الى
 ولم أقله عن تكهن وتنجيم
 (اني تركت ملة قوم
 لا يؤمنون بالله وهم
 بالآخرة هم كافرون)
 يجوز أن يكون كلاما
 مبتدأ وان يكون تعليلا
 لما قبله أي علمي ذلك
 وأوحى به الى لاني رفضت
 ملة أولئك وهم أهل
 مصر ومن كان الفتيان على
 دينهم (واتبت ملة آباءى
 ابراهيم واسحق ويعقوب)
 وهى الملة الحنيفية
 وتكريرهم للتوكيد وذكر
 الآباء ليريهما أنه من بيت
 السوة بعدان عرفهما أنه
 نبي وحي اليه بما ذكر

الطعام ينفى بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كما مر اراد ان يدعوهما الى التوحيد
 ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسحق اليه ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء
 عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم
 من الاخبار بالغيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير ﴿ قبل ان يأتيكما ذلكما ﴾ أي ذلك
 التأويل ﴿ مما علمني ربي ﴾ بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن أو التنجيم ﴿ اني تركت
 ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ تعليل لما قبله أي علمي ذلك لاني تركت
 ملة أولئك ﴿ واتبت ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ أو كلام مبتدأ لتبديد الدعوة
 واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز
 ترزقانه في نومكما الا أخبرتكما خبره في اليقظة وقيل أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما
 طعام من منازلكما ترزقانه ينفى تطعمانه وتأكلانه الانبأ تكما بتأويله ينفى أخبرتكما
 بقدر مولونه والوقت الذي يصل اليكما به ﴿ قبل ان يأتيكما ﴾ ينفى قبل أن يصل اليكما
 وأي طعام أكتموكم أكتموكم وهدا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال
 وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا
 من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك
 اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به ﴿ ذلكما بما علمني ربي ﴾ ينفى ان هذا
 الذي أخبرتكما به وحي من الله أوحاه الى وعلم علمي ﴿ اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
 بالله ﴾ فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام
 كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجودهم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله
 تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء
 والاتفات اليه بالمرء وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع
 عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز
 وهو كافر وجيعة من عده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايان
 الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ فترك
 ما هم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظهم في قوله وهم بالآخرة هم
 كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله ﴿ واتبت ملة آباءى ابراهيم واسحق
 ويعقوب ﴾ لما دعى يوسف عليه السلام التوبة وأظهر المعجزة أطهرانه من أهل بيت

من اخباره بالغيب اتوى عنهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداه لانه كان فيه ثم تركه

لونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) كيف لا اعلم تدير رؤيا كما (ذلكما) لتعبر (عما علمني ربي اني تركت ملة قوم) لم أتبع دين قوم (لا تؤمنون
 بالله وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (واتبت ملة آباءى) استممت على دين آباءى (أبراهيم واسحق ويعقوب)

الجزء الثاني عشر { الانبياء (ان تشرك) ٤٠٨ ﴿ بالله من شئ ﴾ أى شئ كان

للتخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرر الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿ ما كان لنا ﴾ ما صح لنا معشر الانبياء ﴿ ان تشرك بالله من شئ ﴾
أى شئ كان ﴿ ذلك ﴾ أى التوحيد ﴿ من فضل الله علينا ﴾ بالوحى ﴿ وعلى الناس ﴾
وعلى سائر الناس بيهتتنا لارشادهم وتبديهم عليه ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ المبعوث اليهم
﴿ لا يشكرون ﴾ هذا المضل فيعزثون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلقونها
كن يكفر النعمة ولا يشكروها ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أى باساكنيه أو يا صاحبي فيه فاضافة
اليه على الاتساع كقوله

ياسارق البيلة اهل الدار

﴿ أرباب متفرقون ﴾ شق متعددة متساوية الاقدام ﴿ خير أم الله الواحد ﴾ المتوحد
بالالوهية ﴿ القهار ﴾ الغالب الذى لا يعادله

النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين
بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر
يوسم عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليعلموا قوله
ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ﴾ معناه
ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان
ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصاصها قال الواحدى لفظة من في
قوله من شئ زائد مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء أن تشرك بالله من شئ أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا
أن تشرك به صغلا يسمع ولا يبصر ﴿ ذلك من فضل الله ﴾ يعنى ذلك التوحيد وعدم
الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله ﴿ علينا وعلى الناس ﴾ يعنى بما نصب لهم من
الأدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على
عباده ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ يعنى ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه
النعم التي أنعم ما عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاها الى الاسلام فقال
﴿ يا صاحبي السجن ﴾ يريد يا صاحبي في السجن فاضافة اليه السجن كما تقول ياسارق
الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ومحوز أن يريد يا صاحبي السجن كقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة ﴿ أرباب متفرقون ﴾ يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب
وجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضرو ولا تنفع
﴿ خير أم الله الواحد القهار ﴾ يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم
الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل
هو المنقطع عن القرن والمعدوم الشريك والنظير وليس كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة
لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل
له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة
وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلّه فاستسلم وانقاد وذلّه

(والمعنى)

بلاولده ولا شريك القهار الغالب على خلقه

(ما كان لنا) ما صح لنا معشر
أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد
(من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون) فضل الله
فيشركون به ولا يتوبون
(يا صاحبي السجن) يا صاحبي
السجين كقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة (أرباب
متفرقون خير أم الله
الواحد القهار) يريد
التفرق في العدد والتكاثر
أى ان تكون أرباب شق
يستبد كما هذا ويستبد كما
هذا خير لكما أم يكون لكما
رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده
ولعبادة الاصنام

ما كان لنا (ما جاز لنا
(ان تشرك بالله من شئ)
شيأ من الاصنام (ذلك) الدين
القيم النبوة والاسلام اللذان
أكرمنا الله بهما (من فضل
الله علينا) من من الله علينا
(وعلى الناس) ارسلنا
اليهم ويقال على المؤمنين
بالايان (ولكن أكثر الناس)
أهل مصر (لا يشكرون)
لا يؤمنون بذلك (يا صاحبي
السجين) قال هذا السجين
ولا هل السجن ١ أرباب
متفرقون خير) يقول اعبادة
آلهة شتى خير (أم الله الواحد
القهار) أم عبادة الله الواحد

(ماتعبدون) خطاب لهما ولن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الأسماء سميتوها أنتم وآبؤكم) أي (أهل مصر) ما لا يستحق الإلهية ألهمه لطفتم تعبدونها ﴿ ٤٠٩ ﴾ فكانتم { سورة يوسف } لاتعبدون الا اسماء لاسميت

لهو معنى سميتوها سميت بها
 يقال سميت زيدا وسميته زيد
 (ما أنزل الله بها) بتسميتها
 (من سلطان) حجة (ان
 الحكم) في أمر العباد
 والدين (الالله) ثم بين
 ما حكم به فقال (أمرألا
 تعبدوا الاياه ذلك الدين
 القيم) الثابت الذي دلت
 عليه البراهين (ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون)
 وهذا يدل على ان العقوبة
 تلزم العبد وان جهل اذا
 أمكن له العلم بطريقه ثم
 عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي
 السجن أما أحدكما) يريد
 الشرايبي (فيستق ربه) سيده
 (خرا) أي يعود الى عمله
 (وأما الآخر) أي الخباز
 (فيصلب)

ولا يقاومه غيره ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولن على دينهما من أهل مصر ﴿ الا اسماء سميتوها أنتم وآبؤكم ﴾ ما أنزل الله بهما من سلطان ﴿ أي الاشياء باعتبار اسماء اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكانتم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتهم مالم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ في امر العباد ﴿ الله ﴾ لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد لكل والمالك لاسره ﴿ أمر ﴾ على لسان انبيائه ﴿ ألا تعبدوا الاياه ﴾ الذي دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وانتم لا تعبدون المموج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزمام الحجة بين لهم أولارجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابية ثم برهن على ان ما سموها آلهة ويصدونها لاتستحق الإلهية فان استحقاق العباد ما بالذات واما بالغير وكلا القسمين متبع عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ﴿ وأكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فيخطبون في جهالاتهم ﴿ يا صاحبي السجن اما احدكما ﴾ يعني الشرايبي ﴿ فيستق ربه خرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه ﴿ واما الآخر ﴾ يريد الخباز ﴿ فيصلب ﴾

والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهاتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يظلمه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ﴿ ثم بين عجز الاصنام وانها لاشيء البتة فقال ﴾ ماتعبدون من دونه ﴿ يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتداء بالتثنية في المخاطبة لانه أراد جمع من في السجن من المشركين ﴿ الا أسماء سميتوها ﴾ يعني سميتوها آلهة وأربابا وهي حجارة جادات خالصة عن المعنى لاحقيقة لها ﴿ أنتم وآبؤكم ﴾ يعني من قبلكم سموها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ يعني ان تسمية الاصنام آلهة لاجحة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ ان الحكم الا الله ﴾ يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك ﴿ أمرألا تعبدوا الاياه ﴾ لانه هو المستحق للعبادة لانه اسماء التي سميتوها آلهة ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ يعني عبادة الله هي الدين المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال ﴿ يا صاحبي السجن اما أحدكما فيستق ربه خرا ﴾ يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزله ويستق الملك خرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك ويرده الى منزله التي كان عليها ﴿ واما الآخر فيصلب ﴾ يعني

(ماتعبدون من دونه)
 من دون الله (الا أسماء)
 أصناما أمواتا (سميتوها)
 أنتم وآبؤكم (الآلهة) ما
 أنزل الله بها (ببادتكم لها)
 (من سلطان) من كتاب
 ولا حجة (ان الحكم) ما الحكم
 بالامر والنهي ويقال ما القضا
 في الدنيا والآخرة (الا الله)
 أمر (في الكتب كلها) الا
 تعبدوا (ان لا توحدا) (الا)
 اياه (الا بالله) (ذلك)

التوحيد (الدين القيم) وهو الدين القائم الذي (قاو خا ٥٢ لث) يرضاه وهو الاسلام (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون ثم بين تعبير رؤيا القتين فقال (يا صاحبي السجن اما احدكما) وهو الساق فيرجع الى مكانه وسلطانه الذي كان فيه (فيستق ربه) سيده الملك (خرا واما الآخر) وهو الخباز يخرج من السجن (فيصلب)

فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمه وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضيان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تضحى في السجين ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال لثاني ما رأيت من السلالة ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الجباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستقيان) أي قطع وتم ما تستقيان فيه من أمركما وشأنكما أي { الجزء الثاني عشر } ما يجرا اليه من العاقبة ﴿ ٤١٠ ﴾ وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

فتأكل الطير من رأسه ﴿ فقالا كذبنا فقال ﴿ قضى الامر الذي فيه تستقيان ﴾ أي قطع الامر الذي تستقيان فيه وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استقيتا في امرين لكنهما ارادا استبانة طاقبة ما نزل بهما ﴿ وقال للذي ظن انه ناج منهما ﴿ الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاده وان ذكر عن وحى فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين ﴿ اذ كرتني عند ربك ﴾ اذ كرتني عند الملك كي يخلصني ﴿ فانساه الشيطان ذكره ﴾ فانسى الشراي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر للاستهلام وعلى تقدير ذكر اخبار ربه وانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذ كرتني عند ربك لما لبث في السجين سبعا بعد الخس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محجوة

يعنى صاحب طعام الملك والسلالة الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فيصلبه ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سما قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال امارأنا شيئاً انما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضى الامر الذي فيه تستقيان ﴾ يعنى فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيئاً أم لم تريا ﴿ وقال ﴾ يعنى يوسف ﴿ للذي ظن ﴾ يعنى علم وتحقق فالظن يعنى العلم ﴿ انه ناج منهما ﴾ يعنى ساقى الملك ﴿ اذ كرتني عند ربك ﴾ يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجين غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه ﴿ فانساه الشيطان ذكره ﴾ في هاهنا الكناية في فانساه الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاهنا الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكره عز وجل حتى ابتلى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرايسيات المقربين ﴿ فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكره ﴾ قلت بشغل خاطر وألقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجرى من ان آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر

(وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطرق الوحى فالظان هو الشراي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتني عند ربك) صفتي عند الملك يصفق وقص عليه قصتي لعله يرجئني ويخلصني من هذه الورطة (فانساه الشيطان) فانسى الشراي (ذكره) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اذ كرتني عند ربك لما لبث في السجين سبعا

فتأكل الطير من رأسه) ففزعاً لتعب رؤيا الانجياز وقال جيبا مارأينا شيئاً قال لهما يوسف (قضى الامر الذي فيه تستقيان) تسألان فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون رأيتما أولم تريا (وقال للذي ظن)

علم (انه ناج منهما) من السجن والقتل وهو الساقى (اذ كرتني عند ربك) عند سيدك الملك انى مظلوم عدا (وازاته) على اخوتي فباعوني وأنا حر وحسبت في السجن وأنا مظلوم (فانساه الشيطان ذكره) فاشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند سيده الملك وقال وسوس له الشيطان ان ذكرت السجن للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكره ويقال فانساه الشيطان انسى الشيطان يوسف ذكره حتى ترك ذكره وذكروا مخلوقا دونه

(فلبث في السجين بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك أني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات ﴿٤١١﴾ خضر وأخرى يابسات) { سورة يوسف } لما دنا فرج يوسف رأى ملك

مصر الريان بن الوليد رؤيا عجبية هالكة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت السمازل السمان وياسات ﴿٤١١﴾ وسبعا أخرى يابسات قد أدركت فالتوت اليايسات على الخضر حتى ظنن عليها وأنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

في الجملة لكنها لا تليق بتعصب الانبياء ﴿٤١١﴾ فلبث في السجين بضع سنين ﴿٤١١﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القمع ﴿٤١١﴾ وقال الملك أني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ﴿٤١١﴾ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات سمازل فابتلعت السمازل السمان ﴿٤١١﴾ وسبع سنبلات خضر ﴿٤١١﴾ قد انقدها ﴿٤١١﴾ وأخرى يابسات ﴿٤١١﴾ وسبعا أخرى يابسات قد أدركت فالتوت اليايسات على الخضر حتى ظنن عليها وأنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

وازاله عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ﴿٤١١﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿٤١١﴾ فلبث في السجين بضع سنين ﴿٤١١﴾ اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث إلى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجين خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجين سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساق اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً طيلن حبسك فبكي يوسف وقال يارب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجين ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل : أمر فرغنا إلى الناس ذكره الثعلبي مرسلًا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجين فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخططين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر ينقر عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لأبئتك في السجين بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عن راض قال نعم قال اذا لأبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حبسك إلى أيبك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجين رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجبية هالكة وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرمهن شيء ولم يتبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انقدها وسبع سنبلات أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليايسات على الخضر حتى علون عابهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السمرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى ﴿٤١١﴾ وقال الملك أني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات

(فلبث في السجين بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك أني أرى سبع بقرات سمان يخرجن من نهر يابس وسبع بقرات سمازل فابتلعت السمازل السمان وياسات ﴿٤١١﴾ وسبع سنبلات خضر ﴿٤١١﴾ قد انقدها ﴿٤١١﴾ وأخرى يابسات ﴿٤١١﴾ وسبعا أخرى يابسات قد أدركت فالتوت اليايسات على الخضر حتى ظنن عليها وأنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

من بعد السمان ولم يستبن عليهن شيء (وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات) التوت على الخضر وغابن خضرتهن ولم يستبن عليهن

على التفسير والتقيص على التقيص وفي الآية دلالة على ان السبلات الباسية كانت سبعا كالحضر لان الكلام مبنى على التصيد الى هذا العدد في البقرات السمان والجاف والسابل الحضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخرا يساد بمعنى وسبعا آخر (يا أيها الملأ) كأنه أراد الايمان من العلماء والحكماء (أفتونى في رؤياي ان كنتم للرؤيا تبصرون اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيمن الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثلا اذا تأخر عنه فمضد بها تقول { الجزء الثاني عشر } عبرت الرؤيا ﴿ ٤١٢ ﴾ وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كما

ثم ذر التميز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه تقيصه ﴿ يا أيها الملأ أفتونى في رؤياي ﴾ عبروها ﴿ ان كنتم للرؤيا تبصرون ﴾ ان كنتم علمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تميرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فان الفعل لما أخرج من مفعوله ضعف قوياً باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تبصرون معنى فعمل يمدى باللام كأنه قيل ان كنتم تتدبرون لعبارة الرؤيا ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من إخلاط النبات وحزم فاستعمل للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الخيال بالطلان كقولهم فلان يركب الخيل أي تضمنه اشياء مختلفة ﴿ وما نحن بتأويل الاحلام بمالين ﴾ يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثابتة للمعنى في جهلهم بتأويله ﴿ وقال الذي نجما نهما ﴾ من صاحى السجمن

يا أيها الملأ أفتونى في رؤياي ﴿ يعني يا أيها الاشراف أخبروني بتأويل رؤياي ﴾ ان كنتم للرؤيا تبصرون ﴿ يعني ان كنتم يحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تمييزا لان المفسر للرؤيا يأمر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره ﴿ قالوا ﴾ يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك ﴿ أضغاث أحلام ﴾ يعني إخلاط مشتبهة واحدا ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه ﴿ وما نحن بتأويل الاحلام بمالين ﴾ لما جعل الله هذه الرؤيا سبيلا للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك لما رأى قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد ان يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبديه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سبيلا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذي نجما نهما ﴾

كقولك كان فلان لهذا الاسم اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتبصرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت الثمر اذا قطعت حتى تبلغ آخر عرضته وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت ما لها وهو سرجهما وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم يتكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من إخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعبرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزياد في وصف الحلم بالطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل (يعني الاحلام بمالين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات العجيبة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذي بجحا) من القتل (منها)

وصف الحلم بالطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل (يعني الاحلام بمالين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات العجيبة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذي بجحا) من القتل (منها)

شيء (يا أيها الملأ) يعني العرافين والسحرة والكهنة (أفتونى في رؤياي) في تمييز رؤياي (ان كنتم للرؤيا تبصرون) تعلمون (قالوا) يعني العرافين والكهنة والسحرة (أضغاث أحلام) هذه أباطيل أحلام كاذبة مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام) يقول بتعبير رؤيا الاحلام (بمالين وقال الذي بجحا نهما)

من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو التصحيح واسله اذ تكرر فابدلت الدال دالا واتساء دالا وادجتت الاو
 الثانية لثارب الحرفين وعن الحسن واذ كر ووجهه انه قلب الاء ذالا وادتم أي تذكرو يوسف وما شاهد منه (بعدامة)
 بعدمة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكرو التاجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤياه
 صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده عمله (فارسلون) وبالياه يقوب
 أي فابشوني اليه لاسأله فارسلوه الى ﴿ ٤١٣ ﴾ يوسف فاتاه { سورة يوسف } فقال (يوسف أيها

الصديق) أيها الليخ
 في الصدق وانما قال له ذلك
 لانه ذاق وتعرف صدقه
 في تأويل رؤياه ورؤياه صاحبه
 حيث جاء كما اول (أفتنا
 في سبع بقرات سمان
 يا كلهن سبع عجاف وسبع
 سنبلات خضر وأخر
 يابسات لعلى أرجع الى
 الناس) الى الملك وأتباعه
 (لعلهم يعلمون) فضلك
 ومكانك من العلم فيطلبوك
 ويخلصوك من محتك
 (قال تزرعون

وهو الشراي ﴿ وادكر بعدامة ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة
 طويلة وقرى أمة بكسرة الهمزة وهى النعمة أى بعد ما نعم عليه بالخجاة واهه أى نسيان
 يقال اهه ياهمه اهها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ﴾
 أى الى من عنده علمه وألى السجن ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ أى فارسل الى يوسف فيجابه وقال
 يا يوسف وانما وصفه بالصديق هو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل
 رؤياه ورؤياه صاحبه ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
 واخر يابسات ﴾ أى في رؤياه ذلك ﴿ لعلى أرجع الى الناس ﴾ اعود الى الملك ومن عندهما الى
 اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ تأويلها أوفضلك ومكانك وانما
 لم يبت الكلام فيها لانه لم يكن جازما من الرجوع فرعا اخترم دونه ولا من علمهم ﴿ قال تزرعون

يسنى وقال الساقى الذى نجما من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الجباز ﴿ وادكر
 بعدامة ﴾ يعنى انه تذكر قول يوسف اذ كرى عند ربك بعدامة يعنى بعد حين وهو سبع
 سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة ﴿ أنا أنبئكم ﴾ يعنى
 أخبركم ﴿ بتأويله ﴾ وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة الصحرة
 والكهنة والمبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان
 الفتى الساقى جثاين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا طالما يبصر الرؤيا ﴿ فارسلون ﴾
 فيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى
 المدينة ﴿ يوسف ﴾ أى يا يوسف ﴿ أيها الصديق ﴾ انما سماه صديقا لانه لم يجرب
 عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه
 صدق فى تفسير رؤياه التى رآها فى السجن ﴿ أفتنا فى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف
 وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ فان الملك رأى هذه الرؤيا ﴿ لعلى أرجع الى
 الناس ﴾ يعنى أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجاعته ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ يعنى
 بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم ﴿ قال ﴾ يعنى قال يوسف معبر تلك
 الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف
 والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى ﴿ تزرعون ﴾ وهذا خبر

فيجابه فقال ليوسف يا (يوسف أيها الصديق) الصادق فى تفسير الرؤيا الاولى (أفتنا فى سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يا كلهن)
 يتلهمن (سبع عجاف) هزالها لكات (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الحضرة وغلبن خضرتهن (لعلى
 أرجع الى الناس) الى الملك (لعلهم يعلمون) لى بملوار رؤيا الملك فقال يوسف نعم اما السبع بقرات السمان فهن سبع سنين
 مخصبة وأما السبع سنبلات الخضر فهى الحصب والرخص فى السنين المخصبة وأما السبع بقرات الهزالها لكات فهى سبع سنين
 مجدبة وأما السبع سنبلات اليابسات فهى القحط والغلاء فى السنين المحدبة ثم علمهم يوسف كيف يصنعون (قال تزرعون

سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليبه قوله فذروه في سنبله وانما يخرج
 الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود الامور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحذف بحركة
 وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دأبين (فأحصدم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا
 قليلا مما تأكلون) في تلك ; الجزء الثاني عشر { السنين ٤١٤ } (ثم يأتي من بعد ذلك سبع

سبع سنين دأبا ﴿ أي على عادتك المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دأبين أو المصدر
 باضمار فعله أي تأبون دأبا وتكون الجملة حالا * وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة
 كلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون اسم اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله
 ﴿ فأحصدم فذروه في سنبله ﴾ لتلايا أكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
 عن العبارة ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ في تلك السنين ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداديا كلن
 ما قدمتم لهن ﴾ أي يأكل اهلهم ما دحرتهم لاجلهم فاستداليهن على المجاز تطيقا بين
 المبرو المعبر به ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ ثم يأتي من بعد
 ذلك عام فيه يفاث الناس ﴾ يعطرون من الفيت أو يفاثون من القمص من الفوت ﴿ وفيه
 يصرون ﴾ ما يصبر كالغلب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حزة
 والكسائي ياتاه على تغليب المستقوى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاء ويحتمل
 ان يكون المبنى للفساعل منه أي يفتهم الله وينيث بعضهم بعضا أو من اعصرت السحابة
 عليهم فعدى بترع الحافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بهابدان اول
 البقرات السمان والسنبلات الحضر بسنين مخضبة والجفاف واليابسات بسنين مجدبة

بمعنى الاسرائى ازرعوا ﴿ سبع سنين دأبا ﴾ يعني عادتك في الزراعة والدأب العادة وقيل
 ازرعوا يجرد واجتهاد ﴿ فأحصدم فذروه في سنبله ﴾ انما امرهم بترك ما حصدهم من الحنطة
 في سنبله لتلاي سد ويقع فيه السوس وذلك أتق له على طول الزمان ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾
 يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة
 أيضا وهو وقت السنين الجديدة وهو قوله ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد السنين المخضبة
 ﴿ سبع شداد ﴾ يعني سبع سنين مجدبة محملة شديدة على الناس ﴿ يأكلن ﴾ يعني يقنين ﴿ ما قدمتم
 لهن ﴾ يعني يؤكل فيهن كل ما أعددتهم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين
 على طريق التوسع في الكلام ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ يعني تحرزون وتدخرون للبذر
 والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ﴿ ثم يأتي من
 بعد ذلك ﴾ يعني من بعد هذه السنين الجديدة ﴿ عام فيه يفاث الناس ﴾ أي يعطرون من الفيت
 الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأثاق من الفوت ﴿ وفيه يصرون ﴾
 يعني يصرون الغنبا خيرا والزيتون زيتا والسوس دهنا أادبه كذرة الخير والنعيم على
 الناس وكذرة الحصب في الزرع والثمار وقيل يصرون ممتناه ينجون من الكرب والشدة

شداديا كلن) هو من اسناد
 المجاز جعل أكلهن مستدا
 اليهن (ما قدمتم لهن) أي
 في السنين المخضبة (الا قليلا
 مما تحصنون) تحرزون
 وتخثون (ثم يأتي من بعد
 ذلك عام) أي من بعد
 أربع عشرة سنة عام (فيه
 يفاث الناس) من الفوت أي
 يجاب مستغثهم أو من
 الفيت أي يعطرون يقال
 غيثت البلاد اذا مطرت
 (وفيه يصرون) الغنبا
 والزيتون والسوس فيتحذون
 الاشربة والادهان يصرون
 حزة قاول البقرات السمان
 والسنبلات الحضر بسنين
 مخاصيب والجفاف واليابسات
 بسنين مجدبة ثم بشرهم
 بعد الفراغ من تأويل
 الرؤيا بان العام الثامن يحيى
 مبارك كثير الخير عزيز
 النعم وذلك من جهة الوحي

سبع سنين (المخضبة
 (دأبا) دأبا كل عام (فا
 حصدم) من الزرع (فذروه
 في سنبله) في كواثره ولا
 تدوسوه لانه أتق له (الا قليلا

مما تأكلون) يقول بقدر ما تأكلون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المخضبة (سبع شداد) سبع سنين قحطية (والجدب)
 (يأكلن ما قدمتم لهن) ما رفتم لهن للسنين الجديدة في السنين المخضبة (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون (ثم يأتي من بعد ذلك)
 من بعد السنين الجديدة (عام فيه يفاث الناس) اهل مصر بالطعام والمطر (وفيه يصرون) الكروم والادهان والزيت
 فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك

وقال الملك اثوثي به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) اي الملك (فاستله ما بال النسوة) أي حال النسوة
 اللاتي قطعن ايديهن) انما ثبت وتأتي في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عارياً به وسجن في ذلك لا يتسلى به
 الحاسدون الى تقيح أمره عنده ويحملوه سلا الى حط منزله ليدخله ولثلاث بقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لاسرع عظيم وجرم كبير
 فيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم ﴿ ٤١٥ ﴾ واجب وجوب { سورة يوسف } اتقاء الوقوف في موافقها

وقال عليه السلام لقد
 عجبت من يوسف وكرمه
 وصبره والله يغفر له حين
 سئل عن البقرات الجحاف
 والسمان ولو كنت مكانه
 ما أخرتهم حتى اشتراطن
 يخرجوني واقتد. عجبت منه
 حين أتاه الرسول فقال
 ارجع الى ربك ولو كنت
 مكانه وليت في السجن
 ما لبث لاسرعت الاحابة
 وبادرت الباب ولما انشيت
 العذران كان لخليما ذأناة
 ومن كرمه وحسن أدبه
 انه لم يذكر سيده مع
 ما صنعت به وتيسيت فيه
 من السجن والذاب واقتصر
 على ذلك المقطعات أيديهن
 (ان ربي بكيدهن عليم) أي
 ان كيدهن عظيم لا يعلمه
 الا الله وهو مجازين عليه
 فرجع الرسول الى الملك

(وقال الملك اثوثي به) يوسف
 (فلما جاءه الرسول) وهو
 الساقى الى يوسف فقال ان
 الملك يدعوك (قال) له
 يوسف (ارجع الى ربك)

وابتلاع الجحاف السمان بأكل ما جع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك
 بالوحى أو بان انتهاء الجذب بالخصب أو بان السنة الالهية على ان يوسف على عبادته بعدما
 ضيق عليهم ﴿ وقال الملك اثوثي به ﴾ بعدما جاءه الرسول بالتحير ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾
 ليخرجه ﴿ قال ارجع الى ربك فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ﴾ انما تأتي
 في الخروج وقدم سؤال النسوة وتقصص حالهن ليظهر براءة ساحته ويؤاخذ سجن ظلماً
 فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقيح أمره وفيه دليل على انه ينبغي ان يحتمد في نفي التهم
 ويتقى موافقها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت مكانه وليت في السجن ما لبث
 لاسرعت الاحابة وانما قال فاستله ما بال النسوة ولم يقل فاستله ان يقتش عن حالهن
 تهيجاله على الصمت وتحقيق الحال وانما يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كراماً وحرارة
 للادب وقرئ النسوة يضم النون ﴿ ان ربي بكيدهن عليم ﴾ حين قلن لي اطعم مولاناك
 والجذب * قوله عز وجل ﴿ وقال الملك اثوثي به ﴾ وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك
 وأخبره بفتيا يوسف وما عبره رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كأن لا محالة
 فقال اثوثي به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي هذه العبارة فرحم الساقى
 الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ فأى أن يخرج
 منه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص ﴿ قال ﴾ يعنى قال يوسف للرسول
 ﴿ ارجع الى ربك ﴾ يعنى الى سيدك وهو الملك ﴿ فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ﴾
 ولم يصرح يذكر امرأة العزيز أذبا واحتراما لها (ق) عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجت الداعى
 اخبره الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاستله ما بال النسوة
 اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام
 وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى حاه من عنده فلم يخرج
 معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن
 وراسل الملك في كشف أمره الذى سجن بسبه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن
 صدره على المحنة والبلاء ﴿ وقوله ﴾ ان ربي بكيدهن عليم ﴿ يعنى ان الله تعالى عالم
 بصنعهم وما احتلن في هذه الواقعة من الحمل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف

الى سيدك الملك (فاستله ما بال النسوة) يقول قل لملك حتى يسأل عن خبر النسوة (اللاتي قطعن) خدشن وخشن (أيديهن ان ربي)
 سيدى (بكيدهن) بكرهن وصنعهم (عليم) فرجع الرسول وأخبر الملك فجمع الملك هؤلاء النسوة كاهن وكن أربع نسوة
 امرأة ساقيه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة العزيز أيضا ولم يكن في مصر أعظم منهن

من عند يوسف برسائه قدام الملك التسوة المقطعات ايديهم ودعا امرأة العزيز تم (قال) لهن (ماخطبكن) ماشأناك
 (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش الله) تجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا
 عليه من سوء) من ذنب (قالت) الجزء الثاني عشر { امرأت العزيز } ٤١٦ ← الآن حصص الحق) ظهر

وفيه تنظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بري مما قذف به والوعيد لهن على
 كيدهن ﴿ قال ماخطبكن ﴾ قال الملك لهن ماشأناكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه
 صاحبه ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش الله ﴾ تزيهله وتجب من قدرته على
 خلق عفيف مثله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امرأت العزيز الآن حصص
 الحق ﴾ ثبت واستقر من حصص البعير اذا التي مباركة ليناخ قال
 لحصص في صم الصفاقتاته • وناه يسلي نوءه ثم سما

او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرى على البناء
 للمفول ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتي عن
 نفسي ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما طاد اليه الرسول واخبره بكلامه من أي ذلك
 التثبت ليعلم العزيز ﴿ اني لم اخنه بالغيب ﴾ بظهور الغيب وهو حال من الفاعل
 أو المقفول أي لم اخنه وانما قتب عنه أو هو قائب عن أو ظرف أي بمكان الغيب وراء
 الاستار والابواب المغلقة ﴿ وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾

الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك التسوة وامرأة العزيز معهن و ﴿ قال ﴾ لهن
 ﴿ ماخطبكن ﴾ أي ماشأناكن وأمركن ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه ﴾ انما خاطب
 الملك جميع التسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أسترها
 وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسأتر التسوة أمره بطاعتها فلذلك
 خاطبهن بهذا الخطاب ﴿ قلن ﴾ يعني التسوة جميعا عجيبات للملك ﴿ حاش الله ﴾ يعني
 معاذ الله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ يعني من خيانة في شيء من الاشياء ﴿ قالت امرأت
 العزيز الآن حصص الحق ﴾ يعني ظهر وتبين وقيل ان التسوة أقبلن على امرأة
 العزيز فمزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت ﴿ انا راودته عن
 نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ يعني في قوله هي راودتن عن نفسي واختلقت في قوله ﴿ ذلك ليعلم
 اني لم اخنه بالغيب ﴾ على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام
 متصل بما قوله وهو قول المرأة الآن حصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
 ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته
 وهو السجين ولم أكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد
 قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت ﴿ وان الله لا يهدي
 كيد الخائنين ﴾ يعني اني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم اني اقتضيت لان الله

واستقر (انا راودته عن
 نفسه وانه لمن الصادقين)
 في قوله هي راودتن عن
 نفسي ولا مزيد على شهادتهن
 لله للبراءة والنزاهة واعتزالهن
 على انفسهن بانه لم يتعلق
 بشيء مما قذف به ثم رجع
 الرسول الى يوسف واخبره
 بكلام التسوة واقرار امرأة
 العزيز وشهادتها على نفسها
 فقال يوسف (ذلك) أي
 امتاعى من الخروج والتثبت
 لظهور البراءة (ليعلم)
 العزيز (اني لم اخنه بالغيب)
 بظهور الغيب في حرمة
 وبالغيب حال من الفاعل
 أو المقفول على معنى وأما
 قائب عن أو هو قائب عن
 أو ليعلم الملك اني لم اخن
 العزيز (وان الله) أي
 وليعلم أن الله لا يهدي كيد
 الخائنين لا يسدده وكانه
 تعرض بأسرته في خيانتها
 أمانة زوجها ثم أراد أن
 يتواضع لله ويهضم نفسه
 لئلا يكون لها من كيا وليين

دون الملك (قال) لهن
 (الملك) ماخطبكن ماشأناكن
 وما حالكن (اذراودتن

يوسف عن نفسه قلن حاش الله) معاذ الله (ماعلمنا عليه) ما رأينا منه (من سوء) من قبيح (قالت امرأت العزيز الآن (لا يرشد)
 حصص الحق) الآن تبين الحق ليوسف ويقال الآن خبر الصدق (انا راودته عن نفسه) أنا دعوتها الى نفسي (وانه لمن الصادقين)
 في قوله انه لم ير اودتن قال يوسف (ذلك ليعلم) العزيز (اني لم اخنه) في أسرته (بالغيب) اذا غاب عن (وان الله لا يهدي) لا يصوب
 ولا يرضى (كيد الخائنين) عمل الزائنين

لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الحائنين بكيدهم فأوقع القمل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لاماته ولذلك عقبه

لا يرشد ولا يوفق كيد الحائنين والقول الثاني أنه من قول يوسف عليه الصلا والسلام
وهذا قول الأكثرين من المفسرين والطاء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام
انسان بكلام انسان آخر إذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف
قول المرأة أنا راودته عن نفسه وانعلمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من
ردى رسول الملك إليه ليعلم يعني العزيز أي لم أخنه في زوجته بالقياس يعني في حال غيبته
فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز
بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع عوض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان
آخر من غير فصل بين الكلامين وتظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا
من قول الملائكة فإذا تأسرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا
من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا
أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين * أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما
رجع إليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ
ذلك ليعلم أي لم أخنه بالقياس وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال
ابن جرير والقول الثاني أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك
وهي إشارة للنائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الأنباري قال اللغويون
هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع تقرب الحد من أصحابه فصار
كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا وقبل ذلك إشارة إلى ما قبله يقول ذلك الذي فعلته
من ردى الرسول ليعلم أي لم أخنه بالقياس أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم
ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الحائنين يعني أني لو كنت خائناً لما خلصني
الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لأن الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد
الحائنين واختلفوا

ان ما فيه من الامانة يتوقف
الله وعصيته فقال

فقال له جبريل عليه السلام
ولا حين همست بها يا يوسف
فقال يوسف

الحزب الثالث عشر

قاله خير حافظا وهو ارحم الراحمين

بقوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ أي لا أنزهها نسيها على انه لم يرد بذلك تركية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليلى اني لم اخنه بالغيث قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿ان النفس لا مارة بالسوء﴾ من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القسوى والجوارح في قوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليلى لم اخنه بالغيث من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من صراوتي يوسف عن نفسه وكذبى عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه اكبر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليلى لم اخنه بالغيث قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكبرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليلى لم اخنه بالغيث خاف ان يكون قد ذكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لان الله تعالى قال ملائزكوا أنفسكم فى قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس فى مقام العصمة والتركية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسات الابرار سيآت المقربين ﴿ان النفس لا مارة بالسوء﴾ والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخرية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ما هى فالتدى عليه اكبر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمشة فهذه الثلاث المراتب هى

(وما أبرئ نفسي) من الزلل
وما شهد لها الا لكافية
ولا أز كهافى يوم الاحوال
أو، انه الحاد ثم لما ذكر ما
من بهاء لظنه
ابشيرة لاعمى طريق
العصم والعزم (ان النفس
لأ مارة بالسوء) أراد
الجنس أى ان هذا الجنس
يأمر بالسوء ويحمل عليه
لما فيه من الشهوات
(وما أبرئ نفسي) قلبى
من الهم (ان النفس) يعنى
القلب (لأ مارة) للسوء
(بالسوء) بالقبيح من العمل

(الامارح ربي) الا البعض الذي رحمة ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني انها امانة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة ﴿ ٤٢١ ﴾ أو هو استثناء منقطع أي ولكن رحمة

ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال التوبة وبحث بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الحيانة فاني قد خنته حين قد خنته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوا الا أن يسجين وأودعته السجين تريد الاعتذار عما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارح ربي الانفسا رحمة الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت رها واسترجته مما ارتكبت وانما حصل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) أجمله خالصا لنفسي (فلما كلفه) وشاهد منه ما لم يحسب

(الامارح ربي) عصم ربه

في اثرها كل الاوقات ﴿ الامارح ربي ﴾ الا وقت رحمة ربي أو الامارح الله من القوس فصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرا به وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب العزيمة واواثم الادغام ﴿ ان ربي غفور رحيم ﴾ يفقرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يفقر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه المستغفر واسترجه مما ارتكبه ﴿ وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ﴾ أجمله خالصا لنفسي ﴿ فلما كلفه ﴾ أي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والهداه

صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلا تماعل على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الدمامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امانة بالسوء بطبيعتها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ﴿ وقوله (الامارح ربي) ﴾ قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما معنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ﴿ ان ربي غفور ﴾ يعني غفور لذنوب عباده ﴿ رحيم ﴾ بهم ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ﴿ وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي أي أجمله خالصا لنفسي والاستخلص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن يتفردوا بالاشياء الفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل السجين وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فاهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أسرأها أسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به استخلصه لنفسي ﴿ فلما كلفه ﴾ فيه اختصار تقديره فلما حاه الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بلا معاودة فاحاه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجين دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تهم عليهم الاخيار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجين كتب على يابه هذا بيت البلواء وقر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجين ونس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز حاك وجل شاؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان

(ان ربي غفور) متجاوز (رحيم) لما هممت (وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) اخصه لنفسي دون العزيز (فلما كلفه) بعد ما جاء اليه وفسر رؤياه

(قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روى ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجيا { الجزء الثالث عشر } وسبعون ﴿ ٤٢٢ ﴾ سركا وبعث اليه لباس الملوك فقال أحب الملك

﴿ قال انك اليوم لدينا مكين ﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿ أمين ﴾ مؤتمن على كل شيء روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف وليس ثيابا جديدا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك من خيره واعوذ بعتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالمربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمى اسماعيل ودعاه بالمربية فقال ما هذا اللسان قال لسان أبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب ان أسمع رؤياى منك فحكهاها ولست لها بقرات والسنايل واما كنهها على مارآها فاجلسه على السرير وقوض اليه امره وقيل توفى قطفير في تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدتها عذراء وولده منها افرائيم وميشا

أيضا قال يوسف هذا لسان أبائى قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلفه بلسان أجابه يوسف وزاد طيه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه مارأى مع حدائة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلفه يبنى فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل مناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذى علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فقبل عليه الملك و ﴿ قال انك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أى منزلة وهى الحالة التى يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراهتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقران سمان شهب غرسان غير عجاف كشمسك عنهن النيل فظلمن من شاطئه تشخب أخلافهن لنا فيفينا أنت تنظر اليهن وقد أعجبتك حسنهن اذ نصب النيل فغارماؤه وبدا يبسه فخرج من جأته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرور ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فاكن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومنمشن مخهن فيفينا أنت تنظر وتنجب كيف غلبنهن وهن مهازل ثم لم يظهر منهن سم ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمات تمتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع أخرسود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فيفينا أنت تقول فى نفسك أى شيء هؤلاء خضر مثرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الثرى والماء اذهبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثرات فاشتعلت فيهن النار فحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم اتبته مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فاشأن هذه الرؤيا وان

فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخيار فهم أعلم الناس بالأخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوام وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاسد قام ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جديدا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره واعوذ بعتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان أبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصت لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنايل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال له من حقتك أن تجمع الطعام فى الاهرام فيأتيك الحلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه

(كان)

(قال) له الملك (انك اليوم لدينا) عندنا (مكين) لك قدر ومنزلة (أمين) بالامانة ويقال بماوليتك

(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) ﴿ ٤٢٣ ﴾ (الارض) ولنى { سورة يوسف } على خزائن ارضك بنى مصر

(انى حفيظ) أمين أحفظ
ما استخفظنيه (عليم) طام
بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية
وهما طلبة الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل الى
امضاء أحكام الله واقامة
الحق وبسط العدل
والتمكن مما لاجله بث
الانبياء الى الصناد والعه
ان احد اغيره لا يقوم مقامه
في ذلك فطلبه ابتغاء وجه
الله لالحب الملك والدنيا
وفي الحديث رحم الله اخى
يوسف لولم يقل اجعلنى على
خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة قالوا فيه دليل على انه
يجوز ان يتولى الانسان عماله
من يد سلطان جائر وقد
كان السلف يتولون القضاء
من جهة الظلمة واذا علم النبي
أو العالم أنه لا سبيل الى
الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر
أو الفاسق فله أن يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه
في كل ما رأى وكان في حكم
التابع له

(قال اجعلنى على خزائن

الارض) على خراج مصر

(انى حفيظ) بتقديرها (عليم) بساعة الجوع حين يقع ويقال حفيظ لما وليتني عليم بجميع السن الثرى بالدين يا تونك

﴿ قال اجعلنى على خزائن الارض ﴾ ولنى امرها والارض ارض مصر ﴿ انى حفيظ ﴾ لها
من لا يستحقها ﴿ عليم ﴾ بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره
لا عمالة اثر ماتم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وواظها رانه مستعد
لها والتولى من يد الكافر اذ علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به

كان عجا فاف هو باعجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياى ايهما الصديق قال
يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرا كثيرا في هذه السنين
الخصبة وتجعل ما تحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه انى له فيكون
ذلك القصب والسنبل علقا للدواب وتأمر الناس فيروغوا الخس من ذروعهم أيضا
فيكفيك ذلك الطعام الذى جهته لاهل مصر ومن حولها وتأنيك الخلق من سائر
النواحي للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجمع لاحد قبلك فقال
الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعلى ويكفيكى العمل فيه فند ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى
يوسف ﴿ اجعلنى على خزائن الارض ﴾ يعنى على خزائن الطعام والاموال وأراد
بالارض ارض مصر أى اجعلنى على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع
ابن أنس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها ﴿ انى حفيظ عليم ﴾ أى حفيظ
للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى
عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتينى وقال الكلبي حفيظ
بتقديره فى السنين الخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك
عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك ﴿ وروى البغوى بإسناد التعلبي عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف
لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان
قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما روى من النهى
عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبدالرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها
وان أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها أخرجه فى الصحيحين . قلت انما يكره طلب الامارة
اذا لم يتبين عليه طلبها فاذا تبين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما
يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه
ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل
تقصه وشدة اما بطريق الوحي من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك
مظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايسال الحير والراحة الى المستحقين وجب عليه
طلب الامارة لهذا السبب . فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم
والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم . قلت انما يكره تزكية النفس اذا تمسده الرجل

وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ في ارض مصر ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون

التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس أما اذا قصد تزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا بنهه يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴿ وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكأنا نعمنا على يوسف بان أنجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويمختاره واليه الاشارة بقوله ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة داه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بمخاضه ووضع له سريرا من ذهب مكلا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلمه سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدن قالت له أيها الصديق لا تظني فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كاترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فقلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدتها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجذبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجذبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاء نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول اوان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المخصبة فجعل أهل مصر يتاعون الطعام من يوسف فباعهم في

(وكذلك) ومثل

ذلك التمكين الظاهر (مكنا

ليوسف في الارض) ارض

مصر وكانت أربعين

فرسخا في أربعين والتمكين

الاقدار واعطاء المكنة

(يتبوا منها حيث يشاء)

أي كل مكان أراد أن يتخذ

منزلا لم يمنع منه لاستيلائه

على جميعها ودخولها تحت

سلطانه نشاء مكي

(وكذلك مكنا ليوسف)

ههكذا مكنا يوسف

(في الارض) ارض

مصر (يتبوا) ينزل (منها)

فيها (حيث يشاء) يريد

(نصيب برجتنا) به طائفتي الدنيا من الملك والفني وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاءه ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) في الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يمشون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسنته في الدنيا والآخرة والفاجر يجعل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا لا يتروى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمته وورده بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدروياقوت فقال أما ﴿ ٤٢٥ ﴾ السرير فاشديه { سورة يوسف } ملكك وأما الخاتم فأدبر به

أسرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آباءي فجلس على السرير ودانت له الملوك وقوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا بما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشاو أقام العدل بعصروا حبه الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالخلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والفقار في الخامسة ثم باولادهم السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتازين أكثر

﴿ نصيب برجتنا من نشاء ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ ولا نضيع اجر المحسنين ﴾ بل نوفي أجورهم عاجلا وأجلا ﴿ ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يمشون ﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿ وجاء اخوة يوسف ﴾ روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالخلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس مناشي وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والموانى والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياح والفقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيب رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ومحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يبيع من الطعام في تلك الايام فقبل له أن يجوع ويترك خزائن الارض فقال أخاف ان شبت أنسى الجائع وأمري يوسف طبأخي الملك أن يجمعوا غدهاء نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلانسى الجائع فنعمه جعل الملوك غدهاء نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكاب يوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء ﴿ نصيب برجتنا من نشاء ﴾ يعني نختمنا بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا ﴿ ولا نضيع اجر المحسنين ﴾ قال ابن عباس يعني الصارين ﴿ ولا أجر الآخرة ﴾ يعني وثواب الآخرة ﴿ خير ﴾ يعني أفضل من أجر الدنيا ﴿ للذين آمنوا وكانوا يمشون ﴾ يعني يمشون مأمني الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﴿ قوله تعالى ﴾ وجاء اخوة يوسف

من حمل بغيره وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب (قاوحا ٥٤ لث) مصر فارسل يعقوب بنيه ليبتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف

(نصيب برجتنا) نختمنا بنعمتنا والاسلام (من نشاء) من كان أهلا لذلك (ولا نضيع) لا ينطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير) من ثواب الدنيا (الذين آمنوا) بالله وجملة الكتب والرسول (وكانوا يمشون) الكفروا والشرك والفواحش (وجاء اخوة يوسف) الى مصر

مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس قباعها اولا بالدرهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالطل والجوهر ثم بالدواب ثم بالضباع والمقار ثم بوقايمهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراى رأىك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فاسل يعقوب عليه السلام بنيه فيرغمهم اليه للميرة فدخلوا عليه ففرغهم وهم له منكرون ﴿ أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومقاربتهم اياهم في سن الحداد ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبمدحاله اتى رؤاؤه عليها

فدخلوا عليه ففرغهم وهم له منكرون ﴿ قال العلماء لما اشتد القسط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من جل يبيروان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالمرجات من أرض فلسطين والمرجات ثور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدناهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى أن عصر ملكا صالحا يبيع الطعام قجهز والاه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف ففرغهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان تدفوه في الحب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فاذنك أنكروه وقال عطاه عالم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه ناج الملك وقيل لأنه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرقان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرقان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلوه بالبرانية كلهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجبثنا عتار قال يوسف لعلكم جبثتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنالى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قل فكم أنتم الآن قالوا عشرة قالوا بن الآخرة قالوا هو عندنا بينا لندأ أخو الذى هلك لأمه فابو ما يتسلى به قال فن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فاشنوني ما خيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فاناراض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسزاوده عنه قال فدعوا بعضهم عندي رهينة حتى تأتوني به فافترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى

فدخلوا عليه ففرغهم (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولأنه كان من وراة الحجاب ولطول المدة وهو أرمون سنة روى انه لما رآهم وكلموه بالبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجبثنا عتار فقال لعلكم جبثتم عيوننا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقده ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاله من أمه يستأنس به فقال اشنوني به ان صدقتم

وهم عشرة (فدخلوا عليه) على يوسف (ففرغهم) يوسف انهم اخوته (وهم له منكرون) لا يعرفون انه أخوهم يوسف

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد ﴿ ٤٧٧ ﴾ منهم حل ﴿ سورة يوسف ﴾ بغير وقرى بكسر الهمزة

شاذاً (قال أشوتى باخ لكم من ايكم الأترون أنى أوفى الكيل) أعمه (وأناخير المنزلين) كان قد أحسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا أبيعكم طعاماً (ولا تقربون) أى فإن لم تأتوني به تحرماً ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم مطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو معنى النهي (قالوا سزاود عنه أباه) سزاود عنه ونحوه حتى نزع من يده (وإن الفاعلون) ذلك لأعماله لا لفرط فيه ولا لتوانى قال فدعوا بضعكم رهناً فتركو عنه شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف (وقال لفتياناه) كوفي غير أبي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع قى كاخوة واخوان (ولما جهزهم بجهازهم) كال لهم كيلهم (قال أشوتى باخ لكم من ايكم) كما قلتم إن لنا أخاً من أين أعندنا بينا (الأترون أنى أوفى الكيل) أوفى الكيل ويقال بيدي كيل الطعام (وأناخير المنزلين) أفضل المضيقين (فإن لم تأتوني به) باخكم من ايكم (فلا كيل لكم عندي) فيما تستقبلون (ولا تقربون) مرة أخرى

من حاله حين فارقه وقلة تأملهم في حلاله من التهييب والاستظام ﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾ اصطلمهم بمدتهم واورقوا كبشهم بما جاؤوا لأجله واصل الجهاز ما بعد من الامتعة للتقله كمدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر ﴿ قال أشوتى باخ لكم من ايكم ﴾ روى انهم لما دخلوا عليه قال من اتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله أعانحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم اتم قالوا كئنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم اتم ههنا قالوا عشرة قال فابن الحادى عشر قالوا عندنا بينا يتسلى به عن الهالك قال فبن يشهد لكم قالوا لا يمر فنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بضعكم عندي رهينة وأتوني باخكم من ايكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حلاً فسألوا حلاً زائداً لاخ لهم من ايهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعيد صدقهم ﴿ الأترون أنى أوفى الكيل ﴾ أعمه ﴿ وأناخير المنزلين ﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن انزالهم وضيافتهم ﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴾ أى ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى وهو ما نهى أوتقى مطوف على الجزاء ﴿ قالوا سزاود عنه أباه ﴾ سنجتهد في طلبه من ابيه ﴿ وأنا الفاعلون ﴾ ذلك لالتوانى فيه ﴿ وقال لفتيته ﴾ لفتياناه الكيالىين جمع قى وقرأ حزة والكسائى وحفص لفتياناه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله

﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾ يقال جهزت القوم تجهيزاً اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجودهم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة القصصية الجيدة وعليها الأكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حل اكل واحد منهم بغير من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم ﴿ قال أشوتى باخ لكم من ايكم ﴾ يعنى الذى خلقتموه عنده وهو بنيامين ﴿ الأترون أنى أوفى الكيل ﴾ يعنى انى أعمه ولا أبخس منه شيئاً وأزيدكم حل بغير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك ﴿ وأناخير المنزلين ﴾ يعنى خير المضيقين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضمن قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يلبق به أن يقول لهم الأترون أنى أوفى الكيل وأناخير المنزلين وأيضاً يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صدقاً أن يقول لهم اتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف برأيتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يلبق بالصدق ثم قال يوسف ﴿ فإن لم تأتوني به ﴾ يعنى باخكم الذى من ايكم ﴿ فلا كيل لكم عندي ﴾ يعنى لست أكيل لكم طعاماً ﴿ ولا تقربون ﴾ يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو غاية التخوف والزهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منهم من العود كان قد ضيق عليهم فنذ ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ سزاود عنه أباه ﴾ يعنى سنجتهد ونحوه حتى نزع من عنده ﴿ وأنا الفاعلون ﴾ يعنى ما أمرت به ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقال لفتياناه ﴿ يعنى

(قالوا سزاود عنه أباه) سئل من ابيه وقرى أباه (وإن الفاعلون) ايضاً ممنوناً سنجى به (وقال يوسف لفتياناه) لخدمته

﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ فانه وكل بكل رحل واحدا يعنى فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا واداما وانما فعل ذلك توسيما وتفضلا عليهم وترفا من ان يأخذ من الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندا يه ما يرجعون به ﴿ لهمهم يعرفونها ﴾ لهمهم يعرفونها ﴿ لهمهم يعرفونها ﴾ وقصوا أوعيتهم ﴿ لهمهم يرجعون ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل ﴾ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين ﴿ فارسل معنا اخانا نكتل ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكياله الى اكيالنا وقال يوسف لقيانه وهم غلانه وأتباعه ﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ أراد بالبضاعة عن الطعام الذى أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضمك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهى الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره ﴿ لهمهم يعرفونها ﴾ يعنى يعرفون بضاعتهم ﴿ اذا انقلبوا الى اهلهم ﴾ يعنى اذا رجعوا الى اهلهم ﴿ لهمهم يرجعون ﴾ الينا واختلقوا فى السبب الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل لهم اذا قصوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيعشهم ذلك على الرجوع اليه سريرا وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قسطن وسدة وقيل انه رأى أن أخذ من الطعام من أبيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يطعمهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم محملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء وأولاد انبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان ﴿ فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا ابانا ﴾ انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر فاقروا عليه منى السلام وقولوا له ان اناا يسلى عليك وبدعوك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتبته ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا ﴿ منع منا الكيل ﴾ وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فتمهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثانى انه سبغ منا الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقرّبون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبار عنهم ﴿ فارسل معنا أخانا ﴾ يعنى بنيامين ﴿ نكتل ﴾ قرىء بالياء يعنى يكتل لنفسه وقرىء بالنون يعنى نكتل نحن جميعا وياه معنا

في أخ وفضلة للقلبة وفلان رحالهم) أوعيتهم وكانت نعالا أوادما أوورقا وهو أليق بالدس في الرحال (لهمهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهائهم) وفرعوا ظروفهم (لهمهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا أوربا لا يجسدون بضاعة بها يرجعون أو ما فهم من الديانة يبيدهم لرد الامانة أو لم يرم من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا ابانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع (اجملوا بضاعتهم) د سوا دراهمهم (في رحالهم) في جواليقهم كي لا يعلون (لهمهم يعرفونها) لكي يعرفوا هذه الكرامة منى ويقال لكي يعرفوا انها دراهمهم فردوها الى (اذا انقلبوا الى اهلهم) اذ ارجعوا الى أبيهم (لهمهم يرجعون) مرة أخرى (فلما رجعوا الى أبيهم) بكتمان (قالوا يا ابانا منع منا الكيل) فيها يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا أخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

(قالوا يا ابانا منع منا الكيل) فيها يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا أخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حزة وعلى أي يكتل أخونا فنضم كتابنا إلى اكتبنا (واناله لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمتمكم على أخيه من قبل) يعني انكم قلم في يوسف أرسله معنا غد ارفع ويلعب واناله لحافظون كما قولونه في أخيه ثم ختم بضمناكم فإيا منى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تميز ﴿ ٤٢٩ ﴾ ومن قرأ حفظا { سورة يوسف } فهو تميز لا غير (وهو أرحم

الراجين) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كتب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزق وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما قموا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا منبني) ماللتى أى مانبني في القول ولا تتجاوز الحق أو مانبني شيأ وراه ما فصل بنا من الاحسان أو ما يزيد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أى شئ نطلب وراه هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

﴿ واناله لحافظون ﴾ من ان يناله مكروه ﴿ قال ﴾ يعقوب لهم ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمتمكم على أخيه من قبل ﴾ وقد قلم في يوسف واناله لحافظون ﴿ فالله خير حفظا ﴾ فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حزة والكسائى وحض يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا * وقرى خير حافظ وخير الحافظين ﴿ وهو أرحم الراجين ﴾ فأرجو أن يرحمى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ﴿ ولما قموا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ وقرى ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل ﴿ قالوا يا أبا منبني ﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمتنا واحسن مثوانا وباع مناورد علينا متاعنا أولان نطلب وراه ذلك احسانا أولانبني في القول ولا تزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرى مانبني على الخطاب أى أى شئ نطلب وراه هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ استئناف

﴿ واناله لحافظون ﴾ يعنى زده اليك فلما قالوا يعقوب هذه المقالة ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمتمكم على أخيه من قبل ﴾ يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد قلمت باخيه يوسف ما قلمت وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتلى حفظه وقلتم وناله لحافظون فافتمم فللم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال ﴿ فالله خير حفظا ﴾ يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور ﴿ وهو أرحم الراجين ﴾ وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ ولما قموا متاعهم ﴿ يعنى الذى حلوه من مصر فيتمم ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام ﴿ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ يعنى أنهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذى كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودرس في متاعهم ﴿ قالوا يا أبا منبني ﴾ يعنى ماذا نبني وأى شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا يعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما قموا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أى شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أو فى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا

أرحم به من والديه ومن أخوته (ولما قموا متاعهم) جو اليهم (وجدوا بضاعتهم) دراهمهم عن طعامهم (ردت اليهم) مع طعامهم (قالوا يا أبا منبني) ما نكذب بما قلنا من احسان الرجل ولطفه بنا ويقال ما طلبنا هذا منه (هذه بضاعتنا) دراهمنا التي أعطيناها ثمن الطعام (ردت الينا) مع الطعام وهذا من احسانه الينا قال

جلاة مستأنفة موضحة لقوله ما بنى والجل بدها مطوفة عليها أي ان بضاعتا ردت اليها فنستظهر بها (ونعير اهلنا) في رجوعنا الى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا وبعثنا فايصبيه شيء مما تخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لا يتعاطفه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياه مكي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما تؤثرون به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقانه {الجزء الثالث عشر} لان الحلف به ﴿ ٤٣٠ ﴾ مما يؤكده اليهود وقد أذن الله في ذلك فهو اذن سر التثنية.

موضع لقوله ما بنى ﴿ ونعير اهلنا ﴾ معطوف على معذوف اي ردت اليها فنستظهر بها ونعير اهلنا بالرجوع الى الملك ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل مطوفة على ما بنى أي لا بنى فيما تقول ونعير اهلنا ونحفظ أخانا ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك أو يزدادوا اليه ما يكال لآخيههم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير أي ذلك شيء قابل لا ضايقا فيه الملك ولا تعاطفه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان جل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ﴿ قال لن أرسله معكم ﴾ اذ رأيت منكم ما رأيت ﴿ حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ حتى تعطوني ما تؤثرون به من عند الله أي عهدا مؤكدا كراثة ﴿ التثنية ﴾ جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأثني به ﴿ الا ان يحاط بكم ﴾ الا ان تغلبوا فلا تطبقوا ذلك أو الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير تأثني به على كل حال الاحال الاحاطة بكم أو من اعم العسل على ان قوله لتأثني به في تأويل النبي أي لا تتعمون من الايمان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسم بالله الا فلتاى ما اطلب الا فلتك ﴿ فلما آتوه موثقا من الله ﴾ ونعير اهلنا ﴿ يقال مارأه بعيرهم ميرا اذا حل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى اننا نشتري لاهلنا الطعام ومحملة اليهم ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ يعني ونزداد لاجل أخينا على أجالنا جل بعير من الطعام ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ يعني ان ذلك الجمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن اليا وأكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي جلبناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا ﴿ قال ﴾ يعني قال لهم يعقوب ﴿ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤثوني عهدا لله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد بشهادته عليه ﴿ لتأثني به ﴾ دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأثني به ﴿ الا ان يحاط بكم ﴾ قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان الرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعا فلا تقدرُوا على الرجوع ﴿ فلما آتوه موثقا من الله ﴾

جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأثني به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فمطبقوا الايمان به فهو مقبوله والكلام مثبت وهو قوله لتأثني به في تأويل النبي اي لا تتعمون من الايمان به الا للاحاطة بكم يعني لا تتعموا من العسل على اللعل الالفة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المقول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النبي فلا بد من تأويله بالنبي (فلما آتوه موثقا من الله) حلفوا بالله رب محمد عليه له أبوهم بل يحركم الرجل بهذا ردها هذه الدراهم اليه (ونعير اهلنا) نتأراهلنا (ونحفظ أخانا) في الذهاب والجمي بنيامين (ونزداد كيل بعير) وقر بعير اذا كان هو معنا (ذلك كيل يسير) جل يسير تعطى بسببه ويقال هذا أمر يسير وحاجة

هينة تطلب منك (قال) لهم أبوهم (لن أرسله معكم) بهذه المقالة (حتى تؤتون) تعطوني (موثقا) عهدا (يعني) (من الله لتأثني به) لتردنه على (الا ان يحاط بكم) الا ان ينزل عليكم أمر من السماء ويقال الا ان يصيبكم أمر من السماء أو من الارض (فلما آتوه) اعطوا أباهم (موثقا) عهدا من الله على رده الى أبيهم

السلام (قال) بعضهم يسكت

عليه لان المعنى قال يعقوب
(الله على ما نقول) من طلب
الموثق واعطاه (وكيل)
رقيب مطلع غير ان السكنة
تفصل بين القول والمقول
وذا لا يجوز قال اولي ان يفرق
بينهما بالصوت فيقصد
بقوة النعمة اسم الله (وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة)
الجمهور على انه مخاف عليهم
العين لجلالهم وجلالة امرهم
ولم يأمرهم بالفرق في
الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين في الكرة الاولى
فالعين حق عندنا وجوده بان
يحدث الله تعالى عند النظر
الى الشيء والا عجب به نقصانا
فيه وخلا وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يهودا الحسن
والحسين رضي الله عنهما
فيقول اعيذ كما بكلمات
الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وانكر
الجأى العين وهو مردود
بما ذكرنا ويحل اني أحب
ان لا يظن بهم اعداؤهم
فبئسوا لاهلاكهم

(قال) يعقوب (الله على ما نقول)

وكيل (شاهد ويقال كليل
(وقال) لهم (يا بني لا تدخلوا
من باب واحد) من سكنة
واحدة (وادخلوا من ابواب
متفرقة) من سكنة مختلفة

قال الله على ما نقول ﴿ من طلب الموثق وآتيانه ﴾ وكيل ﴿ رقيب مطلع ﴾ وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴿ لانهم كانوا ذوى جمال وابهة
مشتهرين في مصر بالقربية والكرامة عند الملك فضاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيمسوا اوله لم يوسعهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ وكان الداعي
اليها خوفه على بنيامين والنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام

يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له ﴿ قال الله على ما نقول وكييل ﴾ يعنى قال يعقوب
الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكييل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد
وكيل وكييل بمعنى حافظ قال كتب الاحبار لما قال يعقوب قاله خير حفظا
قال الله تعالى وعزى وجلالى لأردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت
امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد
الجهد لم يجد يعقوب بدامن ارسال بنيامين معهم فأسله معهم متوكلا على الله
ومفوضا أمره اليه ﴿ قوله عز وجل اخبرنا عن يعقوب ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴾ وذلك انه لما خرجوا من عند يعقوب
قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا منى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ بابه ابواب وقال السدى أراد الطرق
لا الابواب يعنى من طرق متفرقة واعما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم
كانوا قداما بطوا جالا وقوة وامداد تامة كانوا الادل رحل واحد فأمرهم ان
يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين يا امين حق وهذا قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زوالها عنى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته
العين واذا استسلمت فاعتسلا ﴿ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن
فتوضأ ثم يتسل منه الميأ أخرجه أبو داود وقال الشيخ عبيد بن النويرى رحمه الله تعالى
ول المازرى أخذ جاهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأذكره طوائف من المبتدعة
والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى تكور مخالفا لنفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد
دليل فانه من مجوزات القول واذا اخبرنا بقرعة وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه
وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بما يخبره من أمور الآخرة قال وقد زعم
بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثرا ان العائن تبعث من عينه قوة سمية تصل بالعين
فيها أو يفسد ولو لا لا يتبع هذا كما لا يتبع اثبات قوة سمية من الافعى والقرب تصل
بالماوع فيهلك وان كان غير محسوس ساكنا امين قال المازرى وهذا غير مسلم
لاننا بينا في كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبينا مساد القول بالطبائع وبينا
ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث

في عودته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شيء ﴾ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ﴿ وان لحكم الله ﴾ يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سواء ولا ينفعكم ذلك ﴿ عليه توكلت وعلية فليتوكل المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلاة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الايتاء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث اسرهم ابوهم ﴾ أي من ابواب متفرقة في البلد

(وما اغنى عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله أراد بكم سواء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيكم لا محالة (ان الحكم الله عليه توكلت وعلية فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث اسرهم ابوهم) أي متفرقين

من العين اما جوهر واما عرض فياقل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وياقل أن يكون جوهرًا لان الجواهر منجاسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولي من عكسه فبطل ما قاوه وأقرب طريقة قالها من يتحلل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تبيث جواهر لطيفة غير مرسية من عين العائن لتتصل بالعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان العين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثمه جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنقي الفعل عنها وازافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبات الجواهر فتدأ خطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعم الاصول وأما ما يتعلق بعم الفقه فان الشرع قد ورد باوضوه لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوه العائن فذكر في كتب شروح الحديث ومرووف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لاندخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة أنه خاف أن يتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاها ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذنه في اظهاره ذلك فلما بث أبناءه اليه قال لهم لاندخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الحلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شيء ﴾ يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كأن ولا ينفع حذر من قدر ﴿ ان الحكم الله ﴾ يعني وما الحكم الله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى ﴿ عليه توكلت ﴾ يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لاعلى غيره ﴿ وعلية فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث اسرهم ابوهم ﴾ يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماة أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها

(وما اغنى عنكم من الله من شيء) من قضاء الله فيكم (من شيء ان الحكم) ما الحكم بالقضاء فيكم (الله عليه توكلت) اتكلت وفوضت أمري وأمركم اليه (وعلية فليتوكل المتوكلون) فليتوكل الواثقون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله وكان خاف عليهم يعقوب من العين لانهم كانوا اصباح الوجوه جالا فمن ذلك خاف عليهم (ولما دخلوا) مصر (من حيث اسرهم) كأمرهم (ابوهم

٢٧ (ما كان يعني عنهم) دخلوا منهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئاً قط حيث أصابهم ما شاءهم مع تفرقهم في رحله وتضاعف الحاجة (ما كان يعني عنهم) وأخذ أخيم بوجدان ﴿٤٣٣﴾ الصواع ﴿سورة يوسف﴾ في رحله وتضاعف الحاجة (ما كان يعني عنهم) على أبيهم (الاحاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتة عليهم (وإنه لدو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) تعليلنا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئنا به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيداً فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أنتحب ان أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا

﴿ ما كان يعني عنهم ﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ بما قضاه عليهم كإفان يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام ﴿ الاحاجة في نفس يعقوب ﴾ استثناء منقطع أي وإن حاجة في نفسه من شفقتة عليهم حرازة من ان ياتوا ﴿ قضاها ﴾ اظهرها ووصى بها ﴿ وإنه لدو علم لما علمناه ﴾ بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يعتز بتدبيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ سر القدر وإنه لا يغني عنه الحذر ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على

﴿ ما كان يعني عنهم من الله من شيء ﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى يعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴿ الاحاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسداً هل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿ وإنه ﴾ يعني يعقوب ﴿ لدو علم ﴾ يعني صاحب علم ﴿ لما علمناه ﴾ بنى تعليلنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وإنه لدو علم للشيء الذي علمناه والمعنى اننا علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وإنه لدو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل بما يعمل عن علم لاعتن جهل وقيل انه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعمل لا يكون علماً ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلوكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿ قوله تعالى ﴾ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴿ قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وتجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا يتم عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يعضد إليه وشم ويجد حتى أصبح فبما أصبح قال لهم اني أرى دنا انزل رجل وحيداً ليس معه ثمن وسأخبره الى فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم السلام تسلياً وويل ما أيتا مثل

(لما علمناه) من الذي علمنا من الاحكام والحدود (فاو خا ٥٥ لث) والقضاء والقدر علمه لا يكون الا ما قضى الله (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أخاه) من أبيه وامه وحبس

ملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وطاقه ثم (قال) له (انى انا اخوك) يوسف (فلا تبئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما { الجزء الثالث عشر } مضافان الله ﴿ ٤٣٤ ﴾ قد أحسن البنا وحننا على خير ولا

١٠٠٠ ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لانى له فيكون معى قبات معه وقال له أحب
١٠٠٠٠ اكد اكد اكد الهالك قال من مجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكي يوسف وقام اليه وعاقه ﴿ قال انى انا اخوك فلا تبئس ﴾ فلا تحزن اقتسال
من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ فى حقنا فيما مضى ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ﴾
المشربة ﴿ فى رحل اخيه ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاغا يكال به وقيل كانت يسقى
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرى وجعل على حذف جواب
فلما تقديره امهاتهم حتى انطلقوا ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ نادى مناد

هذا فذلك قوله آوى اليه اخاء يعنى ضمه وانزله معه فى منزله فلما خلا به قال له
يوسف ما اسمك قال بنامين قال وما بنامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدت له أمه
هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرين قال فهل
من أخ لامك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أحب أن أكون أخاك بدل أخيك
الهالك قال بنامين ومن مجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكي يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعاقه ﴿ قال ﴾ له ﴿ انى انا اخوك ﴾
يعنى يوسف ﴿ فلا تبئس ﴾ يعنى لا تحزن وقال أهل اللغة تبئس تقتل من البؤس
وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾
يعنى فلا تحزن بشئ فعلمه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن البنا ونجانا من الهلاك
وجع بيتنا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يحمل قلب أخيه
بنامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لآخيه بنامين لاتعلم أخوك بشئ مما
أعلمتك به ثم انه أوفى لآخوته الكيل وزاد لكل واحد حل بعير وبنيامين حل
بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل أخيه بنامين قال السدى وهو
لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى انا أخوك قال بنامين أما لا افارقك فقال
يوسف قد علمت اغتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غم ولا يمكننى هذا
الا بعد أن أشهرك باسم فطبع وأنسبك الى مالا يحمد قال لأبلى فافعل ما بدالك فانى
لا افارقك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم نادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد
تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية فى رحل أخيه ﴾ وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت
من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة
من فضة صرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكبلا لئلا تكال نهرها وكان يشرب فيها
والسقاية والسواع اسم لآناء واحد وجعلت فى وعاء طعام أخيه بنامين ثم ارتحلوا
راجعين الى بلادهم فامهلم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا
من العمارة ثم أرسل خاقهم من استوتفهم وحيسهم هو ثم أدر مؤذن ﴿ يعنى نادى

تعلمهم بما أعلمتك وروى
انه قال له فانا لأافارقك
قال لقد علمت اغتمام والدى
فى فان حبستك ازداد غم
ولاسبيل الى ذلك الا ان
أنسبك الى مالا يحمد قال
لأبلى فافعل ما بدالك قال
فانى أدس صاعى فى رحلك
ثم نادى عليك بانك
سرقه ليتهيأ لى ردك بعد
تسريحك معهم فقال افعل
(فلما جهزهم بجهازهم)
هيا أسبابهم وأوفى الكيل
لهم (جعل السقاية فى رحل
أخيه) السقاية هى مشربة
يسقى بها وهى السواع
قيل كان يسقى بها الملك ثم
جعلت صاغا يكال به لعزة
الطعام وكان يشبه الطاس
من فضة أو ذهب (ثم أذن
مؤذن) ثم نادى منادى
أذنه أى اعلمه وأذن اكتر

سائر اخوته على الباب (قال
انى انا اخوك) بمنزلة أخيك
الهالك (فلا تبئس) ولا
تحزن (بما كانوا يعملون)
بك اخوتك من الجفاء
ويقولون لك من السب
والنعير (فلما جهزهم
بجهازهم) كاللهم كناههم
(جعل السقاية فى رحل

أخيه) دس سقايته التى كان يشرب فيها وكيلى بها فى رحل أخيه من أبيه وأمه ثم أمرهم بالرحيل ثم أرسل (مناد)
خلفهم قى (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وهو قى يوسف

﴿ أيتها العير انكم لسارقون ﴾ اعلم لم يقله باسم يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تسمية السقاية والنداء عليها برضى نيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ايدأ وانكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل بيض تجوز به لقافلة الحجير ثم استعمل لكل قافلة ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ أى شئ ضاع عنكم والفقده غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقضى تفقدون من افاقته اذا وجدته فقيدا ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ وقضى صاع وصوع بالفتح والضم والعين والفتن وصواع من الصياغة ﴿ ولمن جاءه حل بعر ﴾ من الطعام جماله ﴿ واباه زعيم ﴾

منادوا علم معلم والاذان فى اللغة الاعلام ﴿ أيتها العير ﴾ وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحجير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحجير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجيى وقيل هى قافلة الحجير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد اصحاب العير ﴿ انكم لسارقون ﴾ ففقوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء فان قلت هل كان هذا النداء باسم يوسف أم لا فان كان باسمه فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان تهم أقواما وينسبهم الى السرقة كدبا مع علوه براءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير اسمه فهلا أظهر براءتهم عن تلك النعمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أطهر لآخيه له أخوه قال لست أمارتك قال لاسبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنبه الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أيه الا أنهم ما ظهروا هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك باسم يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا مقدما سقاية الملك ولا نتم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والقندان ضد الوجود هو قالوا ﴿ معنى المؤذن واصحابه ﴾ نفقد صواع الملك ﴿ الصاع الاناء الذى يكال به وجمه أصوع والصواع لفة فيه وجمه صيعان ﴿ ولمن جاءه ﴾ يعنى بالصواع ﴿ حل بعر ﴾ يعنى من الطعام ﴿ وأنا بزعيم ﴾ أى كفيل قال الكلبي ان زعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن

الاعلام وعنه المؤذن لكثرة ذلك من روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فادركوا وحسبوا ثم قيل لهم (أيتها العير) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجيى والمراد اصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أيه (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاءه حل بعر) يعنى من الطعام جماله

(أيتها العير) أهل المعاملة (انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم) يقولوا عليهم (ما ذاك تفقدون) ما تملكون (قالوا تفقد) نطلب (صواع الملك) اناء الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وكان اناء من الذهب وقد اتهم حتى الملك (ولمن جاءه حل بعر) يعنى من الطعام جماله (وأنا بزعيم) كفيل قال لهم هذا القول فنى

(قالوا لله) قسم فيه معنى التجب { الجزء الثالث عشر } مما أضيف اليهم ﴿ ٤٣٦ ﴾ (لقد علمت ما جئنا لنفسد

الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحهم مشدودة لثلاث تناول زرعاً أو طعاماً لآحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فاجزأوه) الضمير للصواع أي فاجزأه سرقة (ان كنتم كاذبين) أي جمودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزأوه من وجد في رحله) أي جزأه سرقة أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استنفوا في جزائه وقولهم (فهو جزأوه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزأوه لا غير جزأوه . بدأ والجملة الشرطية كما هي خبره (كذلك نجزي الظالمين)

وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في قوله الجليل فارم والجيل الكفيل . فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئاً . قلت لم يكونوا سراقاً في الحقيقة فيحصل ذلك على مثل رد الضائع فيكون حمالة وامل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحصل عليه ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ قاله ﴾ التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله ﴿ لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ﴾ قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين . أحدهما انهم ما جاؤا لاجل الفساد في الارض . والثاني انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أسوأهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى يبلغ من أمرهم انهم شدوا أفواههم لئلا تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه صفة فافساد في حقه ممتنع وأما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين فلأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفة فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة ﴿ قالوا ﴾ يعني أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه ﴿ فاجزأوه ان كنتم كاذبين ﴾ يعني فاجزأه السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ جزأوه من وجد في رحله ﴾ يعني جزأه السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم مالك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعه في قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزأه السارق أن يستبد سنة جزأه على جرمه وسرقته ﴿ فهو جزأوه ﴾ يعني هذا الجزأه جزأوه هو كذلك نجزي الظالمين ﴿ يعني مثل هذا الجزأه وهو ان يسترق السارق سنة نجزي (من وجد في رحله) السرقة (فهو جزأوه) يتولى الاستبعاد جزأه سرقة (كذلك نجزي الظالمين) (الظالمين

الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحهم مشدودة لثلاث تناول زرعاً أو طعاماً لآحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فاجزأوه) الضمير للصواع أي فاجزأه سرقة (ان كنتم كاذبين) أي جمودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزأوه من وجد في رحله) أي جزأه سرقة أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استنفوا في جزائه وقولهم (فهو جزأوه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزأوه لا غير جزأوه . بدأ والجملة الشرطية كما هي خبره (كذلك نجزي الظالمين) يوسف (قالوا لله) والله (لقد علمت) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد في الارض) أرض مصر بالسرقة ومضرة الناس (وما كنا سارقين) ما تطلبون (قالوا) يعني نفي يوسف (فاجزأوه) يعني ما جزأه السارق (ان كنتم كاذبين قالوا جزأوه) السارق

(من وجد في رحله) السرقة (فهو جزأوه) يتولى الاستبعاد جزأه سرقة (كذلك نجزي الظالمين) (الظالمين

﴿ فبدأ باوعيتهم ﴾ فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿ قبل وءاه أخيه ﴾
 بنيامين نفيًا للتهمة ﴿ ثم استخرجها ﴾ أي السقاية أو الصواع لانه يذكر ويؤنت ﴿ من وءاه
 أخيه ﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾
 بان علمناه آياه واوحينا به اليه

الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب
 يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب
 يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ فبدأ باوعيتهم قبل وءاه
 أخيه ﴿ قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة
 قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف فاحر بتفتيشها بين يديه
 فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وءاه أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا
 قال قتادة ذكر لنا انه كان يفتع متاعا ولا ينظر وءاه الاستغفر الله تأنعا مما قد فهم به حق لم
 يبقى الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال اخوته والله لا تركك حتى تنظر
 في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فقهوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله
 تعالى ﴿ ثم استخرجها من وءاه أخيه ﴾ انما أنت الكناية لانه ردوا الى السقاية وقيل ان
 الصواع يذكر ويؤنت فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤوسهم
 من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلوونه ويقولون له ما صنعت بنا فضمتا وسودت وجوهنا
 يا بني راحيل مازال لنا منك بلائمق أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل
 مازال لهم منكم بلائ ذهبت باخي فاهلكتموه في البرية أن الذي وضع هذا الصواع في رحلي
 الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم
 الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه
 برقبته وردوه الى يوسف ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ يعني ومثل ذلك الكيد كدنا
 ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف لبوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلولة والحديعة
 وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تناول هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه
 وتعالى فنقول الكيدها جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلناهم فالكيد
 من الخلق الحيلة ومن الله الدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف ان حكموا ان جزاء
 السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس اصواع في رحل أخيه يضمه الله
 على ما حكمه اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد الدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
 كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خرا من الله
 عز وجل على خلاف معناه في أوصاف الخنوقين فانه اذا أخبره عن مخلوق كان تحته
 احتيال وهو في موضع فعل الله يمرى من المعاني المذمومة وتخص به وقع عمر بكيد
 تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالأي يكون
 من أحل أن المخلوق اذا كاد الخنوق سترعنه ما بنويه وضمه له من الذي قعه من

أي السراق بالاسترقاق
 (فبدأ باوعيتهم قبل وءاه
 أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم
 قبل وءاه بنيامين لتقي التهمة
 حتى بلغ وءاه فقال
 ما أظن هذا أخذ شيئا
 فقالوا والله لا تركه حتى
 تنظر في رحله فانه أطيب
 لنفسك وأنفسنا (ثم
 استخرجها) أي الصواع
 (من وءاه أخيه) ذكر
 ضمير الصواع مرات ثم
 أنه لان التأنيث يرجع
 الى السقاية اولان الصواع
 يذكر ويؤنت الكاف في
 (كذلك) في محل نصب
 أي مثل ذلك الكيد
 العظيم (كدنا ليوسف)
 يعني علمناه آياه

السارقين بارضنا (فبدأ) فتق
 يوسف (باوعيتهم) ففتشها
 (قبل وءاه أخيه) فلم يجدها
 فيها (ثم استخرجها من وءاه
 أخيه) من يديه وأمه فقال له
 فتق يوسف فرجك الله كما
 فرجتق (كذلك) هكذا
 (كدنا) صنعنا (يوسف)
 اكرمه بالعلم والحكمة
 والفهم والنبوة والملك

(ما كان يأخذ أخاه في دين الملك) تفسير الكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يفرم مثل ما أخذ لان يستب (الا أن يشاء الله) أي ما { الجزء الثالث عشر } كان يأخذه ﴿ ٤٣٨ ﴾ الا بعيشة الله و ارادته فيه (ترفع درجات

﴿ ما كان يأخذ أخاه في دين الملك ﴾ ملك مصر لان دينه الضرب وتفرم منصف ما أخذون الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿ الا ان يشاء الله ﴾ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا أي لكن اخذه بعيشة الله تعالى واذنه ﴿ ترفع درجات من نشأ ﴾ بالعلم كما رفنا درجته ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذاعلم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ﴿ قالوا ان يسرق ﴾ بنيامين ﴿ فقد سرق اخاه من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام قبل ورثت عنه من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتخبه فلما شب اراد يعقوب ان تزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت منياها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فاعطى السائل وقيل

الكيد فهو من الله تعالى أستر اذ هو ما ختم الله به قلوبته والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لانه أشبه كيد الخلق فعمل هذا ليكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه السلام حائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير أن يشعروا بذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ ما كان يأخذ أخاه في دين الملك ﴾ يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق بضرب ويفرم ضعة في قيمة المسروق يسوق في حكم الملك وقضائه فم يتكهن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك ﴿ الا ان يشاء الله ﴾ يعني أن ذلك الامر كان بعيشة الله وتدييره لان ذلك كله كان الهام من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد ﴿ ترفع درجات من نشأ ﴾ يعني بالعلم كما رفنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فالله فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشمر التواضع لمو هب ربه تعالى ولاطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوجه ﴿ قوله تعالى ﴾ قالوا ﴿ يعني اخوة يوسف ﴾ ان يسرق ﴾ يعني بنيامين الصواع ﴿ فقد سرق أخاه من قبل ﴾ يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الاصيل بغير منه فان أخاه

بالتون كوفي (من نشأ) أي في العلم كما رفنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذي علم عليم) فوجه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم علم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا أن يسرق فقد سرق أخاه من قبل) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يبدونه فدفعه وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها أكبر ولله فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر اولاده فصضت يوسف وهي عنه بعد وفاة أمه (ما كان يأخذ) يقول لم يأخذ (أخاه في دين الملك) في قضاء الملك (الا أن يشاء الله) وقد شاء الله ان لا يأخذ أخاه في دين الملك وكان قضاء الملك للسارق انه يضرب ويفرم ويقال يقطع ويفرم ويقال الا أن يشاء الله الا ما علم يوسف انه يرضى الله من قضاء الملك فكان يأخذ بذلك (ترفع درجات) فضائل (من نشأ) كما ترفع

في الدنيا (وفوق كل ذي عليم) وفوق كل ذي علم عالم حتى يهيم الى الله فليس قوته أحد ويقال الله عالم وفوق كل عالم (الذي) فليس فوقه أحد (قالوا) اخوة يوسف (ان يسرق) ان سرق بنيامين سقاية الملك فقد سرق أخاه من قبل (من قبله) اخوه لا يبدو أمه

وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب ﴿ ٤٣٩ ﴾ أن ينزعه منها { سورة يوسف } فعمدت الى المنطقة

فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسمحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افضل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انه لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منك بلاه متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاه ذهبتم يا بني فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم (فأسرها) أي مقاتلهم انه سرق كأنهم يسمونها (يوسف) في نفسه ولم يبدها لهم قال أتم شرمكانا تميز أي أتم شرمزلة في السرقة لأنكم سرقتم اخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم عاتصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا) ما أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا (في السن أو في القدر صنما) فأسرها يوسف (جواب هذه الكلمة) في نفسه ولم يبدها لهم جواب

دخل كنيسة واخذ ثمنا لصغيرا من الذهب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة ونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشرطة التفسير ويغيرها قوله ﴿ قال أتم شرمكانا ﴾ فانه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه أتم شرمكانا أي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيها باعتبار الكلمة والجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن ﴿ والله أعلم عاتصفون ﴾ وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا ﴾

الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام ان السنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمناواختلفوا في السرقة التي نسبوا الي يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقادة كان لجدته أبي أمه صنم وكان يعبده فاخذته يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لثلاث عبيده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان نجبا الطعام من المائة للقراءة وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بدموت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبهت حباً شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخوته يا اختاه سلى الي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقالها والله ما أباركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يساني عنه ففعل ذلك فعمدت الى المنطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسمحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فاسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخله من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الأنباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة تعبيره بما عند الغضب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ في هاء الكناية ثلاث أفوال أحدها ال ضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعني يوسف ﴿ أتم شرمكانا ﴾ روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي فالوها في حقه وهي قراهم فقد سرق أخله من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسرها يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يحجم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الجملة فيكون المعنى على هذا القول فأسرها يوسف الاحتجاج عليهم في دعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أتم شرمكانا عن منزلة عند الله ممن رميقوه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحفظة وخبركم حقيقة ﴿ والله أعلم عاتصفون ﴾ من محبته متعاونون قوله عن رجاء ﴿ وتواووا ﴾ يعني اخوة يوسف من أيها العزيز عاتصفون ذلك المالك ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا ﴾ قال أصحاب الاخبار واسيرا يوسف

(قال) في نفسه (أتم شرمكانا) صنما من يوسف (والله أعلم عاتصفون) تقولون من أمر يوسف (قالوا يا أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا)

في السن أو القدر ذكروا له حاله استطاعا له عليه ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ بدله
 فان اباه بكتلان على أخيه الهالك مستأنس به ﴿ اناراك من المحسنين ﴾ اليسا فاعم
 احسانك أو من التعودين بالاحسان فلا تغير عاداتك ﴿ قال معاذ الله ان تأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده ﴾ فان اخذ غيره ظلم على قنواكم فلو اخذنا احدكم مكانه ﴿ انا اذا للظالمون ﴾
 في مذهبكم هذا أو ان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة
 عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه
 ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ
 لكم من ايكم فيعموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جملة في رحلي فنقره
 ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد روت مع من كنت
 قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا
 غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألق كل حامل جملها اذا سمعت صوته وكان
 مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم
 وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاختوته كم عدد الاسواق
 بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا كفيكم الملك أو اكفوني أنتم
 الملك وأنا كفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك اتردن عليا
 أخانا ولا يصين صيحة لا يبق بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة
 في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا
 فسه أو خذ بيده فاقبله فلما مسه سكن غضبه فقال لاختوته من مسني منكم قالوا لم
 يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام
 اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيه فوقع على الارض وقال أنتم يا معشر
 المبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى
 تخليصه خضعوا ودلوا وقالوا يا أيها العزيز ارله ان شيئا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن
 يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ يعني بدلا عنه
 لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك ﴿ اناراك من المحسنين ﴾ يعني في أطفالك كلها
 وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان
 رددت بنيامين الينا وأخذت أحدا مكانه كنت من المحسنين ﴿ قال معاذ الله ﴾ يعني
 قال يوسف أعوذ بالله معاذ ﴿ أن تأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم نقل من سرق
 نحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق ﴿ انا اذا للظالمون ﴾ يعني ان
 أخذنا برثا بنذب غيره فان قلت كيف اسجارت يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال
 بآيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخا أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه فقيه
 ما فيه من لعقوق وتطهيرة الرحم وفاة اشقيقة وكيف يحرز يوسف مع علو منصبه
 من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عنهم مثل هذا مع آيه من الانبياء

(فخذنا أحدا مكانه) بدله
 على وجه الاسترهان
 أو الاستبعاد فان أباه يتسلى
 به عن أخيه المفقود (انا
 نراك من المحسنين) اليسا
 فاعم احسانك أو من مادتك
 الاحسان اما جرح على مادتك
 ولا تنبرها (قال معاذ الله
 أن تأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده) أي نعوذ بالله
 معاذ من أن تأخذنا ضيف
 المصدر الى المفعول به
 وحذف من (انا اذا
 للظالمون) اذا جواب
 لهم وجزاء لان المعنى ان
 أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه
 وجب على قضية قنواكم
 أخذ من وجد الصاع في
 رحله واستبداه فلو أخذنا
 غيره كان ذلك ظلما في
 مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم
 يفرح به ان رددناه (فخذ
 أحدا) رهنا (مكانه اناراك)
 ان فعلت ذلك (من المحسنين)
 اليسا (قال) لهم يوسف
 (معاذ الله) اعوذ بالله (ان
 تأخذنا) باسرقه (الا) وخذنا
 معاذ (انا اذا لظالمون)
 محبس لم نجده معاده

مها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقابلة معهم لتخليصه روى أنهم كوا العزير في اطلاقه فقال
رويل ايها الملك والله تتركنا أو لاصح من صحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
سده فخرجت من ثابة فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فسه وكان بشوي يعقوب
عليه السلام اذا غضب احدهم فسه الآخر ذهب غضبه فقال رويل من هذا ان في هذا
البلد لنورا من نور يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق
ارجعوا الى ايكم تقولوا يا ابانا انك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرى
سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كمالنا به لناطن الحلال حافظين بلاندرى انه سرق
أو سرق ودس الصاع في رحله أو ما كمالنا ما عاقب عالمين فلم ندر حين اعطينك الموت انه

على أو بخروجي معكم وترأ أخى أو يحكم الله لي بالسيف فاقتلهم حتى أسترد أخى
وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراء من هذا الكلام
الاتجاه الى الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام ارجعوا
لي ايكم معنى يتولى الاخ الكبير الذي عزم على الإقامة بمصر لاختوته السابقين
ارجعوا الى ايكم يعقوب يقولوا له يا ابانا انك سرق انما قالوا هذه
المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فقلب
على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال ويدل
على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا الا بما علمنا معنى ولم نقل ذلك
الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده
في عمرنا على سى الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خسر عن صنيع ابنك أنه
سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأننا نشهد عليه
بالسرقة وقرأ ابن عباس والصحاح سرق ضم السين وكسر الراء وتشديدها أى
نسب الى السرقة واتهم بها وهذه الفراء لا تحتاج الى تأويل ومعناه ان التوم نسوه
الى السرقة الا ان هذه الفراء ليست مسهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة
المنهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا معنى وما قلنا هذا الا بما علمنا
رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على سى الا بما
علمنا وليست هذه شهادة وانما هو خسر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب
هب أنه سرق فما يبرى هذا الرجل ان السارق وخذ سره الا بتولكم قالوا
ما شهدنا عنده ان السارق سارق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء
قبله ويعقوب ويرى وأورد على هذا القول كيف حاز ايقوب اخفاء هذا الحكم
حتى يكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه بمنزل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما
اذا كان المسروق منه فلما قلنا أنكر عليهم اعلام الملك هذا الحكم لئلا يكر

بالخروج منها أو بالموت
أو يقتلهم (وهو خير
الحاكمين) لانه لا يحكم
الا بالعدل (ارجعوا الى
ايكم تقولوا يا ابانا انك
سرق) وقرى سرق أى
نسب الى السرقة (وما
شهدنا) عليه بالسرقة
(الا بما علمنا) من سرقة
وتبتنا اذ الصواع استخرج
(وهو خير) أفضل
(الحاكمين) في رده الى ثم قال
لهم يهونا (ارجعوا)
يا اخوتى (الى ايكم تقولوا
يا ابانا انك سرق) صواع
الملك اناه من ذهب ويقال
أخذ بالسرقة ان فرأت
بضم السين وخفض الراء
بالتشديد (وما شهدنا
الا بما علمنا) رأينا ان السرقة
أخرجت من رحله

من وطاه (وما لنا لغير حافظين) وما علمنا انه يسرق حين اعطيناك المونق (واسئل القرية التي لنا فيها) بنى مصرى
ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة ﴿ ٤٤٣ ﴾ (والعر التي { سورة يه سف } اهلنا فيها) واصحاب العير

وكانوا قوما من كنعان من
جيران يعقوب عليه
السلام (وانا لصادقون)
في قولنا فرجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم اخوهم
(قال بل سوت لكم
أفسكم أسرا) أردتموه
والا فنادى ذلك الرجل
ان السارق - رقى لولا
نواكم وتعلمكم (فصر
جبل عسى الله أن يأتيني
مهم جيعا) يوسف وأخيه
وكبيرهم (انه هو العليم)
بالحق في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يتلنى
بنك الحكمة (وتولى
عنهم) واعرض عنهم

(وما كنا لغير حافظين)
يقول ابو علي الصيب ما ذهبنا به
ويقال ما كنا له بالليل
حافظين (واسئل القرية)
أهل القرية (التي كنا فيها)
وهي قرية من قرى مصر
(والعر) أهل العير التي
أهلها بها) جشامهم وكان
صحبهم قوم من كنعان
(وانا لصادقون) فيما
قلنا قال يعقوب هذا
اقول (قال) يعقوب لهم
(بل سوت) زيت (لكم
أفسكم أسرا) ففعلتموه

سبسرق أو أنك تصاب به كما صبت بيوسف { واسأل القرية التي كنا فيها } ينون
مصر أو قرية بقربها لحقهم المناذي والمعى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة
{ والعر التي اقبلنا فيها } واصحاب العير التي توجهما فيهم وكما معهم { وانا لصادقون }
تأكيد في محل القسم { قال بل سوت } أي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سوت أي زينت وسهلت { لكم انفسكم أسرا } أردتموه ففعلتموه
والا فنادى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته { فصر جبل } أي فصرى صر جبل
أو فصر جبل اجل { عسى الله ان يأتيني بهم جيعا } يوسف وذيامين واخيهم الذي
توق بمصر { انه هو العليم } بحالي وحالهم { الحكيم } في تدبيره { وتولى عنهم }

{ وما كنا لغير حافظين } قال مجاهد وقادة بنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق
ويصير أسرا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به منا وانما قلنا ونحفظ أخانا بما لنا الى
حفظه منه سبل وقال ابن عباس ما كنا لئله ونهاره وعيته وذاهه حافظين وبيل
معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فعمل الصواع دس
في رحله ونحن لا نعلم بذلك { واسئل القرية التي كنا فيها } يعني واسئل أهل
القرية الأتية حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المحز مشهور في كلام
العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان وحري
فيها حديث السرقة والقتيل { والعر التي اقبلنا فيها } من واسأل القرية التي
كنا فيها وكان صعب قوم من كنعان من سيرا يعقوب { وانا لصادقون } بنى
قلناه وانما أسرمهم أخوهم الذي أفام بمصر بهذه المثلثة سبلة في ازماناتهم عن أنفسهم
عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده سبب واتمة يوسف بحرق بل سوت لكم انفسكم
أسرا { فصار اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما حرق لهم في سفرهم ذلك
وعاتال لهم كبيرهم وأسرمهم أن يسواوه لاجم فلهذا قال لهم يعقوب بل سوت يعني
بل زينت لكم انفسكم أسرا وهو جعل أخيك معكم الى مصر للطلب نفع عاجل قال اسركم
الى ما أن وقل معاه بل خيلت لكم انفسكم أنه سرق وما سرقه فصر جبل { فقدم
تقديره في أول السورة } وعوله { عسى الله أن يأتيني بهم جيعا } يوسف وذيامين
والاخ الثالث الذي أفام بمصر اعاتال يعمر هذه الآية لانهما لم يحرر واستد الأثر
ومحتمه عذارته سيجعل له رجا غير حار عن قرب ستال ذنب على سبيل حسن المنة بالله
عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كس أسرع الى الترح وقيل يعقوب علماء بحرى
عليه وعلى بذه من أرل الامر وهو رثا يوسف ووايضا لا تقتصر رزيا على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا لما تهاهى الامر قال عسى الله أن يأتيني بهم جيعا { انه هو العليم }
بنى بحزنى ووجدى عليهم { الحكيم } فيايدره ويضيد { قوله تعالى } وتولى
عنهم { بنى } واعرض يعقوب عن بنى حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه

(فصر جبل) فعلى صر جبل بلا جزع (عسى الله) لعسى الله (أن يأتيني بهم جيعا) يوسف وأخيه من أبيه وأمه
بنيامين ويهوذا (انه هو العليم) بمكانهم (الحكيم) بردهم على (وتولى عنهم) خرج

كرامة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) أصناف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالتف بدل من إيما الأشفاء
والنجاس بين الأسف ؛ الجزء الثالث عشر { ويوسف } ٤٤٤ غير متكلف ونحوه انما قلتم الى الارض أرمنية

فأعرض عنهم كرامة لما صادف منهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي يا أسفى تعالى فهذا
أوانك والأسف أشد الحزن والحسرة والالتف بدل من إيما المتكلم وانما تأسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غصبا أخذنا
بمجامع قلبه ولانه كان وثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم اقل الله
وانا اليه راجعون عند المصيبة الامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصابه لم يسترحع وقال يا أسفا ﴿ وابيضت عيناه من
الحزن ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عى
وقرى من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند الفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت النكاي فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القاب يجزع والعين تدمع ولا تقول ما مسخط

واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم مؤ وقال
يا أسفا على يوسف ﴿ الأسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه
الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقاب وأعظم لهيجان
الحزن الاول كاتال مقيم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك
يقول أبكي كل قبر رأيتة • تقبر نوى بين اللوى والذكاك
فقات له ان الاسى يبعث الاسى • فدعى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان
بعقوب يتسلى عن يوسف وبنيامين فلما حصل فراق بذامين زاد حزنه عليه ووجده
وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقء اعرض بهن الجهال على
بعقوب عابه السلام في قوله يا أسفة على يوسف فقال هذه شكاة واظهار جزع دلائق
بلمو منصب ذلك وليس الامر كما ان هذا الجاهل المترض لا يعقوب عليه الصلاة
والسلام شكالى الله لا مند فقول يا أسفا على يوسف مما هارت ارحم أسفى على يوسف
وقد ذكر ابن الانبارى عن من القويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من
المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ ونسبته الى الهى ارحم أسفى أو أنت رأى أسفى أو ردا
أسفى فادى الاسف فى اللفظ ولما دى سواه فى المانى ولاه أم اذ لم نطق الا بان كلام
مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف سكوى الى ربه
كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته وانسد بلاؤه ونوت محنة
قال يا أسفا على يوسف أى استكوى الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يسكه الى أحد من الخلق
بدليل قوله انما أشكو بنى وحزنى الى الله ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى عى من
شدة الحزن على يوسف فال مقاتل لم يبصر شيأست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة
البكاء وذلك ان الدمع بكثرة عند غلبة البكاء قصير العين كانها يضاء من ذلك الماء الخارج

وهم ينهون عنه ويتأون
عنه ويحسبون أنهم يحسنون
صنعا من سبأ ببا وانما
تأسف على يوسف دون
أخيه وكبيرهم لتماضى اسفه
على يوسف دون الآخرين
وفيه دليل على ان الزرع
فيه مع تقادم عهده كان
غصبا عنده طريا (وابيضت
عيناه) اذ اكثرت
الاستبصار وعقت العبرة
سواد العين وآبته الى
بياض كدر وقيل قد عى
بصره وقيل كان قد يدرك
ادرا كاضعيفا (من الحزن)
لان الحزن سبب البكاء
الذى حدث منه البياض
فكانه حدث من الحزن
قيل ماجفت عيناه متوب
من وقت فراق يوسف
الى حين لقاءه ثمانين عاما
وما على وجد الارض
أكرم على الله من يعقوب
ويحوز لئى عابه السلام
أن يباغى ما الجزع ذلك المبالغ
لان الانسان مجبول على أن
لا يالك نفسه عند الحزن
فلذلك جد صبره ولقد بكى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابراهيم وقال
القاب يجزع والعين تدمع

الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزونون ﴿ فهو كظيم ﴾ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرده اذا ردها في جوفه ﴿ قالوا والله تقتنوا تذكر يوسف ﴾ أي لا تنقأ ولا تزال تذكره تفجبا عليه فحذف لا كافي قوله

فقلت بين الله ابرح قاعدا

لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ﴿ حتى تكون حرصا ﴾ مر بضمها مشفيا على الهلاك وقيل الحرص الذي اذابه هم أو مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف • وقد قرئ به وبضمتين كجب

من العين ﴿ فهو كظيم ﴾ أي مكظوم وهو الممتلئ من الحزن المسك عليه لا يشه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيان ثمانون سنة لم تجف عينا يقوب وماعلى وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله تدطهر بك الارض والسجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن السالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتمنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفان قلبك ولم تطع سدتك في مصيبة ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بأباك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قل نعم قد ذهب بصره وا تلاء الله بالحزن عليك فهو كصم ووهب له الصبر الجميل قال فا قدر حزنه قال حزن سبعمائة بكلاء قال فانه من الا • ر يا جبريل قال أجز مائة شهيد قال اقتراى لاقه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما بألى مما لظيت ان رأيتك ﴿ قوله عز وجل ﴿ قالوا يا بني احوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا يميم ﴿ قاله تنقأ تذكر يوسف ﴾ بمعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تغر عن حبه يقال مافى • يفعل كذا أي مازال ولا محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم محذوف للتخفيف كقول الامري القيس فقت بين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى أي لأبرح قاعدا • وقوله ﴿ حتى تكون حرصا ﴾ قال ابن عباس يعنى دننا ونال مجاهد الحرص مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد الاعقل له والحرص الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرص الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنم الجسم مخبول العقل

ولا تقول ما يخطئ الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتعزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته (قالوا والله تقتنوا) أي لا تنقأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذا لو كان اثباتا لم يكن بدمن اللام والنون ومعنى لا تنقأ لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرصا)

(فهو كظيم) مضموم يردد حزنه في جوفه (قالوا) ولده وولد ولده (تالله) والله (تقتنوا) لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرصا) حتى تكون دننا

﴿ أو تكون من الهالكين به من المتين ﴾ قال انما اشكوبى وحزنى ﴿ همى الذى لا يقدر الصبر عليه من البث بمنى النشر ﴾ الى الله ﴿ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكابتى

يعنى لا تتفجع بنفسك من شدة الحزن والهجم والاسف ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ يعنى من الاموات فان قلت كيف حلقوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه ﴿ انما اشكوبى وحزنى الى الله ﴾ اصل البث اثاره الشئ وتقريبه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشغل قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا سهر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بما قاله أشد الحزن والحزن الهم فلي هذا يكون المعنى انما اشكوبى وحزنى العظم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تسحى ان تشكو الى غيرى فقال انما اشكوبى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما الى أراك قد تمسحت بالضعف وفيت ولم تباع من السن ما يبلغ أبواك فقال همنى وأفانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتسكونى الى خلقى فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكوبى وحزنى الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزنى وجلالى لأكشف ما لك حتى تدعونى فمئذ ذلك قال انما اشكوبى وحزنى الى الله ثم قال أى رب اما ترجم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وقوس ظهرى فاردد على ربحاننى أسمهما سنة قبل ان أموت ثم اصنع ماشئت فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزنى لو كانا ميتين لنشرتهما لك أندرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على باكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليطبخ الليلة فنداء يعقوب وكان بعد ذلك اذا نادى أمر ناديا نادى من أراد أن يتعدى فليأت آل يعقوب واذا فطر أمر أن نادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب وكان يتعدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أندرى ام عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شوبت عنقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح بجلايين يدي أمه وهى نخور فلم يرجها فان قلت هل فى هذه الروايات ما يقدح فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطالب من الانبياء من

مشياعلى الهلاك مرضا
(أو تكون من الهالكين قال انما اشكوبى وحزنى الى الله) البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبته الى الناس أى ينشره أى لا أشكوا الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربي داعياله وملتجئا اليه فخلونى وشكابتى وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف بباكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى
(أو تكون من الهالكين) يلموت (قال) يعقوب (انما اشكوبى) ادفع غمى (وحزنى الى الله)

﴿ وأعلم من الله ﴾ من صنعه ورجته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع التمجيد الدائم من الله يتنوع من الالهام ﴿ مالا تعلمون ﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في منامه سؤاله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى تخزله اخوته سجدا ﴿ يا بني اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه ﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحصن طلب

الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبهم وبعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره إلى الله فأبراهيم عليه الصلاة والسلام أتى في النار فصبر ولم يشك إلى أحد وإسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره إلى الله واسحق ابتلى بالصهي فصبر ولم يشك إلى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عصى بعد ذلك أو ضنن بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك إلى أحد شيئا مما نزل به وإنما كانت شكايته إلى الله عز وجل بدليل قوله إنما أشكركم وحزني إلى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجليل في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة مع من سلب من أبويه إبراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذمًا ولا عقوبة لأن ذلك ليس إلى اختيار الإنسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده إبراهيم عند موته وقال إن العين لدمع وإن القلب ليحزن وما نقول إلا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الإنسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس ﴿ وقوله ﴿ وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ يعني أنه تعالى من رجته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وفيه إشارة إلى أن كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه إليه وروى أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الأرواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه وأعلم أن رؤيا يوسف حق وصدق واني وأنتم سنجده وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكال حاله في جميع أقواله وافعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال معي يعقوب ﴿ يا بني اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه ﴾ التحسس طلب الخبر الحاسنة وهو قرب من الجسس بالجيم وقيل إن التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الأنباري يقال تمحست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخذ لأنه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض وتكون المعنى تمحسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فريرة أن يعقوب كتب كتابا إلى يوسف عليه الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذم الله أن إبراهيم سخطيل الله إلى ملك مصر أما بسد نانا أبل بيت وكل بنا الاله أما جدى إبراهيم فندت يده ورجلاه وأتى في الدار فبطلت يده عليه راء وساءا وأما أبي نذرت

عميت (وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم من رجته أنه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وروى أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدماء يأذ المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عنى (يا بني اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتطلباوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس

وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وإنما للسنجدله ويقال أعلم من رجدة الله وجيل نظره وصنعه مالا تعلمون ويقال أعلم أن يوسف حي لم يميت لأنه دخل عليه ملك الموت فقال له هل قبضت روح ابني يوسف فبين قبضت قال لا فمن ذلك قال (يا بني اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه) فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف واخيه بنيامين

وهو المعرفة (ولا تيأسوا) الجزء الثالث عشر { من روح الله } ٤٤٨ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (١)

الاحساس ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أي من رحته التي يحيي بها العباد ﴿ انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحته في شيء من الاحوال ﴿ فلما دخلوا عليه قاوا يا ايها العزيز ﴾ بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ شدة الجوع ﴿ وجشنا ببضاعة مزاجاة ﴾ رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيتها اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمناء وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل ﴿ فاوف لنا الكيل ﴾ فاتم لنا الكيل

يداء ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما ما فكان لي ابن وكان أحب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قدأ كله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنيت أنسلي به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وعل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ما سئد كره ان شاه الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ﴿ ولا تيأسوا ﴾ أي ولا تقنطوا ﴿ من روح الله ﴾ يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله ﴿ انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبره عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك ﴿ قوله تعالى ﴿ فلما دخلوا عليه ﴾ فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف ﴿ قالوا يا ايها العزيز ﴾ يعنون يا ايها الملك والعزير القادر الممتع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ أي الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خائفهم ومن وراءهم من العيال ﴿ وجشنا ببضاعة مزجاة ﴾ أي بضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بهجوز من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لينساق كترجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر
وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعني هي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة امان نقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حاق الغرأر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والافط وقال الكلبي ومقابل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والتعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جشنا ببضاعة مزجاة لتدافع بها الزمان وليست بما تسمع بها وقبل انما قيل لادراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد مقام

ان الامر والشأن (لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم أنه متقلب في رحمة الله وامتته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا قلبه في نعمته فييأس من رحته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (قلا دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجشنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتماراً لها من ازجيتها اذا دفعت وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمناء (فأوف لنا الكيل)

(ولا تيأسوا من روح الله) من رحمة الله (انه لا يأس من روح الله) من رحمة الله (الا القوم الكافرون) بالله وبرحمة (فلما دخلوا عليه) على يوسف في المرة الثالثة (قالوا يا ايها العزيز مسنا) اصابنا (واهلنا الضر) الجوع (وجشنا ببضاعة مزجاة) بدراهم لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس وتقال بتناع الجبل كالسنبر والحبة الخضراء وتقال بتناع

العرب مثل الاقط والصوف والحبين والسمن (فأوف لنا الكيل) يقول وفر لنا الكيل كما توفر بالدرهم (الناقص)

﴿وتصدق علينا﴾ بردا خينا وبالمساحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في أن حرمة الصدقة نعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بشيئا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يتنى به ثواب من الله تعالى ﴿قال هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه﴾ أي هل علمت قبحه فبتتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع

الذي هو حقتنا) وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمساحة والاغراض عن رداء البضاعة أو زدنا على حقتنا أو هبنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمت ما فعلتم بيوسف) أي هل علمت قبح ما فعلتم بيوسف) وأخيه

الجياد) (وتصدق علينا) ما بين الثنتين ويقال بين الكيلين (ان الله يجزى المتصدقين) في الدنيا والآخرة (قال) لهم يوسف) هل علمت ما فعلتم بيوسف وأخيه

الناقص والجيد مقام الردى ﴿وتصدق علينا﴾ يعني وتفضل علينا بما بين الثنتين الجيد والردى ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للأنبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستنونون بالله عن سواء وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يجزيهم على عادتهم من المساحة وإيئاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعلهم من الكرامة وحسن الضيافة لانفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا لمن يتنى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يتنى الثواب قل اللهم اعطني وتفضل على وقل ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني بردا خينا علينا ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن ﴿قال﴾ يعني قال يوسف لاختوته ﴿هل علمت ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ وقد اختلفوا في السبب الذي من أجله جل يوسف وهجبه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي أنهم لما كلوه بهذا الكلام أدركته رقعة على اخوته فباح بالذي كان يكتهم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبه بيعة من مالك وفي آخره وكتبه يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فعناه منه فغاض ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا لم يقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أناه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابست بأمعتنا الى أيها فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يتمالك أن يبكي وقال هل علمت ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومساءم أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما قال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد هذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تظليل الامر وتعليقه ويجوز أن يكون المعنى هل علمت عقى ما فعلتم بيوسف

إذا تم جاهلون) لا تعلمون
 قبحه أو إذا أنتم في حقد
 السفه والطيش وفعلهم
 باخيه تمريضهم إياه لهم بأقراده
 عن أخيه لا يسهو أمه
 واينذاؤهم له بأنواع الأذى
 (قالوا أنك) جهزتين
 كوفي وشامى (لأنت
 يوسف) اللام لام الابتداء
 وأنت مبتدأ ويوسف خبره
 والجملة خبران (قال أما
 يوسف وهذا أخى) وإنما
 ذكر أخاء وهم قد سألوهم عن
 نفسه لأنه كان في ذكر أخيه
 بيان للمألوهم عنه (قد
 من الله علينا) بالالفه بعد
 الفارقة وذكر نعمة الله
 بالسلامة والكرامة ولم
 يبدأ باللامه (انه من يتق)
 الفحشاء (ويصبر) عن
 المعاصى وعلى الطاعة
 (فان الله لا يضيع أجر
 المحسنين) أى أجرهم
 فوضع المحسنين موضع
 الضمير لاشتماله على المتقين
 والصابرين وقيل من يتق
 مولا ويصبر على بلواه
 لا يضيع أجره في دنياه وعقباه
 إذا تم جاهلون) شبان غافلون
 (قالوا أنك لأنت يوسف
 قال أنا يوسف وهذا أخى)
 من أبى وأبى (قد من الله علينا)
 بالصبر (انه من يتق)
 في النعمة (ويصبر) في الشدة

ان يكلمهم الا بهمز وذلة ﴿ اذا تم جاهلون ﴾ فبهم فذلك اقدم عليه أو ما قبله وأما قال
 ذلك تنصيحاً لهم وتمريضاً على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم لامعانية
 وتثريباً وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخلص بنيسامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن
 على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وأما جعلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أولانهم
 كانوا حينئذ صبيانا طيبين ﴿ قالوا أنك لأنت يوسف ﴾ استفهام تقرير ولذلك
 حقق بان ودخول اللام عليه وقراءة ابن كثير على الإيجاب قيل عرفوه بروائه وشماله
 حين كلمهم به وقيل تبسم عرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فأروا علامة بقرنه
 تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها ﴿ قال أنا يوسف وهذا أخى ﴾ من
 أبى وأبى ذكره تعريفاً لنفسه به وتفخيماً لشأنه وادخاله في قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ أى
 بالسلامة والكرامة ﴿ انه من يتق ﴾ أى يتق الله ﴿ ويصبر ﴾ على البليات أو على
 الطاعات وعن المعاصى ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ وضع المحسنين موضع

وأخيه من تسليم الله إياهما من المكروه . واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا
 اليه لتبينهم بأسرهم هذا وهم لا يشعرون . فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما
 الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبه ولا أرادوا
 ذلك . قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نفصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر
 يوسف وقيل انهم قالوا له لما انتم بأخذ الصواع ما رأينا منكم أبى رحيل خيرا ﴿ اذا تم
 جاهلون ﴾ هذا مجرى مجرى المنذر لهم يعنى انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر
 حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل اليه أمر يوسف
 ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا أنك لأنت يوسف ﴿ قرى على سبيل الاستفهام وحجة
 هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا شياها كاللؤلؤ
 تشبه ثنايا يوسف فشبهه بيوسف فقالوا استهما ما أشك لأنت يوسف وقرى على الخبر وجهته
 ما قال ابن عباس أيضا في رواية أخرى عند أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج
 عن رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان يعقوب مثلها ولاسحق مثلها لسارة
 مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى ﴿ قال
 أنا يوسف ﴾ قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تهظيما
 لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من الصبر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف
 المظلوم الذى ظلمتوني وقصدتم قتلنى بان أقتيمونى فى الحب ثم يعتمونى أبخس الأثمان ثم صرت
 الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال ﴿ وهذا أخى ﴾ وهم
 يعرفونه لانه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتوني ثم صرت أنا وهو الى ماترون
 وهو قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة
 وقيل من علينا بالسلامة فى دنيا ودينا ﴿ انه من يتق ويصبر ﴾ يعنى يتقى الزنا ويصبر على
 العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتقى المعصية ويصبر على السجين وقيل يتقى الله بإداء
 فرائضه ويصبر عما حرم الله ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعنى أجر من كان هذا حاله

(قالوا)

(فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر) ثواب (المحسنين) بالتقوى والصبر

(قالوا لله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والقوى والصبر والحسن (وان كنا غاططين) وان
 هأننا وحالنا انا كنا غاططين متصدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذنا بالتسكن بين يديك (قال لا تثريب
 عليكم) لا تمييز عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو يفتقر والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما
 ظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء فقال ﴿ ٤٥١ ﴾ (يفتقر الله لكم) (سورة يوسف) فدعا لهم بخفرة ما فرط

منهم يقال غفر الله لك
 ويفترك على لفظ الماضي
 والمضارع أو اليوم يفتقر
 الله لكم بشارة بما جل
 غفران الله وروى ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 أخذ بمضادني باب الكعبة
 يوم الفتح فقال لعريش
 ما ترونني فاعلا بكم قالوا
 نظن خيرا أخ كريم وابن
 أخ كريم وقد قدرت فقال
 أقول ما قال أخي يوسف
 لا تثريب عليكم اليوم وروى
 ان اباسقيان لما جاء ليسلم
 قال له العباس اذا أتيت
 رسول الله فقل عليه قال
 لا تثريب عليكم اليوم ففعل
 فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غفر الله لك ولمن
 علك ويروى ان اخوته
 لما عرفوه أرسلوا اليه انك
 تدعونا الى طعامك بكرة
 وعشيا ونحن نستحي منك
 لما فرط منا فيك فقال يوسف
 ان أهل مصر وان ملكك
 فيهم قائم ينظرون الى
 باعيني الاولى ويقولون

الضمير للتثنية على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا ﴾ قالوا تالله لقد آثرك الله
 علينا ﴿ اختارك علينا بحسن الصورة وكما السورة ﴿ وان كنا غاططين ﴾ والحال
 ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لا تثريب عليكم ﴾ لا تأتيب عليكم تفعل
 من الثرب وهو الشحم الذي ينشئ الكرش للازالة كالجميد فاستعير للتقريع الذي يعزق
 العرض ويذهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجبار الواقع خيرا
 لا للتثريب والمعنى لا أثر بكم اليوم الذي هو مظنته فاطنكم بسائر الايام أو بقوله ﴿ يفتقر
 الله لكم ﴾ لانه صفيح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾

﴿ قالوا ﴾ يعني قال اخوة يوسف مستذرين اليه بما صدر منهم في حقه ﴿ تالله ﴾ تالله لقد آثرك
 الله علينا ﴿ أي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله اثارا أي اختارك ويستعار الاثر
 للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والمقل وقال الضحاك عن
 ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر
 الفضائل الذي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد
 على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب بان يوسف
 فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمت له النبوة والرسالة
 كان أفضل من خص بالنبوة فقط ﴿ وان كنا غاططين ﴾ يعني وما كنا في صنمنا بك الا غاططين
 ولهذا اختير لفظ الغاطي على المخطي والفرق بينهما ان يقال خطي خطأ اذا عمد
 وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون آثر لفظ غاططين على غاططين لموافقة
 رؤس الآي لان غاططين أشبه بما قبلها ﴿ قال ﴾ يعني يوسف ﴿ لا تثريب عليكم ﴾
 يعني لا تمييز ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم
 فليجلدها الحد ولا يؤخذها ولا يوثقها ولا يثرب أي لا سيرها بالزنا بعد اقامة الحد عاينها وفي محل
 قوله ﴿ اليوم ﴾ قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم
 اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبخ وأنا لا أفرعكم اليوم
 ولا أوثقكم ولا أثرب عليكم فلي هذا يحسن الوقت على قوله لا تثريب عليكم اليوم
 وابتداء بقوله ﴿ يفتقر الله لكم ﴾ والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يفتقر الله لكم فلي
 هذا يحسن الوقت على قوله لا تثريب عليكم وابتداء اليوم يفتقر الله لكم كما نعلم اني عنهم التوبخ
 والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم قوله اليوم يفتقر الله لكم ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾
 ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال

سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أي من حفدة ابراهيم (وهو
 ارحم الراحمين) أي اذا رحمتكم وأما الفقير القاتور فما ظنكم بالفتي الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عسى من كثرة
 (قالوا) اخوة يوسف ليوسف (تالله) ر الله (لقد آثرك الله علينا) فضلك الله علينا (وان كنا) وقد كنا (لقاططين) مسيئين بك عاصين لله
 (قال) لهم يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) يقول لا أعيركم بعد اليوم (يفتقر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين

فانه يفر الصغار والكبار ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام لهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعوننا بالبكرة والعشى الى العظام ونحن نسمي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى العين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابج بمشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علوا انكم اخوتي واتي من حفدة ابراهيم عليه السلام ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ القميص الذي كان عليه وقيل المتوارث الذي كان في التصويد ﴿ فالتقوه على وجه ابي يات بصيرا ﴾ يرجع بصيرا اي ذابصر ﴿ واتوني ﴾ انتم وابي ﴿ باهلكم اجمعين ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم ﴿ ولما فصات المير ﴾ من مصر وخرجت من عمراتها ﴿ قال ابوهم ﴾ لمن حضره ﴿ اني لا جد ربح يوسف ﴾ اوجده الله ربح ما هيق بقميصه من ربحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا ان تفقدون ﴾ تنسبون

ابي بدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه وقال ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد اسمه جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه واتي في النار عريانا فانه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جل يعقوب ذلك القميص في قسبة من فضة وسدراسها وجعلها في عرق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لاتفارقه فلما اتى يوسف في البئر عريانا فاه جبريل واخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فاحره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ربح الجنة فلايقع على مبتلى ولاسقيم الاعوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا ﴿ فالتقوه على وجه ابي يات بصيرا ﴾ قال المحققون ان علم يوسف ان لقاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد الصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اياه قد عي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ربحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فمئذ ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل ﴿ وقوله ﴾ ﴿ واتوني باهلكم اجمعين ﴾ قال الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة ﴿ ولما فصات المير ﴾ يعني خرجت من مصر وقيل من عرش مصر متوجهين الى ارض كنعان ﴿ قال ابوهم ﴾ يعني قال يعقوب لولده ﴿ اني لا جد ربح يوسف ﴾ قيل ان ربح الصبا استأذنت ربه في ان تاتي يعقوب بربح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هت ربح فاحتملت ربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فلم انه ليس في الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فلم بذلك انه من ربح يوسف فلذلك قال اني لا جد ربح يوسف ﴿ لولا ان تفقدون ﴾ اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن

يوسف وكان من الجنة اسره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ربح الجنة لايقع على مبتلى ولاسقيم الاعوفى (فالتقوه على وجه ابي يات بصيرا) يصر بصيرا تقول حام البناء محكما اي صار اوبأت الى وهو بصير قال يهوذا انما اجل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الحفاء وقيل جلده وهو حاف حاسرا من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (واتوني باهلكم اجمعين) ليعموا باثار ماكي كما اعتموا باخبار هاكي (ولما فصلت المير) خرجت من عرش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال ابوهم) لولد ولده ومن حوله من فومه (اني لا جد ربح يوسف) اوجده الله ربح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام (لولا ان تفقدون) التفنيد النسبة (اذهبوا بقميصي هذا) وكان قميصه كسوة من الجنة (فالتقوه على وجه ابي يات بصيرا) يرجع بصيرا (واتوني باهلكم اجمعين) وكانوا نحو سبعين انسانا (ولما فصات المير) خرجت المير من العرش وهي قرية بين مصر وكنعان (قال ابوهم) يعقوب (اني لا جد ربح يوسف لولا ان تفقدون) تسفهوتني وتخزوتني وتكذبوتني (الانباري)

الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تنفيذكم اياي لصدقتوني (قالوا)
 انك لى ضللك القديم لى ذهابك ﴿ ٤٥٣ ﴾ عن الصواب { سورة يوسف } قديما فى ا

ليوسف ا
 القديم من حب يوسف
 وكان عندهم انه قدمات
 (فلما ان جاء البشير) اى
 يهوذا (ألقاه على وجهه)
 طرح البشير القميص على
 وجه يعقوب أو ألقاه
 يعقوب (فارتد) فرجع
 (بصيرا) يقال رده فارتد
 وارتده اذا ارتجمه (قال
 ألم اقل لكم) يعنى قوله لى
 لاجدريج يوسف أو قوله
 ولا تياسوا من روح الله
 وقوله (انى أعلم من الله ما لا
 تعلمون) كلام مبتدأ لم
 يقع عليه القول أو وقع عليه
 والمراد قوله انما أشكوبنى
 وحزنى الى الله وأعلم من
 الله ما لا تعلمون وروى انه
 سأل البشير كيف يوسف
 قال هو ملك مصر فقال
 ما أصنع بالملك على أى دين
 تركته قال على دين الاسلام
 قال لأن تمت النعمة (قالوا
 يا ابانا استغفرنا ذنوبنا انا
 كنا خاطئين) أى سل الله
 مغفرة ما ارتكبنا فى حقتك
 وحق ابنك انما يتناواعترفنا
 فيما أقول (قالوا) ولده وولد
 ولده الذين كانوا عنده
 (نالله) والله (انك لى
 ضللك القديم لى خطتك

الى الفند هو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها
 ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتوني أو لقلت انه قريب ﴿ قالوا ﴾ اى
 الحاضرون ﴿ نالله انك لى ضللك القديم ﴾ لى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
 فى محبة يوسف واكثر ذكره والتوقع للقائه ﴿ فلما ان جاء البشير ﴾ يهوذا روى انه قال
 كما حزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ﴿ ألقاه على وجهه ﴾
 طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه ﴿ فارتد بصيرا ﴾
 عاد بصيرا لما اتمش فيه من القوة ﴿ قال ألم اقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ من
 حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى أعلم كلام مبتدأ والمقول لا يياسوا
 من روح الله أو انى لاجدريج يوسف ﴿ قالوا يا ابانا استغفرنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴾

الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي
 اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفند فيكون المعنى لولا أن تفندونى اى
 تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن
 عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله ﴿ قالوا ﴾ يعنى
 اولاد اولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا ثمانين عنه ﴿ نالله انك لى
 ضللك القديم ﴾ يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان
 قدمات وهلك ويرون ان يعقوب قد لجم بذكره فلذلك قالوا نالله انك لى ضللك
 القديم يعنى من ذكره والضللال الذهاب عن طريق الصواب ﴿ فلما ان جاء البشير ﴾ وهو
 المبشر بنخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله
 تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب
 وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حى فافرحه
 كما أحزنته قال ابن عباس حله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يمدو ومعه سبعة أرغفة
 فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ﴿ ألقاه على وجهه ﴾
 يعنى فلقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿ فارتد بصيرا ﴾ يعنى فرجع بصيرا
 بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ﴿ قال ألم اقل
 لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى
 ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع
 بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال لأن تمت النعمة ﴿ قوله تعالى ﴾ قالوا
 يا ابانا استغفرنا ذنوبنا ﴿ يعنى قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واحذوا يتندرون اليه
 مما صنعوا به ويوسف استغفرنا أى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله ﴿ انا كنا خاطئين ﴾

الاول فى ذكر يوسف (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا القميص (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) سار بصيرا (قال) لبنيه ونفى بينه
 (ألم اقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) يقول ان يوسف حى لم يميت (قالوا) ولده وولد ولده (يا ابانا استغفرنا ذنوبنا) ادعوا
 الله ان يعفر لاذنوبنا (انا كنا خاطئين) مسئين

ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة * قال سوف استغفر لكم ربى انه هو النور الرحيم * اخره الى السحر أو الى صلاة الابل أو الى ليلة الجمعة تحمرا للوقت الاجابة او الى ان يستعمل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظاوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهم اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موثيقهم بمدك على النبوة وهو ان صح فدل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم * فلما دخلوا على يوسف * روى انه وجهه الدير واحل واموالا ليجهز اليه عن ماله واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه

يعنى فى صنيعنا * قال سوف استغفر لكم ربى * قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى * انه هو الغفور * يعنى لذنوب عباده * الرحيم * بجميع خلقه قال عطاء نظر اسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ الأثرى الى قول يوسف لاخته لا تبرئ عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام يمث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة ووجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجمع اهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجى أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يديه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يهودا هذا فرعون مصر قال لابل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحق يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتماثقا وقملا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لبيه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجئنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دنياك فحمال بينى وبينك فذلك قوله تعالى * فلما دخلوا على يوسف

بخطا يانا (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة وليتصرف حالهم فى صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجهه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليجهز اليه عن ماله فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والمظما وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهودا (فلما دخلوا على يوسف

عاصين لله (قال) لهم (سوف استغفر لكم ربى) أدعوكم ربى ليلة الجمعة آخر السحر (انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (فلما دخلوا على يوسف

أوى إليه) ضم إليه (أبويه) واعتنقهما قبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خاتمه والخالدة أم كان العم أب ومنه قوله والله آياتك إبراهيم واسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبالهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة قد دخلوا عليه وضم إليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصران شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوار أو من القحط وروى أنهما لقبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا مذهب الاحزان وقول له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ﴿ ٤٥٥ ﴾ ان القيامة {سورة يوسف} تجمعنا فقال بلى ولكن

خشيت ان يسلب دينك فيقال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده ادخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية الف الف ومائة ألف (ورفع أبويه على العرش وخر والله سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سرير واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرمهما على السرير وخر والله يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية جري التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت

مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي ﴿ أوى إليه أبويه ﴾ ضم إليه أباه وخاتمه واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزل العم منزلة الاب في قوله والله آياتك إبراهيم واسماعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعدامه والراية تدعى اما ﴿ وقال ادخلوا مصران شاء الله آمنين ﴾ من القحط واصناف المكاره والمشيمة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبالهم ﴿ ورفع أبويه على العرش وخر والله سجدا ﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم

أوى إليه ﴿ يعني ضم إليه ﴾ أبويه ﴿ قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخاتمه ليا وكانت امه قدماءت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ل يوسف تحقيق الرؤياه والاول أصح ﴿ وقال ادخلوا مصر ﴾ قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبالهم ثم قال ادخلوا مصر بمعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها ﴿ ان شاء الله آمنين ﴾ قيل ان هذا الاستثناء عائدا الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائدا الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو ﴿ وخر والله سجدا ﴾ يعني يعقوب وخاتمه ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى مناصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه

الانحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يا أباه وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة

أوى إليه أبويه) ضم إليه أباه وخاتمه لان أمه كانت ماتت قبل ذلك (وقال ادخلوا) انزلوا (مصر ان شاء الله) وقد شاء الله (آمنين) من العدو والسوء ويقال ادخلوا مصر آمنين من العدو والسوء ان شاء الله مقدم ومؤخر (ورفع أبويه على العرش) على السرير (وخر والله سجدا) خضعوا له بالسجود أبوا واخوته وكان سجدتهم تحيتهم فيما بينهم كان يسجد الوضيع للشريف والشاب للشيخ والصغير للكبير كهيئة الركوع نحو

يجرى مجراها وقيل مناه خروا لاجله سبحانه شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الحرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال
يأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ التي رأيتها ايام الصبا ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾
صدقا ﴿ وقد احسن بي اذا خرجني من السجن ﴾ ولم يذكر الجب لتلا يكون تثريبا

ثم في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحاء على سبيل التهمة كما تقدم فلا اشكال
فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان
السجود على هذه الصورة لا ينفى ان يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان
السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكره وانما كان يوسم كالفيلة كما سجد
الملائكة لآدم ويبدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أوبه على العرش وخروا له سجدا
وظاهر هذا يدل على انهم لما صدقوا على السرور خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسم
لكل قبل الصعود لان ذلك أبغ في التواضع فان قلت يمنع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم
لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسم
عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسم
واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة
يوسف ربما احتلمهم الانفة والكره عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدا
لها أيضا فكفون هذه السجدة على سبيل التهمة والتواضع لاجل سبيل العبادة وكان ذلك
حائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه القملة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿ وقال ﴾ يعني وقال يوسف عندما رأى ذلك ﴿ يأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾
يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ يعني في اليقظة
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبدالله بن شداد أربعون سنة
وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي
ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبدالله بن سودون سبعون سنة
وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن
الحسن ان يوسف كان عمره حين أتى في الجب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن
والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله
وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿ وقوله ﴾ وقد أحسن بي ﴿ يعني انعم علي يقال احسن بي
والى بمعنى واحد ﴿ اذا خرجني من السجن ﴾ انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من
السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لتلايخجل اخوته بصدان
قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت
أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله
في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله
الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه

أيضا واختلف في استنباطهم
(وقال يأبت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها
أي الرؤيا (ربي حقا) أي
صادقة وكان بين الرؤيا
وبين التأويل أربعون
سنة أو ثمانون أو ست
وبلائون أو ثمان وعشرون
(وقد أحسن بي) يقال
أحسن اليه وبه وكذلك
أساء اليه وبه (اذا خرجني
من السجن) ولم يذكر الجب
لقوله لا تثريب عليكم اليوم
فعل الاما جم (وقال يأبت
هذا) السجود (تأويل) تعبير
(رؤياي من قبل) من قبل
هذا (قد جعلها ربي حقا)
صدقا (وقد أحسن بي)
الى (اذا خرجني من السجن)
ونجاني من العبودية

عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ افسد بيننا وحرش من نزع الرابض الدابة اذا تخسها وجعلها على الجري ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبير له اذا ما من صعب الا ونفذ فيه مشيئته ويسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجود المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة وروى ان يوسف طاف بابيه عليه ما الصلاة والسلام في خزائنه فلما ادخله خزائنه القراطيس قال يا بني ماعذك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى علي ثمان مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فاسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك

(وجاء بكم من البدو)
من البادية لانهم كانوا
اصحاب مواشى ينقلون
في المياه والمجاجع (من بعد
ان نزع الشيطان بيني
وبين اخوتي) أى افسد
بيننا وأغرى (ان ربي
لطيف لما يشاء) أى لطيف
التدبير (انه هو العليم
الحكيم) بتأخير الآمال
الى الآجال أو حكم بالاختلاف
بعد الاختلاف

(وجاء بكم من البدو) من
البادية (من بعد ان نزع)
أفسد الشيطان بيني وبين
اخوتي) بالحسد (ان ربي
لطيف لما يشاء) للمجاجع بيننا
(انه هو العليم) بما أصابنا
(الحكيم) بالجمع والفرقة

عليه ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ يعنى من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة وكان يعقوب وأولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ يعنى افسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله وازضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كافي الاحسان والذم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان وامنافة اليه على سبيل المحاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق الخار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وفدوره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باغدار الله اياه على ذلك ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ يعنى انه تعالى ذو لطف طلم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد عبر بالاطم عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالاماد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أى حسن الاستخراج تديها على ما وصل الى يوسف حيث القاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كانه لان الله تعالى اذا أراد أمراً هياً أسبابه ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بمصالح عماده ﴿ الحكيم ﴾ في جمع أماله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة ثم اهاه اعيان وأعم ناك وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند فراهه أسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليها الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهاما للتبويض
اذلم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة)
أنت الذي تتولاني بالنعمة { الجزء الثالث عشر } في الدارين وتوصل ﴿ ٤٥٨ ﴾ الملك القاني بالملك الباقي (توفى

واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ بعض الملك
وهو ملك مصر ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب أو الرؤى ومن ايضا
للتبويض لانه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿ أنت ولي ﴾ ناصرى أو متولى أمرى ﴿ في الدنيا
والآخرة ﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما ﴿ توفى مسلما ﴾ اقبضنى ﴿ والحقنى
بالصالحين ﴾ من آباي أو بعامه الصالحين في الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه
السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب

في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن
يوسف أباه وعمره رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام
بأبيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة
والخاتمة الصالحة فقال ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ قد آتيتني من الملك ﴾ يعنى من ملك
مصر ومن هنا للتبويض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك
عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾
يعنى تعبير الرؤيا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعنى خالقهما ومبدعهما على غير
مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق
أوجده وأبدعه ﴿ أنت ولي ﴾ يعنى مميضى ومتولى أمرى ﴿ في الدنيا والآخرة توفى
مسلما ﴾ أى اقبضنى اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال أم لاعلى قولين
أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف
قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سأل
الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هدم سنين كثيرة
فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان
يجعل الله وقته على الاسلام وليس فى اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال
بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للاسرين ولا يبعد من الرجل
المقاتل الكامل أن يتمنى الموت لعله ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال
وان نعيم الآخرة باقى دائم لانفساده ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله
عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر
ونزول البلاد مكروه والصبر عليه أولى ﴿ وقوله ﴾ وألحقنى بالصالحين ﴿ أراد به
بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التابعين

مسلما) طلب الوفاة على
حال الاسلام كقول
يعقوب لولده ولا تموتن
الا وأنتم مسلمون وعن
الضحك مخلصا وعن
التستري مسلما اليك أمرى
وفي عصمة الانبياء انما
دعا به يوسف ليقتدى به
قومه ومن بعده ممن ليس
بأشرف العاقبة لان ظواهر
الانبياء لتنظر الامم اليهم
(والحقنى بالصالحين) من
آباي أو على العموم روى
ان يوسف أخذ بيد يعقوب
فطاف به فى خزائنه فادخله
خزائن الذهب والفضة
وخزائن الثياب وخزائن
السلح حتى أدخله خزانة
القرطيس قال يابى ما
أعفك عندك هذه القرطيس
وما كتبت الى على ثمانية
مراحل فقال أمرنى جبريل
قال أو ما تسأله أنت قال
أنت أبسط اليه منى فأسأله
فقال جبريل الله أمرنى
بذلك لقولك وأخاف أن
يأكله الذئب فهلا خفتنى
وروى ان يعقوب أقام
معه اربعا وعشرين سنة
ثم مات وأوصى أن يدفنه
بالشام الى جنب أبيه اسحق

(رب) يارب (قد آتيتني من الملك) اعطيتنى ملك مصر أربعين فرسخا فى اربعين فرسخا (وعلمتني من (عاش)

تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) (انت ولي) روى خاتى ورازقى وحافظى
وناصرى (فى الدنيا والآخرة توفى مسلما) مخلصا بالعبادة والتوحيد (والحقنى بالصالحين) بأباي المرسلين فى الجنة

تقضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتقضى الموت وقيل ماتتاهي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً اقتصاص أهل مصر وتشاخوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يعمدوا له صندوقاً من مرمر **﴿ ٤٥٩ ﴾** وجعلوه فيه { سورة يوسف } ودفنوه في النيل بمكان يمر

عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة سنة تايوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشاو ولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتقضى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بتواسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب توحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) اذ اجعوا أمرهم (وهم يمكرون) كالدليل عليهم والمعنى ان هذا نبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وجعله حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة * قوله عز وجل **﴿ ذلك ﴾** يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق **﴿ من أنباء الغيب ﴾** يعني أخبار الغيب **﴿ توحيه اليك ﴾** يعني الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فلم بذلك ان الذي أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر * وقوله تعالى **﴿ وما كنت لديهم ﴾** يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب **﴿ اذ اجعوا أمرهم ﴾** يعني حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب **﴿ وهم يمكرون ﴾** معذرة

أبيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ثم تافت نفسه الى الملك الخلد فتقضى الموت فتوفاه الله طيباً طاهراً اقتصاص أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فأرأوا ان يحصلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعاً فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشاو وهو جد يوشع بن نون ورجة امرأة ايوب عليه السلام **﴿ ذلك ﴾** اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ **﴿ من أنباء الغيب توحيه اليك ﴾** خبران له **﴿ وما كنت لديهم اذ اجعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾** كالدليل عليهما والمعنى ان هذا نبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف

عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وجعله حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة * قوله عز وجل **﴿ ذلك ﴾** يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق **﴿ من أنباء الغيب ﴾** يعني أخبار الغيب **﴿ توحيه اليك ﴾** يعني الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فلم بذلك ان الذي أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر * وقوله تعالى **﴿ وما كنت لديهم ﴾** يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب **﴿ اذ اجعوا أمرهم ﴾** يعني حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب **﴿ وهم يمكرون ﴾** معذرة

انقاء أخيم في البئر (ذلك) الذي ذكرت لك يا محمد من خبر يوسف

واخوته (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (توحيه اليك) توحى اليك جبرئيل به (وما كنت لديهم) عندهم (اذ اجعوا أمرهم) اجتمعوا على ان يطرحوا يوسف في الجب (وهم يمكرون) يريدون بذلك هلاك يوسف

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد السموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على اعانتهم (وما استسلم عليهم) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (أر هو الا ذكر) ما هو الا موعظة (للمؤمنين) وحش على طلب التجهة على لسان رسول { الجزء الثالث عشر } من رساله (وكاين ٤٦٠) من آية من علامة ودلالة على الخلق وعلى صفاته

حين عزموا على ما هدوا به من ان يحلوه في غيابة الجب وهم يمشرون به وبابه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتملته منه وانما حذف هذا الشق استثناء بذكره في غير هذه القصه كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالقوت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين له ادهم وتعمدهم على الكفر وما تسألهم عليه على الاسباء أو القرآن من أجر من جعل كانه له حلة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للمؤمنين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكما في عدد شئته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمشرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقري والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمشرون فيكون لها الضمير في عالمها وبالصب على ويطأون الارض وقري والارض تشون عليها أي يترددون فيها ويرون آثار الامم الهالكه وما مؤمن اكبرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقته الا وهم مشركون بعبادة غيره أو باخذ الاحبار اربابا وسنة انهم أو القول بالور والظلمة أو النظر الى الاسباب ونحو

وتوحيده (في السموات والارض يمشرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكه وغير ذلك من العبر (وما مؤمن) اكثرهم بالله الا وهم مشركون (أي وما مؤمن) اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على انها نزلت في المشركين لانهم قروا بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرة

يوسف وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد واوحرصت على ايمانهم مؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخبرهم بما دلى وق معدهم في التوراة لم يسلموا يحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم فقه تاسياله وما تسألهم عليه من أجر يخفى على تبليغ الرسالة والهداه الى الله من أجر يقرأه ارجح الا على ذلك ان هو أي ما هو يخفى القرآن الا ذكره في عظة وتذكريا للمؤمنين وكاين من آية وكم من آية دل على الوحيد في السموات والارض يمشرون عليها يخفى لا يتفكرون فيها ولا يمشرون بها وهم عنها معرضون أي لا يبالون بها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى يا صعب من اعراضهم عنك يا محمد وما مؤمن اكبرهم بالله الا وهم مشركون يخفى من ايمانهم أنهم اذا استناروا من خلق السموات والارض طالوا الله واذا مل لهم من نزل المطر قالوا لله ومع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقولون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم لا يدون غيره ذلك شركهم وفي رواية أخرى عه أيضا انها نزلت في تايبة مشرك

(وما أكثر الناس) أهل مكة (ولو حرصت) لوجهت كل الجهد مقدم ومؤخر (بمؤمنين) بالكتب والرسول (وما تسألهم) بالسجدة (عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان هو) ما هو يعني القرآن (الا ذكر)

عظة (للمؤمنين) الجن والانس (وكاين من آية) من علامة (في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (العرب) وغير ذلك (والارض) وما في الارض من الجبال والبحار والشجر والدواب وغير ذلك (يمشرون عليها) أهل مكة (وهم عنها معرضون) مكذبون بها لا يتفكرون فيها (وما مؤمن) اكثرهم (بالله) في السر وبقال بعبودية الله (الا وهم مشركون) بوحدانية الله في العلانية

من اثبات قدرة الخلق للبعد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو انه لا خالق الا الله (أما متوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تشاهم وتشدهم (من عذاب الله أو تأتيهم الساعة) القيامة (بقتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) ما تيانها (قل هذه سبيل) هذه السبيل التي هي الدعوة ﴿ ٤٦١ ﴾ الى الاعان {سورة يوسف} والتوحيد سبيل والسبيل والطريق مذكران وثؤنان

ثم فر سبيله بقوله (أدعو الى الله على بصيرة) أي أدعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعوا الى سبيل الله أنا ويدعوا اليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أي أخبراً ابتداءً به ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأزهره عن الشركاء (وما آمن المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لا ملائكة لانهم (أما متوا) اهل مكة (ان تأتيهم) ان لا تأتيهم (غاشية) من عذاب الله (عذاب الله) مثل يوم بدر (أو تأتيهم الساعة) (بقتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب (قل) يا محمد لا اهل مكة (هذه) يعني ملأه ابراهيم (سبيل) ادعوا الى الله (على بصيرة) على دين وبيان (أنا) ادعو (ومن اتبعني) آمن بي يدعون الى الله أيضا

ذلك وفي الآية في مشركي مكة وقيل في الماقتين وقيل في اهل الكتاب ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تشاهم وتشلمهم ﴿ أو تأتيهم الساعة بقتة ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ما تيانها غير مستعدين ﴿ قل هذه سبيل ﴾ يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فر السبيل بقوله ﴿ ادعوا الى الله ﴾ وقل هو حال من الياء ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وجهة واضحة غير عياء ﴿ أنا ﴾ تأكيد للمستتر في ادعو وفي على بصيرة لا تنهال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعني ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وانزهه تنزيها من الشركاء ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلييتهم ليك ليك لا شريك لك الا شريك هولك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ يعني عقوبة مجللة نعمهم وقال مجاهد عذاب يشاهم وقال قتادة وقبحة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع ﴿ أو تأتيهم الساعة بقتة ﴾ يعني فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ معنى بفيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ هذه سبيل ﴾ معنى طريق التي ﴿ ادعوا ﴾ اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عز وجل والى الثواب والجنة ﴿ الى الله ﴾ يعني الى توحيد الله والايان به ﴿ على بصيرة ﴾ يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ﴿ أنا ﴾ ومن اتبعني ﴿ معنى من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعوا الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعوا الى ما دعا اليه ويذكر القرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنف على بصيرة ما ومن اتبعني معنى انا على بصيرة ومن اتبعني ضاعلى بسيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على احسن طريقة وأفضل هداية وهم مدبر العلم وكثر الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا يستن بمن قدمته أو ائمه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرارها وأعمقها علما وأهلها تكلفا قوم اخبرهم الله لعجة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فدسبوا باخلافهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿ وقوله ﴾ وسبحان الله ﴿ أي وقل سبحان الله معنى تنزيهاه عمالا يليق بجلاله من جميع العيوب والقائص والشركاء والاصداد والانداد ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ يعني وقل يا محمد - وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿ قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك

على بصيرة على دين وبيان (وسبحان الله) نزه نفسه عن الولد والشريك (وما أنا من المشركين) مع المشركين على دينهم (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الارحالا)

كانوا يقولون لو شاء ربنا ﴿ الجزء الثالث عشر ﴾ لانزل ملائكة ﴿ ٤٦٢ ﴾ أوليست فيهم امرأة (نوح)

نفي استنباه النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما يوحى اليك ويميرون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص
نوحى في كل القرآن وواقفه حزة والكسائي في سورة الانبياء ﴿ من اهل القرى ﴾
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو ﴿ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين
بالدنيا المتهاككين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ولدار الحلال أو الساعة
أو الحياء الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يستعملون
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وبقوب بالتاء جلا على قوله
قل هذه سبيلى أى قل لهم أفلا تعقلون ﴿ حتى اذا استيأس الرسل ﴾ ظاية محذوف
دل عليه الكلام أى لا يفرهم تهادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من
النصر عليهم في الدنيا أو من ايمانهم لانها كهم في الكفر مترهين متقادين فيه من غير
وازع ﴿ وظنوا انهم قد كذبوا ﴾ أى كذبتهم انفسهم حين حدثهم بانهم ينصرون
أو كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم أى ووطن المرسل اليهم ان

ولم يكونوا ملائكة ﴿ نوحى اليهم ﴾ هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث
الله ملكا والمعنى كيف تجبوا من ارسلنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك
بشر مثلك حالهم كحالك ﴿ من اهل القرى ﴾ يعنى انهم من اهل الامصار والمدن لان اهل
البوادي لان اهل الامصار افضل واعلموا كل عقلا من اهل البوادي قال الحسن لم يمشى نبي
من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم
﴿ أفلم يسيروا في الارض ﴾ يعنى هؤلاء المشركين المكذبين ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم ﴾ يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فايحسب هؤلاء هم وما حل
بهم من عذابنا ﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ يعنى فعلنا هذا باولئنا واهل طاعتنا
اذا اجمعناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة
لانهما خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب
تضيف الشيء الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه ﴿ أفلا يعقلون ﴾
يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا استيأس الرسل ﴿
قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك
الارجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى
حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل
من ايمان قومهم ﴿ وظنوا انهم قد كذبوا ﴾ قرأ اهل الكوفة وهم عاصم وحزة والكسائي
كذبوا بالتحفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل
قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس
وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث
أى لم اصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير في قوله

بالنون حفص (اليهم من
أهل القرى) لانهم أعلم
وأحلم وأهل البوادي فيهم
الجهل والجفاء (أفلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم
ولدار الآخرة) أى ودار
الساعة الآخرة (خير
للذين اتقوا) الشرك وآمنوا
به (أفلا تعقلون) وبالياء
مكي وأبو عمرو وحزة وعلى
(حتى اذا استيأس الرسل)
يشسوا من ايمان القوم (وظنوا
انهم قد كذبوا) وأيقن

نوحى اليهم) نزل اليهم جبريل
كما أرسل اليك (من اهل
القرى) منسوب الى القرى
مثلك (أفلم يسيروا) أهل
مكة (في الارض فينظروا)
يفتفكروا (كيف كان عاقبة)
كيف صار آخر أمر (الذين
من قبلهم) من الكفار
(ولدار الآخرة) الجنة
(خير للذين اتقوا) الكفر
والشرك والفواحش
وآمنوا بالله وعصم عليه
السلام والقرآن (أفلا
تعقلون) أفليس لكم ذهن
الانسانية ان الآخرة خير
من الدنيا ويقال ان الدنيا
تفتى والآخرة تبقى ويقال
أفلا تصدقون بما اساب
الاولين حيث كذبوا
الرسل (حتى اذا استيأس
الرسل) فلما ايس الرسل

من اجابة القوم (وظنوا) علموا وايقنوا يعنى الرسل (انهم) يعنى قومهم (قد كذبوا) كذبوهم بما (وظنوا)

الرسول قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للرسول اليهم والثاني للرسول أي وظنوا ان الرسول قد كذبوا واخافوا فيما وعد لهم من النصر وخطط الامر عليهم وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسول ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يحبس في القاب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي

وظنوا على هذه القراءة للرسول اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسول قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يتتبع حل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسول يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبي الرسول والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استياس الرسول من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسول قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسول انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبهم أنفسهم حتى حدثهم بانهم لا ينصرون أو رجاءهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والمداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتعادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا ينصروهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشر او تلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يحظر بالبال ويحسب في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فبال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وانه متمال عن خلف المعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من تناول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسول ولو كان الظن للرسول كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سيلا وقرأ الباقرين وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجه ظاهر وهو ان معناه حتى اذ استياس الرسول من ايمان قومهم وظنوا بمعنى وأيقنوا معنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذبا لا يرجح بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسول من كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمنهم من قومهم قد فارقتهم وارتدوا عن دينهم

الرسول ان قومهم كذبوهم
وبالتخفيف كوفي أي وظن
المرسل اليهم ان الرسول قد
كذبوا أي أخلفوا أو وظن
المرسل اليهم انهم كذبوا من
جهة الرسل أي كذبتهم الرسل
في أنهم ينصرون عليهم ولم
يصدقوهم فيه

جاءا به من الله ان قرئت
مشددة ويقال وظنوا يعنى
القوم انهم يعنى الرسل قد
كذبوا أخلف وعاد الرسل
ان قرئت مخففة

والامهال على سبيل التثنية وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما راخى عنهم ولم يروا اثره ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ أى من نشاء ﴿ النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يسأهون ان تشاء نجاههم لا يشاركون فيه غيرهم . وقرأ ابن طاهر وطاصم ويقوب على لفظ الماضى المبني للمفعول . وقرئ فنجبى ﴿ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ اذا نزل بهم وفيه بيان المشيتين ﴿ لقد كان في قصصهم ﴾ فى قصص الانبياء وامهم أوفى قصة يوسف واخوته ﴿ عبرة لأولى الالباب ﴾ لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس

لشدة الخفة والبلاء واستبطوا النصر اناهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مغنون من جهة من آمن بهم معنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الفطر والنصر لبطائهم وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لأنهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطه النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكفاية فى وظنوا للرسل (خ) عن عمرو بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقات والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عمرو أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك برهبها قلت فاهذا الآء قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان أنبياءهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبدالله بن عبيد الله بن أبى مايكة قال قال ابن عباس بن اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيقة قال ذهب لهاهاك وتلاحق ينول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله لأن نصر الله قريب قال فاميت عمره بن الزبير وذكر ذلك له فقال قالت عائشة ما ذل الله والله ما وعد الله رسوله من شئ فظالوا كما قال قتل ان يموت واكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثملة ﴿ وقوله تعالى ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ بمعنى جاء نصر الله اليدين ﴿ فنجبى من نشاء ﴾ من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجبى المؤمنين المطيعين ﴿ ولا يرد بأسنا ﴾ يعنى عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ لقد كان فى قصصهم ﴾ لفتدكان فى قصصهم ﴿ معنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) آء اولى الالباب ﴾ لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف

(جاءهم نصرنا) للانبياء والمؤمنين بهم فنجبى من غير احتساب (فنجبى) بنون واحدة وتشديد الجيم وقع الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل من الباقون فنجبى (من نشاء) أى النبى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان فى قصصهم) أى فى قصص الانبياء وامهم أوفى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الباب) حيث نقل من غاية الحب الى غيبة الحب ومن الحسيرة الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكروخامة وندامة

(جاءهم نصرنا) يعنى عذابنا بهلاك قومهم (فنجبى من نشاء) يعنى الرسل ومن آمن بالرسل (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) فى خبرهم فى خبر يوسف واخوته (عبرة) آء اولى الالباب لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس

(ما كان حديثاً يفترى) ما كان القرآن حديثاً يفترى كإزعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وما نصب بعد ذلك معطوف على خير كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أركانهم سورة يوسف فإما عبدت تلاها وعلما ﴿ ٤٦٥ ﴾ أهله وما ﴿ سورة يوسف ﴾ ملكت يمينه هون الله عليه

سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته تصيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول إن أخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم إياك في الدين أحرى إن تصبر على أذاهم وقال وهب إن الله تعالى لم ينزل كتاباً الاويه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم ﴿ سورة الرعد مكية وهي ثلاث أربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي ﴾

(ما كان حديثاً يفترى) يعني القرآن ليس يحدث بخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) موافق التوراة والإنجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع وخبر

﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ ما كان القرآن حديثاً يفترى ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ من الكتب الالهية ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين إذا من امر ديني الاوله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورجة ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ بصدقونه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أركانهم سورة يوسف فإنه إمام مسلم تلاها وعلما أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً

﴿ سورة الرعد مكية وقيل مكية الاقوله ويقول الذين ﴾

﴿ كفروا الآية وهي خمس وأربعون آية ﴾

من الجب بعد القائه فيه وأخراجه من السجن وتعليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وأخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وأعلاء كلمته واطهار دينه وان الأخبار بهذه القصة الحميمة جارية مجرى الأخبار عن التوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب فدل على أن هذه القصة من أحسن القصص وإن فيها عبرة لمن اعتبرها ﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثاً يفترى ويختلف لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفترى أو يخلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وان له ليس عفت ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والإنجيل وفيه إشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يعني أن في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج إليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿ وهدى ﴾ يعني الى كل خير ﴿ ورجة ﴾ يعني أزلناه رجة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم الذي يتفقون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

يوسف (وتفصيل كل شيء) بيان كل شيء (قا و خا ٥٩ لث) من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بحمد عايله السلام والقرآن الذي أنزل اليك من ربك والله أعلم بأسرار كتابه ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الرعد وهي مكية غير آيتين قوله ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم عاصموا قارعة الى آخرها وقوله ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب فانها مديتان آياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخسون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وأربعون حرفاً

عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها (والذي أنزل اليك من ربك) أى القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذى رفع السموات) أى خلقها مرفوعة لان تكون موضوعة فرقمها والله مبتدأ والخبر الذى رفع السموات (غير عمد) حال وهو جمع عماد او عمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان اولى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وبإسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (المر) أن الله أعلم وأرى ما تعملون وتقولون ويقال قسم اقسامه (تلك آيات الكتاب) ان هذه السورة آيات القرآن (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يقول القرآن هو الحق من ربك (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يؤمنون) محمد عليه السلام والقرآن

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ المر ﴾ قبل معناه أن الله أعلم وأرى ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة أه القرآن ﴿ والذي أنزل اليك من ربك ﴾ هو القرآن كله وعمله الجبر بالمطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدى الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿ الحق ﴾ والجملة كالجملة على الجملة الاولى وتعرف بالخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ لا يخلونهم بالنظر والتأمل فيه ﴿ الله الذى رفع السموات ﴾ مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ﴿ بغير عمد ﴾ اساطين جمع عماد كاهاب واهب أو عمود كاديم وادم أو قرى عمد كرسل ﴿ ترونها ﴾ صفة لعمد

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الآيتين احدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والآخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلاتى انهم مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الآيتين نزولنا بمكة وهما قوله ولأن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدين منها قوله هو الذى يريك البرق الى قوله دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسة وستة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ المر ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أن الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أن الله الملك الرحمن ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ اشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بأمر والمراد بالكتاب السورة أى آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ﴿ ثم قال تعالى ﴾ والذي أنزل اليك من ربك الحق ﴿ وهو من القرآن كله هو الحق الذى لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص أى الاخبار والقصص التى قصصتها عليك يا محمد هى آيات التوراة والانجيل والكتب الهية القديمة المنزلة والذى أنزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أى هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك من ربك هو الحق الذى لا شك فيه ولا تناقض ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يعنى مشركى مكة نزلت هذه الآية فى الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ﴾ جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله ﴿ ترونها ﴾ قولان أحدهما

(الله الذى رفع السموات) خلق السموات ورفعها على الارض (بغير عمد ترونها) يقول ترونها بغير عمد (ان)

بغير عدد مرتبة (ثم استوى على العرش) استولى بالاقدار ونفوذ السلطان (وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجرى لاجل مسمى) وهو انقضاء الدنيا (يدبر الامر) أمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) بين آياته في كتبه المنزلة (لعلكم تلقوا ربكم توفقون) لعلكم توفقون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه ويقال بمد لا ترونها (ثم استوى على العرش) كان الله على العرش قبل ان رقع السموات ويقال استقر ويقال امتلأ به ويقال استوى عنده القرب والبعيد على معنى العلم والقدرة (وسخر الشمس والقمر) ذل ضوء الشمس والقمر لبي آدم (كل يجرى لاجل مسمى) الى وقت معلوم (يدبر الامر) ينظر في أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحي والتنزيل والمعصية (يفصل الآيات) بين القرآن بالامر والنهي (لعلكم تلقوا ربكم توفقون) لكي تصدقوا بالبعث بعد

أواسئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واخصاصها بما يقتضى ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ بالحفظ والتدبير ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها ﴿ كل يجرى لاجل مسمى ﴾ لمدة معينة يتم فيها ادواره اولها مضرورية ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ﴿ يدبر الامر ﴾ امر ملكوته من الابداء والاحياء والاماتة وغير ذلك ﴿ يفصل الآيات ﴾ يزلها وبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد ﴿ لعلكم تلقوا ربكم توفقون ﴾ لكي تفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان

ان الرؤية ترجع الى السماء يعني وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عدد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعما ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد في العمدة الكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقناة وجه المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول اصح ﴿ وقوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران بجزبان على ما يريد ﴿ كل يجرى لاجل مسمى ﴾ يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومانزلهما يعني انهما يجران في منازلهما ودرجاتهما الى غاية يشتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة ﴿ يدبر الامر ﴾ يعني انه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي وبصرفه ويقضيه بعشيتة وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالابداء والاحياء والاماتة فبه دليل على كمال القدرة والرجة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورجته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته ﴿ يفصل الآيات ﴾ سعى انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خالق السموات والارض ومانهيا من الجائبات واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الثنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكما قدرته ﴿ لعلكم تلقوا ربكم توفقون ﴾ يعني انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكال

من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعداد والجزء وهو الذي مد الارض بسطها طولاً وعرضاً تثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي وجبالاً ثوابت (رواسي) جبلاً ثوابت (وأناهاراً) جارياً (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (ينشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعدما كان أبيض نهاراً ينشى حزة وعلى أبو بكر (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) فيعملون ان لها صناعات علمياً حكماً

قدرته لكي توفوا وتصدقوا باقائه والمعير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجادها واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم رزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم قوله تعالى ﴿ وهو الذي مد الارض ﴾ لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بنور عذو ذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كالأفك وعند أصحاب الهيئة الارض ككرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد معدودة كالسطح كبير العظم فحصل الجمع ومع ذلك فله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطیح والله تعالى أصدق فلا وأين دالاً من أصحاب الهيئة ﴿ وجعل فيها ﴾ يعني في الارض ﴿ رواسي ﴾ يعني جبلاً ثابتة يقال رسوا اذا ثبت وأرساه غيره أثبته قال ابن عباس كان أبو قيس أول رجل وضع على الارض ﴿ وأناهاراً ﴾ يعني وجعل في الارض أنهاراً جارياً مانع الحاق ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً ﴿ ينشى الليل النهار ﴾ يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويابس الليل ضوء النهار ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنمته وعجائب قدرته الدالة على وحدانيته ﴿ آيات ﴾ أي دلالات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القاب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القاب ولهذا روى تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزهاً ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفك لأنه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبجها طلباً

(وهو الذي مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبلاً ثوابت (وأناهاراً) جارياً (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (ينشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعدما كان أبيض نهاراً ينشى حزة وعلى أبو بكر (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) فيعملون ان لها صناعات علمياً حكماً الموت (وهو الذي مد الارض) بسط الارض على الماء (وجعل فيها رواسي) خالق في الارض الحمال الثوابت أو نادها (وأناهاراً) أجرى فيها أنهاراً (ومن كل الثمرات) من الوان كل الثمرات (جعل فيها) خلق فيها (زوجين اثنين) الحامض والحلو زوج الابيض والاحمر زوج (ينشى الليل النهار) ينطى الليل بالنهار والنهار بالليل يقول يذهب بالليل ويحيى بالنهار ويذهب بالنهار ويحيى بالليل (ان في ذلك) في اختلاف ما ذكرت (آيات) لدلائل (لقوم يتفكرون) لكي يفكروا فيه

تلاسقة طيبة الى سبعة
وكريمة الي زهيدة وصلبة
الى رخوة وذلك دليل
على قادر مدبر مهيد موقع
لاصاله على وجد دون وجه
(وجنات) معطوفة على قطع
(من أعناب وزرع ونخيل
سنوان وغير سنوان)
بالرفع مكى وبصرى وحفص
عطف على قطع غيرهم
بالجر بالمعطف على أعناب
والسنوان جمع صنوهى
التخلة لها رأسان وأصلها
واحد وعن حفص بضم
الصاد وهما لفتان (تسقى
بماء واحد) وبالياء طاصم
وشامى (ونفصل بعضها
على بضم) وبالياء حزة
وعلى (في الاكل) في الثمر
وبسكون الكاف نافع
(وفي الارض قطع)
أمكنة (متجاورات)
ملتزقات ارض سبعة رديئة
وبجنبها أرض طيبة عذبة
جيدة (وجنات من اعناب)
من كروم (وزرع) حرث
(ونخيل سنوان) مجتمع
اصولها في اصل واحد
عشرة أو أقل أو أكثر
(وغير سنوان) مفترق
اصولها واحدة واحدة
(يسقى بماء واحد) بماء
المطر أو بماء النهر (ونفصل
بعضها على بعض في الاكل)

ذير امرها وهيا اسبابها ﴿ وفي الارض قطع متجاورات ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبعة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لاصاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع
في الطبيعة الارضية وما يلازمها ويعرض لها بتوسط ما يمرض من الاسباب السماوية
من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاصناف ﴿ وجنات من اعناب وزرع ونخيل ﴾
وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير
وابوعمر و يعقوب وحفص وزرع ونخيل سنوان بالرفع عطفًا على وجنات ﴿ سنوان ﴾
تخلات اصلها واحد ﴿ وغير سنوان ﴾ ومفترقات مختلفات الاصول وقرأ حفص بالضم
وهولثة بنى تميم كقنوان في جمع قنو ﴿ تسقى بماء واحد ونفصل بعضها على بعض في الاكل ﴾
في الثمر شكلا وقادرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن طاهر وعاصم
ويعقوب بسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحزة والكسائي يفضل بالباء ليطابق قوله
للوصول الى حقيقتها ﴿ قوله عز وجل ﴾ وفي الارض قطع متجاورات ﴿ يعنى
متقاربات بعضها من بعض وهى مختلفة في الطبايع فهذه طيبة تبت وهذه سبعة لا تبت
وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ﴿ وجنات ﴾ يعنى بساتين والجنة كل بستان
ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه
الاشارة بقوله ﴿ من أعناب وزرع ونخيل سنوان ﴾ جمع صنو وهى التخلات مجتمعين
من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنوايه يعنى
انها من أصل واحد ﴿ وغير سنوان ﴾ هى التخللة المفردة باصلها فالسنوان المجتمع
وغير السنوان المفترق ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم
رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح ﴿ ونفصل
بعضها على بعض في الاكل ﴾ يعنى في الطعم ما بين الحلو والحامض والمقص وغير ذلك
من الطعام ﴿ عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
ونفصل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والزيسان والحلو والحامض أخرجه
الترمذى وقال حدثت حسن غرب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم
وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة
واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء
السماء فخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبجها
وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد ولو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء
كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتحشع
وتخضع وتسوق قلوب قوم فقلهوا ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد
الاقام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

ومكي (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وانوارها وأسرارها باختلاف القطع في آثارها وأزهارها ونماها { الجزء الثالث عشر } (وان تعجب) يا محمد ﴿ ٤٧٠ ﴾ من قولهم في انكار البعث (فجيب

يدبر الامر ﴿ ان في ذلك آيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكير ﴿ وان تعجب ﴾ يا محمد من انكارهم البعث ﴿ فجيب قولهم ﴾ حقيق بأن تعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعداد ايسر شئ عليه والآيات المدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعداد من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ﴿ أننا كنا ترابا اثنائي خلق جديد ﴾ بدل من قولهم أو مفعول له والسامل في اذا عذوف دل عليه اثنائي خلق جديد ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ لانهم كفروا بقدرته على البعث ﴿ وأولئك الاغلال في اعتناقهم ﴾ مقيدون بالفسالة لا يرجي خلاصهم أو يفلون يوم القيامة ﴿ وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ﴿ قوله تعالى ﴿ وان تعجب ﴾ قولهم ﴿ العجب تعبد النفس رؤية المستعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه انك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بمد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا يفهمهم آلهة يعبدها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدرا أو من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال مارا أو افجيب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعداد اهلون من الابتداء فهذا موضع العجب وهو قولهم ﴿ أننا كنا ترابا ﴾ يعني بعد الموت ﴿ أننا لفي خلق جديد ﴾ يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ﴿ ثم ان الله تعالى قال في حقهم ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر ﴿ وأولئك الاغلال في اعتناقهم ﴾ يعني يوم القيامة والاعلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاعلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل ﴿ وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعني انهم مقيمون

قولهم) خبر ومبتداً أي عقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عده عليك كانت الاعداد ايسر شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أننا كنا ترابا اثنائي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأنا صم وحجزة كل واحد بهمزتين (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتنادون في كفرهم (وأولئك الاغلال في اعتناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك اصحاب النار فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر

في الحبل والطعم (ان في ذلك) في اختلافها وألوانها (آيات) علامات (لقوم يعقلون) يصدقون انها من الله (وان تعجب) من تكذيبهم اياك (فجيب قولهم) فقولهم اعجب حيث قالوا (أننا كنا) صرنا (ترابا) رميا (أثنائي خلق جديد) نجد بعد الموت وفينا الروح (أولئك) أهل انكار البعث

(الذين كفروا) هم الذين كفروا (بربهم وأولئك) أهل الكفر (الاغلال في اعتناقهم) والسلاسل في (فيها) أيمانهم مشدودة الى اعتناقهم (وأولئك) أهل الاعلال والسلاسل (اصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لا يموتون ولا يخرجون

(ويستجلبونك بالسيئة قبل الحسنة) بالثقة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد دخلت من قبلهم المثلثات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فقالهم لم يتبرأوا بها فلا يستهزؤا والمثلثة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سبئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب وعمله الحال ﴿ ٤٧١ ﴾ أى ظالمين { سورة الرعد } لانفسهم قال السدى

يعنى المؤمنين وهى أرحى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهويدون التوبة فان التوبة نزلها وترفضها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيما أى يفقر لمن يشاء ويمعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يمتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقييل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا نحو قائلهم من سوء العاقبة وانما كذبك من الرسل وما عليك الا الايمان بما يصح به انك رسول منذر وحملة ذلك حاصلة باى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى

﴿ ويستجلبونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استجلبوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴿ وقد دخلت من قبلهم المثلثات ﴾ عقوبات امثالهم من المكذبين فقالهم لم يتبرأوا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلثة بفتح التاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثلث للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلثات بالتحفف والمثلثات باتباع القاء العين والمثلثات بالتحفيف بعد الاتباع والمثلثات بفتح التاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ مع ظلمهم انفسهم وعمله التصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييده دليل على جواز العقوبة قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغار المكفرة لمجئ الكبار أو اول المغفرة بالستر والامهال ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ للكفار أو لمن يشاء . وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفوان الله وتجاوزة لما هنا احد العيش ولولا وعيده وعقابه لأتكل كل احد ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ماوتى موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ انما أنت منذر ﴾

فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ ويستجلبونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ الاستجبال طلب تجليل الامر قبل مجيئ وقته والمراد بالسيئة هناهى العقوبة وبالحسنه العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ وقد دخلت من قبلهم المثلثات ﴾ يعنى وقدمضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسالهم والمثلثة بفتح الميم وضم التاء المثلثة نعمة تنزل بالانسان فيجمل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالتكال وبوجه مثلثات بفتح الميم وضمها مع ضم التاء فيهما ائتان ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا ما قب ﴿ قوله تعالى ﴾ ويقول الذين كفروا ﴿ يعنى من أهل مكة ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ آية من ربه ﴾ يعنى مثل عصا موسى وناقته صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاءها النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ انما أنت منذر ﴾

منها أبدا (ويستجلبونك) بإحمر (بالسيئة) بالعذاب استهزاء (قبل الحسنة) قبل العافية لايسألونك العافية (وقد دخلت) مضت (من قبلهم المثلثات) العقوبات فيمن هلك (وان ربك لذو مغفرة) تجاوز (لناس) لاهل مكة (على ظلمهم) على شركهم ان تابوا وآمنوا (وان ربك لشديد العقاب) لمن تاب عن الشرك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عايه السلام والقرآن (لولا أنزل عليه) هلا أنزل عليه (آية) علامة (من ربه) لتبوته كما أنزل على رسله الاولين (انما أنت) يا محمد (منذر) رسول مخوف

مرسل للأندار كغيرك من الرسل وما عليك الا الايمان بما تصح به نبوتك من جنس
المجرات لا بما يقترح عليك ﴿ولكل قوم هاد﴾ نبي مخصوص بمجرات من جنس
ما هو القالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم
وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم اردف ذلك
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبها على انه تعالى قادر على
انزال ما اقترحوه وانعالم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للمعاد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدم لسبق قضائه عليهم بالكفره وقرأ ابن كثير هاد ووال
وواق وما عند الله باق بالتتوين في الوصل فاذا وقفت وقب بالياء في هذا الاحرف
الاربعة حيث وقفت لا غير والباقون يصلون بالتتوين ويقفون بتبويه فقال ﴿الله يعلم
ما تحمل كل اشي﴾ أي جلهأ أو ما تحمله وانه على أي حال هو من الاحوال الحاضرة والمتربة
﴿وما تفيض الارحام وما تزداد﴾ وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد
واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وستان عند ابي حنيفة روى
ان الضحاك ولد لستين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية
ما عرف به اربعة واوليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ
باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد تقصير دم الحيض
وازيادته وقاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى واذا داوا تسعا فان جعلتهما
لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادها الى الارحام على المحاز بالهما لله تعالى أو لما فيها

أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شي ﴿ولكل
قوم هاد﴾ قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك
والصفي والمضي انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في
رواية أخرى عنه وأبو الصفي الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت
منذر وأنت هاد وقال الحسن وقادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو
العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخبر الى الشر قوله
عز وجل ﴿الله يعلم ما تحمل كل اشي﴾ لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات
أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل اشي يعني من ذكر
أو اشي سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو اكر ﴿وما تفيض﴾ يعني وما
تنقص ﴿الارحام وما تزداد﴾ قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا
حاضت الحامل كان ذلك نقصا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج
الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالقنصان نقصان خلقه
الولد بخروج الدم والزيادة عام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها
ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما
ومنعت تسعة أشهر وخسة أيام فالقنصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل القنصان

من الانبياء يهديهم الى
الدين ويدعوهم الى الله
بآية تخص بها لا يجربون
وتحكمون (الله يعلم ما تحمل
كل اشي وما تفيض الارحام
وما تزداد) ما في هذه المواضع
الثلاثة موصولة أي يعلم
ما تحمله من الولد على
أي حال هو من ذكورة
وأنوثة وتام وخداج
وحسن وقبح وطول
وقصر وغير ذلك وما تفيضه
الارحام أي ويعلم ما تنقصه
يقال غاض الماء وغضته
أما ما تزداده والمراد
عدد الولد فانها تشتغل
على واحد واثنين وثلاثة
وأربعة أو جسد الولد فانه
يكون تاما ومخدجا أو مدة
الولادة فانها تكون أقل
من تسعة أشهر وأزيد
عليها الى ستين عندنا
والى اربع عند الشافعي
والى خمس عند مالك
أو مصدرية أي يعلم جل
كل اشي ويعلم غيض
الارحام واذا داها

(واكل قوم هاد) نبي ويقال
داع يدعوهم من الضلالة
الى الهدى (الله يعلم ما تحمل
كل اشي) كل حامل ذكر هو
أو اشي (وما تفيض) وما
تنقص (الارحام) في الحمل
من التسعة (وما تزداد)

على التسعة في الحمل

(وكل شيء عنده بمقدار) بقدر واحد ﴿٤٧٣﴾ لا يجاوزه ولا ينقص { سورة الرعد } عنه لقوله انا كل شيء

خلقناه بقدر (طالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن نمت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من أسرار القول) في نفسه (ومن جهره) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفا في غمياً بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سره وبارز وهو عطف على من أو مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله

تكن مثل من ياذب يصطحبان

كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررمة لكمال علمه وشموله ﴿له﴾ لمن اسر أو جهر أو استخفي أو سرب

في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سره ويا سارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من في معنى الاثنين والضمير في (له) سردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفي (وكل شيء) من الزيادة والنقصان وخروج الولد والمكث (عنده بمقدار طالم الغيب) ما غاب عن العباد (والشهادة) ما علمه العباد ويقال القيب ما يكون والشهادة ما كان ويقال القيب هو الولد في الارحام والشهادة هو الذي خرج من الارحام (الكبير) ليس شيء أكبر منه (المتعال) ليس شيء أعلى منه (سواء منكم) عند الله بالعلم (من أسرار القول) والقيل (ومن جهره) من أعلن بالقول

السطع والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضا نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويسيش واختلافوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لستين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال جادين أبي سلمة انما سمى هرم بن حبان هرما لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين وعندما ملك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ يعني بتقدير واحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكمال الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثه من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره ﴿طالم الغيب والشهادة﴾ يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدونه وقيل الغيب هو المدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس ﴿الكبير﴾ أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمتة وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال ﴿المتعال﴾ يعني المنزه عن صفات القصد المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتزيده عن جيم القائن ﴿قوله تعالى﴾ سواء منكم من أسرار القول ومن جهره ﴿أي مستونكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسرب بالقول والجهر به ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي مستتر بظلمته ﴿وسارب بالنهار﴾ أي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربيبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس انه يرى من الأثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا ظهرته وأخفيتة اذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به اللسان وسواء من أقدم على التبايح مستترا في ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ﴿له﴾

والفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف) (قاو خا ٦٠ لث) بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) بقول أو عمل يعلم الله ذلك منه (له)

﴿ معقبات ﴾ ملائكة تعقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبانة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها أو اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للجبانة اولان المراد بالمعقبات جماعات «وقرى» معاقب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من احدى القافين ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ من جوانبه أو من الاعمال ما قدم و آخر ﴿ يحفظونه من امر الله ﴾ من بأسه متى اذنب بالاستمهال أو الاستغفاره

معقبات ﴿ يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا بحسب لفظ مفردهما لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورحالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يرجع الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل الصالح حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هوتاب منها والاقال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بتأسيه المبدأ فاذا تواضع العبد لله عز وجل رضى بها وان تجبر على الله عز وجل ورضهها وملك موكل بسنيته يحفظه ما من الاذى وملك موكل بقية لا يدعه يدخل في فيه شئ من الهوام يؤذيه فهو لأمخسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكالشفقة عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى ﴿ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ﴾ يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بأمر الله واذنه ما لم يحى القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فامن شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الاشئ يأذن الله فيه فيصيده وقال كتب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أى يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرصهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عاصم بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بنى عاصم بن زيد وكانت قصتهما على مارواه الكلبى عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عاصم بن طفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عاصم بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حارس

ومن سرب (معقبات)
جماعات من الملائكة تعقب
في حفظه واصل معقبات
فادغمت التاء في القاف أو
هو مفعلات من عقبه اذا جاء
على عقبه لان بعضهم يعقب
بعضاً اولانهم يعقبون ما يتكلم
به فيكتبونه (من بين يديه
ومن خلفه) أى قدامه
وراءه (يحفظونه من
أمر الله) هما صفتان جيدتا
وليس من أمر الله بصفة
للحفظ كانه قيل له معقبات
من أمر الله أو يحفظونه
من اجل أمر الله أى من
اجل ان الله تعالى أمرهم
بحفظه أو يحفظونه من بأس
الله وقتته اذا اذنب بدعائم له

معقبات) أيضا ملائكة يعقب
بعضهم بعضا يعقب ملائكة
الليل ملائكة النهار وملائكة
النهار ملائكة الليل (من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه)
مقدم ومؤخر (من امر الله)
بأمر الله ويدعونونه الى

أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من معنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثابته لمقبات وقيل المقبات الحارث والجلالوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ﴿ أن الله لا يغير ما بقوم ﴾ من العاقبة والنعمة ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ من الأحوال الجميلة بأحوال القبيحة ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوا فلا مرد له ﴾ فلا رده والعمل في إذا ما دل عليه الجواب

في المسجد في نفر من أصحابه قد دخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عاصم وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عاصم بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فإن يرده الله به خير أيده فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي إن أسلت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك لي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال قمصلي على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلتك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاصم قد أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عاصم يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبراً من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عاصم يوبى إليه قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد ساعة في يوم صحوة لفظ فاحرقته فولى عاصم هارياً وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لا ملائمتها عليك خيلاً مجرداً وشباباً مرداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم يعني الله من ذلك وابتاقيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عاصم بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم إليه سلاحه فخرج له خراج في أصل أذنه أخذ منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كفة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت مجدداً وصاحبه يعني ملك الموت لانفذهنما برحمتي فأرسل الله إليه ملكاً فلفظه فأرداه في التراب ثم ماد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عاصم بن الطفيل فات بالطنن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سوا منكم من أسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه من يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه أمر الله أي بأمر الله وقيل إن تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ﴿ وقوله ﴿ أن الله لا يغير ما بقوم ﴾ خطاب لهذين عاصم بن الطفيل وأربد ابن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العاقبة والنعمة التي أعم بها عليهم ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ يعني من الحالة الجميلة فيمضون ربهوم ويحجدون نعمه عليهم فمن ذلك تحمل نعمته بهم وهو قوله تعالى ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوا ﴾ يعني هلاكاً وعذاباً ﴿ فلا مرد له ﴾

(أن الله لا يغير ما بقوم)
من العاقبة والنعمة (حتى
يغيروا ما بأنفسهم) من الحال
الجميلة بكثرة المصائب (وإذا
أراد الله بقوم سوا) عذاباً
(فلا مرد له) فلا يدفعه شيء

المقادير (أن الله لا يغير ما بقوم)
من أمن ونعمة (حتى يغيروا
ما بأنفسهم) بترك الشكر
(وإذا أراد الله بقوم سوا)
عذاباً وهلاكاً (فلا مرد له)
لقضاء الله فيهم

(ومالهم من دونه من وال) من دون الله عن على أمرهم وينفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) انصبأ على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خاشعين وطماعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع { الجزء الثالث عشر } في التيس قال ﴿ ٤٧٦ ﴾ أبو الطيب متى كالسحاب الجبون

﴿ومالهم من دونه من وال﴾ عن على أمرهم في دفع عنهم سوءه وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفا ﴾ من اذاه ﴿ وطمعا ﴾ في التيس وانصبأ بما على العلة بتقدير المضاعف أي ارادة خوف وطمع أو التأويل بالاخافة والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على اضمار ذوا واطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينغمه ﴿ وينشئ السحاب ﴾ النعم المنسحب في الهواء ﴿ الثقال ﴾ وهو جمع ثقيلة انا وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ﴿ ويسج الرعد ﴾ ويسج ساموه ﴿ بحمده ﴾ ملتبس به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكان قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ﴿ والملائكة من خيفته ﴾

يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضاءه وقدره ﴿ ومالهم من دونه من وال ﴾ يعنى وليس لهم من دون الله من وال على أمرهم ونصرهم وينعم العذاب عنهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ﴿ لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعنى هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لعمان يظهر من خلال السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يضره بالمطر كالسافر ومن في جريته يعنى يبدره القتر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع اليه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت قحطت واذا لم تمطر أخصبت ﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبدأها فبدأت والسحاب جمع سحابة والسحاب غير الماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب النعم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحاب الجبر وسمى السحاب سحابا اما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سيره ﴿ ويسج الرعد بحمده ﴾ أكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله ﴿ والملائكة من خيفته ﴾ واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما للملك من الملائكة وانما افرد

يخشى ويرتجى ويرجى الحيا منه ونخشى الصواعق أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا يتقع أهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه ﴿ وينشئ السحاب ﴾ هو اسم جنس والواحدة سحابة ﴿ الثقال ﴾ بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال ﴿ ويسج الرعد بحمده ﴾ قيل يسج ساموه الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر ﴿ والملائكة من خيفته ﴾ ويسج الملائكة من هيته واجلاله

(ومالهم) لمن أراد الله هلاكهم (من دونه) من دون الله (من وال) من

مانع من عذاب الله ويقال من ملجأ يلجئون اليه (هو الذي يريكم البرق) المطر (خوفا) للمسافر بالطران (بالذکر) يتل ثيابه (وطمعا) للمقيم ان يستق حركته (وينشئ) يخلق ويرفع (السحاب الثقال) بالمطر (ويسج الرعد بحمده) بأمره وهو ملك ويقال صوت السماء (والملائكة) وتسبح الملائكة (من خيفته) وهم خاشعون من الله

(ويرسل الصواعق فيصيب بهامن يشاء) ﴿٤٧٧﴾ الصاعقة نار ﴿سورة الرعد﴾ تسقط من السماء لاذكر عليه

النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والظن عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهي رميم ويردون الوجدانية باخذ الشركاء ويحملونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بهامن يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربد أخليد ابن ربيعة العاصري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أن نحاس هو أم من حديد (ويرسل الصواعق) يعني النار (فيصيب بهامن يشاء) فيهلك بالنار من يشاء يعني زيد بن قيس أهلكه الله بالنار وأهلك صاحبه مع محمد صلى الله عليه وسلم

من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بهامن يشاء﴾ فيهلكه ﴿وهم يجادلون في الله﴾ حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد بالذكر تشرىفاله على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهودالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع غمراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبدالله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وملائكته من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبادي أطيعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في تفرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سمع لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فنزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وجله على الصوم أولى ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها ﴿فيصيب بها﴾ يعني بالصواعق ﴿من يشاء﴾ يعني فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذائر ﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني يخاصمون في الله وقيل المحادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا حكمت قتله نزلت عامر بن الطفيل بطعنة في خاصرته (وهم يجادلون) يخاصمون (في الله) في دين الله

في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو اما لطف الجملة على الجملة أو للحال فإنه روى ان
عاصم بن الطويل واربدين ربيعة اخا ليبدو فدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين
لقتله عليه السلام فاخذوه عاصم بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله
ورمى عاصمًا بنده فمات في بيت سلوية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية
فترت ﴿ وهو شديد المحال ﴾ الماحلة والمكايبة لا عدائه من محل فلان بفلان اذا كايده
وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القمص وقيل
فقال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعول من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس وبعضه انه
قرى بفتح الميم على انه مفعول من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون

في شأن اربدين ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم بم ربك أمن درأم من ياقوت أم من ذهب
فترت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان
رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفر من أصحابه يدعونه الى الله
والي رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونى اليه هل هو من ذهب
أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فأنصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعقى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه
فلم يزداهم على مقاتته الاولى شيئاً بل قال أجيب محمداً الى رب لأراه ولا أهرفه فأنصرفوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقاتته الاولى شيئاً
بل قال أخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فينماهم عنده يدعونه وينازعونوه وهو
لا يزيدهم على مقاتته شيئاً اذ ارتفعت صحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت
ورمت بصاعقة فأحرقت الكافروهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما رجعوا استقبالهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم
احترق صاحبكم قالوا من أين علمت ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو
فقيل واوالحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان
أربدًا جادل في الله أهلكته الله بالصاعقة وقيل انها واوالاستئناف فيكون المعنى انه
تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله ﴿ وهو شديد المحال ﴾
أى شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يجعل به محلاً اذا أراد به سوءاً وقيل هو من
قولهم يجعل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال
الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم
بطريق لا يعرفونه ولا يتوقفونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت
عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة
شديداً للقوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدل وذلك

(وهو شديد المحال) أى
الماحلة وهى شدة المماكرة
والمكايبة ومنه تمحل كذا
اذا تكلف لاستعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان
اذا كاده وسعى به الى
السلطان والمعنى انه شديد
المكر والتكيد لا عدائه
يأتهم بالهلكة من حيث
لا يحتسبون

(وهو شديد المحال)
شديد العقاب

(له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمنزل من الباطل والخفى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ﴿ ٤٧٩ ﴾ ما لا يتنفع ﴿ سورة الرعد ﴾ ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد

المحال وله دعوة الحق عاقبه
على قصة أربد ظاهر لان
اصابته بالصاعقة محال من الله
ومكره من حيث لم يشعر
وقد دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه وعلى صاحبه
بقوله اللهم اخسفهما بما
شئت فاجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق وعلى
الاول وعيد للكفرة على
عجالتهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحلول محاله
بهم واجابة دعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم ان
دعاهم (والذين يدعون)
والآلهة الذين يدعوهم
الكفار (من دونه) من دون
الله (لا يستجيبون لهم بشئ)
من طلباتهم (الا كباسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء
من المصدر أى من الاستجابة
التي دل عليها لا يستجيبون
لان الفعل بحرفه يدل على
المصدر وبصيغته على الزمان
وبالضرورة على المكان
والحال فجاز استثناء كل منها
من الفعل فصار التقدير
لا يستجيبون استجابة
الاستجابة كاستجابة باسط

مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشدوموساه احد ﴿ له دعوة الحق ﴾ الدعاء الحق
فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره اوله الدعوة المحجبة فان من دعاء اجاب
ويؤيده ما بعدد والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واطراف الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة وعلى تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاه اليه دعوة الحق
والمراد بالجلتين ان كانت الآية في عامر واريد ان اهلا كهما من حيث لم يشعر به محال
من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اودلالة على انه على الحق وان كانت
طامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم
باجابة دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم اوبيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿ والذين
يدعون ﴾ أى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون
الاصنام فحذف المفعول للدلالة ﴿ من دونه ﴾ عليه ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ من الطلبات
﴿ الا كباسط كفيه ﴾ الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿ الى الماء ليبلغ فاه ﴾ يطلب منه ان يبلغه
انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدا لانهم ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ له دعوة الحق ﴾
يعنى لله دعوة الصادق قال على دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب
الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو تقيض
الباطل كاتضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق
مختصة به وانها بمنزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى
الداعي سؤاله ان كان مصطلحه فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه
الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا تنفع فيه ولا جدوى فيرد دعاه الثاني
ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن
الحسن الله هو الحق وكل دعاه اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين
بعاقبهما قلت اما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن طفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة
دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجابة دعاه أن دعاهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء
الحالص لا يكون الا لله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ يعنى والذين يدعونهم آلهة
من دون الله وهى الاصنام التي يعبدونها ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ يعنى لا يجيبونهم
بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر ان دعوهم ﴿ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه

كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا بهطشه وحاجته اليه ولا يقدر
ان يجيب دعاه ويبليغ فاه وكذلك ما يدعونه جادا لا يحس بدعاهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على تفهمه واللام في ليبلغ متعلق باسط

(له دعوة الحق) دين الحق شهادة أن لا اله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله
(لا يستجيبون لهم بشئ) ينفع ان دعوهم (الا كباسط كفيه) الا كما يديده (الى الماء) من بعد (ليبلغ فاه) لكي يبلغ

كفيه (وما هو ببالفه) وما
الماء ببالغ فاه (وما دعاه
الكافرين الا في ضلال)
في ضياع لا منفعة فيه لانهم
ان دعوا الله لم يحجم وان
دعوا الاصنام لم تستطع
اجابته (والله يسجد من
في السموات والارض)
سجود تعبد و اتقياد (طوعا)
حال يعنى الملائكة والمؤمنين
(وكرها) يعنى المنافقين
والكافرين في حال الشدة
والضيق

الماء الى فيه (وما هو ببالفه)
بتلك الحال الماء الى فيه أبدا
يقول كما لا يبلغ الماء فاهذا
الرجل كذلك لا تنفع
الاصنام من عبدها (ومادعاه
الكافرين) عبادة الكافرين
(الافى ضلال) في باطل يضل
عنه (والله يسجد) يصلى
و يعبد (من في السموات)
من الملائكة (والارض)
من المؤمنين (طوعا) أهل
السماء لان عبادتهم بغير مشقة
(وكرها) أهل الارض لان
عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا
لاهل الاخلاص وكرها
لاهل النفاق ويقال طوعا
لمن ولد في الاسلام وكرها
لمن أدخل في الاسلام جبرا

﴿ وما هو ببالفه ﴾ لانه جاد لا يشرب بدعائه ولا يقدر على اجابته والايان بغير ما جبل عليه
وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يعترف الماء ليشربه فيسقط
كفيه ليشربه موقري تدعون بالناه وباسط بالتون ﴿ ومادعاه الكافرين الا في ضلال ﴾
في ضياع وخسارة وباطل ﴿ والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا
حالى الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة

وما هو ببالفه ﴿ يعنى الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء
جاد لا يشرب ببسط كفيه ولا بهطشه ولا يقدر أن يجيب دعاه أو يبلغ فاه وكذلك ما
يدعونه جادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمه وقيل شبههم في قلة
جدوى دعائهم لا آلهتهم بمن اراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطها ناشرا أصابه
فلم تلق كفه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابه لا
يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذى يدعو الاصنام لانها لا تقصر
ولا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذى يرى الماء من بعيد بعينه
فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاه
كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو عديديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء
والا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين
يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه
ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام بسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى
للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ﴿ ثم ختم هذا بقوله ﴾ ومادعاه الكافرين ﴿
يعنى أصنامهم ﴿ الا في ضلال ﴾ يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في
هذا الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿ قوله عن وجل ﴾ والله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها ﴿ في معنا هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على
الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول فى معنى الآية وجهان أحدهما
ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله والله يسجد من في السموات
يعنى الملائكة ومن في الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من
يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين
في المؤمنين وليسوا منهم فان سجدوا لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجدوا
ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجدوا لله وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى
هو جل اللفظ على السموم وعلى هذا فى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين
من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار
من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى
انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعبه بالوجوب عن
الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف

﴿ وظلالهم ﴾ بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحكام ما اراده منهم شأوا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصرفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله ﴿ بالندو والآصال ﴾ ظرف ليجسد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والندو جمع غداة كقفي جمع قفاة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الندو مصدر ويؤيد انه قرئ بدو الاصال وهو الدخول في الاصيل ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ خالفهما ومتولى امرهما ﴿ قل الله ﴾ اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواء ولانه البين

(وظلالهم) مطوف على من جمع ظل (بالندو) جمع غداة كقفي وقفاة (والآصال) جمع اصل جمع اصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله بالندو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طامع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فان لم يجيبوا فلنقمه فانه لاجواب الا هذا

(وظلالهم) ظلال من يسجد لله أيضا تسجد (بالندو والآصال) غدوة وعشية غدوة عن ايمانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يا محمد لاهل مكة (من رب) من خالق (السموات والارض) فان اجابوك وقالوا الله وال (قل الله) خالفهما

بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من أنس وجن فانهم يقرون الله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته فائذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿ وقوله تعالى ﴾ وظلالهم بالندو والآصال ﴿ الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والندو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال المشايأ جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طامع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد لها وتخضع كما جعل للحيال أمهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الندو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿ فصل ﴾

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قل من رب السموات والارض ﴿ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالفهما فيقولون الله لانهم مقررون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اوجب أنت فامر الله أن يجيبه بقوله ﴿ قل الله ﴾ أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا يتكروا ان الله خالق كل شيء فلما ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم أنزههم المحجة على عبادتهم الاصنام

(قل أفأخذتم من دونه أولياء) أريد أن علموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نقما ولاضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفذوا ضررا عنهما كيف يستطيعونه انغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المشيب المعاقب فأبين ضلالتكم { الجزء الثالث عشر } (قل هل يستوى) ٤٨٢ ﴿ الاعى والبصير ﴾ أى الكافر

الذى لا يمكن المراء فيه أولقنهم الجواب به ﴿ قل أفأخذتم من دونه ﴾ ثم الزمهم بذلك لان اتخذهم بكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿ اولياء لا يملكون لانفسهم نقما ولاضرا ﴾ لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نقما أو ينفذوا عنها ضرا فكيف يستطيعون ايقاع الخير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم ﴿ قل هل يستوى الاعى والبصير ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ الشرك والتوحيد • وقرأ جزءة والاكسائى وابوبكر بالياء ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ بل اجعلوا والهزمة للانكار وقوله ﴿ خلقوا كخلقه ﴾ صفة لشركاء داخله فى حكم الانكار ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كخالق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق

بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد للمشركين ﴿ أفأخذتم من دونه ﴾ يعنى من دون الله ﴿ أولياء ﴾ يعنى الاصنام والولى الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعنى الاصنام ﴿ لا يملكون ﴾ يعنى وهم لا يملكون ﴿ لانفسهم نقما ولاضرا ﴾ فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى ﴿ مثل هل يستوى الاعى والبصير ﴾ قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ يعنى الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا تستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعى لان الاعى لا يهتدى سيلا كذلك الكافر لا يهتدى سيلا ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء ﴿ خلقوا كخلقه ﴾ يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقرآ وجبالا وبحارا وجنا وانسا ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خاق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبجهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خاقه فتشابه خاق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا لاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بمقوالهم وجدوا الله تعالى هو المفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيا حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد

والمؤمن أو من لا يبصر شيا ومن لا ينجى عليه شيا (أم هل تستوى الظلمات والنور) مثل الكفر والايان يستوى كوفى غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل اجعلوا ومعنى الهزمة الانكار (خلقوا كخلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خاق الله (فتشابه الخلق عليهم) واشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبدواكمهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق

(قل) يا محمد (أفأخذتم) عبادتم (من دونه) من دون الله (أولياء) أربابا من الآلهة (لا يملكون لانفسهم نقما) جرا لرفع (ولاضرا) دفع الضر (قل) لهم يا محمد (هل)

يستوى الاعى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الكفر والايان (لزمتهم) (أم جعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من الآلهة (خلقوا) خلقا (كخلقه) كخالق الله (فتشابه الخلق) فتشابه كل الخلق (عليهم) فلا يقدرون خلق الله من خلق آلهتهم

(قل الله خالق كل شيء)

أي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يقالب وماعداه صروب ومقهور (أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع وادوهوالموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وإنما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذي علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار

(قل) يا محمد (الله خالق كل شيء) بأن منه لا آلهة الا الله (القهار) الغالب على خلقه ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال (أنزل من السماء ماء) يقول أنزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل (فسالت أودية بقدرها) فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها

﴿ قل الله خالق كل شيء ﴾ أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم فاه عما سواه ليدل على قوله ﴿ وهو الواحد ﴾ المتوحد بالالوهية ﴿ القهار ﴾ الغالب على كل شيء ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادى منها ﴿ فسالت اودية ﴾ انهار جمع واد وهوالموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكبرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع ﴿ بقدرها ﴾ بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر

لزمهم الحجة وهو قوله تعالى ﴿ قل الله خالق كل شيء ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق ﴿ وهو الواحد ﴾ يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها ﴿ القهار ﴾ لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره واراادته ﴿ وقوله عز وجل ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ لما شبه الله عز وجل الكافرين بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يسقى المطر ﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾ أودية جمع وادوهوالمقرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسالت في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بماثما وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماثما وإنما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يجم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم تفعد وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتقموا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والمشب الكثير وكان منها أجاب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلام فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجاب فبالجيم والذال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحاحين وهي الارض التي لا تنبت الكلاً

(فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمفى علاه زيد (رايبا) منتفخا متفاعلا على وجه السيل (و) توفدون عليه (ويالياه كوفي) الجزء الثالث عشر { غياي بكر } ٤٨٤ ← ومن لا ابتداء لفاية أي ومنه ينشأ زيد

﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ رفعه والزبد وضرا القليان ﴿ رايبا ﴾ عاليا ﴿ وماتو قدون عليه في النار ﴾ يم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ﴿ ابتغاء حلية ﴾ أي طلب حلى ﴿ أو متاع ﴾ كالأواني والآلات الحرب والحرب والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿ زبدمثله ﴾ أي وماتو قدون عليه

جمع جذب على غير قياس وقياسه أجذب والجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه الضوب وفي رواية الهروي اخذات بالحاء المججمة والذال المججمة جمع اخذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاء من الزرع والقيمان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض وقوله فذلك مثل من فقته في دين الله يروي بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما عن الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التي تنتفع المطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيصبي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم عارزقت من صفاء الفهوم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ناقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحسب المحتاج اليه المتعطل لما عندهم من العلم يأخذ منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ناقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا يتفكرون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم وقوله تعالى ﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالخشب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا ﴿ رايبا ﴾ يعني عاليا مرتقا فوق الماء طافيا عليه وهما تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال تعالى ﴿ وماتو قدون عليه في النار ﴾ الايقاد جعل الحطب في النار لتقدتلك النار تحت الشيء ليدوب ﴿ ابتغاء حلية ﴾ يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما ﴿ أو متاع ﴾ يعني أول طلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يجمع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع ﴿ زبدمثله ﴾ يعني ان ذلك الذي يوقد

زيد الماء أي للتبيض أي وبعضه زيد (في النار) حال من الضمير في عليه أي وما توفدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توفدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يقع به في الحضر والسفر وهو مطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعت له وما توفدون خبر له أي لهذه الفلزات اذا أغليت زبدمثل زيد

(فاحتمل السيل) القلوب المظلمة (زبدا رايبا) باطلا كثيرا بواها (وما يوقدون عليه في النار) وهذا مثل آخر يقول وما تطرحون في النار من الذهب والفضة فيه خبث مثل زبدا البحر الملح (ابتغاء) طلب (حلية) تلبسونا يقول مثل الحق مثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل مثل خبث الذهب والفضة لا ينتفع به كذلك لا ينتفع

بالباطل صاحبه (أو متاع) أو حديد أو نحاس (زبدمثله) يقول يكون له خبث أي مثله مثل زبدا الماء وهذا مثل (عليه) آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل

الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشي وهو ما قلناه القدر عند القايان والبحر عند الطغيان والجمء الرمي وجفوت الرجل صرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلى والاولانى (فيمكث في الارض) يثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي يتزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحسون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي يتفعون به في صوغ الحلى منه واتخاذ الاولانى والآلات المختلفة وذلك ما كثر في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في مناعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة مطاولة ونحوه ﴿ ٤٨٥ ﴾ الباطل في سرعة {سورة الرعد} اضمحلاله ووشك زواله

زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن لا ابتداء أو لتبويض وقرأ جزء والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس وضمارة للملحمة ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في اقامته وثباته بالماء الذي يتزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والتقى والآبار وبالفلز الذي يتفقع به في صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة مطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد الماء وبين ذلك بقوله ﴿ فاما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يحقأ به ان يرى به السيل أو الفلز المذاب واتصاه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿ واما ما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث في الارض ﴾ ينفع به اهلها ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ لا يوضح المشتبهات

عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي يتفقع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا يتفقع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينفع به وهو قوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعني ضائما باطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقت والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ معنى الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب ﴿ فيمكث في الارض ﴾ يعني يثبت ويبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل والباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يحقته ويبطله ويحمل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي

المدة بالاخلاص المدة للخلاص فان الاعمال جالبة للتوابع دافعة للعقاب كان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والحلل والملل والكسل واللام في

خبث الحديد والنحاس لا يتفقع به كما لا يتفقع بنجث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) بين الله (الحق والباطل) فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كاجاء لا يتفقع به فكذلك الباطل لا يتفقع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الارض) يتفقع به فكذلك الحق يتفقع به (كذلك يضرب الله الامثال) بين الله أمثال الحق والباطل

(للذين استجابوا) أي اجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسن) وهي صفة لصدر استجابوا { الجزء الثالث عشر } أي استجابوا ﴿٤٨٦﴾ الاستجابة الحسن (والذين لم يستجيبوا له

﴿ للذين استجابوا ﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿ لربهم الحسن ﴾ الاستجابة الحسن ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خير الحسنى وهي المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتداً خبره ﴿ لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به ﴾ وهو على الاول كلام مبتداً لبيان ما آل غير المستجيبين ﴿ اولئك لهم سوء الحساب ﴾ وهو المناقشة في بيان يحاسب الرجل بذنبه لا يفقر منه شيء ﴿ وماواهم ﴾ مرجعهم ﴿ جهنم وبئس المهاد ﴾ المستقر والخصوص بالذم محذوف ﴿ أفن يعلم ان ما نزل اليك من ربك الحق ﴾ فيستجيب

الذي يفتخر به وكذلك الصفوة من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكبر بما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايان كمثل الماء الصافي الذي يتفعبه الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا يتفعب به البتة وقيل هذا مثل ضرب الله للتور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان الوادى اذا سال كئس كل شيء فيد من العجاسات والمستذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كئس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب البواطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الحيدة كذلك يضرب الله الامثال ﴿ وقوله تعالى ﴾ للذين استجابوا لربهم الحسن ﴿ قيل اللام في الذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه الى مادعاهم اليه من توحيد والايان به وبرسوله ولا كافرين الذين لم يستجيبوا فاعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسن قال ابن عباس وجهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الحاصلة الحالية عن شوائب المضرة والانقطاع ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه ﴿ لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به ﴾ يعني لبذوا ذلك كله مبدءاً لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة ﴿ اولئك ﴾ يعني الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿ لهم سوء الحساب ﴾ قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يفقر له منه شيء ﴿ وماواهم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ جهنم وبئس المهاد ﴾ يعني وبئس ما مد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم ﴿ قوله تعالى ﴾ أفن يعلم ان ما نزل اليك من ربك الحق ﴿

وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلاً للفريقين وقوله (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به) كلام مبتداً في ذكر ما عدل في غير المستجيبين أي لو لمذكروا اموال الدنيا ملكوا معها مثلها بالذلو ليدفوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتداً خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتداً خبره لومع ما في حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقش الحساب عذب (وماواهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان المهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الإنكار على الفاء في (أفن يعلم) الإنكار ان تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق)

(للذين استجابوا لربهم) بالتوحيد في الدنيا (الحسنى) لهم الجنة في الآخرة (والذين لم يستجيبوا له) لربهم بالتوحيد (لو أن لهم ما في الارض)

من الذهب والفضة (جميعا ومثله معه) ضحفه معه (لاقتدوا به) لاقتدوا به أنفسهم (أولئك لهم سوء الحساب) شدة العذاب (يعني) (وماواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (أفن يعلم) يصدق (أما أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (الحق) هو

فاستجاب بعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعمى) كعبد ما بين الرتبة والجاهل
واختبث والابرز (انما يتذكر اولوا الالباب) ﴿ ٤٨٧ ﴾ أي الذين عملوا سورة الرعد على قضايا عقولهم فنظروا

واستبصروا (الذين يوفون
بعهد الله) مبتدأ والخبر
أولئك لهم عقبي الدار
كقوله والذين ينقضون
عهد الله أولئك لهم اللعنة
وقيل هو صفة لا ولي
الالباب ولا ولي أوجه
وعهد الله ما عقده على
أنفسهم من الشهادة
ربوبيته وأشهدهم على
أنفسهم ألت بربكم قالوا
بلى (ولا ينقضون الميثاق)
ما أوثقوه على أنفسهم
وقبلوه من الايمان بالله
وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد تميم
بعد تخصيص (والذين
يصلون ما أمر الله به أن
يوصل) من الارحام
والقربات ويدخل فيه
وصل قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب
الايمان انما المؤمنون
اخوة بالاحسان اليهم
على حسب الطاقة
ونصرتهم والذب عنهم
والشفقة عليهم وافشاء
السلام عليهم وعبادة
مرضاهم ومنه مراعاة
حق الاصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر

﴿ كن هو أعمى ﴾ عى القلب لا يستبصر فتستجيب والهزمة لانكار ان تقع شبهة في
تشابهها بعد ما ضرب من المثل ﴿ انما يتذكر اولوا الالباب ﴾ ذووا العقول المبرات
عن مشايمة الالف ومعارضة الوهم ﴿ الذين يوفون بعهد الله ﴾ بما عقده على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ﴿ ولا ينقضون
الميثاق ﴾ ما أوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تميم بعد تخصيص
﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس

يعنى فيؤمن به ويعمل بما فيه ﴿ كن هو أعمى ﴾ يعنى اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا
يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في حجة بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل
فالاول هو حجة أعمار والتانى هو ابو جهل وحل الآية على المسموم اولى وان كان
السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه
الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يتبدى لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر
والجاهل لا يتبديان للرشد وهما واقمان في المهلكة ﴿ انما يتذكر اولوا الالباب ﴾ يعنى
انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتعظون بالمواعظ والاذكار ﴿ قوله
عن وجل ﴾ الذين يوفون بعهد الله ﴿ يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به
وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد
ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ ولا
ينقضون الميثاق ﴾ بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله ﴿ والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل
يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثر على ان المراد به صلة
الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله
تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها
وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتنه اخرجها ابوداود والترمذى (ق) عن عائشة رضى الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعني قطع الله (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره
ان يبسطه في رزقه وان ينسأله في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب
والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأله في اثره الاثرها الاجل وسمى الاجل اثره لان
تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأله يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان

لحق (كن هو أعمى) كافر (انما يتذكر) يتعظ بما نزل اليك من القرآن (أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس (الذين
وفون بعهد الله) يمتون فراض الله (ولا ينقضون الميثاق) لا يتركون فرائض الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)
ن الارحام ويقال من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

﴿ ويخشون ربهم ﴾ وعيده عموماً ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ﴿ والذين صبروا ﴾ على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ﴿ ابتغاء وجه ربهم ﴾ طلب الرضا لا تحرزوا سمعة ونحوهما ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ المفروضة ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم ﴾ بمضه الذي وجب عليهم انفاقه ﴿ سرا ﴾ لمن لم يعرف بالمال ﴿ وعلائية ﴾

يبارك الله له في عمره فكأنما ازداد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحه وصلها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثابة في المال ومنسأة في الاثر اخرج الترمذي وقوله تعالى ﴿ ويخشون ربهم ﴾ يعني انهم مع وفائهم بمهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ تقدم معناه ﴿ والذين صبروا ﴾ يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطاء على المصائب والوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوايب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والفتية وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله ﴿ ابتغاء وجه ربهم ﴾ لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لذلياب على الجزع وقد يصبر لثلاث تشتم به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلاً تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيم الله وطلب رضوانه ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيئاتها ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلائية ﴾ قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متها بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية

(ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاقت التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأجله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لثلايباب في الجزع (وأقاموا الصلوة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أى من الحلال وان كان الحرام رزقاً عندنا (سرا وعلائية) يتناول النواقل لانها في السرا أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نقياً للثمة

(ويخشون ربهم) يعملون لربهم (ويخافون سوء الحساب) شدة العذاب (والذين صبروا) على امر الله والمرادى (ابتغاء وجه ربهم) طلب رضا ربهم (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأنفقوا مما رزقناهم) تصدقوا بما أعطيناهم (سرا) فيما بينهم وبين الله (وعلائية) فيما بينهم وبين الناس

(ويدرون بالحسنة السيئة) ويدفون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سي غيرهم أو إذا حرموا أعطوا وإذا ظلوا أعطوا وإذا ظلوا أعطوا
وسلوا وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أمأوا ﴿ ٤٨٩ ﴾ وإذا رأوا ﴿ سورة الرعد ﴾ منكرا أسروا بشيخه فهذه

ثمانية أعمال تشبه إلى
ثمانية أبواب الجنة (أولئك
لهم عقبي الدار) عاقبة
الدنيا وهي الجنة لأنها التي
أرادها الله أن تكون عاقبة
الدنيا ومرجع أهلها
(جنات عدن) بدل من
عقبي الدار (يدخلونها
ومن صلح) أي آمن (من
آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم) وقري صلح
والفتح أفصح ومن في عمل
الرفع بالمطف على الضمير
في يدخلونها وساغ ذلك
وان لم يؤكد لأن ضمير
المفعول صار قاصلا وأجاز
الزجاج أن يكون مفعولا
معه ووصفهم بالصلاح ليعلم
ان الانساب لا تنفع بنفسها
والمراد أبو كل واحد منهم
فكانه قيل من آباؤهم

(ويدرون بالحسنة
السيئة) يدفون بالكلام
الحسن الكلام السيئ إذا
أورد عليهم (أولئك) أهل
هذه الصفة من قوله إنما
يتذكر إلى ههنا (لهم عقبي
الدار) يعني الجنة ثم بين أي
الجنات لهم فقال (جنات
عدن) وهي مقصورة الرجن
وهي معدن الانبياء

لمن عرف به ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ ويدفون بها فيجازون الاساءة
بالاحسان أو يتبعون السيئة الحسنة فتحسوها ﴿ أولئك لهم عقبي الدار ﴾ عاقبة
الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستثناف بذكر ما استوجبا بتلك الصفات
﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبي الدار أو مبتدأ خبره ﴿ يدخلونها ﴾ والمدن الإقامة
أي جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ﴿ ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم
وذرياتهم ﴾ عطب على المرفوع في يدخلون وإنما صاغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه
والمعنى انه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تباليهم وتعظيما لشأنهم
وهو دليل على ان الدرحة تملو بالشفاعة أو ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انفسهم والتقييد بالصلاح

ما يؤديه إلى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالملائكة الزكاة الواجبة
وجله على العموم أولى ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس يدفون بالعمل
الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا
التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عمات سيئة فاعمل بحسنة
حسنة تحمها السر بالسر والملائكة بالملائكة وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات
كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خفته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى
فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفون الدنب بالتوبة
وقيل لا يكابون الشر بالشر ولكن يدفون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم
حلوا والسفه السبوة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا مبره فاو قال الحسن اذا حرموا
أعطوا واذا ظلوا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان
خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عدختين
بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما عدلها مالمين
بها من الثواب فقال تعالى ﴿ وأولئك ﴾ يعني من أتى بهذه الاعمال ﴿ لهم عقبي الدار ﴾ يعني
الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبي الدار يعني بساتين
اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعني الدار التي تقدم وصفها ﴿ ومن
صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ يعني ومن صدق من آباؤهم بما صدقوا به وان
لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا يتنفع بغير أعماله الصالحة
فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد ودلى قول الزجاج معناه أصلح
في عمله قال الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع

الصديقين والشهداء والصالحين (قا و خا ٦٢ لث) (يدخلونها من صلح) من و احد (من آباؤهم) يدخلونها
يضا (وأزواجهم) من و احد من أزواجهم يدخلها أيضا (وذرياتهم) من و احد من ذرياتهم يدخلون أيضا جنات عدن

وأهمتهم (والملائكة) الجزء الثالث عشر { يدخلون } ٤٩٠ ﴿ عليهم من كل باب ﴾ في قدر كل

دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من ابواب
النازل أو من ابواب الفتوح والتحف قائمين ﴿ سلام عليكم ﴾ بشارة بدوام السلامة
﴿ بما صبرتم ﴾ متعلق بعلينكم أو بمخدوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والياء للسببية أو للبديلية ﴿ فتم عقبي الدار ﴾ وقرئ فتم بفتح النون والاصل نعم فسكن
العين بنقل كسرهما إلى القاء وغيره ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ يعني مقابلي الاولين ﴿ من
بعدميثاقه ﴾ من بعدما وثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة
للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بما عملهم الصالح لم يكن في ذلك
كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال
الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يبدل على الة يز بين زهجة
وزوجة وليل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه وروى أنه لما كبرت سودة أراد
الذي صلى الله عليه وسلم لانها فسأته أن لا يقبل ووهبت يومها لعائشة فامسكها
رجاء ان تحشر في جلة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه ﴿ وقوله تعالى ﴿ والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب ﴾ يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال
ابن عباس يريد به التحية من الله والتحمب والهدايا ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني يقولون
سلام عليكم فاضمر القول ههنا للدلالة الكلام عليه ﴿ بما صبرتم ﴾ يعني يقولون لهم
سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على
الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوبا
للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دماء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال
مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث سمات معهم الهدايا
والتحمب من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ﴿ وروى البغوي بسنده عن أبي
أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سباطان
من خدم وعند طرف السماطين باب ميبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم
أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول لاذني يليه ملك يستأذن ويقول الآخر
كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن انذنوا له ويقول الذي
يليه انذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف
﴿ فتم عقبي الدار ﴾ يعني فتم العقبي عقي الدار وقيل مائة فتم عقبي الدار ما أتم فيه
﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من
الكرامات والحيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين
نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعدما وثقوه على أنفسهم بالاعتراف
والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ﴾ يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرسم

والملائكة
وايلة ثلاث سمات بالهدايا
وبشارات الرضا (سلام
عليكم) في موضع الحال
اذ المعنى قائمين سلام عليكم
أو مسلمين (بما صبرتم)
متعلق بمخدوف تقديره
هذا بما صبرتم أي هذا
التواب بسبب صبركم
عن الشهوات أو على
أمر الله أو بسلام أي
نسلم عليكم ونكرمكم
بصبركم والاول أوجه
(فتم عقبي الدار) الجنات
(والذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه) من بعدما
أو نقوه به من الاعتراف
والقبول (ويقطعون ما أمر
الله به ان يوصل

(والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب) يقول
انكل واحد منهم خيمة
من درة مجوفة لها أربعة
آلاف باب لكل باب مصراع
يدخل عليهم من كل باب ملك
يقولون (سلام عليكم بما صبرتم)
هذه الجنة بما صبرتم على
أمر الله والمرادى (فتم
عقبي الدار) نعم الجنة لكم
(والذين ينقضون عهد الله)
يتكون فرائض الله (من
بعدميثاقه) تليظه وتشديده
وتأكيدة) ويقطعون ما
أمر الله به ان يوصل (من الارحام والايان محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(والقراءة)

(والقراءة)

ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابدان من الرجة) ولهم سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوء عذابها (الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئاً نرأى يفتن به ﴿ ٢٩١ ﴾ كعبالة الراكب ﴿ سورة الرعد ﴾ وهو ما يستعمله من تعبيرات

أوشربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

(ويفسدون في الارض) بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم اللعنة) السخطة في الدنيا (ولهم سوء الدار) يعني النار في الآخرة (الله يسط الرزق لمن يشاء) قال ابن عباس وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا البسط ولو صرفوا الى غيره لكان شرالهم وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا التقير ولو صرفوا الى غيره لكان شرالهم أي يوسع المال على من يشاء في الدنيا وهو

ويفسدون في الارض ﴿ بالظلم وتمهيج القسطن ﴿ أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار ﴿ الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يوسع ويضيقه ﴿ وفرحوا ﴿ أي أهل مكة ﴿ بالحياة الدنيا ﴿ بما بسط لهم في الدنيا ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴿ أي في جنب الآخرة ﴿ الامتاع ﴿ الامتعة لا تدوم كعبالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قائل النفع سريع الزوال ﴿ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ﴿ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿ ويهدى اليه من أناب ﴿ اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب مجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على سفنكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزات كل آية ويهدى اليه

والقراية ﴿ ويفسدون في الارض ﴿ يعني بالكفر والمعاصي ﴿ أولئك ﴿ يعني من هذه صنته ﴿ لهم اللعنة ﴿ يعني الطرد عن رجة الله يوم القيامة ﴿ ولهم سوء الدار ﴿ يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار ﴿ قوله تعالى ﴿ الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتصر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴿ يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أسروا ويطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴿ يعني بالنسبة الى الآخرة ﴿ الامتاع ﴿ أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينفعها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ﴿ ويقول الذين كفروا ﴿ يعني من أهل مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴿ يعني هلا انزل على محمد آية ومجزة مثل معجزة موسى وعيسى ﴿ قل ﴿ أي قل لهم يا محمد ﴿ ان الله يضل من يشاء ﴿ فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله ﴿ ويهدى اليه من أناب ﴿ يعني ويرشد الى دينه والايمان به من أناب

مكرمه (ويقدر) يقتدر على من يشاء وهو نظر منه (وفرحوا بالحياة الدنيا) رضوا بما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (وما الحياة الدنيا) ما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (في الآخرة) عند نعيم الآخرة في البقاء (الامتاع) الاشئ قليل كتناج البيت مثل السكرجة والقدر وغير ذلك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا انزل عليه) هلا انزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) لثبوتها كانت للرسول الاولين بزعمه (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلاً لذلك (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) من أقبل الى الله

(الذين آمنوا) هم الذين أو عملهم (الجزء الثالث عشر) النصب بدل من ﴿ ٤٩٢ ﴾ من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكره)

من أناب بما جثت به بل بادن من منه من الآيات ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من من أو خبر مبتدأ
مخذوف ﴿ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ اسبابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر
رجته بدالقلق من خشيته أو بذكر دلالته الدالة على وجوده ووحدايته أو بكلامه
يعنى القرآن الذى هو اقوى المجزات ﴿ الأبد ذكر الله تطمئن القلوب ﴾ تسكن اليه
﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ مبتدأ خبره ﴿ طوبى لهم ﴾ وهو فعل من الطيب
قلت ياؤه واو الضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزانى ويجوز فيه الرفع والنصب

بقلبه ورجع اليه بكايته ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من قوله من أناب ﴿ وتطمئن قلوبهم ﴾
يعنى وتسكن قلوبهم ﴿ بذكر الله ﴾ قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين
والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك ﴿ الأبد ذكر
الله تطمئن القلوب ﴾ يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن
عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان
قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلوا قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة
فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحدة قلت انما تكون
الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب
توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورجته
وكرمه واحسانه ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ﴾ اختلف العلماء في تفسير
طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرأة عين وقال عكرمة نعى لهم وقال قتادة حسن لهم وفى
رواية أخرى عنان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا
وقال ابراهيم النخعي خيرا لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال
المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقائه بلائها وعن بلائ
فقر وسحة بلائهم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لمن لا تقوله العرب وهو قول
أكبر النخوين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبيشة وروى عن أبي امامة وأبي
هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير
هى شجرة في جنة عدن أصلها في دار النوى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة في الجنة
منها عنصن لم يخلق الله لوما ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة
الا وفيها منها ينبع من أصلها عيان الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة
عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج
من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها
من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر
البعوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن أبي هريرة قال ان في الجنة

على الدوام أو بالقرآن أو
بوعده (ألا بذكر الله
تطمئن القلوب) بسبب
ذكره تطمئن قلوب
المؤمنين (الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) مبتدأ
(طوبى لهم) خبره وهو
مصدر من طاب كبشرى
ومعنى طوبى لك أصبت
خيرا وطيبا وعملها النصب
أو الرفع كقولك طيبالك
وطيب لك وسلاما لك
وسلام لك واللام فى لهم
لليسان مثلها فى سقيا
لك والواو فى طوبى منقلبة عن
ياء لضمة ما قبلها كقولن
والقرامة فى

(الذين آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
(وتطمئن قلوبهم) ترضى
وتسكن قلوبهم (بذكر الله)
القرآن ويقال بالحلف بالله
(الأبد ذكر الله) القرآن
والحلف بالله (تطمئن
القلوب) أى تسكن وترضى
القلوب (الذين آمنوا)
بمحمد عليه السلام والقرآن
(وعملوا الصالحات) الطاعات
فيا بينهم وبين ربهم (طوبى
لهم) غبطة لهم ويقال طوبى
شجرة فى الجنة ساقها من
ذهب وورقها الحلى وثمرها
من كل لون وأغصانها متواليات

(شجرة)

فى الجنة وتحتها كئبان المسك والعنبر والزعفران

وذلك قرئ ﴿ وحسن ما ب ﴾ بالنصب ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ﴿ ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها ﴾ تقدمتها ﴿ ام ﴾ ارسلوا اليهم فليس يبدع ارسالك اليها ﴿ لتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبلغ الرحة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنوية عليهم وقيل

شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم وظل عمود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب فرسا او حقة او جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرها ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افانها لمن وراها سور الجنة وما في الجنة الا هو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وهذا الاسناد عن عبدالله بن المبارك عن الاشعث عن عبدالله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوى يقول الله لها فتفي لسبدي عما يشاء فتتقله عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتتقله عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقروا ان شتم وظل عمود ﴿ وقوله تعالى ﴿ وحسن ما ب ﴾ يعني ولهم حسن مقلب ومرجع يتقانون ويرجون اليه في الآخرة وهي الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذلك ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها ام ﴾ يعني كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا ابياء قبلك الى امم قد دخلت ومضت ﴿ لتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ يعني لتقرأ على امتك الذي اوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية زلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب لصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحن يعني انهم ينكرونه ويحسدونه والعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الهها آخر سمي الرحن ولا نعرف الرحن الا رحن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرحن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انه انزلت في كافر قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحن فقال الله تعالى

(وحسن ما ب) مرجع بالرفع والنصب تدلك على محملها (كذلك ارسلناك) مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالاله شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيم ارسله فقال (في امة قد دخلت من قبلها ام) أي ارسلناك في امة قد تقدمتها ام كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء (لتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب والعظيم الذي اوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحن (بالبلغ الرحة) الذي وسعت رحته كل (وحسن ما ب) المرجع في الجنة (كذلك ارسلناك في امة) تقول هكذا ارسلناك الى امة (قد دخلت) مضت (من) قبلا ام لتلوا عليهم (لتقرأ عليهم) الذي اوحينا اليك (انزلنا اليك جبرائيل به) يعني القرآن (وهم يكفرون بالرحن) يقولون ما نعرف الرحن الا مسيلة الكذاب

شيء (قل هوربي) ورب كل شيء (لا اله الا هو) أي هوربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (والا
متاب) مرجي فيثيني على { الجزء الثالث عشر } مصابرتكم ﴿ ٤٩٤ ﴾ متاب وعقابي وما بي في الحالين يعقرو

(ولوان قرآنا سبرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتزابل قطعاً (أو كلم به الموتى) لتسمع وتجييب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف فحسب لو محذوف أو معناه ولوان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبئهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولوانا نزلنا اليهم الملائكة

﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته ﴿ هوربي لا اله الا هو عليه توكلت ﴾ يعني عليه اعتمدت في أموري كلها ﴿ واليه متاب ﴾ يعني واليه توجي ورجوعي ﴿ قوله تعالى ﴾ ولوان قرآنا سبرت به الجبال ﴿ الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خدام النبي صلى الله عليه وسلم فانهم وقيل انه سرجهم وهم جلوس فدناهم الى الله عز وجل فقال له عبدالله بن أبي أمية ان سرك ان تبمك فسير جبال مكة بالقرآن فادفها عنا حتى تتفتح فانها أرض حنيقة لمزارعنا واجمل لنا فيها أنهارا وعيونا لنفوس الاشجار ونزرع ونخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لتركبها الى الشام لميرتا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسايان كما زعمت فلست باهون على ربك من سايان أو احيى لاجدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أسرك أحمق أو ماطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولوان قرآنا سبرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض ﴿ أو قطعت به الارض ﴾ يعني شنت فجملت أنهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولوان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لوشي أنا ما رسوله * سواك ولكن لم نحدك مدفا

أراد لوشي أنا ما رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفضل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن ولوان قرآنا سبرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى اكفروا بالرحن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمائهم كما قال ولواننا نزلنا اليهم الملائكة

(قل) الرحمن (هوربي لا اله الا هو عليه توكلت) انكلت ووثقت (واليه متاب) المرجع في الآخرة ثم نزل في شأن عبدالله بن أمية المخزومي وأصحابه لقولهم أذهب عنا جبال مكة بقرآنك وأنبع فيها العيون كما كان لداود عين القطر بزعمك وأشباريخ تركب عليها الى الشام ويحيى عليها كما كانت سلمان بزعمك وأحيى موتانا كما أحيى عيسى ابن مريم بزعمك فقال الله (ولوان قرآنا) غير قرآن محمد صلى الله عليه وسلم (سبرت به الجبال) أذهبت به الجبال عن وجه الارض

(أو قطعت به الارض) أي قصد به البعد (أو كلم به الموتى) أو أحيى به الموتى لكان بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلمهم)

الآية (بل لله الامر جيعا)

بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلموهى لغة قوم من النخع وقل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء مالم يانه لا يكون كما استعمل الذبيان في معنى الزك لتضمن ذلك دليله قراءة على

رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنان وهذه والله قرينة ما فيها سرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم

(بل لله الامر جيعا) بل الله يفعل ذلك جيعا ان شاء (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا) لا كرم الناس كلهم بل يند (ولا يزال الذين كفروا) بالكتب والرسول يعني كفار مكة (تصيبهم بما صنعوا) في كفرهم (قارعة) سرية

﴿ بل لله الامر جيعا ﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عن ما تضمنته لوم من معنى الذى أى بل الله عاد على الاتيان بما افترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعله بانه لانيه لشككتهم وورد ذلك قوله ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه أفلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجاعة من العجاجة والنابعين رضوان الله عليهم اجبين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم قال المأبوس منه لا يكون الامعلوما ولذلك علقه بقوله ﴿ ان لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ﴾ فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتمامهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم يأس الذين آمنوا عن ايمانهم علمانهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جيعا او يامنوا ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ من الكفر وسوء الاعمال ﴿ قارعة ﴾ داهية تفرعهم وتقلعهم

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل نبي قبيلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله الامر جيعا ﴾ يعنى في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ قال اكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هى لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم ييأس ألم يعلم واستدلوا لهذه اللفظة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ بأسروتنى * ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

يعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم ييأس الاقوام انى أنا ابنه * وان كنت عن أرض الشيرة نائبا

يعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب نئس بمعنى علم لغة للعرب قاوا ووجه هذه اللفظة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويقينك به يثبتك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب لاسم وانما فسد ان نأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم باتفاقه فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائى ما وجدت العرب تقول نئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء وبعلموا علما يقينا ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ﴾ يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جيعا وحاصله ان فى معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدر القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا على ان الله لم يشأ هذا نجميع الخلائق ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قارعة ﴾ أى نازلة وداهية تفرعهم بانواع البلايا أحيانا مرة

وأولادهم وأموالهم (أوتحل قريبا من دارهم) أوتحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطايروا إليهم شررها وحسدى إليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو أقيامه أو لا يزال كفار مكة تصيهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله (الجزء الثالث عشر) فيبحول ﴿ ٤٩٦ ﴾ مكة ويختلف منهم أوتحل أنت يا محمد

﴿ أوتحل قريبا من دارهم ﴾ فيفزعون منها ويتطايروا إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة قائمهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث سرايا عليهم فيغير حوال إليهم ويختلف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون محل خطأ الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ الموت أو القيامة أو فتح مكة ﴿ ان الله لا يخلف الميعاد ﴾ لا تمتاع الكذب في كلامه ﴿ ولقد استهزى برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يتزل ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ أي عقابي إياهم ﴿ أفن هو قائم على كل نفس ﴾ رقيب عليه ﴿ بما كسبت ﴾ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبير محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ استثناف أو عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز

بالجذب وحرة بالسلب وحرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالفارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها إليهم ﴿ أوتحل ﴾ يعني الدرايا أو البلية قريبا من دارهم ﴿ وقيل معناه أوتحل أنت يا محمد قريبا من دارهم ﴾ حتى يأتي وعد الله ﴿ يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعده الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم ﴿ ان الله لا يخلف الميعاد ﴾ والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأل الله لا يخلف الميعاد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد استهزى برسول من قبلك ﴿ وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أنهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزى برسول من قبلك ﴿ فأمليت للذين كفروا ﴾ يعني فأمهلتهم وأطمت لهم المدة ﴿ ثم أخذتهم ﴾ يعني بالهذاب بعد الامهال فمذبذبهم في الدنيا بالتحط والقنل والاسر وفي الآخرة بالنار ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ يعني فكيف كان عقابي لهم ﴿ أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ يعني أفن هو حافظها ورازتها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر وبجازها بما كسبت فيثبها ان أحسنت ويداها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء

قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لاخلف في مواعده (ولقد استهزى برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يتزل ملاوة من الزمان في خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفان الله الذي هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء)

ويقال صاعقة (أوتحل قريبا) أو نزل مع أصحابك قريبا (من دارهم) من مدينتهم مكة بمسغان (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) فتح مكة ويقال البعث بعد الموت (ولقد استهزى

برسول من قبلك) استهزأهم قريبا كما استهزأ بك ثومك قريش (فأمليت للذين كفروا) فأمهلت للذين كفروا بعد (على) الاستهزاء (ثم أخذتهم) بالهذاب (فكيف كان عقاب) انظر كيف كان تعبيرى عنهم بالهذاب (أفن هو قائم على كل نفس) يقول الله قائم على حفظ كل نفس (بما كسبت) من الخير والشر والرزق والدفع (وجعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من

أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤء بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض) على أم المتقطعة أى بل أنبؤنه بشر كاه لا يعلم فى الارض ﴿٤٩٧﴾ وهو العالم بما فى السموات (سورة الرعد) والارض فاذا لم يعلم علم

اهم ليسوا بشئ والمراد نفى أن يكون له شركاء أى يظهر من القول بل أنهم سموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ماتعبدون من دونه الأسماء سميتوها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كبدنهم للاسلام شركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبقيها غيرهم ومعناه صدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضل الله

ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويمطف عليه وجعلوا أى أفن هو هذه الصفة لم يوحده و جعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتثنية على انه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى متقوم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤنه﴾ بل أنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم فى الارض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم يظهر من القول﴾ أم سموهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم فغيبوا بأبطال ثم خالوا حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع و ابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتوين ﴿ومن يضل الله﴾ بخذلانه ﴿فاله من هاد﴾ يوقه للهدى ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشدته ودوامه

فاله من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه

الآلهة يعبدونها (قل) لهم يا محمد (سموهم) سموهم ان كان لهم شركة مع الله (أم تنبؤنه) أنبؤنه (بما لا يعلم) بما لا يعلم أن ليس (فى الارض) أحد ينفع ويضر من دون الله (أم يظهر من القول) بل باطل القول والزور والكذب (بل زين للذين كفروا) محمد - صلى الله

﴿قل سموهم﴾ بغير له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد ﴿أم تنبؤنه﴾ يعنى أم تخبرون الله ﴿بما لا يعلم فى الارض﴾ يعنى انه لا يعلم ان نفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بأن يكون له شريك ﴿أم يظهر من القول﴾ يعنى أنهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لأصله وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد ان يتصرف فى الوجود الا باذنه فتدبرين الشيطان أقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويندل على هذا سياق الآية وهو قوله ﴿ومن يضل الله فاله من هاد﴾ وقوله ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ ﴿وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الايمان﴾ ﴿ومن يضل الله فاله من هاد﴾ الوقت عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ يعنى بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ يعنى أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشده مما يكاد يصدع القلب

عليه وسلم والقرآن (مكرهم) قوائم وفضلهم (قا و خا ٦٣ لث) (وصدوا عن السبيل) صرفوا عن الدين (ومن يضل الله) من دينه فاله من هاد) من موفق (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل يوم بدر (ولعذاب الآخرة أشق) أشد من عذاب الدنيا

(ومالهم من الله من واق) الجزء الثالث عشر { من حافظ } ٤٩٨ ﴿ من عذابه ﴾ (مثل الجنة التي وعد المتقون

﴿ ومالهم من الله ﴾ من عذابه أو من رجه ﴿ من واق ﴾ حافظ ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ صفة التي هي مثل في الفرابية وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴿ أكلها دائم ﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿ وظلها ﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿ تلك ﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿ عقى الذين اتقوا ﴾ مآلهم ومتهمي أسرم ﴿ وعقى الكافرين النار ﴾ لا غير وفي ترتيب التثمين اطماع للمؤمنين واقتاط للكافرين ﴿ والذين آمنهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ﴾ معنى المسلمين من أهل الكتاب كان سلام واصحابه ومن آمن من الصاري وهم ثمانون رجلا ربعون بنجران وثمانية باليمن وأثنان وثلاثون بالحبيشة أو طامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ ومن الأحزاب ﴾ معنى كفرتهم الذين تحزبوا على

من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع ﴿ ومالهم من الله ﴾ يعني من عذاب الله ﴿ من واق ﴾ يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴿ أي صفة الجنة التي وعد المتقون ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ لا ينقطع أبدا ﴿ وظلها ﴾ يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا فر ولا ظلمة بل ظل عمود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم واصحابه فانهم يقولون ان نعم الجنة يقف وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تقف الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الحبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انه لو كانت مخلوقة لوجب ان تقف وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تقع بها الملائكة ومن يمدحها من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الأبن الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعمت للمؤمنين ﴿ وقوله تعالى ﴾ تلك عقى الذين اتقوا ﴿ يعني ان عاقبة أهل القوى هي الجنة ﴿ وعقى الكافرين النار ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين آمنهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ﴿ في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أتتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما تجدد من الاحكام والتوحيد والبوة والحشر بعد الموت تجدد نزول القرآن ﴿ ومن الأحزاب ﴾ يعني الجماعات الذين تحزبوا

صفتها التي هي في فرابية المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبير (بحري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقى الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقى تقوهم يعني منتهى أسرم (وعقى الكافرين النار) والذين آياهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كان سلام ونحوه ومن الصاري بارض الحبيشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب)

(ومالهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع ومبجأ يلجئون اليه (مثل الجنة) صفة الجنة (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والقواش (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أنهار النجر والماء والعسل واللبن (أكلها دائم) ثمرها دائم لا يقف (وظلها) دائم لا يخل فيه (تلك) الجنة (عقى) مأوى (الذين اتقوا) الكفر والشرك والقواش (وعقى) مأوى (الكافرين) النار والذين آمنهم (أعطياهم) (الكتاب) علم

التوراة عبد الله بن سلام واصحابه (يفرحون بما أنزل اليك) من ذكر الرحمن (ومن الأحزاب) يعني اليهود (على)

أي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين نحرزوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه
والسيد والمقاب وأشياعهما (من ينكر ﴿ ٤٩٩ ﴾ بعضه) لانهم { سورة الرعد } كانوا لا ينكرون الا قاسميش

وبعض الاحكام والمآب
عاه وثابت في كتبهم وكانوا
ينكرون نبوة محمد عليه
الصلاة والسلام وغير
ذلك مما حرقوه وبدلوه
من الشرائع (قل انما أمرت
أن أعبد الله ولا أشركه)
هو جواب للمتكبرين أي
قل انما أمرت فيما أنزل الى
بان أعبد الله ولا أشركه
فانكاركم له انكار لعبادة
الله وتوحيده فانظروا ماذا
تكررون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وأن
لا يشركه (اليه ادعوا)
خصوصا لا ادعوا الى غيره
(واليه) لا الى غيره (مآب)
مرجعي وأتم تقولون مثل
ذلك فلا معنى لانكاركم
(وكذلك أنزلناه) ومثل
ذلك الانزال أنزلناه ما مورا
فيه بعبادة الله وتوحيده
والدعوة اليه والى دينه
والانذار بدار الجزاء (حكما
عربيا) حكمة عربية

(من ينكر بعضه) بعض
القرآن سوى سورة يوسف
وذكر الرحمن ويقال من
الاحزاب يعني كفار مكة
وغيرهم من ينكر بعضه بعض
القرآن ما فيه ذكر الرحمن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والمقاب واشياعهما ﴿ من ينكر بعضه ﴾ وهو لما يخالف شرائعهم أو ما يخالف ما حرقوه
منها ﴿ قل انما أمرت ان أعبد الله ولا أشركه ﴾ جواب للمتكبرين أي قل لهم اني أمرت
فيما أنزل الى بان أعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام هو قري ولا أشرك بالرفع على الاستئناف ﴿ اليه ادعوا ﴾ لا الى غيره ﴿ واليه
مآب ﴾ واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما
ما عدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه ﴿ و
كذلك ﴾ ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الدنات المجمع عليهما ﴿ أنزلناه
حكما ﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿ عربيا ﴾ مترجما بلسان العرب

على رسوالله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى ﴿ من ينكر بعضه ﴾
وهذا قول الحسن وقادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب
ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه * قلت ان الاحزاب
لا ينكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وأثبت قدرته
وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة
والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبدالله بن سلام
وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من
الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب
يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل
كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فمما أسلم عبدالله بن سلام ومن معه من أهل
الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في
التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى
والذين آيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من
ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية
كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا الرحمن الجملة يعنون مسيلة
الكذاب فأنزل الله وهم تكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من
نكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد ﴿ انما
أمرت أن أعبد الله ﴾ يعني وحده ﴿ ولا أشرك به ﴾ شيئا ﴿ اليه ادعوا ﴾ أي الى الله
والى الايمان به ادعوا الناس ﴿ واليه مآب ﴾ يعني مرجعي يوم القيامة ﴿ وكذلك
أنزلناه حكما عربيا ﴾ أي كما أنزلنا الكتاب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد

(قل) يا محمد (انما أمرت ان أعبد الله) مخلصا (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) خلقه (واليه مآب) مرجعي في الآخرة
(وكذلك أنزلناه) هكذا أنزلنا جبرائيل بالقرآن (حكما) القرآن كله حكم الله (عربيا) على مجرى لغة العربية

مترجة باسم العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يشاركون فيها قليل (ولئن اتيت
أهواءهم بعد ما جاءك من { الجزء الثالث عشر } العلم) أي بعد ثبوت ﴿ ٥٠٠ ﴾ العلم بالحج القاطمة والبراه

ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿ ولئن اتيت أهوائهم ﴾ التي يدعونك
اليها كترير دينهم والصلاة الي قبلتهم بعدما حوت عنها ﴿ بعدما جاءك من العلم ﴾
ينسخ ذلك ﴿ مالك من الله من ولي ولا واثق ﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم
لاطماعهم وتهيج للمؤمنين على الثبات في دينهم ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ بشرا
مثلك ﴿ وجعلناهم أزواجا وذرية ﴾ نساء وأولادا كما هي لك ﴿ وما كان لرسول ﴾
وما صح له ولم يكن في وسعه ﴿ أن يأتي بأية ﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿ إلا بإذن الله ﴾

هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وإنما سمي القرآن حكما لان
فيه جمع التكاليف والاحكام والحلام والحرام والنقض والابرار فلما كان القرآن
سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق
بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى ﴿ ولئن اتيت أهواءهم ﴾ قال
جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آياتهم
فتوعده الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آياتهم في الصلاة
ليت المقدس ﴿ بعدما جاءك من العلم ﴾ يعني بانك على الحق وان قبلك الكعبة هي
الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو
حث النبي صلى الله عليه وسلم على تبايع الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير
غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان
غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ﴿ مالك من الله من ولي ولا واثق ﴾ يعني من ناصر
ولاحافظ به قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ روى ان اليهود وقيل
المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء
فأبوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا
فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعماعبوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك يا محمد ﴿ وجعلناهم أزواجا وذرية ﴾ فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام
ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لايه داود عليه
الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا في نبوته وكيف يعيون عليك ذلك
ويحملونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون
ويشكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يشكحون ﴿ وما كان لرسول
أن يأتي بأية إلا بإذن الله ﴾ هذا جوابا لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير
هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فالفهم أن يقترحوا عليه شيئا واثبان

الساطعة (مالك من الله
من ولي ولا واثق) أي
لا ينصرك ناصر ولا يقيك
منه واثق وهذا من باب
التهيج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين وان
لا يزل زال عند الشبهة بعد
استسائه بالجملة والافتكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عدة الثبات بمكان
وكانوا يعيرونه بالزواج
والولاد ويقترحون عليه
الآيات وينكرون النسخ
فتزل (ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية) نساء
وأولادا (وما كان لرسول
أن يأتي بأية إلا بإذن الله) أي
ليس في وسعه آتيان
الآيات على ما يقترحه قومه
وانما ذلك الى الله

(ولئن اتيت أهواءهم)
دينهم وقبيلهم (بدماء جاءك
من العلم) البيان بدين ابراهيم
وقبيلته (مالك من الله) من
عذاب الله (من واثق) قريب
ينفكك (ولا واثق) لا مانع
يمنعك (ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك) كما أرسلناك
(وجعلناهم أزواجا) أكثر

من أزواجك مثل داود وسليمان (وذرية) أكثر من ذريتك مثل ابراهيم واسحق ويعقوب نزلت هذه الآية (الرسول)
في شأن اليهود لقولهم لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن التزوج (وما كان لرسول أن يأتي بأية) بعلامه (الإباض الله) باسم الله

فانه الملى بذلك ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لكل وقت وامتد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم ﴿ يحو الله ما يشاء ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿ ويثبت ﴾ الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤ ذلك وقد كانوا يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاء فكتبا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبت فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم بأسرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقناة يحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يحو الله ما يشاء ويثبت الارزاق والاجل والسعادة والشقاوة ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ماروي عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بمثل الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقال ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد صرح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت فثبتت قد تقررت بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحتم أن يموت قبله أو بعده وهو قوله

(لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (يحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو (لكل أجل كتاب) لكل كتاب أجل مهلة مقدم ومؤخر (يحو الله ما يشاء) من ديوان الحفظه مالا ثواب ولا عقاب له (ويثبت)

ما تقتضيه حكمته وقيل يحسبناث النائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يحسب من كتاب الحافظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو ثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يحسب قرنا ويثبت آخر وقيل يحسب الفاسدات ويثبت الكائنات وتقرأ نافع وابن ماسر

تمالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فصل صلاة الرحم من أنها تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحسب الله ما يشاء ويثبت أى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعاذ بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يحتم الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل الحو اذهاب أثر الكتابة وضده الاثبات فن العلماء من حل الآبة على ظاهرها فحماها عامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانما قالوا يحسب السعادة والشقاوة ويحسب الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو سكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعاد فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فاحسني منها واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تحسب ما تشاء ويثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيميد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بنيرسند وروى بسنده عن أنى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الله تارك وتمالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيحسب ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حل معنى الآمة على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحافظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيحسب الله ما يشاء من ديوان الحافظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخات خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكاى يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة

ينزكه غير منسوخ أو يحسب
من ديوان الحافظة ما يشاء
ويثبت غيره أو يحسب كافر
الثابن ويثبت اعانهم
أو يعيت من حان أجله
وعكسه ويثبت مدنى
وشاى وحزة وعلى
ينزكه ماله الثواب والمقاب

(وعنده أم الكتاب) أي
أصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كاتب
مكتوب فيه (واما نرينك
بعض الذي ندمهم أو
توفينك) وكيفما دارت
الحال أريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال
العذاب عليهم أو توفينا
قبل ذلك (فانما عليك
البلاغ) فإيجاب عليك
الابلاغ الرسالة فحسب
(وعلينا الحساب) وعلينا
حسابهم وجزاؤهم على
أعمالهم لا عليك فلا يهمنك
اعراضهم ولا تستجمل
بمذاهبهم (أولم يروا أنا أنى
الارض) أرض الكفرة
(نقصها

(وعنده أم الكتاب)
أصل الكتاب بمعنى اللوح
المحفوظ لا يزداد فيه ولا ينقص
منه (واما نرينك بعض الذي
ندمهم) من العذاب في حياتك
(أو توفينك) (فانما عليك
البلاغ) التبليغ عن الله
(وعلينا الحساب) الثواب
والعقاب (أولم يروا) ينظروا
أهل مكة (أنا أنى الارض)
نأخذ الارض (نقصها)
نقصها لمحمد صلى الله

وحجرة والكسافي وثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتاب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كاتب الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك بعض الذي ندمهم أو
توفينك ﴾ وكيف ما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فانما عليك
البلاغ ﴾ لا غير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لا عليك ولا تحتفل باعراضهم ولا تستجمل
بمذاهبهم فانما علون له وهذا خلافة ﴿ أولم يروا أنا أنى الارض ﴾ أرض الكفرة ﴿ نقصها
الله ثم يود لمصيبة الله فيموت على ضلاله فهو الذي يحمو والذي يثبت هو الرجل يعمل
بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يحمو الله ما يشاء بمعنى من
جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحيى أجله وقال سعيد بن جبير يحمو الله ما يشاء من ذنوب
عباده فيموتها ويثبت ما يشاء منها فلا فقرها وقال عكرمة يحمو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة
ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يحمو الله ما يشاء بمعنى القمر ويثبت الشمس وقال
الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته معاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أميته
و. ده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذما مضت السنة معاه وأثبت
حكما آخر السنة المستقبلية وقيل يحمو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في الحن والمصائب
فهى مثبتة في الكتاب ثم يحموها بالدهاء والصدقة وقيل ان الله يحمو ما يشاء ويثبت ما يشاء
لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد معان قلت مذهب أهل السنن المقادير سابقة
وقد جف القلم ما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو
والاثبات مما جف به التمل وسبق به القدر فلا يحوشياً ولا يثبت شيئاً الا ما سبق به علمه
في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر

مسئلة

استدل الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان
يتمدشياً ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يحمو الله ما يشاء ويثبت * والجواب
عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم
ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبدل فيه محالاً كذا ذكره الامام
فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية * وقوله تعالى ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ يعنى
أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب
لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد
منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يحمو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي
لا يغيرنى منها وروى عطية عن ابن عباس قال ار الله لوحا محفوظا مسبرة خمسمائة عام
من درة بيضاء له دقتان من يافوثة لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحمو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه
وما هم عاملون ﴿ واما نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذي ندمهم ﴾ يعنى من المذاب
﴿ أو توفينك ﴾ يعنى قل أن نرينك ذلك ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ هو ايس عليك الاتباع
الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ يعنى وعلينا أن نحاسبهم
يوم القيامة فيجازيم بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أولم يروا أنا أنى الارض نقصها

من أطرافها **﴿﴾** بما فتحه على المسلمين منها **﴿﴾** والله يحكم لامعقب حكمه **﴿﴾** لارادله وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غيره بالاقضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كأن لا يمكن تغييره ومحل من أطرافها **﴿﴾** يعنى أولم يركفار مكة الذين سألو امحدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنأتى الارض يعنى ارض الشرك تنقصها من أطرافها قال **﴿﴾** كذا المفسرين المراد منه قمع دار الشرك فان ما زاد فى دار الاسلام فقد نقص فى دار الشرك والمعنى أولم يروا أنأتى الارض فتفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يمتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقناة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتحريرا كان ذلك نقصا فى ديارهم وزيادة فى دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويمزجنده ويظهر دينه ويجزله ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنأتى الارض فتحرسا ونهلك أهلها أهلا يخافون أن نقل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفى رواية من المباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم تلمة فى الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبدالله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبض ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حتى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللمة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى • أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يلىق هذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يلىق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث فى الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فالذى ؤمنهم أن يقبض الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلاين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين سدان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام عاقبه **﴿﴾** قوله وتعالى **﴿﴾** والله يحكم لامعقب حكمه **﴿﴾** بنى لاراد حكمه ولا نافض لقضائه والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غيره بالاقضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كأن لا يمكن تغييره ومحل من أطرافها **﴿﴾** يعنى أولم يركفار مكة الذين سألو امحدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنأتى الارض يعنى ارض الشرك تنقصها من أطرافها قال **﴿﴾** كذا المفسرين المراد منه قمع دار الشرك فان ما زاد فى دار الاسلام فقد نقص فى دار الشرك والمعنى أولم يروا أنأتى الارض فتفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يمتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقناة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتحريرا كان ذلك نقصا فى ديارهم وزيادة فى دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويمزجنده ويظهر دينه ويجزله ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنأتى الارض فتحرسا ونهلك أهلها أهلا يخافون أن نقل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفى رواية من المباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم تلمة فى الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبدالله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبض ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حتى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللمة بقول الفرزدق

من أطرافها بما فتح على المسلمين من بلادهم فنقض دار الحرب ونزید فى دار السلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى جلته ولا تتم ما وعدناك من النصر والظفر (والله يحكم لامعقب حكمه) لاراد حكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيقطه وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غيره بالاقضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لامعقب حكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نامذا حكمه كما تقول جاني زيد لا هامة على رأسه ولا قنسوه له تريد حاسرا

عليه وسلم (من أطرافها) من نواحيها ويقال هو موت العلماء (والله يحكم) بفتح البلدان وموت العلماء (لا معقب) لامغير (الحكمة

قال (فله المكر جيبا) ثم فسره ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقى الدار) يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه آتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يرادهم الكفار على اعادة الجنس هجزي وأبو عمرو

(ويقول الذين كفروا لست برسلا) المراد بهم كعب ابن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست برسلا ولهذا قال عطاهي مكبة الا هذه الآية (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما ظهر من الأدلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا

وهو سريع الحساب) شديد العقاب ويقال اذا حاسب فحاسبه سريع (وقدم مكر) صنع (الذين من قبلهم) من قبل أهل مكة مثل عمرو بن كنان بن سحار بن كوش واصحابه (فله المكر جيبا) عند الله عقوبة مكرهم جيبا (يعلم ما تكسب كل نفس) برقة وفاجرة من خبراً وشر (وسيعلم الكفار) يعني اليهود وسائر الكفار (لمن عقى الدار) يعني

لامع المنقى النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ فيحاسبهم عما قيل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا ﴿ وقدم مكر الذين من قبلهم ﴾ بآياتهم والمؤمنين منهم ﴿ فله المكر جيبا ﴾ اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ فيمد جزاءها ﴿ وسيعلم الكفار لمن عقى الدار ﴾ من الحزين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابتدعوا الكفار على اعادة الجنس هو قرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي اهلهم وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ﴿ ويقول الذين كفروا لست برسلا ﴾ قيل المرادهم رؤساء اليهود ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾

يعقب غيره بالاقتضاء والطلب والمنقى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولا قرض ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا ﴿ وقدم مكر الذين من قباهم ﴾ يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بآياتهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر عمرو بن ابراهيم وفرعون بن موسى واليهود ببيسى ﴿ فله المكر جيبا ﴾ يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الودعي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه أي هو من خلقه وارادته الماكر جيبا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضرر والمعنى ان الماكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم وأما له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قباهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضرره واذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من الخاقين ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ يعني ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما عمل وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما عمل عدمه كان تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على القمل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين ﴿ وسيعلم الكفار ﴾ على التوحيد وقرئ ﴿ وسيعلم الكفار ﴾ على الجمع قال ابن عباس يعني أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة ﴿ لمن عقى الدار ﴾ والمعنى انهم وان كانوا اجها لا بالمواقب فسعلمون ان العاقبة الحليمة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ودخا المؤمنون الجنة قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا لست برسلا ﴾ لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله صلى الله عليه وآله بقوله ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾

الجنة ويقال الدرلة يوم بدر ولمن تكون (فاو خا ٤٤٤ ا٥) مكة (ويقول الذين كفروا) محمد صلى الله عليه وآله وسوا القرآن اليهود وغيرهم (لست برسلا) من الله يا محمد والانا بشهيد يشهدك فقال الله (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بآي رسوله وهذا القرآن كلامه

تيز (ومن عنده علم الكتاب) قيل الجزء الثالث عشر هو الله عز وجل ﴿٥٠٦﴾ والكتاب الموحى المحفوظ دلالة قراءته من

فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما نفى عن شاهد يشهد عليها ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ علم القرآن وما لفق عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام واضمرا به أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيننا فيحزى الكاذب منا وقرينه قراءته من قرأ ومن عنده بانكسر علم الكتاب ودلى الاول يرتفع بالظرف فانه «تقدم على الموصول ويجوز ان يكون «بتداً والظرف خبره وهو متين للثانية وتسمى «ومن عنده علم الكتاب دلى الحرف والبناء للمفعول «عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل حجاب مضر وكل حجاب يكون الى يوم القيامة وبث يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله تعالى ﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرة الدالة على صدقه وكونه نبياً من عند الله ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ يعني ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلافها في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس المهم علماء اليهود والنصارى والمعتق اركل من كان عالماً من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجده من الدلائل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهيديه وانكره من انكره منهم وقبل انهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قل قادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشهي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيننا وبينكم قل الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه اغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهيد هذا زيد والفقيد بل يقال شهيد هذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهرو برهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن العيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيننا وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل﴾

﴿الصلاة والسلام﴾

﴿وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمه الله كفرا﴾

الكتاب تبيان القرآن ان قرأت بالخفض وهو الكتاب الذي أنزلنا اليك ﴿ومن السورة التي﴾ الى ذكر فيها ابراهيم وهي كلها مكية آياتها خمسون وكتابتها عمانية

ومن عنده علم الكتاب اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنسبته في كتبهم وقيل ابن سلام في نزات هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الحرف بالظرف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالظرف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمصدر في الظرف فيكون قاعلا لان الظرف صلته من هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل على الفعل نحو سررت بالذي في الدار أخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء ﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾

(ومن عنده علم الكتاب) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ان قرأت بالنصب ويقال هو آصف بن برخيا قوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب ومن عنده من عند الله علم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الركاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه إليك) في موضع الرفع صفة للكتابة (تخرج الناس) بدعائك أيهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار ﴿ ٥٠٧ ﴾ من الأذن الذي { سورة إبراهيم } هو تسهيل الحجاب وذلك ما ينعمهم من التوفيق (إلى صراط) يدل من النور بتكرير العامل (العزير) الغالب بالانتهام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشاحي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطية بيان للعزير الحديد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملاكة ولما ذكر الظالمين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعدهم الكافرين بالويل وهو تقييد الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فسان (ويل للكافرين من عذاب شديد) واحد وثلاثون وحرفهما ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربع وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أركتاب ﴾ أي هو كتاب ﴿ أنزلناه إليك ﴾ لتخرج الناس ﴿ بدعائك أيهم إلى ما تضمنه من الظلمات ﴾ من أنواع الضلال ﴿ إلى النور ﴾ إلى الهدى ﴿ بإذن ربهم ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الأذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صفة لتخرج أوحاء من فاعله أو مقموله ﴿ إلى صراط العزيز الحميد ﴾ يدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط إلى الله تعالى إملاية صفة أو المظهر له وتخصيص الوصفين للنبية على أنه لا يدل سأل به ولا يجيب سأل به ﴿ الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ على قرآءة نافع وابن ماسر مبتدأ وخبر والله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطية بيان للعزير لأنه كامل لا اختصاصه بالمعبود على الحق ﴿ وويل للكافرين من عذاب شديد ﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من

إلى آخر الآيتين وهي إحدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة وأحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● قوله عز وجل ﴿ أركتاب أنزلناه إليك ﴾ يعني هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ تخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ يعني هذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الإيمان قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحداً لأنه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فعب عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صفة جمع وعب عن الإيمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والإيمان فليس الا واحداً ﴿ إذن ربهم ﴾ يعني باسم ربهم وقيل يعلم ربهم ﴿ إلى صراط العزيز الحميد ﴾ يعني إلى دين الإسلام وهو دين الذي أمر به عباده والعزير هو الغالب الذي لا يقاب والحميد المحمود على كل حال المستحق للجمع المحامد ﴿ الله ﴾ قرئ بارفع على الاستئناف وخبره مبدء وقرئ بالجر نعتاً للعزير الحميد وقال أبو عمرو قراءة الخفص على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ يعني ملكا وما فيهما عبيده ﴿ وويل للكافرين ﴾ يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيئاً البتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات وما في الأرض ﴿ من عذاب شديد ﴾ يعني مهدهم في الآخرة ثم

ربهم) باسم ربهم تدعوهم (إلى صراط) إلى دين (العزير) بالقيمة لمن لا يؤمن به (الحميد) لمن وحده ويقال المحمود في فعاله (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) من الخلق والعباد (ويل) واد في جهنم من أشدها حراً وأضيقها مكاناً وأبعدها قرأ فتقول يا رب قد اشتد حري وضيق مكاني وبعدهم قرئ فأذن لي حتى أنتقم ممن عصاك ولا تجعل شيئاً ينتقم مني (للكافرين من عذاب شديد) غايظ

وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبنونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زينا واعوجاجا والاصل وبينونها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبر (أولئك في ضلال بعيد) الجزء الثالث عشر من الحق ﴿٥٠٨﴾ ووصف الضلال بالبعد من الاسناد

المجازي والبعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فضله كما تقول جدجده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو سرفوع على أعين الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا تكلموا بلنتهم (لبيّن لهم) ما هو ما مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لهم فهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولا صلى الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مخالفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنه أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنه لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالعين لانهم أقرب اليه ولانه أبعد من التعريف والتبديل

الغلطات الى التور والويل نقيض الوال وهو الهجاء واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ يختارونها عليها فان المختار الشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو متقول من صد صدودا اذا تكب وليس فصيحاً لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿ويبنونها عوجا﴾ وبينونها زينا وذكوبا عن الحق ليقدهوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على انه مبتدأ خبره ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ أي ضلوا عن الحق ووقفوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضلال فوصف به فضله للبالغة أو للامر الذي به الضلال فوصف به ملاسته ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه﴾ الابلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ﴿لبيّن لهم﴾ ما اسروا به فيفهوه عنه يسر وسرعة ثم ينقلوه وبترجوه الى غيرهم فانهم اولي الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك اسر الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولاً ولونزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على الستهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة

وصفهم فقال تعالى ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي ويعنون الناس عن قبول دين الله ﴿ويبنونها عوجا﴾ يعني يطلبون لها زينا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهام في وبينونها رجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام ﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفته ﴿في ضلال بعيد﴾ يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد في بعدا لان الضلال يبعد عن الطريق ﴿قوله تعالى﴾ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴿يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ﴿لبيّن لهم﴾ يعني ما باتون وما يدرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مخالفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه بعث الرسل الى الاطراف فيترجون لهم بالستهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل

(الذين يستحبون الحياة الدنيا) يختارون الدنيا (على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين (يحتمل) الله وطاعته (ويبنونها عوجا) يطلبونها غيرا (أولئك) الكفار (في ضلال بعيد) عن الحق والهدى ويقال في خطأ بين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) بلغة قومه (لبيّن لهم) بلغتهم ما أمرهم وما نهوا عنه ويقال بلسان يقدر ان يتعلموا منه

واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتصاب القرائح وكذا النفس من القرب المتضمنة لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كرش ورباش ولسن بضمين وضمة وسكون على الجمع كمدوعد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أوكل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فضل الله من يشاء ﴾ فيضله عن الايمان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق له ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يئلب شئ على مشيئته ﴿ الحكيم ﴾ الذي لا يضل ولا يهدى الاحكمة ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعني اليد والمصا وسائر معجزاته ﴿ ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ بمعنى أى اخرج لان في الارسال معنى القول أو بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فتصع ان يوصل به ان الناصبة ﴿ وذكرهم بايام الله ﴾ بوقائه التي وقعت على الامم الدارجة

يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكلمات دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجية عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهميه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله ﴿ فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء ﴿ وهو العزيز ﴾ يعنى الذى يظلب ولا يظلب ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله ﴿ قوله عن وجل ﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المراد بالآيات المعجزات التي جاءها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وقلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة ﴿ ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ أى ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿ وذكرهم بايام الله ﴾ قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوفائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب أى بوقائعهم وانما اراد بما كان في أيام الله من النعمة والتعمة فاخبر بذكر الالام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظيم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وعدة انتقامه ممن غالب أمره وكذب رسله وقيل بايام الله في حق موسى أن يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوما العذاب فيخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين

الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغال على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (ان اخرج قومك) بان اخرج أى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل أرسلناه وقتلناه اخرج قومك (من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله) وأنذرهم بوقائه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وادو وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاجها أو بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وخلق لهم

(فضل الله) عن دينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك (ويهدى) لدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك (وهو العزيز) في ملكه وسلطانه ويقال العزيز بالقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في أسرته وقضائه ويقال الحكيم بالاضلال والهدى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات (ان اخرج قومك) ان ادع قومك (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (وذكرهم بايام الله) بايام عذاب الله ويقال بايام رجة

الجبر (ان في ذلك آيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على المطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام { الجزء الثالث عشر } أي انصاه ٥١٠ ﴿ علىكم ذلك الوقت أو يدل

وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ﴿ ان في ذلك آيات لكل صبار شكور ﴾ يصبر على بلائه ويشكر لعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تبييناً على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن ﴿ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون ﴾ أي اذكروا نعمته وقت انجاء اباكم ويجوز ان يتصعب بعلينكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدلا للاشتمال ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبجون ابناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ احوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمرة ومطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿ وفي ذلك لكم ﴾ من حيث انه باقدار الله تعالى ايهم وامهالهم فيه ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة

﴿ ان في ذلك آيات لكل صبار شكور ﴾ الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المستفوعون بها دون غيرهم فانه اذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقولهم وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صارا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة ﴿ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بايام الله امثل ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا نعمت الله عليكم ﴿ اذا أنجاكم ﴾ من آل فرعون ﴿ أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون ﴾ يسومونكم سوء العذاب ويذبجون ابناءكم ﴿ فان قلت قال في سورة البقرة يذبجون بعروا وقال هنا ويذبجون بزيادة واوفا الفرق قلت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبجون تفسر لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمر واذ أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يذبجونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبجون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير للعذاب ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يعني يتركونهن أحياء ﴿ وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ﴾ فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فسلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونباؤكم بالشر والخير فتنة وهذا

اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجاءكم (ويذبجون ابناءكم) ذكر في البقرة يذبجون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهنما الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبينا الله وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (ويستحيون نساءكم) وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر

الله (ان في ذلك) فيما ذكرت (آيات) لعلامات (لكل صبار) على الطاعة (شكور) على النعمة (واذ قال موسى لقومه) وقد قال موسى لقومه بني اسرائيل (اذكروا نعمت الله عليكم) منة الله عليكم (اذا أنجاكم من آل فرعون) من فرعون وقومه القبط (يسومونكم سوء العذاب) مذبونكم بأشد العذاب (ويذبجون ابناءكم)

صفارا (ويستحيون) يستحون (نساءكم) كبارا (وفي ذلك) في ذبح الانشاء واستخدام النساء (بلاء من) (الوجه) ربكم عظيم) بلية من ربكم عظيمة ابتلاءكم بها ويقال وفي ذلك في انجاء الله لكم بلاء من ربكم عظيم نعمة من ربكم

والخير نعمة (واذ تأذن ربكم) أي آذن وتظير تأذن وآذن توعده وأوعده ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفضل كانه قيل واذا آذن ربكم ايذانا بليغا تنفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه واصحابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذا قال موسى لقومه اذكروا ﴿ ٥١١ ﴾ نعمة الله { سورة ابراهيم }

ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجهد في الطاعة لازيدنكم بالجهد في الثوبة (وائن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي أما في الدنيا فسلب النعمة وأما في العقي فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جيعا) والناس كلهم (فان الله لعني) عن شكركم (جيد) وان لم يحمدوا الحمدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه

عظيمة أنعمكم بها) واذا تأذن ربكم قال ربكم وأعلم ربكم في الكتاب (لئن شكرتم) بالوفيق والعصمة والكرامة

﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ انما من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعده واعد غير انه اباغ لما في الثقل من معنى الكلف والمبالغة ﴿ لئن شكرتم ﴾ يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايان والعمل الصالح ﴿ لازيدنكم ﴾ نعمة الى نعمة ﴿ وائن كفرتم ان عذابي لشديد ﴾ فعلى اعذبكم على الكفر ان عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مقبول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه ﴿ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جيعا ﴾ من الثقلين ﴿ فان الله لعني ﴾ عن شكركم نعمة ﴿ جيد ﴾ مستحق الحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفر ان الانفسكم حيث حرمتموها من يد الانعام

الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ فان قلت هب ان تذيب الابناء فيه لاه فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتكفونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء ﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في فعل كانه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا تنفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال ﴿ لئن شكرتم ﴾ يعني يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايان الخالص والعمل الصالح ﴿ لازيدنكم ﴾ يعني نعمة الى نعمة ولا ضافن لكم ما أنعمتكم قبل شكر الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واطهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عاين أنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تنأ كدحجة المدللة عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ﴿ وائن كفرتم ﴾ المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ﴿ ان عذابي لشديد ﴾ يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها عز وجل وقال موسى ان تكفروا ﴿ يعني يا بني اسرائيل ﴾ أنتم ومن في الارض جيعا ﴿ يعني والناس كلهم جيعا فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم محرمانا الحسير كله ﴾ فان الله لعني ﴿ يعني عن جميع خلقه ﴾ جيد ﴿ أي

والنعمة (لازيدنكم) توفية وعصمة وكرامة ونعمة (وائن كفرتم) بيا ونعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر (وقال موسى ن تكفروا) بالله (أنتم ومن في الارض جيعا فان الله لعني) عن ايمانكم (جيد) لمن وحده

(الم يأتكم نبا الدين من قبلكم { الجزء الثالث عشر } قوم نوح و عاد ﴿ ٥١٢ ﴾ وعود) من كلام موسى لقسوه

و عر ضتموها للمذاب الشديد ﴿ ألم يأتكم نبا الدين من قبلكم قوم نوح و عاد وعود ﴾ من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ﴾ جلة وقت اعتراضا أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب التسابون ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ فعضوا غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الا نامل من القيظ أو وضعوها عليها فجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وإسرا لهم باطباق الافواه أو اشار وابهى الى ألسنتهم ومانطقت به من قولهم أما كقرنا تنيها على ان لا جواب لهم سواء أو ردها في أفواه الانبياء بمنعواهم من التكلم وعلى هذا محتمل ان يكون تمثيلا

محمود في جميع أفعاله لانه متفضل و عادل ﴿ ألم يأتكم نبا ﴾ يعني خبر ﴿ الذين من قبلكم قوم نوح و عاد وعود ﴾ قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم هلاك من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أسرار القرون الماضية والامم الحالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من تقدم وهلاكهم ﴿ والذين من بعدهم ﴾ يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة ﴿ لا يعلمهم الا الله ﴾ يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان عليه محيط بكل شئ الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب التسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفي الله علم ذلك عن العباد وعن عبدالله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أبا أبى الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبتة وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك • القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه ضمير الجارحتين وقيل المراد بالايدي النعم ومنه ردوا ما لوقبواوه لكن نسة عليهم يقال لفلان عدى

أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جلة من مبتدأ وخبر وقت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب التسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أي أخذوا أناملهم باستنابهم تجبا أو عضوا عليها تضيظا أو الثاني يعود الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بها

(الم يأتكم) يا أهل مكة (بأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح و عاد) يعني قوم هود (وعود) يعني قوم صالح (والذين من بعدهم) من بعد قوم صالح قوم شعب وغيرهم كيف أهلكهم الله عند الكذب (لا يعلمهم) لا يعلم

عددهم وعذابهم أحد (الا الله جاءتهم رسلهم بالبيات) بالاسروالنبى والاملامات (فردوا أيديهم في أفواههم) (يد) على أفواههم يقول ردوا على الرسل ما جاؤا به ويقال وضعوا أيديهم على أفواههم وقالوا للرسل اسكتوا

أرسلوا به (وقالوا أنا كفرناحنا أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله والتوحيد (سريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) ﴿٥١٣﴾ أدخلت همزة {سورة إبراهيم} الانكار على الظرف لان

الكلام ليس في الشك
انما هو في المشكوك فيه
وانه لا يحتمل الشك
لظهور الأدلة وهو جواب
قولهم وإنا لفي شك (فاطر
السعوات والارض يدعوكم)
الى الإيمان (ليغفر لكم
من ذنوبكم) اذا أنتم ولم
تجئ مع من الا في خطاب
الكافرين كقوله واتقوه
وأطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم يا قومنا أجيوا داعي
الله وآمنوا يغفر لكم
من ذنوبكم وقال في خطاب
المؤمنين هل أدلكم على
تجارة الى أن قال يغفر لكم
ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف
بالاستقراء وكان ذلك
للتفرقة بين الخطابين ولئلا
يسوى بين الفريقين في
الميعاد (ويؤخركم الى أجل
مسمى) الى وقت قد سماه
وبين مقداره (قالوا) أي

والاسكتم (وقالوا) للرسول
(أنا كفرناحنا) جحدنا (عما أرسلتم
به) من الكتاب والتوحيد
(وإنا لفي شك مما تدعوننا
إليه) من الكتاب والتوحيد
(سريب) ظاهر الشك فيما
تقولون (تالت رسلهم أفي الله
شك) أفي وحدانية الله شك

وقيل الايدي بمعنى الايادي أي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وناوحي اليهم من
الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت
منه ﴿وقالوا أنا كفرناحنا أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾ من
الإيمان «وقري» تدعوننا بالأدغام «سريب» موقع في الريبة أو ذى ريبة وهي قلق
النفس وان لا تطمئن الى شيء ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ أدخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي انما تدعونكم الى الله وهو لا يحتمل الشك
لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عاينه وإشارته الى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والارض﴾
وهو صفة أوبدل وشك سرتقع بالظرف ﴿يدعونكم﴾ الى الإيمان بعينه أي انما ﴿ليغفر لكم﴾
أو يدعونكم الى المغفرة كقولك دعوتك ليتصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿من
ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يحبه دون المظالم وقيل جيء بمن
في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان
المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين
مشفوعة بالطاعة والتعجب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ﴿ويؤخركم
الى أجل مسمى﴾ الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعمالكم ﴿قالوا﴾

يدأى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم
وقيل انهم كفوا عن قبول ما أسروا بقوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديء
الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلي يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالكذب
وهو أن الامم ردوا على رسلهم ﴿وقالوا أنا كفرناحنا﴾ يعني أنا كفرنا
عما زعمت ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرروا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقرروا بان الرسل
أرسلوا اليهم لكأنوا مؤمنين ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه سريب﴾ يعني يوجب
الريبة أو يوقع في الريبة والتممة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي
يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا أنا كفرناحنا أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وإنا لفي
شك والشك دون الكفر أو داخل فيه • قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول فكانهم
حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرناحنا فلا أقل من أن
تكون شاكين مرتابين في ذلك ﴿قالت رسلهم﴾ يعني محبين لامهم ﴿أفي الله
شك﴾ يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه ﴿فاطر
السموات والارض﴾ يعني هل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق
جميع ما فيها ﴿يدعونكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا أنتم وصدقتم
وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينه وبينه
من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ يعني الى حين
انقضاء آجالكم فلا ما جلكم بالعذاب ﴿قالوا﴾ يعني الامم محبين للرسول

(فاطر السموات) خالق السموات (قاو خا ٦٥ اث) (والارض يدعوكم) الى التوحيد (ليغفر لكم) بالنوبة والتوحيد
(من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم) يؤجلكم بلاعذاب (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم يعني الموت (قالوا) للرسول

القوم (ان اتم) ما اتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا لم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون ان تصدقوا
 عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأتونا بسلطان مبین) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان
 المبین آية قد اقترحوها تمتا ولجاجة (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) تسليم اقبولهم اتم بشر مثلهم
 (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالايان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله)
 جواب لقولهم ما نونا بسلطان (الحزب الثالث عشر) بين والمعنى ﴿٥١٤﴾ أن الايمان بالآية التي قد اقترحتوه ليس الينا

ان اتم الابشر مثلنا لافضل لكم علينا لم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
 رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدقوا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة
 فأتونا بسلطان مبین يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة
 كما نهم لم يعتبروا ماجازاه من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تمتا ولجاجة قالت
 لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده سلوا مشاركهم
 في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على
 ان النبوة عطائية وان ترجع بعض الجائزات على بعض بعثية الله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم
 بسلطان الا باذن الله أى ليس لنا الايمان بالآيات ولاستبدية استطاعتها حتى نأتى بما
 اقترحتوه وانما هو امر متعلق بعثية الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات
 وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
 عموا الامر الاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصد اوليا الاترى قوله تعالى
 وما لنا الا نتوكل على الله أى أى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التى
 بهما عرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمر وبالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
 على ما آذيتونا جواب قسم محذوف اكذوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من

ولا في استطاعتنا وانما هو امر
 يتعلق بعثية الله تعالى
 وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) أمر منهم
 للمؤمنين كافة بالتوكل
 وقصدوا به انفسهم قصدا
 اوليا كانهم قالوا ومن حقا
 أن نتوكل على الله في الصبر
 على معاندتكم ومعاداتكم
 وايدائكم الا ترى الى قوله
 (وما لنا الا نتوكل على الله)
 معناه أى عذر لنا في ان لا
 نتوكل عليه (وقد هدانا
 سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب
 توكلنا عليه وهو التوفيق
 لهداية كل مناسيله الذي
 يجب عليه سلوكه في الدين
 قال أبو تراب التوكل طرح
 البدن في السودية وتعلق
 القلب بالربوبية والشكر
 عند المطاء والصبر عند اللاء
 (ولنصبر على ما آذيتونا)
 جواب قسم مضمرة أى حلفوا
 على الصبر على آذاهم وأن
 لا يمسكوا عن دعائهم

﴿ان اتم﴾ يعنى ما اتم ﴿الابشر مثلنا﴾ يعنى في الصورة الظاهرة لستم ملائكة ﴿تريدون
 ان تصدقوا عما كان يعبد آباؤنا﴾ يعنى ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهت التي كان آباؤنا
 يعبدونها ﴿فأتونا بسلطان مبین﴾ يعنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم ﴿قالت لهم رسلهم
 ان نحن الابشر مثلكم﴾ يعنى ان الكفار لما قالوا الرسلهم ان اتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم
 مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فمن بشر مثلكم لانكر ذلك ﴿ولكن الله يعنى
 على من يشاء من عباده﴾ يعنى بالذرة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم
 الشريف ﴿وما كان لنا ان نأتيكم سلطان الا باذن الله﴾ يعنى وليس لنا مع ما خصنا الله من النبوة
 وشرفنا من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومجزة تدل على صدقنا الا باذن الله به لنا في ذلك
 ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يعنى في دفع شرور أعدائهم عنهم ﴿وما لك ان لا تتوكل على الله﴾
 يعنى ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شئ الا بقضاء الله وقدره فمن شق به
 وتوكل عليه في دفع شروركم عنا ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يعنى وقد عرفنا طريق النجاة
 وبين لنا الرشد ﴿ولنصبرن﴾ اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن ﴿على ما آذيتونا﴾

ان اتم) ما اتم (الابشر)
 آدمي (مثلنا تريدون ان

تصدقوا) تصدقوا (عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتونا بسلطان مبین) كتاب وجمعة (قالت لهم رسلهم ان نحن) (يعنى)
 ما نحن (الابشر) آدمي (مثلكم) يقول خلق مثلكم (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالذرة والاسلام (وما كان لنا) ما ينبغي لنا
 (ان نأتيكم بسلطان) بكتاب وجمعة (الا باذن الله) بأمر الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول وعلى المؤمنون ان يتوكلوا
 على الله فقالوا الرسل توكلوا اتم على الله حتى تروا ما يفضل بكم فقالت الرسل (وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) اكرما
 بالنبوة والاسلام (ولنصبرن على ما آذيتونا)

(وعلى الظالمين على المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكراراً (وقال الذين كفروا لرسولهم) أي أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو نمودن في ملتنا) أي ليكون أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصبر وهو ﴿٥١٥﴾ كثير في كلام {سورة ابراهيم} العرب أو خاطبوا به كل

رسول ومن آمن معه فقبلوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم لهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه (ولتسكننكم الارض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو الموقف مقمهم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للتيقن (وخاف وعيد) عذابي وبالبايع يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو مطوف على أوحى

في ابداننا بطاعة الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا) من مدينتنا (أو نمودن) تدخلن (في ملتنا) في ديننا (فاوحى

الكفار عليهم ﴿﴾ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴿﴾ فليثبت المتوكلون على ما استهدئوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿﴾ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو نمودن في ملتنا ﴿﴾ حلفوا على ان يكون أحد الامرين اما اخراجهم للرسول أو عودهم الى ملتهم وهو معنى الصبر لانه لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولن آمن معه فقبلوا الجماعة على الواحد ﴿﴾ فاوحى اليهم ربهم ﴿﴾ أي الى رسوله ﴿﴾ لهلكن الظالمين ﴿﴾ على اضرار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿﴾ ولتسكننكم الارض من بعدهم ﴿﴾ أي أرضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها ﴿﴾ وقرئ لهلكن وليسكننم بالياء اعتباراً لاوحى كقولك اقم زيد ليخرجن ذلك ﴿﴾ اشارة الى الموحى ﴿﴾ وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿﴾ لمن خاف مقامي ﴿﴾ موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قبامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقمهم ﴿﴾ وخاف وعيد ﴿﴾ أي وعيدى بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار ﴿﴾ واستفتحوا ﴿﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة

يعنى به من قول أو قل ﴿﴾ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴿﴾ فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين ؟ قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثانى فيه اشارة الى السعى في النية على ما استهدئوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين ﴿﴾ قوله تعالى ﴿﴾ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو نمودن في ملتنا ﴿﴾ يعنى ليكون أحد الامرين اما اخراجكم أي الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا هوهم بظاهره انهم كانوا على ماتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها فلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصبر وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أهمهم فلما أرسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعواهم الى الله وقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنناهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجاع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره ﴿﴾ فاوحى اليهم ربهم ﴿﴾ يعنى ان الله تعالى أوحى الى رسوله وأبانه بدهذه المخاطبات والمخاورات ﴿﴾ لهلكن الظالمين ﴿﴾ يعنى ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ﴿﴾ ولتسكننكم الارض من بعدهم ﴿﴾ يعنى من بعد هلاكهم ﴿﴾ ذلك ﴿﴾ يعنى ذلك الاسكان ﴿﴾ لمن خاف مقامي ﴿﴾ يعنى خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تنصيف أعمالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربي اباك وندمت على ضربك مثله ﴿﴾ وخاف وعيد ﴿﴾ أي وخاف عذابي ﴿﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ واستفتحوا ﴿﴾ يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامة وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فمذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أهمهم وذلك انهم لما

ليهم) الى الرسل (ربهم) ان اصبروا (لهلكن الظالمين) الكافرين (ولتسكننكم) لتتزلنكم (الارض) أرضهم وديارهم (من بعدهم) من بعد هلاكهم (ذلك) التسكين (لمن خاف مقامي) القيام بين يدي (وخاف وعيد) عذابي (واستفتحوا) استنصروا

كقوله ربنا مع بينا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على قاوحى والضمير للإنياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر الحق ويهلك المبطل وقرئ بافظد الامر عطف على لئلهكن ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾ أى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفتح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القيلتين كان اوقع ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أى من بين يديه فانه مرسلها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته متوارى عنك ﴿ ويسقى من ماء ﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم بلقى فيها ما بلقى ويسقى من ماء ﴿ صديد ﴾ عطف بيان لما وهو ما يسيل من جلود اهل النار ﴿ يتجرعه ﴾ ينكف جرعته وهو صفة لماء أو حال من الضمير فى يسقى ﴿ ولا يكاد يسيفه ﴾ ولا يقارب ان يسيفه فكيف يسيفه بل يفص به فيطول عذابه والسوخ جواز

أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالمذاب ﴿ وخاب ﴾ يعنى وخسر وقيل هلك ﴿ كل جبار عنيد ﴾ والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقبل الجبار الذى لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانسه قال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى أبى أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو الموجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف ﴿ من ورائه جهنم ﴾ يعنى هى أمامه وهو أثر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعنى أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى أنه سيأتيك ﴿ ويسقى ﴾ يعنى فى جهنم ﴿ من ماء صديد ﴾ وهو ما سال من الجلود والدم من القبح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله ﴿ يتجرعه ﴾ أى يشربه ويشربه لاجرة واحدة بل جرة بعد جرة لمرارته وحرارته وكراهته وتنته ﴿ ولا يكاد يسيفه ﴾ أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحدره فيقال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيفه وقال صاحب الكشاف دخلت بكاد للمباغلة معنى ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاسافة وقال بعضهم ولا يكاد يسيفه أى يسيفه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيفه ويسيفه فىنبلى فى جوفه ﴿ عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقمت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعائه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء جيما فقطع أمعائه وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بش الشراب وساءت مرتقا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أى حلد رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها ﴿ وقوله تعالى

الهم (وخاب كل جبار)
 فنصروا وظفروا وأفظوا
 وخاب كل جبار عنيد وهم
 قومهم وقيل الضمير للكفار
 ومنه واستفتح الكفار
 على الرسل ظنا منهم بأنهم
 على الحق والرسل على
 الباطل وخاب كل جبار عنيد
 منهم ولم يفتح باستفتاحه
 (من ورائه) من بين يديه
 (جهنم) وهذا وصف حاله
 وهو فى الدنيا لانه مرصد
 لجهنم فكانها بين يديه وهو
 على شفيرها أو وصف حاله
 فى الآخرة حيث يبعث
 ويوقف (ويسقى) معطوف
 على محذوف تقديره من
 ورائه جهنم يلقى فيها ما بلقى
 ويسقى (من ماء صديد)
 ما يسيل من جلود أهل النار
 و صديد عطف بيان لما
 لانه مبهم فينبى بقوله صديد
 (يتجرعه) يشربه جرة
 جرة (ولا يكاد يسيفه)
 ولا يقارب أن يسيفه
 فكيف تكون الاسافة
 كقوله لم تكذبوا أى لم

قوم على نبيهم) وخاب كل
 جبار (خسر عند الدماء
 من النصره كل متكبر خال
 (عنيد) معرض عن الحق
 والهدى (من ورائه) من قدام
 هذا الجبار بعد الموت (جهنم)
 ويسقى من ماء صديد) مما

يقرب من رؤيتها فكيف براها (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفضيح لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو عيت) لأنه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب ﴿ ٥١٧ ﴾ غليظ) أى { سورة ابراهيم } فى كل وقت يستقبله يتلقى

عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانقاس وحبسها فى الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الریح

مدنى (فى يوم حاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعسق الرقاب وقداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح

(ويأتيه الموت) غم الموت (من كل مكان) من تحت كل شجرة ويقال تأخذ النار من كل مكان من كل ناحية (وما هو عيت) من ذلك

الشراب على الحاق بسهولة وقبول نفس ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أى أسبابه من الشدائد قميطبه من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره واهام رجله ﴿ وما هو عيت ﴾ فيستريح ﴿ ومن ورائه ﴾ ومن بين يديه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى يستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانقاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنينهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فحسب رجاؤهم فلم يسقهم واوعد لهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقيهم صديداهل النار ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الترابية أو قوله ﴿ أعمالهم كرماد ﴾ وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ﴿ اشتدت به الريح ﴾ جلته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الريح ﴿ فى يوم حاصف ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للباينة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه سنائمهم من الصدقة وصلاة الرجم واغاثة الملهوف وعسق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه به اليه أو أعمالهم

﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو عيت ﴾ يعنى ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شجرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو عيت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند خبيرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتفسد الحياة ﴿ ومن ورائه ﴾ يعنى أمامه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى شديد قيل هو الخلود فى النار ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم حاصف ﴿ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقيل المفسرون والقراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بما المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك فى صفا زيد عن مصور وماله مبدول والرماد مرروف وهو ما يسقط من الحطب والقحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فسفتته وطيرته ولم تبق منه شياً فى يوم حاصف وصب اليوم بالمصوف والمصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحر وليله ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه فى يوم حاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لاعمال الكفار التى لم ينتفخوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو

العذاب (ومن ورائه) من بعد الصديد (عذاب غليظ) شديد أشد من الصديد (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) يقول مثل أعمال الذين كفروا بربهم (كرماد اشتدت) ذرت (به الريح فى يوم حاصف) قاصف شديد من الريح

المصنف (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يروونه، ثم من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الصواب (المتر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد { الجزء الثالث عشر } (أن الله خلق السماوات والأرض) خالق مضافاً

جزءه وعلى (الحق) بالحكمة والاسرار العظمى ولم يخلقها عبثاً (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلماً بأنه قادر على اعدام الموجود وإيجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) يتمد (وبرزوا لله جيباً) ويرزون يوم القيامة وانما جيبه بلفظ الماضي لان ما أخبر به عن

لاصنام برما طيرته الريح العاصفة (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) لحبوطه فلا يروونه ثم من الثواب وهو فذلكت التثليل (ذلك) إشارة إلى ضلالهم مع حسابهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية في البعد عن طريق الحق (المتر) خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلويح (ان الله خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأه جزء والكسائي خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقاً آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقاً للسموات والأرض استدلالاً به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبدل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبذلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) يتمدراً ومتصرفاً قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقاً بان يؤمن به ويصدر جاء ثوابه وخوفه من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جيباً)

ان الريح المصنف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي قليل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلوة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف ور الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحببها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارتهم أنهم أتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي يتنفعوا بها فصارت وبالاعليم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينفذ به وهو قوله تعالى (لا يقدر) مما كسبوا (يعني في الدنيا) على شيء (يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم وفي الآخرة) ذلك هو الضلال البعيد (يعني ذلك الحسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلك فلا يرجي عوده والعيد هنا الذي لا يرجي عوده) ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق (يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثاً وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح) ان يشأ يذهبكم (يعني أيها الناس) ويأت بخلق جديد (يعني سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على افاء قوم وامانتهم وإيجاد خلق آخر سواهم لان الفادر لا يصعب عليه شيء) قيل هذا خطاب الكفار مكة يريد بمتكم بامعشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) (يعني يمتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت) قوله عز وجل (وبرزوا لله جيباً)

(لا يقدر) مما كسبوا على شيء (يقول لا يجدون ثواب شيء) مما عملوا من الخير في الكفر كما لا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح (ذلك) الكفر والعمل لغير الله (هو الضلال البعيد) الخطأ البعيد عن الحق والهدى (المتر) ألم تخبر يا محمد خطاب بذلك نبيه و اراد به قومه (ان الله خلق السموات والأرض بالحق) لبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفناء (ان يشأ يذهبكم) يهلككم أو يمتكم يا أهل مكة (ويأت بخلق جديد) بخلق خلقاً آخر خيراً منكم وأطوع الله (وما ذلك على الله بعزيز) (يعني) ان ما كلكم ويخلق خلقاً آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جيباً)

جديد) بخلق خلقاً آخر خيراً منكم وأطوع الله (وما ذلك على الله بعزيز) بشديد يقول ليس على الله بشديد (يعني) ان ما كلكم ويخلق خلقاً آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جيباً)

ويحل لضيقه كأنه قد كان ووجد نحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى برؤهم الله والله الهادي لا يتواري عنده شيء حتى يرزله أنهم كانوا يسترون من السيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية وأخرجوا من قبورهم قبرز والحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة ﴿٥١٩﴾ والرؤساء الذين {سورة ابراهيم} استغوهم وصدوهم

عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وفائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أتم) مغنون عنا من عذاب الله من شيء (فهل تقدررون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الاولى للنسين والثانية للتبويض للتبويض كأنه قيل فهل أتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو هما للتبويض أى فهل أتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان

أى يرزون من قبورهم يوم القيامة لاسر الله تعالى ومحاسبته أو الله على ظنهم فأنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انما يخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عمداتفسهم واعاذ كر بلفظ الماضي لتحقيق وتموعه ﴿فقال الضعفاء﴾ الاتباع جميع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ﴿للذين استكبروا﴾ لرؤسائهم الذين استبعوهم واستغوهم ﴿انا كنا لكم تبعا﴾ في تكذيب الرسل والاعراض عن نصحهم وهو جمع تاج كغائب وغيب أو مصدر نمتبه للبالغة أو على اضمار مضاف ﴿فهل أتم مغنون عما﴾ دافسون عما ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبويض واقعة موقع المفعول أى بعض الشيء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبويض أى بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراض ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل أتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء ﴿قلوا﴾ أى الذين استكبروا جوابا عن معاتبه الاتباع واعتذارا عما فعلوا هم ﴿لو هدانا الله للايمان ووفقنا له﴾ لهديناكم ولكن ضلنا فاضلناكم أى اخذناكم ما اخترناه لانفسنا أو لو هدانا الله طريق الهدى من العذاب لهديناكم واغنياكم عنكم كما عرضنا لكم له لكن سدد دونا طريق الخلاص ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر

بمعنى وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسمهم ويحازيمهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء ويرزحهم في البراز وذلك ان يظهر بنائه كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى القضاء وأورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكأن لا محالة فصارك أنه قد حصل ودخل في الوجود ﴿فقال الضعفاء﴾ يعنى الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿انا كنا لكم تبعا﴾ معنى في الدين والاعتقاد ﴿فهل أتم﴾ معنى في هذا اليوم ﴿مغنون عنا﴾ يعنى دافسون عما ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من هنا للتبويض والمعنى هل تقدررون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا ﴿قلوا﴾ يعنى الرؤساء والقادة والمتبعون للتابعين ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن

طريق الهدى كما سلكناكم طريق الهاكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية يروى أنهم يقولون في النار تعالوا ايجزع فيجزعون خمسائة عام فلا يفهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسائة عام فلا يفهم

العادة والسفلة (فقال الضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) عن الايمان وهم القادة (انا كنا لكم تبعا) مطيعا فيما أمرتمونا (فهل أتم مغنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شيء) أى من عذاب الله (قلوا) يعنى القادة (لو هدانا الله) لدينه (لهديناكم) لدعوناكم الى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أضمرنا (أم صبرنا) سكتنا

الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزأ مما هم فيه فقالوا لهم سواء علي
أجزعنا أم صبرنا يريدون { الجزء الثالث عشر } أنفسهم وإياهم ﴿ ٥٢٠ ﴾ لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا

﴿ مالنا من محيص ﴾ مهيى ومهرب من المذاب من الحيص وهو المدول على جهة
الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالميت ومصدرا كالمصيب ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا ﴿ وقال
الشیطان لما قضى الامر ﴾ احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيا في اشقياء من الثقلين ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ وعدا من حقه ان ينجز أو
وعدا انجزه وهو اوعده بالبعث والجزاء ﴿ ووعدتكم ﴾ وعد الباطل وهو ان لا يبعث
ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم ﴿ فاخلفتكم ﴾ جعل تبين خلب وعده
كالاخلاف منه ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ تسلط فالجنم الى الكفر والمعاصي
﴿ الا ان دعوتكم ﴾ الادعاء اياكم البهاتسولي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه

لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطع عنه ﴿ مالنا من محيص ﴾ يعنى من مهرب
ولامجا مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم
الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن
كعب القرظى بلغنى ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار
الخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا
الم تلك تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا ومادعاء الكافرين
الا في ضلال فلما بشوا بما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقتض علينا ربك سألو الموت فلا
يجيب ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة بما تعدون ثم يجيب
بقوله انكم ما كنون فلما يشا بما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل
الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند
ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال الشيطان ﴾
يعنى ابليس ﴿ لما قضى الامر ﴾ يعنى لما فرغ منه وأدخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار يأخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيا قال
مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه
بقوله ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ فيه اضممار تقديره فصدق في وعده ﴿ ووعدتكم
فاخلفتكم ﴾ يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار ﴿ وما كان
لي عليكم من سلطان ﴾ يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به
﴿ الا ان دعوتكم ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم

عجتمين فيها يقولون ما هذا
الجزع والتوبيع ولا فائدة
في الجزع كالأفائدة في الصبر
(مالنا من محيص) مهيى
ومهرب جزعنا أم صبرنا
ويجوز أن يكون هذا من
كلام الضعفاء والمستكبرين
جما (وقال الشيطان لما
قضى الامر) حكم بالجنة
والنار لاهليهما وفرغ
من الحساب ودخل اهل
الجنة الجنة وأهل النار
النار وروى ان الشيطان
يقوم عند ذلك خطيئا على
منبر من نار فيقول لاهل
النار (ان الله وعدكم وعد
الحق) وهو البعث والجزاء
على الاعمال فوفى لكم بما
وعدكم (ووعدتكم) بان
لا بعث ولا حساب ولا جزاء
(فاخلفتكم) كذبتكم (وما
كان لي عليكم من سلطان)
من تسلط واقتدار (الا ان
دعوتكم) لكنى دعوتكم
الى الضلالة بوسوستى
وتزيينى والاستثناء منقطع
لان الدعاء ليس من جنس
(مالنا من محيص) من مغيث
وملجأ (وقال الشيطان)
يقول الشيطان وهو المبس

(لما قضى الامر) أدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) (فاستجيبتم)
ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراف حق (ووعدتكم) ان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان
ولا صراط (فاخلفتكم) كذبت اكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من حجة وعذر ومقدرة (الا ان دعوتكم) الى طاعتي

الاستحياء (فاستحيتم لي) اسرعت اجابى (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتمونى بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الاتمكين ولا من الشيطان الاتمكين باطل لقوله لو هدانا الله أى الى الايمان اهديناكم كما سر (ما انا بمصرحكم وما اتم بمصرخى) لانجيبى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يفيته والاصراخ الائمة بمصرخى حجة اتباع الخفاء غيره بفتح الياء كالا يجمع الكسرة والياء ان بمد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع ﴿ ٥٢١ ﴾ والثانية ضمير { سورة ابراهيم } المتكلم (انى كفرت بما

أشركتمون) وبالياء بصرى وما مصدرية (من قبل) متعلق بإشركتمونى أى كفرت اليوم بإشراككم اياى مع الله من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفروه بإشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآمتكم وما تمبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا ﴿ فاستحيتم لي ﴾ اسرعت اجابى ﴿ فلان لومونى ﴾ بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لمادعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بفعاله وليس فيها ما يبدل عليه اذ يكتفى بصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله احبابنا ﴿ ما انا بمصرحكم ﴾ بمعنى من العذاب ﴿ وما اتم بمصرخى ﴾ بمعنى وعقر اجهزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل صرفض فى مثله ما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فى الحرى ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ﴾ ما اما مصدرية ومن متعلقة بإشركتمونى أى كفرت اليوم بإشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت أى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ﴿ ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ تحية كلامه وابتداء

﴿ فاستحيتم لي فلان لومونى ولوموا أنفسكم ﴾ يعنى ما كان منى الا الدعا واللقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولى فلما رجعت قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى ناجاى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل ﴿ وما انا بمصرحكم ﴾ يعنى بمعنى منكم ولا منكم ﴿ وما اتم بمصرخى ﴾ يعنى بمعنى ولا منكم فى عبادته ﴿ انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ﴾ يعنى كفرت بمحلكم اياى شريكه فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جسد ما استقدمه الكفار فيه من كونه شركا لله وتبرأ من ذلك ﴿ ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى

لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل (قا و خا ٦٦ لث) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا

(فاستحيتم لي) طاعنى (فلان لومونى) فى دعوتى لكم (ولوموا أنفسكم) باجابتكم اياى (ما انا بمصرحكم) بمعنى منكم ومن النار (وما اتم بمصرخى) بمعنى ومنجى من النار (انى كفرت بما أشركتمونى) بالذى أشركتمونى به (من قبل) ان أشركتمونى به ويقال انى كفرت اليوم بما أشركتمونى يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل هذا من قبل فى الدنيا (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم)

كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم ﴿ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها باذن ربهم ﴾ باذن الله تعالى وامره والمدخون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله ﴿ تحييمهم فيها سلام ﴾ أى تحييم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ كيف اعتمله ووضع ﴿ كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة وان تكون اول مقولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء

صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شهما أحد حتى آتى ربي فيشفئنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى الظهر قدى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شهما أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿ وقوله تعالى ﴾ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله ﴿ خالدون فيها ﴾ والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله ﴿ باذن ربهم ﴾ لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله ﴿ تحييمهم فيها سلام ﴾ فيحتمل ان بعضهم يحى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴿ لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأى بين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه لاني صلى الله عليه وسلم وبدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأى الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيهه شئ بشئ آخر ﴿ كلمة طيبة ﴾ هى قول لاله الا الله فى قول ابن عباس وجهور المفسرين ﴿ كشجرة طيبة ﴾ يعنى كشجرة طيبة النمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن

خالد بن فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بادخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحييمهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أى وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب يحضر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كسواء حلة وجملة على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضر أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خير مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة

وجميع بخاص وجمعه الى قلوبهم (وادخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساكنين (مجرى من تحتها) من تحت شجرها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والسل واللبن (خالدون فيها) مقيمون فيها (باذن ربهم) بأمر ربهم (تحييمهم) كرامتهم (فيها) فى الجنة (سلام) يسلم بعضهم على بعض اذا تلاقوا (ألم تر) ألم تحبذ يا محمد (كيف ضرب

(أصلها ثابت) أي في الأرض ضارب بمروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) والكلمة العظيمة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الأركان وكان الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملاً للمؤمن مؤمن وإن لم يكن حاملاً ولكن الأشجار ﴿ ٥٢٣ ﴾ لاتراد {سورة إبراهيم} الأثمار فأقوات النار إلا

من الأشجار إذا اعتادت الإخفار في عهد الأعمار والشجرة كل شجرة مشمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فمن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فآخبروني ماهي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيافوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم (توتى أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت ووقته الله لا ثمارها (باذن ربها) بتيسيرخالقها

(أصلها ثابت) يقول قلب المؤمن المخلص ثابت بلا إله إلا الله (وفرعها في السماء) يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص (توتى أكلها كل حين) يقول بعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة لله

﴿ أصلها ثابت ﴾ في الأرض ضارب بمروقه فيها ﴿ وفرعها ﴾ وأعلاها ﴿ في السماء ﴾ ويجوز أن يريد وفروعها أي افتنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ ثابت أصلها والاول على أصله ولذلك قيل إنه أقوى ولعل الثاني ابلغ ﴿ توتى أكلها ﴾ تعطي ثمرها ﴿ كل حين ﴾ ووقته الله تعالى لا ثمارها ﴿ باذن ربها ﴾

مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبيهة الرجل أو قال الرجل المسلم لا يتحتم ورقها توتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبا عبد الله والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعتك أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً فقال عمر لان تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا . وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ماهي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهي يا رسول الله قال هي النخلة . وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة . وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن ﴿ وقوله ﴾ أصلها ثابت ﴿ يعني في الأرض ﴾ وفرعها ﴿ يعني أعلاها ﴾ ﴿ في السماء ﴾ يعني ذاهبة في السماء ﴿ توتى أكلها ﴾ يعني ثمرها ﴿ كل حين باذن ربها ﴾ يعني باسرها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تتمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها إلى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني أن مدة جلها بالعلمنا وظهرها ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور جلها إلى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً فيؤكل منها الجار والطاع والبلع والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائم في كل وقت يقول العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الإخلاص وأصل الإيمان بالنخلة حاصل من أوجه . أحدها أن كلمة الإخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الأرض . الوجه الثاني أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه

وخيراً (باذن ربها) يقول باسرها واية الصفة كلمة طيبة في الفع والممدحة كشجرة طيبة وهي النخلة المؤمن أصلها ثابت يقول أصل الشجرة ثابت في الأرض بمروقه فكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان وفرعها في السماء يقول أغصان النخلة ترفع نحو السماء وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع إلى السماء توتى أكلها كل حين يقول يخرج ثمرها كل ستة أشهر باذن ربها

بالقول الثابت ﴿ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴾ ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ فلا يزالون اذا اقتسوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين قتلهم اصحاب الاخذود ﴿ وفي الآخرة ﴾ فلا يتلغثون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم احوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تاد روحه جسده فيأتيه ملكان فيحلسانه في قبره ويقولان له من

عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حتى اذا اقتسوا في دينهم لم يزالوا كائبت الذين قتلهم اصحاب الاخذود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر يتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تاد روحه في جسده فيأتيه

بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الانفس وهم أهل السعادة (بالقول الثابت) شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) لكي لا يرجعوا عنها (وفي الآخرة)

بالقول الثابت ﴿ لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين ﴿ وقوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ يعني في القبر عند السؤال ﴿ وفي الآخرة ﴾ يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويطلب عليه ماروى عن البراه بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قاله نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع ناله اذا انصرفوا أمناه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقدمك من النار أبداك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراها جيبا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية واما الكافر فيقول لأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نلت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أمناه ملك فيقول ما كنت تمبذ فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقدمك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أمناه ملك فينهضه فيقول ما كنت تمبذ فيقول لأدرى فيقال له لا دريت ولا نلت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين

ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول

وأخرجه النسائى أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت أو قال إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر الكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفتح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لأدرى فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثني عليه فتلثم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتبت الى القبر ولما بلغه بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وبيده عودينكت به فى الارض فرقع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تمودوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالم اذا ولو امدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفى رواية يأتية ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى يثبث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وأمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة واقحواله بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مدبصره وان كان الكافر فذكر موته قال فعناد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لأدرى فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لأدرى فيقولان ما هذا الرجل الذى يثبث فيكم فيقول هاهاه لأدرى فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وانفخوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختام فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقبض له أعشى أبكم أصم معه مرزبة من حديد أو ضرب بها جبلا لصارت رابا فيضربه بها ضربة يسمها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح فخرج أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقب عليه وقال استغفروا لاختيم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وحمل

ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت جيدانم نومة العروس يعنى فى القبر اذا سئل عنها

مواقف الفتن وتذل أقدامهم
أول شيء وهم في الآخرة
أمنل وأر. ا. ريفضل الله ما
شاء) ملاءراض عليه في
تثبيت المؤمنين واضلال
الظالمين (المترالى الذين بدلوا
نعمت الله) أى شكر نعمته الله
(كفرا) لان شكرها الذى
وجب عليهم وضعوا مكانه
كفرا مكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا
وهم أهل مكة أكرمهم محمد
عليه السلام فكفروا ونعمة الله
بذل ما لزمهم من الشكر
(وأحلوا قومهم) الذين
تابسومهم على الكفر
(دار البوار) (دار الهلاك

(ويضل الله) يصرف الله
(الظالمين) المشركين عن قول
لا اله الا الله في الدنيا لكي
لا يقولوا بطيبة النفس ولا
في القبر ولا اذا أخرجوا
من القبور وهم أهل
الشقاوة) ويفعل الله
ما يشاء) من الاضلال
والثبوت ويقال من صرف
منكروا تكبير (المتر) ألم تخبر
يا محمد (الى الذين) عن الذين
(بدلوا نعمت الله) غيروا منة
الله بالكتاب والرسل
(كفرا) بالكفر أى كفروا
بمحمد عليه السلام والقرآن
وهم بنو أمية وبنو المغيرة
المطمعون يوم بدر (وأحلوا

الثابت ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الذين ظلوا أنفسهم بالاعتصام على التقليد فلا يثبتون
الى الخلق ولا يثبتون في مواقف الفتن ﴿ ويفضل الله ما يشاء ﴾ من تثبيت به من واضلال
آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴾ أى شكر نعمته
كفرا بان وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا هاسلت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمة وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا
ذلك فقتطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة
موصوفين بالكفرة وعن عمرو على رضى الله تعالى عنهما من الأجران من قريش بنو المغيرة
وبنو أمية فامابنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر واما بنو أمية فتمتوا الى حين ﴿ وأحلوا
قومهم ﴾ الذين تابسومهم في الكفر ﴿ دار البوار ﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر

ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشرتك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه
وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله
وفيه فاذا أنامت فلا تصمى نائمة ولا نار فاذا دفتموتى فشنوا على التراب شنائم أقيموا حول
قبرى قدر ما تنجز ورويقسم لهما حتى استانس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه
مسلم بزيادة طويلة فيد قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في
القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته
على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم ان يكثر من
قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع
حركاته وسكناته فامل الله عز وجل ان يرزقه بركة مواظبته على شهادة الاخلاص
التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله
التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء
قدير ﴿ وقوله تعالى ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين
الى الجواب بالصواب في القبر ﴿ ويفضل الله ما يشاء ﴾ يعنى من التوفيق والخذلان
والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عما يفعل وهم
يسئلون ﴿ قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ﴾ (خ) عن ابن
عباس في قوله ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم
والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمته الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأحلوا
قومهم دار البوار ﴾ قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجزوا
يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأفران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما
بنو المغيرة فقد كفيتهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد تمتوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله
كفرا معناه ان الله تعالى لما أتم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل
عليه كتابه بخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان

قومهم) انزلوا أهل مكة (دار البوار) دار الهلاك يعنى دار بدر ويقال جهنم ثم قال

سر وعلائية والاحب اعلان الواجب واخفاء المنطوع به ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ فينتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يقدي به نفسه ﴿ ولا خلال ﴾ ولا مخاللة فيشفرك خليك أو من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه عباية ولا مخاللة وانما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله تعالى وقراً ابن كثير وابوعرو ويمقوب بالفتح فيهما على النقي العام ﴿ الله الذي خلق السموات والارض ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ تمشون به وهو يشمل المطموم والملبوس مفعول لا يخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لان اخرج في معنى رزق ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ﴾ عشيته الى حيث توجهتم ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ فجعلها ممددة لا انتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء لتعليم

وقيل اراد بالسردقة التطوع وبالغلاية اخراج الزكاة الواجبة ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ قال ابو عبيدة السبع هنا القداء يعني لافداء في ذلك اليوم ﴿ ولا خلال ﴾ يعني ولا خلة وهو المودة والصدقة التي تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يات بها ويقاب عليها فان قلت كيم في الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأنها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا والمنتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله لآثاره ائمة للمؤمنين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة في بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتطاطب الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخاللة في محبته ﴿ قوله عز وجل ﴾ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴿ اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر هنا بعض فوائده الآيات الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يعجزه شيء اراده فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والمراسم يقع على ما يحصل من الشجر وقديقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أنتم وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده تسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جاب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ يعني ذلالها لكم تجرونها حيث شئتم ولما

(من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه عباية ولا مخاللة وانما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله بفهمها مكي وبصري والباقون بالرفع والتثنية (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) وسخر لكم الانهار

وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل ان يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) لافداء فيه (ولا خلال) لا مخاللة للكافر والصالح تنفعه خلته ثم وحد نفسه فقال (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرج به) فانبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقا لكم) طعاما لكم ولسائر الخلق (وسخر) ذلل (لكم الفلك) يعني السفن (لتجري) الفلك (في البحر بأمره) بأذنه وارادته (وسخر) ذلل (لكم الانهار) تجري حيث تشاؤون

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي بدأبان في. يرهما وانارتهما ودرهما الظلمات واصلاح ما يصلحان من الارض { الجزء الثالث عشر } والابدان والنبات ﴿ ٥٣٠ ﴾ (وسخر لكم الليل والنهار

كيفية اتخاذها ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ بدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يتعاقبان لسباتكم ومساخمتكم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقاً بان يسأل لاحتياج الناس اليه مثل أولم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول، وقرئ من كل بالتونين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائلين ﴿ وان تمدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ لا تحصرها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن افرادها فانهما غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ ان الانسان لظلوم ﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها ويظلم نفسه بان يمرضها للحرمان ﴿ كفار ﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة بجمع ويمنع

كان ماء البحر لا ينفع به في سقي الزرع والثمار ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتغيير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من اعظم نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه بدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانما على عباده وتسخيرهم لهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيرهم لهم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها المد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف شيئا كقراءة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى ﴿ وان تمدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا تقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرة ما ﴿ ان الانسان ﴾ قال ابن عباس يريد بأبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر ﴿ لظلوم كفار ﴾ يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم

يتعاقبات خلفه لما سخرتكم) وآتاكم من كل ما سألتموه) من التبويض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو آتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فاموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل تقيكم الحر من كل عن أبي عمرو وما سألتموه نفي وعمله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائلين وما موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانتم سألتموهما وطلبتموه بلسان الحال (وان تمدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يصدوها على الاجال وأما التفصيل فلا يعلم الا الله (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة بجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (وسخر لكم) ذلك لكم (الشمس والقمر دائبين) دائمين الى يوم القيامة (وسخر) ذلك

(لكم الليل والنهار) يحيى ويذهب (وآتاكم) أعطاكم (من كل ما سألتموه) وما لم تحسبوا ان تسألوا (وان تمدوا نعمت) (عليه) الله) منة الله (لا تحصوها) لا تحفظوها ولا تشكروها (ان الانسان) يعني الكافر (لظلوم) مشرك (كفار) كافر بالله وبنيته

﴿ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد ﴾ بلدة مكة ﴿ آمناً ﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمناً ان الاول از الحوف عنه وتصيره آمناً في الثاني جعله من البلاد الآمنة ﴿ واجنبني وبنى ﴾ بعدني واياهم ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ واجعلنا منها في جانب وقرى واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء توفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجابه وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت جبر فحيث ما نصبنا

عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جمود نعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة يجمع وينع ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ﴿ يعني ذا أمن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً ﴿ واجنبني وبنى ﴾ يعني ان نعبد الاصنام ﴿ يعني أبعدني وبنى ﴾ ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا رباً أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم وعلى نبياً أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل رباً أيضاً أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم من ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الحراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصبحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمناً يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تمارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختلف أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله وتخطب الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يجيها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بحكمة وحرمتها

(واذا قال ابراهيم) واذا ذكر
اذا قال ابراهيم (رب اجعل
هذا البلد) أي بلد الحرام
(آمناً) ذا أمن والفرق
بين هذه وبين ما في البقرة
انه قد سأل فيها أن يجعله
من جملة البلدان التي يأمن
أهلها وفي الثاني أن يخرج
من صفة الخوف الى الامن كأنه
قال هو بلد مخوف فاجعله
آمناً (واجنبني) وبعدي
أي تبني وأدمنني على اجتناب
عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين
لك أي ثبتنا على الاسلام
(وبنى) أراد بنيه من صلبه (ان
نعبد الاصنام) من أن نعبد
الاصنام

(واذا قال) وقد قال
(ابراهيم) بعد ما بنى البيت
(رب) يارب (اجعل هذا
البلد) مكة (آمناً) من ان
يهاج فيه ويأمن فيه الحائف
(واجنبني) احفظني (وبنى)
أن نعبد الاصنام) من عبادة
الاصنام واليران ويقال
اعصمني

جُرافهُو بمنزلته ﴿ رب انهن اضلن كثيرا من الناس ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعدت بك من اضلالهن واستناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغيرتهم الحياة الدنيا ﴿ فن تبغى ﴾ على ديني ﴿ فانه مني ﴾ أي بعضي لا ينفك عنى في امر الدين ﴿ ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ تقدر ان تغفر له وترجه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب قلته ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ ربنا انى اسكنت من ذريقتى ﴾ أي بعض ذريقتى فمصدق الموعود

هو اما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاه ابراهيم عليه السلام نفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان سلم أن الله سبحانه وتعالى يصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس و اظهار العجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورجته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبيه من صلبه ولم يبدأ أحد منهم فصاقت الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعوه فكانه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاه الانبياء مستجاب وقد كان من بنيد من عبد الصنم فعلى هذا لوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فن تبغى فانه منى وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى ﴿ رب انهن ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اضلن كثيرا من الناس ﴾ وهذا مجاز لان الاصنام جادات ومجارة لا تعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بسببها أضيف اليها كما تقول فتنهم الدنيا وغيرهم وانما فتوتها وبها واغترتوا بسببها ﴿ فن تبغى فانه منى ﴾ يعنى فن تبغى على ديني واعقادي فانه منى يعنى المتدينين بدينى المتسكين بحبلى كما قال الشاعر اذا حاولت في أسد فحورا ء فانى لست منك ولست منى

أرادولت من المتسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكيمى جار مجراى فى القرب والاختصاص ﴿ ومن عصانى ﴾ يعنى فى غير الدين ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ قال السدى ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصانى فبادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصانى فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يسله الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لابييه وهو يقول ان ذلك غير محذور فلما عرف أنهم غير مغفور لهم اتبرأ منهما والوجه الآخر من عصانى ما قامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترجه بان تغفره من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل خبار عن ابراهيم ﴿ ربنا انى اسكنت من ذرتى

(رب انهن اضلن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسييب لان الناس ضلوا بسببهن فكأن من اضلنهم (فن تبغى) على ملقى وكان حنيفا مسلما مثل (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى) فبادون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصانى عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا انى اسكنت من ذريقتى) بعض أولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه

(رب) يارب (انهن) انهن اضلن كثيرا من الناس) أى اضل بهن كثير من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (فن تبغى) تبغى دينى وأطاعنى (فانه منى) على دينى (ومن عصانى) فخالف دينى (فانك غفور) متجاوز لمن تاب منهم أى يتوب عليهم (رحيم) لمن مات على التوبة (ربنا) ياربنا (انى اسكنت) أنزلت (من ذريقتى) اسمعيل وأمه هاجر

وهم اسمعيل ومن ولده منه فان اسكانه متضمن لاسكالهم ﴿ بواد غيرذى زرع ﴾ يعني وادي مكة قالها جبرية لا نبت ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ الذي حرمته التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما مما تعابه الجيابرة أو منع منه الطوفان فليستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعلمه قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبت لابراهيم عليه السلام فقارت عليهما فولدت منه اسمعيل عليه السلام فنشده ان يخرجهما من عندها فخرجهما الى ارض مكة فظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا نعمة طيورنا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأواهما وعندهما

بواد غيرذى زرع عند بيتك المحرم ﴿ (خ) عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم سمعل اتخذت منطقتين اثرا على ساة ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بهاماه فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا تبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك سرارا وجعل لا تلتفت اليها فقالت الله أمرنا بك هذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غيرذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلظ فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض بليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها ثم سمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاداهي بالملك عند موضع زمزم فبعث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو عور بدم ما تعرف وفي رواية قد مر ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم سمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم رف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فسريت وأرضعت ولدا ما فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بنهه هذا العلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتقا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى صرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا ما ثما فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء اعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجموا فاخبروه فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أما ذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس

(بواد) هو وادي مكة
 (غيرذى زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لما كانه أولاده لم يزل عندهما بكل جبار أولاده محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكهم أولاده حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه

(بواد) في واد (غير ذى زرع) ليس به زرع ولا نبات (عند بيتك المحرم) يعني مكة

عين فقالوا أشركنا في ما أنك لشركك في الباسا ففعلت ﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام
لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البقع من كل مرتفق ومرتق
الاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير الداء وتوسيطه للأشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم مكة والمقصود من الداء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو السماء
لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿ فاجعل أفئدة
من الناس ﴾ أي أفئدة من افئدة الناس ومن للتبويض ولذلك قيل لوقال أفئدة الناس
لازدجت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب منى
سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئدة بخلف عنه بياض بعد الهمزة وقرئ أفئدة وهو
يحمل ان يكون مقلوب أفئدة كأدر في ادور وان يكون اسم فاعل من أفئدت الرحلة
اذا حملت أي جاعة يصجلون نحوهم واعدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيها اخرجها
بين بين ويجوز ان يكون من أفئد ﴿ تهوى اليهم ﴾ تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ

قال النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فزلوا وأرسلوا الى
أهلهم فزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآسهم
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجهاد ابراهيم بد
ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجته البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة ﴿ وأما تفسير الآية فقول ربنا اني أسكنت من ذريتي من التبويض أي
بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بوادي عذري ذرع ليس فيه زرع لانه واديين
جبلين جبل أبي قبيس وجبل احياد وهو وادي مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه
يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجابرة فلم ينالوه بسوء وحرم
العرض له واثاهاون به وبحرمته وجبل ما حوله محرما لكانه وشرفه وقيل لانه حرم على
الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزأرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة
لهم من قبل وسمى عتيقا ايضا لانه أعتق من الجابرة أو من الطومان فان قلت كيف قال عند بيتك
المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما ينادى ابراهيم به بذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه
وأعلمه أن له هاهنا بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطومان وقيل يحتمل
أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علك أنه سيحدث في هذا المكان
﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام في ليقموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي
وهو اسمعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقموا
أو لكي يقموا الصلاة ﴿ فاجعل أفئدة من الناس ﴾ وقال البغوي جمع الوفد ﴿ تهوى
اليهم ﴾ تحن وتشاق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال
ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جاعة من الناس فلها جاع فؤاد قال
ابن الانباري واعما عن القلوب ما لأفئدة تقرب القلب من الفؤاد فيجعل القلب

(ربنا ليقموا الصلوة) اللام
متعلقة بأسكنت أي ما
أسكنتهم هذا الوادي البقع
الاليقموا الصلاة عند بيتك
المحرم ويسروه بذلك
وعبادك (فاجعل أفئدة
من الناس) أفئدة من أفئدة
الناس و من للتبويض لما
روى عن مجاهد لوقال
أفئدة الناس لزا حنك
عليه فارس والروم والترك
والهند أو للابتداء كقولك
القلب منى سقيم تريد قلبي
فكأنه قيل أفئدة ناس
ونكرت المضان اليه في
هذا التمثيل لتكثير أفئدة
لانها في الآية نكرة ليتناول
بعض الافئدة (تهوى اليهم)
تسرع اليهم من البلاد
الشاسمة وتطير نحوهم شوقا
(رشا) يارنا (ليقموا
الصلوة) لكي يتموا
الصلوات نحو الكعبة (فاجعل
أفئدة من الناس) قلوب
بعض الناس (تهوى اليهم)
تشتاق وتزغ اليهم كل سنة

تهوى على البناء للفقول من هوى السواهاوه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب
وتمديته بالي تضمين معنى الزروع ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ مع سكناهم واديا لانبات
فيه ، لهم يشكرون ﴿ تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حراما آمننا
يحيى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والحريفية في يوم
واحد ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴿ تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهرا لعبوديتك
واققرارا الى رحمتك واستعجالا لتبيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد القرقة وما نعلن من
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للبيان في التضرع والرجاء الى الله تعالى
﴿ وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء ﴿ لان العالم بملذاتي يستوى نسبتته

والقواد جارحتين وقال الجوهري القواد القلب والجمع اقعدة فجعلها حارحة
واحدة ولقطة من في قوله من الناس للتبويض قال مجاهد لو قال ائمة الناس لزا حركم
فارس وروم والنزك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس
ولكنه قال ائمة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوى
هوى اذا سقط من علو الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا
يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تعبط
اليهم وتعذر وتزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال
ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن حنين
الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لالاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج
البيت ودعاء لساكن مكة من ذريته بانهم يتفقون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت
فقد حج ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أسرا الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت
بركاته ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ يعنى كما رزقت ساكن القرى ذوات الماء والزروع
فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصّل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد
جلب الثمرات الى مكة بطريق القل والتجارة فهو كقولهم تعالى يحيى اليه ثمرات
كل شئ ﴿ وقوله تعالى ﴿ لهم يشكرون ﴾ يعنى لهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها
عليهم وقيل معناه لهم بوجدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما
هو ليستمان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن ﴾ يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلان علما لا تناوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما
يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك
اظهرا لعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذلا لعزتك واققرارا الى ما عندك وقيل معناه
تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكتها بواد غير ذي ررع وما نعلن
يعنى من البكاء وقيل ما نخفي يعنى من الحزن المتكمن في القاب وما نعلن يعنى ما جرى
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلمنا قال
الى الله قالت اذا لا بضعنا ﴿ وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء ﴾

(وارزقهم من الثمرات)
مع سكناهم واديا ما فيه
شئ منها بان تجلب اليهم من
البلاد الشاسعة (لهم
يشكرون) النعمة في أن
يرزقوا أنواع الثمرات
في واد ليس فيه شجر ولا ماء
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع والرجاء الى الله
(انك تعلم ما نخفي وما نعلن)
تعلم السر كما تعلم العلن (وما
يخفى على الله من شئ في
الارض ولا في السماء) من
كلام الله عز وجل تصديقا
لابراهيم عليه السلام أو من
كلام ابراهيم ومن الاستفراق
كانه قيل وما يخفى على الله

(وارزقهم من الثمرات)
من ألوان الثمرات (لهم
يشكرون) لكي يشكروا
نعمتك (ربنا) يا ربنا (انك
تعلم ما نخفي) من حب اسماعيل
(وما نعلن) من حب اسحق
ويقال ما نخفي من وجد
اسمعيل وما نعلن من الجفاهله
(وه يخفى على الله من شئ)
من عمل خبير او شر
(في الارض ولا في السماء)

شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعيلى واسحق) روى في
 ان اسمعيل وولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة وثقى عشرة سنة وروى آية وولده اسمعيل لاربع
 وستين واسحق تسعين { الجزم الثالث عشر } وانما ذكر حال ﴿ ٥٣٦ ﴾ الكبر لأن المنة بجهة الولد فيها أعظم

الى كل معلوم ومن الاستراق ﴿ الحمد لله الذى وهب لي على الكبر ﴾ أى وهب لي وانما
 كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استظاما للنعمة واطهارا لما فيها من آلائه
 ﴿ اسمعيل واسحق ﴾ روى انه وولده اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثقى
 عشرة سنة ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ أى يجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتده
 وهو من ابنة المبالغة العاملة على الفعل اضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء
 الله تعالى على الجواز وفه اشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهبه سؤاله حين
 ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واحلاها ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ﴾ بمدلالها
 مواظبا عليها ﴿ ومن ذريتى ﴾ عطمت على المنصوب فى اجطنى والتبويض لعله باعلام

هذا من حمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شىء فى كل
 مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله
 وكذلك يفعلون ﴿ الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ﴾ قال ابن
 عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة
 واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسمحق وهو ابن مائة وسبع
 عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من أعظم
 المن لان من اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى
 وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء
 فى وقت واحد وانما بشر باسمحق بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم
 عليه السلام انما أتى هذا الدعاء عند ما بشر باسمحق وذلك أنه لما عظمت المنة عن قلبه
 بجهة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسمعيل
 واسحق ولا يرد على هذا ماورد فى الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل
 وأمه لان الذى صح فى الحديث أنه دعا بقوله ربنا انى أسكتت من ذريتى انى قوله
 لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسمعيل
 واسحق فى وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ كان ابراهيم
 عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله
 دعاه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله
 الذى وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع
 الملك كلام فلان اذا اعتده وقبله ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ﴾ يعنى بمن يقيم الصلاة
 باركانها ويحافظ عليها فى أوقاتها ﴿ ومن ذريتى ﴾ أى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة
 وانما أدخل لفظة من التى هى للتبويض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله ياه انه

لأنها حال وقوع اليأس
 من الولادة والظفر
 بالحاجة على عقب
 اليأس من أجل النعم ولان
 الولادة فى تلك السن العالية
 كانت آية لابراهيم (ان
 ربي لسميع الدعاء) مجيب
 الدعاء من قولك سمع الملك
 كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة
 والقبول ومنه سمع الله
 لمن حده وذن قد دعا ربه
 وسأله الولد فقال رب
 هب لي من الصالحين فشكر
 لله ما أكرمه به من اجابته
 وازافة السميع الى الدعاء
 من اضافة الصفة الى مفعولها
 وأصله لسميع الدعاء وقد
 ذكر سيويه فيلا فى جملة
 ابنية المبالغة العاملة على
 الفعل كقولك هذا رحم
 أباه (رب اجعلنى مقيم الصلاة
 ومن ذريتى) وبض ذريتى
 عطفا على المنصوب فى
 اجطنى وانما بمنى لانه
 علم باعلام الله انه يكون فى
 ذريته كفار عن ابن عباس
 رضى الله عنهما لا يزال
 من ولد ابراهيم ناس على
 القطرة الى أن تقوم الساعة

الحمد لله (الشكر لله) الذى وهب لي على الكبر (الذى وهب لي على الكبر) بعد الكبر (اسمعيل واسحق) وكان ابن مائة سنة واسرائه (عد)

سارة بنت تسع وتسعين سنة حيث ولد هما (ان ربي لسميع الدعاء) مجيب الدعاء (رب) يارب (اجعلنى مقيم الصلاة) تم الصلاة
 (ومن ذريتى) أيضا يقول اكرمنى وأكرم

(ربنا وتقبل دعاء) بإيام في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحزة في الوصل الباقرن بلاياء أي استجب دعائي أو صياحلي . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴿٥٣٧﴾ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ {سورة إبراهيم} أي آدم وحواء أو قاله قبل

النبي واليأس عن إيمان أبيه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي ثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله استنادا مجازيا مثل وأسأل القرية (ولأنحسبن الله ظاملا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لتعير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تقيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله ظاملا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخرو كاجاء في الاسماء يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقبل المراد به الايدان بأنه ظالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون

ذريق باتمام الصلاة (ربنا) باربنا (وتقبل دعائي) عبادتي (ربنا) باربنا (اغفر لي) ذنوبي (ولوالدي) لأبائي المؤمنين (وللمؤمنين) وللسائر المؤمنين والمؤمنات (يوم يقوم

الله أو استغراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كقار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ وقرئ لا بوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء ﴿وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه اهله فحذف المضاف واستناد اليه قيامهم مجازا ﴿ولأنحسبن الله ظاملا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تقيته على ما هو عليه من أنه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد به معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو اكل من توهم

قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلماذا قال ومن ذرتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ﴿ربنا اغفر لي﴾ فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له ؟ قالت المقصود منه الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمة ﴿ولوالدي﴾ فإن قلت كيف استغفر إبراهيم لأبيه وكانا كافرين ؟ قلت أراد انهما ان اسما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعاها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء ﴿وللمؤمنين﴾ يعني واغفر للمؤمنين كلهم ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليفه إبراهيم عليه السلام ففيه إشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ولا تحسبن الله ظاملا عما يعمل الظالمون ﴿الغفلة﴾ معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يمتري الانسان من قلة التحفظ والنقطة وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية المقصود منها أنه سبحانه وتعالى يتقم من الظالم للمظلوم فضه وعبد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يامله معاملة لتأقلم منه بل ينقم ولا يزره مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تساية للمظلوم وتهديد للظالم فإن قال تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله ظاملا عما يعمل الظالمون ؟ قالت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما الشيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحا

الحساب) وم يكن الحساب وتقوم الحسنة (تأوه ١٦٨) والسيئة تزداد له الحسنة وجبت له الجنة ومن زادت له السيئة وجبت له النار ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الاعراف (ولأنحسبن الله ظاملا عما يعمل الظالمون) يقول تارك عقوبه

غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للظلم وتهديد للظالم ﴿ انما يؤخرهم ﴾ يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ﴿ يوم تشخص فيه الابصار ﴾ أى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ماترى ﴿ مهطمين ﴾ مسرعين الى الداعي أو مقبئين بابصارهم لا يظرقون هية وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ لا يرجع اليهم نظروهم ﴿ وأفندتم هواه ﴾ خلا ماى خالية عن الفهم لفرط الخبرة والدهشة ومنه يقال الاحق والجبان قلبه هواه أى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواه وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿ وانذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ يعم، يوم القيامة أو يوم الموت

وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن سبحانه فاملا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه ينقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الخافل عنهم وانكن يماهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والأكبر وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير طارفين بصقات الله فن جوز أن يحسبه فافلا فلهه بصفاته ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطر فهما وشخص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ماترى فى ذلك اليوم ﴿ مهطمين ﴾ قال قتادة مسرعين وهذا قول ابي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الحوف أن يبقى واقفا ما تابين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان احوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فاجبر سبحانه وتعالى انهم مع شخص الابصار يكونون مهطمين ببقى مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الدليل الساكت ﴿ مة مى رؤسهم ﴾ الاقتناع رفع الرأس الى فوق قاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يترك بصره الى الارض قال الحسن وحوه الناس يوم القيامة الى السماء لانظر أحدا الى أحد وهو قوله تعالى ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ أى لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الحوف فهى شاخصة لا ترتد اليهم مشغلهم ما يرايدهم ﴿ وأفندتم هواه ﴾ أى خالية قل قتادة خرحت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا يخرج من أفواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الآية ان أفندتم خالية فارعة لاتي شياً ولا تعقل من شدة الحوف وقال سعيد ابن جببر وأفندتم هواه أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ تاله عن اماكنها وابصار شاخصه والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشده ﴿ وانذر الناس ﴾ يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يوم يأتيهم العذاب

علم (انما يؤخرهم) أى ابصارهم لا تقر فى اماكنها من هول ماترى (مهطمين) مسرعين الى الداعي (مقنى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظروهم فينظروا الى أنفسهم (وأفندتم هواه) صفر من الحير لاتي شياً من الحوف والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصفه قبيلا قلب فلان هواه اذا كان جباناً لا قوة فى قلبه ولا اجراء وقيل جوف لا عقول لهم (وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذا الانذار لا يكون

ما يحمل المشركون (انما يؤخرهم) يؤجلهم (يوم تشخص فيه الابصار) ابصار الكفار وهو يوم القيامة (مهطمين) مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعي (مقنى رؤسهم) مطأطئ رؤسهم ويقال رافعى رؤسهم ويقال مادي أعناقهم (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم ابصارهم من الهول والفرع (وأفندتم) قلوبهم (هواه) خالية من كل خير ويقال لا طائفة ولا خارجة (وانذر

الناس) خوف أهل مكة بالقرآن (يوم يأتيهم العذاب) من يوم يأتيهم العذاب وهو يوم بدر ويقال (مقول)

في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتب الرسل) أي ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد واحد من الزمان قريب نندارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أي حلفتم في الدنيا أنكم اذا متم لا تزلون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جسواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لنيل ما لئمن زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء ﴿ ٥٣٩ ﴾ الملائكة بلا بشرى { سورة ابراهيم } فانهم يسألون يومئذ ان

يؤخرهم ربه الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بني نحو قر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويحوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبى الفوس سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها عاقلى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيمتدوا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمردل عليه الكلام أي

فانه اول ايام عذابهم وهو مقول ثان لانذر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ بالكفر والتكذيب ﴿ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴾ اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب أو اخر آجالنا وإبقنا مقدار ما نؤم من بك ونجيب دعوتك ﴿ نجيب دعوتك وتب الرسل ﴾ جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى أجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزلون بالموث ولعلمهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل أقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزلون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصى كما دعوهم واصل سكن ان بدى بني كفر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوى فيجري مجراه كقوله سكنت الدار ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ بما شاهدونه في منازلهم من آثار ما نزلهم وما تواتر عندهم من اخبارهم ﴿ وضرنا لكم الامثال ﴾ من احوالهم أي يكلمكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل هم التي هي في القرابة كالا مثال

فيقول الذين ظلموا ﴿ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى ﴾ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴿ يعني أمهلنا مدة سيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيفسهم ذلك وهو قوله تعالى ﴿ نجيب دعوتك وتب الرسل ﴾ فاجيبوا بقوله ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ﴾ يعني في دار الدنيا ﴿ مالكم من زوال ﴾ يعني مالكم عن الانتقال ولا يبعث ولا تنشور ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصى ممن كان قبلكم من كفار الامم الحالية كقوم نوح وادعوهم وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا ايهم ﴿ وضرنا لكم الامثال ﴾ يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن لتدروها وتعتبروا بما فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الحالية والقرون

تبين لكم حالهم و(كيف) ليس فاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله (فعلناهم) أي أهلكناهم وانتمننا منهم (وضرنا لكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما فعلهم وهي في القرابة كالا مثال المضروبة لكل ظالم

يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا) باربنا (أخرنا الى أجل قريب) مثل أجل الدنيا (نجيب دعوتك) الى التوحيد (وتب الرسل) نطق الرسل بالاجابة فيقول الله لهم (أولم تكونوا أقسمتم) حلقتم (من قبل) من قبل هذا في الدنيا (مالكم من زوال) من الدنيا ولا يبعث (وسكنتم) نزلتم (في مساكن) في منازل (الذين ظلموا أنفسهم) بالشرك والتكذيب فلم يتعظوا بهلاكهم (وتبين لكم كيف فعلناهم) في الدنيا (وضرنا) بينا (لكم الامثال) في القرآن من كل وجه من الوعد والوعيد والرجة

(وقدمكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فطروه من تأييد الكفر وبطلا
الاسلام (وعندالله مكرهم) { الجزء الثالث عشر } وهو مضاف ﴿ ٥٤٠ ﴾ الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب

المضروبة ﴿ وقدمكروا مكرهم ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لا يبطال الحق وتقرير الباطل
﴿ وعندالله مكرهم ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيم عليه أو عنده ما عكروهم به جزاء
لمكرهم وابطالاله ﴿ وان كان مكرهم ﴾ فى العظم والشدة ﴿ لتزول منه الجبال ﴾ مسوى
لازالة الجبال ومعناها وقيل ان نامية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليحبهم
على ان الجبال مثل لاسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من التثنية والمعنى
الهم مكرهم واليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرايمه وقرأ
الكسائى تزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم

الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف اهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل فى خلاص نفسه من العقاب
والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقدمكروا مكرهم ﴿ اختلفوا فى الضمير الى من يعود فى قوله
وقدمكروا ثقيل يعود الى الذين سكنوا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح
لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقدمكروا كفار قريش الذين
مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا عكركم
الذين كفروا الآية والمعنى وأمنر الناس يا محمد يوم تأتيهم العذاب بمعنى بسبب مكرهم
بك ﴿ وقوله تعالى ﴾ وعندالله مكرهم ﴿ يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت
عندالله ليجازيهم به يوم القيامة ﴿ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ يعنى وان كان
مكرهم لا ضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا ينزل أسر محمد صلى الله
عليه وسلم الذى هو ثابت كسبوت الجبال وقد حكى عن على بن ابي طالب رضى الله
تعالى عنه فى الآية قولا آخر وهو انها نزلت فى عمرو الجبار الذى حاج ابراهيم
فى ربه فقال عمرو ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أتى حتى أصعد الى السماء فاعلم
ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ نابوتا
من خشب وجعله نابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات
أربعا فى أطراف النابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما أحر وقعد هو فى النابوت
وأهدمه رجلا آخر وأسر بالنسور فربطت فى أطراف النابوت من أسفل فجعات
النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى
بعدت فى الهواء فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا
منها ففتح ونظر فقال له بن السماء كهيتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض
كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت
النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال عمرو لصاحبه
افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيتها ومع الباب الاسفل فاذا الارض سوداء
مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه فى النابوت غلام قد جل

عندالله مكرهم فهو مجازيم
عليه بكم هو أعظم منه
أولى المفعول أى وعند
الله مكرهم الذى يكرهم
به وهو عنذابهم الذى يأتيهم
من حيث لا يشعرون
(وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال) بكسر اللام
الاولى ونصب الثانية
والتهدير وان وقع مكرهم
لزوال أسم النبي صلى الله
عليه وسلم فيبر عن أس
النبي عليه السلام بالجبال
لعظم شأنه وكان نامة أو
ان نامية واللام مؤكدة لها
كقوله وما كان الله ليحبهم
والمعنى وعمال أن تزول
الجبال عكروهم على ان الجبال
مثل لا آيات الله وشرايمه
لانها بمنزلة الجبال الراسية
ثباتا وتمكنا دليله قراءة
ابن مسعود وما كان مكرهم
ويفتح اللام الاولى ورفع
الثانية على أى وان كان
مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقطع
عن أماكنها فان مخففة من ان

والعذاب (وقدمكروا
مكرهم) صنعوا صنيعهم
بالتكذيب بالرسول (وعندالله
مكرهم) عقوبة صنيعهم
(وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال) لكي تخزمنه

الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى ويقال وان كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر عمروذ (القوس)
الجبار لتزول من الحلال لتخر من الحلال حيث سمع دوى النابوت والنسور ان قرأت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى

واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله) ﴿ ٥٤١ ﴾ مخلف وعده (سورة ابراهيم) رسله) يعني قوله ان الله

رسلا كتب الله لا تخلفين
أما ورسلي مخلف مقبول
ثان تصبين وأصناف
مخلف الى وعده وهو
المفعول الثانيه والاول
رسله والتقدير مخلف
رسله وعده وانما قدم
المفعول الثاني على الاول
ليعلم انه لا يخلف الوعد
أصلا كقوله ان الله لا يخلف

الميعاد ثم قال رسله لئلا
انه اذا لم يخلف وعده أحدا
فكيف يخلفه رسله الذين
هم خيرته وسفوته (ان
الله عزيز) غالب لا يماكر
(ذواتنقام) لاوليائه من
أعدائه وانتصاب (يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات) على الظرف
للالنتقام أو على اضممار
اذكر والمعنى يوم تبدل
هذه الارض التي تعرفونها
أرضا أخرى غير هذه المعروفة
وتبدل السموات غير

(فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله) رسله بنجاتهم وهلاك
أعدائهم (ان الله عزيز) في
ملكه وسلطانه (ذواتنقام)
ذوقتمه من أعدائه في الدنيا
والآخرة (يوم تبدل
الارض) أى في يوم تغير
الارض (غير الارض) على
حال سوى هذه الحال
وتبديلها ان يزداد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات يجنبه

هو قرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي هو قرى وان كادهم ﴿ فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ﴾ مثل قوله ان الله لا يخلف وعده رسله ﴿ وان كادهم ﴾ ﴿ فلا تحسبن الله
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بان لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذالم يخلف وعده احد وكيف يخلف رسله ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب لا يماكر قادر لا ينافع
﴿ ذواتنقام ﴾ لاوليائه من أعدائه ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴾ بدل من يوم تأتيهم
أو ظرف للانتقام أو مقدر بأذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز ان يتصّب بمخلف لان ما قبل
ان لا يعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدارم بالذنانير وعليه قوله بدلتها جلودا غيرها
وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله بدلت الله

القوس والشباب وأخذمه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة
قذفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم
ملطخا بالدم قال كيف اتاه السماء ثم أمر عمرو صاحبها أن يصب الحشبات الى
أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت التسور بالتابوت فسمت الجبال خفيق التابوت
والتسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت
تزل عن أما كتبها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد
بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل
هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل
الآية البتة ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف
ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه
ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده ﴿ ان الله
عزيز ﴾ أى غالب ﴿ ذواتنقام ﴾ يعنى من أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات ﴿ ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين
أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لاذتبا فاما تبديل الارض فيتغير صفتها
وهيبتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب
أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شئ الاذهب وتمدمم الاديم
وأما تبديل السماء فهو أن تتثركواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها نارة كالدهان
ونارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويبدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل
بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجه في الصحاح العفراء العين المهملة وهي البيضاء
الى حرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الحبز الجيد البياض الفائق المائل الى حرة كان
النارملت بياض وجهها الى الحرة وقوله ليس بها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد
تبدل هيبتها وزوال جبالها وجميع بناتها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل

وتبديلها ان يزداد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات يجنبه

سيتأتم حسنات والآية تحتملهما وعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل أرضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض
بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الأرض
وأعاقير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه
وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتعمد الأديم الكاظمي لا ترى فيها عوجا
ولامتناه واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبدل أرضا وسماء على
الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما شعر به

ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبدل فقال
ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها
دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة
والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبدل بأن تصير الأرض نيرانا والسماء
جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما
يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزول فبضم النون
والزاء ويجوز اسكان الزاء وهو ما يمد للضيق عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء
وقال أهل اللغة هي الطلعة التي توضع في الملة يتكفؤها بالهمز بيده أي يميلها من يد
إلى يد حتى تجتمع وتسوى لأنها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد
في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كذلك شيء
ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى يجعل الأرض كالطلعة أي الرغيف العظيم وتكون
طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير. فإن قلت إذا فسرت التبدل بما ذكرت
فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل
ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما
تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها كما
بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
فأين يكون الناس يومئذ برسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن
حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض
غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين
دليل على أن تبدل الأرض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بما راده وأسرار

السموات وإنما حذف
لدلالة ما قبله عليه والتبديل
التنوير وقد يكون في الدوات
كقولك بدلت الدارهم
دنانير وفي الأوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما
إذا أذبتها وسوتها خاتما
فقلتها من شكل إلى شكل
واختلف في تبديل الأرض
والسموات فقيل تبدل
أوصافها وتسير عن الأرض
جبالها وتفجير بحارها
وتسوى فلا ترى فيها عوجا
ولأمتنا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي تلك
الأرض وأعاقير وتبدل
السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها
أبوابا وقيل تخلق بدلها
أرض وسموات أخرى وعن
ابن مسعود رضي الله عنه
يحشر الناس على أرض
بيضاء لم يخطئ عليها أحد
خطيئة وعن علي رضي الله
عنه تبدل أرضا من
فضة وسموات من ذهب

وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلابه
 ايضال فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ يوم القيامة) مقرنين (قرن
 معهم مع بعض أومع الشياطين ﴿٥٤٣﴾ أو قرنت أيديهم {سورة ابراهيم} الى أرجلهم مثلين (في

الاصفاد) متعلق بمقرنين
 أي يقرون في الاصفاد
 أو غير متعلق به والمعنى
 مقرنين مصفدين والاصفاد
 القيود والاعلال (سرايلهم)
 قصصهم (من قطران) هو
 ما يتصلب من شجر يسمى
 الابل فيطبخ فيها به الابل
 الجري فيحرق الجرب بحدته
 وحره ومن شأنه أن يسرع
 فيه اشتعال النار وهو أسود
 اللون منتن الريح فيطلى به
 جلود أهل النار حتى يموت
 طلاؤه لهم كالسرايل ليجمع
 عليهم لدغ القطران وحرقة
 واسراع النار في جلودهم
 واللون الوحش ومنتن الريح
 على ان التفاوت بين
 القطراتين كالتفاوت بين
 النارين وكل ما عده الله
 أو أوعده به في الآخرة فيبينه
 وبين ما شاهد من جنسه
 ما لا يقادر قدره وكأنه
 ما عندنا منه الا الاسمي
 والسميات ثمة نعموذ بالله
 من سخطه وعذابه من
 قطران زيد عن يعقوب
 نحاس مذاب بلغ حرمانه

قوله تعالى كاذان كتاب الابرار افي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين ﴿وبرزوا﴾
 من اجدانهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة
 على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر
 اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجبار ﴿وترى المجرمين
 يومئذ مقرنين﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله
 تعالى واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة
 والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاعلال وهو يحتمل ان يكون
 تمثيلا لما أخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم ﴿في الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أو حال
 من ضميره والصفد القيود قيل التل قال سلامة بن جندل

وزيد الخليل قد لاقى صفادا بعض يساعده وبعض ساق

واصله الشد ﴿سرايلهم﴾ قصصهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لعتين فيه وهو
 ما يتصلب من الابل فيطبخ فيها به الابل الجري فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل
 فيه النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقصص عليهم لدغ
 القطران ووحشة لونه ومنتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطراتين
 كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بمجهر النفس من الملكات الرديئة

كتابه ﴿وقوله تعالى ﴿وبرزوا﴾ يعني وخرجوا من قبورهم ﴿لله﴾ يعني لحكم الله
 والوقوف بين يديه للحساب ﴿الواحد القهار﴾ صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له
 ولا شريك معه المتزه عن التشبه والضعف والند والقهار الطالب الذي يقهر عباده على
 ما يريد ويقبل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿قوله تعالى ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾
 يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط
 واحد ﴿في الاصفاد﴾ يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع
 شيطانه في سلسلة وقال ابو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي
 القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض ﴿سرايلهم﴾ يعني قصصهم واحدها
 سرايل وقيل السرايل كل ما ليس ﴿من قطران﴾ القطران دهن يتصلب من شجر الابل
 والمرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هأت البعير
 أهؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم قطران سرايل لانه يبالغ
 في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك القدر ولكنه حذرهم
 بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على اثنين منوتين فالقطر النحاس المذاب

(وبرزوا لله) خرجوا وظهروا لله (الواحد القهار) خلقه بالموت (وترى المجرمين) المشركين (يومئذ) يوم القيامة
 مسلسلين (مقرنين) ويقال مقيدين (في الاصفاد) في القيود مع الشياطين (سرايلهم) قصصهم (من قطران) من نار سوداء
 كالقطران ويقال من قطر آن

(وتعشى وجوههم النار) تملوها باشتغالها وتحسن الوجه لانه امر موعظ في ظاهر البدن كالقلب في بطنه ولذا قال تطلع
 الامثلة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يفعل بالجرمين ما يشمل ليجزى كل نفس جرمته ما كسبت أو كما
 نفس جرمته أو مطيعة لانه { الجزء الثالث عشر } إذا طاب ﴿ ٥٤٤ ﴾ الجرمين لاجرامهم علم انه يشد

المؤمنين بطاعتهم (ان الله
 سريع الحساب) يحاسب
 جميع العباد في أسرع
 من لمح البصر (هذا) أى
 ما وصفه في قوله ولا تحسبن
 الى قوله سريع الحساب
 (بلاغ للناس) كفاية في
 التذكير والموعظة
 (ولينذروا) بهذا البلاغ
 وهو مطوف على محذوف
 أى لينصروا ولينذروا
 (وليعلموا) اعماله الواحد
 لانهم اذا حقوا ما أنذروا
 به عنهم دعهم الخافة الى الطر
 حتى يتوصلوا الى الوحيد
 لان الحشبة أم الخير كله
 (وليذكر أولوالالاباب)
 ذوو العقول •

والهيات الوحشة فيجب اليها انواعا من العموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر
 الحساس أو الصفر المذاب والآتى المتأخر حره والجللة حال ثانية أو حل من الضعيف مقرنين
 ﴿ وتعشى وجوههم النار ﴾ وتتشأها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في
 تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كاطلع على افتداتهم لانها فارغة عن
 المعرفة مملوءة بالجبهالات ونظيره قوله أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله
 تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴿ ليجزى الله كل نفس ﴾ أى يفعل بهم ذلك
 ليجزى كل نفس جرمته ﴿ ما كسبت ﴾ أو كل نفس من جرمته أو مطيعة لانه اذا بين ان
 الجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعبدون لذلك ان علق اللام ببرزوا
 ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لانه لا يشغله حساب عن حساب ﴿ هذا ﴾ اشارة الى القرآن
 أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿ بلاغ للناس ﴾
 كفاية لهم في الموعظة ﴿ ولينذروا به ﴾ عطف على محذوف أى لينصروا لينذروا بهذا البلاغ
 فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل أو تلى • وقرئ
 بفتح الياء من نذره اذا علمه واستعمله ﴿ وليعلموا أعماله واحد ﴾ بالظن والتأمل
 فيما فيه من الآيات الدلالة عليه والمنبهة على ما يدل عليه ﴿ وليذكر أولوالالاباب ﴾ فيرتدعوا
 عما يرد بهم ويتدبروا عما يحظيهم • واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد
 هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي
 منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من
 الفائزين بها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر
 عشر حسبات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

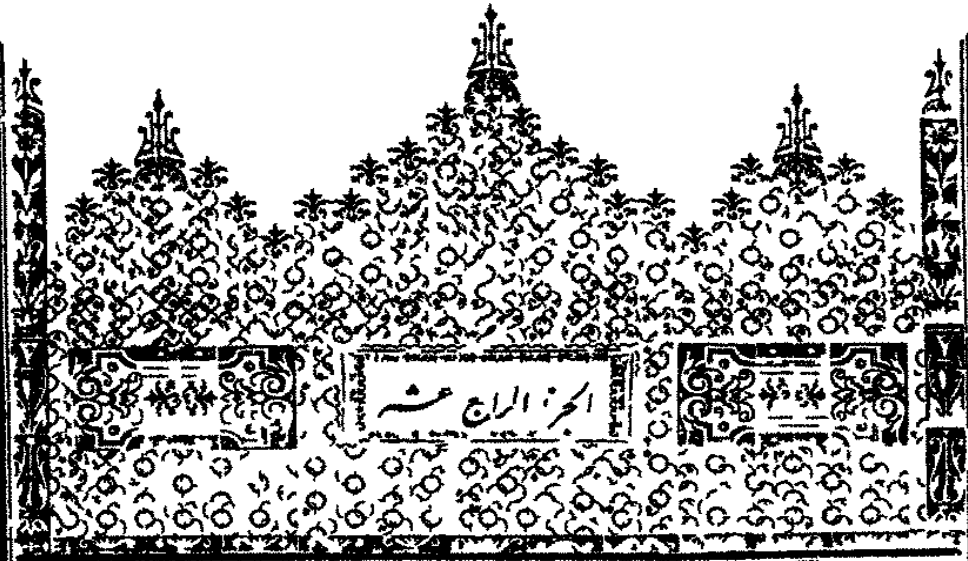
من صفر حار قد انتهى حره
 (وتعشى) تملو) وجوههم
 النار ليجزى الله) وهذا
 مقدم ومؤخر بقول ورزوا
 لله الواحد القهار ليجزى الله
 (كل نفس) مرة أو فاجرة
 (ما كسبت) من الخير والشر
 (ان الله سريع الحساب)
 شديد العقاب ويقال اذا

والآر الذي انتهى حره ﴿ وتعشى وجوههم النار ﴾ يعنى تملوها ونجملها ﴿ ليجزى الله
 كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خبر أوشر ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حسب
 عباده يوم القيامة ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس
 ﴿ ولينذروا به ﴾ يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره ﴿ وليعلموا أعماله
 واحد ﴾ يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿ وليذكر
 أولوالالاباب ﴾ يعنى وليتعتظ بهذا القرآن وما فيه من الموعظ أولوالعقول والافهام
 الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

حاسب فحسابه سريع (هذا بلاغ للناس) أبنتهم عن الله ويقال بيان لهم بالامر والنهي والوعود والوعيد والحلال والحرام
 (ولينذروا به) كى يخوفوا بالامر أن (وليعلموا) كى يعلموا وقرأوا (اعماله الواحد) بلاولاد ولا شريك (وليذكر) واكى
 يتعظ بالقرآن (أولوالالاباب) ذوو العقول من الناس

(قوله وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخ) هذا الحديث رواه ابن مردويه والتطلي والواحدى وهو موضوع ايضا كما ذكره الراوى رحمه الله تعالى

(قَاوْخَا ٦٩ لث)



اللهم يا مقبب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أرثلك آيات الكتاب وقرآن مبین ﴿ الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتكبيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآن مبین الرشده

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله - محانه وتعالى ﴿ أرثلك آيات الكتاب وقرآن مبین ﴿ ملك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبین الكتاب الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتكبير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكمال في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قل الكتاب الجامع للكمال والغرابة ، السان وقل أراد ما آتت التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف على المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجرلا راءه والاولا يدل ذكر حرفي ، ما اليهما وعلى المراد بالكتاب القرآن وانما جهما بوصفين واركان لموصوف واحد لما في ذلك من الفائدة وعم التفخيم والتميم والابن الذي سين الحلال من ارا والحلة

سورة الحجر تسع

وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(أرثلك آيات الكتاب

وقرآن مبین) تلك إشارة

إلى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب

والقرآن المبین السورة

وتكبير القرآن للتفخيم

والمعنى تلك آيات الكتاب

الكامل في كونه كتابا وأي

قرآن مبین كأنه قيل الكتاب

الجامع للكمال والغرابة في

ومن السورة التي يذكر

فيها الحجر وهو كلها مكية

وكلمها تسعون حرفا

وأربع وحروفها ألفان

وسبعمائة وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

واسناده عن ابن عباس في

قوله - لي (أر) يقول ما لله

أرى ويقال قسم أسم بالالف

واللام والراء (تلك آيات

الكتاب) ان هذه السورة

آيات الكتاب (مرآ مبین

يقول واقسم بالقرآن المیر

بالحلال والحرام والاسر

تصرف بجر ما بعده ويختص
بالاسم التكره فاذا كتف
وقع بعدها الفعل الماضى
والاسم وانما جاز (بودالدين
كبروا) لان المترقب فى
أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى
المقطوع به فى تحققه فكانه
قيل ربما ودوا واداتهم
تكون عند التبع أو يوم
القيامة اذا طابوا حالهم
وحال المسلمين أو اذاروا
المسلمين يخرجون من النار
فيتقى الكافر لو كان مسلما
كداروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما (لو كانوا
مسلمين) حكاية واداتهم
واعاصى ما على لفظ القية
لاهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليقبلن ولو قيل
حلف بالله لامان ولو كنا
مسلمين لكان حسا وانما
قلل رب لان أهوال القيامة
تسلبهم عن التمسى فاذا أقروا
والتمى (ربما بود) يتمنى
(الدين كفروا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
(لو يواسلمين) فى الدنيا
يقول ربما أنى على الكافرين
يوم يتمنى أنه كان مسلما
ولهذا كان القسم وذلك اذا
أخرج الله من النار من كان
مؤمنا مخلصا بآيمانه وأدخله
الحنة فمن ذلك يتمنى الكافر
أنه كان مسلما فى الدنيا

من التمسى بآيمانه ﴿ ربما بودالدين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين ما ينووا حال المسلمين
عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وفرا مانع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالفتح والتخفيف ومما عمل لغات ضم الراء وقسمه مع التشديد والتخفيف وبناء الأيت
ودونها وما كافة تكفه عن الجبر فيجوز دخوله على الفعل وحققه ان يدخل الماضى لكن لما
كان المترقب فى أخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه أجرى مجراه وقيل ما تكرر موصوفة كقوله
ربما تكرر النفوس من الامة رله مرجة كحل المقال
ومعنى التقليل فيه الايدان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة الحرى ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات
تمنوا ذلك والتمنى فى حكاية

من الباطل ﴿ ربما ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب لا قليل وكم للتكثير
واعاصى زيدت مامع رب ليلىا الفعل تقول رب رجل جاءنى وربما جاءنى زيد وان شئت
جملت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ ﴿ بودالدين كفروا ﴾
وقيل ماى ربما معنى حين أى رب حين يودىنى يتمنى الذين كفروا لان التمسى هو تشهى حبه ل
ما يوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا ﴿ بودالدين كفروا ﴾ على
قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فيحينئذ يعلم الكافرانه
كان على الصلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينعمه ذلك التمسى قال الصحاح هو عند
حالة المعاينة والهلول الثانى ان هذا التمسى يكون فى الآخرة وذلك حين يمانون أهوال
يوم القيامة وشدائمه ومانصرون اليه من العذاب فيحينئذ يتمنى الكافر لو كانوا
مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من
أحوال المسلم ودلو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع
بعضهم فى بعض حتى يقول من كل من المسلمين فليدخل الجنة فيحينئذ يود الدين كفروا
لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمسى حين يخرج الله المؤمن من النار يخرج
أبى موسى الاشعري عن السى صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار فى النار
ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة أستم مسلمين
قالوا بلى قالوا ما أعنى عنكم اسلامكم وأتمم ما فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا
بها فيضرها الله لهم بفصل رحته فأمر الله بكل من كان من أهل القبلة فى النار يخرجون
سها فيحينئذ يودالدين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره العموى بن سعد وكذا ذكره ابن
الحوزى وقال اليه ذهب ابن عباس فى رواية عنه وأسن بن مالك ومجاهد وعطاء
وأبو العالية وابراهيم بنى التمسى فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا
لو كانوا مسلمين يكر يوم القيامة فكيف قال ربما يودالدين كفروا لو كانوا مسلمين
قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستدم على فطك
وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون فى تدمه ولا يقصدون تقليله وانهم أرادوا
لو كان الدم مشكوكا فيه أو كان قللا لحق عليك أن لاتفعل هذا الفعل لان العقلاء

من سكرات العذاب ودوا وكانوا مسلمين وقول من قال ان رب يفي بها الكثرة سهو لانه ضد ما يرفع أهل اللغة لانه وضعت للتقليل (ذرهم) أسرا هانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعمهم عن النهي عما هم عليه والعسد عنه بالتذكر والنصيحة وغلهم (يأكلوا) الجزء الرابع عشر { ويتمتعوا) بديانهم ﴿ ٥٤٨ ﴾ (ويلههم الامل) ويشغلهم

ودادتهم كالتبعية في قولك حلف بالله ليقعلن ﴿ ذرهم ﴾ دعمهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بديانهم ﴿ ويلههم الامل ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستمداد للمعاد ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيتهم اذا طابوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ارعوائهم وايضا انه باهم من أهل الحدلان وان نعمهم بعد اشتغال عمالا طال تحتهم وفيه الزام للصحة وتحذير عن ايثار التتم وما يؤدى اليه طول الامل ﴿ وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الالهام نذرون ولكن لما شابهت صورتها سورة الحال ادخلت عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف ﴿ ما تسبق من امة أجلها وما يستأخرون ﴾ أى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للمحمل على المعنى

يتحززون من التعرض للغم المظنون كما تحززون من المتيقن ومن القليل منه كما تحززون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه بكفكك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يحظر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الاعلى الماضى فكيف قال ربما يود وهو فى المستقبل • قلت لان المنزب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه كانه قال ربما يود • قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ يعنى دع بما يجد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ﴿ ويلههم الامل ﴾ يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ يعنى اذا وردوا القسامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر ففى هنا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفى الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتتم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ﴿ وما اهلكنا من قرية ﴾ يعنى من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال ﴿ الا ولها كتاب معلوم ﴾ أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يماخر عه ولا يأتى بهم الا فى الوقت الذى حدلهم فى اللوح المحفوظ ﴿ ما تسبق من امة أجلها ﴾ من زائدة فى قوله من امة كقولك ما جاءنى من أحد يعنى أحد وقبل هى على أصابها لانها تقيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم النفي أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يستأخرون ﴾ وانما أدخل الهاء فى

أملهم وأمانهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيتهم وفيه تبيين على أن ايثار التلذذ والتتم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا توسط الواو بينهما كماى وما اهلكنا من قرية الالهام نذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا لصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجى بالواو تأكيداً لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً لقرية لكونها فى حكم الموصوفة كأنه قيل وما اهلكنا قرية من القرى لاوصفاً وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين الاثرى الى قوله (ما تسبق من امة أجلها) فى موضع كتابها (وما يستأخرون) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنث الامة أولا (ذرهم) أتركهم بما يجد (يأكلوا) بلاجة ولاهمة ما فى القدر (ويتمتعوا) يعيشوا

فى الكفر والحرام (ويلههم الامل) ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (أجلها) عند الموت وفى القبر ويوم القيامة ماذا يفضلهم (وما اهلكنا من قرية) من أهل قرية (الا ولها كتاب معلوم) فيه أجل معلوم مؤقت لهلاكهم (ما تسبق من امة أجلها) يقول لا تموت ولا تهلك امة قبل أجلها (وما يستأخرون) ولا تؤخر امة عن أجلها

ثم ذكرها آخرها جلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لجنون) يعنون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسونه الى الجنون ﴿٥٤٩﴾ والتعكيس في كلامهم للاستهزاء {سورة الحجر} والهمك سائغ ومنه فيبشرهم

بغذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لوركت مع لا وما لامتناع الكفر لوجود غيره أو للتخصيص وهل ركت مع لا للتخصيص فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة لعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (مان نزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أي تنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) القرآن

(وقالوا) عبدالله بن أمية المخزومي وأصحابه لمحمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر)

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ ما دوا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على التهمك الأتري الى ما نادوه له وهو قولهم ﴿انك لجنون﴾ وتظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر وهو القرآن ﴿لوما تأتينا﴾ ركب لومع ما كركب مع لالمتنين امتناع الشيء لوجود غيره والتخصيص ﴿بالملائكة﴾ ليصدقون ويحسدون على الدعوة كقوله لولا نزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما ات الامم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿ما ينزل الملائكة﴾ بالياء ونصب الملائكة على ان الضمير لله تعالى هو قرأ اجزة والكسائي وحقق بالنون وابوبكر بالياء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تنزل ﴿الابالحق﴾ الاتزيلة ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واتنضه حكمته ولا حكمة في ان تأتكم بصوره تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في ما جلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتاله بالايان وقيل الحق الوحي أو العذاب ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

أجلها لارادة الامتة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني القرآن وأرادوا به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿انك لجنون﴾ انا نسوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الشيء فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فرعنا سبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأن هذا القرآن العظيم أنكره ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الا تهراء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعقاده واعقاد أصحابه وأبشاعه نك لجنون في ادعائك الرسالة ﴿لوما﴾ قال الزجاج والقراء لوما ولو لا اصار ومساها هلا يعني هلا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعني في قولك وادعائك الرسالة ﴿ما نزل الملائكة الا بالحق﴾ بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ يعني انزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا نزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه

جبريل بالقرآن بزعمك (انك لجنون) تخنتق (لوما تأتينا) هلا تأتينا (بالملائكة) من السماء فيشهدوا لك انك رسول الله (ان كنت من الصادقين) في مقالته قال الله (ما نزل الملائكة) من السماء (الابالحق) بالهلاك وقبض ارواحهم (وما كانوا اذا منظرين) مؤجلين اذا نزلت عليهم الملائكة (انا نحن نزلنا الذكر) جبريل

(واناله لحافظون) وهو رد { الجزء الرابع عشر } لانكارهم ﴿ ٥٥٠ ﴾ واستهزأهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه

وقرره بقوله ﴿ واناله لحافظون ﴾ أي من التحريف والزيادة والنقص بإن جعلناه مجزا
مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تعبير نظمه على أهل اللسان أو تفرق الخلل اليه
في الدوام بضمان الحفظ له كأنني ان يطعن فيه بأنه المنزله وقيل الضمير في له للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين ﴾ في فرقهم جمع
شيعه وهي الفرقة المتفق على طريق ومذهب من شاعه اذ اتبعه واصله الشيعاء وهو
الخطب الصغار توعد به الكبار والمعنى نبأنا رجلا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ واناله لحافظون ﴾ الضمير وله يرجع
الى الذكر يعنى وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه
والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة
وهذا يختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف
والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا على الابد
عروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله
عليه وسلم يعنى وانا لمحمد لحافظون من أراد به سوء فهو كقوله تعالى والله بصمك من الناس
ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما لان القول الاول
أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور
أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختل في كيفية
حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جمله مجزا بافيا مابينا لكلام البشر
فبجر الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير
نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلو اضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله
حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز
الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراشدين يحفظونه
ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعى جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله
وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد أرسلنا من قبلك
في شيع الاولين ﴿ لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة
وهو قولهم انك لجنون وأساؤا الادب عايه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر
على أذى قومك بجميع الانبياء فيه تساية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فمحذوف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه
وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلهم وقال القراء
الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله

الذكر ولذلك قال انما نحن
فاكد عليهم انه هو المنزل
على القطع وانه هو الذي
نزله محفوظا من الشياطين
وهو حافظه في كل وقت
من الزيادة والنقصان
والتحريف والتبديل بخلاف
الكتب المقدمة فانه لم
يتحول حفظها وانما
استحفظها الربانيين و
الاجبار فاختلفوا فيما بينهم
بنيها فوق التحريف ولم
يكل القرآن الى غير حفظه
وقد جعل قوله واناله
لحافظون دليلا على انه
مقول من عنده آية اذ لو
كان من قول البشر أو غير
آية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما تطرق على
كل كلام سواه أو الضمير
في له لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كقوله والله بصمك
(ولقد أرسلنا من قبلك في
شيع الاولين) أي ولقد
أرسلنا من قبلك رسلا في
الفرق الاولين والشيعه
الفرقة اذا اتفقوا على
بالقرآن (واناله) للقرآن
(لحافظون) من الشياطين
حتى لا يزيدوا فيه ولا
ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه
ويقال اناله لمحمد صلى الله
عليه وسلم لحافظون من

(في شيع)

الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (في شيع الاولين) في فرق

مذهب وطريقة (وماياتهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ما مضى الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا يستهزؤن) ﴿ ٥٥١ ﴾ يرمى بيده عليه { سورة الحجر } السلام (كذلك نسلكه

في قلوب المجرمين) أى كما
سلكنا الكفر أو الاستهزاء
في شيع الاولين نسلكه أى
الكفر أو الاستهزاء في قلوب
المجرمين من أمتك في اختيار
ذلك يقال سلكت الخيط في
الابرة وأسلكتها اذا دخلته
فيها وهو حجة على المعتزلة
في الاصلح وخلق الاصلح
(لا يؤمنون به) بالله أو
بالذکر وهو حال (وقد دخلت
سنة الاولين) مضت طريقهم

التي سنها الله في اهلاكهم
حين كذبوا رسوله وهو وعيد
لاهل مكة على تكذيبهم
(ولو قهنا عليهم بايمان
السماء) واو أظهرنا لهم
أوضح آية وهو وقع باب
من السماء (فظفوا فيه
يرجعون) يصعدون

الاولين (وماياتهم من رسول)
مرسل اليهم (الا كانوا به)
بالرسل (يستهزؤن) يستخرون
(كذلك) هكذا (نسلكه)
ترك التكذيب (في قلوب
المجرمين) المشركين (لا
يؤمنون به) لكي لا يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن ونزول العذاب
عليهم (وقد دخلت) مضت
(سنة الاولين) سيرة

﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا يستهزؤن ﴾ كما قبل هؤلاء وهو تسليية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومالهال لا تدخل الامضار ما بمعناه أو ما ضايقه بامنه هذا على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذکر فان الضمير الآخر في قوله ﴿ لا يؤمنون به ﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذکر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذا يلزم من تماقب الضمائر توافقها في الرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ أى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاكهم من كذب الرسل منهم فيكون وعيد الاهل مكة ﴿ ولو قهنا عليهم ﴾ على هؤلاء المقترحين ﴿ يا ايمان السماء فظفوا فيه يرجعون ﴾ يصعدون اليها

في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا يستهزؤن ﴾ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴿ السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أى ندخله في قلوب المجرمين يعنى مشركي مكة وفيه رد على القدريية والمعتزلة وهى أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أى كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجز للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء ككفر وضلال قنبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى ﴿ لا يؤمنون به ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب ﴿ ولو قهنا عليهم ﴾ يا ايمان السماء فظفوا فيه يرجعون ﴿ يعنى ولو قهنا على هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا نينا بالملائكة يا ايمان السماء فظفوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا

الاولين يتكذب الرسل كما كذبك قومك ومضت سيرة الله فيهم بالعذاب والهلال من الله لهم عند التكذيب (ولو قهنا عليهم)
على اهل مكة (يا ايمان السماء) يدخلون فيه (فظفوا فيه) فصاروا فيه (يرجعون) يصعدون وينزلون يعنى كالملائكة

صبرت أو جست من الابصار
من السكر أو من السكر سكرت
مكى أى حبست كما يحبس
النهر من الجرى المعنى ان هؤلاء
المشركين بلغ من غلوهم
فى العناد ان لوقع لهم باب
من أبواب السماء ويسر
لهم معراج يصعدون فيه
اليهاور أو امن الصان مارأوا
لقالوا هو شئ نغايه
لاحقيقة له وقلالوا (بل
نحن قوم مسحورون) قد
سحرنا محمد بذلك أو الضمير
للملائكة أى لو أريناهم
الملائكة يصعدون فى السماء
عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم
بالتبار ليكونوا مستوحشين
لما يرون وقال انما ليدل
على أنهم يتنون القول بان
ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
(ولقد جعلنا فى السماء)
خلفنا فيها (روجا) نجوما
أو قصورا فيها الحرس أو
منازل للنجوم (وزيناهما)
أى السماء

(لقالوا) كفار مكة (انما
سكرت ابصارنا) أخذت
أعيننا (بل نحن قوم
مسحورون) مغلوبو العقل
قد سحرنا (ولقد جعلنا فى
السماء روجا) قصورا ويقال
نجوما وهى النجوم التى
يبتدى بها فى ظلمات البر والبحر
(وزيناهما) يعنى السماء

ويرون عجايبها طول نهارهم مستوحشين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا)
من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار
بالسحر من السكر ويندل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويندل عليه قراءة
من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور
فيه من الآيات وفى كلتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يروونه لاحقيقة له
بل هو باطل خيل ما خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء روجا) أى عشر
مختلفة الهيئات وانحواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناهما)

فصله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يرجون
يعنى يصعدون والمعارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فقلوا فيه يرجون قولان
أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار
هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى
أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك
الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم
ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس
سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو
من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع
للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصارنا
وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن
النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل
الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة
فيروهم عينا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه
عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة قوله سبحانه وتعالى
(ولقد جعلنا فى السماء روجا) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها
برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه
البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل وقد تقدم
ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين
درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تم دورة
الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد
بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس
وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم النظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه
البروج وهى نجوم على ما صورت به وسبب وأصل هذا كله من الظهور (وزيناهما)

بالاشكال والهيآت البية ﴿ للناظرين ﴾ المتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ فلا يقدران يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها ﴿ الامن استرق السمع ﴾ بناء من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سراشبهه خطقتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقبل فيه تكونا قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن من استرق السمع ﴿ فأتبعه ﴾ فأتبعه ولحقه ﴿ شهاب مبین ﴾ ظاهر

(الناظرين وحفظناها)
أى السماء (من كل شيطان
رجيم) ملعون أو حرمى
بالنجوم (الامن استرق
السمع) أى المسموع ومن
في عمل النصب على الاستثناء
(فأتبعه شهاب) نجم
ينقض فيسود (مبين)
ظاهر للمبصرين قبل كانوا
لا يحجبون عن السموات
كلها فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من
السموات كلها

يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿ للناظرين ﴾ يعنى المتبرين المستدلين بها على توحيدخالقها وصانعها وهو الله الذى أوحد كل شئ وخلقه وصوره ﴿ وحفظناها ﴾ يعنى السماء ﴿ من كل شيطان رجيم ﴾ أى مرجوم فبيل بمعنى مقبول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بإخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فاستمعوا من أحد يريد أن يسترق السمع الارمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدثت في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث ﴿ الامن استرق السمع ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع ﴿ فأتبعه ﴾ أى لحقه ﴿ شهاب مبین ﴾ والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس فى قوله الامن استرق السمع يريد انخلطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تحطى أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تحببه فيصير غولا يضل الناس فى البوادي (خ) عن أنى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجتمعتا خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم قوة، بعضى ووصف سفیان بكفه فحرفها وبددين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم ياتيها الآخر الى من تحته حتى يلقىها على اسان الساحر أو الكاهن فرمما أدركه الشهاب قبل أن يلقىها ورعا ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

بالكواكب (للناظرين)
الياهو النجوم التى زينت
بها السماء (وحفظناها من كل
شيطان رجيم) ملعون
مطرود بالنجوم التى يزجرون
بها عن استماع الملائكة يعنى
الشياطين (الامن استرق
السمع) الامن احساس خلصة
(فأتبعه شهاب مبین) بلحقه
نجم مضى حارم وقد

فصل

اختاب العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل بعث رسول الله صلى الله عليه

للبصريين كالزينة والشهاب شملة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والستار لما فيهما من البرق
وسلم أم لا على قولين ، أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بده أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم
ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه
في طائفة من أصحابه حامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في العصمين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا
الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بمث حدث هذا الرمى وبعضه
ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع للرمى بالنجوم
هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علاج
وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى
ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء
من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طى
الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا
لامر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على أنها كانت بعد مولد النبي صلى الله
عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد صلى الله تعالى عليه وسلم استعملت
الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في أثر عقربة • مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما
بمث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال
نعم قلت أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها
حين بمث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس
قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينما هم جلوس
ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة
رجل عظيم أومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها
لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سيج حلة العرش ثم سيج أهل
السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حلة العرش حلة
العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ
الجبر هذه السماء الدنيا فتخطب الجن السمع فيقذفونه الى أولياهم ويرمون فاجاؤا به
على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة
ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا

﴿ والارض مددناها ﴾ بسطانها ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وأنبثنا فيها ﴾ في الارض أوفياء وفي الجبال ﴿ من كل شيء ﴾ موزون ﴿ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر اوله يؤزن في ابواب النعمة والمنفعة ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ تمشون بها من المطاعم والملابس

وجدنا الشعر القديم قاله بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالسير يرهقها القبار وجسمها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدرى يتبعه • نقع يثور تغاله طنباً

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجوداً قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لآخبار القيوم والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والارض مددناها ﴿ يعنى بسطانها على وجه الماء كما يقال انها حيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المصور منها واعتدروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لآخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ يعنى جبالاً ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادته ورجفت فأثبتها بالجبال ﴿ وأنبثنا فيها ﴾ أى في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور وقوله تعالى ﴿ من كل شيء ﴾ موزون ﴿ وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أى معلوم وقال مجاهد وعكرمة أى مقدور على هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازاً لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيدانه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذ كان متناسياً حسناً بعيداً من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نومان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني البات وبعضه موزون أيضاً وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس

من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الارض جبالاً ثوابت (وأنبثنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لاصح فيه زيادة ولا نقصان أوله ووزن وقدر في أبواب النعمة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والرصاص والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانه الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) في الارض (معايش) ما يعيش به من المطاعم جمع معيشة وهى بياض صريحة بخلاف الخبثات ونحوها فان تصريح الياه فيها خطأ

(والارض مددناها) بسطانها على الماء (وألقينا فيها) على الارض (رواسي) جبالاً ثوابت أو تادالها) وانبثنا فيها) في الجبال ويقال في الارض (من كل شيء) من النبات والثمار (موزون) مقدور مقسوم معلوم ويقال من كل شيء موزون يوزن مثل الذهب والفضة والحديد والصفرة والرصاص وغير ذلك (وجعلنا) خالقنا (لكم

فيها معايش) في الارض من النبات والثمار وما تأكلون وتشربون وتلبسون

(ومن لستم له برازقين) من في محل التعصب بالمطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم لستم له برازقين أو جعلنا {الجزء الرابع عشر} لكم فيها معاش ﴿ ٥٥٦ ﴾ ولئن لستم له برازقين وأرادهم الله

وقرى بالهمزة على التشبيه بشئائه ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ عطف على معاش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا قال الله يرزقهم وإياهم وكذلك الآية الاستدلال يجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضوح محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقا وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما لهم عليهم في ذلك ليوحدهم ويبسدهم ثم بالغ في ذلك وقال ﴿ وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه اصناف ما يوجد منه فضرب الخزانة مثلا لاقتداره أو شبه مقتدراته بالأشياء المخزونة التي لا يجوز إخراجها إلى كلفة واجتهاد ﴿ وما ننزله ﴾ من يفاع القدرة ﴿ إلا بقدر معلوم ﴾ حده الحكمة وتعلقته المشيئة فان تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتقلا على بعض الصفات والحالات لا بدله من مخصص حكيم ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحب ماطر

والماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل قيدا لانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جراب المطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ذكر الخزانة تمثيل والمعنى وما من شيء يتفجع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والانتام به وما ننزله إلا بمقدار معلوم فضرب الخزانة مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من تلقحت الناقه جلت وضدها المقيم الريح سزة

ونحو ذلك ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ يعني الدواب والوحش والطيروا أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يعشى على بطنه وقيل أرادهم العبد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش ﴿ وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ الخزانة جمع خزائنه وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء إذا حزره فقيل أراد مقتابع الخزانة وقيل أراد بالخزانة المطر لانه سبب الارزاق والمعاش لبي آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتدييره ﴿ قوله تعالى ﴾ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴿ يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا ولا معها لك بسوقها إلى حيث نشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يعطرقوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شر صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينفعهم كابرارى والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقناة وأصل هذا من قولهم تلقحت الناقه وألقحها الفعل اذا ألقي إليها الماء فملته فكذلك الرياح كالفعل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية برسلى الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتجبهى في السحاب ثم تحربه

(ومن لستم له برازقين) يقول ويرزق من لستم له برازقين يعني الطير والوحش ويقال الاجنة في البطون (وان من شيء) وما من شيء من النبات والنار والامطار (الاعندنا خزائنه) مقتابحه يقول بيدنا مفا نجه لا يبايدكم (وما ننزله) يعني المطر (الابقدر معلوم) بكل ووزن معلوم يعلم الخزان (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح الشجر والسحاب (قدر)

يعنى المطر (الابقدر معلوم) بكل ووزن معلوم يعلم الخزان (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح الشجر والسحاب (قدر)

بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائع
بمعنى المطيحات في قوله

وختبط مما تطيح الطوائع

وقرى وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدر ﴿فأسقينا كوه﴾
لجعلناه لكم سقيا ﴿وما أنتم له بحازنين﴾ قادرين متمكنين من إخراجه نقي عنهم ما أثبتته
لنفسه أو حافظين في الصدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كإتلاف حركة
الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه يتنفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصوص ﴿وأنالمن نحي﴾ بإيجاد الحياة في بعض الاجسام

تقدر كاتدر اللقحة وقال عبيد بن عير يرسل الله الريح المبشرة فتتم الأرض قائم يرسل
المثيرة فتشير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بفضه الى بعض قبضه ركابا
ثم يرسل الواقع فتلقح الشجر والاطهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده
فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن
تعمل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والدمبور
تفرقه وقل أبو عبيد لواقع هنا بمعنى ملائح جمع ملقحة حذف الميم وردت الى الاصل
وقال الزجاج يجوز أن يقال لها الواقع وان ألحق غيرها لان معناها النسبة كما يقال
درهم وارء أي ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقيل هذا ليس بمن لان كان
يجب أن يصح اللاحق بمعنى ذات لفتح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بأن
قال هذا ليس بشئ لان اللاحق هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى
اللقحة وقال صاحب المفردات لواقع أي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لا فتح لانها
حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا قال أي جلت فعلى
هذا تكون الريح لا فتح بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح
لقتحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح
رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب الا وأنبتت عينا غدة (ق) عن عائشة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسالك خيرا وخير ما
فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البخارى
بسند الى الشافعى الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جئت الى صلى الله عليه وسلم على
ركبته وقال اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم
الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقع وقال يرسل الرياح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى
﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأسقينا كوه﴾ بنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى
فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولينا اذا
كان لسقيه فاذا جعلوا الماء لشرب أرضه أو ما شئته يقال أسقينا ﴿وما أنتم له﴾ يعني للمطر
﴿بحازنين﴾ يعني أن المطر في خزائنا لا في خزائنا وقيل ﴿وما أنتم له﴾ بغير ﴿وأنالمن نحي﴾

(فأنزلنا من السماء ماء
فأسقينا كوه) فجعلناه
لكم سقيا (وما أنتم
له بحازنين) نقي عنهم
ما أثبتته لنفسه في قوله وان
من شئ الا عندنا خزائنه
كأنه قال نحن الخازنون
للماء على معنى نحن القادرون
على خلقه في السماء وانزاله
منها وما أنتم عليه بقادرين
دلالة عظيمة على قدرته
وعجزهم (وأنالمن نحي)

(فأنزلنا من السماء ماء) مطرا
(فأسقينا كوه) في الأرض
(وما أنتم له) للمطر (بحازنين)
بفاتحين (وأنالمن نحي)
للبعث

القابلة لها ﴿ ونميت ﴾ بإزالتها وقد اول الحياة بما يم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ ونحن الوارثون ﴾ الباقون اذا مات الخلاق كلها ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يعني علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتياج على كمال قدرته فانه ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصف الاول فازدجوا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسنة كانت

ونميت (أي نمحي بالايجاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونمحي لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذا لوالوالجمع المطاق (ونحن الوارثون)

ونميت ﴿ يعني بيدنا احياءا مخلوق واما نهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا نحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ﴿ ونحن الوارثون ﴾ وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءؤه منه تعالى فاذا فنى جميع الخلاق رجع الذي كانوا على كونه في الدنيا على الجواز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ﴿ عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لتلايرها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين أخرجه الترمذى وقال فيه وقدروى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوى وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فمئذ ذلك قال صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خاق الله وبأستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون معنى في الطاعة والخير والمستأخرون معنى فهما وقال الاوزاعى اراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على الصف الاول فازدجوا عليه وقال قوم كانت سيوتهم قاصية عن المسجد ليعين دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للثقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير

الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فناءه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر

(ونميت) في الدنيا (ونحن الوارثون) المالكون على ما في السموات والارض بعد موت أهلها وقبل موت أهلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم) بمعنى الاموات من الآباء والامهات ويقال المستقدمين منكم في الصف الاول (ولقد علمنا المتأخرين) يعني الاحياء من البنين والبنات ويقال المتأخرين في الصف الآخر

تعلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لثلا ينظر اليها وتأخر بعض ليصرها فزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لاجالة الجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان تحقيق للوعد والتثنيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن في افعاله ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شيء ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا اتن تضعيف صل ﴿ من جا ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من جا ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواء ونفخ فيه من روجه أو متن من سنتن الحجر على الحجر اذا حككته فان مايسيل بينهما يكون متنا ويسمى سنينا ﴿ والجان ﴾ ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان

المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعدو ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم وتأخرهم طائهم وعاصمهم لاينحى عليه شيء من احوال خلقه ﴿ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ﴾ يعنى على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يمت الكلى ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ما ماتوا عليه ﴿ م ﴾ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد خلقنا الانسان ﴿ يعنى آدم عليه السلام فى قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصراياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسى ﴿ من صلصالي ﴾ يعنى من الطين الياس الذى اذا نقرته سمعته صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا ضرب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقمع وقال مجاهد هو الطين المتن واخاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا اتن ﴿ من جا ﴾ يعنى من الطين الاسود ﴿ مسنون ﴾ أى متغير قال مجاهد وقناة هو المتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سنت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المتبل المتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقويل على ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام قبض قبصة من تراب الارض قبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من جا مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة انسان اجوف فلما جف ويس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصالي كالفخار وهو الطين الياس اذا تقطر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ﴿ قوله تعالى ﴾ والجان

(وان ربك هو يحشرهم)
أى هو وحده يقدر على
حشرهم ويحيط بحشرهم
(انه حكيم عليم) باهر الحكمة
واسع العلم (ولقد خلقنا
الانسان) أى آدم (من صلصال)
طين يابس غير مطبوخ
(من جا) صفة لصلصال أى
خلقته من صلصالي كائن من جا
أى طين أسود متغير (مسنون)
مصور وفى الاول كان ترابا
فعبث بالماء فصارت طينا فكث
فصار جا فخلص فصار سلاة
فصور ويس فصار صلصالا
فلاتناقض (والجان) ابا
الجن كما آدم للناس أو هو
ابليس وهو منصوب بفعل
مضمر بفسره

(وار ربك هو يحشرهم)
الاولين والآخرين
(انه حكيم) حكم
عليهم بالحشر (عليم)
يحشرهم وشواهم وعقابهم
(ولقد خلقنا الانسان) يعنى
آدم (من صلصال) من طين
يتصلصل (من جا) من طين
(مسنون) متن ويقال
مصور (والجان) ابا الجن

لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله ﴿ خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق الانسان ﴿ من نار السموم ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جن مسنون فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ حتى جرى آثاره في تجاوب اعضائه فسي واصل النفخ

خلقناه من قبل ﴿ يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجنان أبو الجن كأن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجنان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويمشون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهبان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الأدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا تتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شراكم في الاستنار سواجنا لتواربهم واستنارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاقى المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿ من نار السموم ﴾ يعني من ریح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرقت ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهبشة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجن وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلق الملائكة من النور ﴿ فوله عز وجل ﴾ واذ قال ربك للملائكة ﴿ أي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة ﴿ اني خالق بشرا ﴾ سمي الآدي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد ﴿ من صلصال من جن مسنون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فاذا سويته ﴾ يعني عدلت صورته وأتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاوب جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بت الله وناقذ الله وعبد الله وسبأني

(خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجن (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جن مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحيته وليس تمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص

(خلقناه من قبل) من قبل آدم عليه السلام (من نار السموم) من نار لادخان لها (واذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا في الارض وهم كانوا عشرة آلاف (اني خالق) اخلق (بشرا من صلصال) من طين يتصلصل (من جن مسنون) من طين متان (فاذا سويته) سويت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي)

(فعمواله ساجدين) هو أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا لله ودخل الغاه لانه جواب اذا هو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع تام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتقلا تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى ﴿ ٥٦١ ﴾ منه وعن الحسن ﴿ سورة الحجر ﴾ ان الاستثناء منقطع ولم

يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملمونا وقال في الكشف كان بنهم مأمورا معهم بالسجود فقلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التعليل كقولك رأيتهم الا هنذا (أبي أرى يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبي استثناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد قليل أبي ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبي (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك في أن لا تكون مع الساجدين أي أي غرض من السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام تأكيدي على لا يصح مني أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من جامسنون

اجراء الريح في تجويد جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتقبض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها في تجاوز الشرايين الى اعماق البدن حمل تعلقه بالبدن نفخا واطافة الروح الى نفسه كما سر في سورة النساء ﴿ فعمواله ﴾ فاسقطوا له ﴿ ساجدين ﴾ امر من وقع يقع ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ﴾ أكد بتأكيدين للبالغة في النعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا بجمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا ﴿ الابليس ﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ أي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استثناء على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿ قال يا ابليس مالك ألا تكون ﴾ أي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين ﴿ لآدم ﴾ قال لم أكن لأسجد ﴿ اللام ﴾ تأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حاله ان اسجد ﴿ ابشر ﴾ جسماني كثيف وانما ملك روحاني ﴿ خلقتهم من صلصال من جامسنون ﴾ وهو اخس العناصر وخلقته من نار وهي اشرفها استقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف

الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله وبسئلك عن الروح ان شاء الله تعالى ﴿ فعمواله ساجدين ﴾ الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشر اأمرهم بالسجود لآدم بقوله فعمواله ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة ﴿ فسجد الملائكة كلهم ﴾ يعني الذين أمروا بالسجود لآدم ﴿ أجمعون ﴾ قال سيبويه هذا تأكيد بعد تأكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمال أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم ازم ازالة ذلك الاحتمال فظهر هذا انهم سجدوا بأمرهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو انهم سجدوا في أوقات متفرقة أو دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجدولاً أجمعين معرفة فلا تكون حالاً روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم لم يفضوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا ﴿ لا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا ﴿ قال ﴾ يعني قال الله ﴿ يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال ﴾ يعني ابليس ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من جامسنون ﴾ أي ادا ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طين الاصل وابليس نارى الاصل والار أفضل من الطين فيكون ابليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدر الحديث ان الفضل فيما

جاءت الروح فيه (فعمواله) فخر والله (ساجدين) بالتحية (فسجد الملائكة) لآدم صلوات الله عليه (كلهم

أجمعون الابليس) رئيسهم (أبى) (تا و خا ٧١ ا) تعظم (ابى) (ابى) بالسجود لآدم عليه السلام (قال) الله تعالى (يا ابليس) يا ايس من رحمتي (مالك ألا تكون مع الساجدين) بالسجود لآدم (قال) لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من طين يتصلصل (من جامسنون) من طين منتن يقول لا ينبغي لي ان اسجد للطين

قال فاخرج منها) من السماء ومن الجنة ومن جنة الملائكة (فانك رحيم) مطرود من رحمة الله ومعه ملعون لان لعنة هو الطرد من الرحمة والابادة منها (وان) الجزء الرابع عشر { عليك لعنة } ٥٦٢ { الى يوم الدين } ضرب يوم الدين حد لعنة

لانه بعد قاية يضربها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسب للعن معه (قال رب فانظرنى) فاخرنى والغاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رحيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسخة في الاعوام ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فبهر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التسليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الحلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تسل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاحسان والاذلال (قال رب بما اغويتني) الباء للقسم ومصدرية وجوابه

فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رحيم) أى طريد (وان عليك لعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات ملعونون ابليس كما لعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف ال لا انتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عند يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك لعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لانقطاعه (قال رب فانظرنى) يعنى اخرى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد هذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيها احد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلماذا السبب سأل الانتظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذي يموت به جميع الحلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمى يوم القيامة بسوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعطى احدا الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الحلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانتظار الى يوم يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذي عينت وسألت الانتظار اليه (قال رب بما اغويتني)

لانه بعد قاية يضربها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسب للعن معه (قال رب فانظرنى) فاخرنى والغاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رحيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسخة في الاعوام ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فبهر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التسليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الحلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تسل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاحسان والاذلال (قال رب بما اغويتني) الباء للقسم ومصدرية وجوابه

(قال) ابليس (رب) يارب (انظرنى) فأجبتني (الى يوم يبعثون) من القبور أراد المأمون أن لا يندوق الموت (الباء) (قال) الله (فانك من المنظرين) من المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) النفخة الاولى (قال رب) يارب (بما اغويتني)

باغوائك اياي (لا زين لهم) الماصي ونحو قوله بما أغوتق لا زين لهم فبمرتك لاغويتهم في أنه انقسام إلا أن أخذتها
أقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل ﴿ ٥٦٣ ﴾ وقد فرق (سورة الحجر) الفقهاء بينهما فقال

المراقبون الحلف بصفة
الذات كالقدرة والعظمة
والعزة بين والحلم بصفة
الفعل كالرحمة والسخط
ليس بيمين والاصح ان
الايان مبنية على العرف
فما تعارف الناس الحلف
به يكون يمينا وما لافلا
والآية حجة على المعتزلة
في خلق الافعال وجلهم
على التسبيب عدول عن

الظاهر (في الارض)
في الدنيا التي هي دار
الغرور واراداني أقدر
على الاحتيال لا دم والترين
لما ااكل من الشجرة وهو
في السماء فانا على الترين
لاولاده في الارض أقدر
(ولا غونهم أجمين الا
سبادك منهم المخلصين)
وبكر اللام بصري ومكي
وعساي استثنى المخلصين
لانه علم ان كيد لا يعمل
فيهم ولا يقبلونه منه (قال
هذا صراط على مستقيم

كأضلتي عن الهدى (لا زين
لهم) لبي آدم (في الارض)
الشهوات والذات (و
لاغونهم) لا ضلهم (أجمين)
عن الهدى (الاعبادك منهم
المخلصين) المصومين من

﴿ لا زين لهم في الارض ﴾ والمعنى اقسام باغوائك اياي لا زين لهم الماصي في الدنيا التي
هي دار الغرور كما قوله اخذ الى الارض وفي انتم القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسبيبة والمعتزلة اووا الاغواء بالنسبة الى التي أو التسبب له باسمه اياه بالسجود لا دم
عليه السلام وبالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليطه له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبسه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل أولم يعمل وان في امهاله ترضيا لمن خالفه لاستحقاق مزيد
الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ﴿ ولاغونهم أجمين ﴾ ولا ضلهم أجمين
على الغواية ﴿ الاعبادك منهم المخلصين ﴾ الذين اخلصتم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب
فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن أي
الذين اخلصوا نفوسهم لله ﴿ قال هذا صراط على ﴾ حق على ان اراعيه ﴿ مستقيم ﴾
لانحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو
الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال

الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وحواب القسم ﴿ لا زين لهم ﴾ والمعنى باغوائك اياي
لا زين لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب كونى غاير لا زين لهم
في الارض ﴿ يعني لا زين لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴾ ولاغونهم أجمين ﴿ يعني بالقاه
الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر فبرمته فغوره حرص على
اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال ﴿ الاعبادك منهم المخلصين ﴾ من المؤمنين
الذين اخلصواك التوحيد والطاعة والسيادة ومن وقع اللام من المخلصين يكون المعنى الامن
اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى المخلصين لانه علم ان كيد
ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشيء خالصا لله عن شأية
التبر فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخاف ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه
الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان الله تعالى فهو الخالص المقبول وأما
ما كان غير الله فهو الباطل المرذود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب
الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان
المثل يقابله المثل فيق القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذه ﴿ قال ﴾ يعني قال
الله تبارك وتعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم
وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع الى شيء وقال الاخفش معناه على
الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول
الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تنقلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية وقيل هذا طائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق

ويقال الموحدين ان قرأت بكسر اللام ثم (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) كريم شريف ويقال على ممر من أطاعك وممر من
دخل معك ويقال هذا صراط طريق مستقيم قائم برضاه وهو الاسلام ويقال هذا صراط على رفيع ان قرأت بكسر اللام ورفع الياء

وقرى على من علو الشرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين﴾ تصديق لابليس فيما استناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود
بيان عصمتهم وانقطاع محالب الشيطان عنهم أو تكذيبه فيما اوهم ان له سلطانا على
من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيده التحريض والتدليس كما قال وما كان لى
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى
الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثناءين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعدهم الذين أو المتبعين ﴿اجمين﴾ تأكيد
للضمير أو حال والمائل فيها الموعده أن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان فان لا يعمل ﴿لها سبعة ابواب﴾ يدخلون فيها الكفرة
أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص المدد لانحصار مجامع المهاكات فى الركون
الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والفضية أولان اهلها سبع فرق ﴿لكل باب
منهم﴾ من الاتباع ﴿جزء مقسوم﴾ افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمسكرين
والسابق للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثنية وقرى جز على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل بحرى الوقف ومنهم
حال منه أو من المستكن فى الطرف لافى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفا

على والى يؤدى الى كرامى ورضوانى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى قوة
وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لأزمان لهم فى الارض ولا غوئهم أجمين الاعبادك
منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين بين الله سبحانه
وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عباده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من
المخلصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة
عن هذه الآفة فقال مساء ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه
عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هداهم واجتباهم من عباده ﴿الامن اتبعك من
العاوين﴾ يعنى الامن اتسع الميس من العاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم متقادين له
فما يأمرهم به ﴿وان جهنم لموعدهم أجمين﴾ يعنى موعدهم ابيس وأشياعه وأتباعه
﴿لها﴾ يعنى لجهنم ﴿سبعة ابواب﴾ سعى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون
كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة ابواب بعضها
فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يعنى لكل دركة قوم
يسكنونها والجزء بعض النى وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى
يجزى اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين) أى هذا طريق
حق على أن أراعيه وهو أن
لا يكون لك سلطان على
عبادى الا من اختار اتباعك
منهم لغوايته وقيل معنى على
الى على يعقوب من عاو
الشرف والفضل (وان
جهنم لموعدهم اجمين)
الضمير للغاوين (لها سبعة
ابواب لكل باب منهم) من
اتباع ابليس (جزء مقسوم)
نصيب معلوم مفرز قيل
ابواب النار اطباها
وادرا كهافاعلاها للموحدين
يعذبون بقدر ذنوبهم ثم
يخرجون والثانى لليهود
والثالث للنصارى والرابع
للصائبين والخامس للمجوس
والسادس للمسكرين
والسابع للمنافقين

(ان عبادى) المؤمنين (ليس لك
عليهم سلطان) ملك ولا مقدره
(الامن اتبعك) الاعلى من
اطاعك (من الغاوين)
من الكافرين (وان جهنم
لموعدهم) مصدرهم بمن
اطاعك (أجمين لها سبعة
ابواب) بعضها اسفل من
بعض أعلاها جهنم وأسفلها
الهاوية (لكل باب منهم)
من الكفار (جزء مقسوم)

(ان المتقين في جنات وعيون) ربيض العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما هي عنه وقال في الشرح ان دخل اهل الكبار في ﴿ ٥٦٥ ﴾ قوله لها سبعة ابواب لكل { سورة الحجر } باب منهم جزء مقسوم

قالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبار والاولاد المراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من فلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرحوان أكون أما و عثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقي فيها التوادد والتحاب (اخوانا) حال (على سرر

﴿ ان المتقين ﴾ من اتبعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿ في جنات وعيون ﴾ لكل واحد جنّة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونها جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ ادخلوها ﴾ على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التوين ﴿ بسلام ﴾ سالمين أو مسلما عليكم ﴿ آمنين ﴾ من الآفات والزوال ﴿ ونزعنا ﴾ في الدنيا بما الم بين قلوبهم أو في الجنة بتطبيب نفوسهم ﴿ ما في صدورهم من غل ﴾ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجوان أكون أما و عثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿ اخوانا ﴾ حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والمامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿ على سرر

ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدرّة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴿ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الزمذمي وقال حديث غريب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ المتقين في جنات وعيون ﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجاريّة في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه الهمزة غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصور ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولده انه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد والحقد ﴿ ادخلوها ﴾ أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته ﴿ بسلام آمنين ﴾ معنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ القل الحقد الكامن في القلب ويطلق على السخاء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الحاصل المذمومة داخلة في القل لانها كامنة في القلب بروي ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤسروهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من القل والنش والحقد والحسد ﴿ اخوانا ﴾ معنى في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب ﴿ على سرر

الزوال (ونزعنا) أخرجتنا (ما في صدورهم من غل) غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا (اخوانا) في الآخرة (على سرر

متقابلين ﴿ ويجوز ان تكونا صفتين لاخواناً أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالاً من المستقر في على سرر ﴿ لا يعسم فيها نصب ﴾ استثناء أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين ﴿ وما هم منها بخرجين ﴾ فان تمام النعمة بالخلود ﴿ نبي عبادي انا انما الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ﴾ فذلك كما سبق من الوعد والوعيد وتقديره وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالذفران والرجة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف

جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكحلة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاه الى الجابية ﴿ متقابلين ﴾ يعني يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد ان يلتقي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان ﴿ لا يعسم فيها ﴾ يعني في الجنة ﴿ نصب ﴾ أى نصب ولا اعياء ﴿ وما هم منها ﴾ يعني من الجنة ﴿ بخرجين ﴾ بخرجين ﴿ هذا نص من الله في كتابه على خاود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ نبي عبادي انا الغفور الرحيم ﴿ قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد ثم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند ﴿ وأن عذابي هو العذاب الاليم ﴾ قال قادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه ليجع نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرجة يوم خلقها مائة رجة فامسك عنده تسع وتسعين رجة وادخل في خلقه كلهم رجة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرجة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بيده لئلا فكل من اعترف على نفسه بالمبودبة لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرجة والمغفرة بالغ في التأكيد بالقاف ثلاثة أولها قوله أي وثانيها انا وثالثها ادخال اليب واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرجة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا العذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أسهر رسوله على نفسه في

متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لا يعسم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي انا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقريرا لما ذكر وتمكينه في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه ليجع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف

متقابلين) في الزيارة (لا يعسم فيها) لا يصيبهم في الجنة (نصب) تعب ولا مشقة (وما هم منها) من الجنة (بخرجين نبي عبادي) خبر عبادي (أي انا الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (وأن عذابي هو العذاب الاليم) الوجيع لمن لم يتب ومات على الكفر

(وإنهم) على نبي عبادي واخبر امتك ليخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط هبة يتبرون بها سخط الله وانتم من المحرمين
وتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي اصابه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا
والضيف يحيى واحدا وجمالاه مصدر ضاقه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسل عليك سلاما وسلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم
(انتمك وجلون) خائفون لا متاعهم ﴿ ٥٦٧ ﴾ من الاكل { سورة الحجر } اوله خولهم يتراذن وبغير

وقت (قالوا لا توجل)
لا تخف (انا نيشرك)
استئناف في معنى التعليل
لنهي عن الوجل أي انك
مبشر آمن فلا توجل
وبالتخفيف وقع النون حزة
(بلام عليم) هو اسحق
لقوله في سورة هود فبشرناها
باسحق (قال ابشرتوني
على أن مسني الكبر) أي
ابشرتوني مع مس الكبر
ما ن يولد لي أي ان الولادة
أمر مستنكر عادة مع
الكبر (فبم تبشرون) هي
ما الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كأنه قيل فبأي
أعجوبة تبشرون وبكسر
النون والتشديد مكي
والاصل تبشروني فادغم
نون الجمع في نون العماد
ثم حذف الياء وبقيت
الكسرة دليلا عليها تبشرون
بالتخفيف نافع والاصل
تبشروني فحذفت الياء
اجتزاء بالكسرة وحذف
نون الجمع لاجتماع التونين
والباقون يفتح النون وحذف
المفعول والنون نون الجمع
(قالوا بشرناك بالحق) باليقين

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ على نبي عبادي تحقيق لما عايتهم به ﴿ اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما ﴾ أي نسل عليك سلاما أو سلاما ﴿ قال انتمك وجلون ﴾
خاشون وذلك لانهم دخلوا غير اذن وبغير وقت أولانهم اذتموا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره ﴿ قالوا لا توجل ﴾ وقرئ لا تأجل ولا توجل من
اوجله ولا توأجل من واوجه بمعنى اوجه ﴿ انا نيشرك ﴾ استئناف في معنى التعليل
لنهي عن الوجل قال المبشر لا يخاف منه وقرأ حزة بشرتك من البشر ﴿ بلام ﴾ هو اسحق
عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق ﴿ عليم ﴾ اذ بلغ ﴿ قال ابشرتوني على ان مسني
الكبر ﴾ تعجب من ان يولد له مع مس الكبر آية أو انكار لان بشرته في مثل هذه الحالة
وكذلك قوله ﴿ فبم تبشرون ﴾ أي فبأي أعجوبة تبشرون أي فبأي شيء تبشرون
فان البشارة بما لا يتصور وقوعه مادة بشارة بنبرشي وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استقالا لاجتماع المثليين ودلالة باقية نون الوقاية على الياء ﴿ قالوا بشرناك بالحق ﴾

الترام المفخرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴿ هذا معطوف على
ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال صفت الى كذا اذا
ملت اليه والضيف من مال اليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف
مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف
وضيوف وضيغان وضيغ ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبروا
ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿ اذ دخلوا عليه ﴾ يعني اذ دخل الاضياف على
ابراهيم عليه السلام ﴿ فقالوا سلاما ﴾ أي نسل سلاما ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ انا
منكم وجلون ﴾ أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿ قالوا
لا توجل ﴾ يعني لا تخف ﴿ انا نيشرك بلام عليم ﴾ يعني أنهم بشروه بولد ذكر
غلام في صغره عليم في كره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام
فلما بشروه بالولد تعجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته ﴿ قال ابشرتوني ﴾ يعني بالولد
﴿ على أن مسني الكبر ﴾ يعني على حالة لكبر قاله على طريق التعجب ﴿ فبم تبشرون ﴾
يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه تعجب من حصول الولد على الكبر
﴿ قالوا بشرناك بالحق ﴾ يعني بالصدق الذي قضاه الله فان يخرج منك ولدا ذكرا

(وإنهم) أحبرهم (عن ضيف ابراهيم) عن أضياف ابراهيم جبريل وسى عشر ملكا معه (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم (فقالوا
سلاما) سلموا عليه (قال) لهم ابراهيم حين لم يطعموا من طعامه (انتمك وجلون) خائفون (قالوا لا توجل) لا تفرق يا ابراهيم
منا (انا نيشرك بلام) بولد (عالم) في صغره حامي في كبره (قال ابشرتوني) بالولد (على أن مسني الكبر) بعدما أصابني الكبر (فبم
تبشرون) فبأي شيء تبشرون الآن (قالوا بشرناك بالحق) بالولد

الذي لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من رجته الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب والالكافرون كقولهم انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أي لم أستنكر ذلك قنوطا من رجته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها (قال فاخطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) { الجزء الرابع عشر } أي قوم لوط ﴿ ٥٦٨ ﴾ (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين

بما يكون لاحالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيع فان وعجزوا قانرو كان استجبال ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قال ومن يقنط من رجته الا الضالون ﴾ المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سمة رحمة الله وكان عليه وقدرته كما قال لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي قنط بالكسرة وقرئ بالضم وما بينهما قنط بالفتح ﴿ قال فاخطبكم أيها المرسلون ﴾ أي فاشأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة وطله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عدا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام اولانهم بشروه في تضاعف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا تبدأ بها ﴿ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعني قوم لوط ﴿ الا آل لوط ﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منه لتهلك المجرمين وتنجي آل لوط وبدل عليه قوله ﴿ انا للمجوهم اجمعين ﴾ أي بما يعذب به القوم وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل

تكثر ذريته وهو اسحق ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ ومن يقنط من رجة ربه الا الضالون ﴾ يعني من يأس من رجته الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليا السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفي ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رجة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رجة الله كبيرة كالأمن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعامات فكل هذه الامور سبب للسلاطة ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ فاخطبكم ﴾ يعني فاشأنكم وما الامر الذي جثم فيه ﴿ أيها المرسلون ﴾ والمعنى ما الامر الذي جثم به سوى ما بشرت عوني به من الولد ﴿ قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعني لهلاك قوم مجرمين ﴿ الا آل لوط ﴾ يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه ﴿ انا للمجوهم اجمعين ﴾

والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجروا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختاب باختلاف الاستثناء بن لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أجمعينهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة أرسلوا اليهم جيما اهلكوا هؤلاء ونجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا للمجوهم اجمعين) مجرى (فلا تكن من القانطين) من

الآيسين من الولد (قال) ابراهيم (ومن يسط) يئس (من رجته الا الضالون) الكافرون بالله أو بضعته (الامرأته) (قال) ابراهيم لغيره واعوانه (فاخطبكم) فاشأنكم وبما ذا جثم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين مشركين اجنوا والهالك على أنفسهم) يعلم الحيات يعنون قوم لوط (الا آل لوط) ابنته زاعورا ووريثا وامرأته الصالحة (انا للمجوهم) من الهالك (أجمعين)

لهم فيها لوط فقالوا انما نجسوهم (الامرأة) مستثنى من الضمير المجرور في نجسهم وليس باستثناء عن الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء ما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكتناهم الا لوط الامرأة وهنا قد اختلف الحكمان لان الآل لوط متعلق بارسلنا او بجبر من والامرأة متعلق بنجسهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمجسهم بالتخفيف جزءا وعلى قدرنا) وبالتخفيف ابوبكر ﴿ ٥٦٩ ﴾ (انها لمن الغابرين) سورة الحجر { الباقي في العذاب قيل لو

لم تكن اللام في خبرها لوجب قمع ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك امرنا بكذا والامر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زي السفر ولا أنتم من أهل الحضرة فاخاف ان تطرقوني بشر (قالوا بل جشاك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جشاك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تشوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك (وأنتناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا

بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله ﴿ الامرأة ﴾ استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انما لمجسهم اعتراضا وقرأ جزءة والكسائي لمجسهم تخمفا ﴿ قدرنا انها لمن الغابرين ﴾ الباقي مع الكفرة لئلا يهلك معهم وقرأ ابوبكر عن ماصم قدرنا ههنا وفي الغل بالتخفيف وانما حلق والتطبيق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا مجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فضل الله تعالى للملهم من القرب والاختصاص به ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون ﴾ تنكركم نفسى وتفرغتمكم مخافة ان تطرقوني بشر ﴿ قالوا بل جشاك بما كاتوا فيه يمترون ﴾ أي ما جشاك بما كنا لاجله بل جشاك بما يسرك ويشقى لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه ﴿ وأنتناك بالحق ﴾ باليقين من عذابهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ فيما أخبرناك به ﴿ فأسر باهلك ﴾ فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجاز يان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى

الامرأة ﴿ يعني امرأة لوط ﴾ قدرنا ﴿ يعنى قضينا وانما اسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كاتقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بالمر الملك ﴿ انها لمن الغابرين ﴾ يعنى لمن الباقيين في العذاب والاستثناء من التقي اثبات ومن الاثبات نقي فاستثناء امرأة لوط من الجابين ملحقها بالهالكين ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط ﴿ قال انكم قوم منكرون ﴾ وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زي شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلماذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة مند المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لأي عرض دخلتم على فمن ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ بل جشاك بما كانوا فيه يمترون ﴾ يعنى جشاك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه ﴿ وأنتناك بالحق ﴾ يعنى باليقين الذي لا شك فيه ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعنى فيما أخبرناك به من اهلاكهم ﴿ فأسر باهلك

(قا و خا ٧٢ لك) لصادقون في الاخبار بنزوله بهم (فأسر باهلك

الامرأة) واعلة المناقفة (قدرنا) عليها (انها لمن الغابرين) لمن الباقيين المتخافين بالهلاك (فلما جاء آل لوط) الى لوط (المرسلون) جبريل واعوانه (قال انكم قوم منكرون) في بلدنا هذا لم نعرفكم ولم نعرف سلامكم فمن أجل ذلك قال انكم قوم منكرون يعنى جبريل واعوانه (قالوا بل جشاك بما كاتوا فيه يمترون) يشكون من العذاب (وأنتناك بالحق) أي جشاك بخبر العذاب (وانا لصادقون) في مقالنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر باهلك) فأدلى بال

بقطع من الليل) في آخر الليل اوبعد ما يمضي شيء صالح من الليل (واتبع ادبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلم
أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لثلاير واما ينزل بقومهم من العذاب فيقولهم أو جعل النبي عن الالتفات كناية عن
مواصلة السير وترك التواني { الجزء الرابع عشر } والتوقف لان ﴿ ٥٧٠ ﴾ من يلتفت لابلده في ذلك من أدف

وقرى فسر من السير ﴿ بقطع من الليل ﴾ في طائفة من الليل وقيل في آخره قال

اقصى الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم

﴿ واتبع ادبارهم ﴾ وكن على اثرهم تنودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿ ولا يلتفت منكم
أحد ﴾ لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا يهرف أحدكم
ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل لهوا من الالتفات ليوطئوا نفوسهم على المهاجرة
﴿ وامتضوا حيث تؤسرون ﴾ الى حيث امركم الله بالمتضى اليه وهو الشام أو مصر فعدى
وامضوا الى حيث وتؤسرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿ وقضينا اليه ﴾ أى
اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ﴿ ذلك الامر ﴾ مبهم يفسره ﴿ ان دابر
هؤلاء مقطوع ﴾ وعمله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر وتعظيم له
وقرى بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد
﴿ مصعبين ﴾ داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجهه للحمل
على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدرى هؤلاء ﴿ وجاء اهل المدينة ﴾ سدوم
﴿ يستبشرون ﴾ باضياف لوط طالما فيهم ﴿ قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ﴾

بقطع من الليل ﴿ يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه ﴾ واتبع
ادبارهم ﴿ يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم ﴾ ولا يلتفت منكم أحد ﴿
يعنى حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير
وترك الالتفات الى وراه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تخرج على شيء
وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولثلايتختلف أحد منهم فينال العذاب
﴿ وامتضوا حيث تؤسرون ﴾ قال ابن عباس يعنى الى الشام وقيل الاردن وقيل الى
حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل
قوم لوط ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر ﴾ يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكى كتابه
على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله ﴿ ان دابر
هؤلاء مقطوع مصعبين ﴾ يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح
وانما أمرهم الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفصيلا وتعظيما لانه ﴿ وجاء اهل
المدينة ﴾ يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط ﴿ يستبشرون ﴾ يعنى يبشرون بعضهم بعضا
باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر
أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا سردا في غاية الحسن ونهاية
الجمال فجاء قوم لوط الى داره طالما منهم في ركوب الفاحشة ﴿ قال ﴾ يعنى قال لوط لقومه
﴿ ان هؤلاء ضيفي ﴾ وحق على الرجل اكرام ضيفه ﴿ فلا تفضحون ﴾ يعنى فيهم

وقفة (وامتضوا حيث
تؤسرون) حيث أمركم الله
بالمضى اليه وهو الشام أو
مصر (وقضينا اليه ذلك
الامر) عدى قضينا بالى
لانه ضمن معنى أوحينا كأنه
قيل وأوحينا اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر
بقوله (أن دابر هؤلاء
مقطوع) وفي ايامه وتفسيره
تفخيم للامر ودابرهم آخرهم
أى يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم أحد
(مصعبين) وقت دخولهم
في الصبح وهو حال من هؤلاء
(وجاء اهل المدينة) سدوم
التي ضرب بقاضيا المثل
في الجور (يستبشرون)
بالملائكة طالما منهم في ركوب
الفاحشة (قال) لوط (ان
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون)
بفضيحة ضيفي لان من أساء
(بقطع من الليل) بعض
من آخر الليل عند السحر
(واتبع ادبارهم) امش
وراءهم نحو صعر (ولا يلتفت)
لا يتخلف (منكم أحد
وامضوا) يسروا (حيث
تؤسرون) نحو صعر (وقضينا
اليه ذلك الامر) أمرناه
الاتيان الى صر ويقال

اخبرناه (ان دابر) غاب (هؤلاء) قوم لوط (مقطوع) مستأصل (مصعبين) عند الصباح (وجاء اهل المدينة) (يقال)
الى دار لوط (يستبشرون) يعلمهم الخ حيث (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي) أى اضيافى (فلا تفضحون) فيهم

الى ضيفي . فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذولون باذلال ضيفي من الغزى وهو الهوان وبالياء فيهما يتسويبان
 (قالوا أولم تنهك عن العالمين) عن أن يجبر منهم أحداً أو تدفع عنهم قالهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام
 يقوم بالتهنى عن المنكر والحجيز بينهم وبين المتعرض له فاعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة
 الغرباء (قال هؤلاء بناتى) فانكسوهن ﴿ ٥٧١ ﴾ وكان نكاح (سورة الحجر) المؤمنات من الكفار جائزاً

ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم
 فاعلين) ان كنتم تريدون
 قضاء الشهوة فيما أحل الله
 دون ما حرم فقالت الملائكة
 للوط عليه السلام (لمرك
 انهم لى سكرتهم) أى فى
 غوايتهم التى أذهب عقولهم
 وتميزهم بين الخطأ الذى
 هم عليه وبين الصواب
 الذى تشير به عليهم من ترك
 البنين الى البنات (يعمهون)
 يتحيرون فكيف يقبلون
 قولاً ويصنعون الى نصيحتك
 أو الخطاب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو
 قسم بحياته وما أقسم بحياة
 أحد قط تعظيماً له والعمر
 والعمر واحد وهو البقاء
 الا انهم خصوا القسم
 بالمفتوح ايثاراً للاخف
 لكثرة دور الحلف على
 ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر
 وتقدره لمرك قسمي
 (فأخذتهم الصيحة) صحبة
 جبريل عليه السلام
 (مشرقين) داخلين
 فى الشروق وهو بزوغ
 الشمس

(واتقوا الله) اخشوا الله

بفضيحة ضيفي فان من اسى الى ضيفه فقد اسى الى الله ﴿ واتقوا الله ﴾ فى ركوب
 الفاحشة ﴿ ولا تخزون ﴾ ولا تذولوني بسبيهم من الغزى وهو الهوان أو ولا
 تخجلوني فيهم من الغزاية وهو الحياء ﴿ قالوا أولم تنهك عن العالمين ﴾ عن أن تجبر منهم
 احداً وتضع بيننا وبينهم قالهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط ينعهم عنه بقدر
 وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم ﴿ قال هؤلاء بناتى ﴾ يعنى نساء القوم فان نجى كل
 امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ قضاء الوطر أو ما قول
 لكم ﴿ لمرك ﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو الذى عليه الصلاة والسلام
 وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لمرك قسمي وهو لغة فى العمر
 يختص به القسم لا يثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم ﴿ انهم لى سكرتهم ﴾
 لى غوايتهم أو شدة غلظتهم التى ازال عقولهم وتميزهم بين خطيئهم والصواب الذى
 يشار به اليهم ﴿ يعمهون ﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصيحتك وقيل الضمير لقريش والجملة
 اعتراض ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعنى هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام ﴿ مشرقين ﴾

يقال فضحه بفضحه اذا ظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى
 خافوا الله فى أمرهم ﴿ ولا تخزون ﴾ يعنى ولا تخجلون ﴿ قالوا ﴾ يعنى قوم لوط الذين
 جاؤا اليه ﴿ أولم تنهك عن العالمين ﴾ يعنى أولم تنهك عن أن تضيب أحداً من العالمين
 وقيل معناه أولم تنهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فان تريد أن تركب منهم الفاحشة وقيل
 معناه ألسنا قد نريناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة ﴿ قال ﴾ يعنى
 قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه ﴿ هؤلاء بناتى ﴾ أزوجكم الإهن ان أسلمت فأتوا
 الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النى كالوالد لامتة ﴿ ان كنتم
 فاعلين ﴾ يعنى ما أسركم به ﴿ لمرك ﴾ الخطاب فى لى لى صلى الله عليه وسلم قال ابن
 عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
 وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان
 بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لمرك بالابتداء والخبر محذوف
 والمعنى لمرك قسمي فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه ﴿ انهم لى سكرتهم ﴾ يعنى
 فى حيرتهم وضلالهم وقيل فى غلظتهم ﴿ يعمهون ﴾ يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة
 يعمهون ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب
 الذى نزل هم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس

فى الحرام (ولا تخزون) لا تذولون فى اضيافى (قالوا أولم تنهك) يالوط (عن العالمين) عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتى) ويقال
 بنات قومى انا أزوجكم (ان كنتم فاعلين) متزوجين (لمرك) اقسم بعمى محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بدينه (انهم) يعنى قوم لوط
 (لى سكرتهم) لى جهلهم (يعمهون) لا يبصرون (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مشرقين) عند طلوع الشمس

فجعلنا عاليها سافلها) رفعا جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأماظرنا عليهم بحجارة من سجيل ان في ذلك آيات للمتوسمين) { الجزء الرابع عشر للمتفرسين المتأملين كأنهم } ٥٧٢ ﴿ يرفون باطن الشيء بسمة ظاهر

داخليين في وقت شروق الشمس ﴿ فجعلنا عاليها ﴿ على المدينة أو على قرأهم ﴿ سافلها ﴿ فصارت منقلبة بهم ﴿ وأماظرنا عليهم بحجارة من سجيل ﴿ من طين متعجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ﴿ ان في ذلك آيات للمتوسمين ﴿ المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ﴿ وانها ﴿ وان المدينة أو القرى ﴿ لبسيل مقيم ﴿ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿ ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴿ بالله ورسوله ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴿ هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون النبيضة فبمته الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة ﴿ فانتقمنا منهم ﴿ بالهلاك ﴿ وانها ﴿ يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فانه كان مبسوئا اليهما فكان ذكر احدهما منبثا عن الآخر ﴿ لبأمام

﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأماظرنا عليهم بحجارة من سجيل ﴿ تقدم تفسيره في سورة هود ﴿ ان في ذلك ﴿ يعني الذي نزل بهم من العذاب ﴿ آيات للمتوسمين ﴿ قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ﴿ ويضد هذا التأويل ما روى عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخيروهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واسابغ الحدس والنظر والظن والثبوت هو النوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والحلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المشتبهين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته ﴿ وانها ﴿ يعني قرى قوم لوط ﴿ لبسيل مقيم ﴿ سنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق مع ليس بخفى ولا زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يعمرون عليهما من الحمراز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره ﴿ ان في ذلك ﴿ يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم ﴿ لآية للمؤمنين ﴿ يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴿ يعني كان أصحاب الأيكة وهي النبيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيدهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المفل وكانوا قوما كافرا فبعث الله عز وجل اليهم شميا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى ﴿ فانتقمنا منهم ﴿ سنى بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحرسة أيام حتى أخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سمحابة كاظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحمها لتسون الروح فبعث الله عليهم نارا عرفتهم جميعا ﴿ وانها ﴿ يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة ﴿ لبأمام

(وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يتدرس بصدوهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم تقررون عليهم مصحين وبالليل (ان في لآية للمؤمنين) لانهم المنتقمون بذلك (وان كان أصحاب الأيكة) وان الاحمر والشان كان أصحاب الأيكة اي النبيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شميا (وانها) يعني قرى قوم لوط والأيكة (لبأمام

(جعلنا عاليها سافلها) أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها (وأماظرنا عليهم) على شذا ذهم ومسافرهم (بحجارة من سجيل) من سماء الدنيا ويقال من سنج ووحل مطبوخ كالأجر (ان في ذلك) فيما فعلناهم (آيات) لعلامات وعبرات (للمتوسمين) للمتفرسين ويقال للمتفكرين ويتك للناظرين ويقال للمعتبرين (وانها) معنى قربات لوط (لبسيل مقيم) طريق دائم ووعاها (ان في ذلك) في علاكهم (لآية) لبرة (للمؤمنين) وان كان (يعني وقد سار) أصحاب الأيكة (معنى أصحاب النبيضة والأيكة

التجروء قوم شعيب (لظالمين) لمشركين (فانتقمنا منهم) في الدنيا العذاب (وانها) معنى قربات لوط وشعيب (لبأمام) مبين

٧. مدين (بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به يسمى بالطريق ومطعم البناء لانها مما يؤتم به) ولقد كذب اصحابه اصحاب المرسلين هم عمود الحجر وادبهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم يعني صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها ﴿ وآياتناهم في ابن الزبير واصحابه ﴾ (وآياتناهم ﴿ ٥٧٣ ﴾ آياتنا فكانوا ﴿ سورة الحجر ﴾ عنهما مرضين) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها

(وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا) أى يتقربون في الجبال بيوتا أو بيتون من الحجارة (آمنين) لوثيقة البيوت واستحكامها من ان تهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فآخذتهم الصيحة) العذاب (مصعبين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فاعنى عنهم ما كانوا الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق لا باطلا وعشا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء

من الجبال) في الجبال (بيوتا آمنين) من ان تقع عليهم ويقال آمنين من العذاب (فآخذتهم الصيحة) بالعذاب (مصعبين) عند الصباح (فاعنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) من الحق والحجاب (الا بالحق) ليسان الحق والباطل والحجة عليهم

مدين ﴿ بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به يسمى الطريق واللوح ومطعم البناء لانها مما يؤتم به ﴾ ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين ﴿ يعنى عمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها ﴿ وآياتناهم آياتنا فكانوا عنها مرضين ﴾ يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالساقية وسقيها وشربها ودرها أو مانصب لهم من الادلة ﴿ وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أو من العذاب لقرط غفلتهم أو حساباتهم ان الجبال تحميهم منه ﴿ فآخذتهم الصيحة مصعبين فاعنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدو ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة سادهم

مدين ﴿ يعنى بطريق واضح مستبين لمن سبها وقيل الصمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤتم ويقع ولان المسافر يأتيه حتى يصير الى الموضع الذى يريد ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين ﴾ قال المفسرون الحجر اسم وادكان يسكنه عمود وهو معروف بين المدينة البوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل ﴿ وآياتناهم آياتنا ﴾ يعنى الناقة وولدها والآيات التى كانت فى الناقة خرجها من الصخرة وعظم جنتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات ﴿ فكانوا عنها ﴾ يعنى عن الآيات ﴿ مرضين ﴾ يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها ﴿ وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ يعنى خوفا من الحراب أو أن يقع عليهم الجبل أو الصفة ﴿ فآخذتهم الصيحة ﴾ يعنى العذاب ﴿ مصعبين ﴾ يعنى وقت الصبح ﴿ فاعنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الشرك والاعمال الحثيثة (ق) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم تقع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴾ يعنى لاظهار الحق والعذاب وهو ان يتاب المؤمن والمصدق وعاقب الجاحد الكافر الكاذب

على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقها كل ساعة (لآتية) وان الله ينقم لك فيها من أعمالك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصح الصفيح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جلابلا بحم وفضاء قبل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم (العليم) { الجزء الرابع عشر } بحالك وحالهم ﴿ ٥٧٤ ﴾ فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو

من الارض ﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها من كذبك ﴿ فاصح الصفيح الجليل ﴾ ولا لجل بالانتقام منهم وعاملهم مما صلة الصفوح الخليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو الخلاق ﴾ الذى خلقك وخلقهم ويده اسرك واسمهم ﴿ العليم ﴾ بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفيح اليوم اسلم وفي مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخلاق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سعا ﴾ سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابتها الانفال والنوبة فانها في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل النوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صفات وهى الاسباع ﴿ من المثاني ﴾ بيان للسبع والمثاني من التثنية أو الأثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله عما هو امله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبويض ﴿ والقرآن العظيم ﴾

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ يعنى وان القيامة تاتى ليحازى المسن باحسانه والمسى باسائه ﴿ فاصح الصفيح الجليل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فاعرض عنهم يا محمد واعب عنهم عفوا حسنا واحتمل ماتلى من أذى قومك وهذا الصفيح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأى يعاملهم بالعفو والصفح الحالى من الجزع والخوف ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قرظطة والنصرى في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها وأفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول صعب أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجاء أهل التفسير وليس فيها من المدنى شىء ويهود قرظطة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى غناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم ﴿ وفى المراد بالسبع المثاني أقوال مأخوذة منها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو على وابن مسعود وفى رواية عنه وان

يحكم بكم (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانها في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثاني) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما يتكرر في الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثاة أو ثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبويض (والقرآن العظيم) هذا

(وان الساعة لآتية) لكائة (فاصح الصفيح الجليل) أعرض عنهم اعراضا جلابلا بحم ولا جزع وهى منسوخة بآية القتال (ان ربك هو الخلاق) الباعث لمن آمن به

ولمن لم يؤمن (العليم) بنوامهم وعقابهم (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) يقول اكرمناك بسبع آيات من القرآن تبنى في كل (عباس) ركة وسجدة تبنى وهى فاتحة الكتاب ويضال اكرمناك بأسباع القرآن لان القرآن كله مثان أمر ونهى ووعد ووعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومنشبه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم (والقرآن العظيم) يقول وأكرمناك

ان اريد بالسبع الآيات والسور فن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان اريد به الاسباع فن عطف احد الوصفين على الآخر

ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما راءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين التعتين وهو التثنية أو التاء والعظم ثم قال لرسوله

بالقرآن العظيم الكريم الشريف كما أنزلنا الوراة والانجيل على المقتسمين اليهود والنصارى

عباس ورواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقناة في آخرين ويبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجهم أبو داود الترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجهم البخاري وفيه زيادة * أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع آيات باجاء أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقناة لانها تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء * ويبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مشاة مثل قوله الرحمن الرحيم انك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مشاة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنىها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنفي أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على التاء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرقيها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكري في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورته لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الاغال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويبدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المنين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وقضاه ربى بالفصل أخرجهم البخاري باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان القرائن والحدود والامثال والحبر والبر ثبتت فيها وأورد على هذا القول هذا السور الطوال غالباً منديات فكيف يمكن تفسير هذه الآمة بها وهي مكية وأجيب عن هذا لاراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في ساين علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان

هو لا تمدن عينيك ﴿ لا تطمح ببصرك طموح راجب ﴾ الى ما متعابه أزواجهم ﴿ اصنافا من الكفار فانه مستحق بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مهلول بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافي باذرات سبع قوافل ليهودى قريظة والنضير فيها نواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينها ولا تفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل سبع ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون

الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذا السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وقوق الفصل وهي المثني ووجه هذا القول الحديث المتقدم واعطاني مكان الزبور المثاني القول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس حجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبت فيه فان قلت كيف يصح عظم القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الاعطى الثنى على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطوال فاوراهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل لا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله ﴿ لا تمدن عينيك ﴾ الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد ﴿ الى ما متعابه أزواج ﴾ يعني اصنافا ﴿ منهم ﴾ يعني من الكفار متنبها انتهى الله عن وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاجة أهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحسن له من ذلك تمنى ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ يعني ولا تنعم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا فقيدهم عن الالتفات الى اموال الكفار والافات اليهم أيضا وروى البغوي بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يعوت قيل لابن ابي سريم ما قاتلا لا يعوت قال النار (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والحق فلينظر الى أسفل فاقط البخارى ومسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من ه أسفل

(لا تمدن عينيك) أي لا تطمح ببصرك طموح راجب فيه متمن له (الى ما متعابه أزواج منهم) اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا لم يتغن بالقرآن وحديث ابى بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أي لا تنن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بيمانهم الاسلام والمسلمون

(لا تمدن عينيك) لا تنظرن بالرغبة (الى ما متعابه) اعطيا من الاموال (أزواجهم) رجالا من قريظة والنضير ويقال من قرش لان ما اكرمناك به من النبوة والاسلام والقرآن اعظم مما اعطيناهم من الاموال (ولا تحزن عليهم) على هلاكهم ان لم يؤمنوا

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل انى انا النذير المبين﴾ انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿كما انزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمقول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر أو رهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صلحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فاه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عندا بفضه حق موافق للتوراة والانجيل وبفضه باطل مخالف لهما أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين أو اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسليية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن ملك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل لهم انى انا النذير المبين) انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما انزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين) وهم اهل الكتاب

(واخفض جناحك للمؤمنين) لين جانبك للمؤمنين يقول كن رحيماعليم (وقل انى انا النذير المبين) الرسول المخوف بلفظة تعرفونها من عذاب الله (كما انزلنا) يوم بدر (على المقتسمين) أصحاب العقبة وهو أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومي وحنظلة بن أبى سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وسائر أصحابهم الذين ماوا يوم بدر

منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تزددوا نعمه الله عليكم قال عوف ابن عبدالله بن عتبة كنت أحب الاغنياء فا كان أحدا أكثرهما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ واخفض جناحك ﴿يعنى لين جانبك﴾ للمؤمنين ﴿وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين﴾ ﴿وقل﴾ اى وقل لهم يا محمد ﴿انى انا النذير المبين﴾ لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تخويب والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين بين الذارة ﴿كما انزلنا على المقتسمين﴾ يعنى انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قبل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا ففارقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الرسم فاذا سألوكم عن محمد فايقبل بكم انه كاهن وليقل بكم انه ساحر وليقل بكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن سربهم من حجاج العرب لا تتزوا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون اهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضّة وأصلها عضوة فملة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستزؤون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو اريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقساموه قاليهوه اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والتصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين { الجزء الرابع عشر } منصوبا ﴿ ٥٧٨ ﴾ بالنذير اى انذر العضين الذي يجوزون

وقوله لا تمدن الخ اعترافنا بمدالها ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ اجزاء جمع عضّة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فملة من عضته اذا بهتوه في الحديث امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الماضيه والمستضيه وقيل اسحارا وعن عكرمة المضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ ﴿ أخبره فوربك لتسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ﴾ من التقسيم أو النسبة الى السحر فيجازيم عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والتصارى جزؤه اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضّة من قولهم عضيت الشي اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضّة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحرا ﴿ فو ربك لتسألنهم اجمعين ﴾ أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لتسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله ﴿ عن انس عن النى صلى الله عليه وسلم فى قوله لتسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث ضرب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعدون وماذا أجابو المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لتسألنهم اجمعين وبين قوله عبوه ثم لا يستل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمت لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم علمت كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لتسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيستلون فى بعض المواقف ولا يستلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ وقوله سبحانه وتعالى

القرآن الى سحر وسحر واساطير مثل ما نزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقساموا مداخل مكة ايام الموسم فقدموا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا نعتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار لمعنى التسليية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم و من الامر بان يقبل بكيته على المؤمنين (فوربك لتسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا

(فاصدع)

من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى القرآن أوفى

(الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقال بعضهم كذب يخالفه من تلقاء نفسه (فوربك) يا محمد أقسم بنفسه (لتسألنهم) يوم القيامة (اجمعين عما كانوا يعملون) يقولون فى الدنيا ويقال عن تركهم لا اله الا الله

عليه وقيل تام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذ تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل واصلها الابانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ فلا تلتفت الى ما يقولون ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ بقصمهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والماص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ابداء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه

﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس اظهر ويروى عنده مضه وقال الضحاك اعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستغفيا حتى نزلت هذه الآية تخرج هو وأصحابه ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ أي اكف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عادك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والماص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلاله كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أي جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فريه الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فوالوليد برجل من خزاعة نبال بريش نباله وعليه بردعياني وهو يجر ازاره فتملقت شظية من النبل بازار الوليد فتمعه الكبر ان يطأ طي رأسه فيزعها وجعلت تضربه في ساقه فحدثته ففرض منها فأتى وصرهما الماص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخص قدمه وقال قد كفيته فخرج الماص على راحلة يتزعمه ابناه فترل شعا من تلك الشعاب فوطي شبرقة فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانفخت رجله

الجار كقوله امرتك الخير فافصل ما امرت به

(واعرض عن المشركين) هو امر استهانة بهم (انا كفيناك المستهزئين)

الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ابداء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة

مر بنبال قطعق بثوبه سم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه

فات والماص بن وائل دخل في أخصه شوكة فانفخت رجله فات والاسود بن عبد المطلب

عبي والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات

والحرث بن قيس انمخط قبحاومات

(فاصدع بما تؤمر) يقول

اظهر أمرك بعملة (واعرض

عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) رفنا عنك مؤنة المستهزئين

(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون فيك أوفى القرآن أوفى { الجزء الرابع عشر } الله (فسبح محمد ربك ﴿ ٥٨٠ ﴾ وكن من الساجدين) قافز

السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكتبكم فاومأ الى ساق الويدفر بنبال فتعلق بشويه سهم فلم ينطع تعظما لاخذة فاصاب عرقا في عقبه فقتطعه فمات واومأ الى اخمص العاصي قد دخلت فيه شوكة فانتفخت رجليه حتى صارت كالرحى ومات واشار الى اخمص عدى بن قيس فامتخط قيصا فمات والى الاسود بن عبد يفيوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيسى بن الاسود بن المطلب فسمى ﴿ الذين يجعلون مع الله لها آخر فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم في الدارين ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ من الشرك والظن في القرآن والاستهزاء بك ﴿ فسبح محمد ربك ﴾ قافز الى الله تعالى فيما نالك بالتسبيح والتمجيد يكفك ويكشف الغم عنك ﴿ وكن من الساجدين ﴾

حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفتيه فسمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلامه وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قلن رب محمد ومر بهما الاسود بن عبد يفيوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفتيه وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه سموم فأسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قلن رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفتيه فامتخط قيما فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتامالما فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن ﴿ الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ﴾ يعني اذا نزل بهم العذاب فقيه وعيد وتهديد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمونه من الاستهزاء به والمقول الفاحش والجليلة البشرية تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله ﴿ فسبح محمد ربك ﴾ قال ابن عباس فصل بامر ربك ﴿ وكن من الساجدين ﴾ يعني من المتواضعين لله وقال الصحاح فسبح محمد ربك قل سبحانه الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين ﴿ روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال

فيما نالك الى الله والفرع الى الله هو والد كره الائم وصكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم

(الذين يجعلون مع الله الها آخر) يقولون مع الله آلهة شتى (فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم فأهلكهم الله في يوم و ليلة كل واحد منهم بمذاب غير عذاب صاحبه وكانوا خمسة منهم العاص بن وائل السهمي لدغته شئ فمات مكانه بعده الله ومنهم الحرث بن قيس السهمي أكل حوتا مالما ويقال طريا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات مكانه أنهسه الله ومنهم الاسود بن عبد المطلب ضرب جبريل رأسه على شجرة وضرب وجهه بالشوك حتى مات نكسه الله ومنهم الاسود بن عبد يفيوث خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فأسود حتى عاد حبشيا فرجع الى يته فلم يفتحو عليه الباب فنطح رأسه بياحه حتى مات خذله الله ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومي أصاب آكله نبل فمات من ذلك طرده الله وكلهم كانوا

يقولون قلن رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد علم أنك يضيق صدرك) يا محمد (بما يقولون) من التكذيب (بعض) وبأنك شاعر وساحر وكذاب وكاهن (فسبح محمد ربك) اصل بامر ربك (وكن من الساجدين) مع الساجدين ويقال من

من المسلمين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى الموت فانه متيقن لحاقه كل شئ مخلوق والمعنى فاصد ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة ﴿ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعد المهاجرين والانصار والمستهزئين بحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي ﴾

مائة وثمان وعشرون آية

بعض العارفين من المحققين ان السبب في ذوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتور باطنه ويشرق قلبه وينفسح ويتشرح صدره فنصد ذلك يعرف قدر الدنيا وحقاتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والنم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفتني ما أكره فانا عبدك وبين يديك فاعمل بي ما تشاء ﴿ قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴿ روى الغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سجد بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿ وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيت بين أبويه يغنيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريته له بمائى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتم به فماقبوا بمثل ما عاقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشنوا بهم الله ثنا قليلا الى قوله يملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله ولذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما ظلموا من بعد ما ظلموا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت يعنى ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ﴿ سورة النحل مكية وهي

مائة وثمان وعشرون آية ﴿

المطيعين (واعبد ربك) استقم على طاعة ربك (حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت وهو الموقن

﴿ ومن السورة التي يذكر

فيها النحل وهي كلها مكية

غير أربع آيات نزلت بالمدينة

قوله وان عاقبتم فماقبوا الى

آخره واصبر وما برك الا

بالله الى آخر الآية وقوله

ثم ان ربك للذين هاجروا

من بعد ما ظلموا الى آخر الآية

وقوله والذين هاجروا من

بعد ما ظلموا الى آخر الآية

فهؤلاء الآيات الأربع

مدنيت آياتها مائة وعشرون

وثمان آيات وكلماتها ألف

وثمانمائة واحد وأربعون

وحروفها ستة آلاف

وسبعمائة وسبعة أحرف ﴿

﴿ الجزء الرابع عشر ﴾ كانوا يستجلبون ﴿ ٥٨٢ ﴾ ما وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة ونزول

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أتى امرأته فلا تستجلبوه ﴾ كانوا يستجلبون ما وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى إياهم كالفعل يوم بدر استهزاء وتكديبا ويقولون ان صم ما يقوله فلا صنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا يستجلبوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ تبرأ ووجل عن ان يكون له شريك في دفع ما اراد بهم وقرأ حجة والكسائي بالثاء على وفق قوله تعالى فلا تستجلبوه والباقرن بالياء على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتي امرأته فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستجلبوه ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ بالوحي أو القرآن فانه يحيي بالقلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أتى امرأته ﴾ يعني جاء ودنا وقرب أمر الله يقول العرب أنك الامر وهو متوقع المحيى بعدما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا ﴿ فلا تستجلبوه ﴾ يعني وقوما والمراد به محيى القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شي قالوا ما ترى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما ترى شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا والاستجبال طلب محيى الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بشت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشت أنا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بشت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أسراط الساعة ولما سرجبريل باهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيوف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء واتتنا بعذاب اليم فاستجبل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يعني تزه الله وتماظم بالاوصاف الحميدة عما يصف به المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ يعني بالوحي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد قليل لهم (أتى أمر الله) أي هو عزلة لا قى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستجلبوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ ووجل عن ان يكون له شريك وعن اشراكهم فامسكوا أو مصدرية واتصال هذا باستجبالهم من حيث ان استجبالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخييف مكي وأوعرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبإسناده عن ابن عباس قال لما نزل قوله اقترب للناس حسابهم الى آخر الآية وقوله اقتربت الساعة الى آخر الآية فكشوا على ذلك ما شاء الله ان يمشوا ولم يتبين لهم شي فقالوا يا محمد متى يأتينا ما تعدنا من العذاب فانزل الله (أتى أمر الله) أي عذاب الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لا يشك ان العذاب قما قال الله (فلا تستجلبوه) بالعذاب فجلس النبي صلى الله عليه وسلم (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك

(وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (ينزل الملائكة) يعني جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) (من)

القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن اندروا) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى اندروا (انه لا اله الا انا فاتقون) اعلوا ﴿ ٥٨٣ ﴾ بان الامر ذلك { سورة النحل } من نذرت بكذا اذا علمته

والمعنى اعلوا الناس
قولي لا اله الا انا فاتقون
فخافون وبالياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وانه لا اله
الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله (خلق
السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون) ويأتاه
في الموضعين حجة وعلى
وخلق الانسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم
مبين) أى فاذا هو منطبق
بجدال عن نفسه مكافح
لخصومه مبين لحجته بعدما
كان نطفة لا حس به ولا
حركة فاذا هو خصيم لربه
منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهى رميم
وهو وصف للانسان
بالوقاحة والتنادى في كفران
العمة وخلق ما لا بد له منه
من خلق البهائم لا كله
وركوبه وجل أنفاله وسائر

الذى به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق مواعدهم به وذنوبه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابوعمر وبنزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى
تنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿ من أمره ﴾ باسمه ومن اجله
﴿ على من يشاء من عباده ﴾ الايمان ان يتخذ رسولاً ﴿ ان اندروا ﴾ بان اندروا أى اعلوا من
نذرت بكذا اذا علمته ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر
والمعاصي بأنه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو والنصب
بتنوع الخافض أو مخففة من التثنية والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان
حاصله التثنية على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلية والامر بالتقوى الذى هو
اقصى كمالات القوة العلية وان الثبوت عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته من
حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدرة على ذلك فيلزم التمانع ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾
او جدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿ تعالى عما
يشركون ﴾ منها أو بما يقتصر في وجوده أو بقاءه اليها وبما لا يقدر على خلقهما وفيه
دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿ خلق الانسان
من نطفة ﴾ جاد لا حس لها ولا حر السبالة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾
منطبق منظر بجدال ﴿ مبين ﴾ للحجة أو خصيم مكافح لحالقه قائل من يحيي
العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم

﴿ من أمره ﴾ وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء
بالنبوة وقال قتادة بالرجة وقيل الروح هو جبريل والياء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح
وهو جبريل ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ
الوحي الى الخلق ﴿ أرأندروا ﴾ يعنى بأرأعلموا ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ أى فخافون
وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن ﴿ خالق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا
هو خصيم مبين ﴾ يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف
الجمعى وكان ينكر البعث فخاف بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله
يحيي هذا العظم بعدما رمى فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي
العظام وهى رميم والصحيح ان الآية طامة فى كل ما يقع من الخصومة فى الدنيا ويوم
القيامة وحلها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خالق الانسان من نطفة
قدرة فصار جبارا كثير الخصومة وبها كشف قبيح ما فعله الكفار من جسدتهم نعم الله

فاتقون) فاطيعون ووحدوني (خلق السموات والارض بالحق) للحق ويقال للزال والقضاء (تعالى) تبرا (عما يشركون) من الاوثان
خلق الانسان) أبى بن خلف الجمعى (من نطفة) منتنة (فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدل لقوله من يحيي العظام

وقال يا محمد أتري أن الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فتزلت ﴿والانعام﴾ الابل والبقرة
والغنم وانتصابها بفعل يفسره ﴿خلقها لكم﴾ أو بالمطف على الانسان وخلقها لكم
بيان ما خلق لاجله وما يبدئه تفصيل له ﴿فيها دف﴾ ما يبدأ به فيق البرد ﴿ومنافع﴾
نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ﴿ومنها تأكلون﴾ أي تأكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والابلان وتقديم الطرف للمصانفة على رؤس الآي أو لان
الاكل منها هو المتعاد المتقد عليه في الماش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة في سبيل
التداوي أو التفكه ﴿واكم فيها جال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونهما من سراحيها الى
سراحيها بالمشى ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها بالذئاة الى المراعى فان الافنية تترين بها
في الوقتين ويحل اهلها في عين الناظرين اليسا وتقدم الراحة لان الجال فيها اظهر
فانها تقبل ملائى البطن حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرى حيناً
على ان تريحون وتسرحون وصفه بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه

تعالى مع ظهورها عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ والانعام خلقها ﴿لما ذكر الله سبحانه﴾
وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما يتنفع
به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين
يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المتنفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى
والانعام خلقها وهي الابل والبقرة والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام
خلقها ثم ابتداء فقال تعالى ﴿لكم فيها دف﴾ قال ويجوز أيضاً ان يكون تمام الكلام
عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيها دف قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن
يكون الوقت عند قوله خلقها ثم يتدنى بقوله لكم فيها دف والدليل عليه أنه عطف
عليه قوله واكم فيها جال والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جال ولما كانت منافع
هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع
الضرورية فقال تعالى لكم فيها دف وهو ما يستدأ به من اللباس والاكسية ونحوها
المتخذة من الاصواف والابواب والاشعار الحاصلة من الغنم ﴿ومنافع﴾ يعنى التسل
والدر والركوب والحل عليها وسائر ما يتنفع به من الانعام ﴿ومنها تأكلون﴾ يعنى
من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الطرف مؤذن
بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمد الناس
في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير
معتد به في الاغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب
في الاكل من هذه الانعام * فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلما
أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل
فلماذا قدم على الاكل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ولكم فيها ﴿أى فى الانعام﴾
﴿جال﴾ أى زينة ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ الراحة رد الابل

ساجاته وهو قوله (والانعام
خلقها لكم) هي الازواج
الثمانية وأكثر ما يقع على
الابل وانتصابها بخضمر
يفسره الظاهر كقوله
والغنم قدرناه منازل أو
بالعطف على الانسان أى
خلق الانسان والانعام ثم
قال خلقها لكم أى ما خلقها
الا لكم يا جنس الانسان (فيها
دف) وهو اسم ما يدأ به
من لباس معمول من صوف
أو وبر اشعرو (ومنافع)
وهي نسلها ودرها (ومنها
تأكلون) قدم الطرف وهو
يؤذن بالاختصاص وقد
يؤكل من غيرها لان الاكل
منها هو الاصل الذى يعتمد
الناس فى معاشهم واما
الاكل من غيرها كالدجاج
والبط وصيد البر والبحر
فكغير المعتد به وكالجارى
يجرى التفكه (واكم فيها
جال حين تريحون) تردونها
من سراحيها الى سراحيها
بالمشى (وحين تسرحون)
ترسلونها بالذئاة الى سارحيها
من الله تعالى

وهي رميم (والانعام) يعنى
الابل (خلقها لكم فيها دف)
الادفاه من الاكسية وغيرها
(ومنافع) فى ظهورها والبانها
(ومنها تأكلون) من لحومها
تأكلون (ولكم فيها جال)

(بالمشى)

من الرعى (وحين تسرحون) الى الرعى

بالتجمل بها كما من الانتفاع به لانه من أعراض أصحاب المواشى لان الرعيان اذاروحوها بالمشى وسرحوها بعدة بزيت
بدراسها وتسريحها الاقنية وفرحت ﴿ ٥٨٥ ﴾ ﴿ اربابها وكسبتهم ﴾ سورة النمل { الجاه والحرمه عند الناس وانما

قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا قلبت ملائى البطون حافلة الضروع (وتحمل أبقالكم) أبقالكم (الى بلد لم تكونوا بالنيه الايشق الانفس) وبقع الشين أبو جعفر وهما لثان في معنى المشقة وقيل المقتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أبقالكم الى بلد لم تكونوا بالنيه لولم تخلق الابل الاجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أبقالكم على ظهوركم أو معنا لم تكونوا بالنيه الايشق الانفس وقيل أبقالكم أبقانكم ومنه الثقلان للحن والانس ومنه وأخرجت الارض أبقالها أى بنى آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخلق هذه الخواص وتسير هذه المصالح (والحليل والبعال والحمر لركوها وزينة) عطم على الانعام أى وخلق

﴿ وتحمل أبقالكم ﴾ أبقالكم ﴿ الى بلد لم تكونوا بالنيه ﴾ ان لم تكن ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿ الايشق الانفس ﴾ الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهوافة فيه وقيل المقتوح مصدر شق الامر عليه واسمه الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالعب ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث رحكم بخلقها لانقاذكم وتيسير الامر عليكم ﴿ والحليل والبعال والحمر ﴾ عطم على الانعام ﴿ لركوها وزينة ﴾ أى لركوها ولتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل

بالمشى الى مرااحها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بالهم تسريحا اذا خرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة وكثرتا تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الفيت وبيت المشب والكلأ وخرجت العرب للجمعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من الانتفاع به لانه من أعراض أصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالمشى الى الاقنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء نغاء يجابوب بمنها بمضاف عند ذلك يفرح اربابها جاوتجمل بها الاقنية والبيوت ويعظم وقمها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملائى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بما بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائلة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ وتحمل أبقالكم ﴾ الأبقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر ﴿ الى بلد ﴾ بغير غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وأما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكث تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن ووجهه على الصوم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض الخطابين ﴿ لم تكونوا بالنيه ﴾ يعنى بالنى ذلك البلد الذى تقصدونه ﴿ الايشق الانفس ﴾ يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف المشى والمعنى على هذا لم تكونوا بالنيه لانتقصان قوة النفس وذهاب نصفها ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعنى بخلقهم حيث خلق لهم هذه المرافق ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ والحليل والبعال والحمر لركوها ﴾ هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركوها والحليل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرحط والنساء ﴿ وزينة ﴾ يعنى وجعها زينة مع المنافع التى فيها

فصل

احتم هذه الآية من يرى تحريم لحوم الحليل وهو قول ابن عباس وتلاهذه الآية وقال

(وتحمل أبقالكم) أمتكم وزادكم (الى بلد)

يعنى مكة (لم تكونوا بالنيه الايشق الانفس) (قا وحا ٧٤ لث) الابعب النفس (ان ربكم لرؤف) بمن آمن (رحيم) بتأخير العذاب عنكم (والحلل والبعال والحمر) يقول خلق الحليل والبعال والحمر (لركوها) فى سبيل الله (وزينة) لكم فيها نظر حسن

لتركبوها وتصيرا للنظم لان الزينة بفضل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما الذين بها فحاصل بالعرض وهو قريء بنيدواو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها أو مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين أو متزيينين أو متزينين بها واستدل به على حرمة لحومها ولادليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآفة مكينة وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت تام خير ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري اجل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق

هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الأكل أقوى والآفة تسبقت لبيان النعمة اولاً بلق بالحكيم ن يذكر في مواضع المتأدنى العميتين وترك أعلاهما واتصاف زينة على المفعول له عطا على محل تركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائفه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكر الله تعالى علما بتحريم أكله ولو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعملاتها مخلوفة للركوب لا للأكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأجد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساقا كلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساقا كلناه فأخرجنا عن البخاري ومسلم (ق) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا محضة فنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأحباب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها محتصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الأكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة ما حلة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جماين النصين والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجال لان مخلوقات الله عز وجل

هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الأكل أقوى والآفة تسبقت لبيان النعمة اولاً بلق بالحكيم ن يذكر في مواضع المتأدنى العميتين وترك أعلاهما واتصاف زينة على المفعول له عطا على محل تركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائفه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

(ويخلق ما لا تعلمون) يقول خلق من الاشياء ما لا تعلمون
عالم بسببكم

به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به ﴿٥٨٧﴾ الجنس { سورة النمل } ولذا قال (منها جائر)

والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحج ومنها جائر أو من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمنين) أراد هداية اللطيف بالتوفيق والانعام بهدا الهدي العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بأنزل أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي (وعلى الله قصد السبيل) هداية الطريق في البر والبحر (ومنها) من الطريق (جائر) مائل لا يهتدي به (ولو شاء لهداكم أجمنين) الى الطريق في البر والبحر ويقال وعلى الله قصد السبيل الهدى الى التوحيد ومنها

ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار عالم مخطر على قلب بشر ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رجة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿ومنها جائر﴾ حائل عن القصد أو عن الله وتفسير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر اعجابا بالعرض وقريء ﴿ومنكم جائر أي عن القصد﴾ ولو شاء الله لهداكم أجمنين ﴿أي ولو شاء هدايتكم أجمنين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء﴾ هو الذي أنزل من السماء ﴿من السماء﴾ أو من جانب السماء ﴿ماء لكم منه شراب﴾ ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خير شراب ومن تيمضية متعلقة به وتقديعا يوم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه السيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكنناه في الارض ﴿ومنه شجر﴾ ومنه يكون شجر يعني الشجر في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهدا ذكرا على الاجال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وعلى الله قصد السبيل ﴿القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا أدرك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿ومنها جائر﴾ يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو موعج فالقصد من السبيل هودين الاسلام والجائر منهادين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ﴿ولو شاء لهداكم أجمنين﴾ فيدليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كل ذلك تصيد اشفاء الشئ لا تشفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمنين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمنين وذلك فيفدانه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداكم ﴿قوله عز وجل﴾ هو الذي أنزل من السماء ماء ﴿لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده يخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه يذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم نعم على العباد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر ﴿لكم منه﴾ يعني من ذلك الماء ﴿شراب﴾ يعني تشربونه ﴿ومنه﴾ يعني ومن ذلك الماء ﴿شجر﴾ الشجر في الجنة ماله ساق من نبات الارض ونقل واحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل أو عظم وهو الذي يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما

من الاديان جائر مائل ليس بمعدل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ولو شاء لهداكم أجمنين لهداكم (هو الذي أنزل من السماء ماء) مطرا (لكم منه شراب) ما يستقر في الارض في الركايا والندران (ومنه شجر) به

وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أثبت في الارض بعض من كلها للتذكرة (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون به عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (سخر لكم الليل والنهار والنمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ينصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

ينبت الشجر والنبات (فيه تسميون) ترعون انعامكم (ينبت لكم به) بالمطر (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) يعنى الكروم (ومن كل الثمرات) من أوان كل الثمرات (في ذلك) في ألوان ما ذكرت في طمء (لآية) لهادة وعبرة (لقوم يتفكرون) فيها اتق الله لهم (وسخر لكم الليل والنهار والنمس والقمر والنجوم مسخرات) بذلات (بأمره) باذنه

الذى ترعاء المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عر الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر
 ◉ فيه تسميون ◉ ترعون من سمات الماشية واسامها صاحبها واصلمها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ◉ ينبت لكم به الزرع ◉ وقرأ ابوبكر بالتون على التفضيم ◉ والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ◉ وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ◉ ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ◉ على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحية تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم يخرج منها الاوراق والازهار والاكام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السقلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل قاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآيت به لذلك ◉ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ◉ بان هيأها لنا فكم ◉ مسخرات بأمره ◉ حال من الجميع أى نفعمكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى تبقى له أدوية في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال ابواسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشده نطعمها اللحم اذا عر الشجره أردانهم يسقون الخليل اللبن اذا أجذبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعنى الكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر ◉ فيه ◉ بنى في الشجر ◉ تسميون ◉ يعنى ترعون مواشيك يقال أسمت السائمة اذا خلقتها ترعى وسمات هي اذا عرت حيث شاءت ◉ ينبت لكم ◉ أى ينبت الله لكم وقرى نبت على التعميم لكم ◉ به ◉ أى بذلك الماء ◉ الزرع ◉ الزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ◉ ما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجالا ذكر في الثمار تفصيلا واجالا فبأذن ذكر الررع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبهها لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلى بذكر الخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجالا لينبذ بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ◉ ثم قال تعالى ◉ ان في ذلك ◉ يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار ◉ لآية ◉ يعنى علامة دالة على قدرتنا ووجدانيتنا ◉ لقوم يتفكرون ◉ يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانيته ◉ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ◉ تقدم تفسيره في سورة الاعراف ◉ مسخرات ◉ يعنى مذلات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمجمن لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فاجاب الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها بذلات ◉ بأمره ◉ بنى باسمها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء

بما خلقها من غيرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو بحكمه وفيه ايدان بالجواب
 عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوراعها فان ذلك
 ان سلم فالرب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقمة على بعض الوجوه المحتملة
 فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر مسمى
 جمع لا اختلاف الانواع . وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
 تسميا للحكم بمد تخصصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ﴿ ان في ذلك لايات
 لقوم يعقلون ﴾ جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى
 العقول السلية غير موجهة الى استيفاء فكرا حوال النبات ﴿ وما ذرأ لكم في الارض ﴾
 عطب على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات ﴿ مختلفا ألوانه ﴾
 اسمائه قالها تتخالف باللون غالبا ﴿ ان في ذلك لايات لقوم يذكرون ﴾ ان اختلافها
 في الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾
 جملة بحيث تتكون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والنوص ﴿ لتأكلوا منه
 لحاطريا ﴾ هو السمك ووصفه بالطراوة لانه رطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع

يختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى
 انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله ﴿ ان في ذلك
 لايات لقوم يعقلون ﴾ يعنى أن كل من كازه عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى
 هو الفاعل المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم ﴿ وما ذرأ
 لكم في الارض ﴾ يعنى وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام
 والاشجار والثمار ﴿ مختلفا ألوانه ﴾ يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان
 المحلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال
 قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى ﴿ ان في ذلك لايات لقوم يذكرون ﴾ يعنى
 فيعتبرون بذلك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وهو الذى سخر ﴾ لكم ﴿ البحر ﴾ لما ذكر الله
 سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق
 الانسان من نطفة وخلق ماثر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والحوم وغير
 ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده
 بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من
 الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالنوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الافسام من أنواع
 الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر ﴿ لتأكلوا منه لحاطريا ﴾ فبدأ بذكر الاكل
 لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة
 الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله ما لحا ما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف
 بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزقاق الحيوان الطرى الذى لحمه في غاية
 العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلق له لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر

جمع الآية وذكر العقل
 لان الآثار العلوية أظهر دلاله
 على القدرة الباهرة وأبين
 شهادة للكبرياء والعظمة
 (وما ذرأ لكم في الارض)
 معطوف على الليل والنهار
 أى ما خلق فيها من حيوان
 وشجر وثمر وغير ذلك
 (مختلفا حال) ألوانه ان في
 ذلك لايات لقوم يذكرون
 يتظنون (وهو الذى سخر
 البحر) تأكلوا منه لحاطريا
 هو السمك ووصفه بالطراوة
 لان الفساد يسرع اليه
 فيؤكل سريرا طريا خيفة
 الفساد وانما لا يبحث باكله
 اذا حلف لا يأكل للحال ان
 معنى الايمان على العرف ومن
 قال لعلامة اشتر بهذه الدراهم
 لحا فجاها باسمك كان حقيقا
 بالانكار

(ان في ذلك) في تسخير
 ما ذكرت (لايات)
 لعلامات (لقوم يعقلون)
 يعلمون ويصدقون ان تسخيرها
 من الله (وما ذرأ) يقول وما
 خلق (لكم في الارض مختلفا
 ألوانه) اجناسه من النبات
 والثمار وغير ذلك (ان في ذلك)
 في ألوان ما خاقت (لاية)
 لعلامة وعبرة (لقوم يذكرون)
 يتظنون بما في القرآن (وهو
 الذى سخر) ذلل (البحر
 لتأكلوا منه لحما) يعنى سمكا
 (طريا)

(وتستخرجوا منه حلية) { الجزء الرابع عشر } هي اللؤلؤة ﴿ ٥٩٠ ﴾ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسها

الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه عذابا طرياقا ما زماق وتمسك به مالك والثوري على ان من حنط ان لا يأكل لحما حث باكل السمك واجب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمي الكافردابة ولا يحنط الحالب على ان لا يركب دابة بركوبه ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فاستند اليهم لانهم من جلتهم ولانهم يتزين بها لاجلهم ﴿ وترى الفلك ﴾ السفن ﴿ مواخر فيه ﴾ جواري فيه تشقه بحيزومها من الخمر هوشق الماء وقيل صوت جرى الفلك ﴿ وتبتغوا من فضله ﴾ من سعة رزقه ركوبها للتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها وامل تخصيصه بتقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل الممالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش ﴿ وألقى في الارض رواسي ﴾ جبالا رواسي ﴿ ان تميد بكم ﴾ كراهية ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تمحرك بالاستدارة كالأفلاك أو ان تمحرك بادنى سبب للحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت حواشيها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تنمها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقدارسيت بالجبال ﴿ وانهارا ﴾ وجعل فيها انهارا التي فيه معناه ﴿ وسبلا

على اخراج الضمن الضد المنفعة الثانية قوله تعالى ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسها لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلي وانما هو لاجل الرحا فكان ذلك زينة لهم ﴿ المنفعة الثالثة قوله تعالى ﴿ وترى الفلك ﴾ يعني السفن ﴿ مواخر فيه ﴾ يعني جواري فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان برمح واحدة وأسل الخمر في اللغة الشق يقال غمرت السفينة غمرا اذا شقت الماء بمجرؤها وقال مجاهد تخمر الرياح السفن يعني أنها اذا جرت بسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني صوائغ وانخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواتر أي مملوءة متلها من فضلها ﴿ وتبتغوا من فضله ﴾ يعني الارباح بالتجارة في البحر ﴿ واعدكم تشكرون ﴾ يعني انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم ﴿ وألقى في الارض رواسي ﴾ يعني جبالا تقالا ﴿ ان تميد بكم ﴾ يعني لثلاثين وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتمحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة ثم خافت الجبال ﴿ وانهارا ﴾ يعني وجعل فيها انهارا لا، في ألقى معنى الجملة فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصوامها تكون من الجبال ﴿ وسبلا ﴾ يعني وجعل فيها طرقا مختلفة

ليس نسائهم ولكنهن انما يتزين بهن من اجلهم فكانها زينهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جواري تجرى جريا وتشق الماء شقا والخمر شق الماء بحيزومها (فيه) في البحر (وتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أي تعتبروا وتبتغوا وانتفاء الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثوابت (ان تميد بكم) كراهية ان تميل بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكد قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ثم خافت (وانهارا) أني فيه معنى جعل (وسبلا) وتستخرجوا منه (من البحر) حلية (زهرة من اللؤلؤ وغيره تلبسونها وترى الفلك) يعني السفن (مواخر) مقبلة ومدبرة (فيه) في البحر تجرى وتذهب برمح واحدة (وانتغوا) لكي تطلبوا (من فضله) من عمله ويحل من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته (وألقى في الارض

رواسي) الجبال الثوابت (ان تميد) لكي لا تميد (بكم) الارض (وانهارا) وأجرى فيها انهارا المدامكم (وسبلا) (تسلكونها)

طرقا (لكنكم تهتدون) الى مقاصدكم اولى توحيد ربكم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس وهو الثريا والفرقدان وبنات نمش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم ﴿ ٥٩١ ﴾ فيه النجم مقسم {سورة النحل} فبهه كانه قيل وبالنجم خصوصا

هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريش افلهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم ولهم بذلك علم يمكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) أي الله تعالى (كن لا يخلق) أي الاصنام وحي عن الذي هو لا ولي العلم لزعهم حيث سموها آلهة وعبدها فاجروها مجرى أولى العلم أو لان المعنى ان من يخلق ليس كن لا يخلق

من أولى العلم فكيف بالاعلم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزامل للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميت باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بها وانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كن لا يخلق وهو جهة على المعتزلة في خلق الافعال

جعل فيها طرقا (لكنكم تهتدون) اي تعرفوا الطريق (وعلامات) من الجبال وغير

لكنكم تهتدون ﴿ لمقاصدكم اولى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴿ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريج ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴿ بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النمش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم والحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق كن لا يخلق ﴿ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عنده من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك لى على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبرا والمراد عن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولو العلم منهم أو الاصنام واجراها مجرى اولو العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو المشاكلة بينه وبين من يخلق أو اللبائنة فكانه قيل ان من يخلق لس كن لا يخلق من اولو العلم فكيف عن لاعلم عنده

تسلكونها في افساركم والزهد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان ﴿ ولكنكم تهتدون ﴿ يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون ﴿ وعلامات ﴿ يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها في افساركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴿ وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فبها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نمش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلم ما لا علم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفمن يخلق كن لا يخلق ﴿ لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قل على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ ﴿ أفمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق

ذلك للمسافرين (وبالنجم) وبالفرقدين والجدي (هم) بنى المسافرين (يهتدون) بهما الى البر والبحر (أفمن يخلق) وهو الله (كن لا يخلق) لا يقدر أن يخلق بنى الاصنام

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتمرقوا مساد ذلك فانه لجلاله كالحاصل للقل الذي يحضر عنده
بادى تذكر وأنفات ﴿ وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ لا تضبطوا عبدها فضلا
ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام المحمدة على تفرد به استحقاق العبادة تقيها على
ان وراء ما عدد نعمها لا تنحصر وان حق عبادة غير مقدور ﴿ ان الله اغفور ﴾ حيث يتجاوز نعم
تقصيركم في اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لا يقطعها لتفريطكم في ولا ساجلكم بالمقوبة على
كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييم

هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى ان هذا
القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الصكر والنظر بل مجرد التذكر
فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتد بما ذكر ﴿ تبقى في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق
المراد به الاصنام وهى جادات لا تقبل فكيف يبرعنها بلفظة من وهى لمن يعقل
والجواب عنه ان الكفار لما سمعوا هذه الاصنام آلهة وعبدها أجرت مجرى من
يعقل في زعمهم الأثرى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ
فخطهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثانى قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود
منه الزام الحجمة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل اخالق فكيف
قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام
بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه
وبين هذه الجادات الحسية فى التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من
يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشغل بعبادة جادات لا يخلق شيأ
ألبتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ يعنى ان نعم الله على العبد فيما
خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع
الذى يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه
فى نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين والدنيا لا تحصى
حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف
ينعمه النظام الذى لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تمدوا
نعمة الله لا تحصوها يعنى ولو اجتهدتم فى ذلك وأتيتم نفوسكم لاتقدرون عليه ﴿ ان الله
لغفور ﴾ يعنى لتقصيركم فى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿ رحيم ﴾ يعنى بكم
حيث وسع عليكم السم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى ﴿ والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا
تكرون بالنسبة الى الله عليه وسلم وما يعلنون يعنى وما ينظرون من ابتدائه فاحبرهم الله
عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلايتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت
يلى ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفون
فساد ما أنتم عليه (وان
تمدوا نعمة الله لا تحصوها)
لا تضبطوا عدددها ولا تبلغه
طاقكم فضلا أن تطيقوا
القيام بحجتها من أداء
الشكر وانما اتبع ذلك
ما عدد من نعمه تقيها على
ان ما وراءها لا ينحصر ولا
يعد (ان الله لغفور رحيم)
يتجاوز عن تقصيركم في أداء
شكر النعمة ولا يقطعها
عكم لتفريطكم (والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون)
من أفواكم وأعمالكم وهو
وعيد

(أفلا تذكرون) أملا
تعتظون فيما خلق الله لكم
(وان تمدوا نعمة الله
لا تحصوها) لا تحفظوها
ويقال لا تشكروها (ان الله
لغفور) يتجاوز (رحيم)
لمن تاب (والله يعلم ما تسرون)
من الخبر والشر (وما تعلنون)
من الخبر والشر

(والذين يدعون) والآلهة الذين يدعواهم الكفار (من دون الله) وبالثناء ضير طاحم (لا يخلقون شيئاً) خصائص الأصنام
 أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون ﴿٥٩٣﴾ أيان يمشون) نقي عنهم { سورة النحل }

كونهم مخالسين وأحياء لا يموتون وطالين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأسرهم بالعكس من ذلك والضمير في يمشون للداعين أي لا يشعرون متى تيمث عبدتهم وفيه تكلم بالمشركين وإن آلهتهم لا يعلون وقت بشم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم الله واحد) أي ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله وإن معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) لا وحادانية (وهم مستكبرون) عنها وعن

للشرك باعتبار العلم ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ أي والآلهة الذين تصدونهم من دونه ﴿وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثها بالياء﴾ لا يخلقون شيئاً ﴿لما نقي المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئاً ليعلم أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال ﴿وهم يخلقون﴾ لأنها ذوات ممكنة مفعلة الوجود إلى الخلق والآلهة ينبغي أن يكون واجب الوجود ﴿أموات﴾ هم أموات لا تعتر بهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً ﴿غير أحياء﴾ بالذات ليتناول كل معبود والآلهة ينبغي أن يكون حياً بالذات لا يتبره الممات ﴿وما يشعرون أيان يمشون﴾ ولا يعلون وقت بشم أو يمشون فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم والآلهة ينبغي أن يكون طالماً باليوب مقدر الثواب والعقاب وفيه تذييد على أن البعث من توابع التكليف ﴿الهكم الله واحد﴾ تكرر للمدعي بمداقمة الصحيح ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ بيان لما اقتضى إصرارهم ببدو صوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن المؤمن بما يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بما يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان

وعلايتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الأصنام بصفات فقال تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام التي تدعونها آلهة من دون الله ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ فإن قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئاً فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فإفادة التكرار «قلت فأثدته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وأنهم مخلوقون كثيرهم وكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار ﴿أموات﴾ أي جادات ميتة لا حياة فيها ﴿غير أحياء﴾ يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الأصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الآلهة الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله ﴿وما يشعرون﴾ يعني هذه الأصنام ﴿أيان يمشون﴾ يعني متى يمشون وفيه دليل على أن الأصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تنبأ من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يمشون ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ الهكم الله واحد ﴿يعني أن الذي يستحق العبادة هو الله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة﴾ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴿يعني جاحدة لهذا المعنى﴾ وهم مستكبرون ﴿يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه

(والذين تدعون) تصدون (من دون الله) لا يخلقون شيئاً لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً كخلقنا وهم يخلقون (يمشون) مخلوقة منقوتة (أموات) غير أحياء (قا و خا ٧٥ لث) وما يشعرون) يعني الآلهة (أيان يمشون) من النور فيحاسبون ويقال ما علم الكفار متى يحاسبون ويقال ما تعلم الملائكة متى يحاسبون (الهكم الله واحد) يعلم ذلك لا الآلهة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (قلوبهم منكرة) بالتوحيد (وهم مستكبرون) عن الإيمان

الاقرار بها (لاجرم) حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (اي سرهم وعلانياتهم) وهو وعيد ربه لا يجب
المستكبرين) عن التوحيد في الشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا منصوب بأنزل
أى أى شئ أنزل ربكم أو (الجزء الرابع عشر) مسفوح على ﴿ ٥٩٤ ﴾ ابتداء أى شئ أنزل ربكم واساطير

اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه يتنافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والاتفاقات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت
الآخرين (لاجرم) حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ فيجازيهم وهو في
موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل ﴿ انه لا يجب المستكبرين ﴿ فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيد الله واتباع رسوله ﴿ واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ﴿ القائل بعضهم
على التهكم أو الوافدون عليهم او المسلمون ﴿ قالوا اساطير الاولين ﴿ أى ماتدعون نزوله
أو المنزلة اساطير الاولين واتمامه منزلا على التهكم أو على الفرض أى على تقدير انه منزل
فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ﴿ ليحملوا أوزارهم
كاملة يوم القيمة ﴿ أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ﴿ ومن اوزار الذين يضلونهم ﴿ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب ﴿ بنير علم ﴿ حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفانستها

تكررا ﴿ لاجرم ﴾ يعنى حقا ﴿ ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يجب
المستكبرين ﴾ يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبی صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان
يكون ثوبه حسنا ونسله حسنا قال ان الله جليل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغبط
الناس بقوله بطر الحق هو ان يجعل ما جملة الله حقا من توحيد وعبادته باطلا وهذا
على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جملة من الحيرة فضاه يخبر عند سماع
الحق فلا يقبله ولا يجمله حقا وقيل البطر التكبر يعنى أنه يتكبر عند سماع الحق فلا
يقبله وقوله وغبط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شياً وكذا معنى
غمضته أى انتقصت به وازدريته ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا قيل لهم ﴿ يعنى لهؤلاء
الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم
الحاج الذين يقدمون عليهم ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين ﴿ يعنى
آحاديثهم وأباطيلهم ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ﴿ اللام في ليحملوا لام
العافية وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كانت طاعتهم بذلك أن
يحملوا أوزارهم يعنى ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي
أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي علوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئاً يوم القيامة بل
يماقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى
قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن
لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن اوزار
الذين يضلونهم ﴿ يعنى ويحصل للرؤساء الذين أعزلوا عنهم وصدوهم عن

خير مبتدأ محذوف قيل
هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة
ينفرون عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سألهم
وفود الحاج عما أنزل على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا اساطير الاولين
أى آحاديث الاولين
وأباطيلهم واحديثها أسطورة
واقارأوا أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونهم بصدقه وأنه
نبي فهم الذين قالوا خيرا
(ليحملوا أوزارهم كاملة
يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم) أى قالوا ذلك
اضلالا للناس فحملوا
أوزار ضلالهم كاملة
وبعض اوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال
لان المضل والضال شركان
واللام للتعليل (بنير علم)

(لاجرم) حقا (ان الله يعلم
ما يسرون) ما يخفون من
البعث والحسد والمكر
والحيانة (وما يعلنون)
ما يظهر من الشتم والظعن
والقتال (انه لا يجب
المستكبرين) عن الايمان
(واذا قيل لهم) للمقتسمين
(ماذا أنزل ربكم) ما
يقولكم محمد صلى الله عليه

وسلم من ربكم (هوا أساطير الاولين) كذب الاولين وأحاديثهم (ليحملوا أوزارهم) آثامهم (كاملة) وافرة (الاعان)
(يوم القيمة ومن اوزار) مثل آثام (الذين يضلونهم) يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاعان (بنير علم)

حال من المصنوع اي يتناول
من لا يعلم أنهم ضلال
(الاساء مايزرون) عمل
مارفع (قدمكر الذين
من قبلهم فأتى الله بنياتهم
من القواعد) أي من جهة
القواعد وهي الاساطين
وهذا تمثيل يعني أنهم
سوا منصوبات ليكروابها
رسل الله فجعل الله هلاكهم
في تلك المنصوبات كحال
قوم بنو ابينا وعمدوه
بالاساطين فأتى البنيان
من الاساطين بان منضمت
فسقط عليهم السقف
وماتوا وهلكوا والجمهور
على أن المراد به عمود بن
كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا فأتى الله أي
أمره بالاستئصال

بلاعلم ولا حجة (الاساء ما
يزرون) نُس ما يحملون
من الذنوب يعني المقتسمين
(قدمكر الذين من قبلهم)
بانياتهم كما مكر المفسمون
محمد عليه السلام وهو
عمود الجبار الذي بنى الصرح
(فأتى الله بنياتهم) قلع بنياتهم
الصرح (من القواعد)
من الاساس

للدلالة على ان جهلهم لا يذرمهم اذ كان عليهم ان يخشوا ويميزوا بين الحق والمبطل
﴿الاساء مايزرون﴾ نُس شيئاً يزرونه قلعهم ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ سوا
منصوبات ليكروابها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنياتهم من القواعد﴾

الايان مثل اوزار الاتباع ﴿والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من تبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن
سنة حسنة أو سنة قيحة تبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه
أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من
الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنه أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع
الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال
الواحدى ولفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبويض لانيها
لو كانت للتبويض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة
والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس اوزار
الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما
يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه
من العذاب الشديد ﴿الاساء مايزرون﴾ يعني الأبتس ما يحملون فقيه وعيد وتهديد
لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ يعني من قبل كفار قريش
وهو عمرو بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء ويقا تل أهلها في زعمه قال
ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان
طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم
وهم تحته ولما سقط تبلبت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين
لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره
البخوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان
أهل اليمن عرانتهم جرهم الذي نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل
من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب
تكلموا في قديم الزمان بالعربية وبدل على حجة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى والله أعلم وقيل سهل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فكون
الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير
﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فأتى الله بنياتهم من القواعد﴾ يعني قصد تخريب بنياتهم

فخر عليهم السقف من فوقهم { الجزاء الرابع عشر } وأتاهم العذاب ﴿ ٥٩٦ ﴾ من حيث لا يشعرون) من حيث

فأتاهم من جهة المداق بنوا عليها بان منضمت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾
وصار سبب هلاكهم ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ لا يحتسبون ولا
يتوقنون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به غرود بن كتمان بن الصرح بيابل سمكة حمة
آلاف ذراع لترصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ ثم يوم
القيامة يخزيهم ﴾ يذلهم أو يذهبهم بالنار كقوله ربنا أتك من تدخل النار قد أخزيتنا
﴿ ويقول ابن شركاؤي ﴾ أضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم
قرأ البزى بخلاف عنه ابن شركاؤي بغير الهمزة والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون
فيهم ﴾ تبادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوتي فان مشاققة المؤمنين
كشاققة الله عز وجل ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أي الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاققونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزي اليوم والسوء ﴾ الذلة
والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وقائدة قولهم اظهار الشتمة بهم وزيادة الاهانة وحكاية

من أصوله وذلك بان أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه وأتاهم بزلازل قلعت
بنيانهم من قواعده وأساسه هنا اذا جلنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر
اللفظ وان جلنا تفسير الآية على القول الثاني وهو جلهما على العموم كان
المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده
أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو انبيانا وثيقا شديدا
ودعوه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضرب الله
سجانه وتعالى لمن مكر بأخر فاهلكه الله بكمه ومنه مثل السائر على السنة الناس
من حفر بئرا لآخيه أو قومه الله فيه ﴿ وقوله سجانه وتعالى ﴾ فخر عليهم السقف من
فوقهم ﴿ يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يختر
الامن فوقهم وقيل يحتل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم
علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته ﴿ وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون ﴾ يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك
البنيان سبب هلاكهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يعنى يبينهم بالعذاب وفيه اشعار
بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ﴿ ويقول ﴾
يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة ﴿ أين شركاؤي ﴾ يعنى فى زعمكم واعتقادكم ﴿ الذين
كنتم تشاقون فيهم ﴾ يعنى كنتم تبادون وتخالقون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان
المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم
لا يحضرون معكم ايدفوا عنكم منازل بكم من العذاب والهوان ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾
يعنى المؤمنين وقيل الملائكة ﴿ ان الخزي ﴾ يعنى الهوان ﴿ اليوم ﴾ يعنى فى هذا اليوم
وهو يوم القيامة ﴿ والسوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وانما يقول المؤمنون
هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستعززون بالمؤمنين فى الدنيا ويتكبرون عليهم

لا يحتسبون ولا يتوقنون
(ثم يوم القيامة يخزيهم)
يذلهم بعذاب الخزي سوى
ما عذبوا به فى الدنيا (ويقول
أين شركاؤي) على الاضافة
الى نفسه حكاية لإضافتهم
ليوبيخهم بها على طريق
الاستهزاء بهم (الذين كنتم
تشاقون فيهم) تبادون
وتخاصمون المؤمنين فى
شأنهم تشاقون نافع أى
تشاقوتى فيهم لان مشاققة
المؤمنين كانها مشاققة الله
(قال الذين أوتوا العلم)
أى الانبياء والعلماء من أممهم
الذين كانوا يدعونهم الى
الايقان ويسطونهم فلا
يلتفتون اليهم ويشاققونهم
يقولون ذلك شتمة بهم
أو هم الملائكة (ان الخزي
اليوم) الفضيحة (والسوء)
العذاب (على الكافرين)

(فخر عليهم السقف) فوقهم
علم الصرح (من فوقهم)
وأتاهم العذاب) بالهدم
(من حيث لا يشعرون)
لا يعلمون (ثم) هو (يوم القيامة)
يخزيهم) يذهبهم ويذلهم
(ويقول) الله يوم القيامة
(أين شركاؤي) أى الآلهة
التي زعمتم انهم شركاؤي
(الذين كنتم تشاقون فيهم)
تخالقون لقبيلهم وتبادون
أنبيائى لقبيلهم (قال الذين
أوتوا العلم) يعنى الملائكة (ان الخزي اليوم) العذاب يوم القيامة (والسوء) النار والشدة (على الكافرين) (احوالهم)

(احوالهم)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء جزء وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام أى الخيبتون
رجاؤا بخلاف ما كانوا ﴿ ٥٩٧ ﴾ عليه فى الدنيا { سورة النحل } من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من

سوء) وجمعدوا ما وجد
منهم من الكفران والعدا
فرد عليهم أولو العلم وقالوا
(بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون) فهو يجازيكم عليه
وهذا أيضا من السمات
وكذلك (فادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين) جهنم
(وقيل للذين اتقوا) الشرك
(ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا)
وانما نصب هذا ورفع أساطير
لان التقدير هنا أنزل خيرا
فطبقوا الجواب على السؤال
وثمة التقدير هو أساطير
الاولين فدلوا بالجواب عن

الذين تتوفاهم الملائكة)
قبضتهم الملائكة يوم بدر
(ظالمى أنفسهم) بالكفر
(فألقوا السلم) ردوا الجواب
ويقال خضعوا لله (ما كنا
نعمل من سوء) نعبد من شئ
من دون الله وما كنا
مشركين بالله (بلى) يقول
الله بلى (ان الله عليم بما كنتم
تعملون) وتقولون وتصدون
من دون الله (فادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها)
مقيمين فيها لا تموتون ولا
تخرجون منها (فلبئس مثوى
المتكبرين) منزل الكافرين
جهنم (وقيل للذين اتقوا)

لان يكون لطفًا ووعظلمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ جزء بالياء وقرئ
بإدغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ بان
عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسلموا واختبوا حين عاينوا الموت
﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان
يكون تفسيراً للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى تقيهم
الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا
السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم
يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بان لم تكن فى زعمنا واعتقادنا طامنين سوا
واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله أو اولو العلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف
بأيه الممدله وقيل أبواب جهنم اصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾
جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴾ أى أنزل
خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتعلموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال

أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين
أهل الباطل وعذبوا بأنواع السذاب فنصد ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم
والسوء على الكافرين وقائدة هذا القول اظهار السمات بهم فيكون أعظم
فى الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى ﴾ الذين تتوفاهم الملائكة ﴿ تقبض أرواحهم
الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ يعنى بالكفر ﴿ فألقوا السلم ﴾
يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾
يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف ﴿ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فلان فائدة لكم
فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر ﴿ فادخلوا ﴾ أى يقال
لهم ادخلوا ﴿ أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال
ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض
﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ يعنى عن الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقيل للذين اتقوا
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴿ وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من
ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يبعثون على طرقات
مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذالم تلقه خيرا فيقول
الواقف انا شر واقد ان رجعت الى قومي من دون ان ادخل مكة فاقامه فدخل مكة فبى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث
من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا الشرك وقول
الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعنى أنزل خبرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله
أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب

كفر والشرك والفواحش عبد الله بن مسعود وأصحابه (ماذا أنزل ربكم) ماذا فقول لكم محمد عليه السلام من ربكم (قالوا خيرا) توحيد

السؤال (لذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا إله إلا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغنية وهو يدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاة أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين { الجزء الرابع عشر } وجمل قولهم ﴿ ٥٩٨ ﴾ من جمل أحسانهم (ولدار الآخرة

خير) أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فأقام الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فعذف المخصوص بالمدح تقدم ذكره (جنات عدن) خير مبتدأ محذوف أو هو مخصص بالمدح (يدخلونها) حال (يجرى من تحت الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه في مقابلة ظلمي أنفسهم

على خلاف الكفرة روى أن أحياء العرب كانوا يعشون أيام الموسم من يأتيهم بخير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا جاء الوافد المقتسمين قالوا ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ مكانة في الدنيا ﴿ ودار الآخرة خير ﴾ أي وثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخبير على أنه منتصب بقالوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خير مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون ﴾ من أنواع المشتميات وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جيع ما يريد إلا في الجنة ﴿ كذلك يجزي الله المتقين ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظلمي

المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس هو من الأنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلغثوا وأطبقوا الجواب على السؤال بنما مكشوفاً معقولا لأنزال فقالوا خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقت تام ثم ابتدأ بقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابا حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فملى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب أحسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ودار الآخرة خير ﴾ يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون منها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسره هذه الدار بقوله ﴿ جنات عدن ﴾ يعني بساتين إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم ﴿ لهم فيها ﴾ يعني في الجنات ما يشاؤون ﴿ يعني ما تشتهى الأنفس وتلذذ الأعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد إلا في الجنة لأن قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا ﴿ كذلك يجزي الله المتقين ﴾ أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل إن قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى

وصلة (لذين أحسنوا) وحدوا (في هذه الدنيا حسنة) الجنة يوم القيامة (ولدار الآخرة) يعني الجنة (خير) من الدنيا وما فيها (ولنعم دار المتقين) الكفر والشرك والقوا حش الجنة (جنات عدن) وهي مقصورة الرحمن (يدخلونها) يوم القيامة (يجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أنهار الحر والماء

والسل واللبن (لهم فيها) في الجنة (ما يشاؤون) ويتمنون (كذلك) هكذا (يجزي الله المتقين) الكفر (حسن) والشرك والقوا حش (الذين تتوفاهم الملائكة) قبضتهم الملائكة (طيبين) طاهرين

الفيهم وقيل فرحين بشارة الملائكة ايهم بالجنة أو طيبين يقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ لا يحيقكم بعدمكروه ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظر الكفار المار ذكرهم ﴿ الا ان تأتيم الملائكة ﴾ لقبض

(يقولون سلام عليكم) قيل
اذا أشرف العبد المؤمن
على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام ويشره
بالجنة ويقال لهم في الآخرة
(ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
بمعلمكم (هل ينظرون) ما
ينتظر هؤلاء الكفار) الا
أن تأتيم الملائكة لقبض
أرواحهم وبالياء على وجزة

من الشرك (يقولون سلام
عليكم) من الله (ادخلوا الجنة)
بايمانكم واقسموها (بما كنتم
تعملون) أو تقولون من الخيرات
في الدنيا (هل ينظرون)
ما ينتظرون أهل مكة اذلا
يؤمنون (الا ان تأتيم
الملائكة) لقبض ارواحهم

حسن فيدخل فيهم أمساكل ما أسروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل
ماتوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والحصل الحيدة والمباعدة
من الاخلاق المذمومة والحصل المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة
لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك
الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم وطيب لهم الموت على هذه
الحالة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبغفهم
السلام من الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة
فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا
الا أن يتعدنى الله بفضله ورجته أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت
قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت
بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت
هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى
لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيما يشاء
فلوعذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا أكرمهم
ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولونهم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له
ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يفقر للمؤمنين
ويدخلهم الجنة برجته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام
بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن
اختراعاتهم الباطلة المباعدة لتصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه
لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ومحوها من الآيات التي تدل على أن
الاعمال الصالحة يدخلها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات
ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله
فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث وصرح أنه دخل بالاعمال أي
بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى ﴾ (هل ينظرون) ﴿
يعني هؤلاء الذين أسركوا بالله ووجدوا نبوتك يا محمد﴾ (الا ان تأتيم الملائكة) ﴿ يعني

(أوبأى أمر ربك) أى العذاب الجزاء الرابع عشر المتأصل والقيامة ﴿٦٠٠﴾ (كذلك) مثل ذلك الفعل من الك

أرواحهم وقرأ جزءة والكسائي بإياه ﴿أوبأى أمر ربك﴾ القيامة والعذاب المتأصل
﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾
فأصابهم ما أصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾
بكفرهم ومعاصيهم المؤدبة اليه ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أى جزاء سيئات
اعمالهم على حذف المضاعف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون﴾ واحاط بهم جزاؤه والحق لا يستعمل الا فى الشر ﴿وقال الذين
أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شئ﴾ أى قالوا ذلك استهزاء ومنعاً للبعثة والتكليف متمكين بان ماشاء
الله يجب ومالم يشأ يتبع فما الفائدة فيهما أو انكارا لقطع ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحائر ونحوها مخففين بانها لو كانت مستحبة لما شاء الله صدورها عنهم ولشأن
خلافه ملجئاً اليه لا اعتذاراً اذ لم يتقدوا قبح اعمالهم وفيما يمدد تنبيه على الجواب

لقبض أرواحهم ﴿أوبأى أمر ربك﴾ يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب
الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى
من الكفر والتكذيب ﴿وما ظلمهم الله﴾ يعنى بتدبيره اياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون﴾ يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الحيثية ﴿فأصابهم سيئات
ما عملوا﴾ يعنى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الحيثية ﴿وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا﴾ يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق
الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان
لحصل جثت أو لم تجب ولو شاء الله منا الكفر لحصل جثت أو لم تجب وإذا كان كذلك
فالكل من الله فلا فائدة فى بشة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله
فكانت بشة الرسل عثا كان هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى احكام
الله وفى أفعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى فعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض
لاحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا
وكان فى حكم الله وستد فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمرهم بعبادة الله تعالى وينههم
عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فن هداة فهو المهتدى ومن أضله فهو الضال
وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل الايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى
يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة
ببشة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شئ نحن ولا آباؤنا جهلاً منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بشة
الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى ﴿ولا
حرمنا من دونه من شئ﴾ يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فالولا ان الله رضيا

والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) واحاطه بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعنى البهيرة والسائبة

(أوبأى أمر ربك) عذاب ربك جهلاً بهم (كذلك) كما فعل بك قومك كذبوك وشقوك (فعل الذين من قبلهم) من قبل قومك بأبيائهم كذبوهم وشقوهم (وما ظلمهم الله) جهلاً بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالشرك وتكذيب الرسل (فأصابهم سيئات ما عملوا) عقوبة ما عملوا وقاوا من المعاصى (وحاق بهم) دار ونزل بهم (ووجب عليهم) ما كانوا به يستهزئون (عقوبة استهزائهم) بالانبياء ويقال العذاب الذى كانوا به يستهزئون (وقال الذين أشركوا) بالله الاوثان يعنى أهل مكة (لو شاء الله

ما عبدنا من دونه من شئ) من الاصنام (نحن ولا آباؤنا) قبلنا (ولا حرمنا من دونه) من دون الله (من شئ) (لنا)

ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل
 الإبلّغ المبين) الآن يفتخروا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقمعه (ولقد بشناي كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)
 بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) ﴿٦٠١﴾ الشيطان مؤن، سورة النحل طاعته (قمم من هدى

الله) لا اختيارهم الهدي
 ومنهم من حقت عليه الضلالة
 أي لزمته لا خياره أيها
 (فسيروا في الأرض فانظروا
 كيف كان طاعة المكذبين)
 حيث أهلكهم الله وأخلى
 ديارهم عنهم ثم ذكر عناد
 قريش وحرص رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على
 إيمانهم وأعلمهم من قسم
 من حقت عليه الضلالة
 فقال (إن حرص على
 هدايتهم فإن الله لا يهدي
 من ضل) بفتح الهمزة وكسر

عن الشبهتين ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ فاشركوا بالله وحرّموا حلاله وردوا
 رسله ﴿فهل على الرسل الإبلّغ المبين﴾ إلا الإبلّغ الموضح للحق وهو أن لم
 يؤثر في هدى من شاء الله هدايتهم فكيف مؤدى إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
 إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها الله ثم بين أن البعثة امر جرت به السنة
 الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتدائه وزيادة الضلال لمن أراد ضلاله
 كما تضاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المحرف وينهيه بقوله تعالى
 ﴿ولقد مشا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ناسر أداة الله
 تعالى واجتتاب الطاغوت ﴿فمنهم من هدى الله﴾ وفهم الأيمان بأرشادهم ﴿ومنهم
 من حقت عليه الضلالة﴾ إذ لم يوقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تبيين على غماد الشبهة
 الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وإرادته من حيث
 أنه قسم من هدى الله قد صرح به في الآية الأخرى ﴿فسيروا في الأرض﴾ بإمعن
 قريش ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود وغيرهم لظلمتهم فيبرون
 ﴿إن تحرص﴾ بإعجابهم ﴿على هدايتهم فإن الله لا يهدي من ضل﴾ من يريد ضلاله يهو

من البهيرة والسابقة والوصيلة
 والحسام وأكن حرم الله
 وأسرمانك (كذلك) كما
 فعل وكذب قومك على الله
 بتعريم الحرث والانعام
 (فصل) كذب الذين من
 قباهم على الله (فهل على
 الرسل) ما على الرسل
 (الإبلّغ) عز الله رساله الله
 (أشركوا) بغيره تعلمون ما هرة
 (ولقد بشناي كل أمة) إلى
 كل قوم (رسولا) كما أرسلناك
 إلى قومك (أن اعبدوا الله)
 وحدهم والله (واجتنبوا
 الطاغوت) اتركوا عبادة
 الأصنام ويطال الشيطان

للتغير ذلك ولهدانا إلى غيره ﴿كذلك فعل الذين من قباهم﴾ يعني أن من تقدم هؤلاء
 من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الحيث فانكار بعثة
 الرسل كان قديما في الأمم الحالية ﴿فهل على الرسل الإبلّغ المبين﴾ يعني ليس اليهم
 هدايتهم أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه ﴿ولقد بشناي كل أمة
 رسولا﴾ يعني كما تشافيتكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت﴾ يعني أن الرسل كانوا بأمرهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت
 وهو اسم كل معبود من دون الله ﴿فمنهم﴾ يعني من الأمم الذين جاءهم الرسل ﴿من
 هدى الله﴾ يعني هدايته إلى الإيمان به وتصديق رسله ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾
 يعني من الأمم من وجبت عليه الضلالة بالضلّاء السابق في أنزل حتى مات على الكفر
 والضلال وفي هذه الآية دليل على أن الهادي المصل هو الله تعالى لأنه المتصرف
 في عباده فهدي من يشاء ويفضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق
 علمه ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعني فسيروا
 في الأرض معتبرين مفكرين تسرعوا بال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم العذاب
 والهلال ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم أن أصرتهم عن الكفر والتكذب كما نزل بهم
 ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعني فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
 المكذبين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود وغيرهم لظلمتهم فيبرون
 ﴿إن تحرص﴾ بإعجابهم ﴿على هدايتهم فإن الله لا يهدي من ضل﴾ من يريد ضلاله يهو

وغال الأيمان (قوم) من أمة (تأنيدهم) أي أمة (تأنيدهم) أي أمة (تأنيدهم) أي أمة (تأنيدهم) أي أمة
 من حقت) ووجبت (عليه الضلالة) لم يجب لرسل إلى الأبد (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف كان عاقبة
 المكذبين) آخر أمر المكذبين بالرسل (أن تحرص على هدايتهم) على توحيدهم (فإن الله لا يهدي) لدينه (من يفضل) خلقه عن دينه

الدال كوفي الباقون بضم الياء وقع الدال والوجه فيه أن من بضل مبتدأ ولا يهدى خبره (ومالهم من ناصرين) يتمونهم من جريان حكم الله عليهم { الجزم الرابع عشر } ويدفون عنهم ﴿ ٦٠٢ ﴾ عذاب الذي أعد لهم (وأقسموا بالله

المعنى عن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى من بضل على البسطة للقول وهو ابليغ ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ من نصرهم بدفع السذاب عنهم ﴿ وأقسموا بالله جهداً بما لهم لا يبعث الله من يموت ﴾ عطف على وقال الذين أشركوا ايذاناً بالهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسبين عليه زيادة في البت على فسادهم ولقد رد الله تعالى عليهم البت فقال ﴿ بل ﴾ ﴿ يمشهم ﴾ ﴿ وعدا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بل فان يبعث موعده من الله تعالى ﴿ عليه ﴾ انجازه لامتناع الحلف في وعده أولان البعث مقتضى حكمته ﴿ حقا ﴾ صفة أخرى للوعد ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ انهم يعلمون اما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمرامتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ﴿ ليين لهم ﴾ أي يمشهم ليين لهم بعض الذي يختلفون فيه ﴿ وهو الحق ﴾ ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴿ فيما كانوا يزعمون وهو إشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو الميزين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال

قري بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهتدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ أي ما هين يتمونهم من العذاب ﴿ وأقسموا بالله جهداً بما لهم ﴾ قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين قائم بتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فتزلت هذه الآية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهداً بما لهم ﴿ لا يبعث الله من يموت ﴾ فرد الله عليهم ذلك وكنتهم في قولهم فقال تعالى ﴿ بل ﴾ يعني بل يمشهم بعد الموت لان لفظة بل آيات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوحده من الدم ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعده قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الأولى ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا يخافه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني لا يشعرون كعب تكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ﴿ ليين لهم ﴾ أي يمشهم في حق يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه ﴿ ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ يعني

جهداً أيانهم) مطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بل) هو آيات لما بعد النفي أي بل يمشهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد للدال عليه بل لان يبعث موعده من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق أو انهم يمشون (ليين لهم) متعلق بما دل عليه بل أي يمشهم ليين لهم والصغير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت

ولا يكون أهلاً لمنه (ومالهم) لكفار مكة (من ناصرين) من مائتين من عذاب الله (واقسموا بالله جهداً بما لهم) حلفوا بالله جهداً بما لهم واذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهداً عينه (لا يبعث الله من يموت) بعد الموت (بل وعدا عليه) على الله (حقاً) كذا وايجاباً ان يبعث من يموت (واكن أكثر اس) أهل مكة (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون

(ليين لهم) لاهل مكة (الذي يختلفون فيه) يخافون في الدين (ويعلم) أي يعلم (الذين كفروا) بجهده (في) صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) في الدنيا بان لا الجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب

انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له ﴿ ٦٠٣ ﴾ كن فيكون (أي { سورة النحل)

فهو يكون وبالسنن هاجري
وعلى على جواب كن قولنا
مبتدأ وأن تقول خبره
وكن فيكون من كان النامة
التي بمعنى الحدوث والوجود
أي اذا أردنا وجود شيء
فليس الآن نقول له احدث
فهو يحدث بلا توقف
وهذه عبارة عن سرعة
الايحاد بين أن مرادنا
لا يتبع عليه وان وجوده
عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند أمر
الآمر المطاع اذا ورد على
المأمور المطيع الممثل ولا
قول نعم والمعنى ان ايحاد
كل مقدور على الله بهذه
السهولة فكيف يتبع عليه
البيث الذي هو من بعض
المقدورات (والذين
هاجروا في الله) في حقه
ولوجه (من بعدما ظلموا)
هم رسول الله وأصحابه
ظلمهم أهل مكة فقروا
بدينهم الى الله منهم من
هاجر الى الحبشة ثم الى
المدينة فجمع بين الهجرتين
ومنهم من هاجر الى المدينة

(انما قولنا لشيء) أمرنا لقيام
الساعة (اذا اردناه) أن نقول له
كن فيكون والذين هاجروا
في الله (في طاعة الله من مكة
الى المدينة (من بعدما ظلموا)
من بعدما عذبهم أهل مكة

انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴿ وهو بيان امكانه وتقريره ان تكون
الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقفه على سبق المواد والمدد والازم التسلسل
فكما امكن له تكون الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكونها اعادة بعده
ونصب ابن عباس والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطف على تقول أو جوابا للامر ﴿ والذين
هاجروا في الله من بعدما ظلموا ﴾ هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة أو المحبوسون المذبون
بمكة بدمهجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعبس
وابوجندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله في الله أي في حقه

في قولهم لا يبعث بعد الموت ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ يعني
ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد أن يحيي الموتى ويبيثهم للحساب والحزاء فلا يبعث
عليه في احيائهم وبيثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذي
لا يعجزه شيء اراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تبارك وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينفي له ان يشتمني ويكذبني وما ينفي له أن يكذبني
أما شتمه اي يقول ان لي ولدا وأما تكذيبه اي يقول ليس يبعثني كما بدأني وفي
رواية كذبني ابن آدم ولم تكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اي يقول
لن يبعثني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اي يقول
اتخذ الله ولدا وأما الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿ وقوله
تعالى ﴿ والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا ﴾ يعني أو ذوا وعذبوا نزلت في بلال
وصهيب وخباب وعبس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة
فجعلوا يذبونهم ليرجموا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه
يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر وشدة بردهم ويحملون على صدره الحجارة وهو يقول أحد
أحد ما شتره منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم
اني رجل كبير ان كنت معكم فنن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه
قريبه أبو بكر الصديق فقال يا صوب ربح البيع وأما باقئهم فاعطوهم بعض ما يريدون فدخلوا
عنهم وقال قادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فعملهم لهم
دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم
وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة
اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه
حديث انما الاعمال بالنيات وفيه فن كانت هجرته الى الله ورسوله فهاجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهاجرته الى ما هاجر اليه الحديث
أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿ وقوله تعالى

يعني عمار بن يسر وبالاول وصهيبا واصحابهم

(لنبوتهم في الدنيا حسنة) صفة للمصدر أي تبوئة حسنة أو لنبوتهم بمائة حسنة وهي المدينة حيث آوأم أهلها ونصروهم (ولأجر الآخرة { الجزء الرابع عشر } أكبر) الوقف ﴿ ٦٠٤ ﴾ لازم عليه لأن جواب (لو كانوا

علمون) عنونوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك غبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزدوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أي هم الذين صبروا أو أوعى الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هم مسقط رؤسهم وعلى الجهادة وبذل لأرواح في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله ولما قالت قریش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى اليهم) على السنة الملائكة

ولوجه ﴿ لنبوتهم في الدنيا حسنة ﴾ مائة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ مما جعل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما أدخلك في الآخرة أفضل ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو اتفقوا أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزدوا في اجتهادهم وصبرهم ﴿ الذين صبروا ﴾ على الشدائد كاذي الكفرة ومفارقة الوطن وعمله النصب أو الرفع على المدح ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ منقطعين إلى الله تعالى مفوضين إليه الأمر كله ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى اليهم ﴾ رد لقول قریش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحى إليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد

هو لنبوتهم في الدنيا حسنة ﴿ بني لنبوتهم تبوئة حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوتهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أدخلك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن اليهم في الدنيا بأن يقع لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ سنى أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كانوا الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر ما هم فيه من نعم الدنيا لرغبوا فيه وقل أنه راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما وعد الله لهم في الآخرة لزدوا في الجاد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين ﴿ الذين صبروا ﴾ يعني في الله على ما أتاهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الأتفس والأموال في سبيل الله ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السائر إلى الله تعالى ومعناه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى اليهم ﴾ نزلت هذه الآية جوابا للمشركي مكة حيث أنكروا نبوة

(لنبوتهم في الدنيا) أنزلهم في المدينة (حسنة) أرضا كريمة آمنة ذات غنية حلال (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (أكبر) أعظم من ثواب الدنيا (لو كانوا يعلمون) وقد كانوا يعلمون (الذين صبروا) على أذى الكفار (وعلى ربهم

يتوكلون) لا على غيره يعني عازوا وأصحابه (و.أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الأرجالا) آدميا مثلك (نوحى) محمد (اليهم) بأمر واليهي

نوحى حفص (فاستلوا
 أهل الذكر) أهل الكتاب
 يعلمون ان الله لم يبعث
 الى الامم السالفة الا بشرا
 وقيل للكتاب الذكر لانه
 موعظة وتنيه للعاقلين
 (ان كنتم لاتعلمون بالبينات
 والزبر) أى بالمعجزات
 والكتب والباء يتعلق
 برجالا صفته أى رجلا
 ملتبسين بالبينات أو ما رسلنا
 مضمرا كأنه قيل بم أرسل
 الرسل فقيل بالبينات أو
 ييوحى أى يوحى اليهم
 بالبينات أو بلا تعلمون وقوله
 فاستلوا أهل الذكر اعتراض
 على الوجوه المتقدمة وقوله
 (وأنزلنا اليك الذكر)
 القرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) فى الذكر مما أسروا به
 ونها عنه ووعدا به
 وأوعدا

والعلامات (فاستلوا أهل
 الذكر) أهل التوراة
 والانجيل (ان كنتم لاتعلمون)
 ان الله لم يرسل الرسل
 الا انبياء (بالبينات) بالامر
 والنهى والعلامات (والزبر)
 خبر كنب الاولين (وأنزلنا
 اليك الذكر) جبريل
 بالقرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) ما أسروا به فى القرآن

ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه ﴿ فاستلوا أهل الذكر ﴾ أهل الكتاب أو علماء
 الاحبار ليعلموكم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
 ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا الى الملائكة أو الى
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الامم الذين بصورة الرجال ورد
 بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها
 مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ أى ارسلناهم
 بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم ارسلوا ويحوز ان يتعلق
 بما رسلنا داخل فى الاستثناء مع رجلا أى وما رسلنا الرجال بالبينات كقولك ما ضربت
 الازيدا بالسوط أو صفة لهم أى رجلا ملتبسين بالبينات أو ييوحى على المفعولية أو الحال
 من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاستلوا اعتراض أو بلا تعلمون على ان الشرط
 للتبكيك والالزام ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ أى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة
 وتنيه ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فى الذكر بتوسط انزالها اليك مما أسروا به ونها
 عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالتبنيح

محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث
 ملكا لينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجلا يعنى مثلك
 نوحى اليهم والمعنى ان مادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا
 رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة ﴿ فاستلوا أهل الذكر ﴾ يعنى
 أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أسروهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار
 مكة كانوا يتقدمون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل
 موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثاهم فاذا سألوهم فلا يدون ان يخبروهم
 بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن
 قلوبهم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم يا هؤلاء لاتعلمون ذلك
 ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا فى المعنى الجانب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من
 قبلك بالبينات والزبر الا رجلا ييوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم
 فى قوله فاستلوا أهل العلم فاستلوا أهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر
 ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يكامل به أمر الرسالة لان مدار
 أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى
 المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا
 لان فيه موعظة وتنيه للعاقلين ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ يعنى ما أجل اليك من أحكام
 القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجمل هو الرسول صلى الله عليه
 وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان

ودليل العقل ﴿ وللمهم يتفكرون ﴾ وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿ فأمن الذين مكروا السيئات ﴾ أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الأيمان ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ بئس من جانب السماء كاقبل يقوم لوط ﴿ أو يأخذهم في قلبهم ﴾ أي متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم ﴿ فقامم بمجزيين أو يأخذهم على تخوف ﴾ على عاقبة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقص شياً بعد شئ في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته تخوف الرجل منها كما كقردا • كاتخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم

(وللمهم يتفكرون) في تنبيهاته فيتنبهوا (فأمن الذين مكروا السيئات) أي المكرات السيئات وهم أهل مكروا مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الأرض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي بئس من حيث يأخذهم في قلبهم متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم (فقامم بمجزيين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون متوقنون وهو خلاف قوله من حيث

القرآن مجمل والحديث بين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على الجمل وقال بعضهم القرآن منه حكم ومنه متشابه فالحكم يجب أن يكون ميناو المتشابه هو الجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجل فيه دون الحكم المين المفسر ﴿ وللمهم يتفكرون ﴾ يعني فيما أنزل إليهم فيعملوا به ﴿ فأمن الذين مكروا السيئات ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات تمرد ومن هو مثلهما الصحيح أن المراد به كفار مكة ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ يعني كما خسف بقارون من قلبهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني أن العذاب يأتيهم بئس من حيث لا يشعرون ﴿ أو يأخذهم في قلبهم ﴾ يعني في تصرفهم في الأسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في الممهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم ﴿ فقامم بمجزيين ﴾ يعني بسابقين الله أو يشوتونه بل هو قادر عليهم ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس وجاءه - يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله الخون يقال تخوفه الدهر ونخونه اذا انتقص وأخذناه وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فلي هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيجتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لابل يخوفهم ثم يعذبهم بمد ذلك وقال

(وللمهم يتفكرون) لكي يتفكروا ما أسرارهم في القرآن (فأمن الذين مكروا السيئات) الشرك بالله (أن يخسف الله بهم الأرض) أو يأتيهم (العذاب) من حيث لا يشعرون (أو يأخذهم في قلبهم) في ذهابهم ومجيئهم في العبارة (فقامم بمجزيين) بضائين من عذاب الله (أو يأخذهم على تخوف) على تنقص رؤسائهم وأصحابهم

﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث لا يساجلكم بالقسوبة ﴿ أولم يره الى ما خلق الله من شئ ﴾ استفهام انكار أى قدر أو أمثال هذه الصنائع فبالهم لم يتفكروا فيها لظهور لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ﴿ يتقيؤ ظلاله ﴾ أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال تنفضة موقراً جزءة والكسائى تروا باناء وابوعرو تنفياً باناء ﴿ عن اليمين والشمال ﴾ عن ايمانها وعن شمائلها أى عن جانبى كل واحد منها استعارة من عين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجع الشمال باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجهه فى قوله ﴿ سجدا لله ﴾

الضحك والكلى هو من الحوف يعنى يراك طائفة فيخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم يخضع يحصل فى الارض أو بمذاب يتزل من السماء أو آفات تحدث دفعة وآفات تحدث قليلاً قليلاً الى أن يأتى الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله ﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يجعل بالعقوبة والعداب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أولم يروا ﴿ قرئ باناء على خطاب الحاضرين وبالياء على النية ﴿ الى ما خلق الله من شئ ﴾ يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الابنفس الرؤية التى تكون معها نظر الى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به ﴿ يتقيؤ ظلاله ﴾ يعنى تيسل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تخلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى فى لانه من فاء بقى اذا رجع من المغرب الى المشرق والنى الرجوع قال الازهرى تقيؤ الظلال رجوعها بعد ان تصاف النهار فالتقيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالتدأة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه اضافة الى ذوى الظلال ﴿ عن اليمين والشمال ﴾ قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلقك فاذا مالت الشمس الى الغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فأخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع ﴿ سجدا لله ﴾ فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والالتحاق بالحضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النحلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التى لها ظلال فهى متقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير متمعة عليه فمما سخره الله من التقيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال وقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا لئلا يقال ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أولاً وبندل ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير

لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يساجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فاعارأته تقيؤكم ورجته تحميكم (أولم يروا) وبالهاء جزءة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتقيؤ ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع وبالهاء بصرى (عن اليمين) أى الايمان (والشمال) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ

(فان ربكم لرؤف رحيم) لمن تاب ويقال بتأخير العذاب (أولم يروا) أهل مكة (الى ما خلق الله من شئ) من الحجر والسواب (يتقيؤ ظلاله) يتقلب ظلاله (عن اليمين) غدوة (والشمال) وعن الشمال عشية (سجدا لله) يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشياً أيضاً تسجد لله

(وهم داخرون) صاغرون وهو { الجزء الرابع عشر } حال من الضمير ﴿ ٦٠٨ ﴾ في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما

وهم داخرون ﴿ وهم احوال من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت الخلة اذا ماتت لكثرة الحبل وسجد البير اذا طأ طأ رأسه ليركب أو سجد احوال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس واحمدارها أو باختلاف مشارقتها ومقاربتها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب مقادة المقدر لها من التقي أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاحرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة مقادة لاصال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جعلتها من يعقل أولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمال بين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تطهر منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له من الارض فان الظلال في اول النهار يتبدى من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال يتبدى من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ والله بسجد ما في السموات وما في الارض ﴾ أي يقاد اقيادا يعم الاقياد لارادته وتأثيره طبيا والاصياد لتكليفه واسره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿ من دابة ﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض أو سماه ﴿ والملائكة ﴾ عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المحدثات على الجسمانيات وبه اخرج من قال ان الملائكة ارواح مجردة أو بيان لما في

الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والتون لان الدخور من اوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من عقل مقبل والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام اني لها ظلال متقنة عن اعانتها وشمالها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب مقادة الله تعالى غير متممة عليه فيها سخريه الله من التقي والاحرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة مقادة لاصال الله فيها غير متممة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان ما في السموات وما في الارض جميعا على ارض في السموات خلتا يدون فيها كما تدب الاناس في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكة تن وشوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكائين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم اتيادهم لارادة الله وهمي الاياد بجمعها ما يتخلقا فلذا حار ارسبر عسا ما اسد واعدو حتى يتاذهو صايع باسناد وغيرهم ووجه عن (رسم داخرون) طومر (ولله يسجد ما في السموات)

ساجد لله ﴿ وهم داخرون ﴾ أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغرة الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء مقادة لاسرائل الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء وكيم عبره ابلعظ من عقل وجهها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والاقبياد لاسره وذلك صفة من عقل عبره ابلعظ من عقل وجازجهما بالواو والنون وهو جمع العقلاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة ﴿ قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود اقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود اسياد وخضوع وأبى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا عقل اكثر من عقل في العدد والحكم الاغلب كتغليب المدرك على مؤنث ولانه لو أبى بمن التي هي المعتاد لم يكن فيما لا يعلى التغليب بل كانت متساوية للعقلاء خاصة في بلفظة ما ليسمى الكل واعلمة لدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية الدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني تحرك ويد فيدخل فيه لاسار لانه مما يدب على الارض ولهذا أقر الملائكة في قوله ﴿ والملائكة ﴾ لانهم أولوا أجنحة طيرون بها وأوردتهم بالذكور وان كانوا من جملة من في السموات وتقبل اراد الله يسجد في السموات من المدب وما في الارض من دابة سجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تدابها وانحرها لما خلقت له وسجود ملائكة وسجود المحدثات يدل على قدرة السانم سبحانه وتعالى ميدعو الغافلين الى السجود لله عند المأمل والتدبر

من الشمس والقمر والنجوم (وما في الارض من دابة) من الدواب والطيور (والملائكة) في السماء يسجدون لله (وهم)

تتلوه (الملائكة خاصة) وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون جاهلًا (من)
 فيهم لأن مقتضى يخافون فمناه يخافونه ﴿٦٠٩﴾ أن يرسل ﴿سورة النحل﴾ عليهم عذابا من فوقهم لأن الله

علقته برهم حالاً منه قضاء
 يخافون ربهم غالباً لهم
 قاهر أفعاله وهو القاهر
 فوق عباده (ويفعلون
 ما يؤسرون) وفيه دليل
 على أن الملائكة مكلفون
 مدارون على الأمر والنهي
 والنهي بين الخوف والرجاء
 (وقال الله لا تتخذوا الهين
 اثنين إنما هو الله واحد)
 فإن قلت إنما جمعوا بين
 العدد والمعدود فيما
 وراء الواحد والاثنين
 فقالوا عندي رجال ثلاثة
 لأن المعدود طار عن الدلالة
 على العدد الخاص فمارجل
 ورجلان معدودان فيما
 دلالة على العدد فلا حاجة
 إلى أن يقال رجل واحد
 ورجلان اثنان قلت الاسم
 الحامل لمعنى الأفراد
 والثنائية دال على شيئين
 على الجنسية والعدد
 الخصوص فاذا أريدت
 الدلالة على أن المعنى به
 منهما هو العدد شفع بما
 يؤكد فدل به على القصد
 إليه والعبارة به ألا ترى أنك
 لو قلت أنا هو الله ولم تؤكد
 بواحد لم يحسن وخيل أنك
 تفتت الألية لا للوحدانية
 (فايى فارهبون) نقل

الأرض والملائكة تكرر لما في السموات وتعيين له اجلالاً وتعظيماً والمراد بما ملائكتها
 من الحفظة وغيرهم والملاستعمل للمقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع
 القيلان أولى من اطلاق من تظيياً للمقلاء ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ﴿يخافون
 ربهم من فوقهم﴾ يخافونه أن يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله
 تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير
 لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادة ﴿ويفعلون ما يؤسرون﴾ من الطاعة
 والتديرو وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿وقال الله
 لا تتخذوا الهين اثنين﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي
 إليه أو إيماء بأن الاثنية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله ﴿إنما هو الله واحد﴾
 للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الألوهية أو للتنبية على أن الوحدة من لوازم
 الألوهية ﴿فايى فارهبون﴾ نقل من النسخة إلى التكميل مبالغة في الترهيب وتصريحاً

﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ هو كقوله وهو القاهر
 فوق عباده وقد تقدم تفسيره ﴿ويفعلون ما يؤسرون﴾ عن أبي ذر قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أتى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تظن
 ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
 قليلاً ولبكيتم كثيراً وما لتذتم بالنساء على الفرس ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى
 الله تعالى قال أبو ذر لوددت أنى كنت شجرة تضدأ أخرجته الترمذى وقال عن أبي ذر موقوفاً

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها
 وسماعها ﴿وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين﴾ لما أخبر الله عن وجل
 في الآية المتقدم أن كل ما في السموات والأرض خاضعون لله متقادون لأمره عابدون له
 وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهي في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين
 فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيداً لقوله الهين وقال صاحب
 النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين معنى أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما الهياً
 ولكن اتخذوا الهياً واحداً وهو قوله تبارك وتعالى ﴿إنما هو الله واحد﴾ لأن الالهين لا يكونان
 المتساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنية منافية
 للالهية وذلك قوله تعالى أنا هو الله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود الهان
 اثنان أنا هو الله واحد ﴿فايى فارهبون﴾ يعني يخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب
 وإنما نقل الكلام من النسخة إلى الحضور وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب

الكلام عن النسخة إلى التكميل وهو من طريقة (قاو خا ٧٧ لث) الاقافات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوا فإياه بونى

(وهم لا يستكبرون) عن السجود لله (يخافون ربهم من فوقهم) الذي فوقهم على العرش (ويفعلون) يعني ويقولون (ما يؤسرون) يعني
 الملائكة (وقال الله لا تتخذوا) لا تعبدوا (الهين اثنين) نفسوا والاصنام (إنما هو الله واحد) بلا ولد ولا شريك (فايى فارهبون) فخافون

فيه ويسمونه بغير ضمير في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله الذي خلق لكم ما يحكمون في
 جمعون من تعالى عن اوله بعد قوله عنهم لا يؤمنون بالآخرة ممن سوءه
 صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المادية بالموث واشتهاء المذكور استظهارا به
 وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق والله المثل الاعلى وهو الوجوب
 الذاتي والغنى المطلق والوجود الناقص والزاهة عن صفات الخلقين وهو العزيز
 الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو اخذ الله الناس بظنهم بكفرهم
 ومعاصيهم ما ترك عليها في الارض وانما اختمها من غير ذكر لئلا يفسد
 اولادها عليها من دابة فيقتلهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ناد
 الجبل يهلك في جمعه بذنب ابن آدم ومن دابته خالمت وقيل لواهلك الآباء بكفرهم لم يكن
 أبوداود وقوله تعالى الاسماء محكمون يعني بمس ما يصنعون ويقضون حيث
 يجمعون الله الذي خلقهم النبات وهم يستكفون منهم وجمعون لانفسهم الذين نظيره
 قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكروا له لاني تلك اذا قسمة ضربي وقيل معناه الاسماء
 ما يحكمون في واد النبات لا يؤمنون بالآخرة مثل سوءه يعني صفة السوء
 من احتياجهم الى الولد الذكر وكراهة الاناث وقتلهم خوف النقص والله المثل
 الاعلى أي العفة العاليا المتسمة وهي أن له التوحيد وأنه المزهة عن الولد وأنه
 لاله الا هو وأنه جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى
 وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل سوءه امار
 والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله وهو العزيز في المتع في كبريئه وجلاله
 الحكيم يعني في جمع أفعاله وقوله عز وجل ولو اخذ الله الناس بظنهم يعني بسبب
 ظنهم فيعاجلهم باقتوبة على ظنهم وكفرهم وعصيانهم فان قست الناس ائمة جنس
 يشمل الكل وقد قال في آية أخرى منهم ظنم انفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات فتسهم في تلك الآية ثلاثة قسم فجعل المؤمنين قسما واحدا من ثلاثة قسما وقوله
 ولو يؤاخذ الله الناس بظنهم من خصوصيات آية الاخرى لان في جنس الناس الآباء
 والصالحين ومن لا يطبق عليه اسم التبر وقيل أراد بالناس الكفار فدل على قوله ان الخير
 الظلم عظيم وقوله ما تركنا على الاض كتابه عن غيره ذكر الانا ما لا يتب
 الاعلى الارض من دابة يعني أن الله سبحانه وتعالى لو يؤخذ الناس بظنهم لان حال
 جمع له ارب التي على وجه الارض من دابة وقوله تعالى في زمن نوح عليه السلام
 فاهت من هن على وجه الارض لان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان
 ابهر مرة مع رجل يقول ان الله انفسه فان بس مائة من جبري موت
 عز الابطر الظلم وقول ابن مسعود ان اهل تعذب في حجره بذنب ابن آدم وقيل ان
 بالهابة الكافر بدليل قوله ان ناس العرب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الاسماء
 يؤاخذ الله الآباء المؤمنين بسبب الجبر لان قطع النسل ولو وجد الابناء في حق في الارض
 غيره (ولو يؤاخذ الله الناس بظنهم) اسركهم (ماتركها) على ظنهم الارض (من دابة)

عندهم لله وجمعون لانفسهم
 من هو على عكس هذا
 اوصف (المؤمنين لا يؤمنون
 بالآخرة مثل سوءه) صفة
 السوء وهي الحاجة الى
 الاولاد الذكور وكراهة
 الاناث ووأدهن خشية
 الاملاق (ولله المثل الاعلى)
 وهو الغنى عن المؤمنين والزاهة
 عن صفات الخلقين
 (وهو العزيز) الغاب في
 تنفيذ ما أراد (الحكيم) في
 امهال العباد (ولو يؤاخذ
 الله الناس بظنهم) بكفرهم
 ومعاصيهم (ما تركنا على
 الارض) (من دابة)
 قتل ولا يهلك كلها
 بشؤم ظلم الظالمين عن
 أي هزيمة رضي الله عنه
 ان الخبري موت في وكره
 بظلم الظالم وعن ابن مسعود
 رضي الله عنه ناد الجبل يهلك
 في حجره بذنب ابن آدم وعن
 ابن عباس رضي الله عنهم
 من دابة من مشرك بسبب
 (الاسماء محكمون) اس
 ما يصنعون لانفسهم الذكروا
 لاني تلك اذا قسمة ضربي
 (الاسماء محكمون) اس
 ما يصنعون لانفسهم الذكروا
 لاني تلك اذا قسمة ضربي
 (الحكيم) اس

(فهو وليهم اليوم) أي فربهم في الدنيا على اعتدالهم بالغرور والضمير مشركي قرش أي رين ما كفا رقباهم أعمالهم هودى هؤلاء لانهم منه وهو على حذق نصف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (وله عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الآيتين لهم) للناس (الذي) ٦١٥ ﴿﴾ (اختصوا فيه) هو (سوا نوح) البعث لا بد من فيه من يؤمن

به (وهدى روحه) مملوفاً على مثل التبين لانهم خصمها على انهم يقولون انهم لا يهتدون فقال الله أنزل الكتاب ودخلت اللام على التبين لانه فعل الخطاب لافعل أنزل (تقوم) فمنون والله أنزل من السماء ماء في حياة الارض بعد موتها ارضي ذلك لآية لقبه (سبعون) منافع انفسه وتدير لان من استمع بقائه فكله لا يسمع (وان اكرم في الانعام اعبره نسيتكم مما في بطونه) وبتبع النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزحاج سقطت وأحقته معنى واحد ذكر سيوبه لانعام في الامناء المفردة الزائدة على الأعمال وتدارج الضمير البدن فرداً وأما في بطونها في سورة المؤمنين ولان معناه الجمع وهو استئناف بعد قبل كيف مرة فقال انفسكم مما في بطونه

فيا ومنوا (فهو وليهم اليوم) في الدنيا قرآن في النار (واجم) في الآخرة (عذاب أليم) وجمع (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الآيتين لهم) القرآن (الذي) الاختصوا فيه

في سورة (الزمر) من

قبائحهم وكفروا بالمرسلين في فهم وليهم اليوم ﴿﴾ أي في الدنيا وعبرنا يوم من زماننا نرى بهم واهم حينئذ نزلنا لهم أو يوم تبوءت على نكح حكاية حال ماضية أو آية ويجوز ان يكون الضمير قرش أي زين الشيطان كما قرره المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم بعزيمهم وغيوبهم وان تدر متضاف أي فهو ولي أعمالهم والولى القرن أو الناصر فيكون نصيبنا منس لهم على المبلغ وأوجه ﴿﴾ واهم عذاب اليم ﴿﴾ في القيامة ﴿﴾ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم ﴿﴾ للناس ﴿﴾ الذي اختصوا فيه ﴿﴾ من التوحيد والقدر واحوال المعتد واحكام الافعال ﴿﴾ وهدى روحه تقوم ﴿﴾ فمنون ﴿﴾ معلوفان على مثل التبين فانها مفعول الممثل بخلاف التبين ﴿﴾ والله أنزل من السماء ماء فحي به الارض بعده موتها ﴿﴾ ائت فيها انواع النبات بعد موتها ﴿﴾ ان في ذلك آية لقوم يستمعون ﴿﴾ سماع تدبر وانصاف ﴿﴾ وان لكم في الامام اعبره ﴿﴾ دلالة بعبرها من الجهل الى العلم ﴿﴾ نسيتكم مما في بطونه ﴿﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحدها لفظ والتدبر في سورة المؤمنين للمعنى في الانعام اسم جمع ولذلك عدسيوبه في المفردات الماضية على افعال الاخلاق واكياش ومن قل انه جمع نعم جعل الضمير ليعيش فن لابين بعثها دون جميعها اولوا واحده اوله على معنى فن الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحداً أو يهدي أحداً وان الله وسوسة فقط فن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل رسوسته ﴿﴾ فهو واهم ﴿﴾ أي ناصرهم ﴿﴾ اليوم ﴿﴾ ومن كان الشيطان وابداً ناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما هو واهم لظاعته اياه ﴿﴾ واهم عذاب اليم ﴿﴾ بمعنى في الآخرة ﴿﴾ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختصوا فيه ﴿﴾ يعنى في أمر الدين والاحكام فبين لهم الهدى من الضلال واحق من الباطل والحلال من الحرام ﴿﴾ وهدى روحه ﴿﴾ يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا لبيانها وهدى روحه ﴿﴾ تقوم يؤمنون ﴿﴾ لانهم هم المنعمون به ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿﴾ والله أنزل من السماء ماء ﴿﴾ يعنى المطر ﴿﴾ فاحببه ﴿﴾ يعنى بالماء ﴿﴾ الارض ﴿﴾ يعنى بالنبات والزروع ﴿﴾ معده موتها ﴿﴾ يعنى بسنها وحبوبها ﴿﴾ ان في ذلك آية ﴿﴾ يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا ﴿﴾ تقوم يستمعون ﴿﴾ يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لاجتماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بتدبره واهم تذكر فيها التمتع ومن لم يسمع بقائه لم يتمتع بالآيات ﴿﴾ وان اكرم في الانعام اعبره ﴿﴾ يعنى اذا شكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك ﴿﴾ نسيتكم مما في بطونه ﴿﴾ الضمير عائداً الى الانعام وكان حقه ان يقال مما في بطونها واختلاف الضمير في الجواب فقول ان لفظ الانعام مفرد وضع لفائدة الجمع فهو بحسب المنفعة فرد فيكون الضمير ضميراً واحداً وهو مذكور بحسب المعنى مع فيكون ضمير ضمير الجمع وهو مؤنث نائب عن قول الله في بطونه وقد في سورة المؤمنين مما في بطونها وعذاب اليم ﴿﴾ من عبرة والاختصاص وقول

روحه) من العذاب (مؤمنون) به (وسمعتون من السماء ماء) مطرا (حبيبه) حشر (لأن من سخطه وسوسة ان في ذلك) في احياء ما ذكرت (آية) اعلامة (تقوم يستمعون) يطمعون ويصدقون (وان اكرم في الانعام اعبره نسيتكم مما في بطونه

وقرى أبيض...
أى وانقبضت من ثمرات الخيل...
استدفئت ليمن الأضفة...
تخذون أى ومن ثمرات الخيل...
الاولين لاند المضاف...
سمى به الخمر...
على حريم...
القدم...
أى تمقت بعراضهم...
حصل في الكبد...
والسوداء...
وأى المسمية...
العروق...
كثير فينصب...
الدهن...
لبنافها...
يتولد...
أولامن...
فرش ودم...
تقباضارا...
الحلب...
الدم...
عز وجل...
من ثمرات الخيل...
من ثمرات الخيل...
عمر واحسن...
سميت...
الاعشاب...
عن رجل...
مكينة...
الذات...
أيضا...
يدل على...
الذات...
أيضا...
يدل على...

وقرى أبيض...
أى وانقبضت من ثمرات الخيل...
استدفئت ليمن الأضفة...
تخذون أى ومن ثمرات الخيل...
الاولين لاند المضاف...
سمى به الخمر...
على حريم...
القدم...
أى تمقت بعراضهم...
حصل في الكبد...
والسوداء...
وأى المسمية...
العروق...
كثير فينصب...
الدهن...
لبنافها...
يتولد...
أولامن...
فرش ودم...
تقباضارا...
الحلب...
الدم...
عز وجل...
من ثمرات الخيل...
من ثمرات الخيل...
عمر واحسن...
سميت...
الاعشاب...
عن رجل...
مكينة...
الذات...
أيضا...
يدل على...
الذات...
أيضا...
يدل على...

وقرىء الى النحل بفتح نون نوحس بكاء بحزنى ويجوز ان يكون الراء في قوله
 في الإنحاء معنى القول وأثبت الضمير على المعنى فان النحل المذكور من بيوت
 ومن الشجر وما يعرشون ذكر بحرف التبييض لانها لابنى في كل جبل وكل شجر
 وكل ما يعرش من كرم أو سقمب ولا في كل مكان منها وإنما سمى ما تبديد لتعسل
 فيه بيوتا تشبها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصبيعة وحسن القسمة التي لا يقوى عليها حدائق
 المهندسين الآلات وانظار دقيقة وأعل ذكره لتنبه على ذلك وقرىء بيوتا كسر الباء
 ليساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء ثم كلنى من كل الثمرات من
 كل ثمرة تشبها بها وحاولها ففاساكي ما لكت سبل ربك في مسالك التي
 يحيل فيها بقدرته النور المرعلا من اجوافك أو فاسلكى الطرق التي الهماك في عمل
 العسل أو فاسلكى راحة الى بيوتك سبل ربك لاتوعر عليك ولا تلبس ذلالا جمع
 ذلول وهي حال من السبل أى مذابة ذلها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير في اسلكى
 أى وابت ذلل منقادة لما عرت به يخرج من بطونها عند به عن خراب النحل
 الى خطاب الناس لانه محل الأسماع عليهم والمقصود من خلق النحل والهامة لاجلهم
 شراب يعنى العسل لانه مما يترب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار
 والاوراق العطرة فيسحبل في بطونها عسل ثم تقي ادخارا لشتاء ومن زعم انها تلتقط
 بافواها اجزاء طرية حارة صغيرة منفردة على الوراق والازهار وتضعها في بيوتها
 ادخارا فاذا جمعت في بيوتها سمي كثير منها بالاعسل فسر البطن بالامواء تختلف
 أو انه بيض واصفر راجح راسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل

الإنحاء فيه معنى القول قال الزحاج واحد النحل لغة
 كامل ونخلته الأيىث بتباز
 هنا ومن في من الجبال (ومن
 الشجر وما يعرشون) يرفون
 من سقوف البيوت أو ما يدون
 للنحل في الجبال والشجر
 والبيوت من الاماكن التي
 تعسل فيها التبييض لانها لابنى
 بيوتها في كل جبل وكل
 شجر وكل ما يعرش والضمير
 في يعرشون للناس وبضم
 الراء شامى وأبو بكر (ثم
 كلنى من كل الثمرات) أى
 ابنى البيوت ثم كلنى كل ثمرة
 تشبها فاذا كلفها ففاساكي
 سبل ربك فادخل الطرق
 التي الهماك أو هماك في
 عمل العسل أو اداها كلت
 الثمر في المواضع البعيدة
 من بيوتك فاسلكى الى
 بيوتك راجع سبل ربك
 لاتخافين فيها (ذلالا) جمع
 ذلول وهي حال من السبل
 أى تمسلى ذلتها وسهلها
 أو من الضمير في فاساكي
 أى وأنت ذالى منقادة لما
 أمرت به غير متعة (يخرج
 من بطونها شراب) يريد
 العسل لانه مما يترب
 من بيوتها (تختلف أو انه
 بيض واصفر وأحمر
 من الشباب والكهول والشب

قال الزحاج في رؤس يقال سمر هذا الحيوان نحو لاذن الله سبحانه وتعالى نحل
 الذى يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر وينث وهي مؤنث في لغة
 الحجاز وكذا الشها لله تعالى فقال من أن أخذني من الجبال بيوتا ومن لشجر وما يعرشون
 يعنى يبنون ويثقفون وذلك ان النحل يمدوحا وهو لذى يسكن الجبال والشجر تورد أوى
 الى الكهوف ومنذاهن وهو الذى يؤولى الى الكهوف ويرجع الناس عندهم وقد جرت العادة
 ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى الراهوقال ابن زياد ادبالى عرشون الكروم
 ثم كلنى من كل الثمرات يعنى من عين الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمرات فغخذت
 كل منها ليست لأمموم ففاساكي سبل ربك يعنى الطرق التي الهماك الله أن تسلكها
 وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات ذلالا أى ذلول لانها نعت للسبل يعنى لها مثل ذلك الطريق
 مسهلها لك مسالكها قال بخود لا يحسنها ليعان تسلكها وقيل الذلال نعت للنحل يعنى انها
 مذمنة مسخرة لاربابها مطبوعة منقادة لهم حتى ينهب بقوتها من مكان الى مكان آخر حيث شاءوا
 وأرادوا لانتعسى عليهم يخرج من بطونها شراب يعنى العسل من مختلف أو انه
 يعنى ما بين أبيض وأحمر واصفر وغير ذلك من انه ان العسل وذلك على قدر ما كل من الثمر

الجبال مسكنا (ومن الشجر) وفي الشجر أيضا (وما يعرشون) يدون (ثم كلنى من كل الثمرات) من كل الثمرات (فاساكي سبل ربك)
 فادخل طرق ربك (ذلالا) هذا الاممخترات (يخرج من بطونها) من بطونها النحل (شراب مختلف) الاسمر والاسفر والابيض

اسقه العسل فما شفي من سعاله فقل ان شفي من سعاله
وكذب بعض اخيك فسقه فشفاه الله تعالى فبرئ وكأنا انشط من عقل وقيل السعير
للقرآن اول ما بين الله من اجوال الخجل ان في ذلك لآية لترم يتفكرون فاذن من تدر
اختصاص الخجل برك الملوء السققة والافعال المعجبة حق التدبر على تظلم الله لآية
صدق الله وكذب بعض اخيك فسقه فبرأ وقد اعترض بعض الخمدن ومن في قلبه
مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء يحسبون على ان العسل سهل فكيف
يوصف لمن به الاسهال ويقول في الرد على هذا المعترض الخمد الجاهل انما الصب ان
الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الخم والهيجات وقد اجمع الادباء في مثل هذا
على ان علاجه بان تترك الطسعة وفعالها فان احتاجت الى مدين على الاسهال اعينت
مادامت القوة باينة فلما حيسها فضر عندهم واستجعال مرض فيحتمل ان يكون اسهال
الشخص المذكور في الحديث اصله من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على
ما هو عليه أو تقوية قومه رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب العسل فزاده اسهالا
فزاده عسالا الى ان فبت المادة فوقفت الاسهال ويكون الحائط الذي كان به بواقفه
شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل
جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار تصديق
الحديث بقول الاطباء بل وكذبوا كذبناهم وكفروناهم بذلك وانما ذكرنا هذا
الجواب الجازي على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التي
اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بعض اخيك فمثل انه
صلى الله عليه وسلم على يالوحى الالهى ان العسل الذي امره بشربه يظهر نفعه بعد ذلك
فلما يظهر نفعه في الحال عندهم قل صدق الله يعنى فيما وعد به من ان يبه شفاء وكذب
بعض اخيك يعنى باستحيات الشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده وامرار رسول
صلى الله عليه وسلم قالوا كيف يكون شفاء الناس وهو يضر باصحاب السراء ويبرئ
الحرارة ويضر بالشباب بحرورين عطش فند في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا
قوله في شفاء الناس مع انه يضر باصحاب السراء ويبرئ الحرارة الله يخرج نخرج الاعقاب
وانه في الاعقاب فيبدا شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء واكنه في الجملة دون ان
نعمه اكثر من ضره وانما يجهلون من المعاجين الاوتاعده والاشربة المتخذة من العسل
نامة لا يخاب البغم والشروع المبرون ومنافسة كثيرة جدا والقول ان الشفاء
للوجع التي شفاؤه عقيد وهذا قول السدى وقال بجاهد في قوله بشفاء الناس يعنى لقران
لان شفاء من امراض الشرك والجهالة والذلالة وهو هدى ورحمة لانس والقول الاول
اسخ لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله تعالى يخرج من بطون
شرب وهو العسل فهو اولي ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب المذكورة وقوله لانه هدى
فان في ذلك لآية لترم يتفكرون يعنى في قوله يستدلون بما ذكرنا على وجوب

من اضاحيكم (ان في ذلك
لآية لترم يتفكرون) في
يجيب امرها فيعملون ان
الله اودعها على لسانك ولفظ
كما اعطى اولي القول
(ان في ذلك) فيما ذكرت
لآية لانه لا معة وعبره (تقوم
يتفكرون) مما اخذت

والله فضل بعثكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق رزقكم أفضل مما رزقنا ما ليحكم وهم
 كم (فالذين فضلوا في الرزق يعني حصة الرزق الملائكة الذين فضلوا رزقهم على غيرهم) (رزقهم على ما كانت
 وعدل أصل جزيه على قدر ما هو وترى أن ذلك مقتضى الجاهل من أن يجمع الرزق على ما كان عليه
 المبلغ بل والله فضل على بعضكم على بعض في الرزق بكم فكم الله على ما كان عليه الرزق
 يتوزن رزقهم ورزق غيرهم ومما علمنا على خلاف ذلك هو ما بين فف
 برادى رزقهم بكم تعسى رزقهم بكم على ما كانت البناهم بكم على ما ليحكم من ما يدرون
 عندهم رزقهم نفس جعله لله تعالى في أيديهم فزادهم فيها سواء فأنواله وأعماله سواء في
 أن الله رزقهم فاجتنبوا لارزقهم سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 أجواب تأتيه قبل في الذين فضلوا برادى رزقهم على ما كانت البناهم فاستوتوا في
 الرزق على العبد والكل على المشركين فانهم بشر كون بالله بعين مخلوقه في لاوهية
 ولا يرضون أن يشركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فساوواهم فيه ﴿ أفبما نع الله سبحانه ﴾
 حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضى أن يضاهى إليهم بعين ما انعم الله عليهم ويتخذوا له
 من عند الله أو حيث أنكروا أمثل هذا الخلق بعنا نعم الله عليهم بأضاحيهم والبه التخصين
 الجحود معنى الكفره وقرأ أبو بكر سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً حتى تهيئوا من جنسكم لأنسابها وإن يكون أولادكم
 يعني على ما يريد ﴿ قوله تعالى ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق بكم يعني أن الله سبحانه وتعالى
 بسط على واحد وحقيق وقتر على واحد وكذا رزقكم وقال على آخره ﴿ فضل بعضكم على بعض
 في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الرزق والحقيق والمقل والعقد والسمه والخسب والقدر
 والعبد والجهل غير ذلك فهم متفاوتون ومختلفون في ذلك كله وهذا مما انفته الحكمة
 الالهية والقدرة الربانية ﴿ فالذين فضلوا رزقهم على ما كانت البناهم بكم بعض
 من العبيد حتى يستوفى عبيدهم وعبيدهم بقول الله سبحانه وتعالى هو لا يرضون أن يكونوا
 هم ومساكينهم فيما رزقهم سواء وقد سمعنا عبيد شراعى في ما كنا وسماطينهم
 بهذه الحجة المشركين حيث جهلوا لا سمعنا شراعى لله قال قتادة هذا مثل شراى الله
 عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يسرى ما يكف في جميع ماله فقدمت رسولون
 بالله ختمه وعباده وقيل في معنى الآيات الأولى والمساكين الله رزقهم جماعاً ﴿ فبما نع الله
 يعني في رزقهم ﴿ سواء بكم فالأخسب من الأموال يردون رزقهم على مما رزقهم من عند
 أنفسهم بل ذلك رزق الله جراه على نفسى أموالى للمساكين والمساكين من يسر
 أن الرزق هو الله سبحانه وتعالى يجمع ختمه وان ذوالى والمساكين في رزق سواء رزق
 المساكين لا يرضون المساكين بل الرزق لله الملك هو الله سبحانه وتعالى ﴿ وقوله
 ﴿ أفبما نع الله سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 غيره ﴿ قوله عز وجل ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً حتى تهيئوا من جنسكم لأنسابها
 من آدم سواء رزقهم وقيل على أن الله سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق رزقكم أفضل مما رزقنا ما ليحكم وهم
 كم (فالذين فضلوا في الرزق يعني حصة الرزق الملائكة الذين فضلوا رزقهم على غيرهم) (رزقهم على ما كانت
 وعادل أصل جزيه على قدر ما هو وترى أن ذلك مقتضى الجاهل من أن يجمع الرزق على ما كان عليه
 المبلغ بل والله فضل على بعضكم على بعض في الرزق بكم فكم الله على ما كان عليه الرزق
 يتوزن رزقهم ورزق غيرهم ومما علمنا على خلاف ذلك هو ما بين فف
 برادى رزقهم بكم تعسى رزقهم بكم على ما كانت البناهم بكم على ما ليحكم من ما يدرون
 عندهم رزقهم نفس جعله لله تعالى في أيديهم فزادهم فيها سواء فأنواله وأعماله سواء في
 أن الله رزقهم فاجتنبوا لارزقهم سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 أجواب تأتيه قبل في الذين فضلوا برادى رزقهم على ما كانت البناهم فاستوتوا في
 الرزق على العبد والكل على المشركين فانهم بشر كون بالله بعين مخلوقه في لاوهية
 ولا يرضون أن يشركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فساوواهم فيه ﴿ أفبما نع الله سبحانه ﴾
 حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضى أن يضاهى إليهم بعين ما انعم الله عليهم ويتخذوا له
 من عند الله أو حيث أنكروا أمثل هذا الخلق بعنا نعم الله عليهم بأضاحيهم والبه التخصين
 الجحود معنى الكفره وقرأ أبو بكر سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً حتى تهيئوا من جنسكم لأنسابها وإن يكون أولادكم
 يعني على ما يريد ﴿ قوله تعالى ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق بكم يعني أن الله سبحانه وتعالى
 بسط على واحد وحقيق وقتر على واحد وكذا رزقكم وقال على آخره ﴿ فضل بعضكم على بعض
 في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الرزق والحقيق والمقل والعقد والسمه والخسب والقدر
 والعبد والجهل غير ذلك فهم متفاوتون ومختلفون في ذلك كله وهذا مما انفته الحكمة
 الالهية والقدرة الربانية ﴿ فالذين فضلوا رزقهم على ما كانت البناهم بكم بعض
 من العبيد حتى يستوفى عبيدهم وعبيدهم بقول الله سبحانه وتعالى هو لا يرضون أن يكونوا
 هم ومساكينهم فيما رزقهم سواء وقد سمعنا عبيد شراعى في ما كنا وسماطينهم
 بهذه الحجة المشركين حيث جهلوا لا سمعنا شراعى لله قال قتادة هذا مثل شراى الله
 عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يسرى ما يكف في جميع ماله فقدمت رسولون
 بالله ختمه وعباده وقيل في معنى الآيات الأولى والمساكين الله رزقهم جماعاً ﴿ فبما نع الله
 يعني في رزقهم ﴿ سواء بكم فالأخسب من الأموال يردون رزقهم على مما رزقهم من عند
 أنفسهم بل ذلك رزق الله جراه على نفسى أموالى للمساكين والمساكين من يسر
 أن الرزق هو الله سبحانه وتعالى يجمع ختمه وان ذوالى والمساكين في رزق سواء رزق
 المساكين لا يرضون المساكين بل الرزق لله الملك هو الله سبحانه وتعالى ﴿ وقوله
 ﴿ أفبما نع الله سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه
 غيره ﴿ قوله عز وجل ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً حتى تهيئوا من جنسكم لأنسابها
 من آدم سواء رزقهم وقيل على أن الله سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه لا يروى سبحانه

وأما هم (نعم) على ما كانت البناهم بكم (نعم) على ما كانت البناهم بكم (نعم) على ما كانت البناهم بكم
 فترضون لى ما لا ترضون لأنفسكم ويكفرون بحداب الله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً حتى تهيئوا من جنسكم لأنسابها)

ضرب انفسه ولم يفيض على
عباده من آثار رحمة وجمته
والاصنام التي هي أموات
لا تضر ولا تنفع (ولله غيب
السموات والارض) أي
يختص به علم غائب فيها
عن العباد وحق عليهم علمه
أو أراد بغيب السموات
والارض يوم القيامة على أن
علم غائب عن أهل السموات
والارض لم يطلع عليه أحد
منهم (ومأمر الساعة) في
قرب كونها وسرعة قيامها
(الأكامح البصر) كرجع
طرف وانما ضرب بالمثل
لأنه لا يعرف زمان أقل منه
(أوهو) أي الامر (أقرب)
وليس هذا الشك الخطاب
ولكن المعنى كونه في أقرب
على هذا الاعتبار وقيل بل
هو أقرب (إن الله على كل
شيء شير) فهو يتقدر على
أن يقبض الساعة ويثبت الحقق
لأنه يقبض المندورات ثم دل
على تسريته بقامه فقال

الشامل لجميع الفضائل ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا توجد الى مطاب الاويلفد باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانها كمال ما يقابلها وما هو هذا المثل فان ضرب به الله تعالى نفسه والاصنام لا يبطال المشركه
بينه وبينها أو المؤمن والكافر ﴿ والله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علم الغائب
عنه وهو غائب فيمنا عن العباد بانهم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيامة فان علم غائب عن اهل السموات والارض ﴿ وما أمر الساعة ﴾ وما أمر قيام
الساعة في سرعته وسهولته ﴿ الا كالمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من اعلا الخدقة
الى اسفلها ﴿ أو هو اقرب ﴾ أو امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة
بل في الآن الذي يتأقيد فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو
للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذي تلوون
فيهه وكالمح البصر أو هو اقرب مبالغة في استقرا به ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر
على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احييهم مدر حاشم دل على قدرته فقال

الحواس نفاع ذو كفايات نور شد وديانة بأمر الناس بالعدل والخير ﴿ وهو ﴾ في نفسه
﴿ على صراط مستقيم ﴾ يعني على سيرة صالحه ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عاما
قادرا مستتيا في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل فان ضرب به الله نفسه وما يغيب
على عباده من انعامه ويشاهمهم من آثار رحمة ولاءه والاصنام التي هي أموات جاد لا تضر
ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على ما بدى بالانها تحتاج الى كلغة الخلق والنقل
والخدمة وقيل كانه ثابن للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي بأمر العدل وهو على صراط
مستقيم والكافر هو الاكبر الثقيل الذي لا يأمر بخير فلهذا القول تكون الآية على العموم
في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي بأمر العدل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على صراط مستقيم والذي أمر بالباطل هو ركبكم أبو جهل وقيل الذي بأمر
بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى أمره بالاسلام وذلك المولى أمر عثمان بالامسك
عن الانتقام في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالاكبر الذي لا يأتي بخير أي
ابن خلف والذي بأمر بالعدل بنو تميم بن عفان وعثمان بن مفلحون فهو غيب السموات
والارض ﴿ أخبر الله بنو ورجل في ﴾ بنو تميم كان عند والده عالم يتبع الغيوب فلا يخفي
عليه خافية ولا يخفي عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿ وما أمر
الساعة ﴾ يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقدم الناس فيه الوقت الحساب ﴿ الا
كلح البصر ﴾ يعني من السرعة ومع البصر هو الذي قد جفت العين وقتها وهو يعرف لرف العين
أيضا ﴿ أو هو اقرب ﴾ يعني ان ملح البصر يتأخر الى زمان وحر كته والله سبحانه وتعالى اذا
أراد شيئا قال له كن فيكون أي أمره من ملح البصر هو ولله ان الله على كل شيء قدير ﴿
في دليل على كمال قدرة الله تعالى والله سبحانه وتعالى فيهما ما أراد شيئا ان أمره ما يكون له
الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من ملح البصر ولكنها جهانه وتعالى رتب
هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير)

من خصية الشوى الطبيعية (ل في ذلك) آيات لقوم يؤمنون) قال حقيق لأبي يعنى حقيق (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) حور
فعل تعنى من بيوتكم أى بيوتكم (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) (وجعل لكم من جلود البهائم
بيوتاً لهم) أى بيوتاً لهم (والله جعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم) (وجعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم)

بيوتاً لهم (والله جعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم) (وجعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم)
(تسحفونها) ترونها خفيفة
الحمل في الضرب والنقض
والنقل (يوم ظننكم) يسكون
العين كوفي وشامى وبفتح
العين غيرهم والظن بفتح
العين وسكونها المرحال
(ويوم تمتكنم) قراركم
في منازلكم والمهني انهم
خفيفة تعذبكم في وثاق السفر
والخسر على ان اليوم تعنى
نوقت (ومن أصوافها)
أى أصواف الضأن
(وأوبارها) وأوبار الابل
(وأشعارها) وأشعار العر
(أنانا) متاع البيت (ومتان)
وشى يتبع به (الى حين)
مدة من الزمان

فان مثل جلوده يقتضى سقوطها ولا علاقة فورها ولا دامة ثقلها تسكب في ذلك
آيات في تسخير الطير الطوران من خلقها خلقته تمكن منها الطيران وخلق الجوف حيث
يمكن الطيران فيه وادسا كهت من الهواء على خلاف طبعها لاقوم يؤمنون في ذمهم
هم المؤمنون بها والى جعل لكم من بيوتكم سكناً في موضع تسكبون فيه وقت افتتكم
كالبوت المتخذة من الحجر والحجر فعل بمعنى مفعول لله وجعل لكم من جلود البهائم
بيوتاً في معنى القباب الخفيفة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من ادم والخسوف
والشعرية من حيث انها سبة على جودها يصدق عليها انهم من جلوده تسحفونها في
تجدونها خفيفة تخيب عليكم حبه ونفاهة يوم ظننكم بوقت ترحالكم ويوم تمتكنم
ووضعها وشر بها وقت الخسوف والنزول وقرأ الحجازين والبصرين يوم ظننكم بالخلق
وهو اقرب من اصوافها وابلها واشعارها الصوف الماشى وهو من الابل والشعر
لعمري واصنافها الى تسخير الادم وانها من حيثها انانا ما يابس ومرش ومتان في
ما تجر به الى حين الى اذلة من الزمان فلها الصلواته تبقى مادة مدينة

وإسطنها واصطفها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها من خلقها
ومثل لانها ومساكنها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو والله تعالى في ذلك
آيات لقوم يؤمنون في الخسوف المومنين بالذكر لانهم هم الذين يؤمنون بالآيات
ويتفكرون فيها ويؤمنون بها دون غيرهم قوله جعل لكم من بيوتكم سكناً
يعنى التي هي من الحجر والدمر مسكنة بمعنى مسكنة تسكنونه والسكن مسكنت اليد
وفيه من البت أوبت في جعل لكم من جلود البهائم بيوتاً بمعنى الخسوف والقباب و
الاجبية والنسائية المتخذة من الادم والاشعع وواعل المسكن على فمين أحدهم
ملا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البوت المتخذة من الجوارح والحسب وخوصه
والقسم السانى ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والنسب طيف المتخذة
من جلود البهائم واليا الاشارة لقوله تعالى تسحفونها بمعنى تخيب عليكم حبه
يوم ظننكم بمعنى في يوم سركا ورحيلكم في أسفاركم وضمن البداية هم الخسوف
أومرعى وخوصه في يوم ظننكم بمعنى تخيب عليكم ايضا في وقتكم وحضرت
والمعنى لا نقل عليكم في الجاهل من اصوافها وأوبارها واشعارها الكسبية
الى الادم بمعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار العر
أنانا متاع البيت الكبر والسعد من ثلذذ كبر وتكاف وتسل من ثلذذ
اذا كثر قل ابن عباس أنانا أى متاع البيت متاعه متاعه من الثياب المتاع من ثلذذ
من الابل والغنم العبد والمتاع من ثلذذ الادم هو متاع البيت من الفرش والاكسنة
وتعم ذلك في يوم ظننكم وعو ما تختمون به في حين في زمانه من حين الى

من الصبر ان (ار في ذلك)
في اسم كهن من الهواء
آيات بالامات وحالاته
الذات (توم يؤمنون) صدقون
ان الله كهن من الله ثم
ذكر نعمته التي يشكروا
بها في يوم ظننكم
جعل لكم من جلود البهائم
بيوتاً لهم (وجعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم)
وجعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم
وجعل لكم من جلود البهائم بيوتاً لهم

الخيام والنسائية (تسحفونها) تسحفونها جهاها يوم ظننكم يوم سفركم (ويوم تمتكنم) يوم تروا له من اصوافها (أصواف الادم
(وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) أشعار العر (أنانا) متاع البيت (ومتان) وشى يتبع به (الى حين) مدة من الزمان

وتستادون له (فان تولوا) أمر صواعن ﴿٦٣١﴾ - الاسلام (فان) { سورة النحل } عليك البلاغ المدين) أي

فلا تسمعوا عليك في ذلك لان
الذي عليك هو التذيق
الظاهر وقد بعثت (عزوفون
عنت الله) التي عددها
باتوا لهم فانهم يقعون فيها
من الله (ثم يكرهونها)
بافعالهم حيث عدوا غير
المعنى أوفى الشدة ثم في
الرخاء (وأستزهم
الكافرون) أي الجاحدون
غير العزوفين أو نعممة آية نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم
كأولها فقولها ثم يكرهونها
عنادا وأكثرهم الجاحدون
المشركون بقاؤهم وهم
يدل على أن أنكارهم أمر
مستبعد بعد حصول المعرفة
لان حق من عرف النعمة
ان يعترف لان يكره (ويوم)
التصاحبه بأذكر (تبعث)
نحشر (من كل أمة شهيدا)
بما يشهد لهم وعليه التصديق
والتكذيب والإيمان والكفر
(ثم لا يؤمن للذين كفروا)
في الاعتذار والمعنى لاجبة
أله فدل بترك الأذن على

فدسبون من العذاب وأنظرون فيها التذيق من شر ذل يسلمون من براح بمس
المسروع ﴿٦٣١﴾ فان تولوا أي عجزوا أو بقروا من العذاب وعادوا إلى البلاغ المدين ﴿٦٣١﴾ فأنظرون فأنما
ذلك البلاغ وقد بعثت عزوفون أي أمة شديدة من الكافرين الذين عرفت
المشركون نعممة الله التي عددها عليهم وميزها حيث يعترفون بها ويانها من الله ثم يكرهونها
بعبادتهم غير المنعم بها فقولهم بها شفاعاة آهنتنا أو بسبب كذام أمر اضهم عن أداء حقوقها
وقيل نعممة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسد عر فوجها بالجزات ثم أنكروها عبادا ومعنى
ثم استبعاد الاستكبار بعد المارة ﴿٦٣١﴾ والكفر الكافرون بجم الغال جاحدون عنادا وذكر الاكثر
اعلان بعضهم لم يعرفوا الحق فعدوا العقل أو لفرط في النظر أو لم ينعم عليه الخيبة
لانهم لم يبلغ حد التكذيب ولم لانهم لم ياتوا الكلي كافي تولد بل أكثرهم لا يؤمن بنبوة
من كل أمة شهيدا ﴿٦٣١﴾ وهو نبينا شهداء لهم في آياتهم والآن والكفر ﴿٦٣١﴾ ثم لا يؤمن للذين كفروا ﴿٦٣١﴾
في الاعتذار اذ اعذرهم موقيل في الرجوع الى الدنيا وثمر زيادة ما تحقيق بهم من شدة المنع عن
الاعتذار لما فيه من الاقتبال الكلي على ما يعنون به من شهادة انبياء عليهم الصلاة والسلام

والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هداية الاغصام الا الله تعالى ﴿٦٣١﴾ فان تولوا ﴿٦٣١﴾ يعني فان
أمرضوا عن الإيمان بك وتمسكوا بك يا محمد وآثروا ما هم فيسد من الكفر والذوات
الدينوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليك ﴿٦٣١﴾ فانما عليك البلاغ المدين ﴿٦٣١﴾ يعني ليس عليك
في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد نعمت ذلك ﴿٦٣١﴾ ثم ذمهم الله تعالى
بقوله ﴿٦٣١﴾ يعرفون نعمت الله ثم يكرهونها ﴿٦٣١﴾ ذل السدى نعممة الله يعنى محمد صلى الله عليه
وسلم أنكره وكذبوه وقبل اسمه الله هي الاسلام لانه من اعظم النعم التي أنعم الله بها
على عباده ثم ان كفار مكة أنكره وجمحدوه وقتلوا محمدا نعممة الله معاد عليهم
في هذه السورة من العم يقولون بانها من الله ثم اذا قبل لهم صدقوا وانما تولوا أمر الله
فيها يكرهونها ويقولون ورثناها عن آباءنا وقال الكافي انه ما ذكر عنه العم قوا هذه
نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آهنتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا
ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهم النعم ولكنهم لا يستعملونها
في طلب رضوانه ولا يسكرونها عنها ﴿٦٣١﴾ رأ أكثرهم الكافرون ﴿٦٣١﴾ انما قال سبحانه وتعالى
وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا لهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد
التكليف فغير بالاكثر عن الباقين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين
وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان سافرا وقيل المعبر بالاكثر عن الكل لانه قد يدكر
الاكثر ويراد به الجمع ﴿٦٣١﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٦٣١﴾ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ﴿٦٣١﴾ لما
ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان أكثرهم كافرون
اتبعوا ذلك الوعيد لهم في الآخرة انما قال تعالى ﴿٦٣١﴾ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ﴿٦٣١﴾
رسولا وذلك اليوم هو يوم التمامة والى بالشراء لانه يشهدون على نعمهم بانكار
نعم الله عليهم وبالكفر ﴿٦٣١﴾ ثم لا يؤمن للذين كفروا ﴿٦٣١﴾ يعني في الاعتذار وقيل لا يؤمن

(يعرفون أمة الله) يقولون ان هذا الم علم ان الله انعم عليهم فاعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأكثرهم الكافرون) شهيداً لهم
بالله (ويوم نبعث من كل أمة) يخرج من كل قوم (شهيداً) يبايعهم شهيداً بالبلاغ (ثم لا يؤمن للذين كفروا)

فترزون) من أن الله شركاء وانهم يصرون به ويسعون له حين كذبوه وكرهوا (الذين كفروا) في أنفسهم
وصدوا عن سبيل الله) وحولوا غيرهم على الكفر (ردناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا يكفر به من العذاب
من سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يكونهم مفسدين (الذين كفروا) أي من أنفسهم (بما كانوا يفسدون)
لأن كل من كفر بالله (وجنابك) يا محمد (سورة) (شهادة على من كفر) (علي

يفترزون) من أن الله هم يصرونهم ويسعون لهم حين كذبوه وتبرؤا منهم (الذين كفروا)
وصدوا عن سبيل الله بالفتح عن الإسلام والحق على الكفر (ردناهم عذابا) لصددهم (فوق)
العذاب المستحق بكفرهم) بما كانوا يفسدون) يكونهم مفسدين بصددهم (ويوم
نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني في يوم قان نرى كل أمة بعث منهم (وجنابك)
يا محمد (شهادة على هؤلاء) على أمتك (وزننا عليك الكتاب) استشفق أرحم بأختار
قد (تبياننا) بياننا أيضا (لكل شيء) من أمور الدين على التفصيل أو الاجال بالأحاطة إلى السنة

يفترزون) يعني ما كانوا يكفرون في الدنيا في قواهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضلوا مع كفرهم انهم منعو الناس عن الدخول
في الايمان بالله ورسوله (ردناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة
بسبب صددهم عن سبيل الله مع ما استحققونه من العذاب على كفرهم الأصلي واختلفوا
في هذه الزيادة ما هي فقال عبدالله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال الخيل الطوال

وقال سعيد بن جبيرة حيات كالختم وعقارب أمثال الغل تلعج احداهن الائمة فيم يد صاحبها
المهاجر بعين خريف وقال ابن عباس ومقاتل يعني حصة أهار من صفر مذاب كالنار
تسيل يعدبون بها ثلاثة على مقدار الليل وأثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون
من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها
وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم ومنعفا بسبب صددهم

عن سبيل الله) بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صددهم
عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما استحققونه من العذاب على الكفر (ويوم
نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي
شاهد على أمته وهو أعلم شاهد عليهم (من أنفسهم) يعني منهم لأن كل نبي انما
بعث من قومه الذين بعث إليهم ليتبينوا عليهم ما بعدوا من كفرهم ايمان زطاعة

وعصيان (وجنابك) يعني يوم نبعثهم يوم نبعثهم على حلالهم يعني على ما حلال لهم
وتم الكلام عنهم في تبارك وتعالي (فردناهم عذابا) أي عذابا يكفر به من العذاب
لكل شيء (تبياننا اسم من البيان قال شهددني لما أسببه وما مني عنه وقل أهل
اللعاب تبياننا لكل شيء) يعني من أمور الدين ان بالخص عليه أو الاطاعة على ما وجبت
عليه من جان النبي صلى الله عليه وسلم (ان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما شر القرآن

روا) محمد صلى الله عليه وسلم (ان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما شر القرآن
ذابا) عذاب الحرة والعقارب والحيات (الذين كفروا) أي من أنفسهم (بما كانوا يفسدون)
شولون ويعصون من المعاصي والنسوة (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم)
ديما عليهم (وجنابك) يا محمد (شهادة على هؤلاء) على أمتك (وزننا عليك الكتاب)
بياننا لكل شيء) من الحلال والحرام والامس والنهي

فانما الشيطنة التي هي تقتضى القوة الوهية والا يوجد من الانسان شر الا وهو منحرف في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنده اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تيسر لكل شئ وهدى ورحمة للملئین واعلم ان ارادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب لتبينه عليه ﴿ يعظكم ﴾ بالامر والنهي والميز بين الخير والشر ﴿ اعلمكم تدكرون ﴾ تعظون ﴿ واوفوا بعهده الله ﴾ يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقبيل كل امرئ يرجع لقومه ولا يلائمه قوله ﴿ اذا عاهدتم ﴾ وقيل

ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهى ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان تغفو عن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر اتياء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغى وهو ان يتكبر عليهم او يظلمهم حقوقهم ﴿ ثم قال تعالى ﴿ يعظكم لعلكم تدكرون ﴾ يعنى انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تعظوا وتتذكروا ففعلوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع آية في القرآن خير وشر هذه الآية وتدل اهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجال فما من شئ يحتاج اليه الناس في امر دنهم مما يجب ان يؤتى او يترك الا وقد اشقلت عليه هذه الآية وروى عنك مردان النهى صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن اخي اعد على فبادها عليه فقال له الوليد والله ان له خلوة وان عايده اطاولة وان اعلاه لشمس وان اسفله لمعدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان الهدى امر يتكلمه الاخلاق وهى اجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل دؤور ومنهى ﴿ واوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ﴾ ما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجال ذكر في هذه الآية بعنى ذلك الاجال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهود لانه أكد الحقوق فقال تعالى واوفوا بعهده الله اذا عاهدتم نزلت في النبيين يا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فصره بوفاء بعهده امة وقيل المراد به كل ما تزده الانسان باختياره ومضى به او عدا يثبت لان نوعه من العهد وتبديل العهد ههنا النبي قال القتيبي اهدى عين وكفارتها كثرة بين فعلى هنا يجب التوجه به اذا كان فيه صلاح مما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب اذومه بل لتولاه صلى الله عليه وسلم من حلف ميثاقهم رأى غيرهم خيافاً منها دبأت الذى هو خير واكثر من ميثاقه فيكون قوله واوفوا بعهده الله من العام الذى خصصته السنة وقال جواد بن محمد نزلت في حلف اهل الجاهلية وبشهادته

(عظكم) حلق أو نبت
 (الملك تدكرون) تعظون
 بوعاظة الله وهذه الآية
 سبب اسلام عثمان بن مظعون
 فانه قال ما كنت اسلمت
 الا حياه من عايده السلام لكثرة
 ما كان يعرض على الاسلام
 ولم يستقر الايمان في قارى
 حتى نزلت هذه الآية وأنا
 عنده فاستقر الايمان في قارى
 فقرأت على الوليد بن المغيرة
 فقال والله ان له خلوة وان
 عليه اطاولة وان اعلاه لشمس
 وان اسفله لمعدق وما هو
 بقول البشر وقال أبو جهل
 ان الهدى امر يتكلمه الاخلاق
 وهى اجمع آية في القرآن
 للخير والشر ولهذا يقرؤها
 كل خطيب على المنبر في آخر
 كل خطبة لتكون عظة
 جامعة لكل دؤور ومنهى
 ﴿ واوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ﴾
 عن البيهقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على الاسلام
 نزلت في النبيين يا رسول الله
 ﴿ يعظكم ﴾ ايم عن القتيبي
 المنكر باليقين
 تدكرون
 الشر ان راؤفوا بعهده الله
 ههنا نزلت هذه الآية
 في كذا تور من دؤور
 العبودية لانه خصصه

وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم
وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم

وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم
وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم

وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم
وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم

وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم
وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم

وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم
وكانت في ذلك الوقت من جملة من كان يفتنهم واولادهم واولادهم

لوقوعها بين نكزتين (انما يرميكم الله به) الصمير للصدري انما يخبركم بكونهم اربى لغير انفسكمون بحبل اوفوه به بعد نذروا وما كره
من ايمان الله ترسلون الله صلى الله عليه وسلم امة تترون بكثرة فرش وشرب وقلة المؤمنين وبقدره اربابكم يوم
القيامة كما فيه تختالفون) اذ اجازت احد ٦٣٧ هـ على اهل الكعبة بالثواب والعقاب وبقيد تحزين عن

عذابي فاما لاسلامه (ولو شاء الله
لجعله امة واحدة) حقيقة
مسئلة (ولكن يضل من يشاء)
من علم منه اختيار الضلالة
(ويهدى من يشاء) من علم
منه اختيار الهداية (ولتستعلن
عما كنتم تعملون) يوم القيامة
فقبضون به (ولا تتخذوا
ايديكم دخلا) اذ كرر
الذي عن اتخاذ الايمان دخلا
بينهم اكير اعابهم واطهارا
اعظمه (فزل قدم بعد
ثبوتها) فزل اقدامكم
عن شجبة الاسلام بعد ثبوتها
عينا وانما وحدات القدم
ونكرت لاستغناء من تزل
قدم واحدة عن طريق الحق
بعد ان ثبت عايد فكيف
بايدام كثيرة (وتذوقوا
السوء) في الدنيا (بما صدقتم)
من جاعة (انما هو الله به)
يخبركم انما كرهتموه وما ينقش
العيد والبيان لكم يوم القيمة
اكنتم فيد في الدين (تختلفون)
خالفون (ولو شاء الله لجعله
امة واحدة) الجملة على هذا
واحدة لمة الاسلام (ولكن
يضل من يشاء) عن دينه من

واعني لا تعذبوا بتوم انكرتم وقتبهم اولا كذرة منابذهم وتواتهم كثيرا فيهم فاول
اذاروا شوكة في العادي خلفهم تقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يرميكم الله به
الضمير لان تكون امة لانه يعني تصدري يختبركم بكونكم اربى لغير انفسكمون بحبل
اوفوه به والله ويعتبر رسوله امة تترون بكثرة قریش وشوكتهم وقلة المؤمنين وبعثهم
وقيل الضمير لاربي وقيل الاسم باوفوه وايبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيد تختلفون
اذ اجازتكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة
على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدى من يشاء بالتوفيق
ولتستعلن عما كنتم تعملون سؤال تنبئكم وتجازاة ولا تتخذوا ايديكم دخلا
منكم تصرع بالهوى عند بعد التضمين تاكيدا وبالغاة في قمع المنهى فزل قدم
أى شجبة الاسلام بعد ثبوتها عينا والمراد اقدامهم وانما واحد ونكرت لادلالة على
انزل قدم واحدة عظيم فكيف باقدم كثيرة وتذوقوا سوء العذاب في الدنيا
بما صدقتم عن سبيل الله بسبب صدوقكم عن اوفوه اوصدكم غيركم فان من نقش
وأمرهم بالوفاء بالهدى لمن عهدوا وحالفوا انما يرميكم الله به يعني يختبركم بما
أمركم به من الوفاء بالهدى وهو اعدي بكم وايبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيد
تختلفون يعني في الدنيا فثيب الطمع الحق ويعقب المسى الخائب قوله جحانه
وتعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو
دين الاسلام ولكن يضل من يشاء يعني بخذلانه اياه علامته ويهدى
من يشاء بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما قضته الحكمة الالهية لاسئل عما يفعل
وعم يسألون وهو قوله تعالى ولتستعلن عما كنتم تعملون في في الدنيا
فيجازي الحسن باحسانه ومقب الما باهاتة ويفقرله قوله فان رجل
ولا تتخذوا ايديكم دخلا بانكم يعني خديعة وفسادا بانكم فتفروا بها
الناس فيسكنوا الى ايمانكم وأعدوا لكم ثم تقضونها وانما كرر هذا المعنى
تاكيدا اعابهم واطهار العظيمة أمر بقض العهد قال المفسرون وهذا في يوم الدين باعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فظهر عن نقش عهد لان الوعد الذي بعده وهو
قوله سبحانه وتعالى فزل قدم بعد ثبوتها لا يبق بقض عهد غيره ثم يبق بقض عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان وهو امر امة وقوله فزل قدم بعد ثبوتها
مثل يذكر لكل من وقع في بلاء وعنته بما رتبة وامة وسعدت في ورطة وبسلامة
تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد ما تزلت قدمه والمعنى فزل اقدامكم عن شجبة
الاسلام بثبوتها عليها وتذوقوا سوء العذاب بما صدقتم عن سبيل الله

لم يكن أهلا له يهدى (ويهدى من يشاء) اي يبين كان أهلا لذلك (ولتستعلن) يوم القيامة (عما كنتم تعملون) من خير والشر في الدنيا
والايمان ويضل من النقش والوفاء (ولا تتخذوا ايديكم دخلا) دة (ومكر او خديعة) فزل قدم (فتتخذوا ايديكم دخلا)
فانزل قدم الرجل (بعد ثبوتها) فيده (وتذوقوا سوء) النار (بما صدقتم) بما سقرتمه الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعة

قرش راسه بهم تین
 و ما كانوا يعبدون من دونه
 من الموالع ان ينقضوا
 ما باعوا عليهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فبما هم مع
 ما عند الله من ابواب الآخرة
 هو خير لكم ان كنتم تعلمون
 ما عندكم من عراض الدنيا
 ينفذ وما عند الله من
 خزائن رحمة (يق) لا ينفذ
 (والجزين) وياون في
 وحصه (الذين صبروا)
 على اذى المشركين ومشق
 الاسلام اجرهم باحسن
 ما كانوا يعملون من عمل
 صالحا من ذكر وانكى
 من بهم يقولون ان لا
 انظره المذكور في قوله
 من ذكر وانكى اي لم يوفد
 النوعين جبه (وهو مؤمن)
 شرط الايمان لان ايمان
 الكافر غير متين وهو
 يدل على ان العمل ليس من
 الايمان الشجيرة حية طيبة
 (ولكم عذاب عظيم اشبه
 في الآخرة انما استعزوا
 بعهد الله ما عهدت) بالحكم
 بالله كاذبا في حياض حيران

وحروجه عن الدنيا وبمادة غيره لانهم لم ينقضوا
 عهدهم في الآخرة (واستبدوا) (واستبدوا) (واستبدوا)
 من الدنيا والآخرة (واستبدوا) (واستبدوا) (واستبدوا)

البيعة وانما جعل ذلك سنة تغيره (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة ولا تستروا
 بهما لله ولا تستبدوا عهد الله وبيعة رسوله (ثم قيل) ان عراضا يروا وهو ما دلت
 قرش يرون انما ف المسلمين واسترطون لهم على لا ينفذ (ان ما عند الله) من النصر
 والتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة (هو خير لكم) ثم يردونكم (ان كنتم تعلمون)
 ان كنتم من اهل العمى والقمي (ما عندكم) من عراض الدنيا (ينفذ) بنقضى وينفى
 (وما عند الله) من خزائن رحمة (يق) لا ينفذ وهو تمثيل للحكم السابق ودليل
 على ان نعم الجنة باقية (والجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفر رأوا على
 مشاقق الكايف وقرأ بن كثير وعصم بنون (احسن ما كانوا يعملون) مما ترجع
 فله من نعم الله كواجبته وشكره (والجزين احسن من انهم) من عمل صالحا
 من ذكر وانكى (يق) ينفذ بالوعدين دفعه تخصيص (وهو مؤمن) لان اعتداد بالعمل
 الكفيرة في استحقاق الثواب وما تنوعت عندها تخفيف عذاب (فاحيينه حية طيبة)

حتى بسبب صدق غيره كما عين الله وذبح لان من نقض العهد فقد عذ غديره
 نقض العهد فيكون هو اشد منه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعنى بنقضكم
 العهد (ولا تستروا بهما لله) منى ولا تنقضوا عهدهم وتقبلوا بنقضها
 عوضا من الدنيا قيلوا ولكن ارفوا (ما عند الله) يعنى فان ما عند الله من الثواب
 لكم على هذه باعدهم (هو خير لكم) عنى من اجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعنى
 فضل ما بين العوضين (ثم بين ذلك فقال) جزاء الله (وما عندكم) بنقضكم
 منع منيب وما تنفى يعنى يردى (وما عند الله) يعنى من ثواب الآخرة ونعم
 الجنة (والجزين الذين صبروا) يعنى على دونه باعدهم على السراء والضراء (اجرهم)
 يعنى ثواب صبرهم (احسن ما كانوا يعملون) عن ابي موسى الاشعري ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب ذبابة نصرها وآخراها ومن أحب آخراها نصر
 ذبابةها وتروا ما جئى على ما شئى من وقوفه وخطبه وآتى (من عمل صالحا من ذكر
 وانكى وهو مؤمن) من قاتل من عمل صالحا يبيد العموم فافئمة تذكر وانكى
 هذات هو مذهب صالح عن ابي ابي هريرة (واستبدوا) (واستبدوا) (واستبدوا)
 انما كرددون ذلك يقين من انهم لم يروا في الآخرة (والذين صبروا)
 اجرهم وهو ان الله لا يورد في الآخرة من يرد في الدنيا في تقديره عند من عظمه لان
 الكرم والرحمة الهائلة (والذين صبروا) على ما شئى من وقوفه وهو مؤمن جمل الايمان
 شرط في كون العمل الصالح من ثواب الآخرة حية طيبة (قال سعيد بن

المنية) (ثم ان ثواب (هو خير لكم) عندكم من الما (الذين صبروا) ثواب (والذين صبروا) (جبر)
 تصدقوا برب الله (ما عندكم) يعنى (وما عند الله) من ثواب (والذين صبروا) عن الذين
 وأقر وانكى (اجرهم) ثوابهم في الآخرة (احسن ما كانوا يعملون) خالصا في بيته وبين ربه
 وأقر وانكى (من ذكر وانكى وهو مؤمن) ومع ذلك وهو مؤمن في الدنيا والآخرة (والذين صبروا) في الآخرة

متصلي ستمائة في كل ركعة والاربعون في كل صلاة يكرر بأكبره قيساً وتندبه
 يركب على الخوخ ووجهه على القبلة يقرأ سورة فاتحة الكتاب من هذا القبيل وغيره من
 مسودد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها بعد صلاة الجمعة والجمعة من الشهر
 أو حرم فضل على عودته من السفر أو حرمه هكذا قرأه جبريل عن تسمي عن روح
 الخشوع **عنه** الذي ليس له ستمائة **عنه** وسورة ولادة **عنه** على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **عنه**
 على أولياء الله تعالى المؤمنين به ويتوكلون عليه وأهلهم لا يصنعون أوعاء ولا يقبضون
 وسوسة الأفيق لا تقربون على نور وضمة وذاك امرؤ لا يسته ذة فلا تكرر السجدة بعد
 لا يمر لاسته ذة لا تقربون من الصلاة **عنه** فاستهذت على الذين يتوكلون **عنه** يتوكلون
 ويضيمونه **عنه** والذين هم بالله ربهم وبسبب الشيطان **عنه** مشركون

الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة وأبيه ذهب مالك وسجاعة وداد الظاهري
 قوالان قريش القرآن يستحق ثوب عظيم ويرب حصصت دسوس في قب قريش
 هل حصل له ذلك الثواب **عنه** لا يقرأ السجدة بعد القراءة تسفقت توب أو سوس ويقب
 الثواب خذها فإيا مذهب لا كثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة
 وفقهاء الأديار فقد تفتتوا على الاستهذة مقدمة على القراءة قوا ومعنى الآية
 لما أردت أن تقرأ القرآن فاستهذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى إذا قم إلى الصلوة
 فغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ وذهب من الكلام إذا أردت أن تكل فقل بسم الله
 وإذا أردت أن تسافر فقل بسم الله وإذا من وسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتندم
 لاستهذة على القراءة لا تذهب دسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها
 ومذهب غيره أنه يجب لاستهذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في
 غيره وتفق سائر أئمتهم على الاستهذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه
 المسئلة واخلاف فيها في أول سورة النجحة والاستهذة الاعتناء بالله والاتجاه إليه من
 شر الشيطان ووسوسته وأورد من الشيطان إبليس وقيل هو سم جنس يظنق على
 جميع مردة من الشيطان ذلك قوله قسرة على أئمة أو سوسة في قرب من آدم بقدر الله
 يهر على ذلك **عنه** الذي ليس له ستمائة على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **عنه** أمر الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستهذة من الشيطان فكان ذلك أوهه إن له قدرة على
 التصرف في بيان من آدم فرب الله سبحانه وتعالى هذا أوهه بقوله أنه ليس له ستمائة
 يعني ليس له قسرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قل ستمائة ليس له
 ستمائة على أن يحصيه على ذنب لا تغير ويظهر من ههنا أن الاستهذة إنما تقيد إذا
 حضر ترتيب التمسك كونه طاعة ربه لأنه لا يكتف من وسوسة الشيطان إلا بتمسك
 به وإياه من حيث هو لا يكتف من وسوسة ربه لأنه لا يكتف من وسوسة ربه إلا بتمسك به لا
 يتوكلون **عنه** كقول من سوسه على الذين يتوكلون **عنه** يعني يطيعونه ويتوكلون
 في أوله يسأل أولئك من أئمة القراءات عنه إذ عرفت عنه من أوله والذين هم به
 مشركون **عنه** يعني بالله ربيس الحسبي في يرجع في الشيطان ومعنى هم من جهة

الذين هم به
 (ستمائة) تسعة وولادة
 (على الذين آمنوا وعلى ربهم
 يتوكلون) فانؤمن متوكل
 لا يقبل الله وسوسه (عنه)
 سبحانه على الذين يتوكلون
 يتوكلون وليا ويؤمنون
 وسوسه (الذين هم به
 مشركون) التغيير مودلى
 ربه والى الشيطان أي
 بسببه
 (الذين ليس له ستمائة)
 سبيل وغلبة (على الذين
 آمنوا) تحصد على الله
 غير وسوسة القرآن (وعلى
 ربهم يتوكلون) لا على غيره
 ويؤمنون سورعه إليه
 (التمسك به) سبيله وغلبته
 (على الذين يتوكلون) يتوكلون
 رؤيته يهره الله مشركون

زوايدنا آية ميان آية جبريل صلى الله عليه وآله وسلم واداءنا آية ميان آية جبريل صلى الله عليه وآله وسلم
 اعلم بما ينزل ويخفيف على ربي عز وجل في كل يوم من اجاب الذاكرات بقرآنه عز وجل اعراض كانوا انزلوا من عند
 سبحان يا حديد وسبحهم اليوم واصبحهم ﴿٦٤١﴾ عذبا فما نبرأ لهم الا سوي القلوب ان يدعوهم انزلوا انزلوا انزلوا

واذا بدلنا آية مكان آية مكية او نزلنا آية التي لم تأت في كتابنا من قبلها فوجدنا قومك على ما نزلنا
 اعلم بما ينزل من المصالح على ما يكون من الخط في وقت يصير مفسدا بعد فيمخذ وما لا يكون
 مصلحة حينئذ يكون مصلحة لا يذنب في كتابه وقرآن ابن كثير وابوعمر بنون بالتحذير
 ﴿٦٤٢﴾ قالوا اي الكفرة التي انزلت فيكم تقول على الله تأمر بشئ ثم يدرك قتلهم
 عند وهو جواب اذا والاهما على انزل اعراض التي روي الذكفر على قولهم والتهديد على فساد
 سبهم ويجوز ان يكون حالا ﴿٦٤٣﴾ بل اكثرهم لا يعلمون ﴿٦٤٤﴾ حكمة الاحكام ولا يعرفون
 الخطأ من الصواب ﴿٦٤٥﴾ قل انزل روح القدس ﴿٦٤٦﴾ يعني جبريل عايد السلام وانفاذ الروح
 الى القدس وهو الطهر كشولها عظماء وقرآن ابن كثير روح القدس بالتحذير وفي انزل
 ونزله تهديد على انزاله مدرج على حسب المصالح التي تقتضي تبديل ﴿٦٤٧﴾ من ربك بالخلق ﴿٦٤٨﴾
 ملتبس بالحكمة ﴿٦٤٩﴾ ليثبت الذين آمنوا ﴿٦٥٠﴾ انزلنا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 اذا هموا بالناصح وتبروا به من ربي بالناصح والحكمة من ربي عندهم واطمأنت قلوبهم
 ﴿٦٥١﴾ وهدي وبشرى للمسلمين ﴿٦٥٢﴾ انما دين الحكمة وهم معطوفان على فعل ليثبت أي تبيها
 وهداية وشارة في تعريض بحسب الاعداد ذلك انهم وقري ليثبت بالتحذير

مشركون بالله ﴿٦٥٣﴾ قوله سبحانه وانزل ﴿٦٥٤﴾ واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل ﴿٦٥٥﴾
 وذلك ان المشركين من أهل مكة من المشركين بالتحذير من ربي اليوم صوابهم
 عند عندهما لا مغز يتقوا من ربي انفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا استخفا
 حكم آية فابدلنا مكانه حكما آخر والله اعلم بما ينزل اعراض دخل في الكلام والمعنى
 والله اعلم بما ينزل من النسخ والبدل على ما نزل من احكامه أي
 هو اعلم بجميع ذلك مما هو من ربي عنده وهذا نوع من النسخ والبدل كما نزل على
 قولهم لا يبي صلى الله عليه وآله وسلم من ربي انما أنت مغز ﴿٦٥٦﴾ أي تحذير من
 عندك والمعنى اذا عن الله تعالى انهم قد نزلوا فيهم ينسبون مجازا الى الاذعان الكذب
 لاجل البديل والنجير انما انزل في ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 بشرط دوامهم بذلك اذ عندهم ان ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 يعني لا يعلمون فاستأجر من ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 ﴿٦٥٧﴾ روح القدس ﴿٦٥٨﴾ يعني جبريل صلى الله عليه وآله وسلم انزل الى القدس وهو الطهر كما قال ان
 الجود وطلة تحير والمعنى ان ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 من ربك ﴿٦٥٩﴾ انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 وتقرى ﴿٦٦٠﴾ ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب

ينسخ الاشق بالاهون
 والاهون بالاشق (بل
 اكثرهم لا يعلمون)
 الحكمة في ذلك (قل انزل
 روح القدس) أي جبريل
 عايد السلام انضيت الى
 القدس وهو الطهر كما يقال
 حاتم الجود والمراد الروح
 المقدس وحاتم الجواد
 والمقدس المظهر من المآثم
 (من ربك) من عنده
 وأمره (بالخلق) حال أي
 نزله متبسا بالحكمة (ليثبت
 الذين آمنوا) اي لاوهم
 بالنسخ حتى اذا قالوا
 فيهم هو الحق من ربي
 والحكمة لانه حكيم لا ينزل
 الا ما هو حكمة وسواب
 حكم لهم ثبت القسام
 وحجة الذين وطأ آية
 القلوب (وهدي وبشرى)
 مفعول لهما معطوفان على
 محل ليثبت والتقدير انزلوا
 ولما نزلوا بشرى (للمسلمين)
 وفيها تعريض بحسب الاعداد
 عدها حصول الغيرة
 وانزلنا آية انزلنا جبريل
 آية بالتحفة (مكان آية)
 منسوخة (والله اعلم بما ينزل)
 من ربي انزل في ربي من المصالح
 العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 يعني لا يعلمون فاستأجر من ربي
 انزل في ربي من المصالح العباد
 كما قال ان الطيب يوم المراتب
 ﴿٦٥٧﴾ روح القدس ﴿٦٥٨﴾
 يعني جبريل صلى الله عليه وآله وسلم
 انزل الى القدس وهو الطهر كما
 قال ان الطيب يوم المراتب
 الجود وطلة تحير والمعنى ان ربي
 انزل في ربي من المصالح العباد
 كما قال ان الطيب يوم المراتب
 من ربك ﴿٦٥٩﴾ انزل في ربي
 من المصالح العباد كما قال ان
 الطيب يوم المراتب
 وتقرى ﴿٦٦٠﴾ ربي من المصالح
 العباد كما قال ان الطيب يوم
 المراتب

(مفتقر) خلتا بقية من ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 (نزله) يعنى نزل القرآن والحدود من ربي انزل في ربي من المصالح العباد كما قال ان الطيب يوم المراتب
 (ليثبت) اي طيب وطمأن القلوب (الذين آمنوا) بحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن (وهدي وبشرى) اي

تقومونه يدعي ان كل من كذب في نفسه وان ينهاه ابه نعوذ به بعض ما ذكره
 كلامه لكن لم يتكلم عند الحديث لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو
 باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن
 الاجتزاء منها مع ما في في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من كلام
 سمع منه في بعض اوقات مرور عليه اثبات اعجمية اعلمها سلم يعرفها عنها فاهمهم في القرآن
 بامثال هذه الكلمات لوكيف تدل على فاقة عجزهم عن ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
 لا يصدقون انهم عند الله لا يهتدون اليه الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة
 واولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما ناطق شبهتهم
 ورد طعنهم فيه ثم قال الامر عاينهم فقال انما يضربى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
 الله لانهم لا يخافون عقابا يردهم عند الله واولئك في اشارة الى الذين كفروا واولي
 قريش هم الكاذبون أي الكاذبون على الحقيقة أو الكافران في الكذب لان تكذيب
 آيات الله والطعن فيها بهذه الاخبار اعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب ولا يصرفهم
 عند دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلم بشر من كفر بالله من بعد
 ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وعما بينهما اعتراض أو من اولئك أو من الكاذبين أو مبتدأ
 خبره محذوف دل عليه قوله فعليه غضب ويحوزان يا تعجب بالذم وان تكون من شرطية
 محذوفة الجواب دل عليه قوله الامن الاكره على الافتراء أو غلة الكفر استثناء من عمل لان
 عليه وسما جاء بهذا القرآن الفصحى الذي عجزتم انتم عن ذلك انتم اهل الفصاحة والبيان فكيف
 يقدر من هو اعجمي على مثله وان فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشرون اليه تثبت
 بهذا البرهان ان الذي جاء محمد صلى الله عليه وسلم وحي أو حاه الله اليهود ليس هو من اعلمهم الذي
 يشيرون اليه ولا هو اني بمن اتقاه تسدل هو وحي من الله عز وجل اليهود ومن ان الرجل
 الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن الامانة من ان لا يؤمنون بآيات الله مع بعض لا يصدقون
 انهم عند الله لا يهتدون اليه يعني لا يصدقونهم ولا يهتدون اليه فقولهم لا يؤمنون بآيات الله
 يعني في الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى ان الكاذبهم المنفرد فقال تعالى في عاقبة
 الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله في عاقبة انما يتكلم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله
 فهو راد قول كفار قريش انما انت مفتر واولئك هم الكاذبون في قوله انما يعلم بشر لا
 محمد صلى الله عليه وسلم فان قات تدل على ان الكذب في قوله تعالى واولئك
 هم الكاذبون والثاني هو الاصل مما قاله محمد صلى الله عليه وسلم في عاقبة الاخبار من حال قولهم
 وقوله واولئك هم الكاذبون نعمت لازم اي قول الرجل غيره كذبت وانت ذاب أي كذبت
 في هذا القول ومن مادتك الكذب وفي الآية تدل على ان الكذب من الضمير اليه بالكفار
 لان الكاذب المنفرد هو الذي لا يؤمن بآيات الله وروى البغوي باسناد الثمال عن عبد الله
 بن جرير ان قات يارسول الله المؤمن من ان قال قات المؤمن من قات المؤمن من قات المؤمن
 ذلك قات المؤمن يكذب قال لاقول الله تعالى انما يضربى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
 في قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الامن الاكره

(لا يهتدون اليه)
 يخافون الكفر (و من
 عذاب ايم) في الآخرة
 على كفرهم (انما يضربى
 الكذب) على الله (الذين
 لا يؤمنون بآيات الله) أي
 انما يضربى الكذب
 عن لا يؤمنون بآيات الله
 عقابا عليه وهو رد لتوابعهم
 انما يضربى (و اولئك)
 اشارة الى الذين لا يؤمنون
 أي واولئك هم الكاذبون
 على الحقيقة الكاذبون
 في الكذب لان تكذيب
 آيات الله أعظم الكذب
 أو واولئك هم الكاذبون
 في قولهم انما أنت مفتر
 جوبوا أن يكون (من
 كفر بالله من بعد ايمانه)
 شرطا مبتدأ وحذف
 جوابه لان جواب من
 شرح دال على انه مقبل
 من كفر بالله فاعلم
 (الامن الاكره)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 الهمزة ان (لا يهتدون
 اليه)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)
 (ان الذين لا يؤمنون
 بآيات الله)

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب بد نفسه، واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) والى يكون بدو
من الذين لا يؤمنون بآياتنا، على أن يجادل وأولئك هم الكاذبون اعتبارا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يخبر
الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منه مكره فم يدخل تحت حكم الكفر ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا فعليه غضب من اللّٰه وان يكون **٤٤٤** بدلا من المبتدأ { سورة النحل } الذي هو أولئك أي من كفر

دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب **٥٥** ولكن من شرح بالكفر صدرا **٥٦** اعتقده
وطاب بد نفسه **٥٧** فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم **٥٨** اذا اعلم من جرهم
روى ان قريشا اكرهوا عمرا وابويديامرا وسهية على الارتداد فربطوا عترتين بعين
ووجي بحربة في قبها ودوا انك املت من اجل ان رجال قتلتم وقتلوا ياسر لهما
اول قتلين في الاسلام واعطاهم غمار بلسانه ما اردوا مكرها فتبدل برسول الله ان عمرا
كفر فقال كلان عمرا الى ايمانا من فرقته الى مقدمة واختلط الايمان بظلمه ودمه حتى
غار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحيى فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع
عينه فيقول ما لك ان دعواتهم تسلمت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
وان كان الافضل ان يجنب عند اعراض اللّٰه كالفعل ابواماروى ان مسيلما اخذ رجلا
فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فانتون في فقال انت
ايضا فخذلا وقل الآخر ما تقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فانتون في قال
انا صم فانا عبيد لانا انا عاد جواد فقتله فباع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل به الاول فقد
اخذ برخصة الله واما الثاني فمما صرح بالحق فنهذله **٥٩** ذلك **٦٠** اشارة الى الكفر بعد
الايمان أو الوعيد **٦١** بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة **٦٢** بسبب انهم آثروها
من الافعال ما يتصور الاكراه عاين كسرب الخمر وكل لحم الخنزير والميتة وما هو من اكره
بالسيف أو التل على ان يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو يلم الخنزير أو نحوها حازله ذلك لقوله
تعالى ولا تاتوا بآياتكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر على أفضل ومن الافضل
ما يتصور الاكراه عليه كالتزلات لا كراهه يوجب الخوف الشديد وذات نوع التماس الآلة
فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه كثير
العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله جازم وهو تعالى
لا كراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد في ذاته لان ذاته موجودة فيجب عمله
على نفي آثاره والمعنى انه لا يتردد ولا يتردد وقوله تعالى وقابله مطر من بلا من بعد
دليل على أن محل الايمان هو النسيب **٦٣** ولكن من شرح بالكفر صدرا **٦٤** يعني قتله
ووسعه القول بالكفر والخزرة ورسيد **٦٥** فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم **٦٦**
يعنى في الآخرة **٦٧** ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة **٦٨** يعني ان يكون ذلك
الاقتمام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

بالله من بعد ايمانه هم
الكاذبون أو من اخبر اللّٰه
هو الكاذبون أي رؤاواكهم
من كفر بالله من بعد ايمانه
وان يتصب على انهم روى
ان ناسا من أهل مكة فتنوا
قريشا وان كان فيهم من اكره
فجرى كلمة الكفر على
لسانه وهو مقتد الايمان
منهم عمرا وأما ابوامار
وسهية فقد قتلاوهما أول
قتيلين في الاسلام فقتل
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عمرا كفر فقال
كلا ان عمرا الى ايمانا
من قريشاني قدمة واختلط
الايمان بظلمه ودمه حتى
غار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحيى
فعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع عينه
وقل ما لك ان دعوات
فخذله فباع ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقتل به الاول فقد
اخذ برخصة الله واما
الثاني فمما صرح بالحق
فنهذله **٥٩** ذلك
اشارة الى الكفر بعد
الايمان أو الوعيد **٦١**
بانهم استحبوا الحياة
الدنيا على الآخرة **٦٢**
بسبب انهم آثروها
من الافعال ما يتصور
الاكراه عاين كسرب
الخمر وكل لحم
الخنزير والميتة
وما هو من اكره
بالسيف أو التل
على ان يشرب
الخمر أو يأكل
الميتة أو يلم
الخنزير أو نحوها
حازله ذلك لقوله
تعالى ولا تاتوا
بآياتكم الى
التهلكة وقيل
لا يجوز له ذلك
ولو صبر على
أفضل ومن
الافضل ما
يتصور الاكراه
عليه كالتزلات
لا كراهه يوجب
الخوف الشديد
وذات نوع
التماس الآلة
فلا يتصور
فيه الاكراه
واختلف
العلماء في
طلاق
المكره فقال
الشافعي
رضي الله
تعالى
عنه كثير
العلماء
لا يقع
طلاق
المكره
وقال أبو
حنيفة
يقع
حجة
الشافعي
ومن
وافقه
قوله
جازم
وهو
تعالى
لا كراه
في الدين
ولا يمكن
أن يكون
المراد
في ذاته
لان ذاته
موجودة
فيجب
عمله
على نفي
آثاره
والمعنى
انه لا
يتردد
ولا يتردد
وقوله
تعالى
وقابله
مطر من
بلا من
بعد
دليل
على أن
محل
الايمان
هو
النسيب
٦٣
لكن
من
شرح
بالكفر
صدرا
٦٤
يعنى
قتله
ووسعه
القول
بالكفر
والخزرة
ورسيد
٦٥
فعليه
غضب
من
الله
ولهم
عذاب
عظيم
٦٦
يعنى
في
الآخرة
٦٧
ذلك
بانهم
استحبوا
الحياة
الدنيا
على
الآخرة
٦٨
يعنى
ان
يكون
ذلك
الاقتمام
على
الارتداد
الى
الكفر
لاجل
انهم
استحبوا
الحياة
الدنيا
على
الآخرة

والعذاب العظيم (بأنهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أي
(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب بد نفسه، واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) والى يكون بدو
من الذين لا يؤمنون بآياتنا، على أن يجادل وأولئك هم الكاذبون اعتبارا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يخبر
الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منه مكره فم يدخل تحت حكم الكفر ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا فعليه غضب من اللّٰه وان يكون **٤٤٤** بدلا من المبتدأ { سورة النحل } الذي هو أولئك أي من كفر

التي والله سبحانه وتعالى
غيره والنفس الجذبة كما هي
فالنفس الاولى هي الجذبة
والثانية عينها وذاتها
قبل يوم تأتي كل انسان
يتجادل عن ذاته لا يهمله شأن
غيره كل يقول نفسى نفسى
ومعنى التجادل عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء كانوا
ربنا انا اطعنا ساداتنا
وكبرنا انا الآية والمتميزان
ما كنا مشركين (وتوفى كل
نفس ما عملت) تعطى
جزءا عملها واقفا
(وهو لا يظلمون) في ذلك
(وضرب الله مثلا قريبة)
أى جعل القريبة التي هذه
حاله امثالا لكل قوم أغرقت
عليهم فابطرتهم القعدة
فكفروا وتوكلوا نزل الله
بهم نقتله فيجوز أن يراد
قريبة مقصرة على هذه
الصفة وان تكون في قري
الاولى قريبة كانت هذه
حالتها فضرب الله مثلا
ذئبة الدار عن مثل مقبها
و فجرة (تجادل)

منصوب برحيم ذكر تجادل عن نفسها في خذلانها
لا يهمل شأن غيرها يقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس بما
عملت وهم لا يعلمون لا يتصورون اجرهم وضرب الله مثلا من
تجادل عن نفسه بمعنى نفسه وتخرج عن نفسه أى بما عملت من خير وشر
بالتجارة لا تفرغ الى غيرها فمن قات النفس هى نفس واحدة وايس
اما نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قات النفس
قديراذ بها بلن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته
فالنفس الثانية هى بمثابة عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم تأتي كل
انسان يتجادل عن ذاته ولا يهمله غيره ومعنى هذه التجارة
الاعتذار منه كتوابعه والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك
من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعنى جزاء ما عملت
في الدنيا من خير وشر وهم لا يظلمون يعنى لا يتصورون من جزاء ما عملت
شيئا بل يوفون ذلك مما لا من غير زيادة ولا نقصان روى ان
عرب من أططاب رضى الله عنه قال اكعب الاخبار خوفه فقال يا
ميراثي الذين والذى نفسى يمدو واقيت القيمة مثل عمل سبعين
نبالات عليك سمعت وأنت لا يهتك الانفسك وان حنهم
لترزق فرتمما حتى ملك مقرب ولاني من سئل الاجماع على
ركبتك حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اله الا انت
الذى توفى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وروى عن
عكر بن عباس في هذا الآية يقول ما نزل خصومة بين الناس
يوم القيامة حتى تخاضم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم
تكن لي بيا بطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها
وتقول الجسد يارب أنت خالفتني بالمشقة ليست لي يدا بطش
بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح
كشعاع النور فيه نطق لساني وبدت عيني وبدت مشيت رجلاي
فضرب الله لهما مثلا أعشى ومقعد دخلا حائطا
يعنى استانا فيسده ثمار فالأعشى لا يبصر الثمر والمقعد لا
يتأمله الثمر ففعل الاكعب في قوله من وجد من وضرب الله مثلا
قريبة المثل عبارة عن قول في شئ يشهد قولاً في شئ آخر
بمنها المشابهة ايضاً أحدهما الآخر وبسوره وقيل هو عبارة
عن المشابهة لقريه في معنى من المعاني أى معنى كان وهو
أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي
المثل قد ضرب بشئ مؤسوف بصفة معينة بسوء كان ذات الشئ
موجوداً ولم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه
القريبة التي ضرب الله بها هذا المثل يختصم أن تكون شيئاً
مفروضاً ويختصم أن تكون فرضاً وتكون على التامير الثاني
تلك القريبة تجادل تكون مكتة وغيرها ولا يكون من التامير
على أنها مكتة وتضرب بشئ مؤسوف بصفة معينة بسوء
كان ذات الشئ موجوداً ولم يكن وقد يضرب بشئ موجود
معين فهذه القريبة التي ضرب الله بها هذا المثل يختصم أن
تكون شيئاً مفروضاً ويختصم أن تكون فرضاً وتكون على
التامير الثاني تلك القريبة تجادل تكون مكتة وغيرها ولا
يكون من التامير على أنها مكتة وتضرب بشئ مؤسوف بصفة
عينة بسوء كان ذات الشئ موجوداً ولم يكن وقد يضرب
بشئ موجود معين فهذه القريبة التي ضرب الله بها هذا
المثل يختصم أن تكون شيئاً مفروضاً ويختصم أن تكون
فرضاً وتكون على التامير الثاني تلك القريبة تجادل

يزاد على سياتهم (وضرب الله مثلا قريبة) بين الله تعالى في صفة مثل كذا أي جهل وعلم

قوله في قوله تعالى "والظفر المستعمله كقوله"
قائله "استعار لرداء المعروف بالظفر المستعمله كقوله"
الظفر المسمى به وهو صفة المعروف والظفر لا وصف الرداء إنما المنة المستعمله كقوله"
الى المستعار كقوله

يشترى على دأى عبد عمرو مرويه يا خمر بن بكر
الى الشتر المسمى به كقوله "يدونك عتجره مند بشر"

بالجوع سبع سنين تمدح عنهم ظنر وقطعت عنهم العرب الميرة باسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جهدوا فأثروا امتناعه المحرقة والجيس والكلاص والمثمة والامن وهو
الوبر يعالج بالدم وتغذبه حتى يؤكل حتى تان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه
المخاض من الجوع ثم ان ردها فمكة لمؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقتها لما
هذهت عدت لرجل فذالك النساء والعميين فذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس في حال الملهام اليم وهو بعد مكركون واحوف يعنى خوف بعوت انى صلى الله
عليه وسلم ومر اليه انى تان جمعها الاذقة فحانت تمثيب به وتفر على من حوايه
من العرب فكان أهل مكة يخافونهم من الاذقة والباس استعارتال فوجه حديثها
والاذقة المستعارة موقوفة على الباس المستعار فوجه صحة ايقاعها عليه وهو ان الباس
لا يذوق بلى الباس فيقال كعب عم الله ليس الجوع أو يقال فإذا فهم الله طعم الجوع قلت
قال صاحب الكشاف أما الاذقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الابدان
والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون ذق ذوق البؤس والفسر وأدق العذاب شبه
ما يلد له من أثر الفسور والامام عيسى عليه السلام من طعم المر والبشع وأما لابس فتدشبه به
لاشتماله على الابس ما عسى الابس وان لابس به من بعض الحوادث وأما يذوق الاذقة
على لابس الجوع واحوف فلا بد وان عداقة عمداً فليس منه ولا لابس غنى على
فأذقهم ما عسى من الجوع وحوف حذركم بعد من عر الممانى والابس يدرك ما عسى
ما قول وقد لدم فخر بنين لوزى حبراء من رجمه الا لابل الاحمر ان حذركم
لهم عند الجوع لو ان أعضه من الجوع من رجمه فلما اذقوه انذام حذركم
يندوقون الجوع وان انى لابس الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع
الحيات ذشبه بالباس والخصم من الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع حذركم
وحالة تشبه بالابس انما هو ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع
الوجه الثانى ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم
العراف بقوله "يا ذوقوا الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم
الاختبار تتولى تامل قولنا انى ما عسى من الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع
وهن يذوق لذة منى الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم
والباس الجوع واحوف فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع فلهذا حذركم ان يذوقوا الجوع

عامة يصنعون (لا يقولون) انهم استعملوا ولا يقدرون ان يستعملوا ووجدوا ذلك ان الاذقة جاز
عندهم غير من الحقة التي يشبعون بها البلايا الشدايد وما ينس الناس منها فبقوا من ذوق فلان البؤس والضرر واذقه العذاب
شبهه من الحظير والاذى بما يترى من البؤس والشرع والاباس فقد شبهه لا شتمه على اللباس
سعى الناس والاباس في الجوع عشرة من مش الخورث سنة ٦٥٠ هـ وأما قاع الاذقة على لبا

استعملوا اعداء استبدلتم على وتغير نظرا الى المستعمل بما كانوا يصنعون
بصنيعهم وقصدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في محمد صلى الله عليه وسلم والخمير لاهل
مكة نادى ذكرهم بعد ذلك وشبهه فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ضالمون
حال التباسهم بالذوق والمذاب ما ساء لهم من الجذب الشديد أو وقعة بدر فكلموا بما
رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله التي اصابهم باكل ما احل الله لهم وشكروا ما اعطاهم
من زجرهم عن الكفر وهداهم عليه بذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم
صدالجه عن صنع الجاهلية وبذاتها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون فظيرون ان

الحلال وكسوف البالي كقولهم تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك
يجوز ان تقول ذقت اباس الجوع والخوف على فلان الوجود الثالث ان يحمل لفظ
الذوق والاباس على المناسبة نصر لتقدير ذوقه الله سبحانه مساس الجوع والخوف ثم قال
تعالى ما كانوا يصنعون وما ينقل بصحة لانه أراد اهل القرية والمعنى فبذلهم
ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة
واحسب ثم نعم الله عز وجل عليهم بالعمرة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وابعوا في ايدائه وأرادوا قتله فخرجه الله من بينهم
وأمره بالهجرة الى المدينة ولسلط على اهل مكة البلاء والشدايد والجوع والخوف كل
ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجهم من بين أظهرهم سبحانه
وتعالى وقصدتهم يعني اهل مكة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرفون نسبة ويعرفونه قبل النبوة وهذا فكذبوه فأخذهم العذاب يعني
الجوع والخوف وقيل اقبل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية وهم
ضالمون يعني كفروا فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخطاين بهذا قولان أحدهما
انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من اهل مكة قال
الملكبي لما شد الجوع باهل مكة كما رؤسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا انك
التماحذت الرجال قبال النساء والصبيان فذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس
ان يحسوا الطعم اليهم حكاية وحدي وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس
فكلموا اياه عشر المومنين من اهل مكة يريد الغنم حلالا طيبا يعني ان الله سبحانه
وتعالى أحل الغنم الهذبة الامة وطيبها لهم وحل لاحد قباهم واشكروا نعمت الله
يعني التي نعم بها عليكم ان كنتم اياه تعبدون

الجوع والخوف فلا بد
واع عبارة عن فليس منه
والاباس فكانه لذل ذوقهم
ما غابهم من الجوع والاباس
(واستجدتهم رسول الله)
أي محمد صلى الله عليه وسلم
(فكذبوه فأخذهم العذاب
وهو ضالمون) أي في حال
الاباسهم بالظلم فوالله
القتل بالسيوف يوم بدر
روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجه الى اهل
مكة في سبي القحط بضمان
ففرق فيهم فقتل الله اياهم
بمأثر ذوقهم الجوع فكلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبي
محمد صلى الله عليه وسلم
(حلالا طيبا) بلا عا كنتم
تأكلونه حراما خبيثا
من الاموال المتخوذة
بالفدات والغصب
وخبث الكسب (واشكروا
نعمت الله ان كنتم اياه
تعبدون) ظيرون ان
صنع رزقكم انكم تعبدون الله
بعبادة الآلهة لا بشيعة وكم
عندكم عددهم بحجرت
الله وبهم عن تعبدتهم

(بما كانوا يصنعون) جازون وهم من تعبدوا صلى الله عليه وسلم من جهة (ولقد جاءهم رسول) محمد صلى الله عليه (انما)
وسد (الاباس) سببه عن قرني شبهه (فكذبوه) كذبوه (فأخذهم العذاب) عذاب الله بالجوع والقتل والاباس (وهو
ضالمون) كفرون (فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم) من اخطا من اخطا (واشكروا) اذكروا (نعمت الله ان كنتم
اياه تعبدون) ان كنتم تتريدون عبادة الله بخرجه الحث والامانة وتحملون عبادة

ودليلهم باهواؤهم فقال (أما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل امرئ الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله
ورحيم) إنما للحصر أي الحريم هذا دون البحيرة وأخوانها وباقي الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب)
حوب لا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والخمر في قواكم ما في بطون هذه الأقسام
أصله المذكور نأى حرم على أزواجنا من غير امتداد ذلك الوصف إلى أرواحي أو إلى الفاس المستبطه وهو الامام مثلها في قولك لا تقولوا
حل لله هو حرام وقوله (هذا) ٥٦١ حلال وهذا {سورة النحل} حرام بدل من الكذب ولك ان

تصف الكذب بتصف
وتجعل ما مصدرية وتعاقب
هذا حلال وهذا حرام بلا
تقولوا أي ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام وهذا
لوصف ألسنتكم الكذب
أي ولا تحرموا ولا تخلوا
لاجل قول تنطق به ألسنتكم
ويجوز في أوقافهم لا لاجل
حجة وبينة ولكن قول
ساذج ودعوى بالبرهان
وقوله تصف ألسنتكم
الكذب من فصيح الكلام
جعل قولهم كاذب عين
الكذب فاذا نظقت به
ألسنتهم فقد حلت الكذب
بجلبته وصورته بنسوته
كقولك وجهها يصف
الجمال وغيرها تصف السحر
واللام في (تفتتروا على الله
الكذب) من الغنبل الذي
لا يتخمن معنى الغرض
الله في تحليله (أما حرم عليكم
الميتة) التي أمر بئسها

صح زعمكم انكم تصفون بعبادة الآلهة عبادته {أما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما أهل امرئ الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم} لما سهرهم
بتناول ما حل لهم عدد عليهم محرمانه ليعلم ان ماء داهها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن
التحريم والتحليل باهواؤهم فقال {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام} كما قالوا ما في بطون هذه الأقسام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام
وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الاما حرم اليه دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بالاقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه ومتمتع
بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا
حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب متصف بنصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تخلوا بمجرد قول تنطق
به ألسنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عبد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجلال وعينها تصف السحر وقريء
الكذب بالجر بدل ما والكذب جمع كذب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالانصب على
الذم أو معنى الحكم الكواذب {تفتتروا على الله الكذب} تعليل لا يتخمن المعنى الغرض
أما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل امرئ الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فإن الله غفور رحيم {تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة} فإنه
هنا {وقوله تعالى} ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب {يعني ولا تقولوا الاحل
وصفكم الكذب} هذا حلال وهذا حرام {يعني انكم تخلون وتحرمون لاجل الكذب
لا غيره فليس تخاليلكم وتحريمكم معنى وسبب الاالكذب فقط ولا تفعلوا ذلك قال مجاهد
يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قواهم ما في بطون هذه الأقسام خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من
عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى {تفتتروا على الله الكذب}
يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فنكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم

(والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل امرئ الله به) وما ذبح غير اسم الله عبداً ولا انعام (فمن اضطر) ما حرم الله
عليه (غير باغ) على المسلمين ويقال غير مسحل لا كل الميتة (ولا عاد) قاطع الطريق وبقال تعمد الاكل من الضرورة (فإن الله
غفور) متجاوز باكل الميتة عند الضرورة (رحيم) اذ رخص له أكل الميتة عند الضرورة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب) لا تقولوا بألسنتكم الكذب (هذا) يعني الحرت والانعام (حلال) على الرجال (وهذا حرام) على النساء (فلا تقولوا
على الله الكذب) بذلك

كان وحده أمتمن الأمم الكماله في جميع صفات ابراهيم كقولاه ايس على الله سبحانه وتعالى وحده وعن محمد بن عبد الله
وحده واليه المرجع واليوم الموعود

لكونه واستخفافه غيبه في جميع الصفات التي هي في حقيقته في حقيقته
ايمن من بين خمسة ذكره ابن نجيم الميزان واحد
وهو عايد السلام ايس ما وجد من وتسمية المشتبهين الذي حذر فرقه في حقيقته
مذا همهم في حقيقته في حقيقته وان عتب ذكره بتتبعه في حقيقته في حقيقته
والظعن في النبوة في حقيقته في حقيقته وان وحده في حقيقته في حقيقته
وهي فعلته في حقيقته في حقيقته انما اذ انفسه وانما في حقيقته في حقيقته
للاستغناء وتتبدون في حقيقته في حقيقته انما انما الله في حقيقته في حقيقته
حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته انما انما الله في حقيقته في حقيقته
يزعمون انهم على ملة ابراهيم صوات الله عليه في حقيقته في حقيقته
للتبديد على انه كان لا يغفل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة في حقيقته في حقيقته
وهو ما الى صراط مستقيم في حقيقته في حقيقته الى الله تعالى

مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يتصدقون بهذا الثابت قسدا
التناهي في المعنى الذي يصرفه يد والعرب تعرف الامعاء المبهمة على اجلاء وعلى الواحد
كقوله تبارك وتعالى فنادت الامانة وتناداه جبريل وحده وانتم عن ابراهيم
صلى الله عليه وسيد امة لانه جميع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة
ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر

ايس على الله خمسة ذكره ان يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه النحلة اقول احدعا قول ابن مسعود لامة هو اخبر اعني
ان كان مع الخبير يا ايمه بل اهل البيت الذي قيل في حقيقته في حقيقته
كلهم كذا في هذا المعنى ان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسيد في حقيقته في حقيقته
ابن تيميل يا بعد الله امة وحده وانما في حقيقته في حقيقته لانه في حقيقته في حقيقته
وما تاهوا عايد من عبادة الالهة في حقيقته في حقيقته من اهل بيت لا وهم وولد
يرضونه وقيل الامة عملة تعمل في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
امانا يقتدى به دايك قوله في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
هو سبب الذي لا يجهل حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
الحق وهو من باب اطلاق المصطلح على العيب وقيل التام في ابراهيم عليه السلام
امة لانه في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
وضعه واذا مناسبات التي هي في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
الموسدين الخاضعين من حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
أعقد التي اتم بها حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته
صراط مستقيم في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته في حقيقته

يقتدى به (قائنا) طيعا (لله حقيقته) مسلم حقيقته (ولم يمان من المشركين) مع ابراهيم في حقيقته في حقيقته
لما نعم الله عليه (اجتهاد) استغناء بالنبوة والاسلام (وهو ما الى صراط مستقيم) على حقيقته في حقيقته

روايتنا في ذلك حسنة
 نبوية و أمولا و أولاد
 أو توبه به يذكره
 قال ابن جرير وقيل
 المعنى ما صح صليت على
 إبراهيم (و انه في الآخرة
 من الصالحين) من أهل
 الجنة (ثم و حينئذ يك أن
 أتبع صلاة إبراهيم حنيفا
 وما كان من المشركين) في
 ثم تعظيم منزلة نبينا عليه
 السلام و اجلال محله
 و الايمان بان أمر ف ما و في
 خليل لله من الكرامة اتباع
 رسولنا ماله (الما جعل
 السبت على الذين اختلفوا
 فيه) أي فرض عليهم
 تعظيم و ترتيب الاعضاء
 وهو لا سلام (و آتيناها)
 أعطيناها (في الدنيا حسنة)
 و نداء خلوقة الله حسنا
 و يقال الذكر و التمام الحسن
 في الناس كجه (و انه
 في الآخرة من الصالحين)
 مع آياته المرسلين في الجنة
 (ثم و حينئذ يك) أمر الله
 يا محمد (أن أتبع صلاة إبراهيم)
 أن استقر على دين إبراهيم
 (حنيفا) سلم (و ما كان
 من المشركين) مع المشركين
 على دينه (الما جعل السبت)
 حرم السبت (على الذين
 اختلفوا فيه) في الجنة

مهر... في... من... من...
 و ان... في الآخرة
 من الصالحين...
 اليه... و...
 و السلام و أتبع رسول...
 حذفت... في النوحيد و...
 مع كل احد على حسب...
 ...
 أي على نبيهم وهم اليهود...
 فبوا و قوا لرب يوم السبت...

و آتيناها في الدنيا حسنة...
 احسن و القبول العام في جميع الامم...
 تمولونه المسلمون و اليهود و النصارى و مشركو العرب و غيرهم...
 في التشهاد...
 و قيل انه آتاه و لاداء ابرار على الكبر...
 ألى مقدمات الصالحين في الجنة...
 في الجنة فتكون من معنى مع و...
 الشريعة العالمية...
 ثم و حينئذ يك أن أتبع...
 قس أهل الآسوان كان النبي...
 و ما ينبغي حال شره له...
 و اتدين بين الاسلام...
 تسرى...
 السبت على الذين اختلفوا فيه...
 قال امرهم موسى...
 يوم الجمعة و لا تعموا...
 لا يوم الذي فرغ الله فيه من الخلق...
 و شدد عليهم فيه...
 أن يكون عليهم...
 لهذه الأمة...
 و سلم قال نحن الآخرون...
 فيه و آتيناها من بعده...
 فيه تبع فعد اليهود و عدوهم...

فالزمهم الله السبت وشذذ الأمر عليهم وقيل معناه إنما جعل وبأل السبت وهو المصحح
 على الذين اختلفوا فيه حروا المصيد فيه نارة وحرموه آخرى واحتموا له الجبل وذكرهم
 القيامة ونحن أول من يدخل الجنة هو في رواية أخرى له قال أخذ الله عن الجمعة من
 كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا اليوم الجمعة فجعل
 الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاورث
 يوم القيامة المقضى لهم قبل الاخلاق قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسأله قال
 العلماء في معنى الحدوث نحن الآخرون في زمان والوجود السابقون في النسل ودخول
 الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو الائمة
 وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلغوا فيه فهذا الله قال القاضي عياض
 الظاهر أنه فرض عليهم يوم الجمعة بغير تعيين ووكمل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم
 فيه فاختاروا احيارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الامة ميثاقا ولم يكلفهم
 الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام
 أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظره ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي
 ولو كان منصوصا عليه لم يتبع اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي
 الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلغوا فيه هل يلزم تعيينه
 أم لهم ابداله فبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين
 اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت
 كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود
 اختلفوا بينهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود تنفقوا على ذلك وزاد
 الواحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قل بعضهم
 معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من
 خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتداء فيخلق
 الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقتين في السبت وانما اختاروا السبت والنصارى
 بعدده بزمان طويل فإل قامت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الممالقتوا
 على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وخلق الخلق
 يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فمالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العسل في
 هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء في
 يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدنا وهذا الوجهان معقولان فما وجه فضل
 يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيدا فمالت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق
 وتامد كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة
 عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجد آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أنسرف
 ختمه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عابد فلما يوم الجمعة أنسرف
 الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة له الامة واختر لهم

عنه صلى الله عليه وسلم في لسانه يوم
الذي لا يرحم وهو اسماء الامم ذميمة
في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه

يوم ينادي بالخروج ومظنه
التي لا يرحم وهو اسماء الامم ذميمة
في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه

في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه
التي لا يرحم وهو اسماء الامم ذميمة
في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه

في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه
التي لا يرحم وهو اسماء الامم ذميمة
في لسانه يوم ينادي بالخروج ومظنه

من الرفق ودين وايمر لوجه الاسلام والاسماء التي هي اشرف من ذات شمع في تسكين
 بهجته وتبين شعبيته ان ربك هو اعز من كل عن سبيله وهو اعلى باليهدين كما هي ائمة
 ليك البلاغ والدعوة واما حصول الهدى والفضائل والنجاة عاينها فلا ليك بل الله
 على الضالين والمنهدين وهو اجازى لهم وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به لله المامه
 الدعوة وتبين لطلقاتها اشار اليد والى من شاعه بنزل اخلاقه ومواعاة العدل مع من تابعهم
 من الدعوة لانك عندهم من حيث انها تخفى رفض العادات وترك الشهوات والفرح
 بدين الاسلام واحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام غار في

لحسنة والتسم الثالث هم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله
 جادلهم بالتي هي احسن حتى يتقوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن
 ففي ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وعوذاً وحسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أي ادعهم
 لنبوة والرسالة والمراد بلوغة الحسنة والرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن
 أي عرض عن اذاهم ولا تقتصر في تبليغ الرسالة والهدى الى الحق فولى هذا القول قال
 بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف ان ربك هو اعز من كل عن سبيله وهو
 اعلى باليهدين يعني انما عليك يا محمد تسع مائة راسات به اليهم ودعاؤه بهذه العذرة
 لثلاثة وهو اعلى بالفرقة بين الضال واليهدي فيجازى كل حال به لله قوله سبحانه وتعالى
 وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به عزت هذه الآية بالهدية في سبب شهداء أحد
 وذلك ان المسلمين ماروا مدفول المشركون بقلى المسلمين يوم أحد من تيةير البطون والثلثة
 السينة حتى لم يبق أحد من قلى المسلمين الا ليل به غير حافظة بن أبي عامر الراهب وذلك
 ان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنيفة لذلك فقال المسلمون حين رأوا
 ذلك ان أظهرنا لله عليهم اثنتين على صديهم وان مثلن بهم مثلة لم يبقناها أحد من العرب
 بأحد وقب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حة حرة بن عبدالمطلب وقد دعوا أنه
 وآذانه وقطعوا هذا كبره وبقره بجله وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كده فمسحتها
 ثم استرطبتها انا كما هاهنا في بطنها حتى رمت بها فبقيت ذاك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 أما هنا أو أكلتها لم تدخل النار يا حرة كرم على الله من أن يدخل شأ من جسده النار
 فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حة حرة نظر الى شيء ثم نظر الى شيء فقلبان اوجع
 القلب منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت ان فعلنا
 الخيرات وصولا للرحم ونولا لحزن من هذا صديك لمررت أن ادعك حتى نمنعك من
 من افواج شتى اموال الله ثم أظهرني لله بهم لان من سبهم في يوم فكانت منزل لله وجل
 وان عاقبتهم فعاقبهم بمثل ما عاقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر ونعسى
 عما اردوا كثر عن يمينه عن أن من كتب قال ان من أحد سبهم بالانصا اراءه الرسول
 رجلا ومن المهاجرين سبهم حرة حرة من انصا اراءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا الثوبين عليهم بل فلما كان يوم فتح مكة نزل الله وجل وان من سبهم في يوم فكانت

(ان ربك هو اعز من كل عن سبيله)
 مثل رسول
 باليهدين) وهو
 فمن كان فيه خير كفاة وعنه
 والتايل ومن الاخير فيه
 عجزت عنه الخيل (قول
 قوتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به)
 سمي الفعل الايل عقوبة
 واعقوبته هي الثالثة لاردواج
 الكلام كقولوه جزاء سبته
 حنة مشاهدا لية ليست
 سبته والمعنى ان صنعكم
 تسع سوهن قتل وانحو
 فعاقبوه بمثل ما عاقبتهم به
 عليه روى ان المشركين
 ملوا بالمسلمين يوم أحد
 بنزوا بغونهم وقسموا
 وذكرهم فرمى نبيهم
 السلام حرة بقره واليه
 فقال أما والذي أحاطت
 لا مائة سبعين مائة
 فترت بكثرة عن رسول الله
 عب راءه ولا خلاف في
 حرة منه وروى لانه
 بالنسب ثم سبوا رسول الله
 المسور
 (ان ربك هو اعز من كل عن سبيله)
 عن سبيله) وهو
 (وهو اعز من كل عن سبيله)
 ليهدين) وهو
 (ان ربك هو اعز من كل عن سبيله)

